

كِتَابُ

الْمُسْتَبَيِّن

رِسَالَةٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى تَفَاهُتِنَا

أَبُو فَهْر

مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ سَاكِرٌ

مَكْتَبَةُ الْقُدْسِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّزْوِيعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برئاسة جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي



إذ هيئت جائزة الملك فيصل العالمية، بعد الاستطلاع على نظام جائزة الملك فيصل العالمية، المعدل والمطابق لاجلها من مجامع الشاؤون مؤسسه الملك فيصل والفريق بالقرار رقم ٤٠٣/١١١٧/٢٣ وتاريخ ١٤٠٣/٩/١١ هـ، وعلى محضر لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي في دورتها السابعة بتاريخ ١٤٠٤/١٠/٢٠ مقرر:

الاستاذ محمود محمد شاكر

جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي هذا العام ١٤٠٤ هـ، وذلك لشدة مساهماته القيمة في مجال الدراسات التي تناولت الأدب العربي والتقدم في

١- تأليف كتاب: «المتنبي» سنة ١٩٣٦ م، والذي عمل كثير من النعم والعلمية والأدبية العالمية، منها: «التحق في الدراسة والمجهود والاستقصاء، والتميز على الاستنتاج والبرقة في التزق، والبرق والظلم بين الشعر والحدود الحية، والكشف عن ذلك في نقد أساليب المتنبي

٢- الأفاق العالمية الجارة التي ارتادها، وسالكها من فضله على الدراسات الأدبية والكثيرة، وعلى الحياة والثقافة والتميز والالتزام.

٣- مواقف العاصم، وتحقيقاته وتوثيقاته الأدبية التي ترفع به إلى مستوى عال من القيمة وإذ هيئت الجائزة لإفترى في ذلك كله تحقيقاً لأهداف جائزة الملك فيصل العالمية وعملاً بالجائزة فقد راعوا هذه الأسماء فارتجوا الله في إيمانهم، ولما عظمه والتوفيق لواصله جهودهم المثمرة في هذا المجال

والله ولي التوفيق

رئيس هيئة الجائزة

خالد الفصيل بن عبد العزيز

صدّرت في الرياض برقم ٩١ وتاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ

الموافق ٢٥ فبراير ١٩٨٤ م

المبتدئ

محمود محمد شاكر
أبو فهد

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، اللهم صل على محمد خاتم أنبيائك ورسلك ، وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل ، وعلى سائر النبيين .

وبعد ، فهذا كتاب « المتنبي » الذي كنت كتبت في سنة ١٩٣٦ ، وخرج يومئذ في عددٍ كامل في مجلة « المقتطف » ، أنشره اليوم على هيئته التي كان عليها يوم صدر ، وجمعت إليه ما كنت كتبت في صحيفة « البلاغ » في سنة ١٩٣٧ في قضية المتنبي بعنوان : « بيني وبين طه » ، وضممتُ إليه أربع تراجم للمتنبي أقدمهن جميعاً ترجمة على بن عيسى الربيعي الذي قرأ على المتنبي شعره بشيراز سنة ٣٥٣ قبل مقتله ، وثلاث تراجم بعدها كتبها آبن العديم ، وآبن عساكر ، والمقریزی ، من كتب لم تزل مخطوطة لم تنشر ، وكتبتُ له مقدمةً فيها « قصة هذا الكتاب » كما كانت ، بارئاً إلى الله من كلِّ حول وقوة ، شاكرأ له سبحانه ، شكر مقصّر لا يفي شكره بأنعمه وأياديه عنده . وأتئى يبلغ شكرى له سبحانه ، وقد لطف بي فردّ عليّ بصرى بعد إظلام ، ولولا لطفه سبحانه لبقى هذا الكتاب في المطبعة ناقصاً لغير تمام . فالحمد لله وحده .

أما الرَّجُلُ الذي أجزى الله على يديه لُطْفَهُ بي ، واستنقذني بمروءته من العَمَى ،
وحاطني حتَّى عُدْتُ بصيراً ، فأنتي لا أملكُ له جزاءً إلا الإقرارَ بفضله ، وإلاّ الدعاءَ له
كلما أصبحتُ وأُمسيْتُ . صديقٌ لا تنامُ صداقته عن أصحابه ، ورجُلٌ لا تَغفلُ مُروءته
عن غير أصحابه . ثم هو بعدُ غنيٌّ عن اللُّقَبِ بمكارم أخلاقه ، وفوق كُلِّ لقبٍ بِسماحةِ
شَيْمِهِ : « نايف بن عبد العزيز آل سعود » ، لم يزل منذ عرفته قديماً ، يزدادُ جوهرةً على
تقادم الأيام سنّاً وسناءً . صرّحتُ بذكر اسمه مطيعاً لما يُرضيني ، عاصياً لما يرضيه .

الأحد ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٣٩٧

٦ من نوفمبر سنة ١٩٧٧

القاهرة : مصر الجديدة

أبوفهد
محمود محمد شاكر

٣ شارع الشيخ حسين المصطفى

إِنَّمَا أَنفُسُ الْأُنَاسِ مَبْتَاعٌ
يَتَفَارِسُنَ جَهْرَةً وَاعْتِيَالاً
مَنْ أَطَاعَ الْيَمَاسَ شَيْءٌ غَلَاباً
وَاعْتَصَاباً لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالاً
كُلُّ غَايٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى
أَنْ يَكُونَ الْعُصْفَرُ الرَّبَاباً

قِصَّةُ هَذَا الْكِتَابِ

٢٩

/ لمحة من فساد حياتنا الأدبية

«المتنبى» ، كتابٌ كُتِبَ منذ اثنتين وأربعين سنة ، ونُشِرَ في عددٍ مستقلٍّ من مجلة «المقتطف» (يناير سنة ١٩٣٦) . ثم كانت أحداثٌ ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداثٍ كانت قبلها بسنواتٍ طوَالٍ ، كان لها أثرٌ بالغُ القسوةِ والسُّوءِ في نفسى ، فلم أملكُ يومئذٍ أن أكبح جماحها ، فانطويْتُ على ما بى انطواءً شديداً أدَّى إلى تغييرٍ منهج حياتى كُلِّهِ . ويومئذٍ رفضْتُ رفضاً قاطعاً ، بينى وبين نفسى ، أن أوْلَفَ كتاباً ، وانصرفْتُ / إلى كتابة المقالات .^{١٠} وبعض الشعر ، وأصررتُ أيضاً على أن لا أعيد نشر هذا الكتاب «المتنبى» مرةً أخرى ، وأعرضتُ إعراضاً تاماً عما كنتُ وعدتُ به فى هوامش الكتاب ،^(١) من تأليف أربعة كتبٍ مختلفة عن «المتنبى» . وقضى الأمرُ ، ودخلتُ منذ ذلك الوقت فى عُزلةٍ غريبةٍ جدًّا ، أشرتُ إليها مراراً فيما أكتب ولم أفسرها ، وتعددت صُورُ هذه العُزلة على مرِّ الأيام ، وأصبحت هى طابعَ حياتى إلى هذا اليوم .

فلما استجبتُ أخيراً لإلحاح جمهوره أصحابى على إعادة طبع كتاب «المتنبى» كما كُتِبَ يومئذٍ ، وعلى طبع المقالات التى كُتِبَتْها سنة ١٩٣٧ فى جريدة «البلاغ» فى نقد

(١) انظر هذه الطبعة ، الهوامش فى ص : ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠ وما ذكره أخى

الأستاذ فؤاد صروف فى مقدمة الكتاب ص : ١٣١

الفصول الأولى من كتاب « مع المتنبي » لأستاذنا الدكتور طه حسين ، بعنوان : « بيني وبين طه » = رأيته أمراً لا مَعْدَى عنه أن أقصَّ طرفاً من تاريخ حياتي يومئذ ، لكي أفسر السبب الذي من أجله تركت تأليف الكتب ، والذي من أجله أبيت إعادة طبع كتاب « المتنبي » على مر أربعين سنة ، والذي من أجله كتبت ما كتبت في نقد كتاب الدكتور طه .

والحديث عن النفس عملٌ أكرهه ، ولكنه يكون أحياناً ضرورة لا غنى عنها . فالجيل الذي يستقبل اليوم هذا الكتاب ، لم يشهد تلك الأيام الغابرة ، ولا يعلم عنها علماً يُغني أو يفيد ، بل لعله يعلم عن هذا الغابر أشياء / قليلة ، على غير الوجه الصحيح ، الذي كانت عليه ، وإنما اكتسبها الجيل الحاضر من الثروة التي تنشر أحياناً في بعض الصحف والمجلات . وقد التزمت في هذا الحديث أن أقصَّ ما لا مناص منه ، على الوجه الذي كان ، بلا إخفاء للحقائق التي وقفت عليها يومئذ ، لأنها هي التي أثرت فيما أكتب ، وهي التي كوّنت رأيي في الجيل الذي عاصرته ، وفي آثار هذا الجيل في الأجيال التي جاءت معه أو بعده ، متأثرة به أو وارثة له .

...

بين الثالثة عشرة من عمري والسابعة عشرة ، كنت مُولعاً أشدَّ الولوع بالرياضيات ، فدخلت القسم العلمي في « المدرسة الخديوية الثانوية » بالقاهرة ، ولكنني مع ذلك كنتُ مشغولاً بالشعر ، منهوماً بالأدب ، كلفاً بالتاريخ . فلما أنشئت الجامعة المصرية لأول إنشائها ، لم يستطع ولعي بالرياضيات أن يقوم لشغفي بالأدب والتاريخ ، فتحولت مخالفاً سيرة زملائي في القسم العلمي ، والتحقت بكلية الآداب ، فكان هذا التحول هو أيضاً بدء تحول حياتي تحولاً تاماً . هجرت الرياضيات هجراً مُصمتاً ، وأقبلت على الشعر والأدب والتاريخ بقلبي كله . ويوم دخلت كلية الآداب ، كنت قد فرغت منذ قليل من قراءة كتابين جليلين على شيخى ، وشيخ الدكتور طه حسين أيضاً ، وهو سيد بن علي المرصفي ، رحمه الله . أول الكتابين :

كتاب « رغبة الآمل » ، وهو شرح الشيخ على كتاب « الكامل » لأبي العباس المبرّد =
وثانيهما : كتاب « أسرار الحماسة » ، وهو شرح الشيخ أيضاً على كتاب « الحماسة »
لأبي تمام الطائي الشاعر . وفي زمان هذه القراءة كان أثر الشيخ / على أثراً شديداً ، فقد
أثار اهتمامي وصرف قلبي كله إلى الشعر الجاهليّ وبعض الشعر الأمويّ ، وأخذني
ما يأخذ الشباب في ريعان طلب المعرفة . فارت بي هذه التّشوّ الجديدة بالشعر
الجاهليّ ، فجعلت تثبّط همتي عن الشعر العباسيّ بعض التّثبيط . وكان ممّا ثبّطت عنه
همّتي أشدّ التّثبيط ديوان أبي الطيب المتنبيّ ، مع أنّه كان أوّل ديوان من الشّعْر قرأته
كلّه ، وحفظته كلّه ، وفنّنت به كلّه ، فأغفلته من يومئذٍ كلّه . لم يكن هذا التّثبيط
استخفافاً بالشعر العباسيّ وما بعده ، بل لأنّ إيغالي في الحفاوة بالشعر الجاهليّ وقراءته
وتتبّعه في دواوين شعرائه ، وفي كتب الأدب ، كان قد أوقفني على شيء مهمّ جدّاً ،
شغلني واستولّى على نفسي ، حتى صار من ذيذني يومئذٍ أن أحدث عنه أكثر من لقيتُ
من الأساتذة الكبار الذين عرفتهم وخالطتهم وكنتُ آوِي إليهم مستطليعاً ومستثيراً
وملتمساً للإرشاد . فكنتُ أظفرُ أحياناً بالتشجيع ، وأحياناً أخرى بالاستغراب وبعض
الإعراض عما أقول .

كنتُ قبل ذلك أعرف « المعلقات العشر الجاهلية » وأحفظها ، كما هو شأن أكثر
من انصرف بهيمته إلى الأدب . وهذه المعلقات ، كما هو معروف ، لعشرة شعراء مختلفين
أوّلهم امرؤ القيس ، ولكن حفظي إيّاها ، ومعرفتي بها وتاريخها وتاريخ أصحابها ، وبمعانيها
وبمعاني غريب ألفاظها ، لم يزد قطُّ على أن يكون زيادةً في ثروة معرفتي بالعربية ،
وبشعرائها ، وبشعرها قديمه وحديثه . أمّا حين أخذني التّهمُّ بالشعر الجاهليّ ، وبدأتُ
أقرأ ما بقي لدينا من دواوين شعر الجاهلية شاعراً شاعراً ، ثم أشعارَ مئآت من أهل
/ الجاهلية ممن لا دواوين لهم ، أو كانت لهم دواوين ولم تقع لي بعدُ دواوينهم = فعندئذٍ
اختلف على الأمر ، ولم يعدّ مجردُ ثروة أستزيدها في المعرفة بالعربية والشعر . بدأتُ أجدُ
في هذا الشعر الجاهليّ شيئاً مبيناً مبيناً سافراً لما في الشعر العباسيّ كلّه ، بل أكبرُ من
ذلك : أنّي افتقدت هذا الشيء أيضاً في أكثر ما قرأت من الشعر الأمويّ ، الذي

لا يفصلُ بينه وبين الجاهلية إلا المئة الأولى من التاريخ الهجري ، وهو زمنٌ قليلٌ لا يُعْتَدُ به . ثم لم يكن الأمرُ راجعاً إلى ألفاظ الشعر من حيث غرابتها عندى أو ألفتها ، ولا إلى تغايرٍ في أوزان الشعر وقوافيه ، ولا إلى اختلافٍ في المعاني والأغراض أيضاً ، فكلُّ ذلك بلا شكٍ قريبٌ من قريب . ثم هو بلا ريب ، غيرُ راجعٍ إلى الحداثة والقديم ، كما تُوهِمُ حاجةُ عصرنا في شأن « القديم » و « الحديث » = لأنَّ الذى بينى وبين الجاهلية خمسة عشر قرناً تقريباً ، والذى بينى وبين الشعر الأموى والعباسى جميعاً ثلاثة عشر قرناً تقريباً . والبعدُ بينى وبين جملة هذا الشعر ، فى الثلاثة عشر قرناً والخمسة عشر قرناً ، بُعْدٌ واحدٌ أو شبيهٌ بالواحد ، فكلُّ هذا عندى قديمٌ مُعَرِّقٌ فى القِدَمِ . وكان غيرَ معقولٍ عندى أن يكون هذا الفرقُ الساطعُ الذى وجدتهُ فى نفسى بين الشعر الجاهلى والشعر الأموى ، مردوداً إلى فِطْرَتِى اللغوية أو إلى قريحَتى ، لأننا فى زماننا هذا لا نحتكم إلى سليقةٍ فى العربية فاشية فى مجتمعنا اللغوى ، بل كل واحد منا يكتسبُ طرفاً ما من هذه السليقة بالتعلُّم والقراءة وطول الدُّربة والشقاء فى المعاناة ، معاناةٍ كُلٌّ فرِدَ مِنّا على حياله وفى خلواته .

وإذن ، فأنا لا أستطيع أن أجد هذا الفرقُ يلوحُ جَهْرَةً فى نفسى = / وأنا يومئذٍ على رأس السابعة عشرة من عمرى ، وعلى حداثة عهدى بطلب الأدب = إلا إذا كان الشعر الجاهلى نفسه يتلَفَعُ على هذا الفرق المتوهج كامناً فى ثناياه ، وإن كنت لا أستطيعُ عجزاً أن أضع يدي عليه وأقول : ههنا يكمنُ الفرق ! وكان أكبرُ ما مَهَّدَ لظهور هذا الفرق ، فيما أرجح ، هو أنى بدأتُ أقرأ دواوين شعراء الجاهلية شاعراً شاعراً ، كلما فرغتُ من ديوان شاعرٍ بدأتُ صُحْبَةَ شاعرٍ آخر = وكلِّما وجدت لشاعر جاهلي علاقة ما بشاعرٍ جاهلي آخر ، صحبتُ ديوانه بعده أو معه ، أو بحثتُ عما بقى من شعره فى دواوين الأدب ، إذا لم يكن من أصحاب الدواوين . فلما أوغلتُ فى القراءة وأكثرْتُ ، ملتزماً بهذا النظام الذى هدانى إليه ولُوعى بالرياضيات فيما أظُنُّ = وجدتُ فى الشعر الجاهلي شيئاً لم أكن أجده من قبلُ وأنا أقرأ الشعر الجاهلي متفرقاً لشعراء

مختلفين ، أو وأنا أحفظ لعشرة شعراء مختلفين هذه « المعلقات العشر الجاهلية » ، وأدارسها وأتبع معاني ألفاظها ، مع اختلاف معانيها وأغراضها .

وجدت يومئذ في الشعر الجاهلي ترجيعاً خفياً غامضاً ، كأنه حفيف نسيم تسمع حسه وهو يتخلل أعواد نبات عقيم متكاثف = أو رنين صوت شجى ينتهى إليك من بعيد في سكون ليل داج ، وأنت محفوف بفضاء متباعد الأطراف . وكان هذا الترجيع الذى آنسته مشتركاً بين شعراء الجاهلية الذين قرأت شعرهم ، ثم يمتاز شاعر من شاعري بحرسي ونغمة وشمائل تهادى فيها ألفاظه ، ثم يختلف شعر كل شاعر منهم في قصيدة قصيدة من شعره ، وبدندنة تعلو وتخفت تبعاً لحركة وجدانه مع كل غرض من أغراضه في هذا / الشعر . ولا تظنن أنى أزعم أن الشعر الأموي والشعر العباسي كليهما خالي خلواً م ١٥ تاماً من مثل هذه الظاهرة ، كلاً . ولكنني بالمقارنة وجدت ترجيع الشعر الجاهلي ورنينه ودندنته ، مبانة كلها مبانة ظاهرة لما أجده في أكثر الشعر الأموي والشعر العباسي من الترجيع والرنين والدندنة . وهذا ليس مردوداً بلا ريب إلى ألفاظ اللغة من حيث هي ألفاظ ، ولا إلى أوزان الشعر من حيث هي أوزان . وكان بلوغى ، يومئذ ، إلى إدراك هذه الفروق أو تبيينها تبييناً يتيح لى التعبير عنها ، أمراً متعذراً ، فما هو إلا التذوق المحض والإحساس المجرد . وبهذا التذوق المتتابع الذى ألقته ، صار لكل شعر عندى مذاق وطعم وشذا ورائحة ، وصار مذاق الشعر الجاهلي وطعمه وشذاه ورائحته يئناً عندى ، بل صار تميز بعض من بعض دالاً يدلنى على أصحابه .

بمثل هذا الحديث كنت أفاوض الشيوخ الكبار ممن عرفتهم ولقيتهم ، وكان هذا الحديث وهمجيراًى (أى دأبى وعادى من فرط النشوة) ، فكان يعرض عنى من أعرض ، ويربئ على خيلاء شبلى من ربئ بيد لطيفة حانية . كان من هؤلاء شيخ ساكن الهيبة ، رقيق الحاشية ، ساحر الابتسامة ، رقيق اليد واللسان ، حلو المنطق ، خفيض الصوت ، ذكى العينين ، هو أستاذنا أحمد تيمور باشا رحمه الله ، فاستمع إلى نشوئى بالشعر الجاهلي استماع من طب لمن حب ، كما يقال في المثل .

١٦ م حَدَّثَهُ مرارًا ، ثم جاء يوم فالتقينا ، على عادتنا يومئذ (سنة ١٩٢٥) ، / في المكتبة السلفية عند أستاذنا محب الدين الخطيب ، فلم يكذب يجلس حتى مَدَّ يده إليَّ بعددٍ من مجلة إنجليزية ، (عدد يولييه ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية) ، وقال لي وهو يتنسم : اقرأ هذه ! فإذا فيها مقالة للأعجمي المستشرق مرجليوث ، تستغرق نحو اثنتين وثلاثين صفحة من هذه المجلة ، بعنوان : « نشأة الشعر العربي » . كنت خبيراً بهذا الأعجمي التكويني ، التكويني البدني والعقلي ، منذ قرأت كتابه عن محمد رسول الله ﷺ . أخذتُ المجلة وانصرفتُ ، وقرأت المقالة ، وزاد الأعجمي سُقوطاً على سقوطه . كان كُلُّ ما أراد أن يقوله : إنه يشك في صحة الشعر الجاهلي ، لا ، بل إن هذا الشعر الجاهلي الذي نعرفه ، إنما هو في الحقيقة شعر إسلامي وضعه الرواة المسلمون في الإسلام ، ونسبوه إلى أهل الجاهلية ، وسُخِّفَ في خلال ذلك كثيراً . ولأنتى عرفتُ حقيقة الاستشراق ، لم ألقَ بالألأ إلى هذا الذي قرأتُ ، وعندى الذى عندى من هذا الفرق الواضح بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامى .

١٧ م ثم بعد أيام لقيت أحمد تيمور باشا ، وأعدت إليه المجلة ، فسألنى : ماذا رأيت ؟ قلتُ : رأيتُ أعجمياً بارداً شديد البرودة ، لا يستحي كعادته ! فابتسم وتلألأت عيناه ، فقلت له : أنا بلا شك أعرفُ من الإنجليزية فوق ما يعرفهُ هذا الأعجمُ من العربية أضعافاً مضاعفة ، بل فوق ما يمكن أن يعرفه منها إلى أن يبلغ أرذل العُمر ، وأستطيع أن أتَلَّعب بنشأة الشعر الإنجليزي منذ شوسر إلى يومنا هذا تلعباً هو أفضل في العقل من كُلِّ / ما يدخُلُ في طاقته أن يكتبه عن الشعر العربى ، ولكن ليسَ عندى من وقاحة التهجم وصفاقة الوجه ، ما يسوِّل لى أن أخطَّ حرفاً واحداً عن نشأة الشعر الإنجليزي . ولكن صروف الدهر التى ترفعُ قوماً وتخفضُ آخرين ، قد أنزلت بنا وبلغتنا وبأدبنا ، ما يُبيح لمثل هذا المسكين وأشباهه من المستشرقين أن يتكلموا في شعرنا وأدبنا وتاريخنا وديننا ، وأن يجدوا فينا من يستمع إليهم ، وأن يجدوا أيضاً من يختارهم أعضاءً في بعض مجامع اللغة العربية !! وأغضى أحمد تيمور وهو يتنسم .

ومرّت الأيام ، وغاصَ كلامُ هذا الأعجميّ في لُجج النسيانِ ، لأنّ هذا الأعجم وأشباهه يدرسون آدابنا وشعرنا وتاريخنا كأنّه نقشٌ على مقبرةٍ عاديّة قديمة ، (١) مكتوبٌ بلغة ماتت وماتَ أهلُها وطَمَرها تُرابُ القرون !! والأسبابُ الداعية لهم إلى ركوب هذا المنهج كثيرةٌ ، أهونها شأنُ الأهواء والضغائن المتوارثة ، ولكن أوغلّها أثراً أنّ توجّههم إلى هذا المسلك ، مسلك الاستشراق ، هو أنّ جمهرتهم غيرُ قادرة أصلاً على تذوق الآداب تذوّقاً يجعلها حيّة في نفوسهم قبل أن يكتبوا ، وهم أيضاً مسلوبو القدرة على أن يبلغوا في لسانهم الذي ارتضعوه مع لَبان أمهاتهم مبلغاً من التذوق ، يُعينهم على التعبير عنه تعبيراً يتيح لأحدهم أن يكون له شأنٌ يذكرُّ في آداب لسانه . / ولهذا العجز آثروا أن يكون لهم ذكرُّ بالكتابة في شأن لغاتٍ أخرى يجهلُها أقوامهم ، وهذا الجهل يسرُّ عوراتهم عند من يقرأ ما يكتبون من بنى جلدتهم . ولأثني خَبَرْتُ ذلك فيما يكتبون ، وفيما يقولونه بألسنتهم ، لم يكن لمثل هذه الآراء في الشعر الجاهليّ وغيره وَقَعٌ في نفسي يثيرني ، اللهم إلا ما يثير تقزّزي ، فما أسرع ما أسقط ما أقرأ من كلامهم جملةً واحدةً في يَمّ النسيان .

كان ما كان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقي محاضراته التي عُرفت بكتاب « في الشعر الجاهليّ » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كلّ واحدةٍ يرْتدُّ إليّ رَجْعٌ من هذا الكلام الأعجميّ الذي غاصَ في يَمّ النسيان ! وثارت نفسي ، وعندى الذي عندى من المعرفة بخبيثة هذا الذي يقوله الدكتور طه = وعندى الذي عندى من هذا الإحساس المتوهّج بمذاق الشعر الجاهليّ ، كما وصفته آنفاً ، والذي استخرجته بالتذوّق ، وبالمقارنة بينه وبين الشعر الأمويّ والعباسي . وأخذني ما أخذني من الغيظ ، وما هو أكبر وأشنع من الغيظ ، ولكنني بقيتُ زمناً لا أستطيع أن أتكلّم .

تتابعت المحاضرات ، والغيظُ يفورُ بي ، والأدب الذي أدبنا به آباؤنا وأساتذتنا يمسكني ، فكان أحذنا يهابُ أن يكلمَ الأستاذ ، والهيبة مَعجزةٌ ، وضاعت على المذاهب ،

(١) « عادية » منسوبة إلى « عاد » قوم هود عليه السلام ، الذين أبادهم الله وطمس آثارهم .

ولكن لم تَخُلْ أيامي يومئذ في الجامعة من إثارة بعض ما أجِدُ في نفسي ، في خفوت وتردّد . وعرفت فيمن عرفت من زملائنا شاباً قليل الكلام ، هادئ الطباع ، جَمُّ التواضع ، وعلى أنه من / أترابنا ، فقد جاء من الثانوية عارفاً بلغات كثيرة ، وكان واسع الاطلاع ، كثير القراءة ، حَسَن الاستماع ، جيّد الفهم ، ولكنه كان طالباً في قسم الفلسفة ، لا في قسم اللغة العربية . كان يحضّر معنا محاضرات الدكتور ، وكان صَغُوه وميله وهواه مع الدكتور طه ، ذلك هو الأستاذ الجليل محمود محمد الخضيرى . نشأت بيني وبينه مودة ، فصرت أخذته بما عندى ، فكان يدافع بلين ورفق وفهم ، ولكنّ جِدَّتْ وتوهجى وقسوتى كانت تجعله أحياناً يستمع ويصمتُ فلا يتكلّم . كنّا نقرأ معاً ، وفى خلال ذلك كنت أقرأ له من دواوين شعراء الجاهلية ، وأكشف له عما أجِدُ فيها ، وعن الفروق التى تميّز هذا الشعر الجاهليّ من الشعر الأموى والعباسيّ . وجاء يوم فجاجنى الخضيرىّ بأنه يحبُّ أن يصارحنى بشيء . وعلى عادته من الهدوء والأناة فى الحديث ، ومن توضيح رأيه مقسماً مفصّلاً ، قال لى : إنه أصبح يوافقنى على أربعة أشياء :

الأول : أن أتكاء الدكتور على « ديكارت » فى محاضراته ، أتكاء فيه كثير من المغالطة ، بل فيه إرادة التهويل بذكر ديكارت الفيلسوف ، وبما كتبه فى كتابه « مقال عن المنهج » = وأن تطبق الدكتور لهذا المنهج فى محاضراته ، ليس من منهج ديكارت فى شيء . (١)

الثانى : أن كُلُّ ما قاله الدكتور فى محاضراته ، كما كنت أقول له / يومئذ ، ليس إلّا سَطَواً مجرداً على مقالة مرجليوث ، بعد حذف الحجج السخيفة ، والأمثلة الدالة على الجهل بالعربية ، التى كانت تتخلّل كلامَ ذاك الأعجميّ = وأن ما يقوله الدكتور لا يزيد على أن يكون « حاشية » وتعليقاً على هذه المقالة . (٢)

(١) كان من أثر هذه الأحاديث بيننا ، أن بدأ الخضيرى ، من يومئذ فى ترجمة كتاب ديكارت « مقال عن المنهج » ، ونشره بعد ذلك سنة ١٩٣٠ (المطبعة السلفية) .

(٢) كان من أثرها أيضاً : أن لخص الخضيرى مقالة مرجليوث ، ونشرها فى مجلة « الزهراء » التى يصدرها صاحب المطبعة السلفية ، فى عدد ذى الحجة سنة ١٣٤٦ (إبريل ١٩٢٨) .

الثالث : أنه ، على حداثة عهده بالشعر وقلة معرفته به ، قد كاذ يتبين أن رأيي في الفروق الظاهرة بين شعر الجاهلية وشعر الإسلام ، أصبح واضحاً له بعض الوضوح = وأنه يكاد يحس بما أحس به وأنا أقرأ له الشعر وأفأوضه فيه .

الرابع : أنه أصبح مقتنعاً معي أن الحديث عن صحة الشعر الجاهلي ، قبل قراءة نصوصه قراءة متذوّقة مستوعبة ، لغو باطل = وأن دراسته كما تُدرّس نقوش الأمم البائدة واللغات الميتة ، إنما هو عبث محض .

وأتفق أن جاء حديثه هذا في يوم من أيامي العصبية . فالدكتور طه أستاذي ، وله على حق الهيبة ، هذا أدبنا . وللدكتور طه على يد أنساها ، كان مدير الجامعة يومئذ ، « أحمد لطفى السيد » ، يرى أن لا حق لحامل « بكالوريا » القسم العلمى في الالتحاق بالكليات الأدبية ، ملتزماً في ذلك بظاهر الألفاظ !! فاستطاع الدكتور طه أن يحطم هذا العائق بشهادته لى ، / وبإصراره أيضاً . فدخلت يومئذ بفضلته كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، وحفظت الجميل أدب لا ينبغي التهاون فيه . وأيضاً ، فقد كنت في السابعة عشرة من عمري ، والدكتور طه في السابعة والثلاثين ، فهو بمنزلة أخى الأكبر ، وتوقير السن أدب ارتضعناه مع لبان الطفولة . كانت هذه الآداب تفعل بى فعل هوى المتنبي بالمتنبي حيث يقول :

رَمَى ، وَاتَّقَى رَمِيى ، وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوَى كَاسِرٍ كَفَى ، وَقَوْسَى ، وَأَسْهَمَى

فلذلك ظلمتُ أتجرع الغيظ بَحْتاً ، وأنا أصغى إلى الدكتور طه في محاضراته ، ولكنى لا أستطيع أن أتكلّم . لا أستطيع أن أناظره كيفاً ، وجهاً لوجه ، وكلّ ما أقوله ، فإنما أقوله في غَيْبَتِهِ لا في مشهده . تتابعت المحاضرات ، وكلّ يوم يزداد وضوح هذا السطو العُزبان على مقالة مرجليوث ، ويزداد في نفسى وضوح الفرق بين طريقتى في الإحساس بالشعر الجاهلي ، وبين هذه الطريقة التى يسلكها الدكتور طه في تزييف هذا الشعر . وكان هذا « السطو » خاصة ممّا يهز قواعد الآداب التى نشأت عليها هزاً عنيفاً .

بدأت الهيبة مع الأيام تسقط شيئاً فشيئاً ، وكدتُ ألقى حفظَ الجميل ورأى غير مُبالٍ ، ولم يبق لتوقير السنِّ عندى معنى ، فجاء حديث الخضيرى ، من حيث لا يريدُ أو يتوقع ، لينسفَ في نفسى كُلَّ ما التزمتُ به من هذه الآداب . وعجبَ الخضيرى يومئذ ، لأنى استمعت لحديثه ، ولم ألقه لا بالبشاشة ولا بالحفاوة التى يتوقعها ، وبقيت ساكناً ، وانصرفت معه إلى حديثٍ غيره .

٢٢ م / وفي اليوم التالى جاءت اللحظة الفاصلةُ في حياتى . فبعد المحاضرة ، طلبتُ من الدكتور طه أن يأذنَ لى فى الحديث ، فأذنَ لى متهجأً ١٠ أو هكذا ظننتُ . وبدأتُ حديثى عن هذا الأسلوبِ الذى سمّاهُ « منهجاً » ، وعن تطبيقه لهذا « المنهج » فى محاضراته ، وعن هذا « الشكِّ » الذى اصطنعه ، ما هو ، وكيف هو ؟ وبدأتُ أدللُ على أن الذى يقوله عن « المنهج » وعن « الشكِّ » غامضٌ ، وأنه مخالفٌ لما يقوله ديكارت ، وأن تطبيقَ منهجه هذا قائمٌ على التسليم تسليماً لم يداخله الشكُّ ، برواياتٍ فى الكتب هى فى ذاتها محفوفةٌ بالشكِّ ! (١) وفوجئ طلبة قسم اللغة العربية ، وفوجئ الخضيرى خاصةً . ولما كُدتُ أفرغُ من كلامى ، انتهرنى الدكتور طه وأسكتنى ، وقام وقمنا لنخرج . وانصرف عني كُلُّ زملائى الذين استنكروا غَضاباً ، ما واجهتُ به الدكتور طه ، ولم يبق معى إلا محمود محمد الخضيرى ، (من قسم الفلسفة كما قلت) . وبعد قليل أرسل الدكتور طه ينادينى ، فدخلتُ عليه ، وجعل يعاتبنى ، يقسو حيناً ويرفُق أحياناً ، وأنا صامتٌ لا أستطيعُ أن أرددَ . لم أستطع أن أكشفه بأن محاضراته التى نسمّعها كُلُّها مسلوخةٌ من مقالة مرجليوث ، لأنها مكاشفةٌ جارحةٌ من صغير إلى كبير ، ولكنى كنتُ على يقين من أنه يعلم أنى أعلمُ ، من خلال ما أسمع من حديثه ، ومن صوته ، ومن كلماته ، ومن حركاته أيضاً !! وكتّانُ هذه الحقيقة فى نفسى كان يزيدنى عجزاً عن الردِّ ، وعن الاعتذار إليه أيضاً ، وهو / ما كان يرمى إليه . ولم أزل صامتاً مُطرقاً حتى وجدتُ فى

٢٢ م

٢٣ م

(١) انظر ما كتبه سنة ١٩٦٥ فى كتابى « أباطيل وأسمار » ، عن « المنهج » ، وعن الصراع بينى وبين

نفسى كأنى أبكى من ذلّ العجز ، فقمْتُ فجأة ، وخرجتُ غيرَ مودّعٍ ولا مُبالي بشيء .
وقضى الأمرُ ! وبس الثرى بينى وبين الدكتور طه إلى غير رجعة !

ومن يومئذ لم أكف عن مناقشة الدكتور في المحاضرات أحياناً بغير هيبة ، ولم يكف هو عن استدعائى بعد المحاضرات ، فيأخذنى يميناً وشمالاً في المحاوره ، وأنا ملتزمٌ فى كلّ ذلك بالإعراض عن ذكر سَطْوِه على مقالة مرجليوث ، صارفاً همى كلّهُ إلى موضوع « المنهج » و « الشك » ، وإلى ضرورة قراءة الشعر الجاهلى والأموى والعباسى قراءة متذوّقة مستوعبة ، ليستبين الفرق بين الشعر الجاهلى والإسلامى = قبل الحديث عن صحة نسبة هذا الشعر إلى الجاهلية ، أو التماس الشبه لتقرير أنه باطل النسبة ، وأنه موضوع فى الإسلام ، من خلال روايات فى الكتب هى فى ذاتها محتاجة إلى النظر والتفسير . ولكننى من يومئذ أيضاً لم أكف عن إذاعة هذه الحقيقة التى أكتُمها فى حديثى مع الدكتور طه ، وهى أنه سَطَا سَطَوًا كَرِهًا على مقالة المستشرق الأعجمى ، فكان ، بلا شك ، يبلغه ما أذيعه بين زملائى . وكثُر كلامى عن الدكتور طه نفسه ، وعن القدر الذى يعرفه من الشعر الجاهلى ، وعن أسلوبه الدالّ على ما أقول . واشتدّ الأمر ، حتّى تدخل فى ذلك ، وفى مناقشتى ، بعضُ الأساتذة ، كالأستاذ نلّينو ، والأستاذ جويدى من المستشرقين ، ^(١) وكنت أصارحهما بالسطو ، وكان يعرفان ، ولكنهما / يداوران . وطال الصراعُ غير المتكافئ بينى وبين الدكتور طه زماناً ، إلى أن جاء ٢٤ م اليوم الذى عزمْتُ فيه على أن أفارق مصر كلّها ، لا الجامعة وحدها ، غير مبالي بإتمام دراستى الجامعية ، طالباً للعزلة ، حتّى أستبين لنفسى وجه الحقّ فى « قضية الشعر الجاهلى » ، بعد أن صارت عندى قضية متشعبة كلّ التشعب . ^(٢)

...

(١) سيأتى ذكرهما بعد قليل .

(٢) انظر كتابى « مداخل إعجاز القرآن » ، وكتابى « قضية الشعر الجاهلى » ، فى كتاب ابن سلام

الجمعى ، ففيهما بيان عن هذا التشعب .

هذا مطلع قصتي مع « قضية الشعر الجاهلي » ، ومع الدكتور طه خاصة ، على وجه الإيجاز . عزمت يومئذ على مفارقة مصر ، ثم الجامعة ومعى دُلَّ العجز عن مواجهة الدكتور طه برأى فى تفاصيل هذا « السطو » جهاراً نهاراً بلا قناع ، وبالذى أجده فى نفسى من البشاعة ، بشاعة ادعاء المرء امتلاك ما يسطو عليه ، كأنه مما اهتدى إليه ، واستحقَّ نسبته إلى نفسه بعد طول معاناة فى البحث وشقاء فى الدرس ! ومع أن كُلَّ من كتب بعد ذلك فى نقد كتاب « فى الشعر الجاهلي » ، قد واجه الدكتور بهذا « السطو » مواجهة مكشوفة علانية ، إلاَّ أنَّ عجزى أنا عن مواجهته بلسانى ، غير متهيَّب ولا متأدَّب ، كان يهدم نفسى هدماً ، وينسف آدائى نسفاً ، ويترك فى ضميرى غصَّة تأبى أن تزول . كان شيئاً بشيعاً لا أطيقه ، ثم زاد الأمر عندى بشاعة فظعتُ بها ، حين نشر كتابه « فى الأدب الجاهلي » سنة / ١٩٢٧ ، وهو نفس كتاب « فى الشعر الجاهلي » : « حُذِفَ منذ فصل ، وأضيف إليه فُصُول ، وَغُيِّرَ عنوانه بعض التغيير » !! كما وصفه الدكتور فى مقدمته . كان أبشع ما فى هذا الكتاب ، الفصل الأول الذى زاده بعنوان : « الكتاب الأول = الأدب وتاريخه » ، لأنه جاء تسويغاً لهذا « السطو » ، وزيادة فى الادعاء بأنه قد امتلك ما سطا عليه امتلاكاً لا ريبه فيه !! واستعلاءً أيضاً = ودلالة صريحة على أنه لا يُبالى أقلَّ مبالاةٍ بكُلِّ ما سمعه من أنه « سطا » على مقالة مرجليوث ، بين أسوار الجامعة = ولا بجميع الكتب التى ألقت وطبعت فى نقد كتابه ، والتى كشفت هذا « السطو » بالدليل والبرهان ، مع أن الأمر لا يحتاج إلى برهان أو دليل ! وجميعها كتب يقرؤها الناس ! كيف يكون هذا ؟ وبأى جراءة يستطيع الدكتور طه أن يلقي الناس ! أى احتقار هذا للناس ! وأى استهزاء بهم ويعقوبهم هو أبشع من هذا ! لا أدرى .

ثم كان معى ما هو أفحش من هذا أيضاً . كنتُ يومئذ غيراً فى الثامنة عشرة من عمري أو أشف ، وكان من أساتذتنا مستشرقان أتى بهما الدكتور طه من إيطالية ، أولهما « الأستاذ نلينو » ، وهو شيخٌ مهيب الطَّلعة ، كثُ اللحية ، واسع العلم ، فصيح اللسان بالعربية ، ثم « الأستاذ جويدي الصغير » ، وكان شاباً وسيماً متوقداً ، لعلَّ مكانة

أبيه الشيخ المستشرق الكبير جويدى ، هى التى رَشَّحته للأستاذية فى مصر !! فقد دخلا بينى وبين الدكتور طه ، أو على الأصح : بينى وبين ما أقولُه فى غَيْبة الدكتور طه . / كَانَ أمرهما معى عجباً من العجب ! فهما يعلمان علماً يقيناً لا شكَّ فيه أن مُحَصِّل ما يقوله الدكتور طه ، إنما هو « سَطْو » عُزَيان على ما كتبه مرجليوث ، ولكنهما كانا معى شديدى المراوغة : لا يملكان مصارحتى بأنَّ هذا ليس « سَطْوًا » ، ويمتنعان أن يقولوا صراحةً أنه « سَطْو » ! وكلُّ ما كنت أظفرُّ به منهما هو مطالبتي بتعظيم الدكتور طه وتوقيره بحق الأستاذية ، ثم استدراجى إلى تيه الألفاظ الغامضة : « البحث العلمى والأدى » و « عالمية الثقافة » وما شابه هذين من ألفاظ التغيرير . فكنتُ أمتنع عن التسليم لهما بما يقولان عن « البحث العلمى والأدى » وعالمية الثقافة ، حتى يطالبا الدكتور طه بالإقرار ، وبأنَّ يُقرَّا هما أيضاً ، بأنَّ ما يقوله مسلوخٌ كُلُّه مما قاله مرجليوث ، أو هو على الأقل متابعة لمرجليوث فى رأيه الذى كتبه ونشره وقرأناه جميعاً . فلما لم يفعل ، ولم يفعل الدكتور طه أيضاً ، زاد الأمر بشاعةً فى نفسى ، وسقطت هيبة الأستاذية وهيبة الجامعة أيضاً سُقوطاً منكراً ، وأطبَّق على الارتباب والشكِّ فى هذه الأمور كُلِّها حتى ضاق صدرى ، ولم أملك إلا أن أَمْنَحَهُم جميعاً ظهري غير متلفِّت ، وغير مُبالٍ أيضاً بما أنا مُقَدِّمٌ عليه من مفارقة بلادى وأهلى ، ومن هَجْر الدراسة الجامعية أيضاً غير بالكِ ولا آسِف . وانطلقتُ ، ومعى صاحبان يورقان ليلي ويُلْهبان نهارى : بشاعة « السطو » ، وبشاعة التستُّر عليه من عارفٍ خبير ، لا يكتفى بالتستُّر ، بل يطالبُ بالتغاضى عنه ، وتوقيع الساطى وتعظيمه بحق الأستاذية لا غير !!

...

/ ومَرَّتْ الأيَّام والليالى والسنون ما بين سنة ١٩٢٨ ، وسنة ١٩٣٦ وهى السنة ٢٧ م التى كتبت فيها هذا الكتاب « المتنبى » ، وهَمَّتْ مصروفُ أَكثَره إلى « قضية الشعر الجاهلى » ، وإلى طلب اليقين فيها لنفسى ، لا معارضةً لأحد من الناس . ومشت فى هذه القضية فى رِحْلة طويلة شاقَّة ، ودخلت فى دُرُوبٍ وَغَرَّةٍ شائكةٍ ، وكُلِّما أوغلتُ

انكشفت عنى غشاوة من العمى ، وأحسستُ أنى أنا والجيل الذى أنا منه ، وهو جيل المدارس المصرية ، قد تمَّ تفريعنا تفريعاً يكاد يكون كاملاً من ماضينا كله ، من علومه وآدابه وفنونه . وثمَّ أيضاً هتلك العلائق بيننا وبينه ، وصار ما كان فى الماضى متكاملاً متماسكاً ، مِرْقاً متفرقة مبعثرة تكاد تكون خالية عندنا من المعنى ومن الدلالة . ولأنه غير ممكن أن يظلَّ الفارغ فارغاً أبداً ، فقد تمَّ ملءُ هذا الفراغ بجديد من العلوم والآداب والفنون ، لا تمتُّ إلى هذا الماضى بسببٍ ، وإننا لنستقبله استقبال الظامى المحترق قطراتٍ من الماء النмир المثلج .

فى خلال هذه الأعوام ، تبين لى أمرٌ كان فى غاية الوضوح عندى . وهو قصّة طويلة قد تعرّضت لأطراف منها فى بعض ما كتبتُ ، ^(١) ولكنى أذكرها هنا على وجه الاختصار . صار بيننا عندى أننا نعيش فى عالم منقسم انقساماً سافراً : عالم القوة والغنى ، وعالم الضعيف والفقر = أو عالم الغزاة الناهيين ، وعالم المستضعفين المنهوبين . كانَ عالم الغزاة الممثل فى الحضارة الأوربية ، يريد أن يحدث فى عالم المستضعفين تحولاً اجتماعياً وثقافياً وسياسياً ، / فهو صيّدٌ غزيرٌ يُمِدُّ حضارتهم بجميع أسباب القوة والعلو والغنى والسلطان والغلبة . والطريق إلى هذا التحول عملٌ سياسى محضٌ ، لا غاية له إلا إخضاعُ هذا العالم « المتخلف » إخضاعاً تاماً لحاجات العالم « المتحضر » التى لا تنفدُ ، ولسيطرته السياسية الكاملة أيضاً . ومع أن هذا العمل السياسى المحض المتشعب ، قد بدأ تنفيذه منذ زمن فى أجزاء متفرقة من عالمنا ، إلا أنه بدأ عندنا فى مصر ، قلب العالم الإسلامى والعربى ، مع الطلائع الأولى لعهد محمد على ، بسيطرة القناصل الأوربية عليه وعلى دولته ، وعلى بناء هذه الدولة كلّها بالمشورة والتوجيه . ثم ارتفع إلى ذروته فى عهد حفيده إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على الخديوى ، حتى جاء الاحتلال الإنجليزى فى سنة ١٨٨٢ ، ومجيئه سيطر الإنجليز سيطرة مباشرة على كلّ شئ ، وعلى التعليم

(١) بعض ذلك فى كتابى « أباطيل وأسما » .

خاصة ، إلى أن جاء « دنلوب » في (١٧ مارس ١٨٩٧) ، ليضع للأمة نظام التعليم المدرس الذي لا نزال نسير عليه ، مع الأسف ، إلى يومنا هذا . فأئى جهل هذا !

كان التمهيد لهذا العهد طويلاً متعده الجوانب ، وكان قوامه إعداد أجيال من « المبعوثين » يعودون من أوربة ليكونوا قادة هذا التحول الرفيق العميق ، ويراد منهم أن يؤسسوا قاعدة ثابتة لانطلاق التحول إلى غاية يراد لنا أن نبلغها على تمدى الأيام . وكان الغزاة يقنعون يومئذ من هؤلاء المبعوثين ، بأن يعودوا إلى بلادهم ببضعة أفكار يردودنها ترديد الببغاوات ، تتضمن الإعجاب المزهو ببعض مظاهر الحياة الأوربية ، مقروناً بنقد بعض مظاهر الحياة في بلادهم = وبأن يكشفوا أمتهم بأن ما أعجبوا / به هو سر قوة الغزاة وغلبتهم ، وأن الذى عندنا هو سر ضعفنا وانهارنا . وقد وجدت ذلك ظاهراً ممثلاً أحسن تمثيل عند رفاة الطهطاوى وأشباهه . ولكن لما جاء عهد « دنلوب » ، كان أمر المبعوثين وحده لا يكفى ، وأصبح الأمر محتاجاً إلى ما هو أكبر وأوسع انتشاراً . فكان الرأى أن تنشأ أجيال متعاقبة من « تلاميذ المدارس » في البلاد ، يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بهذا التحول ، عن طريق تفريغهم تفريغاً كاملاً من ماضيهم كله ، مع هتك أكثر العلائق التى تربطهم بهذا الماضى اجتماعياً وثقافياً ولغوياً ، ومع ملء هذا الفراغ بالعلوم والآداب والفنون = ولكنها فنونهم هم ، وآدابهم هم ، وتاريخهم هم ، ولغاتهم هم ، أعنى الغزاة .

وقد تولى نظام « دنلوب » تأسيس ذلك في المدارس المصرية ، مع ميثاق من مدارس الجاليات التى يتكاثر على الأيام عدد من تضم من أبناء المصريين وبناتهم . وقد كان ما أراد الغزاة ، ولم يزل الأمر إلى يومنا هذا مستمراً على ما أرادوا ! بل زاد بشاعة وعمقاً في سائر أنحاء العالم العربى والإسلامى بظهور دعوات مختلفة ، كالدعوة إلى الفرعونية والفينيقية وأشباه ذلك ، في الصحافة والكتب المؤلفة . لأن تفريغ الأجيال من ماضيها المتدقق في دمائها مرتبطاً بالعربية والإسلام ، يحتاج إلى ملء بماضى آخر يغطى عليه ، فجاءوا بماضى بائد مُعْرِق في القَدَم والغموض ، ليزاحم بقايا ذلك الماضى المتدقق الحى الذى يوشك أن يتمزق ويختنق بالتفريغ المتواصل .

٢٣٠ في ظلّ هذا التفريغ المتواصل ، وهذا التمزيق للعلائق ، وهذه الكثرة / التي تخرج مفرّغة أو شبيهة مفرّغة إلى « البعثات » ، وهذا التحوّل الاجتماعي والثقافي والسياسي المضطرب ، وهذا التغليب المتعمّد للثقافة الغازية واللغات الغازية ، بلا مقابل في النفوس من ثقافة ماضية حيّة حياة ما ، وباقية على تماسكها وتكاملها = في ظلّ هذا كلّ ، انتعشت الحركة الأدبية والثقافية انتعاشاً غير واضح المعالم ، ولكنه يقوم على أصل واحد في جوهره ، هو ملء الفراغ بما يناسب آداباً وفنوناً غازية كانت قد ملأت بعض هذا الفراغ ، فهي تحدث في النفوس تطلّعاً إلى زادٍ جديد منها .

فالمسرح مثلاً ، وكان له شأنٌ أيّ شأنٍ ، يعتمد اعتماداً واضحاً على المسرح الأوربيّ في تكوينه كلّ . وأيسر سبيل كان إلى إمداده بمادّته ، هو « السطو » على مؤلفات المسرح الأوربيّ ، مسلوخة يعاد تكوينها بألفاظ عربيّة ، أو عامية على الأصحّ ، ودون إشارة إلى هذا « السطو » ، وكانوا يسمّون هذا حياءً ومكرّاً : « التخصير » !! بيد أنه عبث مجرّد ، وسطو لا رقيب عليه . أمّا الكتاب الجادّون ، فكان أكثرهم يعتمد على تلخيص نتاج الفكر الأوربيّ في الأدب والفلسفة والاجتماع والسياسة تلخيصاً مّا ، وإن كان أكثره خطأً وسطوياً ينسبُه الكاتب إلى نفسه بلا رقيب ولا محاسب .

٢٣١ والقصة أيضاً ، كانت ضرباً من « السطو » والتقليد ، تُحوّر فيها الأسماء والأماكن والوقائع ، ثم تُرَقّع بأفكارٍ مسلوخة مختطفة ، ثم توزّع توزيعاً ماهراً على فصولها المختلفة ، حتى تضمن لأصحابها إخفاء معالم السطو / والانتهاك والتقليد . [وهذا أمرٌ لم يزل مستمرّاً بقوة إلى يومنا هذا] .

وبالثروة واللجاجة في الصحف والمجلات ، صارت هذه الظاهرة مألوفاً لا غبار عليها . وزادها رسوخاً إثارة قضية كثيرة الضجيج ، محفوفة بألفاظ مبهمّة مغرية تقبلها النفوس بلا ممانعة ، وهي قضية « القديم » و « الجديد » و « التجديد » و « ثقافة العصر » ! ^(١) والنظر في حقيقة هذه القضية يفضي إلى شيئين ظاهرين : ميل ظاهر إلى

(١) في السنوات الأخيرة ، وُجدت ألفاظ جديدة محفوفة بالغموض ، مؤسسة على الثروة ، من مثل قولهم : « المعاصرة » و « الحدّانة » و « التحديث » .

رفض « القديم » والاستهانة به ، دون أن يكون الرفض مُلماً إماماً ما بحقيقة هذا « القديم » = وميل سافر إلى الغلو في شأن « الجديد » ، دون أن يكون صاحبه متميزاً في نفسه تميزاً صحيحاً بأنه « جدّد » تجديداً نابعاً من نفسه ، وصادراً عن ثقافة متكاملة متماسكة ، بل كل ما يميّزه أن الله قد يسّر له الاطلاع على آداب وفنون وأفكار تعب أصحابها في الوصول إليها من خلال ثقافتهم المتكاملة المتكاملة !! وكفى الله المؤمنين القتال !

هذه تخطوط من صورة ، لجانب من الحركة الأدبية والثقافية في ذلك العهد ، وأكثرها باق إلى يومنا هذا ، ومقبول أيضاً بلا استبشاح له ، مع أنه أبشع شيء ، وأورهاة أساساً ، وأسوأه مَعْبَة .

ولكن هذه الصورة لا تتم وحدها . في خلال التحول الاجتماعي الثقافي المتصاعد المتكاثف ، كان هناك جانب راكّد محتقّق ، لم يفرغ هذا التفريغ ، ولكن ضُرب عليه حصارٌ مفزعٌ وبيلٌ مُهينٌ . هذا الجانب كان هو الوارث للماضي المتكامل التماسك ، ولكنه كان يزداد على مرّ الأيام تحلُّلاً وتفكُّكاً وحيرةً وانطواءً . يمثل هذا الجانب جمهور المتعلمين / المنتسبين إلى الأزهر ودار العلوم وأشباههما . كان أكبر همّ م ٣٢ هذا الجانب ، في هذا اليمّ المتلاطم من حوله ، هو محاولة المحافظة على الماضي محافظةً مّا ، ولكن قبضته كانت تسترخي شيئاً فشيئاً تحت الحصار ، وتحت القذائف المدمّرة التي يُرمى بها ، والتي تزلزل نفوس أبنائه من قواعدها . وكان مطلوباً طلباً حثيثاً أن تُفتح أبواب هذا الحصن العتيق المنيع ، لتدخل عليه نفس العوامل التي أدّت إلى تفريغ « تلاميذ المدارس » من ماضيها ، وإلى تهتك علائق ثقافته وعلومه ، وإلى ربطه بالحركة الأدبية الغازية المتصاعدة تحت ألوية « الجديد » و « التجديد » و « ثقافة العصر » ، وسائر الألفاظ المبهمة المغرية !!

وقد كان ، واحتاج شقّ الطريق إلى هذه الغاية إلى وسائل كثيرة متنوّعة ، والذي يُهمّنى منها هنا هو ما يتعلّق بأمر « السطو » لا غير . كان الذي يحول بينهم وبين بلوغ

هذا الغرض ، هو أن جمهور المتعلمين المنتسبين إلى الأزهر ودار العلوم ، لم يكن لهم لسان غير العربية ، قلما كان يعرف أحدهم غير هذا اللسان ، فعمدوا ، في مصر خاصة ، إلى إجافة باب يتيح لهم أن يطلّعو = أو يُصدّموا على الأقل ، بما عند الحضارة الغازية من نظر ورأي في آداب العربية وعلومها وفنونها وتاريخها ودينها أيضاً !! وكان هذا موفوراً في مؤلفات « المستشرقين » عامة ، لأنه هو كل عملهم في « الاستشراق » المرتبط كل الارتباط بالاستعمار والتبشير ، أى بتدمير الأمم المستضعفة وتحطيم ثقافتها وآثارها وماضيها كله . (١) فكان لا بُد ، إذن ، من / نشر هذه الأفكار على نطاق واسع ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

انبرى لذلك رجال كثيرون في مصر والشام وغيرها ، ولكن جاء إلى مصر رجل وافر ، مع رجال آخرين كثير ، لا يربطهم في أنفسهم بهذا الماضي إلا اللسان العربي وحده ، أما ضمائرهم فمرتبطة بشيء آخر !! أنشأ هذا الرجل مجلة ، ثم بدأ يكتب مقالات ، وينشر كتباً في آداب العرب وعلومها وفنونها وتاريخها ودينها ، على قلة معرفته بها معرفة تتيح له الكتابة ، ولكنه جاء معبراً عن اتجاه « الاستشراق » لا غير .

ذلك هو « جرجى زيدان » ، الذى أنشأ مجلة « الهلال » وألف كتباً وقصصاً كثيرة منها : « تاريخ التمدن الإسلامى » ، و « تاريخ العرب قبل الإسلام » و « تاريخ آداب اللغة العربية » ، فكانت كلها « سطواً » مجرداً على آراء المستشرقين ومناهجهم في النظر ، مبثوثاً في ثنايا كل ما كتب . وكذلك تيسر لكل من لا يعرف غير العربية لساناً ، أن يجتد ، على مدّ يده ، شيئاً « جديداً » يقال عن ماضيه ، وبمناهج لم يألّفها أيضاً . ولكن حال بين هذا الضرب من « السطو » ، وبين أن يكون شيئاً عاماً مؤثراً تأثيراً نافذاً في جمهور « المحافظين » الذين لا يعرفون غير العربية = أن الرجل كان وافداً مع استقرار الاحتلال الإنجليزي في مصر (سنة ١٨٩٢) ، وكانت الشبهة فيه تُوجب الحذر منه ،

(١) استوفيت بيان بعض هذا في كتابي (أباطيل وأسمار) .

فأضعف الحذر منه ، أثر ما يكتب في أكثر قرائه يومئذٍ من هذا الجمهور ، وإن كان له في جمهور « تلاميذ المدارس » المفرغين من ماضيهم أثر بليغ . ومع ذلك ، فإن الهدف من تأليفه لم يذهب / هذراً ، فإنه على الأقل ، فتح الباب ويسر السبيل للساطين من بعده ، ٢٤ م وجعل « السطو » المباشر أمراً مألوفاً لا غبار عليه ، بل زاد فقرب إلى الأذهان سبيل الاقتناع بأنه ضرب من « التجديد » ، ومن متابعة « ثقافة العصر » ومناهج تفكيره في الدراسات الأدبية والتاريخية الخاصة بلغة العرب وتاريخهم وعلومهم وفنونهم ودينهم أيضاً !!

ومعنى ذلك باختصار ، هو أنه صار الآن ممكناً أن يصبح من الممكن ومن السهل اليسير ، أن يكون معنى « الجديد » و « التجديد » في دراسة آداب أمة ما وفي دراسة تاريخها : أن يعمد « المجدد » إلى اقتباس آراء وأفكار قد تولّى صياغتها من هو لصيق دُخِل عليها وعلى لسانها ، لم ينشأ فيه ، وإنما تعلّمه على كبر ، فهو لا يعلم منه إلا أقل القليل ، ومن هو نائب في لسان آخر بآدابه وعلومه وفنونه وعقائده ، ومن هو محروم بطبيعته من القدرة على تذوق آدابها تذوقاً شاملاً = والتذوق وحدة عُقدة العُقد = ومن هو مسلوب كل إحساس بتاريخها كله ، فضلاً عما يكنه في سريره من العداوة المتوارثة والبغضاء المتأججة ، ومن المصلحة المتجددة في تشويه صورتها تشويهاً متعمداً لأغراض « حضارية » !! = يا للعجب !

أهذا ؟ أم أن « الجديد » و « التجديد » ، لا يمكن أن يكون مفهوماً ذا معنى ، إلا أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل ثقافة متكاملة متماسكة حيّة في أنفس أهلها = ثم لا يأتي التجديد إلا من متمكن النشأة في ثقافته ، متمكن في لسانه ولغته ، متذوق لما هو ناشئ فيه من آداب وفنون وتاريخ ، مغروس / تاريخه في تاريخها وفي عقائدها ، في ٣٥ م زمان قوتها وضعفها ، ومع المتحدث إليه من خيرها وشرها ، مُحسناً بذلك كله إحساساً خالياً من الشوائب = ثم لا يكون « التجديد » تجديداً إلا من حوارٍ ذكي بين التفاصيل الكثيرة المتشابكة المعقدة التي تنطوي عليها هذه الثقافة ، وبين رؤية جديدة نافذة ، حين يلوح للمجدد طريق آخر يمكن سلوكه ، من خلاله يستطيع أن يقطع تشابكاً من

ناحية ، ليصله من ناحية أخرى وصلاً يجعله أكثر استقامةً ووضوحاً ، وأن يحلَّ عُقدةً من طَرَفٍ ، ليربطها من طرفٍ آخر ربطاً يزيدُها قوةً ومتانةً وسلاسةً .

فالتجديد إذن حركةٌ دائبةٌ في داخل ثقافة متكاملة ، يتولاها الذين يتحركون في داخلها كاملةً حركةً دائبةً ، عمادها الخبرة والتذوق والإحساسُ المرهفُ بالخطر ، عند الإقدام على القطع والوصل ، وعند التهجُّم على الحلِّ والربط . فإذا فُقد هذا كُلُّه ، كان القطع والحلُّ سلاحاً قاتلاً مدمراً للأمة وثقافتها ، وينتهي الأمرُ بأجياها إلى الحيرة والتفكُّك والضَياع ، إذ يورث كُلُّ جيلٍ منها جيلاً بعده ، ما يكون به أشدَّ منه حيرةً وتفكُّكاً وضيعاً .

هذه هي العاقبة التي تفرضُ نفسها فرضاً ، وما أبشعُها من عاقبة .

فما ظنُّك إذن بالعاقبة ، إذا كان القطع والحلُّ مُراداً لذاته ، وكان مُراداً أيضاً أن لا يكون معه أو بعده وصلٌ وربطٌ في داخل التكامل والتماسك الذي يجعل هذه الثقافة معنىً وحياةً وحركة ؟ = وما ظنُّك بالعاقبة إذا كان هذا ، ولم تكن الأفكارُ « المجددة » إلاّ ترديداً لصياغة غربية ، / صاغها غريبٌ عن الثقافة ، متنسبٌ إلى ثقافة غازية مُبائية ، وهو مع ذلك ناقصُ الأداة ، لا خبرةً له بتشابكها وعُقدِها ، ثم هو في نفسه لا يضمُر لها إلاّ التدمير والاستهانة ، لغرضٍ راسخٍ في قرارة النفس ؟ = ثم ما ظنُّك أيضاً بالعاقبة ، إذا صار « التجديد » عند أصحاب الثقافة أنفسهم ، لا يزيدُ على أن يكون « سَطَواً » مجرداً على هذه الصبغ الغريبة ، ثم إقحامها إقحاماً على ثقافتهم ، لا حاجةً أدّى إليها النظر والفكر والتدبُّر ، بل بالهوى وحبِّ الظهور من مُفرَّغ ، أو من شبيهٍ بالمفرَّغ ، من ثقافته المتكاملة المتماسكة ؟ ما أبشعُ العواقبَ عندئذٍ ، وأبشعُها التدهورُ المستمرُّ !

وكذلك كان مقدراً لجيلنا نحن ، جيل المدارس المفرَّغ ، أن يتلقَّى صدمة التدهور الأولى ، لأنه نشأ في دَوّامة دائرية من التحوُّل الاجتماعي والثقافي والسياسي . جئنا في أعقاب حرب الاستعمار الكبرى ، وهي التي يسميها أصحابها « الحرب العالمية الأولى » . خرج منها « الحلفاء » منصورين ، وبدأوا من قُوَّهم في تقسيم عالمنا وتبديده ، وأخذ كلُّ

مستعمر منهم يشدد قبضته على ما وقع في يده من الغنائم . وبالدهاء والمكر والسطوة ، جعل يدفع هذا التحول دفعا شديداً ، لكي يتم له أن يُخضع عالمنا « المتخلف » لحاجات عالمه « المتحضّر » !! وجئنا أيضاً ، في مصر ، مع الرجة العظمى التي أحدثتها ثورة سنة ١٩١٩ ، والتي انتهت بعد قليل بفجعية مزقت الأمة تمزيقاً مفرعاً ، بفضل الدستور والانتخابات وتعدد الأحزاب ، وتكالب كل حزب على الظفر بالحكم تحت علم السيادة البريطانية المتحضرة !! وتبددت / نفوسنا وتفتتت ، تحت ضغط هذا التحول السريع المتماذى المريب المروع .

وفي ظل هذا كله ، كما قلت ، انتعشت الحركة الأدبية والثقافية انتعاشاً غير واضح المعالم ، ^(١) وأقول « غير واضح المعالم » ، لأن الأساتذة الكبار الذين انتعشت على أيديهم هذه الحركة ، كانت علاقتهم بثقافة أمتهم غير ممزقة كل التمزيق = أما نحن ، جيل المدارس المفرغ ، فقد تمزقت علاقتنا بها كل التمزيق ، فصار ما يكتبه الأساتذة ، فيما له علاقة بهذه الثقافة ، باطلاً أو كالباطل . فهو لا يقع منا ومن أنفسنا بالموقع الذي ينبغي له من الفهم ، ومن الإثارة ، ومن الترغيب في متابعته ، ومن إعادة النظر في ارتباطنا بتلك الثقافة = بل كان عند كثير من أهل جيلنا غير مفهوم البتة ، فهو يمر عليه مروراً سريعاً لا أثر له . أما الذي أخذهُ جيلنا عنهم ، فهو الاتجاه الغامض إلى المعنى المبهم الذي تتضمنه كلمة « التجديد » = وإلى هذا الرفض الخفي للثقافة التي كان ينبغي أن ننتهي إليها = وإلى الانحياز الكامل إلى قضايا الفكر والفلسفة والأدب والتاريخ التي أولع الأساتذة بتلخيصها لنا ، لكي نلحق بثقافة العصر الذي نعيش فيه ، وبمناهجه في التفكير ، كما صوّروا لنا ذلك في خلال ما يكتبونه !! وغابَ عن الأساتذة الكبار أن الزمن الدوار الذي يُشيب الصغير ويُفنى الكبير ، هو الذي سيتولى الفصل بينهم وبين أبنائهم الصغار الذين كانوا يتعلمون اليوم على أيديهم .

...

(١) انظر ما سلف ص : ٢١ ، ٢٢ .

٣٨

/ والقصة تطول ، ومع ذلك فليس هذا مكان قصتها على وجهها ، إذا أنا أردت أن أقيّد ما كان كما شهدته فيما بين سنة ١٩٢٨ ، وسنة ١٩٣٦ ، بل إلى ما بعد ذلك إلى يومنا هذا أيضاً . ويكفى أن أقول : إن جيلنا ، جيل المدارس المفرّغ ، كان في خلال ذلك قد كبر ، وانفلق عن فريقين : فريق قانع بما تجود به عليه أقلام الأساتذة الكبار من « تلخيص » و « تجديد » ، فهو لا يزال إليهم متطلّعا ، وبهم متعلّقا ، ثم لا يزيد = وفريق يسرّ الله له السبيل إلى معرفة المنبع ، فرأى نفسه قادرا على أن يغترف من حيث اغترف أساتذته . لقد اطلع على أصول ما كانوا يلخّصونه ، وما كانوا « يجدّدون » به مكتوبا بلغته أو بلغاته على الأصح . وأحسّ أيضاً أن « الأصل » الذي يقرؤه بلغته ، مضى حتّى ، مكثف ، عميق الدلالة = وأن تلخيص الأساتذة وتجديدهم كاب لونه خامدة حياته ، متخلخل ، قريب المتناول . ومع هذا الذي أحسّ به ، فإنه من حيث لا يدري يشعر بتفوق هؤلاء الأساتذة الملخّصين المجدّدين عليه ، ولكنه لا يستطيع أن يجد تفسيراً لهذا التفوق ، مع أن تفسيره يسير هين . وذلك أن علائق الأساتذة بثقافة أمّتهم كانت علائق لم تمرّق كلّ التمرّق ، وبفضل هذه العلائق استطاعوا أن يُعطوا تلخيصهم نفحة من سرّ أنفسهم يمتازون بها ، وأن يكونوا أقدر منهم على « التجديد » ، لأن ما عندهم كان يمكنهم من الاختيار ، ثم من نفّي ما هو غث أو ساقط ، ومن إخفاء « السطو » إخفاء فيه ذرّو من المعرفة . أمّا هم ، فقد فرغوا تفريغاً يكاد يكون تاماً من أصول ثقافتهم التي ينتمون إليها (بالوراثة) ، ولذلك فهم يحسّون في أنفسهم ما يشبه العجز ، إذا ما قارنوا بين أنفسهم وبين هؤلاء الأساتذة . وهذا هو الموقف العصيب الذي كان فيه جيلنا يومئذ ، ثم استمرّت عليه الأجيال بعدنا ، وهي تشعرّ شعوراً واضحاً بتفوق هذا الجيل من الأساتذة الكبار « الملخّصين » و « المجدّدين » ، مع أن الأمر ، كما قلت ، قائم في الحقيقة على « السطو » البين أو الخفيّ ، على أعمال ناس آخرين يكتبون في لغاتهم بالسنتهم ، ويعبرون عن أنفسهم وعن حضارتهم وعن ثقافتهم = لا عن أنفسنا أو عن حضارتنا أو عن ثقافتنا نحن ! ومع ذلك فإن جيلنا والأجيال التي تتابعت بعده ، لم تُرد أن تكشف هذه

٣٩

الحقيقة ، لأنهم إذا فعلوا ذلك كشفوا أمر أنفسهم ، لأنهم لا يستطيعون شيئاً آخر سوى منهج « التلخيص » و « التجديد » ، على السُّنة التي سَنَّها لهم هؤلاء الأساتذة الكبار . ولو فعلوا ، لما بقى لهم شيء يقولونه ، حين يَرثون موقع الصدارة للتعليم والتثقيف بعد هؤلاء الأساتذة الكبار .

ولذلك ، فقد قنعوا بالوقوف تحت مظلة « التجديد » و « عالمية الثقافة » و « الثقافية العالمية » ، و « الحضارة الإنسانية » ، وسائر هذه المبهمات التي أشرت إليها آنفاً ، [ص : ٢٢ ، والتعليق هناك] وتكاثروا هذه الحقيقة بينهم ، ثم كان الأمر بعد ذلك كما قيل في المثل : « خلا لك الجو فبيضي وأصفرى » !!

...

ومع ذلك ، فأنا أحب أن أقرر هنا حقيقة أخرى تعين على توضيح هذه الصورة التي صورتها ، وكنت أنا أحد شهودها فصورتها فيما سلف . فالدكتور طه حسين ، وهو أحد هؤلاء الأساتذة الكبار ، سوف يشهد في سنة ١٩٣٥ شهادته هو ، من موقعه هو ، أى من موقع الأستاذية ، ومن وجهة نظره هو ، ومن دوافعه هو إلى الإدلاء بهذه الشهادة .

/ ومعلوم أن الدكتور طه في سنة ١٩٢٦ ، حين ألقى محاضراته ، « في الشعر الجاهلي » ، زعم أن له منهجاً يدرس به تراث العرب كله ، وسمى هذا المذهب « مذهب الشك » ، فكان فيما قاله عن مذهبه ، إن هذا المذهب سوف : « يقلب العلم القديم رأساً على عقب . وأخشى إن لم يمنح أكثره ، أن يمحو منه شيئاً كثيراً » [في الشعر الجاهلي ص : ٣] . ثم انطلق في كتابه هذا مستخفاً بكل شيء ، بلا حذر ، حتى قال : « والنتائج الملائمة لهذا المذهب الذي يذهبُه المجددون عظيمة جليلة الخطر ... وحسبك أنهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقيناً ، وقد يجحدون ما أجمع الناس على أنه حق لا شك فيه . وليس حظ هذا المذهب منتبهاً إلى هذا الحد ، بل هو يجاوزهُ إلى حدود أخرى أبعد منه مدئ وأعظم أثراً . فهم قد ينتهون إلى تغيير التاريخ ، أو ما اتفق الناس على أنه تاريخ ، وهم قد ينتهون إلى الشك في أشياء لم يكن يباح الشك فيها » ، [في الشعر الجاهلي : ٦] .

والاستخفاف الذى بنى عليه الدكتور طه كتابه معروف ، أمّا الذى كان يقوله فى أحاديثه بين طلبته ، فكان استخفافه عندئذ يتجاوز حدّه حتى يبلغ بنا إلى الاستهزاء المحض بأقوال السلف . وأمّا الذى كان يدور بين طلبته الصغار « المفرّغين » من ثقافتهم ، كما قلت ، فكان شيئاً لا يكاد يُوصف ، لأنه كان استخفاف جاهل واستهزاء خاوٍ ، يردّد ما يقوله الدكتور ، لا يعصمه ما كان يعصم الدكتور طه من بعض العلم المتصل بهذه الثقافة . وعلى مرّ الأيام ، كانت العاقبة وخيمة جداً . كَبُرَ الصُّغَارُ الذين تأثّروا بما قاله م٤١ / فى سنة ١٩٢٦ ، فقد قَطَمَتِهم السنُّ ، وقَطَمَتِهم معرفة جديدة حازوها ، وتنكّروا ، أو كادوا ، للثدى الذى كان يُرضعهم . وخرجت « الطلائع » تدفعها الحميّة وطلبُ الصّدارة فى ميدان « التثقيف » و « التجديد » ، وبدا كأنّهم جاؤوا يزاحمون الأساتذة الكبار فى مواقع الأستاذية . وساروا على نفس النهج الذى مهّدوه لهم من « التلخيص » لفكر « الحضارة الحديثة » = أى الحضارة الأوربية = والذى هو فى حقيقته سطوٌ مجردٌ ، ولكنّهم لم يسيروا سيرة الأساتذة فى معالجة « القديم » حتّى يُخيّل للناس أنه إحياءٌ للقديم وتجديدٌ له ، بل كان الغالبُ على أكثرهم هو « رفض القديم » والإعراض عنه والانتقاص له والاستخفاف به . وعندئذ أحسّ الدكتور طه نفسه بالخطر ، وهو هو الذى أضاء لهم الطريق بالضجّة التى أحدثها كتابه « فى الشعر الجاهلى » !!

كان إحساس الدكتور بهذا الخطر الذى تولى هو كِبَرُ إحداثه ، ظاهراً جداً ، ففى يناير سنة ١٩٣٥ = بعد تسع سنوات من صدور كتابه : « فى الشعر الجاهلى » ، سنة ١٩٢٦ = بدأ ينشر فى جريدة الجهاد مقالات انتهى منها فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٥ ، وكان مُحَصِّلُها رجوعاً صريحاً عن ادعائه الأوّل فى سنة ١٩٢٦ ، الذى أعلنه فى أوّل كتابه ، وهو قوله : « إن الكثرة المطلقة مما تُسمّيه شعراً جاهلياً ، ليست من الجاهلية فى شيء ، وإنما هى مُنتَحَلَةٌ مُختَلقة بعد ظهور الإسلام ، فهى إسلامية تمثّل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم ، أكثر مما تمثّل حياة الجاهليين ، وأكاد لا أشكّ فى أن ما بقى من الشعر

/ الجاهليّ الصحيح قليل جدًّا ، لا يمثّل شيئاً ولا يدلّ على شيء » ، [في الشعر الجاهلي ٤٢ م ص : ٧] . (١)

بدأ الدكتور هذه المقالات بمقالة عنوانها : « أثناء قراءة الشعر القديم » ، (٢) وأدار الحديث بينه وبين صاحب له قال له وهو يحاوره : « إنكم لتشقّون علينا حين تكلّفوننا قراءة شعركم القديم هذا ، وتلحّون علينا فيه ، وتعييونا بالإعراض عنه ، والتقصير في درسه وحفظه وتدوّقه ، لأنكم تنكرون الزمن إنكاراً وتلغونه إلغاءً ، وتحسبون أننا نعيش الآن في القرن الأوّل قبل الهجرة أو بعدها » إلى آخر ما صوّر به الدكتور حقيقة إحساسه بآراء من يُحيطون به من جيلنا الذي بلغ الفِطَام واستقلّ .

ثم قال بعد ذلك (ص : ٩ من حديث الأربعاء ج : ١) : « وقد تحدّث إليّ المتحدّثون بأن أمثال صاحبي هذا قد أخذوا يكثرّون ، ويظهر أنهم سيكثرّون كلما تقدّمت الأيام » ، وصدق ظن الدكتور ، فقد كان ذلك ، وكان ما هو أبشع منه !
وسأحاول هنا أن ألخص ما قاله الدكتور طه بألفاظه هو ، لا بألفاظي ، لأنها شهادة أستاذ كبير ، يقول :

/ « والذين يظنّون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا
» خيراً خالصاً يخطئون ، فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا
» شراً غير قليل ... فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود
» وجهلي ، كما كان التعصّب للقديم مصدر جمود وجهل أيضاً .

(١) قد بينت في بعض مقالاتي أن الدكتور طه ، قد رجّع عن أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي ، بهذا الذي كتبه ، وبيّض ما صارحتني به بعد ذلك ، وصارح به آخرين ، من رجوعه عن هذه الأقوال . ولكنه لم يكتب شيئاً صريحاً يبرّأ به مما قال أو كتب . وهكذا كانت عادة « الأساتذة الكبار » ! يخطئون في العلن ، ويتبرأون من خطئهم في السر !!

(٢) انظر « حديث الأربعاء » الجزء الأول (من ص ٩ - ١٧) .

« هذا الشاب ، أو هذا الشيخ ، الذى أقبل من أوربة
 « يحمل الدرجات الجامعية ، ويحسنُ الرطانة بإحدى اللغات
 « الأجنبية ... يجلسُ إليك وإلى غيرك منتفخاً متنفّساً ،
 « مؤمناً بنفسه وبدرجاته ويعلمه الحديث ، أو أدبه الحديث ،
 « ثم يتحدثُ إليك كأنه ينطق بوحى أبولون . فيعلنُ إليك
 « فى حَزْمٍ وحَزْمٍ أن أمر « القديم » قد انقضى ، وأن الناس
 « قد أَظْلَهُم عصر « التجديد » وأنَّ الأدب القديم يجبُ
 « أن يُتْرَكَ للشيوخ الذين يتشدَّقون بالألفاظ ، ويملأون
 « أفواههم بالقاف والطاء وما أشبهها من الحروف الغلاظ ،
 « وأن الاستمسك بالقديم جمود ، والاندفاع فى الحياة إلى
 « أمام هو التطوُّر ، وهو الحياة وهو الرقى . هذا الشاب
 « وأمثاله ضحيةٌ من ضحايا الحضارة الحديثة ، لأنه لم يفهم
 « هذه الحضارة على وجهها ، ولو قد فهمها لعلم أنها لا تنكر
 « القديم ولا تنفِرُ منه ولا تنصرف عنه ، وإنما تحبُّه وترغُبُ
 « فيه وتُحِبُّ عليه ، لأنها تقوم على أساسٍ منه متينٌ
 « هذا الشابُّ ضحيةٌ من ضحايا الحضارة الحديثة ،
 « / أو من ضحايا جهل الحضارة الحديثة ، وشَرُّه ليس مقصوداً
 « عليه ، وإنما يتجاوزُه إلى غيره من الناس . فهو يتحدثُ ،
 « وهو يعلمُ ، وهو يكتبُ ، وهو فى هذا كُلِّه ينفثُ السُّمَّ ،
 « ويفسدُ العقول ، ويمسُخُ فى نفوس الناس المعنى الصحيح
 « لكلمة « التجديد » . فليس التجديد فى إماتة القديم ،
 « وإنما التجديد فى إحياء القديم ، وأخذ ما يصلحُ منه للبقاء .
 « وأكادُ أَتخذُ الميلَ إلى إماتة القديم أو إحيائه فى

« الأدب ، مقياساً للذين انتفعوا بالحضارة الحديثة أو لم
 « ينتفعوا بها ، فالذين تُلهيهم مظاهر الحضارة عن أنفسهم
 « حين تلهيهم عن أدبهم القديم ، لم يفهموا الحضارة الحديثة ،
 « ولم ينتفعوا بها ، ولم يفهموها على وجهها ، وإنما اتخذوا
 « منها صُوراً وأشكالاً ، وقلّدوا أصحابها تقليد القردة ،
 « لا أكثر ولا أقل !!

« والذين تُلفّتهم الحضارة الحديثة إلى أنفسهم ، وتدفعهم
 « إلى إحياء قديمهم ، وتملاً نفوسهم إيماناً بأن لا حياة لمصر
 « إلا إذا عُنيَتْ بتاريخها القديم وبتاريخها الإسلامى ،
 « وبالأدب العربى قديمه وحديثه ، عِنَايَتَهَا بما يمَسُّ حياتها
 « اليومية من ألوان الحضارة الحديثة = هم الذين انتفعوا ، وهم
 « الذين فهموا ، وهم الذين ذاقوا ، وهم القادرون على أن
 « ينفعوا فى إقامة الحياة الجديدة على أساس متين » .

/ وهذه الشهادة ، من أحد الأساتذة الكبار ، الذين سُنُّوا لمن بعدهم السُنن فى ٤٥ م
 الحياة الأدبية وفى مناهج تفكيرها ، شهادة مهمّة جدّاً لتاريخ الحياة الثقافية التى امتدّت
 بعدهم إلى يومنا هذا ، بل هى تكشف عن جُذور التدمير المفزع الذى يشمل اليوم
 المُجتمَع العربى كُلّه حيث تُنطق العريّة ، (١) لا بل حيث يَدِينُ غير العرب بالإسلام ،
 ويُوجب عليهم إسلامهم أن يضْعُوا العريّة فى المقام الأوّل ، لأن إسلامهم لا يكون إسلاماً

(١) لم ينتصب أحد لوصف هذا التدمير المفزع الذى يشترك فى جريمته مثقفون كثيرون ، فى الأدب ، وفى
 العلم ، وفى التاريخ ، وفى الفلسفة ، وفى الاجتماع ، وفى السياسة ، وفى الفن كله من مسرح وسينما وموسيقى
 وغيرها ، وكل منهم ، كما يقول الدكتور طه : « ينفث السم ويفسد العقول ويمسح فى نفوس الناس المعنى الصحيح
 لكلمة التجديد » . وقد زاد الأمر ، فلم يبق مقتصرأ على التعليم والكتابة والتأليف والصحافة ، بل دخل كل بيت
 دخولاً مفزعاً عن طريق الإذاعة والتلفزيون ، بلا رقيب ولا حسيب !

إلا بالقرآن ، وهو الذى نزل عليهم بلسان عربى مبين ، وإلا بسنة الرسول الأُمى العربى ، صلى الله عليه وسلم ، وهى أيضاً بلسان عربى مبين .

وليس من همى هنا أن أفسر هذه الشهادة ، ولا أن أوضح مدى صِدْقها حيث صدق توقُّع الدكتور فى تكاثر عدد مَنْ وَصَفَهُمْ من « المثقفين » فى شهادته ، وأخشى أن أقول إن هذه الصفة ، على نقصها ، تشمل عامة المثقفين فى زماننا هذا إلى سنة ١٩٧٧ = ولكن الذى يجب على أن أقوله : إن شهادة الدكتور على اختصارها ، إنما هى وجه آخر لشهادتى التى كتبتها هنا ، قالها هو من موقع « الأستاذية » ، وقلتها أنا من موقعى بين أفراد جيلى الذى أنتمى إليه ، وهو جيل المدارس المفرغ من كل أصول ثقافة أمته ، وهو الجيل / الذى تلقى صدمة التدهور الأولى ، حيث نشأ فى دوامة من التحول الاجتماعى والثقافى والسياسى ، كما أشرت إليه آنفاً [ص : ٢٦ ، ٢٧] .

...

المتنبى

وأنا حين قرأت هذه الشهادة يومئذ (٣٠ يناير ١٩٣٥) ، توهمت بحسن الظن أن الدكتور طه سوف يبدأ عهداً جديداً فى تفكيره وفيما سيكتبه للناس ، وأنه سيفارق السنة التى سنّها هو والأساتذة الكبار ، وإن كان قد رابنى ما ختم به شهادته ، لأن هذه الخاتمة توشك أن تكون دفاعاً عن نفسه وتمجيذاً للسيرة التى سارها هو فى « التجديد » = التجديد كما يراه هو ، لا التجديد كما يراه الجيل الذين وصفهم بأنهم « ضحايا الحضارة الحديثة ، أو ضحايا جهل الحضارة الحديثة » . وليس هذا بمستبعد ، لأن الدكتور طه يومئذ (سنة ١٩٣٥) ، كان فى قمة مجده الذى أحرزه بالضجة التى ثارت حول كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وهو يروح ويغدو على ذراها يملؤه الزهو ، وتستخفه الخيلاء ، ويميد به العُجب . ثم جاءت بعد ذلك مقالاته فى جريدة الجهاد متتابعة من (٦ فبراير ١٩٣٥) إلى (٢٢ مايو سنة ١٩٣٥) ، وهى عن جماعة من

شعراء الجاهلية ، فكان يخلط فيها بين ما يدلُّ دلالة صريحة على رجوعه عن رأيه في الشعر الجاهلي ، وبين الالتزام بالإشارة في خلال ذلك إلى شكِّه القديم الذي جعله مذهباً في دراسة هذا الشعر ، ولذلك كثر فيها التناقض !! . ولست هنا بصدد الحديث عن هذه المقالات الأربعة عشر التي / كتبها ، ولكنني أقول إني وجدت يومئذ أن الدكتور طه قد دلَّ فيها على أنه يحاول أن يسلك طريق « تذوق الشعر » الذي أشرت إليه آنفاً ، ولكنه تذوق بلا منهج ، وبلا هدف ، وعلى غير أصل .

في هذا الوقت نفسه أو قبله بقليل (سنة ١٩٣٥) ، كان أخي الأستاذ فؤاد صرُوف ، قد عهد إليَّ أن نُصدر عددًا من « المقتطف » إحياءً للذكرى ألى الطيب المتنبي ، في مرور ألف سنة على وفاته ، وأن أكتب أنا فيه كلمة مسهبة بعض الإسهاب ، ما بين عشرين إلى ثلاثين من صفحات المقتطف . ^(١) تلقَّيتُ هذا التكليف متحمساً له ، ولكن لم أكُذ أتناول ديوان المتنبي ، بعد هجره هجراً طويلاً ، كما قلت آنفاً [ص : ٩٠] ، حتى وقعت في الحيرة ! كنت في السادسة والعشرين ، وكنت قد قضيتُ ما بين سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٥ ، غارقاً في « قضية الشعر الجاهلي » ، وفيما قدفتني إليه من تيه متشعب المسالك والمناهج = لا ، بل في تيه أعنتني منه ، يخطف نفسي خطفاً ويبعثرها شعاعاً ، في برق متتابع يتركني ممرقاً بين الثور والظلمة ، بين الضلالة والهدى . وذلك أن أصحاب هذا « الشعر الجاهلي » ، هم الذين نُزل عليهم القرآن العظيم ، وهم الذين طولبوا بأن يتبينوا ، عند سماعه يُتلى عليهم ، أنه آية هذا النبي ، ﷺ ، الدالة على صدق نبوته ، وإن خالفت المعهود عند البشر من آيات الأنبياء والمرسلين . ولا سبيل إلى ذلك ، إلا بأن يشهد الشاهد منهم أنه كلام الله المفارق لكلام عباده من البشر على اختلاف / ألسنتهم = أي أنه كلام عربي خارج عن طوق البشر جميعاً ، وخارج قبل كل شيء عن طوق هذا النبي الذي يتلوهُ عليهم ، فكذلك يصير آية كسائر آيات

(١) انظر مقدمة الأستاذ فؤاد صرُوف ص : ١٣١ من هذا الكتاب .

الأنبياء من قبله ، كإحياء الميت ، وقلب العصا حية . فكيف ، إذن ، تسنى لأصحاب هذا الشعر الجاهلي أن يحكموا لهذا القرآن بأنه آية دالة على صدق التآليه عليهم ؟

وطلب الجواب عن هذا السؤال ، هو الذى قادنى إلى أن أنغمس فى قراءة ثراث هذه الأمة ، من تفسير لهذا القرآن ، ومن علوم كثيرة تتعلق به وبلغته ، من النحو والصرف والبلاغة والأصول والفقه ، والحديث النبوى وما يتصل به من علم رجاله ورواته ، ثم علم التاريخ ، تاريخ الأمة ، وتاريخ رجالها ، وما وقع من الاختلاف بينهم فى ذلك كله . هذا سوى الشعر والأدب على تنوعه . وفى خلال ذلك لم يكن لى مطلب سوى مطلب واحد ! أن أجِدَ بَرْدَ اليقين فى نفسى ، فى شأن « الشعر الجاهلي » ، وفى شأن ما نُسميه « إعجاز القرآن » . لم يكن يدور بخلدى أن أكون عالماً فى كُلِّ هذه العلوم أو فى بعضها ! ولا دار بخلدى قط ، فى خلال هذه الرحلة الطويلة الشاقة ، أن أولف كتاباً ، أو أن أكتب بحثاً فى شئ مما أقرأ ، أو فى بعض ما اهتمت إليه وأنا أقرأ ، ^(١) لا هم لى ، ولا شئ يزعمجنى ، سوى طلب اليقين وإبطال الشك ، والخروج من الحيرة . فلذلك ، ومع طول الممارسة لهذه الفنون والعلوم المختلفة المتباينة ، بدأت أجِدُنى شيئاً فشيئاً مصروفاً عن تحصيل ما فى هذه / العلوم من المعارف ، إلى سيرة أخرى فى القراءة ، سيرة غريبة ، ولكنّها كانت أَلصَقَ بطبيعتى ، وأعمَقَ نفاذاً فى نفسى .

كانت سيرتى فى كُلِّ هذا الذى أقرؤه ، هى سيرتى التى اخترتها آنفاً فى شأن « الشعر الجاهلي » ، وهى تَذَوُّقُ الكلام ^(٢) : تَذَوُّقُ الألفاظ والجُمَل ، وتَذَوُّقُ دِلالاتها على معانى أصحابها ، وكيف يصوغُ كُلُّ صاحب فكرٍ فكره فى كلمات ؟ وكيف

(١) إلا بحثاً واحداً فيما أظن ، جعله الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، مقدمة للجزء الأول من شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، بعنوان : « مقدمة فى نشأة اللغة العربية ، وعلم النحو ، والطبقات الأولى من النحاة » ، ونشرته المطبعة المصرية فى سنة ١٣٥٢ هـ ، سنة ١٩٣٣ م .

(٢) انظر ما سلف ص : ١١ ، ١٧

يخطيء وكيف يصيب ؟ وكيف يستقيم على المعنى طلباً للحق ، وكيف يلتوى طلباً للمغالطة أو الزهو أو الظهور على الخصم ؟

ومعنى ذلك ، على وجه الاختصار ، أنى كنت أتدقق البيان الإنساني الصادر عن أصحابه فيما يريد أن يقوله كُلُّ منهم ، على اختلافهم في المنازع والمشارب التي تتكوّن منها آداب البشر وعلومهم . وبيان الإنسان عن نفسه ، لو تأملته ، شيء مذهل !! فكانت لذتي في الوقوف على ما يروغنى من هذا البيان ، تفوق لذتي في الإبانة عن نفسي أنا أيضاً كما أبانوا ، أو في الإبانة عما أجده في نفسي وأنا أقرأ بيان هؤلاء الكاتبين الأمناء في بيانهم عما في أنفسهم . ولذلك لم ينزّ بخلدي أن أكتب ، على مرّ هذه الأيام الطوال ، إلا قليلاً جداً من الكلام المنثور ، وبعض الشعر . فلما وجدت نفسي مكلفاً بالكتابة عن المتنبي ، أوقعتني هذا التكليف في الحيرة ، لأنني سوف أقرأ لأكتب ، لا لأتلذذ بما أقرأ . ويا بُعد ما بين المذهبين !

ومع ذلك ، فقد جاء هذا التكليف على ساعة موافقة لاستشارتي ، لأنه يردني إلى أول ديوان كنت حفظته كله ، وفُتنت به قديماً كله ، ثم أغفلته / كله ، ثم ثبطني عنه م٥٠ كله بدء حفاوتي بالشعر الجاهلي ، [انظر ما سلف ص : ٩] فرأيتني الآن ملزماً أن أقرأه قراءة جديدة ، متذوقاً لبيان هجرته هجراً طويلاً . فلم أكذب ، وأخذت ديوان أبي الطيّب ، بشرح الواحدى من القدماء (..... - ٤٦٨ هـ) ، ثم بشرح الشيخ ناصيف اليازجي من المحدثين (١٢٨٧ هـ / ١٨٧١ م) . ولم أكد أتجاوز نصف الديوان في هذه القراءة ، حتى استوقفتني أن النصف الثاني منه ، مؤرّخة قصائده كلها أو أكثرها باليوم والشهر والسنة التي قيلت فيها هذه القصائد ، من شهر جمادى الأولى سنة ٣٣٧ ، إلى أول شعبان سنة ٣٥٤ ، وقد قتل المتنبي بعد ذلك بقليل في أواخر شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ . أما النصف الأول فهو غفل كله من التاريخ ، إلا حيث يُذكر أنه قاله في صباه ، أو قاله في المكتب ، وأشباه ذلك ، وهو قليل جداً ، لا يكاد يتجاوز بضع مقطوعات منه ، مع أنه يشتمل على شعره الذي قاله منذ سنة ٣١٤ ، إلى سنة ٣٣٦ تقريباً .

ولما كنتُ أعلمُ ، مما قرأته حديثاً في مقدمة أستاذنا عبد العزيز الميمنى الراجكوتى لما جمعه من « زيادات ديوان شعر المتنبي » ، ^(١) وما قرأته قديماً في تراجم متفرقة للمتنبي ولمن صحبه أو رآه من العلماء الذى رَوَوْا عنه شعره كُلُّه أو أكثره = أن المتنبي قرأ على الناس شعره مرَّاتٍ في بلاد مختلفة ، وأنه رَتَّب ديوانه بنفسه ، وأنه أَملى على من قرأوا عليه مقدمات قصائده / بتواريخها ، وأن نسخاً كثيرة من الديوان ، قد صُحِّحت أو قُرئت على أصولٍ مقروءة على أئى الطيب نفسه ، وأنها تكادُ تتفق جميعاً على الترتيب الموجود في شرح الواحدى خاصة = لَمَّا كنتُ أعلم ذلك تيقُّنْتُ أن أبا الطيب كان شديد الإحساس بالتاريخ حين جمع شعره ورتبه . وتبيَّن ذلك تبيُّناً واضحاً في النصف الثانى منه ، وهو المؤرَّخة قصائده كُلُّها باليوم والشهر والسنة . وإذا كان حين جمع شعره ورتبه شديد الإحساس بالتاريخ ، من سنة ٣٣٧ إلى سنة ٣٥٤ ، إذًا ، فهو في القسم الأول أيضاً من سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٣٦ ، خَلِيقٌ أن يكون شديد الإحساس بالتاريخ ، إلا أن عَهْدَه بهذا الشعر كان قد تقادم ، فنسى الأيام والشهور والسنوات على وجه التحديد ، فرَتَّب هذا القسم الأول على ما بقى في نفسه من الإحساس الخالى بهذه التواريخ القديمة . ولكن لا يُستبعدُ أن يكون أبو الطيب قدَّم شعراً على شعر ، وتاريخاً على تاريخ ، بيد أننى أعتقد أن هذا التقديم والتأخير لا يكاد يتجاوز سنة أو بَعْض سنة على الأرجح . ومع ذلك ، ففى بعض هذا الترتيب خَلَلٌ آخر ، وهو أن المتنبي ، كما استظهرت ذلك ، كان رُبَّما مدح رجلاً في سنة ، ثم بعد سنوات مدحه مرةً أخرى ، فكان يلحق الشعر الثانى بالشعر الأول القديم التاريخ ، فيقدِّمه بلا مبالاة . وهذا أيضاً شبيه بما فعله في القسم الثانى من سنة ٣٣٧ - ٣٤٥ ، حين ألحق به شعراً قِيل في سنة ٣٢١ . ^(٢)

(١) نشرته المكتبة السلفية في سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م .

(٢) فإن المتنبي ألحق بشعره الذى قاله في سيف الدولة (من سنة ٣٣٧) إلى (سنة ٣٤٥) قصيدته الميمية

التي أولها :

* ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ *

التي قالها فيه سنة ٣٢١ ، [انظر ما سِاقى ص : ٦٦] ثم انظر أيضاً ص : ٢٩٥ ، والتعليق عليه .

/ وعلى كل حال ، فلا بُدَّ أن نكون على دُكرٍ دائم بهذا ، وبأن المتنبي نفسه حين جمع شعره وقرأه على الناس ، أسقط كثيراً من شعر صباه ، أو من الشعر الذى تضمَّنَه القسم الأول الذى لم يؤرِّخ من ديوانه . وعلى ذلك فهذا القسم الأول محتاج إلى الاجتهاد فى ترتيبه على السنوات ، استظهاراً من الشعر نفسه ، ومن تراجم الرجال الذين قال فيهم هذا الشعر .

والإحساسُ بالتاريخ ظاهرةٌ فريدة ، مُعرِّفةُ القدم فى تاريخ عرب الجاهلية ، وقد ترك أثره البين فى حياتهم ، ثم فى لغتهم ، ثم فى شعرهم . فلما جاء الإسلام زاد هذا الإحساس نفاداً ووضوحاً ، لحاجتهم إليه فى تاريخ تنزيل القرآن منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة ، وما يترتب على ذلك من معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث ، وما ارتبط بذلك من مغازى رسول الله ﷺ سنة بعد سنة بعد الهجرة . فلما جاء عهد التدوين ، اتسع هذا الإحساس ، وصار واضحاً ظاهراً فى الكتب المخطوطة ، ثم فى أسانيد هذه الكتب . وكان أشدَّ وضوحاً عند علماء التفسير والحديث وعلم الجرح والتعديل . ولا أشك فى أن المتنبي قد أدرك هذا ، لأنه كان مستفيضاً على زمانه ، فكان ديوانه الذى جمعه بنفسه وقرأه على الناس ، أوّل ديوانٍ من الشعر جاءنا ، فيما أعلم ، وفيه أثر هذه الظاهرة واضحاً كُلُّه الوضوح ، شهراً بشهر وسنة بعد سنة ، فى القسم الثانى من ديوانه .

وقد كنتُ ، وأنا أتدوِّق شعر الجاهلية وبعضَ الشعر الأموى ، أحوُلُ / محاولة م ٥٣ صَعْبَةً فى الاهتداء إلى ترتيب قصائد الشعراء على مُدد من الزمن الذى عاشوه وقالوا فيه شعرهم ، كامرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى ، وحاولته أيضاً فى شعر عمر بن أبى ربيعة وشعر ذى الرِّمة . ومع اتّنى لم أظفر ، أو لم أحقق كُلَّ بغيتى ، إلّا أننى انتفعت بذلك انتفاعاً لا بأس به فى تدوِّق الشعر . فلما استوقفنى القسم الثانى من شعر أبى الطيب ، ومضيئ فى تدوِّقه مرتباً على التاريخ ، كان نفعُ هذا الترتيب التاريخى عظيماً ، فقد كشف لى حركة وجدان أبى الطيب فى شعره ، فى زمن طويل يمتد من سنة ٣٣٧ إلى وفاته فى سنة ٣٥٤ . فلذلك عُدْتُ أقرأ الديوان كُلّه قراءةً ثانية ، محاولاً أن أعرف حركة

وجدانه في الشعر الذي قاله منذ صباه في سنة ٣١٤ تقريباً إلى سنة ٣٣٦ = ومحاولاً بتذوق أن أرّتب قصائد هذا القسم ترتيباً تاريخياً ما استطعت . وقد فعلتُ ، وتبين لي أن أبا الطيب كان بلا شك ملتزماً بالترتيب التاريخي في هذا القسم ، إلا في قليل من الشعر ، كما قلتُ آنفاً .

فرغتُ من هذه القراءة الثانية ، ومن ترتيب قصائد القسم الأول كما بدا لي عندئذ ، واجتمع لديّ قدرٌ لا بأسَ به من الملاحظاتِ عن أبي الطيب الشاعر ، وعن حركة وجدانه في شعره على اختلاف الأحوال والبلدان والناس الذين لقيهم ، والرجال الذين مدّحهم . وبدا لي أن أقنع بهذا ، وأن أبدأ في الكتابة عن شعر المتنبي ، لا عن حياته .

ولكن قلقي القديم لم يفارقني وأنا أستجمع نفسي للكتابة . لم أستطع أن أتخلص من الإحساس الملحّ بالنقص في عملي هذا . فوجدتهُ أمراً / لا مفرّاً منه ، أن أفعل ما لم يكن في نيّتي أن أفعله يومئذ . جمعتُ كُلّ ما أمكن أن يقع في يدي من تراجم أبي الطيب التي كتبها الأولون ، وما أتيج لي أن أعلمه مما كتبه المُحدثون عن أبي الطيب . ونَحَيْتُ الديوان جانباً وشرعتُ أقرأ تراجمه القصار والطوال ، وأردُّ الأخبار التي فيها إلى أصولها التي نُقِلَتْ عنها ، فكان لزاماً عليّ أن أرّتب هذه التراجم ترتيباً تاريخياً حتّى لا أضلّ عن مواضع التغير والتبديل التي لحقت هذه الأخبار ، في نقل كُلِّ مؤلف عن سبّقه . وكان عملاً شاقاً طويلاً ، متعّداً للجوانب ، متّسع الرقعة ، لكنه كان عظيم الفائدة . قيّدتُ كُلّ ما عنّي وأنا أقرأ هذه التراجم والكتب . كنتُ أصطدم دائماً فيها بما يهزّني وما يحيرني ، من الاختلاف الواضح بين صورة أبي الطيب التي تصوّرها هذه التراجم والكتب ، وبين صورته التي يصوّرها لي تذوق شعره مجرداً من تأثير هذه الأخبار التي رُوِيَتْ عنه .

وظهر لي يومئذ ظهوراً واضحاً فرقٌ ما بين تذوق شعر الشاعر تذوقاً يعتمد على الشعر نفسه أولاً ، ثم على ما يكون في نفس المتذوق من إدراكٍ مُجمِلٍ لعصر الشاعر

والعصور التي قبله ، وللرجال الذين عاش بينهم وخالطهم ، وللأحداث التي تمر به أو بالناس ويكون لها أثر في شعره وفي حركة وجدانه = وبين بحث الدارس المتأن الذي يجمع أخبار الشاعر وتراجمه وآراء الناس فيه وفي شعره ، ويقارن ، ويستنبط ، ويأخذ خبراً ويرد آخر ، ويكشف عن مواضع الخلل في الأخبار إن اختلت ، وعن استقامتها إن استقامت ، ويستغرق في التفاصيل الدقيقة التي تدل عليها أخباره وأخبار زمانه وأخبار / أهل عصره الذين لقيهم أو لم يلقهم . فرأيت يومئذ أنهما طريقتان مختلفتان ، وعملان م ٥٥ متباينان ، ولكن لا غنى بأحدهما عن الآخر . وتبين لي أيضاً ، مما قرأته للمحدثين خاصة ، أن طريق الأخبار وبحوثها والاعتماد عليها أو على بعضها ، ربما ضلل الكاتب ، فجعله يرى في بعض شعر الشاعر معنى ، هو بعيد كل البعد عن المعاني التي يدل عليها تذوق شعره جملة واحدة = وأنه أيضاً ، يشوه صورة الشاعر التي يصورها تذوق شعره تصويراً أصدق وأوضح وأعمق .

فلما قرر هذا في نفسي وفرغت من تمحيصه وتقليبه حتى وجدته صادقاً كل الصدق ، ظننت ، والظن يكذب صاحبه ، أنني قد بلغت مبلغاً يفتح لي أبواب الكتابة عن أبي الطيب ، بلا عائق ، وأني إذا أخذت القلم والورق وجلست إلى مكتبي ، فقد فرغت ، في طرفة عين ، مما كلفني به أخي الأستاذ فؤاد صروف . وكذلك سؤلت لي نفسي !! لم أكذ أفعل حتى طار من رأسي كل ما قرأته من شعر أبي الطيب أو من تراجمه ، ومن الكتب أو المقالات التي كتبت عنه ، وإذا أنا عاجز كل العجز عن أن أستجمع فكري ، وعن أن أعرف طريقي . وشيئاً فشيئاً أدركت حقيقة نفسي ، وأني حين قضيت ما بين سنة ١٩٢٦ ، إلى سنة ١٩٣٥ في القراءة ، كما وصفت ذلك آنفاً ، لم يكن يدور بخلدي قط أن أكتب بحثاً مطولاً ، أو أن أولف كتاباً . وكذلك رأيته قد كرهت الأمر كله ، فوضعت القلم ، ونحيت الورق ، وفارقت مكتبي ، وذهبت إلى أخي فؤاد أبته عجزي وبجري ، كما يقال في / المثل ، أي ما تركته من ورأى ، وما أنا مقبل م ٥٦ عليه من أمامي ، والذي أمامي هو العجز لا غير . وسدد الله خطي فؤاد وأكرمه ، فإنه

أخذني أَخَذَ رَفِيقُ شَفِيقٍ ، وجعل يُحَاوِرُنِي وَيُدَاوِرُنِي ، ويقبضُنِي وَيَبْسُطُنِي ، حتى فارقته على عزيمة غير التي أتيت بها ، وكانت التي أتيت بها هو أن يُعَفِّنِي من الكتابة . واسترحْتُ أَيَّاماً ، ثم فَكَّرْتُ في الأمر تفكيراً جديداً ، يرجع فضله كله إلى فؤاد صروف . وعدتُ أقرأ الديوان وحده مرّةً ثالثة حتى فرغتُ منه ، ورأيتُ أشياءً جديدة ، لم أكن أَلْقِيتُ لها بالأ في القراءتين الأوليين ، وظننتُ أني قادرٌ ، وأن الطريق قد استقام وبانت لي معالمه . وفي هذه المرة أيضاً أعدتُ ترتيب قصائد القسم الأول من الديوان ، ترتيباً يختلف بعض الاختلاف عن ترتيبى الأول ، على هَذِي ما استفدته من قراءة تراجم أبي الطيب في الكتب المختلفة ، وعلى هَذِي ما بَدَأ لي من الرأى في هذه القراءة الثالثة في شعره .

وأجمعتُ أمرى على الكتابة . وما كدتُ ، حتى اختلط على الأمر مرةً أخرى ، وحرّثُ حيرةً طويلة كادت تُودِي بعزيمتي ، حتى جاوز الحزامَ الطُّبِّيَّ ، كما يقال في المثل ، ^(١) وسوّلت لي نفسي أن أدع الكتابة بمرّة . وبعد لأيٍ ما ارتجعت أنفاسي المبهورة ، وعُدْتُ بالسكينة ، وأصررتُ على أن أفعل ، لا حُباً في كتابة ما وقفتُ عليه من الآراء ، بل حياءً من فؤاد صروف لا غير .

م ٥٧ / ظلمتُ أَيَّاماً أميلُ الرأى بين أساليب الكتابة ، أيّها أختارُ وأيّها أدع . لم يكن لي أسلوب خاص ، أو طريق ألفته وعهدته ، فإني كما قلتُ ، لم أفكر قط في تأليف كتاب أو كتابة بحث مطول . ورأيت المؤلفين قبل في تراجم الشعراء وغيرهم يكتبون على نهج الدراسة والبحث ، فيذكرون الرجل ومولده ونسبه وأسرته ، وعصره وأخباره ، وشخصيته ، وآراءه ، إلى آخر هذه السلسلة المعهودة في كتب المحدثين من الكتاب = أو عن حياة الرجل جملةً ، ثم تفصيل خصائص شعره ، مثلاً ، وبيان أصول المعاني التي امتاز بها في شعره مفصلةً مجموعةً من جملة قصائده كلها - وطرق أخرى مختلفة ، ألفت قراءتها ،

(١) « الطيب » بضم فسكون ، حلمة الثدى من ذوات الحف والحافر وغيرها « فإذا انتهى الحزام إلى

الثدين ، فقد بلغ أقصى غاياته ، فكيف إذا جاوزه ؟

دون أن ألتزم لنفسي رأياً في تفضيل بعضها على بعض . وخفتُ أن يأكلَ مرَّ الزمن عزيمتي مرةً أخرى ، وأنا واقفٌ أميلُ وأوازنُ بين هذه الأساليب ، فعزمت على البدء في الكتابة والفراغ منها . إنها عشرون صفحة أو ثلاثون من المقتطف ، فلا كتبها كما يتفق لي ، وسئلُ المعاني والآراء التي وقفتُ عليها في شعر أبي الطيب ، كفيلاً وحده بشقِّ الطريق ! وبدأتُ .

كتبْتُ ما يزيدُ على ثلاثين صفحة على ما خيلتُ ، أي على غرَرٍ وبلا يقين من طريقي ، وقرأتها أنا وأخى فؤادُ ، فكاد يأخذها للنشر لأول وهلة . ولكنني استأنيته حتى أعيد النظر فيها مرةً أخرى ، لأني كنتُ أدخر في نفسي أشياءً بدت لي في شعر الرجل ، لم أثبتها في هذه الورقات هيبه وخوفاً من الزلل ، ومن استنكار الناس لها إن أنا كتبتها مجردةً بلا دليلٍ إلّا / دليل التذوق . فأخذتُ الأوراقَ فقرأتها في خلوتي مرةً وأخرى ، فكرهتها أشدَّ م ٥٨ الكراهة ، ومزقتها من فوري . ولما أنبأت فؤاداً بما فعلتُ ، تجهّم وجهه وتبينت في تجهّمه أنه يقول لي : إني خذلتُه خذلاً ناجحاً . وبكى قلبي بكاءً ، فقد أخرجته إخراجاً غليظاً ، لأنه كان قد أعلن في المقتطف عن قرب ظهور العدد الخاص بأبي الطيب ، فلم أفارقه حتى وعدته بأني عمّا قليلٍ مُنجزٌ ميعادى غيرٍ مُخلفٍ ظنه . وبدأتُ مرةً أخرى على عجلٍ ، وضمّنت الأوراق التي كتبتها بعض ما كنتُ أدخرته وطويته في المرة السالفة ، وذلك بعد قراءة رابعة للديوان ، ولمواضع متفرقة من تراجم أبي الطيب في الكتب ، وفرغتُ ، وعرضتُ على فؤادٍ ما كتبْتُ ، وكاد يأخذُه كما فعل أول مرةً ، ولكنني عدت فاستمهلته أياماً ، وبعد أخذ وردّ ، أعطاني الأوراق على مضضٍ .

ودخل علينا رجلٌ عظيم القدر ، كنتُ أحبه ويحبُّني . كان يومئذ شيخاً فوق الستين ، كما يقول هو ، وكنت أتوهمه فوق السبعين . كان ذكياً العينين ، باسم الثغر ، ورُبّما غشّت على بسمته كآبةٌ دفينّة لا تبوح إلّا بهذه الغشاوة على بسماته . كان فتياً النفس يشغله دائماً ما يشغله من معارك النقد التي أثارها حول كتابه « معجم الحيوان » ، لا يملُ ذكر ما وقع بينه وبين الدكتور محمد بك شرف الطيب ، صاحب المعجم الطبي ، وأنستاس الكرمليّ القسّ ، وغيرهما ، ويسرُّ حججه في تفنيد أقوالهم كأنه يتلوها عن

ظهر قلب ، وهو الدكتور الطيب الفريق أمين باشا فهد المعلوف ، من رجال أسرة المعلوف اللبنانية . وجلسنا طويلاً ، ثم خرجنا معاً ، وكان مسكنه مصر الجديدة / حيث أُسْكُن . وتجاوزنا الحديث « فغلبته أنا عليه ، وحدثته عما أكتبه عن المتنبي ، وعن حيرى فيما أكتب ، وعن الجرح الذى أحدثته فى قلب فؤاد بترددى مرة بعد مرة فى تسليم ما كتبتُه إليه لينشره ، ويَقْبَى للقرأء بالميعاد الذى حدّده لعدد المقتطف الخاص بأبى الطيب . وفى خلال الحديث ، ذكرت له رأياً لم أكتبه فى هذه الورقات ، وهو أمر كنت أستشفّه من تذوق شعر أبى الطيب ، حتى بلغنى حدّ اليقين القاطع ، وهو أن المتنبي كان يحبُّ « خولة » أخت سيف الدولة ، وفاجأنى الرجل مفاجأة غريبة جداً ، فقد أخذ برأسى وقبّلنى ، ثم أخذ يبدى ، وأبى أن يُفْلِتْها على طول الطريق ، حتى أذهب معه إلى بيته ، وكُنّا قد بلغنا مصر الجديدة .

كان يقيم فى شَقَّةٍ بسيطة لطيفة ، واستقبلتنا قَهْرمانَة بيته التى تقوم على تدبيره : سيدة لطيفة رقيقة ، أصغر منه سنّاً ، وهى أخته التى ترعاه ويرعاها ، وتركنى معها ، وذهب وأتى وفى يده نسخة من ديوان أبى الطيب (بشرح اليازجى) ، وفتح الكتاب ، وإذا على هوامش الجزء الثانى منه فوائد جليّة علّقها على هوامشه ، أكثرها من كتاب « زبدة الحلب ، من تاريخ حلب » ، لابن العديم ، [وكان لم يطبع بعد] ، ثم قلب الصفحات حتى انتهى إلى قصيدة أبى الطيب فى كافور الإخشيدي (فى ربيع الآخر سنة ٣٤٧) والتى أولها :

فَرَأَى ، وَمِنْ فَارَقْتُ غَيْرَ مُدَمِّمٍ وَأُمٌّ ، وَمِنْ يَمَمْتُ خَيْرُ مُيَمِّمٍ

م ٥٩ وقرأ البيت الأوّل ، ثم قال لى : هذا دليل على أن أبا الطيب كان يحبُّ / « خولة » أخت سيف الدولة ، فأنا أسبقُ منك فى الوقوف على هذه الحقيقة . ثم قال لى وهو ماضٍ فى قراءة الأبيات الثلاثة الأولى : تُحَذ ، يا محمود ، هذا هو الدليل القاطع ! اسمع : (١)

(١) سترى الحديث عن هذه القصيدة فى ص : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، فراجع .

رحلتُ ، فكَمَ بِاِكْ بِأَجْفَانِ شَادِنِ عَلَيَّ ، وَكَمَ بِاِكْ بِأَجْفَانِ ضَيِّعِمِ
وما رَيَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَائِهِ بِأَجَزَعِ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ
فلو كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنِّعِ عَذَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمِّمِ
رَمَى ، وَاتَّقَى رَمِي ، وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوَى كَاسِرٍ كَفَى ، وَقَوْسِي ، وَأَسْهُمِي

واستفاض هذا الرجل الكريم في حديثه عن أبي الطيب وخولة ، وهو يهتز اهتزاز الأرحمة ، معيداً إنشاد الأبيات مرة بعد مرة . ثم أغلق الديوان وقال لي : خُذْهُ ، وانتفع بما فيه من الهوامش المعلقة ، وامض على بركة الله ! جزاه الله خيراً ، فليس بيدي أنا جزاؤه ، إلا هذا الذكر ، وهو لا شيء في جانب ما استفدته من تعليقاته ، وما أحدث في نفسي التغيير بعد ذلك في كتابة ما كتبته عن أبي الطيب . وأى شيء أعظم أثراً في النفس ، من أن تجد فجأة رأياً يؤيدك في رأي كنت تخاف إبداءه والبروح به ، وإن اختلف طريقتهما في الاستدلال والاستنباط !!

واستقرت نفسي استقراراً كاذباً ، فحدثت أمين باشا عن الشعر / الجاهلي ، وعن ٦١ طريقي في تذوقه ، وعرض ذكر امرئ القيس ، فقام من فوره عجباً ، وجاءني بكتاب قديم (أنسييت اسمه واسم مؤلفه) ، على الصفحة اليسرى منه نص الكتاب باليونانية ، وعلى اليمنى التي تقابلها ترجمة ما فيها بالإنجليزية ، وأخرج لي الموضع الذي جاء فيه ذكر امرئ القيس وذكر ذهابه إلى قيصر ، وأن هذا يؤيد الرواية العربية في كتبنا . فقلت له : يا سيدي الدكتور ، إنني بما في يدي من الكتب العربية أشد ثقة ، حتى لا أحتاج إلى مثل هذا الدليل الذي أثبتته هذا اليوناني ! فأصر على أن يعطيني الكتاب لأقرأه ثم أردّه إليه . وقد فعلت ، وخرجت منه بأن الذي عندنا من الرواية العربية ، لا يحتاج في توثيقه إلى مثل هذا النص ، ولكن ، ثم رددت إليه عاريته فيما بعد ، جزاه الله ، خيراً ، فقد كان مُحِبّاً للعرب والعربية ، ومحِبّاً لعشيرته وللسان أسلافه ، لم يغيّر حبه شيء مما يغيّر الناس . أما نسخته من ديوان أبي الطيب ، فهي لم تزل باقية عندي إلى اليوم ، وعليها تعليقاته ، وزدت أنا عليها تعليقات بحطّي ، مما قرأته فيما بعد .

عُدْتُ إلى بيتي بعد هذا اللقاء الذي فجَّرتَه المفاجأة ، وبين جنبيّ نفسٌ تموجُ
كمَوْجِ البحرِ تلاطمتْ أثباجُه . كنا في العشر الأوائل من شهر رمضان سنة ١٣٥٤
(أوائل ديسمبر سنة ١٩٣٥) ، وجَهَدْتَنِي الهَزَاتُ المتتَابِعَةُ التي أخذتني أخذاً عنيفاً
م ٦٢ فلم تُفْلِتْنِي أَيَّاماً متعاقبة ، والذي لقيته / منها = معَ جَهْدِ الصَّوْمِ ، وقلقِ النَّوْمِ ، وقلةِ
الرَّاحَةِ ، وغوائلِ الحَيَوةِ = كَانَ غَرَاماً وعذاباً ، والعجبُ أن عَزِمْتِي على الكتابة كانت
تردادُ قُوَّةٍ وشراسةٍ ومضاء ، وأنا أُرَدُّدُ في خَلْوَتِي بصَوْتٍ مرتفعٍ مرَّةً بعد مرَّةٍ ، قَوْلُ سعد بن
نَاشِبٍ المَازِنِيِّ يَصِفُ نَفْسَهُ ، وهي نفس « أَخِي غَمَرَاتٍ » لا يبالى بما هو مقدَّم عليه :

إِذَا هَمَّ لَمْ تُرَدِّعْ عَزِيمَةَ هَمِّهِ ، وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ، وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا

ومرَّ نحو أسبوعٍ وأنا لا أجد إلى هُلُوِّ نَفْسِي مَنَفَذًا ، وأخذتُ ديوانَ أبي الطَّيِّبِ
مرَّةً خامسةً ، أقرؤه لا أتوقَّفُ ولا أَمَلُ ولا أَهْدَأُ ، وأنا في خلال ذلك أراجِعُ كُلَّ ما في
تراجم أبي الطَّيِّبِ وبعضِ كتبِ التاريخ والرجال وغيرها ، تبعاً للخواطر التي تنشأ وأنا أقرأ
الآيَاتِ أو القصائد . وفي فجرِ الثاني عشر من شهر رمضان صليُّتُ ، فلما جئت آوِي
إلى فراشي ، طار النَّوْمُ من عَيْنِي ، ومع طيرانه تبدَّد القتائم الذي كان يُلْقِنِي ، وذهب
التَّعَبُ وما لقيتُ من النَّصَبِ ، وتجلَّى لي طريقُ بَانَ لي كأني سلكته من قبل مرَّاتٍ فأنا به
خبير ، وأخذتُ الأوراقَ التي كنتُ كتبْتُها واستمهلْتُ فؤاداً في مراجعتها ، فمرَّقتها وأنا
على عجلةٍ من أَمْرِي ، ونبذْتُها في صندوقِ القمامة ، وأعددتُ أوراقِي ، وجلسْتُ على
مكتبي ، وأخذتُ قلمي ، وسميتُ بذكر الله ، وكتبْتُ في جانب من الصحيفة الآيَاتِ
الثلاثة التي تراها في أوَّلِ هذا السفر [ص : ١٣٧] ، والتي أوَّلُها :

/ أَنَا أَبْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْبَاحِثِ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَةٌ

م ٦٣

ومضيتُ أكتب ، كأني أسطرُّ ما يُمَلَى عَلَيَّ لا حيرةَ ، ولا بَحْثَ عن
أُسْلُوبٍ وطريق ، ولا تَرَدُّدَ ، ولا هَيْبَةَ لشيءٍ ، ولا تَحَرُّجَ من غَرَايَةِ ما أقولُ وما أكتب .
وفرغْتُ من الفَصْلِ الأوَّلِ الذي تراه هنا [ص : ١٣٧ - ١٦١] ، وأصبح صباح الثالث عشر من

شهر رمضان ، وأخذتُ أهْبَتِي ، وفارقتُ بَيْتِي ، وقطعتُ الطريقَ إلى دار « المقتطف » ، ودخلتُ على فؤادٍ ، فلقينِي كالمُتَجَهِّمِ ، فسَلَّمْتُ ولم أَكَلِّمْهُ إِلَّا قَلِيلاً . فنظر في هذه الأوراق القلائل التي لا تزيدُ على عشر ورقَاتٍ !! ثم رفع إليَّ بَصْرَهُ وازدادَ تَجْهُّمَهُ ، وقال : ما هذا ؟ فقلتُ : اذفع بها إلى المَطْبَعَةِ ! فازدادَ تَجْهُّمَهُ ، ولكنه رجلٌ حليمٌ جَمُّ الأناة ، فسكت ، وبدأ يقرأ ما كتبتُ ، وظللتُ أراقِبُهُ ، وهو مستغرقٌ ، وجَهَامَتُهُ تنقشع شيئاً فشيئاً ، ولم يكِدْ يفرغُ حتى أَشْرَقَ مُحْيَاهُ إِشْرَاقاً ، وتهلَّلَتِ أساريهُ ، واستنار الذي كان يبنى وبينه مُظْلَمًا ، وأخذني فشدُّ على يدي . ثم التفتَ وطلب مجيء عم « عبد الرزاق » رئيس المطبعة ، وجمعت الصفحة الأولى ، واخترنا لها صورتها التي هي عليها ، كما تراها في أول فصل . وبقيت في دار المقتطف إلى قبيل المغرب ، أَصَحَّحَ ما يُجْمَعُ من الصفحات ، ودارت المطبعة ، وهكذا دواليك يوماً بعد يوم ، حتى كان اليوم الأخير من شهر رمضان . تمَّ كُلُّ شَيْءٍ ، وظهر عدد المقتطف في السادس من شوال سنة ١٣٥٤ ، (أول يناير سنة ١٩٣٦) ، ولم يكن من نصيبي أن أمسك بيدي أول نسخة منه ، لأن أبا الطيب أراد أن يكاخني ، / فعجَّلَ مكافأتي على أثر الفراغ من الكتاب بالحُمَّى التي م ٦٤ ركبته في أواخر أيامه بمصر ، فكانت تغشاه إذا أقبل الليل ، وتنصرف عنه إذا أقبل النهار بعري ، وتركني أقول لها يوماً بعد يوم كما قال هو لحماه :

أَبْنَتْ الدهرَ عندي كُلَّ بِنْتٍ ، فكيفَ وصلتِ أنتِ من الرِّحَامِ !!

...

حين تبدد القتام الذي كان يلفني ، تجلَّتْ لِعَيْنِي صُورَةٌ واضحة كُلُّ الوضوح ، كأنِّي أخذتُ كتاباً مسطوراً ، فقرأته كُلَّهُ بنظرة واحدة قبل أن يرتدَّ إلى طَرْفِي . وهذه ليست مَبَالِغَةً ، ولكنها حقيقة مجرّدة ، ألفتُها بعد ذلك وعرفتُها مرَّاتٍ ، وأظنُّ أنَّ كثيراً من الكُتَّابِ غيَروا قد ألفتُها مرَّاتٍ كما ألفتُها . وقبل كُلِّ شَيْءٍ ، فاعلم أني إنَّما أَقْصُ هنا قصَّةَ هذا الكتاب كما كانت ، وأسجِّلُ تجربتي الأولى في تأليف كتاب ، ملتزماً بالصدق ، متجنباً للمبالغة رغبة في حُسْنِ التصوير .

حين قرأتُ ديوان أبي الطيب مرّات ، وحين قرأتُ تراجمه التي بين يديّ ، وما تجمعُ عندي من أخباره وأخبار عصره وأخبار من لقيهم أو مدحهم من الناس = كانت خلاصة ما انتهيتُ إليه أمران :

الأول : أنّي إذا قرأتُ تراجمه وأخباره وما كُتب عنه ، رأيتُ رجلاً عاش حياة غامضةً مضطربةً متناقضةً لا استواءَ فيها ، يعسر فهمُها على وجهٍ صحيح .

/ والثاني : ثم إنني إذا قرأتُ شعره جملةً واحدة ، متذوّقاً لكنّي أرى صورةً حياته التي يدلُّ عليها شعره ، رأيتُ صورةً أخرى لرجل آخر ، حركةً وجدانه فيها واضحةً كلّ الوضوح ، ولكن صورة حياته هو غامضةٌ كلّ الغموض .

٢٦٥ م

ولذلك ، فقد كنتُ ملفوفاً في قَتَامٍ مغبّرٍ ، لا أسيّرُ خطوةً حتى أدخلُ في قَتَامٍ أَشدَّ غُبرَةً . فلما تبدّد عني فجأةً هذا القَتَامُ ، كان عَمُودُ الصُّورَةِ واضحاً كلّ الوضوح .

إلاّ أنّ عَمُودَ هذه الصورة لم ترسُمه تراجم المتنبي وأخباره الكثيرة ، بل رَسَمَهَا وحدّها تذوّقُ شعره ، واستنباطُ معانيه ، ودلالته على شخصيّة أبي الطيب ، فكانت هي المهيمنة على أخباره الكثيرة ، تزيفُ منها ما تزيفُ ، وتصحّحُ منها ما يصحّحُ ، وتجلّوها جلاءً جديداً يجعلها قادرة على أن تجعل حياته واضحةً جليّةً مستوية . وبذلك صار ما صحّح من هذه الأخبار بعدئذٍ ، قادراً هو أيضاً على أن يجعل حركة وجدانه في شعره أَشدَّ ظهوراً ، ويجعل صورة حياته التي يدلُّ عليها تذوّقُ شعره أدنى إلى الوضوح وأبعد من الغموض ، وأقَدَر على الالتحام بصورة الحياة التي يدلُّ عليها ما صحّح من هذه الأخبار . فكَذلك كان هذا الكتاب الذي بين يديك ، هو الصُّورَةُ الحَيَّةُ لأبي الطيب ، كما رأيْتُها وعاشتْها ، وشقيتُ أنا بها ، وشقيتُ هي بي أيضاً ، فيما أظنُّ !

...

م ٦٦

/ عمود صورة المتنبي

وإذا كان ذلك كذلك ، فينبغي إذن أن أبين « عمود الصورة » الذي بُني عليه هذا الكتاب ، كيف جاء وكيف تم . فهذا هو « عمود الصورة » التي يتخلّق من حوله تخطيطها ومعارفها وقسماتها ، والذي تكمن فيه شخصيّة أبي الطيب منذ مولده بالكوفة ، ثم تنمو سنةً بعد سنة على مرّ الأيام والأحداث ، فتفصح هي عنه ويفصح هو عنها ، بعد أن صار شاعراً تراه يغدو بها ويروح حتى يفارق الحياة .

١ - غلام « علوي » النسب ، يولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ، ويقيم بها حتى يصير فتى ، إلى أواخر سنة ٣٢٠ . [انظر من ص ١٣٧ - ١٩٨] .

٢ - خرج إلى الشام ، وفي باديتها أظهر أنه « علوي النسب » ، فقبض عليه وسجن ، وأقام بالسجن في أواخر سنة ٣٢١ ، إلى سنة ٣٢٣ ، وهذا معناه : إبطال « النبوة » التي زعموها في الأخبار . [انظر من ص ١٩٩ - ٢٣٦]

٣ - خروجه من السجن ورحلته بعد ذلك في الشام منذ سنة ٣٢٣ ، وعودته إلى الكوفة سنة ٣٢٥ ، ورجوعه إلى الشام مرة أخرى في سنة ٣٢٦ ، حتى سنة ٣٣٦ . (١) [انظر من ص ٢٣٧ - ٢٩٤]

٤ - / أول لقاءه بأبي العشائر الحمداني ، ثم لقاء سيف الدولة ، من سنة ٣٣٦ م إلى سنة ٣٤٦ . [انظر من ص ٢٩٥ - ٣٣١]

٥ - حب « خولة » أخت سيف الدولة ، ثم فراقه سيف الدولة إلى مصر من سنة ٣٤٦ إلى سنة ٣٥٤ ، وكانت فيها وفاته . [انظر من ص ٣٣٣ - ٣٥٦]

(١) لم نكن نعرف يومئذ أن أبا الطيب رحل من الشام إلى مصر في سنة ٣٣٥ ، فهذا خير جديد جداً ، أوقفنا عليه ابن العديم في ترجمته رقم : ٤ ، ورقم : ٦٦ . والمقرئ رقم : ١٧ .

٦ - نجَّيْتهُ إلى مَصر ، وبقاؤه عند كافور الإخشيدي ، ثم فراره من مصر ، ورجعته إلى الكوفة ، ثم إلى فارس عند ابن العميد وعُضد الدولة ، ثم مقتله = من جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ ، وخروجه من مصر يوم عرفة (٩ من ذى الحجة) سنة ٣٥٠ ، ثم دخول الكوفة سنة ٣٥١ ، ثم سائر رحلته إلى يوم مقتله بالعراق عائداً من فارس في ٢٧ من شهر رمضان سنة ٣٥٤ . [انظر من ص ٣٥٧ - ٣٩٢]

٧ - شخصيّة أبن الطيّب : منذ كان بالكوفة طفلاً ، ثم صبياً ، ثم فتى يعرف طرفاً من أنه علويّ النسب ، ولكنه مرغمٌ على كتمان هذا النسب . ثم ثورة نفسه واضطرامها في هذه المدة ، ثم يفارق الكوفة إلى الشَّام ، فينْفُسُ عن ثورته بإظهار علويته ، فيقبض عليه العلويون ويحبسونه ، فيأْسُ من أمر علويته ، فتتقلب هذه الثورة إلى ثورة عربيٍّ ثائرٍ لعربيته على حكم الأعاجم الذين يسيطرون على دولة الخلافة كلّها ، فيظل بقية حياته إلى أن يموت ، تحرّكه هذه الثورة لعربيته ، فأفصحت هذه الثورة / عن نفسها ، وأفصح هو عنها في أبيات كثيرة من شعره ، وأفصحت هي عن نفسها بأساليب مختلفة : في تركه مدح كثيرٍ من رجالات زمانه ، ممّن التفّ حولهم غيره من الشعراء ، كالخلفاء في زمانه [انظر هذا ص : ٧٣] = أو في حركة وجدانه التي يحدّدها تنوّق شعره على مدى أربعين سنة ، من سنة ٣١٤ ، إلى مقتله سنة ٣٥٤ : تحبو حيناً إذا لم يكن له في الذي يمدحه رجاء يرضى هذه الثورة العربية الكامنة في نفسه ، وتتألّق حيناً آخر تألقاً ظاهراً حين يكون له في ممدوحه رجاء يحرك هذه الثورة أو يُدني

من بلوغ آماله فيها . هذا جانب من شخصية أبي الطيب الذي أظهره تذوق الشعر وبعض الأخبار .

٨ - أما الجانب الآخر من هذه الشخصية ، وهي العواطف التي لا يخلو منها بشر ، كحب الأب والأم والجدة ، وحب الزوجة ، وحب الولد والعيال ، وحب امرأة بعينها يغلب حب هؤلاء جميعاً وينفرد بسلطانه على النفس = فقد استعلن حب والدين في حبه لجده كما استظهرته بتذوق الشعر وبعض الأخبار في مواضع متفرقة من الكتاب = واستعلن حب الزوجة والولد والعيال ، كما تذوقته من شعره [انظر ص : ٣١٨ ، ٣١٩] = واستعلن حب المرأة في حديثي عن « خولة » أخت سيف الدولة ، كما تذوقته في مواضع متفرقة من شعره ، وإن لم يكن في أيدينا عنه خبر البتة .

...

/ الفقرة الأولى والثانية

أما الفقرة الأولى من « عمود الصورة » ، والتي تتضمن القول بأن أبا الطيب « علوي » النسب ، والفقرة الثانية التي تتضمن القول بإبطال دعوى « النبوة » وأن « المتنبي » لقب لا غير ^(١) فهما متداخلتان . والقول بأن « المتنبي » علوي النسب ، قول لم يسبقني إليه أحد من القدماء ولا المحدثين ، ولا جاء به خبر يدل عليه ، أو يعين على افتراض هذا الفرض من قريب أو بعيد . فكيف جاء إذن ، وكيف صار جزءاً من « عمود الصورة » ، لا بل هو الصورة كلها ، فإذا فقدت بطلت فبقار « عمود الصورة » جميعاً بطلتاً كاملاً ؟

في خلال تذوق شعر أبي الطيب ، في القراءة الأولى والثانية والثالثة ، استرعى انتباهي أمر غريب جداً ، لم أجد له تفسيراً قط في أخبار أبي الطيب . وأبو الطيب كوفي ،

(١) انظر ما سيأتى في ترجمته للرعي رقم : ١ ، ولابن العديم ، رقم : ٩ ، حيث روى خبراً عن المتنبي

نفسه ، في سبب تلقيبه بالمتنبي ، وهو خبر جديد لم يقع في أيدي الناس من قبل .

والكوفة يومئذ دارٌّ من زيار العلويين يكثرُون بها ، فلم يكن غريباً ولا عجبياً أن تكون القصيدة الأولى في الديوان (وعدد أبياتها : ٤٣ بيتاً) = هى الأولى ، لأن قبلها مقطوعتان ، أولاهما ثلاثة أبيات ، والأخرى بيتان . وقد نصَّ الديوان على أنها مما قال في صباه = قالها يمدحُ بها رجلاً « علويّاً » هو « محمد بن عبيد الله العلويّ » ، قالها فيما

٢٧٠ استظهرت سنة ٣١٨ : قبل خروجه من الكوفة ، [انظر هذا ص : ١٥١ ، ١٥٢ والتعليق فيها] ، ويتذوّقها رأيْتُ أنه من لذات أُنَى الطيب ، وأنه كان يحبه ويحمله ويحفظُ له ما أسدى إليه من معروف أو صنيعه . لم يشغلنى ذلك كثيراً ، فلما انتهيتُ في تذوّق إلى ما قاله في سنة ٣٣٦ ، حين قَدِمَ على ابن طُغْج بالرملة ، فقال له : إني لفظتُ الناس لما بلغتك ، لفظَ المسافرين حُثالة زاده ، إذا نَزَلَ أرضاً كثيرةَ الخير موفورة :

وفارقتُ شرَّ الأرض أهلاً وثريّةً بها « علويّ » جدّه غير هاشم

أى أن الرجل الذى فارقه دعى من الأدياء لا علوى ، فاستوقفنى ذمُّ هذا « العلوى » ذمّاً صادراً من نفسٍ جريئة ، ثم لم أكد أمضى فى قراءة المقطوعات بعد هذه القصيدة ، حتى رأيتُ شراح ديوانه يذكرون أن آبن طُغْج ظلَّ يحاور أبا الطيب ويداوره ويرجوه مرة بعد مرة أن يقول قصيدة يمدح بها صاحبه : « أبا القاسم طاهر بن الحسن العلوى » ، فبعد لأى ما استجاب له أبو الطيب ، وقال يمدح هذا « العلوى » ، ولكنه يذكر فى هذا المدح ذمّاً قبيحاً ذمَّ به ذاك « العلوى » ويفسر سببَ ذمّه ، فيقول قبل أن يدخل فى المدح :

أتأينى وعيّد الأدياء وأنهم أعدوا لى السُودان فى كفر عاقب
ولو صدقوا فى جدّهم لحذرّتهم فهل فى وحدى قولهم غير كاذب ؟

فليس إذن ، « علويّاً » واحداً ، بل « علويّون » ، أرضلوا له فتیاناً شداداً سوداً ليقتلوه عند مروره بكفر عاقب ، فى طريقه إلى آبن طُغْج ، ثم أبيات أخرى كثيرة [انظر هذا ص : ١٥٣ - ١٥٨] ، فوجدتُ ههنا شيئاً مناقضاً للذى وقرّ فى نفسى منذ أوّل الديوان . ثم

انطلقت حتى فرغت / من تذوق الديوان ، ولم أر للعلويين بعد ذلك ذكراً صريحاً في شعره . ٥٧١ م

فلما عزمت على جمع أخبار أبي الطيب وقراءتها كما قلت آنفاً ، [ص : ٤٠ ، ٤١] ،
وأخذت رسالة أستاذنا عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، [انظر ما سلف ص : ٣٨ ، تعليق ١] وهى
« زيادات ديوان شعر المتنبي » دلتنى على ترجمة لأبى الطيب فى خزانة الأدب للبغدادى [١ :
٣٨٢ وما بعدها] ، فاستوقفتنى قول الأصفهاني الذى قال فى ترجمة أبى الطيب : « إن مولد المتنبي
كان بالكوفة ، فى مَجَلَّة تعرف بكندة واختلف إلى كُتَّابٍ فيه أولاد أشراف الكوفة ،
فكان يتعلم دروس العلوية لغة وشعراً وإعراباً » ، (١) فأيقظ هذا الخبر ما كان خافياً فى
نفسى من أمر الملاحظتين السابقتين وتناقضهما . ووجدته أمراً ملحاً أن أُطلب فى تراجم
أبى الطيب ، وفيما قدّم به لبعض قصائده ، ما يكون من ذكر للعلويين ، أو للكوفة . وفى
هذا الطلب وجدت بعض الروايات التى تحدّثنا عن أبى الطيب ، وعن نشأته ، وعن أبيه
« عِيْدَان السَّقَاء » ، وعن « نبوته » يُروى عن رجال من العلويين والهاشميين . ووجدت
أيضاً أنّ الذى قبض عليه وسجنه علوى أو هاشمى ، وأشياء أخرى متنوّعة . فساورتنى
الرّيب ، واتمست تفسيراً لهذا كلّ . ثم وجدت فوق ذلك أن بعض الذى يروى هذه
الأخبار عن العلويين ، كان علوى الهوى أيضاً ، ومضيت أستقصي وأفلى ، وأتذوق
الأخبار ، وأتذوق الشعر مرّة بعد مرّة ، لعلّى أجد شيئاً يهدينى إلى علاقة هذا الكوفى
الشاعر ، بالعلويين الذين كانت ديارهم هى الكوفة مسقط رأسه ، وفيها منشئوه إلى أن
جاوز السابعة عشرة .

/ وبعد تردّد طويل وحيرة ، بين دلالة تذوق الأخبار ، ودلالة تذوق الشعر ، لم
أجد مناصاً من أن أفرض فرضاً يزول به هذا الغموض الذى يكتنف حياة هذا الشاعر ،
ويرفع اللثام عن مكنون شعره الذى دلتنى عليه التذوق . وأخذت هذا الفرض ، وعرضت
عليه شعر أبى الطيب كلّهُ متذوّقاً متأنّياً ، فلأن لى عصيهُ واستقام مُعْوجُّهُ ، وأسفر

(١) انظر تصحيح نص هذا الخبر فيما يلى ص : ١٦٧ ، تعليق : ١ .

كُلُّ ما كان عليه نقاب وحجاب ، وتحرك كلُّ ما تذوّقته من شعره ، وتحركت معه أخباره . فعندئذ بلغت حدَّ القطع بأن أبا الطيب « علوي » النسب فرضاً يشبه الحقيقة !! والفضل في ذلك كُله لخبر الأصفهاني الذي ذكر فيه « أولاد أشراف الكوفة » . وقد قام « عمود الصورة » كلها ، كما رأيت ، على هذا الذي ادّعيته ، وليس في يدي شيء غير لفظ الأصفهاني ، ثم دلالات شعر أبي الطيب . وكذلك أعملت هذا الفرض الجريء الذي لا سابق له عند أحد من كتب عن أبي الطيب ، وجعلته محور حياته كلها إلى أن قُتل ، فكنْتُ أوّل من شكَّ في نسب أبي الطيب الذي رواه الرواة ، ولكنني لم أقف عند الشكِّ المجرد ، كما ذهب إليه من قلّدي ، ^(١) بل أبنتُ عن علّة الشكِّ ، لأثبت مكانه حقيقةً أخرى ، دلّني عليها شعره ومواقفه في حياته كلها ، مما كان له ارتباط وثيق بعلّة الشكِّ .

م ٧٣ وظهر كتابي بعد ذلك ، واستنكر عليّ كثير من الناس ما قلْتُ ، حتى أستاذي الرافعي ، فإنه تردّد في قبوله ، ولكنه لم يستطع أن يجد حُجّة تردُّ قولي ، كما أخبرني بذلك ، بعد أن كتب كلمته عنه في الرسالة [مناص : ٥٧٧] ، وقال لي : لئن لم أستطع أن أذكر « علوية » أبي الطيب صراحةً ، وقنعتُ بأن أقول إن روح أبي الطيب كانت تلازم الكاتب : « تدلُّه في تفكيره ، وتوحى إليه في استنباطه وتبصره أشياء كانت خافية وكان الصدق فيها ، ليردّ بها على أشياء كانت معروفة وكان فيها الكذب » ، وقال : أليس هذا كافياً ؟ هذه موافقة على رأيك ، وفيها توثيق متلفّع بالحذر ! وليت الرافعي لم يحذر !

فقد مضت الأعوام من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥٨ ، وقد نسيت المتنبي وأهملت كُلاً ما كتبته عنه ، وذات يوم دخل عليّ يتهلّل وجهه ، وتبرّأ أساريّ ، صديقي وتلميذي ، وأستاذي فيما بعد ، الأستاذ أحمد راتب النفّاخ ، وهو اليوم عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومدّ إليّ يده بورقات مكتوبة بخطّه (١٢ ورقة) ، نقلها عن ظهر نسخة

(١) هو الدكتور طه حسين ، كما ستري في هذا الكتاب ، وانظر ص : ١١٣ ، س : ٥ - ٩ .

مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية من كتاب « الإبانة عن سرقات المتنبي » ، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدى (توفى سنة ٤٣٣ هـ) ، ونقلها ناسخ النسخة من تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) وقال فى أولها : « هذه نبذة من أخبار أبى الطيب المتنبي رحمه الله تعالى ، مما أورده ابن عساكر فى ترجمته » ، ويجرد وجود ترجمة للمتنبي منقولة عن تاريخ دمشق لابن عساكر ، كنز لا يقدر ، لأن تراجم الأحمدين (أى من يسمّى أحمد) ، مفقودة من جميع مخطوطات تاريخ دمشق ، وقد نشرتها فى آخر كتابى هذا بعنوان « أربع تراجم للمتنبي » .

٧٤ م / أمّا المفاجأة التى ملأت نفس أخى بشراً ، وأنارت أساريره بشاشة ، والتى هزّنتى فأيقظت ما مات بالإهمال من أمر المتنبي ، فهو ما نقله ابن عساكر عن أبى الحسن الرّيعى صاحب أبى الطيب فقال :

« الذى أعرفه من نسب المتنبي أنه : أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي ، وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمئة ، وأرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله »

[ترجمة ابن العديم رقم : ٣]

وكانت مفاجأة مذهلة !^(١) ومضت أعوام بعد ذلك ، وفى سنة ١٩٦٢ ، فيما أذكر ، تلقيت أيضاً من أخى الكريم أحمد أوراقاً مصورة من كتاب ابن العديم (٥٥٨ - ٦٦٠ هـ) « بغية الطلب » من نسخة بخط ابن العديم نفسه ، محفوظة بمكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية ، وهى من الجزء الأول ، وفيها ترجمة أبى الطيب (من الورقة ٢٥ إلى الورقة ٥٢ ، إلا الورقة رقم ٤٤ ، فهى بياض بالأصل ، أى اثنتان وخمسون صفحة) ، وهى أطول ما عندنا من تراجم أبى الطيب ، وقد نشرتها فى آخر هذا الكتاب فى « أربع تراجم للمتنبي » . فكانت لى فى هذه الورقات مفاجأة أخرى ، بل مفاجآت أخرى كثيرة ، لأنها تتضمن ، قبل كل شيء ، توثيق ما جاء فى ترجمة ابن عساكر المسطورة على ظهر كتاب ، توثيقاً يرفع كل ريبة ! قال ابن العديم :

(١) بل سنأتى مفاجأة أعظم ، وهو نص كلام المتنبي عن نفسه فى الترجمة الأولى المنقولة من نسخة من

شرح الواحدى على ديوان المتنبي .

« أخبرني صديقنا أبو الدُرِّ ياقوت بن عبد الله الرومي ، مولى
 / « الحمويّ البغدادي قال : رأيت ديوان أبي الطيب المتنبي
 » بخط أبي الحسن عليّ بن عيسى الرّيعيّ ، قال في أوّله :
 « الذي أعرفه عن أبي الطّيب أنه : أحمد بن الحسين بن
 « مُرّة بن عبد الجبار الجُعْفِيّ ، وكان يكتم نسبته ، وسألته عن
 « سبب طيّبه فقال وهذا الذي صحّ عندي من نسبه ،
 « قال : واجتزأت أنا وأبو الحسن محمد بن عبيد الله
 « السّلاميّ الشاعر ، على الجسر ببغداد ، وعليه من جُملة
 « السُّؤال رجلٌ مكفوف . فقال لي السّلاميّ : هذا المكفوف
 « أخو المتنبي ! ^(١) فدنوتُ منه فسألته عن ذلك فصّدّقه ،
 « وانتسب هذا النسب وقال : « ومن هنا انقطع نسبنا » .
 « وكان مولده بالكوفة سنة ثلاثٍ وثلاثمئة ، وأرضعته
 « امرأة « علوية » من آل عبيد الله » . [سيأتي في ترجمة ابن العديم

رقم : ٨]

وإذَنْ فالفرض الذي افترضته ، والذي استشاره خبرٌ لا يعينُ ظاهرُ لفظه ، إذا
 انفرد ، على مثل هذا الفرض ولا يوجّه إليه ، وهو قول الأصفهاني : « واختلف [يعني أبا
 الطيب] إلى كُتّاب فيه أولادُ أشراف الكوفة » ، = لم يكنْ جزافاً محضاً ، كما قال لي
 م ٧٦ يومئذٍ مواجهاً ، أحد الأساتذة الذي / كتب بعدى كتاباً عن المتنبي صدر بعد كتابي
 بأشهرٍ = وعارضني في كتابه متجاهلاً لما كتبتُ ، فلم يذكرني إلا مرةً واحدةً فقال

(١) أخو المتنبي لم يذكره أحد من مترجمي المتنبي ، لا قديماً ولا حديثاً بلا شك ، فهذه مفاجأة أخرى . ثم
 وجدته مذكوراً فيما بعد في تكملة تاريخ الطبري للهمداني الأول : ١٩٥ من خبر مروى عن أبي الحسن محمد بن
 يحيى الزيدي العلوي .

عَنْي : « كاتب المقتطف » . (١) لم يكنْ جُزَافاً ، بل كان دليلاً على أَنَّ منهجى الذى انتهجته منذ قضية الشعر الجاهلى ، فى قراءة الشعر وتذوقه ، وجَعَلِه مهيمناً على الأخبارِ ، كما قلت آنفاً = كان منهجاً مستقيماً ، لا فى دراسة الشعر فحسب ، بل فى نقد الأخبار أيضاً ، وإدراك دلالتها على فساد نية رُواتها أو سلامة هذه النية ، كما تراه مفصلاً فى كتابى هذا !

أما هذا النصُّ المفاجىء ، فهو صريحُ الدلالة على عُنى علائق أبى الطيب بالعلويين منذ كان رضيعاً بين حرائر نساءهم اللواتى أرضعنه ، أو أرضعته إحداهن ، إلى أن نشأ وتعلم فى كتاب فيه أولادُ العلويين الأشراف ، إلى أن صار فتى فى الخامسة عشرة ، يمدحُ علويًا ، من آل عبيد الله أيضاً ، كما رأيت . هذا النصُّ هو الذى نصّر فرضى نصراً مؤزراً ، وألحقه بالحقيقة المقررة ، كما توقع الأستاذ فؤاد صروف فى مقدمته .

وإذن ، فالمتنبى ، الذى وُلِد بالكوفة ، دار العلويين ، واختلفَ إلى كُتَّابٍ فيه أولادُ أشرافها العلويين = إلّا يكن « علوى » النسب من أنفسهم صليبةً ، فهو « علوى » ، رَضاعاً ، (٢) أى هو أخوهم من الرضاع ، والرضاع لُحمة كلحمة النسب ، ولذلك حَرَّمَ الله به ما يحرمُ النسب . وكذلك يكونُ / بعد ذلك عجباً من العجب : أن يكون أوَّل شعره ، وهو فى الخامسة عشرة من عمره منبأً عن حُبِّ ظاهرٍ لِتِربته « محمد بن عبيد الله العلوى » ولِلعلويين جميعاً ، فهو :

خيرُ قريش أباً وأمجدها ، أكثرها نائلاً وأجودها
تاجُ لؤى بن غالب ، وبه سما لهُ فرعُه ومختدّها
قد أجمعت هذه الخليقة لى ، ألك ، يا ابن النبى ، أوحدّها

(١) هو الأستاذ عبد الوهاب عزام ، صاحب كتاب : « ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام » .

(٢) قد فوجئت ، كما قلت ، بنص المتنبى نفسه على المرأة التى أرضعته ، انظر التعليق السالف ص : ٥٥ .

وأنتك ، بالأمس كنت محتليماً ! ، شيخ معدٍ وأنت أمردها (١)

= ثم تدلنا الأخبار بعد ذلك عن تمنعه وتخرجه من مدح علوي آخر في سنة ٣٣٦ !! لا ، بل في إصراره على أن يعرض ببعض العلويين الذين أرادوا قتله بكفر عاقب ، ويسمّيه « الأدعياء » ، ثم يرمى بهذا كله في وجه العلوي الذي اضطره ابن طغج إلى مدحه ، كما أسلفت . لا ، ليس هذا فحسب ، فإن المتنبي يومئذ لم يبلغ من الشهرة مبلغاً (سنة ٣٣٦) ، ومع ذلك فإن هذا الشريف العلوي يتلقاه بعد تمنعه ، فيقوم له عن مجلسه أمام الناس ، ويجلسه ويجلس هو بين يديه يسمع هذا الشعر ، حتى عجب الناس مما فعل من فعل / غير معهود ، ثم يجزّل له العطاء ، ويقول أحد شهود هذا المجلس : « ما رأيث ولا سمعت أن شاعراً جلس المدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب » ! هذا كله عجب يستخرج دهشة المتأمل .

= لا ، بل إن ابن العديم نفسه ، أيّدني في نقد الخبر رقم : ٦٧ [انظر ص : ٦٧٥] ، فقال : « وسنذكر في ترجمة طاهر بن الحسن بن طاهر ، حكاية عن الخالدين ، (قلت أنا : كانا صاحبين للمتنبي ، وهو مع سيف الدولة) ، تدل على أن المتنبي كان مخالفاً للشيعه » ، فهذا تأييد أكبر لما استظهرته من عدواته لهم .

= لا ، بل إنه يروى أيضاً في الخبر رقم : ٥٠ ، [في ترجمته للمتنبي] ، حديثاً جرى بين المتنبي ، وبين بعض أشراف الكوفة « ، رواه الإمام أبو الحسن علي بن محمد الفصيحى (١٠٠ - ٥١٦ هـ) فقال : « قدم بعض الأشراف من الكوفة ، فدخل إلى مجلس فيه المتنبي ، فنهض الناس كلهم سوى المتنبي ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال بالكوفة وما تجدد هناك ، فقال المتنبي : يا شريف ، كيف خلّفت

(١) هو اختيار من أبيات القصيدة جعلته متابعاً . وقوله « وأنتك » مخففة النون من « أنك » المشددة . وضبطت أنا « شيخ » بالضم ، على خلاف ما هو مضبوط في جميع دواوينه ، على أنه خبر « أن » كأنه قال : قد أجمعت هذه الخليفة أنك أوحّد قريش ، وأنتك شيخ معد وأنت أمردها ، وبالأمس كنت محتليماً ! = على التعجب المعترض بين « أن » وخبرها . وانظر ما قالوه في إعراب « شيخ » على أنه خبر « كنت » ، وأن « محتليماً » حال من كنت ، وما في ذلك من التوجيه في شروح الديوان .

الأسعار بالكوفة ؟ فقال : كُلُّ رواية برطلين خُبْزٍ ! فأخجله ، وقصد الشريف أن يعرض
بأن أباه كان سقاءً »

فهو ، كما ترى ، لم يقم للشريف الكوفي وقد قام أهل المجلس ، على غير ما يوجبه
أدب المجالس ، وهذا دليل على ازدراء طافج ، وشتان مضطرم / في أغوار النفس . ولو ٢٧٩
سكت المتنبي فلم يسأله كما سأله سائر أهل المجلس ، لكان ترك القيام كافياً في إظهار
ما في نفسه لهذا الشريف الكوفي ، وفي إيذائه علانية ، ولكنه أراد أن يشفي غليل ازدرائه
وشتانه ، بالهزء به والسخرية مواجهةً وكفاحاً ، فابتدر مع ذلك أيضاً يسأله كما سأله
أهل المجلس ، وترك السؤال عن أخبار مسقط رأسه التي تجددت منذ فارقها قديماً ،
وسأله عن أسواق الكوفة وأسعار البيع والشراء فيها ، استهزاءً به ، وإنزالاً له من منزلة
« الأشراف العلويين » إلى منزلة سماسرة الأسواق وتجارها !! وكان في هذا الخبر أيضاً الدليل
البين على أن مصدر القول بأن أبا المتنبي كان « سقاءً » يبيع الماء بالكوفة ، هم هؤلاء
العلويون أيضاً ، كما بينت ذلك في كتابي هذا [١٣٧ - ١٥٠] ، وذلك بين في جواب
الشريف العلوي الذي أجابه به .

وهذه كلها أدلة متظاهرة جاءت من وراء الغيب ، لكي تدلني على أن منهجى في
« التدنوق » يفضى إلى كشف الحُجُب عما طَمَره غُبار السنين ، وما يستره تكذُّب الرواة
ذوى الأهواء = وأنى كنتُ ، بتوفيق الله ، مُصِيباً في فرضي « علوية » ألى الطيب ،
مستهدياً بهذا التدنوق = وأنى حين أعملتُ هذا الفرض وحكمتُه في نقد أخبار نبوته [هذا
السفر ص : ١٩٩ - ٢١٢] ، وانتهيت إلى رفض « النبوة » رفضاً باتاً بلا مثنوية (أى بلا
استثناء) ، كنتُ موقفاً بحول الله وقوته ، ولم أكن جائراً عن الحق ، حين عددتها مما
أُفْعِل افتعالاً ، وأقجم في خلال الأخبار التي ذكر فيها أنه ادَّعى « العلوية » / إقحاماً ٢٨٠
خيئاً ، لستر الحقيقة التي تضمنتها هذه الأخبار ، وذلك كالخبر الذي يقول إن المتنبي :

« ادعى أنه علوي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوي » ، (١) وسياقه يدل على أنه أدخل في باب « المحال الكذب » ، من المثل الذي ضربه سيبويه حيث قال : « وأما المحال الكذب فإن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس » [انظر نقله في هذا السفر : ١٩٩ - ٢٠٨]

ولما صار الأمر يتيئاً يومئذ عندي ، أتممت القول في الفقرة الثانية من « عمود الصورة » [هذا ص : ٢١٥ - ٢٣٥] ، وهو سياق مهم جداً ، لأنني ضمنته أظهر عنصر في شخصية أبي الطيب ، كما وصفها في الفقرة السابعة [انظر ما سلف ص : ٥١ ، ٥٠] ، حين تحول من « علوي مطالب بنسبه » إلى « عربي نائر لأمته » .

وأختم قول هنا بشيء لا يسوءني ، ولكني أعيبه على كثير ممن يكتب عن المتنبي ، حين يذكر أمر « العلوية » فيما يكتب ، كأنها مسألة مقررة متفق عليها في الذي تلقيناه عن رواة أخبار المتنبي من القدماء ! فإذا بدا لأحدهم أن يذكر مرجعاً ، لم يذكر إلا مرجعاً نقل عني هذا الرأي واستخدمه فيما يكتب !! وأنا لا أبالي بهذا الإغفال ، لأن الإغفال لا يقدح في عملي ، / وإنما يقدح فيهم هم أنفسهم ! ولكن ، هكذا زماننا وأهله ، كما وصفته ، ووصفتهم في أوائل هذه القصة .

...

(١) ناقش الأستاذ عبد الوهاب عزام في كتابه عن المتنبي أخبار هذه النبوة ، فصار يتابعني خطوة خطوة ، دون أن يشير إلى كتابي ! ولم يستكف ، حين ناقش هذا الخبر ، أن يأخذ عني لفظ « الإقحام » حيث قال : « فدعوى النبوة فيه مسبوقة وملحوقه بدعوى العلوية ، وكأنها مقحمة في الرواية » ، وعلى أنها عبارة سيئة « فهي فعل سئ أيضاً !! وانظر هذا السفر ص : ٢٠٨ ، ص : ٢٠ ، ثم ص : ٢١٣ ، ص : ٧ .

(٣ ، ٤ ، ٧) الفقرة الثالثة والرابعة والسابعة

كانت « علوية » أوى الطيب فرضاً فرضته ، واستدللت عليه بأدلة يَبْتُهَا في كتابي ، ثم أصبحت الآن ، بحمد الله ، أشبه بالحقيقة كما رأيت آنفاً . وكان التناقض ظاهراً بين شخصيته التي يُكُونُها تذوق شعره ، وبين شخصيته التي يدل عليها تذوق أخباره ، فصار الفرض الذي فرضته قادراً على إزالة هذا التناقض ، وعلى كشف بعض الغموض الذي يحيط ببعض شعره وبعض أخباره . وكان من أخباره التي حيرتني أن أبا الطيب كان « يَكْتُمُ نَسَبَهُ وَيَطْوِيهِ عَنِ النَّاسِ » ، وكانت هذه حقيقة يدل عليها تذوق شعره دلالة بيّنة ، بل أكثر من ذلك : أن الشعر والأخبار جميعاً يدلان على أنه كان يُسأل عن نسبه . أما شعره ، فيجيب سائله بالازدراء والازورار والتعالي والثقة ، وأن فخره بنفسه لا يجوده ، وإن كانوا هم فخر العرب جميعاً ، وأشبه ذلك في مواضع متفرقة من شعره صغيراً وكبيراً . وأما أخباره ، فالسائلون عن نسبه يزعم كل منهم أنه أجابه بجواب عن علة كتمان نسبه ، وهي أجوبة متباينة غير مقنعة ، كما تراه في أخباره ، ولكنها تحمل أيضاً معنى الذل / والاستخذاء والحيرة ، وهو تناقض مُريب . هذا على أن « كتمان النسب » ، هو في ٢٨٢ ذاته أمرٌ محير ، فإني لم أجده له مثيلاً أو شبيهاً في تراجم الشعراء ، ولا في تراجم الرجال ، لا في عصره ، ولا فيما قبل عصره . وإذا كان الكتمان مما يجوز أن يفعله الرجل مرةً أو مرات ، وهو يجوب البوادي ويطويها ، فإنه غير جائز ولا مفهوم أن يفعله رجلٌ وُلد بمدينة كالكوكة ، ونشأ بها ، وبقي فيها حتى بلغ السابعة عشرة من عمره ، فأهلها يعرفون من هو = فإذا ما نزل مدينة أخرى كالمدن التي أقام بها في الشام أو في العراق أو في مصر ، كتم هذا النسب ، ولعل آفاً من أهلها ينتسبون إلى نفس القبيلة التي ينتسب إليها ، ولكنهم لا يكتمون أنسابهم كما يكتم هو نسبه ، ولا يتخوف أحدٌهم ثاراً ولا طائلةً من أحد ، فأى شيء يلجئ إلى الكتمان ؟

كان هذا « الكتمان » غريبة من الغرائب ، ولم يصبح جائزاً أو مفهوماً إلا مع الفرض الذي فرضته . فكَذَلِكَ صار كتمان أوى الطيب نسبته « العلوية » ، وصارت أسبابه

وعلله ، جزءاً لا يتجزأ من شخصية أبي الطيب ، لأن النسب « العلوي » ليس عارضاً يزول بزوال أسبابه ، بل هو لاحق لمن وُلد « علوياً » ، وهو قائم أبداً في نفس صاحبه لا يزيله ، سواءً عَادَى « العلويين » وكرههم ، أو صادقهم وأحبهم . فإذا كان صاحبه مرغماً على إخفائه وكتمانه ، ولكنه مُصِرٌّ إصراراً على محاولة إظهاره ، كما فعل أبو الطيب ، ثم طَوَّقَته أغلالٌ تُؤوِّدُه ، فلا شكَّ عندئذ في ظهور أثر هذه المعاناة في حياته وفي شعره خاصة .

/ وعلى ذلك ، فقد صار لازماً عليّ أن أعود فأرتب شعره كُلّه منذ سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٣٦ ، وهو القسم الأول من الديوان ، ترتيباً جديداً يجعل حركة وجدانه في شعره متسقةً مفهومة ، على اختلاف أحواله ورحلاته في مدة تزيد على عشرين سنة من حياته . فلما فعلت ذلك ، تبين لي ، في إعادة قراءة الديوان ، أن أكثر الغوامض المبهمة في ديوانه قد تبددت وزالت ، وتجلت لي شخصية أبي الطيب واضحة ، وصارت حركة وجدانه في شعره ظاهرة متسقة في ترددها بين الثورة والخمود حيناً ، وبين الأمل واليأس حيناً آخر ، تبعاً للأحداث التي مرَّ بها في خلال عشرين سنة ، وهي أحداث لا نكاد نجد في تراجمه خبراً يدل عليها ، وإنما يستنبطها تذوق شعره لا غير . وعندئذ تبين لي سياق هذا « الكتمان » الذي لا أجده له شبيهاً أو مثيلاً في عصره ، فإن أبا الطيب وُلد بالكوفة في ديار العلويين ، وبقي بها حتى كبر ، وفي سنة ٣١٧ تقريباً مدَّح علوياً مدحاً يدل على شدة التعلُّق والحب وحفظ جميل أياديه عليه ، [انظر ما سلف قريباً ص : ٥٧ ، ٥٨] . ثم علم بعد زَمَانٍ من جدته أمر « علويته » ، فقلق وأنف أن يبقى أمرها مكتوماً ، ولكنه لم يستطع إلا أن يفارق الكوفة إلى الشام في أواخر سنة ٣٢٠ ، وحاول أن يظهر أمر « علويته » ، فجمع جمعاً من المقاتلة تنصُرُه على إظهار نسبته العلوية ، فأخذ وسجَن .

وهو حين دخل السجن في سنة ٣٢١ ، إنما دخله « علوياً » مُطالِباً بإظهار نسبته

إلى « العلويين » ، وكان الذين أدخلوه السجن وقيدوه وآذوه / وساموه الخسف جماعة من « العلويين » . والذي لقيه من السجَن وفي السجَن على أيديهم ، كانت قسوته وشراسته

كافيةً في تذكيره بقوة هؤلاء « العلويين » . فلما أُطلق سراحه وخرج في سنة ٣٢٣ ، خرج من السجن « علويًا » كارهًا للعلويين مُزورًا عنهم ، أو كما يقول ابنُ العديم : خرج « مخالفًا للشيعه » ، وأضمر هذه الكراهة وانطوى عليها .

ولكنَّ جدته استدعته بعد ذلك إلى الكوفة ، فترك الشام ، سنة ٣٢٥ تقريباً ، وبقي بالكوفة زمناً ، ولكنه أكره على الخروج منها ، فعاد إلى الشام في سنة ٣٢٦ ، نائراً يائساً ، يملأ شعره تهديداً ووعيداً ، ولكنه لا يملك إلا « الكتان » ، وما هو إلا التلويح دون التصريح ، فلم يأت في شعره الذي قاله منذ سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٣٥ لا للكوفة ولا للعلويين ذِكرٌ ، ولا لمطالبته بإظهار نسبه بيانٌ .

ثم إذا بنا نفاجاً في سنة ٣٣٥ ، بشعر فيه تهديدٌ ووعيدٌ ومطالبة ظاهرة ، وذلك حيث خالف سنة الشعراء ، فافتح مدح على بن سيّار بن مكرم التميمي ، بمدح نفسه أولاً ، في قصيدته التي أولها :

أَقْلُ فَعَالِي ، بَلَّةَ أَكْثَرُهُ ، مَجْدُ وَذَا الْجِدِّ فِيهِ ، نَلْتُ أَوْ لَمْ أُنَلْ ، جَدُّ
سَأَطْلُبُ « حَقِّي » بِالْقَنَا وَمَشَايِخ كَأَنَّهُمْ مِنْ طَوْلِ مَا آلَشَمُوا مُرْدُ (١)

/ وهذا سَعْيٌ وعَمَلٌ وتهديدٌ ووعيدٌ ، وأنه سوف يطلب حقه بالسيف . ثم نفاجاً م ٨٥
مرة أخرى بذكر « العلويين » في سنة ٣٣٦ ، بعد مضي ثلاث عشرة سنة ، منذ خرج من السجن سنة ٣٢٣ ، وأنَّ العلويين كانوا قد أعدوا له السُودان بكفر عاقب ليقتلوه « وهو في طريقه إلى ابن طغج » ، [انظر ما سلف فيها من : ٥٢] . ولا نكادُ نعلم لذلك سبباً البتة في أخباره ، لم فعلوا ذلك ؟ بيد أن قصيدته التي قالها في رثاء جدته ، تكشف الثُّقاب عن هذه الحادثة وتدُلُّ عليها وتفسرها .

وذلك أن جدته أرسلت إليه قبل ذلك بسنة تقريباً ، سنة ٣٣٥ ، تَسْتَجْفِيهِ وتشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها (من عشر سنوات ، سنة ٣٢٥) ، فتوجه إلى

(١) راجع القصيدة في ديوانه ، فهي كثيرة الدلالات على ما نقول .

العراق ، فمنعه « العلويون » من دخول الكوفة ، فأرسل لها كتاباً يسألها المسير إليه ، حيث مُنِعَ وحُبِسَ عن دخول الكوفة ، فقُبِلَت الكتاب وفرحت فرحاً غامراً ، فلما أرادت أن تفعل ، أبلغها العلويون أنه قد مات ، فحُمِتْ وماتت غمّاً . وملاً أبو الطيب مريته لجدته بمعانٍ كثيرة ، يُفسّرها ويكشف غموضها الفرض الذي كنت افترضته ، والذي صار الآن أشبه بالحقيقة كما قلت .

وتمرُّ الأحداثُ بعد ذلك ، والنسب المكتوم يحرك وجدان أبي الطيب ، وتحوّل شخصيته تحوُّلاً ظاهراً غريباً بعد ذلك ، كما سأفسّره ، ويبقى منعه من دخول الكوفة ، الذي أدّى إلى وفاة جدته ، كامناً يحرك وجدانه ، حتى إذا كانت سنة ٣٥١ ، أي بعد ست عشرة سنة ، حين خرج من مصر ، / وقطع الفيافي والفلوات حتّى بلغ الكوفة ، فدخلها ظافراً مُراعماً للعلويين الذين سأموه الخسف من قديم ، فلم يكد يدخلها حتى قال :

فلما أنحنّا ركزنا الرما ح بين مكارمنا والعلّى
وبتنا نُقبّل أسيافنا ، ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ، ومن بالعراق ، ومن بالعواصم ، أتى الفتى
وأتى وفيت ، وأتى أبيت ، وأتى عتوت على من عتا
وما كُلُّ من قال قولاً وفى ، ولا كُلُّ من سيم خسفاً أبى

وهذا بين جدّاً ، كما ترى . ولكن ولكن لم يكن « كتمان العلوية » هو وحده سرّ الفقرة الثالثة من عمود صورة أبي الطيب ، بل كان له قرين آخر لا يقلُّ عنه قوةً وتحريكاً لوجدانه في شعره كُلّه ، بل لعله كان أقوى منه وأعمق أثراً في حياته .

فالمتنبى ، قد وُلِدَ بالكوفة سنة ٣٠٣ وبقى بها إلى أن جاوز السابعة عشرة من عمره سنة ٣٢٠ تقريباً ، وقال الشعر صغيراً ، من سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٢٠ . ومع ذلك ، فالذى أثبتته في ديوانه من شعرٍ قاله في مدة مُقامه بالكوفة صبيّاً لا يزيد على ٩٤ بيتاً : سبع مقطوعات عدد أبياتها ٣١ بيتاً ، وقصيدة تفكّه بإثباتها في شعره متنهدراً برجل

كوفي يدعى الفلسفة وأبياتها ٢٠ بيتاً ، وقصيدته التي مدح بها العلوي الكوفي ، وهي ٤٣ بيتاً . وهذه القصيدة والمقطوعات السبع ، تدل جميعاً على همّة متميزة في إتقان الشعر / منذ هذا الزمن المبكر ، وتدل أيضاً على همّة عالية موفورة الجذ ، وعلى ثقة شاحخة م ٨٧ بالنفس ، وعلى طموح بعيد لا يتردد . ومع ذلك ، فهذا الشاعر المتقن العالی الهمّة الطموح والواثق بقدرته ، لم يحركه ما حرك مئات من أقرانه الشعراء وغير الشعراء ، إلى فراق الكوفة الصغيرة الفقيرة تطلّعاً إلى المجد والشهرة والصيت في بغداد عاصمة العواصم ، ومقر الخلافة ، ومجتمع أصحاب السُلطان والثروة والجاه .

لا ، بل قد دخل بغداد ، حدثنا هو بذلك في خبر روى عنه ، ذكرته في هذا السفر [١٩٢ - ١٩٤] ، وحدثنا به ابن جني أيضاً فقال : أخبرني بعض أصحابنا قال : جيء بالمتنبي = يعني شاعرنا = إلى أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، فقيل : إنه شاعر . فقال : أنشدنا ، يا فتى ، شيئاً من شعرك . فأنشده المتنبي :

مِتْ إِنْ لَمْ تَأْخُذُوا بِدِمِي ، يَا لَقَحْطَانِي وَيَعْرِيَّة

قال : فمسح ابن دريد يده على رأسه وقال : لا ، بل نأخذ بدمك . (١)

وابن دريد كان ببغداد سنة ٣٢١ ، وكان دخول المتنبي بغداد ، كما استظهرته في كتابي ، سنة ٣١٩ ، أو ٣٢٠ . [انظر هذا السفر ص : ١٩٧] . / ومع أنه دخل بغداد وهو شاعر م ٨٨ طموح يريد أن يتألق ، فإن عظمتها وفتنتها لم تأخذ بلبه ، ولم يفكر ساعة في المقام بها يزاحم شعراء الكبار الذين حازوا مجدهم ببغداد ، وفارقها إلى الشام ، لا « علويًا » يطالب بإظهار نسبه فحسب ، بل فتى « عربيًا ثائرًا » منكرًا للذي رآه في بغداد من استيلاء الأعاجم على سلطان الخليفة العربي وتخوينهم له حتى تركوه بلا سلطان ، وكأنه

(١) هذا الخبر نقلته من مجموع أوراق لابن جني ، محفوظ بالأسكوريال تحت رقم : ٧٧٨ باسم « كتاب مجموع في علم البلاغة » . وهذا البيت ليس في ديوانه ، ولا في زوائد الراجكوتى ، وهو من شعر صباه الذي أسقطه المتنبي من ديوانه أو نسبه .

بعدئذ جعل إظهار علويته وَسِيلَةً يَتَذَرَّعُ بها لجمع الجموع ، ويشارك في هذا الصِّراع على السلطان ، فلعلَّه يصيبُ نجاحاً . وهو ، لعروته وعلويته ، أخلق من هؤلاء بالسلطان .

وأنت إذا قرأت القصيدة الثانية عشرة في ديوانه ، بعد التسع التي ذكرناها آنفاً [ص : ٦٤ ، ٦٥] ، تراها دالَّةً على هذه المعاني ، وقالها قبل أن يقبضَ عليه ويسجن ، فهو يذكر فيها رِحلته من الكوفة إلى بغداد إلى الشام ، وإقامته بأرض نَحْلَةَ « كمقام المسيح بين اليهود » ، ويذكر إعداد نفسه للقتال ، وأنَّ فَضْلَهُ الذي يفضُّله على الناس لا يقنع « بعيش معجَّل التنكيد » ، ويحدِّث نفسه بالعزَّ والقَلْبَة ، ويحدِّث عن شرفها المُغْنِيهِ عن الفخر بالجلود ، وهم فخر الناس جميعاً ، ويقول :

عِشْ عَزِيراً ، أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَحَقِّقِ الْبُنُودِ
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي ، وَدَعْ الدُّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ

إلى أن يقول :

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا ، فَعُجِبْ عَجِيبٌ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ

٨٩ م / ثم لا يزال الأمر به حتى يدخل السِّجْنَ ، ويعلم علم يقين أن أمر إظهار علويته مرة أخرى ، دونه متالف وسدود ، فلا يزال يتردَّد بين الرجاء واليأس من ظهور علويته منذ خرج من سجنه ، ولكنه لم ييأس من أن يجد في أصحاب السطوة والشوكة عربياً يَشْفِي ما في نفسه من الغيظ على الأعاجم الذين استفحل سلطانهم على الخلافة ، وخاصة منذ رأى الفتى العربيَّ الثائر الذي أوقع بعمر بن حابس من بني أسد ، وبني ضَبَّة وبني رياح من تميم ، والذي أثار إعجابه ، فقال فيه قصيدة لم ينشدها بين يديه ، وإنما بقيت محفوظة عنده ، حتى أثبتتها في القسم الثاني من ديوانه . [انظر ما سلف ص : ٣٨ ، والتعليق هناك] كان ذلك في سنة ٣٢١ قبل سجنه ، وكان الفتى هو سيف الدولة في أوَّل نشأته ، فقال له :

وَتَعَذَّرُ الْأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهَرَهَا ، إِلَّا إِلَيْكَ ، عَلَيَّ ظَهَرَ حَرَامِ
(أَنْتَ الْقَرْيَةُ) فِي زَمَانِ أَهْلِهِ وَلِدَتْ مَكَارِمَهُمْ لَغَيْرِ تَمَامِ

وقضى الأيام منذ خرج من السّجن ، « والعلوية » و « العربية » معاً تحرّكان وجدانه اشتعالاً ومُحموداً ، فلا تكاد تخطيء في شيء منها حديثاً عن نفسه ، وعن بغضائه للأعاجم ، وعن حُبّه للعرب . فما يلقي من أحدٍ إلّا وهو يفتش فيه عن هذا المأمول الذي يثير وجدانه ، ثم يبلغ أقصى توهّجه ، في سنة ٣٢٦ ، حين يجده في العربيّ « بدر ابن عمار بن إسماعيل الأسديّ » وإلى طبريّة ، فيحمل شعره في بدر « نفس ثورة الوجدان التي تلقاها عند لقائه سيف الدولة العلويّ العربيّ سنة ٣٣٦ ، بعد أن حنّكته التجارب .

/ وكانت سورّة نفسه في العهدين ، سورة رجلٍ سياسيّ عربيّ يرقّب ما يحيط به ، ٢٩٠ ويطرحُ على الرجل العربيّ الذي يؤمّله ، ويؤمل بلوغ أمله في سطوته وشوكته = كُلّ ما في نفسه من أهداف تحدّدها له عُرويته واعتزازه بها . إلّا أن الفرق بين العهدين واضح جداً ، لأنّ شعره في سيف الدولة ، لم يكن قاصراً على هذا وحده ، بل كان يتجاوز حدود هذا الإحساس الكامن فيه ، إلى الإحساس بالملحمة القديمة التي بدأت منذ عهد رسول الله ﷺ ، بين النصرانية الرومية ، والإسلام ، والتي ظلّت تتصاعد على ثغور الشام شيئاً فشيئاً ، حتى كان زمن سيف الدولة ، فظهرت ظهوراً بيّناً ، تحلّد المتنبي ملحمة العظيمة في شعره الذي قاله في عشر سنوات ، (من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٤٦) عند سيف الدولة . (١)

ومعنى ذلك أنّ أبا الطيب ، قبل أن يلقي سيف الدولة في سنة ٣٣٦ ، كانت همومه تتنازع ، بين « علويته » التي يكتُمها مُرغماً ، والتي كانت تُؤمّله ، لو أطاق ، أن يدفع عن دولة العرب سلطان الأعاجم = وبين آماله في أن يجد عربياً ذا سلطانٍ وشوكة وطموح ، يحقق له ولائته ما لا يطيقه هو من القضاء على سلطان الأعاجم .

(١) حروب سيف الدولة في ثغور الشام ، هي طلائع « الحروب الصليبية » التي بلغت مداها في أول حملة صليبية سنة ٤٨٩ هجرية ، أي بعد قرن ونصف تقريباً .

فلما لقي سيف الدولة « ونزل من نفسه المنزلة التي نعرفها ، وأقام معه عشر سنوات من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٤٦ ، اندمج الأمران فصارا هُماً / واحداً وأملاً واحداً ، وأصبح أبو الطيّب شخصية « سياسية » ذات آمال كبيرة تحركه ، وقد بينت ذلك في الفصل الثاني عشر من كتابي ، [هذا السفر ص : ٣٠١ - ٣٣٢] ، وموضع أخرى كثيرة من الكتاب من أوله إلى آخره ، تدل على هذا أو تتصل به .

...

(٥ ، ٨) الفقرة الخامسة والثامنة

وأما هاتان الفقرتان من « عمود الصورة » وهُما تتضمنان البيان عما يحركه من عواطف الحب التي لا يخلو من جميعها بشر ، فإنني وقفت على جميعها بتذوق شعره لا غير ، ومراقبة حركة وجدانه تبعاً لحركتها حدة أو فتوراً . أما الأخبار عن ذلك ، فليس في أيدينا شيء يؤيدّها ، أو يهدى إليها .

ومن أول ذلك ، ما استخرجته استخراجاً من أن أبا الطيّب كان يحب خولة أخت سيف الدولة ، وقد ذكرت بعض حجتى فيه في الباب الثالث عشر [هذا السفر : ٣٣٣ - ٣٥٥] ، منذ كان أبو الطيّب في جوار سيف الدولة ، ثم بقاء هذا الحب عاملاً ظاهراً في شعره بعد فراقه في سنة ٣٤٦ ، ثم ما بعد ذلك مدة إقامته عند كافور ، ثم فراقه كافوراً إلى العراق ، ثم إلى فارس ، إلى أن قتل .

/ وهذا الذى استنبطته بالتذوق ، كان كثيراً جداً ، ولكنى اختصرته اختصاراً في كتابي ، ومع ذلك فإنه قد يسر لي أن أقرأ شعر أبى الطيّب كله منذ نشأته قراءة تكشف عما كانت تكنه نفسه من هذه العواطف الإنسانية ، في مطالع قصائده منذ شبابه ، وفي ثنايا حكمته التي يضمّنها شعره ، ولا يبدو لأوّل وهلة أنّها من أثر هذه العواطف التي تحرك وجدانه . وقد لخص الرافعى ، رحمه الله ، رأيه فيما كتبت في كلمته في الرسالة حيث يقول : « والأدلة التي جاء بها المؤلف ، تقف الباحث المدقق بين الإثبات والنفي .

يمتني لم يستطع المرء نفيّاً ولا إثباتاً في خير جديد يكشفه الباحث ، ولم يهتد إليه غيره ،
نهذا حسبك إعجاباً يذكر ، وهذا حسبه فوزاً يُعَدّ . [هذا السفر : ٥٧٩] .

ومضت سنوات طوال منذ صدر كتابي عن أبي الطيب ، وكاد هذا الفرض
المستنبط أن يفوز بما يؤيده من الأخبار المروية ، كما فاز فرض « العلوية » بما يؤيده كما
عرفت قبل [انظر ما سلف من : ٥٥ ، ٥٦] . فقد دَخَلَ علينا في المجلس ليلاً صديقي الكريم
الدكتور محمد سامي الدهان ، وذلك قبل مرضه الذي لم يُقِلِّته حتى قَضَى نَحْبَهُ في يوليو
سنة ١٩٧١ ، وكان عائداً من إحدى سفراته في البلاد التي تحوى المخطوطات العربية التي
وقعت في أسر الأعاجم ، ولم يكد يجلس حتى قال : بُشْرَى ! بُشْرَى عظيمة ! وبدأ
يتحدّث عن سَفَرِهِ ، وأنه كَانَ قد نَوَى العودة إلى دمشق = ، ولكن شيئاً جديداً قد ثَنَى
عِزَّهُ وأرغمه على أن يقطع هذه النية ويعرّج على مصر . وذلك أنه قد ظفر بنصٍّ يؤيدني
كُلُّ التأييد في مسألة حبّ أبي الطيب حَوَلَة أخت سيف الدولة ، وأنه / سوف يعود إلى ٩٣ م
دمشق ، فيرسل النصّ كُلَّهُ مصوراً . وتشعّب الحديث بين أهل المجلس وطال ، وحان
وقت انفضاضه ، وودّعته دون أن أعرف منه شيئاً يُفيدني اليوم . وعند وداعه كرّر أنه
سيرسل النصّ مصوراً ، ورحل إلى دمشق في اليوم التالي . ومضت الأيام . ومرض ، وجاء
بعد ذلك نعيه ، وفقد أهل العلم رجلاً كبيراً من العلماء ، وفقدته أنا معهم ضعفين من
الفقد ، وقدّر الله أن يبقى هذا الاستنباط فرضاً مبنياً على تذوق الشعر ، حتّى يكشف
اللاثم عن سرّه خبر من الأخبار ، وندعه حتى يكون ، وهو كائن إن شاء الله .

أما عاطفة الحبّ التي تتمثل في عواطف الناس على اختلافهم فطِرة فُطِروا عليها ،
فإن أظهرها ظهوراً حُبّه لجده التي كفلته يتيماً ونشأته وسدّدت حُطّاه ، وكشفت له عن
سرّ مولده « علويّاً » ، يوم أطاق أن يحمل السرّ . وكان من عمق هذا الحبّ في نفسه : أن
ترك آثاره مكظومة في ألفاظ شعره ، يتبيّن المتذوق من وراء هذه الحجب . فلما ماتت
ورثاها بقصيدته الميمية ، مهّد لى تذوقها أن أعرف مقدار الصّدق في عواطف أبي

الطيب ، وأن أقف على أسلوبه في الكشف المثلث عن هذه العواطف ، ^(١) وعندئذ
تمكنت من استخراج الدلالة من شعره على زواجه [الباب السابع ص: ٢٣٩ ، وما بعدها] ، وعلى تاريخ
ولادة ولده « محمّد » سنة ٣٢٦ [ص: ٢٤٠] ، / ثم ما كان من مرض زوجته وموتها في سنة
٣٣٧ [ص: ٣١٨ - ٣٢٢] ، وأشياء أخرى كثيرة تراها مفرقة في الكتاب .

...

(٦) الفقرة السادسة

كان أبو الطيب قد أتمّ الثالثة والأربعين من عُمره ، حين عزم على فراق سيف
الدولة = لم يفارقه مختاراً لفراقه ، فإن سيف الدولة كان مثلاً حياً لكلّ ما كان مكتوماً
في نفسه من الآمال والأحلام . وفي السنوات العشر التي لازمه فيها كان يزداد له محبة
وتوقيراً ، وأفضى كلّ واحد منهما لأخيه بأسراره وغاياته في الحياة السياسية التي
قامت على « دولة الحَدَم » من الأعاجم . ولم يكن مقامه للمال ، كما يقول ذلك من
يقوله ، وقد دلّتنا سيرته كلّها على أنه إذا لَقِيَ العربيّ الرُّجُلَ الذي يتوهم فيه آماله
وأحلامه ، لم يبالِ بالمال أو (طلب المعاش) ، بل ببلوغ الآمال أو (طلب المعالي) ، كما
بينت ذلك في مواضع من كتابي [هذا السفر: ٣٠٤-٣٠٥] ، بيد أن « الوشاة » و « الحساد » ، قد
أكثروا السعاية في حقّه ، حتى ظنّ ظناً بلغ اليقين أن قلب سيف الدولة قد تغيّر عليه ،
وكان هو بطبيعته شديد التوجّس ، وكان حبّ « خولة » قد بلغ به شفاهاوية بسعاية
الساعين والكائدين ، وبلغ منه هواها ذروة شائخة محلقة يضيّق بها صدره كأنما
يصعدّ في السماء ، / [هذا السفر: ٣٥٧ وما بعدها] ، فاتخذ الليل مركباً وطار إلى دمشق ، وكأنه
يقول لنفسه ، ما قاله بعد ذلك بسنوات :

ضربتُ بها التّيه ضربَ القَمَارِ : إمّا لهذا ، وإمّا لَذا

(١) انظر الباب الثاني ص: ١٦٣ ، والرابع ص: ١٨١ ، والباب العاشر ص: ٢٧٣ ، ومواضع أخرى

إِذَا رَاحَةُ النَّسِيَانِ ، وَإِنَّمَا رَاحَةُ الْهَلَاكِ ! أَصِيبَ الرَّجُلُ فِي هَوَى قَلْبِهِ ، وَفِي آمَالِهِ
السياسية ، وَفِي الرَّجُلِ الَّذِي لَا يَجِدُ لَهُ شَيْباً أَنِّي تَلَفْتُ خَبْرَهُ بِالرَّجَالِ وَالْأَعْمَالِ ،
وَدَاخِلَهُ الْيَأْسَ ، وَتَمَتَّى الْهَلَاكِ ، وَمَاتَ اللَّهْيَبُ فِي نَفْسِهِ ، وَرَمَتْهُ الْبَوَادِي وَالْفُلُوتُ إِلَى أَرْضِ
مِصْرَ ، وَإِلَى كَافُورٍ ، فَلَمْ يَمْلِكْ إِلَّا أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمَا فِي نَفْسِهِ ، فَابْتَدَأَ قَوْلَهُ حِينَ لَقِيَهُ :

كَفَى بَكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِئاً وَحَسَبُ الْمَنَآيَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا
تَمَنِّيْتَهَا لَمَّا تَمَنِّيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقاً فَأَعْنَى ، أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِيَا

ومنذ ذلك اليوم وآمال أبو الطيب كلها تتقلص ، وكل يوم يمضي بقطعة من
نفسه ومن آماله تقع في حوزة الأُمس الذي لا هو يُرد ولا هو يُسترد . ذهب أبو الطيب
الأول ، وجاء أبو الطيب الثاني ، فكان يرى ذلك رأى العين وهو يكظم في نفسه كظماً
يذيب القلوب ، « فَأَيْنَ الشَّبَابُ ، وَأَيْنَ الزَّمَانُ ! » . وبقي على ذلك في مصر حبيساً في
قبضة كافور من جمادى الأولى سنة ٣٤٦ إلى أواخر سنة ٣٥٠ . وفي هذه المدة صار
شعر أبي الطيب نمطاً آخر غير النمط الذي كان أولاً مع بدر بن عمار الأسدي ، ثم تم
تمامه مع سيف الدولة . ولكنه كان قد صار شاعراً محنكاً معقداً / المهارة في صياغة معانيه
وألفاظه ، يحتاج تذوقها إلى خبرة بأساليب صياغته كلها ، منذ بدأ الشعر فتى جاداً
قليل الإغضاء عن التجويد ، ثم شاباً كثوماً يزلزله ما يكتمه ، ثم مكتهلاً يتفجر الشعر منه
مغموساً في صينغ الحوادث التي تمر به ، فلا هي تحول ألوانها ، ولا هو ينساها أو يغفل
عن آثارها في نفسه .

وَالآنَ سَقَطَ وَحِيداً فِي تِيهِ الْغُرْبَةِ ، عَادَ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ ، وَلَكِنْ شَتَانٌ !!! فَهُوَ يَقُولُ فِي
غُرْبَةِ الصَّبِيِّ الْبَعِيدِ ، وَاثْقاً مُدْبِلاً مُتَحَدِّياً :

أَنَا فِي أُمِّةٍ ، تَذَارَكَهَا اللَّهُ ، (غَرِيبٌ) كَصَالِحٍ فِي ثَمُودٍ

وهو اليوم في غربة الكبر ، أواخر عهده بمصر وكافورها ، يقول متحيراً ضائعاً
مستسلماً :

يَمُ التَّعَلُّ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنُ
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فِي نَفْسِهِ الزَّمَنُ

وإذا كان ، وهو في صباه قادراً على أن يخرج من بغداد ممتلئ النفس قوةً وتحدياً ، حين سمع وسمع الناسُ أحدَ المماليك قادة الأعاجم ، قد وضع التاج على رأسه مكللاً بالدرّ والياقوت ، وجلس على سرير من فضةٍ حوَالَيْهِ الذهبُ مرصعاً بالجواهر ، ويقول للناس متكبراً متجبراً : « أنا أرَدَ (دولة العجم) وأبطل (دولة العرب) » ، ^(١) وإذا كان يومئذ قادراً على أن يرُدَّ على كلمته / هذه في شعره ثائراً مهذّداً متوعّداً هازئاً :

سَيَصْنَحُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ
بِكُلِّ مُنْصَلَبٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي حَتَّى أَذَلْتُ لَهُ مِنْ (دَوْلَةِ الْخَدَمِ)

.... فالآن ، مريداً أو غير مُريدٍ ، يجد نفسه لساناً ناطقاً في « دولة الخدم » ، ويتورط في المحنة تورطاً مؤيساً ، في طريق طويل من أول مقدمه على كافور سنة ٣٤٦ ، إلى أن ينتهي عند عضد الدولة الدَّيْلَمِي في سنة ٣٥٤ ، ويختم شعر هذه السنوات المذلة ، باليأس والضَّيَاع بهذه النَّفْثَةِ ، [وهي آخر ما قاله أبو الطيب] :

إِذَا اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ فَأَقْتُلْ مَا أَعْلَكَ مَا شَفَاكَ
وَأَتْنِي شَيْتٍ ، يَا طُرْقِي ، فَكُونِي ، أَدَاةً ، أَوْ نَجَاةً ، أَوْ هَلَاكاً

كان داؤه فراق (دولة العرب) تحت ظل سيف الدولة ، فطلب البرء والشفاء في (دولة الخدم) ، فإذا هو داءٌ لا شفاءً ، وكان أقتل الداعين ! وألقى يومئذ السَّلمَ ، مُدْعِناً ضارعاً منقاداً لما تأتى به المقادير .

لذلك ، فقد كان شعره في هذه السنوات التسع الأخيرة من عُمره مختلفاً كل

(١) هو « بحكم التركي » ، قال ذلك في حوالى سنة ٣٢١ أيام كان المتنبي ببغداد . انظر كتاب الأوراق للصولي ، في أخبار الراضى ص : ٦٢ .

الاختلاف من جميع شعره ، مبيناً له في الصياغة ، حافلاً بمهارات لا يطبقها إلا قلة من الشعراء الكبار ، ثم لا تتأني لهم إلا حين يقعون في المحنة المحرقة ، بين وجوب الكتان وضرورة الإفصاح = بين ما يُظنون في أغوار أنفسهم ، وما يظهرونه فيما يجري على ألسنتهم . وشعر هذه السنوات / التسع ، لم يقرأه أحدٌ بعناية كافية ، وكل ما خرج به قارئو شعر المتنبي هو هذه القضية الرثة السخيفة : أن المتنبي مدح كافوراً ثم هجأه ! وأشباه ذلك من القضايا المستبردة الهالكة ، يتعالم بالحديث فيها دفاعاً عنه أو قدحاً فيه من يتعالم . وشعر أبي الطيب في هذه السنوات ، كان خلاصة تجاربه في حياته ، وجماع معرفته بالرجال والأمم ، وثمرة ناضجة قد استمدت إثناءها ونضجها ومذاقها من حياته كلها ، منذ كان صبياً إلى أن بلغ ما بلغ ، حيث وقع التناقض بين آماله التي عاش بها وفيها أكثر من ثلاثين سنة (٣١٤ - ٣٤٦ هـ) ، وبين الواقع الذي يصبح فيه ويُسمى ، وهو في قبضة (دولة الخدم) أننى ذهب .

كانت ألفاظ شعره هذا تحيل كل ما يتكتمه من الكراهة والازدراء والاستنكاف مما هو فيه ، وإن كان ظاهرها يندع سامعه عن حقيقة ما يكتمه . وقد استوقف هذا الشعر ، في حياة أبي الطيب نفسه ، بعض سامعيه أو قارئيه ، كابن جني وغيره . فإن ابن جني كان يقرأ على المتنبي شعره في كافور ، فرمما وقف على البيت من المدح قد انطوى على معنى من الهجاء ، فيضحك ابن جني ، ويضحك المتنبي لأنه كان يقصد به الهجاء . والمتنبي قد أغنانا عن هذا بقوله في كافور ولقبه « الكركدن » ، [وهو حيوان عظيم الجثة ، قصير القوائم ، غليظ الجلد أسوده ، له قرن واحد ، وهو الخرتيت ، وحيد القرن ، شبه الأسود كافوراً به] :

وشعرٍ مدحتُ به الكركدن بين القريض وبين الرقي

وما كان ذلك مذحاً له ، ولكنه كان هجواً للورى

/ وقد بلغ أحد المتأخرين الغاية في ذلك ، وهو عبد الرحمن بن حسام زاده الرومي (أى التركى) (١٠٠٣ - ١٠٨١ هـ) ، فقد ألف كتاباً سماه : « رسالة في قلب

كافوريات المتنبي ، من المدح إلى الهجاء ، ونشره الدكتور محمد يوسف نجم . ومؤلف الكتاب تركيُّ أجاد العربية وخالط أهلها طويلاً ، وقد كان حيث نزل في حلب والقدس ودمشق والقسطنطينية مألُفاً للأدباء ، وله أَلَفُ يوسف البديعي كتابيه : « ذكرى حبيب » و « الصبح المنبي ، عن حيشة المتنبي » . وقد استقصى المؤلف مدائح كافور قصيدة قصيدة ، فبينَ ما يضمُرُه المتنبي من الذم لكافور ، وإن كان ظاهرُ اللفظ يوهم المدح . وهو كتابٌ غريبٌ فريدٌ . أجاد المؤلف فيه مع سوء عبارته ، وأصابَ الصوابَ من وَجْهِه ، وأخطأ من وَجْهِه آخر . وقد أشرت قديماً إلى المعنى الذي قصده المؤلف في كتابي هذا ، [١٩٥ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢ - ٣٦٦] .

ولكن القضية ليست محصورة في ألفاظ قصدها أبو الطيب قصداً ، وجعلها رموزاً لها ظاهر مكشوف ، وباطنٌ مضمر ، بل القضية في صياغة شعره في حقتين متباينتين : تَرَكْتُ كُلَّ حَقبةٍ منهما أثرها الواضح على صياغته وألفاظه بلا قصيد متعمد ، يستطيع المتذوق أن يميزه تمييزاً واضحاً ، لأنَّ كُلاًّ منهما خرج من نفس واحدةٍ جميعية ، مصبوغاً بصبغة الحقة التي انغمست فيها انغماساً إلى الأعماق . كان شعراً يَقْصِمُ كُلَّهُ عن نفسٍ متطلقة متهللة واثقة ، تستخفها الآمال والآلام والأحزان ، ماضية إلى فضاءٍ فسيح تبسطه البهجة المنيرة من شمس مُشرِقة = فإذا به يَقْصِمُ عن نفسٍ متقبضةٍ كهيبة يائسة ، تُؤوِّدُها الآمال والآلام والأحزان ، دالقة إلى أفق ضيق يقبضه / الكمد المظلم من شمس غاربة . ومن لم يُعط هذه القضية حقها من الأناة والتأمل عند تذوق شعر أبي الطيب في هذه السنوات التسع الأخيرة من حياته ، لم يظفر بطائل ، ووقع في غثاثة الدراسات التي لا تفرق بين تذوق الشعر ، وبين التلمُّظ بالكلام ومضغِه ، تعالماً بجناً !! و « المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبين زور » ، كما جاء في الحديث .

وفي كتابي هذا لم أستطع أن أوفى هذه القضية حقها كتابةً ، لأنني قطعْتُ هذه

السنوات التسع في نحو ثمان وثلاثين صفحة من الكتاب ، ^(١) فَإِنِّي كنت في عجلة من أمرى حتى أفرغ من الكتاب في مِيقَاتٍ مَحْدَدٍ ، كما قلت آنفاً ، وكنتُ قد نويتُ أن أعودَ فأكتب عن المتنبي كتاباً كبيراً آخر ، على هذا السياق الذى التزمته في كتابى هذا ، ولم أُفِ بما عقدت عليه نيتى ! إلا أن الذى كنتُ قد استفدته من تذوق شعره في هذه السنوات التسع ، كان هو في الحقيقة أقوى مُعين لى على تصفية تذوق لشعره الذى قاله قبل ذلك ، وعلى التعبير عن التذوق تعبيراً سهلاً متساوياً يفضى إلى انسياب حركة تخطيط صورة المتنبي ومعارفها وقسماتها ، وهى تتخلق حول « عمود الصورة » . فمعن أجل ذلك ، لم تكن هذه الفقرة السادسة ظاهرة كُُلُّ الظهور فى الذى كتبته ، وإن كانت آثارها فى الكتاب ، وفى الأبواب الثلاثة الأخيرة ، دالة على الأصل بعض الدلالة .

...

هذه هى الفِقرَةُ الثمان التى آسَوتُ لى منها شخصيةً إلى الطيب ، عن / منهج ١١١ مَحْدَدٍ فى تذوق الشعر ، كُلُّ فِقرَةٍ منها لا تقوم وحدها معزولةً عن الأخريات ، بل كانت كُلُّ فِقرَةٍ منها متأثرةً بأخواتها ومؤثرةً فى سائرِها تأثيراً بالغَ التعقيد ، فقرِبتُ الأمرَ وبسرته بالحديث عن كُلِّ فِقرَةٍ على حِدة ، ليكون قارئُ كتابى بعد ذلك متخففاً من كُلِّ مؤونة تُعوقه أو تثقل عليه .

...

العَمَرَاتُ ، ثم يَنْجَلِينَ !

حين خرج عدد المقتطف [يناير سنة ١٩٣٦] ، متضمناً كتابى عن « المتنبي » ، كنت مطيئةً لحُمى عَنِيفةٍ هُوجاءَ ، فلما أقلت عني وبدأتُ أفيقُ من بُرحائها ، كان أوَّلُ ما قرأته عن كتابى هو كلمة الرافعي رحمة الله عليه ، منشورة في مجلة « الرسالة » ، [ص : ٥٧٧ - ٥٧٩] . هزنتى هذه الكلمة هزاً شديداً عند أوَّلِ قراءةٍ ،

(١) من الباب الرابع عشر إلى السابع عشر من ص : ٣٥٧ إلى ص : ٣٩٢ ، آخر الكتاب .

ففرغتُ منها وأنا لا أدري على الحقيقة ماذا قال الرافعي . كنت في مَيِّد الإفاقة من الحمى ، [المَيِّد : دَوَّارٌ يَمِيدُ بالرأسِ مصحوبٌ بالحيرة ، كالذى يجده السكران أو راكب البحر من الاضطراب] ، فجاءَ معه فرحٌ غامرٌ فمادَ هو بى أيضاً حتى أعماني عن معانيها . كنتُ في السابعة والعشرين من عمري ، وكنت كاتباً مغموراً في الكتاب ، لا أتوهم أن أحداً من القراء يعرفني أو يبالي بأن يعرفني ، ولم يكن مما يخطر ببالي يومئذ أن أكون معروفاً ، وإذا بى أفاجأُ بَعْتَةً بَشَاءٍ أستاذٍ بعيد الصَّيت في العرب والعربية ، وفي مجلة بعيدة الصَّيت في كُلِّ بُقْعَةٍ تعرف العربية . فعلت بى هذه المفاجأة فعلَ الخمر بشارٍ لم / ١٠٢ م يَذُقُهَا قَطُّ . وبقيتُ أياماً في نشوة مُذهلة ، وكنت أعيش يومئذٍ وحدي ، فلم أجذ من أحذثه عن نشوتي ! فلما تَمَلَّصْتُ من عَقَابِيلِ الحمى بارئاً بحمد الله ، وذهب المَيِّدُ وسكنت النشوة ، راجعتُ قراءة كلمة الرافعي مرَّاتٍ ، فكنت أتوقف في كُلِّ مرةٍ عند قول الرافعي في « المتنبى » :

« كان الرجل مَطْوِيّاً على سِرِّ الْقِيِّ الغموض فيه من أول تاريخه ،
 » (يعنى علوية المتنبى) ، وهو سِرُّ نفسه ، وسِرُّ شعره ، وسِرُّ قوته . وبهذا
 » السِّرَّ كان المتنبى كالملك المغصوب ، الذى يرى التاج والسيف ينتظران
 » رأسه جميعاً ، فهو يَتَّقِي السيفَ بالحذر والتلَفُّفِ والغموض ، ويطلبُ التاجَ
 » بالكتمان والحيلة والأمل . »

« ومن هذا السِّرُّ بدأ كاتب المقتطف ، فجاءَ بحُجَّتِهِ يَتَحَدَّرُ في نَسَقِ
 » عجيب ، متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادةٌ ونموٌ وشبابٌ . وعَرَضَ بين ذلك
 » شعر المتنبى عَرَضاً نُحِيلُ إِلَى أن هذا الشعر قد قيل مرةً أخرى من فم
 » شاعره ، على حوادث نفسه وأحوالها . »

وسببُ توقفي ، هو أنني يومَ فرغتُ من الكتاب ومن تصحيحه عند الطبع وقضى الأمر ، تقاذفتنى طَوَالَ الليل رعبٌ شديد من مخافة ما يقوله الناس فيه إذا هم قرأوه ، وأمسيْتُ على غير يَبِّنة من أمرى . فهذا أولُ كتابٍ كتبته مجتهداً على التأليف ، وأقدمت

إقداماً على كتابته على غير مثال سابق مما عهدته الناس في كتابة التراجم ، وقد اجترأت أيضاً على الإتيان فيه بما لم يسبقني إليه أحد ! وفارّ بي الرُعبُ والشكُّ فيما اجترحتُ فوراً أذهب من قلبي كُلَّ يقين فيما كتبتُ ، وكُلَّ ثقة بما بذلت من جهدٍ / وتثبتُ ، ١٠٣ م
واغتال الرُعبُ سلطاني على عقلي ، وسرى سَمُّ الشكِّ في قلبي طولَ ليلتي ... وركبتي الحمى ، فلما أفقت منها أفقت وأنا في قبضة رُعبٍ حمٍّ وشكٍّ مميّ ، ثم جاءت كلمات الرافعي تزيافاً ، كلما أعذت قراءتها دبت كلماتها إلى صميم هذا الرُعب ديباً حتى قتله ، وجعلت تسري حيث سرى سَمُّ الشكِّ حتى أذهبت من قلبي فأحيته . وعندئذ عرفت شيئاً فشيئاً حقيقة طريقي الذي سرّ في حين كتبتُ الكتاب ، وكأنه طريقٌ لم أسلكه من قبل قط ! وكذلك ثبت عندى أن منهجى في « التدوق » الذى ألفته منذ أن دارست الشعر الجاهلى قديماً ، منهجٌ سليمٌ كُلُّ السلامة ، لأننى حققت به الوصول إلى « سر » كان مطوياً في شعر أبى الطيّب وفى تاريخه ، واستطعت به أيضاً أن أكتب بحثاً يتحدّر فى نسقٍ عجيب ، متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادة ونمو وشباب ، كما يقول الرافعي ، أى أن « عمود صورة المتنبي » الذى بنيتُ أكثره على هذا « التدوق » ، كان صالحاً لجعل شعر المتنبي ناطقاً نطقاً مبيناً عن شخصيته منذ وُلد إلى أن مات . وكان هذا حسنى ، بحمد الله .

وقد حدثت بعد ذلك بقليل حادثة أخرى غريبة ، زادتني ثقةً بنفسى ومنهجى . كنت ألقى الأستاذ العقاد رحمه الله ، مراراً فى « المترو » ، عند نزولى إلى القاهرة أو عند عودتى ، فقد كنّا جميعاً نسكن مصر الجديدة . وكنتُ له مُحبّاً لطول قراءتى ما يكتب ، فكنتُ أسلم عليه فيردُّ السلام على عادته من الأدب المحتشم ، ولكنى كنتُ أرى ظلالاً من الجفوة فى أسارير وجهه ، وينقبض عني حَدِيثُهُ إذا حَدَّثته ، ولا ريب فى أن ذلك كان لما يعرفه من علاقتى بالرافعي ، وقد كان بينهما ما كان . وكنت غير راضٍ فى نفسى بالذى ١٠٤ م
كان قد جرى بينهما ، وأرى أن كليهما كان ظالماً لأخيه ظُلماً مبرحاً . وإذا كانت المودة بينى وبين الرافعي قد أتاحت لى أن أحَدِّثه فى هذا الظلم مراراً ، فإن جفوة العقاد لم تترك

لى مساعاً حتى أحدثه بمثل ما حدثت به الراقى ، بيد أنى كنت مصيراً على أن أبلغ ما أريد مع العقاد . فلما ظهر كتابى هذا فى المقتطف ، سؤلت لى نفسى أن أهديه نسخة من المقتطف ، مع علمى أنه يرسل إليه بالبريد فى كل شهر ، ومع أنى كنت قد عقدت العزم على أن لا أهدي كتابى إلى أحد من الأساتذة الكبار . فاستأذنته بالهاتف أن أزوره فى بيته ، فأذن لى ، وكانت كلمة الراقى فى « الرسالة » قد نشرت فى ١٣ يناير ١٩٣٦ ، بعد أيام من صدور عدد المقتطف ، وكانت زيارتى للعقاد بعد ذلك بقليل . ولم أجد بين لقائه فى « المترو » ولقائه فى بيته كبير فرق . فلما جلست واطمأننت ، أخرجت عدد المقتطف ، هدية منى إليه ، فأخذه ووضعها إلى جانبه ، ولم يكلمنى بكلمة واحدة فى شأنه ، وكنت أتوقع أن يكون قد قرأ العدد الذى وصله بالبريد . فكان صمته جارحاً لى أى جرح . فخرجت من عنده غضباناً أسفاً .

وبعد أيام قلائل ، كنت عائداً إلى بيتى ، فلما ركبت « المترو » ، فوجئت بالأستاذ العقاد يُنادىنى ويدعونى إلى مجلس كان خالياً أمام مجلسه ، ووجدت فى وجهه البشاشة مكان الجفوة ، وفى حديثه التطلق مكان الانقباض . والعقاد متحدث قليل الأشياء إذا تبسط وقال ما قال غير محتشم . وقطعنا المسافة من أول محطة المترو إلى أن بلغنا المحطة التى عندها بيته فى أول مصر الجديدة ، وهو فى حديث لا ينقطع ، ملؤه النوادر والفكاهات التى يحبها / ويحسن سردها . ثم نزل ، ولم يذكر كتابى بحرف واحد ، ولكنى أيقنت أنه قرأ الكتاب ، وأن هذه الحفاوة أو البشاشة التى لم آلفها ، كانت أثراً من آثار قراءته كتابى . فلما صرت وحيداً حتى بلغت بيتى ، كانت نشوتى بتغير العقاد ، تفوق نشوتى بما كتبه الراقى ، وكانت يداً للعقاد عندى ، إذ زادتنى ، يومئذ ثقة بنفسى واطمئناناً إلى ما كتبت . وعلى الأيام ، لم أر تلك الجفوة مرة أخرى . وتوثقت الصداقة بينى وبينه ، ومع ذلك لم أسمع منه مرة كلمة واحدة عن كتابى إلى أن مات رحمة الله عليه ! ولكنها كانت صنيعة لا أنساها .

وبعد قليل بدأت الرسائل تأتى بأسمى على إدارة المقتطف وعلى بيتى ، وفيها

ما فيها ، وقرأت يومئذ ثناءً كثيراً من رجال لا أعرفهم ، كشاعرنا الكبير الأستاذ أحمد محرم وآخرين ، فذهب عني كلُّ خوف ومهابة ، وفي خلال ذلك أيضاً كتب أستاذ كبير كان قد علمني في التعليم الابتدائي ، ثم الثانوي ، هو الأستاذ محمد هاشم عطية رحمه الله ، فنقدني وسخر مني ، فرددت عليه في صحيفة الأهرام رداً عنيفاً ، ونقدني أيضاً الأستاذ علي عبد الرازق في جريدة « السياسة الأسبوعية » ، فكُلتُ له كيلاً كما كال في نفس الجريدة . وتتابع الأيام ورأيتُ اسمي مذكوراً بعد تحمول ذكْرٍ ، والفضل في الذي بلغته مردودٌ كُلُّه إلى أخي وصديقي الذي لا أنساه الأستاذ فؤاد صروف ، أطال الله بقاءه .

...

١٠٦ م

/ كتابان في علم « السطو » !!

الكتاب الأول

ثم جاءت بعد ذلك أمورٌ مستنكرةٌ بشيعةٍ بها وضِقتُ بها ذرعاً ، لأنها رَدَّتْني إلى حومة الفساد الذي اعتزلتُ من أجله الجامعة والحياة الأدبية كلها ، لكي أصحح طريقى ما استطعتُ إلى الغاية التي أتمنى أن أبلغها . وأهمُّ ذلك حادثان : أولهما ، جاءتنى رسالةٌ من العراق بعد ظهور كتابي بثمانية أشهر (سبتمبر ١٩٣٦) ، من رجل لم أكن أعرفه من قبل . كان تاجر كتب ناشئاً ، لم يبلغ ما بلغ من الشهرة فيما بعد ، وهو الكتبي المشهور « قاسم الرجب » ، رحمه الله ، دلتنى رسالته على أنه قرأ كتابي حرفاً حرفاً ، فإنه ضمَّنه مقابلة بين ما في كتابي صفحة صفحة ، وبين ما جاء في صفحات كتاب آخر طبع في العراق سنة ١٩٣٦ ، أرسله إليّ بالبريد ، كما قال . ووصل الكتاب بعد أيام ، وهو كتاب « ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام » ، وكتبه هو الأستاذ عبد الوهاب عزّام ، وفي آخره أنه فرغ من تأليفه « لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة

١٣٥٥ ، عاشر تموز (يوليه) سنة ١٩٣٦ » ، أى بعد كتابي بسبعة أشهر ، وختم
مقدمته القصيرة بهذه العبارة :

« ومهما يكن فقد بذلتُ الجهدَ ، وأودعتُ الكتابَ من تفصيل سيرة الشاعر ،
والكشف عن جوانب مجهولة من سيرته وأدبه ، ما يطوِّع له أن أقدمه للقراء ، راجياً أن
يجدوه أهلاً لذكرى أبى الطيب ، ويرة أوسع وأعمق وأجدى ما كتبت عن الشاعر منذ
عاش إلى عامنا هذا ، عام الاحتفال / بمضى ألف سنة على وفاته ، والله وليُّ الهدى
والتيسير . »

وكنْتُ أعرف عزاماً ، رحمه الله ، ويعرفنى ، فقد كنت طالباً بالجامعة ، وكان
أستاذاً بها . كان غايةً في دَمَانَةِ الخُلُق ، لَيِّنَ الجانب ، رقيق الحاشية ، سَمَحاً سَهْلاً طويل
الأنَاة ، متواضعاً عند اللقاء ، خَفِيز الصَّوْت ، فإذا حَدَّثْتُهُ أَجَابَكَ والحياءُ يكادُ يقطعُهُ
عن الإجابة . وكان حافظاً للشعر ، يُسْمَعُكَ منه ما تشاءُ إذا نَفَسَ عنه حياؤه . وكنْتُ
لذلك أَحْبَبُهُ وأَجَلُّهُ لواسع معرفته . فلما قرأت ما ختم به مقدمة كتابه ، رابنى منه ما قال ،
لأنه أمر غير معهودٍ فيه أن يتَجَبَّحَ بذكر نفسه أو أعماله . وقد نشر في سنة ١٩٣٢ ،
ترجمة الشاهنامنه ، وبذلَ فيها جهداً كبيراً ، فكان خيرَ ما نشر ، ومع ذلك لم يُثْنِ على
نفسه ، بل كان جَمَّ التواضع هاضماً لنفسه ، فكيف قال هنا عن كتابه إنه « أوسع ،
وأعمق ، وأجدى ما كتب عن الشاعر منذ عاش إلى عامنا هذا » !! غريبة !! ولكى تعلم
أنها غريبة الغرائب ، فاعلم أنه حين أعاد طبع كتابه هذا في مصر سنة ١٩٥٤ ، أثبت
مقدمة الطبعة الأولى ، ثم ختم مقدمة الطبعة الثانية بما يلي :

« وأصدِّقُ القارئَ أنى أردتُ أن أحذف من مقدمة الطبعة الأولى دعوى أن هذا
الكتاب أجمع وأدق ما كتب عن الشاعر . واتفق أن جاء إلى كراجى (بلدة بالهند) ، وأنا
أعدُّ الكتاب للطبعة الثانية ، صديقنا العلامة الشيخ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وهو
من أوسع الناس معرفة بالشاعر ، وكان يحفظ ديوانه كُلَّهُ ، فأخذ الكتاب وقرأه ، ثم نهانى
عن حذف الجملة / التى هممتُ بحذفها وقال : دَعَوَى صَدِيقٍ ، فلماذا تمحوها » !! غريبة

أخرى هندية الميلاد !! وستعلم السبب في إرادة حذفها ، ثم في الشهادة التي أتى بها مخرجة له من إرادته ، فاستسلم للنهي وأثبتها راضياً عنها كُـل الرضى ، ولا غرؤ !! ولم يقنع بذلك ، بل زاد في مدح كتابه ، فوصفه مرة أخرى بأنه : « أجمع وأدق ما كتب عن الشاعر » !! غريبة أيضاً !!

ما علينا ! تجاوزت المقدمة ، وأخذت الكتاب أقرؤه . فإذا به ، منذ أوله ، يتعقبنى تعقباً متستراً متلفعاً بعباءة الأخبار التي رواها الرواة ، فهو يقف عند ما وقفت عنده منها ، ويخالفنى معرضاً غير مصرح ، أو يعارضنى موافقاً لبعض رأىي مغفلاً سائرهُ ، وأثر ألفاظى في ألفاظه واضح كل الوضوح !! ويقف أيضاً على كل شعر من شعر أبى الطيب ، لم يتنبه للوقوف عنده أحد قبلى ، ويعلق عليه بنفس ألفاظى التي علقت بها عليه !! وظلّ يسلم من كتابى سلخاً مرة بعد مرة ، مقتفياً آثارى ، ويقول ، وكأنّ ما يقوله ممّا يظهر لكل قارئ شعر أبى الطيب ، بلا معاناة وبلا سبب ، ويعرضه عرضاً كأنه اجتهد منه لم يسبق إليه من قبل !! وأعمال أخرى قبيحة ، مع الأسف ، وضنّ ضناً شديداً بأن يكرمنى ويشرفنى بذكر اسمى ، وما هو إلا أن يقول فى ثنايا سطور كتابه : « قال بعض الأدباء » و « رأى بعض الكتاب » و « قال كاتب المقتطف » !! يا للعجب ! فلما فرغت من الكتاب ، ساورنى أن أكتب ، وأن أبين قباحة هذا الأسلوب ، ولكنى تأثيت به ، لأنى كنت لم أزل أحبه وأجله ، ولأنى رحمته وأشفقت عليه من حيائه ، إذا أنا هتكت عرض كتابه .

/ ويشاء الله أن لا يطول على التأتى ، فبعد أيام قلائل كنت جالساً فى مجلس ١٠٩
أستاذنا أحمد حسن الزيات فى مكتبته بمجلة « الرسالة » ، وفجأة قطع الأستاذ حديثه وقام وأشرق وجهه ، ورحب وأهل وسهل ، وإذا القادّم هو الأستاذ عبد الوهاب عزام . فقمّت وسلمت ، وجلستنا . فلما برد المجلس ، وانقضت لحظات الحفاوة بمقدمه ، التفت إلى أستاذنا عزام ، وأعلمته أنى قرأت كتابه ، وبدأت أعاتبه على استنكافه أن يذكرنى باسمى ، فغلبه الحياء ، وجعل يحاول أن يجامل ، وأن يجعله أمراً غير مقصود البتة ، وأنه

عرضَ لآخرين غيرى ، فلم يذكر أسماءهم . فغاظتني مجاملته ، وغاظني حياؤه أيضاً؟! فقلت له : ليس هذا بصحيح ، فإنك ذكرت الأعجمي المستشرق « بلاشير » باسمه مراتٍ ! فعجل قائلاً : لأنى كنت أردّ على أقواله التى كتبها فى « دائرة المعارف » ! فزادنى تقزُّراً ، فقلت له : يا سيدى الأستاذ ، إنك أيضاً كنت تردّ على أقوالى ، منذ أول كتابك ، فعلت كذا وكذا ، وكان أسلوبك فى مناقشة الأعجمي واضحاً ، وقد تعرّضت لتقدّ القضايا التى كتبها ، مؤيداً بالنقل عنه والإشارة إلى كلامه ، أفلست أنا جديراً بأن أعامل معاملته على الأقلّ ! ومع ذلك ، فإن أقوال هذا الأعجمي المستشرق لا قيمة لها فى الحقيقة ، وهو لو انخلع من أبهة الاستشراق ، ومن روعة الاسم الأعجمي ، ثم جاءك فى زىّ طالبٍ لمتحنه ، لاستكثرت أن تزيدّه درجةً على درجة الصّفر . فأى شيء هذا ؟ وهب أنه جاء برأى غريب ، كرايه فى أن المتنبى « قرمطى » الرأى والهوى ، فاستحق أن تردّ عليه ، أفلا يستحق رأبى فى « علوية أبى الطيب » مثلاً ، أن تذكره / وتردّ عليه ردّاً مباشراً ، كما فعلت مع الأعجمي ، دون أن تلجأ إلى التضمين الملفّف ، وإلى الإغفال المتعمّد ؟ ثمّ تزيد الأمر سوءاً حين تتعقّب ترتبى لشعر القسم الأول من ديوان أبى الطيب ، وتوقيتى لرحلته فى الشّام منذ خرج من الكوفة سنة ٣٢١ ، إلى أن لقي أبى العشائر سنة ٣٣٦ ، مع أنى كنت أول من نبّه إلى هذا الترتيب ، وأول من حاول هذا التوقيت ! أليق هذا ؟ ثم أليق بك أن تعارضنى فى كل توقيتٍ لقصائده ورحلته ، بلا جديدٍ وقفت عليه بجهدك ، وإنما أنت معتمدٌ فيه على تخاليط « بلاشير » ؟ هذا من عجيب السّجايا ، وأعجبُ أنك فى كتابك قد أقررت ، غير مُريدٍ !! أنك كنت تعتقد أن هذا القسم من الديوان مرتب على التاريخ ، ثم جاء ما أزالك عن اعتقادك ، فمن الذى فتح لك الطريق حتّى توقّفت فى الأمر وبحث ؟^(١) وطال الكلام ، ولم أدع شيئاً مما كنتُ أحبُّ أن أقوله له كتاباً ، إلا قلته له بلسانى . وختمت حديثى فقلت له : خيرٌ لك أن تعيد النظر فى كتابك هذا ، ففيه آفاتٌ كثيرة أرجو أن يبرأ منها إذا أعدت طبعه مرة

(١) انظر ما يلى ص : ٨٨ ، ٨٩ .

أخرى ، فهذا أليق بك ، وأكرم بك عند الناس . ^(١) وكان هذا حسبي ، وطرحْتُ فكرة الكتابة عن كتابه جانباً ، ولم أذكره بسوءٍ حين تعرّضت لنقد الكتاب الآخر ، كتاب كبيرهم الذى علّمهم « السطو » ، وبَعَجَ لهم أساليبه ، ومدَّ لهم قِياسه وعَلَّله !! كما قال ابن سلام فى إمام علم النحو « عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى » !!

...

/ وليس سبيلى هنا أن أفصّل القول فى نقد كتاب الأستاذ عزام ، والوقوف ١١١ م بالقارئ على موضع موضع من أفعاله بكتائى فى كتابه ، فهو أمر لا يعنينى الآن ولا غداً ، بحمد الله ، ولكنّ عنايتى هى إظهارُ فسادِ الحياة الأدبية ، فى زمنٍ مَضَى . ^(٢) نَعَمْ ، ولكنّه ألقى بذور الفسادِ التى أُتِنِعَتْ من بعده إلى زماننا هذا .

ذكرْتُ قبل ما عانيته فى ترتيب تاريخ قصائد القسم الأول من ديوان أبى الطيب [انظر ما سلف من : ٢٧ - ٤٠] ، وكان عملاً شاقاً وَغَرَ المسالك ، لأنّ اعتمادى فيه كان على « تدوُّق الشعر » ، وأما الأخبار وتراجم الرجال الذين قال فيهم هذا الشعر ومتى قاله ، فكان يحتاج ضبطُ تواريخها إلى حذر شديد . وقد استطعتُ ، بحمد الله ، أن أوفّق إلى توقيتها توقيتاً مقارباً للحقيقة ، ولم يسبقنى إلى التفكير فيه ، أو إلى عمله ، أحدٌ أُنْتَفِع بعلمه . ولكنّى لم أعقد فى كتابى باباً بعنوان « ترتيب قصائد المتنبي » ، بل فرغت من الترتيب ، ثم بثّته فى مواضعه من الكتاب منذ أوّلِهِ إلى نهاية الفصل العاشر [من ص : ١٢٧ -

(١) انظر ما سيأتى ص : ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) كُُلُّ ما فى هذه المقدمة ، وما نشرته من مقالاتى بعنوان « بينى وبين طه » ، ليس إلّا برهاناً على فساد الحياة الأدبية كيف فسدت ؟ ومن أفسدها ؟ ولا أريد بها قدحاً فى أحد ، ولا مذحاً لأحد ، ولا ثناءً على نفسى أو على ، فمن فهم غير ذلك ، فهو وما فهم ، ولا حيلة لى فى إصلاح الفساد . ولكن ليعلم أنى إذ عرّضت على صفة فساد حياتنا الأدبية ، فإنّى أقولها ناصحاً لأمتى ، ومن تعرّض للصيحة ، فعليه أن يكون صادقاً واضحاً مُبِيناً ، لا يُدَارى ولا يُجامل ، ولا يُمارى ولا يجادل .

٢٩٤] . وقد كنت انتهيتُ ، في تذوقٍ لشعر أبا الطيب ، إلى أن الترتيب الذى وضعه أبو الطيب نفسه ، في القسم الأول الذى لم يؤرخ قصائده كما أرّخ القسم الثانى من ديوانه ، كان ترتيباً مقارباً للصواب . وذلك لأنه كان واضحاً أن أبا الطيب كان ، عند جمع شعره في ديوانه ، شديد الإحساس بالتاريخ في القسم الثانى ، فهو خليقٌ ، أن يكون شديد الإحساس به أيضاً في القسم الأول ، ولكنه كان قد نسى الأيام والشهور والسنوات ، / م ١١٢ فرتب هذا القسم على ما بقى في نفسه من الإحساس الخائى بهذه التواريخ التى قدّم عهده بها ، [انظر ما قلته آنفاً من ص : ٣٨ - ٤٠] .

والأستاذ عزام قد قرأ كتابى بلا شك !! ورأى هذه الفصول العشرة الأولى « مرصعة » !! بالتواريخ التى تؤرخ شعر أبا الطيب الذى لم يؤرخه هو باليوم والشهر والسنة ، وأدرك كما أدرك الدكتور طه حسين : « أن أحداً لم يسبقنى إلى توقيب قصائد المتنبى هذه » [انظر ماسياق ص : ٥٢٣] ، بل هو قرأ التعليق الذى كتبته في كتابى ، [انظر هذا السفر ص : ١٥٢ ، تعليق : ١] ، حيث قلت : « واعلم أننا نجتهد في تاريخ ما لم يؤرخ من قصائد المتنبى ، وقد وجدنا في ذلك المشقة فما فوقها ، لنترجم للرجل على يئنة وهذى ، وستجد فائدة ذلك فيما يمر بك إن شاء الله » ، فانظر الآن ماذا فعل الأستاذ عزام ؟

عقد فصلاً في كتابه بعنوان « ترتيب ديوان المتنبى » ، لا يتجاوز ثلاث صفحات من الطبعة الأولى العراقية ، وهو في صفحتين فقط من الطبعة الثانية المصرية !! وختم هذا الفصل المهم بقوله :

« كنت أعتقد كما اعتقد غيرى ، (من غيره هذا ! لا أدري) ، أن القسم الأول من كتاب ديوان المتنبى ، مرتّب على التاريخ ، حتى عرفتُ بعد بحثٍ طويل أن القصيدتين اللتين مدح بهما « مساور بن محمد الرومى » نظمتهما سنة ٣٢٩ ، يُعرف ذلك من ولاية هذا الأمير على حلب في هذه السنة ، ومن ذكر هزيمة ابن يزداد في إحدى القصيدتين ، وكانت هزيمته في ذلك الوقت أيضاً . وهاتان القصيدتان في الديوان مقدمتان على قصائد « بدر بن عمار » / التى نظمت منذ أواخر سنة ٣٢٨ وأوائل سنة ٣٢٩ ، وأظنّ مدح م ١١٣

مساور كان بعد مدح بدرٍ . ثم بين قصيدتي مساور ومدائح ابن عمار ، قصائد كثيرة لا أظنُّ أن المتنبى نظمها بين مدحى هذين الأميرين . فهذا أضعف ثقتي بالترتيب في الديوان ، قسمة الأول = ومنعنى أن أعتمد عليه في تاريخ الشاعر ، وإن ظننت أن الأصل في ترتيب الديوان كله الترتيب التاريخي . فادَّعِ الاعتماد على ترتيب الديوان في القسم الأول ، إلى أن أجد من الأدلة التاريخية ، ما يكفي للثقة بترتيب قصائده كلها على التاريخ . (١)

انتهى الكلام والحمد لله ... ثم إنَّ الله تعالى لم يخلق لنا الألسنة إلا للكلام ، فإبطال عملها إبطالٌ لنعمةٍ من أجلَّ نعم الله على الناس ، وهذا قبيحٌ بنا معشرَ البشر !! أليس كذلك ؟

كان يعتقد أن القسم الأول مرتب على التاريخ ، ثم جاء ما أزال اعتقاده ، فأضعف ثقته بهذا الترتيب ومنعه أن يعتمد عليه في تاريخ الشاعر = كلام مستقيم ، ولكن ما معنى الجملة التالية له : « وإن ظننت أن الأصل في ترتيب الديوان كله الترتيب التاريخي » !! تأمل هذا الكلام ، وما يدلُّ عليه من الحيرة المفضية إلى التناقض ! ألم يقل قبل إنَّ هذا الظنُّ أو الاعتقاد ، قد جاء ما يبطِّله بعد « بحث طويل » ؟ هذا على كُلِّ حال نصُّ كلامه في الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ . فانظر الآن ماذا كان من أمره في الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ ، بعد أن انقضى على حديثنا عشرون سنة ، قال في مقدمة الطبعة الثانية :

/ « وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى بعد قليل ... ثم يسرَّ الله نشره ... فأعدت النظر ١١٤ م فيه ، وغيَّرت قليلاً ، حاشا الفصل الأخير ، فقد أعدت كتابته . ووجدت الكتاب ، بعد هذه المدة الطويلة ، كما وصفته في مقدمة الطبعة الأولى ، ولم يتغيَّر رأبي في شيء فيه ، فهو جديرٌ بعناية كُلِّ معنىٍ بسيرة أبى الطيب ، حقيق بثقة كُلِّ قارئٍ » .

وظاهر بعد الحديث الذي حَدَّثْتُكَ عَمَّا كان بيني وبين الأستاذ عزَّام ، أنه يعرِّض في ، على استحياء !! من وراء بُرُقع لا يراهُ غيري ! وانظر إلى ثنائه على كتابه ، وقد

(١) انظر كيف كان يتكلم الأساتذة الكبار : « يعتقدون » و « يعرفون » ، و « تضعفُ ثقتهم » ، و « يظنون » ،

و « يطلبون الأدلة » ، و « يطلبون فوق ذلك أن يصدِّقهم الناس !!

وصفت لك من قبلُ حياةً ، وأنه أمرٌ غير معهودٍ فيه أن يتبجح بذكر نفسه والثناء على أعماله [انظر ص : ٨٠ : ص : ١٣] ، فليت شعري ما الذى غيّر الرجل ! وقد ذكر أنه أعاد النظر فى الكتاب ، و « غير قليلاً حاشا الفصل الأخير » ! وسأضرب لك مثلاً على ما غيّر فى فصل ترتيب الديوان الذى نقلته آنفاً [ص : ٨٤ : ص : ١٨ وما بعده] ، فإنه قال هناك :

« كنت أعتقد كما اعتقد غيرى ... حتى عرفت بعد بحث طويل أن القصيدتين ... » ، فكان التغيير هو هذا : « حتى عرفت بعد بحث طويل متعب أن القصيدتين » فزيادة « متعب » ، تغييرٌ كان لابد منه ، لأنه أمرٌ شديد الخطر ، ولا يستقيم الكلام إلا بهذا التغيير ! وهو يستحى أن يراى قلتُ : « وأعلم أننا نجتهد فى تأريخ ما لم يؤرخ من قصائد المتنبى ، وقد وجدنا فى ذلك المشقة فما فوقها » [انظر ما سلف ص : ١١٥ ص : ١٤ ، ص : ١٢ ، ص : ١٣] ثم يقتصر / هو على وصف بحثه بأنه « طويل » ، والاقتصار على صفته بالطول مفسدة وإخلالٌ وزلة لا تُغتفر !! فصار إلزاماً أن يغير فيقول : « بحث طويل متعب » لتستوى ، كفتن الميزان ! وإذا لم يكن هذا القدر من الدقة والحرص والأمانة هزلاً محضاً ، فماذا يكون ؟

...

وينبغى أن تستيقن ، إكراماً لى على الأقل ، أن الرجل لم يبحث بحثاً لا طويلاً ولا قصيراً ، ولا متعباً ولا هيناً « حتى عرف أن القصيدتين اللتين مدح المتنبى بهما مُساوَر ابن محمد الرومى » ، نظمتا سنة ٣٢٩ » إلى آخر ما قال . وتفسير هذا بسيطٌ جداً عندى ، لأنى أعرف ما كتبتُ ، وأعرف ما يكتب الآخرون . أما كشف الستار عن حيل هؤلاء المؤلفين الذين يتسترون تحت عباءة « البحث العلمى المتعب » ، ويتلعبون بعقول القراء ، ويفسدون الحياة الأدبية بتعبيهم فى اختطاف ما يختطفون ، ثم بتعبيهم فى إخفاء ذلك بأساليبهم المتنوعة ، فيحتاج إلى بسط وإطالة . ولكنى سأقع هنا بما لا بُد منه .

كنتُ قد قسّمت ديوان أبن الطيّب أقساماً . لم أذكر ذلك في كتابي ، ولا أجد ما يدعوني إلى تفصيل كلّ هذه الأقسام هنا ، والذي يهمنا هما القسم الأول والثاني .

القسم الأول : يبدأ من أول الديوان ، إلى آخر القصيدة ٤٨ (من شرح الواحدي واليازجي أيضاً) ، ويتضمّن ٢٧ مقطوعة ، و ٢١ قصيدة من قصار / القصائد . وتاريخها م ١١٦ يبدأ من أول سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٢٥ تقريباً . وهي ممّا قاله في الكوفة صبيّاً في الحادية عشرة ، ثم في الشام سنة ٣٢١ ، ثم في السجن سنة ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ثم في بغداد والكوفة سنة ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ثم في الشام مرةً أخرى في أوائل سنة ٣٢٦ .

والقسم الثاني : يبدأ بالقصيدة ٤٩ وما بعدها ، عند نزوله بالتنوخين باللاذقية سنة ٣٢٦ وما بعدها .

...

أما القسم الأول ، فهو يقع في كتابي هذا من أوله ص : ١٣٧ إلى آخره ص : ٢٣٦ من هذه الطبعة . وقد استشهدت بأكثر مقطوعات هذا القسم ، أمّا قصائده ، فلم أستشهد فيه إلّا بأربع قصائد من قصائده لا غير . وكان فيه توقيت رحلته والحديث عنها ، منذ خرج من الكوفة سنة ٣٢١ إلى الشام ، ثم سجنه ، ثم عودته إلى الكوفة وبغداد ، ثم عودته إلى الشام مرةً أخرى سنة ٣٢٦ . ولما بلغتُ في كتابي ص : ٢٣٢ ، قلت في تعليق لي هناك : « اعلم أننا تركنا في هذا الحديث عن رحلته وحبسه ، ما قال من شعر في مدح رجالٍ لقيهم في طريقه بالبلاد التي نزل بها ، إذ ليس يضّرُّ إغفال ذلك » فكان مما أغفلته آخر قصيدتين في هذا القسم (٤٧ ، ٤٨) ، في مدح « مساور بن محمد الرومي » الذي ذكره الأستاذ عزام .

ثم شرعتُ بعد ذلك منذ ص : ٢٣٧ في القسم الثاني ، الذي يبدأ عند نزوله على التنوخين باللاذقية سنة ٣٢٦ - ٣٢٨ ، ومضيت في تاريخ هذه الحقبة إلى أن لقي بدر ابن عمار الأسدي ، من أواخر سنة ٣٢٨ ، إلى سنة ٣٣٣ على / وجه التقريب [ص : ٢٥٩ م ١١٧ - ٢٧٢] ، وتابعت التاريخ والتوقيت بعد ذلك ، إلى أن انتهى المنتبّي إلى أبي العشائر الحمداني في أواخر سنة ٣٣٦ ، ثم جاء القسم المؤرخ من الديوان ، منذ نزل المنتبّي على سيف الدولة في جمادى الأولى سنة ٣٣٧ .

فماذا حدث ؟ حدث أن الأستاذ عزاماً ، قد تعب تعباً شديداً حقاً ، ولكن تعب هذا كان وهو يحاول أن يتبين في كلامي هذا التقسيم الذي فصلته هنا بعض التفاصيل ، وما فيه من التاريخ الذي لم يسبقني إليه أحد ، وقد ظلّ يتعقّبني في هذا القسم الأول (مر : ١٣٧-٢٣٦ ق٤) ، يأخذ من كلامي ، ويفرّقه على أبواب كتابه « المدرسي » ، ثم يحاول أن يعارضني مرة بعد مرة ، بلا ذكر ولا بيان ، وبأسلوب غير مرضي ولا مستساغ ، لأنه توقّف ، هكذا تظاهر ، على كلّ شعر من شعر أبي الطيب أو خبر من أخباره ، كنت أنا أوّل من توقّف عنده وكشف معانيه . فمن ذلك أنّه حين انتهى إلى مسألة نبوته وسجنه في كتابي هذا (مر : ٢٢٦) ، وجدني قد توقفت عند شعر أبي الطيب الذي قاله وهو في السجن ، وكتب به إلى « الأمير ؟ » وذلك قوله ، [انظر ما سيأتى ص : ٢٢٧ وما بعدها] :

رَمَى (حَلْباً) بَنَوَاصِي الْخِيُولِ ، وَسُمِرَ يُرْقَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ

.....

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ (الْخَرَشْنِيُّ) ، كَشَاءٍ أَحْسَنَ بَزَارِ الْأَسْوَدِ

وهو من القصيدة ٣٦ من القسم الأول ، فقلت في توقفي على هذين البيتين اللذين لم يتوقف عندهما أحد قبلي : « والذي تنبّهنا له هنا ، أنه ذكر في هذه / القصيدة (حلباً) و (الخرشنى) ، وقد عيّنا (أى تعبنا !!) بالبحث عن الحادثة التاريخية التي نستطيع بها أن نعيّن السنة التي قيلت فيها ، ثم وقّنا الله لتفسير ذلك بالاستنباط » ، وذكرت الحادثة وتاريخها ثم قلت : « والخرشنى هو ملك الروم » لأنهم ينسبون ملوك الروم إلى جبل بيلادهم ، يقال له (خَرَشَنَّة) ، وتكون هذه القصيدة لذلك ، مما كتب أبو الطيب إلى محمد بن طغيج الإخشيد التركي (الأمير) ، في أواخر سنة ٣٢٢ ، وأوائل سنة ٣٢٣ .

فتوقف الأستاذ أيضاً ، دون أن يذكرني أو يذكر ما قلت في ذلك ، وجاء يعارضني ويتعقّبني ويزعّم أن (الخرشنى) ، هو « بدر الخرشنى » ، وأنّه ولي حلب سنة ٣٢٤ ، وكتب ذلك في فصل لطيف كلّهُ خَلَطَ عنوانه : « متى سجن أبو الطيب ؟ »

وكان سبيله إلى هذا الكشف أن يلتمس كتاباً فيه « تاريخ حلب » ، فوقع على كتاب الأستاذ محمد راغب الطباخ ، فذكره ، وأخذ منه ما أخذ . وفيما هو يقلّب الكتاب وقع عَرَضاً على اسم « مساور بن محمد الرومي » الذي مدحه المتنبي بالقصيدتين (٤٧ ، ٤٨) ، وهما في آخر القسم الأول عندي . فمن هنا قال : « كنت أعتقد كما يعتقد غيري ... حتى عرفت بعد بحث (متعب) أن القصيدتين اللتين مدح بهما مساور بن محمد الرومي نظمتا سنة ٣٢٩ ، يعرف هذا من ولاية هذا الأمير على حلب في هذه السنة ، وفي ذكر هزيمة آبن يزداد في إحدى القصيدتين » إلى آخر ما قاله [انظر ما سلف : ٨٤ ص ٢] ، ولم يشر إلى كتاب الأستاذ الطباخ هنا البتة !! مع أن خير « مساور » وهزيمته ابن يزداد ، وهو الذي ساقه هنا كأنه شيء معروف مشهور = وهو أسلوب مُبتَدَل من أساليب التعالم = / لا يوجد له ذكر في كتب التاريخ المعروفة ، ولم يَجِرْ له ذكرٌ إلّا في ١١٩ م كتاب الأستاذ الطباخ ، وهو نقله من مخطوطة كتاب « زبدة الحلب » لابن العديم ، الذي طبع بعد ذلك بزمان طويل ! (سنة ١٩٥١) . فالأمر كُلّه غير « متعب » كما ترى ، وهو شيء جاء اتفاقاً ، ولكنه فرح به أيّما فرح ، لأنه يتيح له أن ينقُصَ على « الترتيب التاريخي » الذي سرّث عليه في كتابي ، فيقول بعد ذلك مباشرة : « وهاتان القصيدتان في الديوان ، مقدمتان على قصائد بدر بن عمار التي نظمت منذ أواخر سنة ٣٢٨ وأوائل ٣٢٩ ، وأظنّ أن مدح مساور كان بعد مدح بدر ، ثم بين قصيدتي مساور ومدائح ابن عمار قصائد كثيرة لا يُظنّ أن المتنبي نظمها بين مدائح الأميين . فهذا أضعف ثقتي بالترتيب في الديوان » ، إلى آخر ما قال [انظر ما سلف ص : ٨٤ ، ٨٥] .

والخلاصة ، أنه لولا توقفي عند (حلب) و (الخرشني) ثم وقوفه عرضاً على ذكر « مساور » في كتاب الطباخ ، لظَلَّ الأستاذ على اعتقاده (كما اعتقد غيره !) : أن الديوان مرّتب ترتيباً تاريخياً !! فهذا هو الذي أحدث له الإشكال في هاتين القصيدتين !! ولكن الصحيح هو أن القصيدة الأولى (٤٧) ، قالها المتنبي بعد خروجه من السجن سنة ٣٢٣ ، وبعد عودته إلى الشام سنة ٣٢٦ ، ثم فارق مساوراً ، وذهب إلى التنوخيين ،

على سياق ما فى كتابى . أما القصيدة الثانية (٤٨) ، فقد قالها حقاً ، سنة ٣٢٩ ، وهو عند بدر بن عمار فى طبرية ، بدليل ذكر هزيمة ابن يزداد فيها ، وأرجع الظنّ عندى أنه كتبها بطبرية ، وأرسلها إلى « مساور » ، وهو بحلب . ثم لما جمع المتنّى شعره ، على ما بقى فى نفسه من تواريخ قصائد القسم الأول ، ضمّ القصيدة / الثانية التى قالها سنة ٣٢٩ ، إلى القصيدة الأولى التى قالها سنة ٣٢٦ ، وقد فعل المتنّى ذلك مراراً ، حتى فى القسم المؤرخ ، فإنه ضمّ قصائد أو أبياتاً فى تاريخ متأخر ، إلى قصائد فى تاريخ متقدّم ، وقصائد فى تاريخ متقدّم ، إلى قصائد فى تاريخ متأخر ، ليكون شعره فى الرجل الواحد ، مجموعاً فى مكان واحد . وقد أشرت إلى ذلك من فعله فيما سلف [انظر ص : ٣٨] .

...

ولست هنا مريداً للوقوف على جميع ما أستعجبه من أفعال الأستاذ عزام ، وهى كثيرة جدّاً ، ولكنى سأقفك على هذه الأشياء الغريبة التى تحرّك هؤلاء الكتاب ، ملفّة فى الغموض والإبهام . فالأستاذ عزام ، لم يلق بالاً إلى شعر أبى الطيب عن الرجل الذى ذكره آنفاً فى غرض كلامه ، وذكر تاريخ قصائد أبى الطيب فيه ، « وهو بدر بن عمار الأسدى » ، ثم أغفله فى كتابه إغفالاً يكاد يكون تاماً ، ولا أدرى لم ؟ إلا ما كان من قوله آنفاً : إن قصائد أبى الطيب فيه كانت سنة ٣٢٩ ، ثم لم يذكر عنه شيئاً ذا بال سوى هذا التاريخ « المحدّد » !! أما أنا فقد عقدتُ له فصلاً كاملاً مفرداً ، هو الفصل التاسع كلّهُ

[هذا السفر : ٢٥٩ - ٢٧٢] ، ورددت ذكره قبل ذلك وبعد ذلك [اطلعه فى الفهرس] ، وحددت شعر

أبى الطيب فيه من أواخر سنة ٣٢٨ إلى أوائل سنة ٣٣٣ . وجعلتُ لقاء أبى الطيب ببدر أوّل إسفارة واضحة عن طبيعة أبى الطيب وأهدافه بعد أن خرج من السجن ، وعن تأملاته وآلامه وحوافره ، حيث استعلنت « عصبية أبى الطيب للعرب والعربية » ، وهيات

١٢١ م شاعريته لما يستقبله لدى سيف الدولة العربى العلوى ، هازم الروم ، / وقامع الدساس

الفاطمية بالشام وبعض العراق » ، كما قلت [ص : ٢٦١] .

وقد أحدث هذا الفصل للأستاذ عزام غماً شديداً ، وارتباكاً متعباً ، ولم يستطع أن يقول فيه شيئاً في كتابه البتة ، ولم يستطع أن يتعقّبني كعادته ، فوقف بحته « المتعب » كلّهُ عند مسألة التاريخ التي يذكرها عرضاً بلا دليل البتة !! لأنّ الدليل لم يكن عنده في كتب التاريخ المعروفة !! ولا وجد ذكره واضحاً فيها ، فأخذته تسليماً = ثم اجتهداً من عند نفسه ! = من رجل آخر ، أخفى ذكره في هذا الموضع إخفاءً تاماً ، مع أنه ذكره في مواضع أخرى كثيرة من كتابه ، إلّا هذا الموضع !! (١)

فالأعجمي المستشرق « بلاشير » ، كتب ترجمة لأبي الطيب في دائرة المعارف الإسلامية ، وقد ذكره الأستاذ عزام وذكرها مراراً كثيرة جداً في كتابه ، وبأدبٍ جَمّ حتى عند أشد المخالفة . فكان ممّا قاله « بلاشير » أن المتنبي بعد « ثورته » : « رجع إلى احتراف المديح !! واستئناف حياة التجول بداية عام ٣٢٥ وقنع بمدح أهل أنطاكية ودمشق وحلب وغيرها وبعض صغار العمال في هذه المدن ، الذين كانوا يقترون عليه في العطاء كلّ التقدير (يا سلام !!) . وذاع صيته شيئاً فشيئاً حتى أصبح في أوائل عام ٣٢٨ هـ شاعر الأمير بدر الخرشاني (هكذا ، والصواب : الخرشني) الذي ذكره في ديوانه باسم « بدر بن عمار » ، وكان والياً على دمشق ، من قبل أمير الأمراء السابق ابن رائق ، الذي كان قد احتل الشام وشيكاً . ولما كان بدرٌ من / أصل عربيّ ، فقد اعتبره المتنبي مولاه الذي كان ينتظرهُ من أميد بعيد » . ثم يقول : « ولم تدُم صداقة المتنبي لبدرٍ إلّا حوالى عام ونصف عام » .

ثم يقول هذا الأعجمي أيضاً مادة « بدر الخرشني » من دائرة المعارف الإسلامية : « بدر الخرشني » ، أميرٌ يرجح (يا سلام !!) أنه من أهل خرّشنة ويعرف أحياناً (لا ياشينخ) بنسبة ربما كانت أسطورية (يا لطيف) ! وهي « بدر بن عمار الأسدي » ، حاجب الخليفة القاهر ووُلّي على جند الأردنّ ، وجعل مقرّه في طبرية سنة ٣٢٨ هـ ،

(١) هنا من صميم فساد حياتنا الأدبية .

وحوالى هذا الوقت مدحه المتنبي . وفي أثناء الصراع بين ابن رائق وأمير الموصل الحمداني ناصر الدولة ، عاد بدر هو أيضاً إلى العراق ، ونال الخطوة مدة قصيرة لدى الخليفة المتقى ، ولكنه اضطر إلى الالتجاء إلى الفسطاط في مصر عند محمد الإخشيدى . وتوفى بدر هناك في نهاية سنة ٣٣٠ هـ .

اللهم اغسِلْ حَوْتِي (أى لثمي) ، وتَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، فإن الأستاذ عزاماً قد أوقعنى في إثم كبير بنقل هذا الخلط الخبيث إلى كتابى هذا . وأنا لا أشك لحظة أن الأستاذ عزاماً قد استقدر هذا الكلام كما استقدرته ، ولذلك لم يذكره في كتابه ، لا ناقلاً ولا مُعلّقاً ولا ناقداً ولا مصحّحاً ! وعلّة ذلك معروفة ، وهو أن هذا الجيل من الأساتذة كان لا يملك إلا أن يقف خاشعاً مُخَبِّتاً بين يدى « العلماء المستشرقين » !! فما وجدوا من « جديد » أخذوه فأذاعوا به وتقلّدوه ، أو انتحلّوه وتأبّطوه ، وأما ما وجدوا من « خبيث » فقد أجزوا عليه السنة في كلّ خبيث ، أن يُقَضُّوا عنه أو أن يدسّوه في التراب ! / وكذلك فعل الأستاذ عزام . وأنا لا أستحلّ نقل هذا الخَبِث دون أن أُبين فساده ، وإن كان عملى هنا لا يتناول مثل هذه الخبائث .

« بدر الخرشنى » ، غلامٌ رومى من « خرشنة » في بلاد الروم ، ظلّ يعلو شأنه حتى صار من كبار رجال الدولة . وحين ولى الخليفة المتقى في ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ، كان بدرٌ ببغداد ، فخلع عليه المتقى ، وقلّده الحجابة ، وجعله حاجب الحجاب . ثم جرت له أمور ببغداد ، فصرف عن الحجابة سنة ٣٣٠ ، وقلّده المتقى طريق الفرات ، فصار إلى الإخشيد محمد بن طنج ، أمير مصر ، مستأمناً ، فأمنه الإخشيد وولاه إمرة دمشق ، فولّيا شهرين ، ومات في ذى القعدة سنة ٣٣١ . وكذبَ بحثٌ أن يقال إنه جعل مقرّه في طبرية سنة ٣٢٨ = أو أن يقال : إنّه من أصل عربى = أو أن يقال إن المتنبي مدحه ، إلى آخر هذا الإفك .

وأما « بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدى الطبرستانى » ، فهو عربى صليبيّ من بنى أسد ، يقول المتنبي ، وهو أعلم ببدرٍ من يكون ، يذكر اسمه كاملاً في شعره ، حيث يقول :

حَدَّقْ يُدِّمُ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ

ويذكر نسبه في العرب فيقول :

إلى البدر ابن عَمَّارِ الذي لم يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهَلَالِ
/ سِنَانٌ فِي قَنَاةِ بَنِي مَعَدٍّ ، بَنَى أَسَدٌ ، إِذَا دَعَوْا التَّرَالَا

١٢٤ م

وبنو أسد ، من معد بن عدنان . وهو ليس أسطورياً ، وليس عند العرب ما يقال له شخص « أسطوري » كالذي عند الأعاجم ، فقد ذكره محمد بن عبد الملك القرطبي الهمداني (- ٥٢١ هـ) ، صاحب تكملة تاريخ الطبري فقال : « وكان بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، يتقلد حرب طبرية لابن رائق ، وهو الذي مدحه المتنبي بقصائد عدة » ، وليس له ذكر في كتب التاريخ المطبوعة التي بين أيدينا ، سوى هذا الكتاب ، وما جاء في ديوان أبي الطيب . ولم يكن والياً على دمشق قط ، وزال بحمد الله الخبث والخلط . فهما إذن رجلان مختلفان لا رجل واحد ، أحد شقيقه حقيقة والآخر أسطورة !! هذا مجرد عبث مُستشرقٍ بارد .

ثم إن الأستاذ عزاماً الذي اجتنب هذا الخبث فلم يذكره في كتابه عن المتنبي ، واقتصر ، وهو في حيرة من أمر ما قرأه في كتابي ، على أن ذكر « بدر بن عمار الأسدي » في مواضع قليلة ، ولم يؤرخ له إلا في أول الكتاب (سنة ٣٢٩) ، واستخرج هذا التاريخ استخراجاً من بين التواريخ التي ذكرها بلاشير في تحاليله السالفة بين « بدر الخرشني » و « بدر بن عمار » ، وكأن الأستاذ كان في ريبة من أمره .

وقد كنت في حديثي معه في دار مجلة « الرسالة » ، قد أشرت إلى هذا الذي كان منه في شأن « بدر بن عمار » وإغفاله ، ومضت سنوات منذ / سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٤ م ، حين نشر الأستاذ ديوان المتنبي ، وبذل جهداً كبيراً في الجمع بين النسخ المختلفة للديوان ، وكتب له مقدمة طويلة ، وعقد فيها باباً بعنوان « ترتيب الديوان » ، وذكر القسم الأول الذي لم يؤرخ ، وكان كلامه مؤمهاً أن بعض هذا القسم قد عُرف تاريخه في

بعض النسخ المخطوطة ، وليس هذا صحيحاً ، والتواريخ المذكورة فيه هي مما أودعه هو كتابه عن أبي الطيب ، ولكنه انتهى أخيراً إلى غلبة الظن بأن ترتيب هذا القسم موضوع على الترتيب التاريخي ، ولم يزد على أن قال متواضعاً في هذه المرة : « ولم أعرف في ترتيب هذا القسم ما يخالف الترتيب التاريخي ، إلا القصيدتين اللتين مدح بهما مساور بن محمد . فقد قدرْتُ أنهما نظمتا سنة ٣٢٩ » ، إلى آخر ما قاله في كتابه عن أبي الطيب . وقد أزلنا نحن إشكالهما آنفاً بحمد الله ، وبقي ترتيب المتنبي للقسم الأول من ديوانه سليماً مطابقاً للترتيب التاريخي .

ولما بدأ الديوان ، لم يتدخل الأستاذ عزام في حواشي الكتاب بشيء ، فإنه لما بلغ قصيدته التي قالها في سجنه ، وزعم في كتابه وفي مقدمته أن (الخرشني) هو « بدر الخرشني » ، وأن تاريخها هو سنة ٣٢٤ أو ٣٢٥ ، لم يعلق بشيء في داخل حواشي الديوان = ولما بلغ القصيدتين اللتين قالتهما في « مساور بن محمد الرومي » ، والتي أراحهما في كتابه وفي مقدمته بسنة ٣٢٨ وأوائل سنة ٣٢٩ ، لم يعلق أيضاً بشيء في داخل حواشي الديوان . وقد أحسن إذ لم يفعل ، وليته استمرَّ على ذلك ! غير أنه لما بلغ مدائح / ١٢٦ م أبي الطيب في « بدر بن عمار » ، لم يملك نفسه ، فقد كان حديثي يورقه منذ سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٤ ، فأحدث هذا التعليق ، وهو التعليق الفرْدُ اليتيم الذي جاء به من عند نفسه ، في هذا القسم الأول ، لا بل في سائر الكتاب قال :

« قصائد بدر بن عمار » يسهل تأريخها ، فبدر كان يلي طبرية من قبل ابن رائق . وكان استيلاء ابن رائق على الشام سنة ٣٢٨ ، وقتل في رجب سنة ٣٣٠ ، فقصاص بدر نظمت بين هذين التاريخين . ثم أبو الطيب في القصيدة الآتية التي مطلعها : « بقائى شاء ، ليس همُّ ، ارتحالاً » ، يمدح بدرًا بقوله :

حسام لابن رائق المُرَجَّى ، حُسامُ المتَّقَى أيامَ صالاً

وكانت خلافة المتقى في ٢٠ ربيع الأول سنة ٣٢٩ ، فقد نظمت هذه القصيدة

بين ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ، ورجب من السنة التالية . والظاهر أن القصائد الأخرى توالى قبل هذه القصيدة . فشعر المتنبي في « بدر » ينبغي أن يؤرخ بسنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

وهذا كلام في غاية الغموض والإبهام والاضطراب ، سقيم التركيب لا يتركب على هذا الوجه إلا في نفس تركتها الرعدة تدور في مكان ضئلك ، أشلاء متطايرة ، وألفاظاً في ظلمة تتصادم . ليس هذا خيلاً ، بل / هو تصوير للحقيقة . إما لا ، فانظر إلى سياق م١٢٧ منطقته ! ولكن ينبغي أن تعرف ، أول كل شيء أن عدد القصائد التي قالها المتنبي في بدر ابن عمار (٥) خمس قصائد لا غير ، و ٢٣ مقطوعة . وهو كلام يتركب من ثلاث مقدمات ونتيجة ، وهذا تشقيقه وتحليله :

المقدمة الأولى : « قصائد المتنبي في بدر قد نظمت بين سنة ٣٢٨ ، ورجب سنة ٣٣٠ » .

المقدمة الثانية : « القصيدة الثالثة ، نظمت بين ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ورجب سنة ٣٣٠ » ، (بينهما ستة عشر شهراً) .

المقدمة الثالثة : « الظاهر أن القصائد الأخرى (الأربعة) توالى قبل هذه القصيدة = أى قبل القصيدة (الثالثة) .

النتيجة : « فشعر بدر ينبغي أن يؤرخ بسنة ٣٢٩ » .

وأنا أرجح أن (المقدمة الأولى) لم تذكر إلا تمهيداً وحصراً لما يأتي بعدها ، وإلا صار الكلام سُقماً خالصاً كله ، لأنه يناقض (النتيجة) ، ولكنه أساء التعبير . وأما (المقدمة الثانية) : فهي تجعل (القصيدة الثالثة) مترددة بين طرفين في زمن مقداره ستة عشر شهراً = ممكن أن تكون في الشهر الأول ، / أو الذي يليه ، إلى الشهر م١٢٨ السادس عشر ، (٩) تسعة أشهر في سنة ٣٢٩ و (٧) أشهر في سنة ٣٣٠ . كل ذلك جائز .

وأما (المقدمة الثالثة) : فتجعل ظاهر الأمر أن القصيدتين الأولى والثانية ، والقصيدتين الرابعة والخامسة ، قالها المتنبي متواليه قبل (القصيدة الثالثة) ، أى هى تابعة لقصيدة مترددة بين طرفين فى زمن مقداره (٩) تسعة أشهر فى سنة ٣٢٩ ، و (٧) أشهر فى سنة ٣٣٠ .

ومعنى ذلك أننا إذا فرضنا أن (القصيدة الثالثة) قيلت فى رجب سنة ٣٣٠ ، فالقصائد الأربع الأخرى التى توالى قبلها ، ممكن أن تقع جميعاً فى الأشهر الستة الأولى من سنة ٣٣٠ فقد خرجت (سنة ٣٢٩) خروجاً كاملاً سهلاً من تاريخ هذه القصائد !! أليس كذلك ؟

فكيف يمكن إذن أن تكون (النتيجة) الخامسة : « فشر المتنبي ينبغى أن يؤرخ بسنة ٣٢٩ ؟ » « ينبغى » يا للعجب ! هذا هو السهل الممتنع !! وهذا السهل الممتنع ، هو الذى يجعله سهلاً عليك أن تقبل منى ما وصفت به هذا الكلام ، وأنه حقيقة واقعة ، لا خيال فيها !

لا ، بل إذا فرضنا فرضاً آخر ، وهو أن (القصيدة الثالثة) قيلت فى أول ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ، كان ممكناً أن تتزحزح معها القصائد الأربع الأخرى ، راجعة القهقرى ، حتى تدخل جميعاً فى سنة ٣٢٨ دخولاً صريحاً ربما أنتهى إلى أوائل هذه السنة . فكيف يمكن ، إذن ، أن تكون النتيجة الخامسة : « فشر المتنبي ينبغى أن يؤرخ بسنة ٣٢٩ هـ ؟ » يا للعجب !

/ جائر جداً أن يكون الأستاذ لم يتعلم الحساب قط ، ولكن لست شعري هل يجوز أن يكون ضعيف الذاكرة أيضاً ضعفاً يجعله ينسى ما قاله فى كتابه الذى هو « أجمع وأدق ما كتب عن الشاعر » ، والذى هو « جدّير بعناية كل معنى بسيرة أى الطيب وشعره ، وحقيق بثقة كل قارئ » ، فإنه قال هناك على وجه القطع : « قصائد بدر التى نظمت فى أواخر سنة ٣٢٨ ، وأوائل سنة ٣٢٩ » ، بهذا التحديد الحاسم

والمبهم أيضاً ، وأيضاً بغير دليل ؟ وإذا صبح أنه قد نسى ما قاله في كتابه سنة ١٩٣٦ ، فكيف تذكر في سنة ١٩٤٤ أن ينقله بنصه في مقدمة الديوان الذى فيه تحديد التاريخ بسنة ٣٢٩ ، على وجه القطع بقوله « ينبغي » ؟ يا للعجب ! إنه ، كما قلتُ آنفاً ، كلام ، والله تعالى لم يخلق لنا الألسنة إلا للكلام ، فإذا فعلنا ، فذلك إقرار منا له سبحانه بعظيم نعمته ، والحمد لله رب العالمين .

وفي هذا الكلام آفات أخرى كثيرة ، أنا أعلم من أين أتت ، ولكنى أتركها جانباً ، وأحملُ إثمها الرجل الذى أخذ الأستاذ عنه ، وإن لم يصرح بذكره . قلتُ آنفاً في (المقدمة الأولى) التى قال فيها : « قصائد المتنبى في بدرٍ قد نظمت بين سنة ٣٢٨ ، ورجب سنة ٣٣٠ » ، قلت : « إني أرجح أنه لم يذكرها إلا تمهيداً وحصرًا لما يأتى بعدها » ، إفراطاً في حسن الظن ، وتبرئة لكلامه من التناقض الفاحش . وهذا التاريخ المحدد في (المقدمة الأولى) إنما هو تاريخ ابن رائق منذ ولايته على الشام سنة ٣٢٨ إلى أن قتل في رجب ٣٣٠ ، وليس تاريخاً لبدر بن عمار ، حتى يصح أن تكون مقدمة حاصرة لما يأتى بعدها من التواريخ .

/ كل ما في الأمر أن بدر بن عمار الأسدى « كان على حرب طبرية من قبل ابن رائق » ، كما قال المتنبى نفسه ، أى أن ولايته تبدأ سنة ٣٢٨ حين ولّاه ابن رائق . فإذا قُتل ابن رائق في رجب سنة ٣٣٠ ، أفمعنى ذلك أن يكون ابن عمار قُتل هو الآخر (أتوماتيكياً) في هذه السنة ؟ أو معناه أن يكون صُرف عن ولاية حرب طبرية (أتوماتيكياً أيضاً) ساعة قتل ابن رائق ؟ من أين للأستاذ أن يكون العمل الجارى في الولايات أى يُصُرف كل العمال عن ولاياتهم ، إذا مات أو قُتل الذى ولّاهم ؟ أليس ممكناً أن يكون ابن عمار بقى على حرب طبرية بعد قتل ابن رائق ، سنة أو سنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ، أو فوق ذلك ؟ ممكن بلا شك ، وإذا كان هذا ممكناً ، فما قيمة هذا التاريخ ، « سنة ٣٢٨ إلى رجب سنة ٣٣٠ » في الحصر المؤدى إلى حصر تاريخ شعر المتنبى في بدر بين هذين التاريخين ؟ الأمر كله فسادٌ وخلطٌ ودغوى ، ورغبة في مخالفتى ، لا أكثر

ولا أقل ، لأنني قلت في كتابي : إن المتنبي بقي في جوار بدر بن عمار : « من أواخر سنة ٣٢٨ إلى أوائل سنة ٣٣٣ على وجه التقريب ، لا على وجه التحقيق » [انظر هذا السفر ص : ٢٦٠] ، هذا كُلُّ ما في الأمر « والسلام » . وكُلُّ ما في الأمر أيضاً أن الأستاذ عزاماً ظل ثماني سنوات (من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٤) ينتفض في قبضة كلماتي التي قلتها له ونحن في دار مجلة « الرسالة » ، فحاول هذه المحاولة « اليتيمة » البائسة ، في الردِّ عليَّ من وراء حجابٍ ! أمّا عقول القراء ، وأمّا التحقيق التاريخي ، وأمّا أمانة العلم ، فأمور لا قيمة لها ، مادام قد بَلَغَ منِّي بَظَنُّهُ مبلغاً حتى سَقَطَ في يَدِي ، وأطَرَقَتْ أنظر إلى الأرض ، أقرع السنَّ من ندم على ما قلت !!

١٣١ م / هكذا كانت تجري الأمور ، ولا تزال تجري ، على المثل الجاري : « مِنْ دَفْنِهِ وَأَقْتَلْهُ » ، يأخذُ منِّي ويردُّ عليَّ ! ويظنُّون أنه باب خفيٌّ من أبواب علم « السطو » ، فسبحان ربِّنا الأكرم ، الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم !

إنما عرضت مثلاً مما في الكتاب لا أكثر ، أما سائر ما أخذه الأستاذ عزام اجترأاً مجرداً ، أو سطواً عرياناً ، فلم أتعرض له هنا ، وقاريء كتابي وكتابه قادرٌ على أن يراه ، كما رأى بعضه ذلك الشاب العراقي الذي لم يدخُل « جامعة » ولكنه ثقَّف نفسه بالقراءة ، وهو جالسٌ في دكانٍ صغيرٍ يبيع فيه الكتب ، فكتب إليَّ رسالة يذكر فيها أكثر من ثلاثين موضعاً في كتابي ، أخذها الأستاذ فوزعها بالعدل والقسطاس على أبواب كتابه ، ورحم الله الشاب قاسمَ الرِّجَب الكُتَيْبِي ، فقد كانَ مثلاً لليقظة في شبابٍ وشيوخٍ كثيرٍ ، قد نامت عقولهم واسترخت تحت التخدير الثقافي !

الكتاب الثاني

أما الكتاب الثاني ... أما الكتاب الثاني ... أما الكتاب الثاني ، وأمرنا جميعاً إلى الله ، فهو كتاب الدكتور طه حسين « مع المتنبي » الذي نشره بعد صدور كتابي بسنة واحدة أو أقل .

قلت أنفاً [انظر ما سلف من : ٢٣٥ ، ٢٤ :] إلى حين قرأت شهادة الدكتور / طه على جيلنا م ١٣٢ المفرغ من ثقافة أمته في سنة ١٩٣٥ ، توهمت ، بحسن الظن ، أنه سوف يبدأ عهداً جديداً في تفكيره ، وأنه سيفارق السُّنة التي سنّها هو والأساتذة الكبار ، أعنى سُنّة « السطو » وسُنّة التلخيص . ولما فرغت من من قراءة آخر مقالاته في مايو سنة ١٩٣٥ ، وجدت أيضاً أنه يُحاول محاولة أن يسلك طريق « تذوق الشعر » [انظر ما سلف : ٣٥] ، وهو الطريق الذي حاولت قديماً ، وأنا طالبٌ في الجامعة ، أن أقنعه به فيأتي ويُعرض ، وذلك الطريق هو كما قلت : « ضرورة قراءة الشعر الجاهليّ والأمويّ والعباسيّ قراءة متذوّقة مستوعبة » ، ليستبين الفرق بين الشعر الجاهليّ والإسلاميّ ، قبل الحديث عن صحّة نسبة هذا الشعر إلى الجاهلية ، والتماس الشُّبه لتقرير أنه باطلٌ النسبة ، وأنه موضوع في الإسلام ، من خلال رواياتٍ في الكتب ، هي في ذاتها محتاجةٌ إلى النظر والتفسير [انظر ما سلف : ١٧] .

ثم قلت : [من : ٢٥] واصفاً تذوّقه للشعر في مقالاته : « ولكّنه تذوّقٌ بلا منهج ، وبلا هدَف ، وعلى غير أصل » . وإذا أنا مخطيءٌ في الأمرين جميعاً خطأً فادحاً .

وجاء أسبوع الاحتفال بمرور ألف سنة على وفاة أبي الطيب ، بدار الجمعية الجغرافية سنة ١٩٣٦ . وقيل ذلك بأيام كان قارئُ الدكتور طه المصاحبةً قد لقيني في الطريق ، فأخبرني أن صاحبه يرى أن المتنبي « لقيطٌ لَغِيّة » ، فاستكبرت ذلك واستنكرته مستعِذاً بالله من سوء ما أسمع . كنتُ لم ألقِ الدكتور طه منذ فارقتُ الجامعة في سنة ١٩٢٨ ، حتى كان أسبوع هذا / الاحتفال . وفي أوّل يوم من الأسبوع بدأ الدكتور طه م ١٣٣

محاضرته ، واستفتحها قائلاً : « لقد شكَّ بعضُ الناس في نسب المتنبي ، وأنا أوافقه على هذا الشك » ، فكذتُ أقوم من فوزى لأردَّ عليه ، ولأُعلمه أنّي حاضرٌ غير غائب ! فقد غَاطَنِي زَهْوُهُ وخِيالُهُ ، وعُنْجُهَيْتُهُ وهو يرْتَلُّ أَلْفَاظَهُ ترتيلاً ، ليجمع أنظارَ الناس إلى مَخْرَجِ كلماته ، كعادته في الزَّهْوِ . وكان إلى جوارى أحدُ الأساتذة المقرَّين إليه ، فأحسُّ بما هممتُ به فأمسكنى وقال : لا تُعَجِّل ! فقلتُ له : إذن ، فأبلغ الدكتور طه أنّ موافقته أو مخالفته لا تساوى عندي « قرشاً ماسحاً » تتلافظه الأيدي في الأسواق ، لأنه لُفَاطَةٌ لا تُصْلَحُ للتداول ! وانتهت المحاضرة .

وعند انصرافى رآنى أستاذنا عبد الحميد العبادى رحمه الله ، فأقبل وأخذ بيدي وخرجنا من القاعة ، وإذا نحن فجأةً عند الباب خلف الدكتور طه حين انصرافه ، فعزَمَ على أستاذنا العبادى أن أسلم على الدكتور ، فاستعلن غَضْبَى وأَبَيْتُ ، ولكن لم أكُذ حتى سمعته يقول للدكتور : هذا محمود شاکر ، يادكتور ! فوقف ، والتفت التفاتةً يسيرةً ، ومددت يدي فسلمتُ ، وغلبنى الحياءُ والخجلُ ممَّا لقينى به من قُرْطِ البشاشة والحفاوة ، ثم أخبرنى أنّه قد قرأ كتابى كُلَّهُ ، وجاءَ ببناءٍ لم أكن أتوقَّعه ، وأطال وأفاض ، وغَمَرَنِي ثَنَاؤُهُ حتى ساخت بى الأرض [انظر خبر ذلك فيما سأتى : ٥٢٣] . فمات لسانى فى فمى ، فلم أستطيع أن أنبس بحرف حتى فرغ ، وهو آخذٌ بيدي لا يُرسلها ، إلى أن ركب ، وافترقنا . غير أن صاحبنا الذى كان إلى جوارى ، لم يكذبُ خبراً ، فأبلغ الدكتور طه رسالتى إليه ، لأنى لم أكُذ / أبلغ باب دار الجمعية الجغرافية فى اليوم التالى ، حتى وجدتُ صاحبنا على الباب ينتظرنى ، ويأخذنى إلى الدكتور طه ، فإذا هو جالسٌ ومعه الدكتور منصور فهمى وأستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق وآخرون ، فاستقبلنى الدكتور مهلاً ضاحكاً أشدَّ ضحكى وهو يقول : لا تبرحُ أن تكونَ صَعِيداً ، كما كُنتَ قديماً !! واستمرَّ الحديث بينى وبينه وبين الجماعة ساعةً ، حتى دنا ميعادُ محاضرة اليوم ،

تصرَّم الأسبوع كُلُّهُ ، فلا أنا سَعَيْتُ إلى لقائه مرَّةً أُخرى ، ولا هو ذكرنى فنادانى ، ولكنى ، فى الحقيقة ، قضيتُ بقية الأسبوع أَقْلَبُ أَمْرَ الدكتور طه فى نفسى ظهراً لبطن ! لم أرتح إلى هذه الحفاوة المُفْرِطَة ، ولا إلى حديثه المُسَهَّبِ الذى يَرشُحُ ثناءً وإطراءً ، وربانى ما ربانى من أمره ، لأننى أعرفُه معرفةً !! فلما لقيتُ الشيخ مصطفى عبد الرزاق فى داره بعد أيام ، وكان قد ذكرنى فى كلمته التى ألقاها فى أسبوع المتنبى ، بثَّتُ الشيخ ما فى نفسى من الازتياب فى أمر الدكتور ، وأننى مُقْبِلٌ غداً على تجرُّع إحدى فَعَلاته ! فاستنكر الشيخ حديثى استنكاراً شديداً ، وغضبَ مُزَوَّراً عن كلامى ، وقال لى : لا تَكُنْ سَيِّءَ الظَّنِّ بِأستاذك ! وأمسِكْ عليك لسانك وأوهامك ! ورحم الله الشيخ ، فقد كانت صداقته للدكتور طه وحبُّه إيَّاه يزيدان فى سلامة طَوْبَيْتِه !! ويقعدان بها على شفا حُفْرَةِ هاوية لا يراها ويأبى أن يراها ، « وعَيْنُ الرِّضَا عن كُلِّ عيبٍ كليلَةٌ » ! ولا أدري بعد ذلك ما كان ؟ وهل أحسُّ ساعةً أن الدكتور طه قد خَذَلَهُ وخَذَلَ ثِقَتَهُ / خَذَلَنَا كَثيراً ، أو لا ؟ فإن كُلَّ ما سمعته الشيخ منى من شكوكٍ وريبٍ ، سرَّعاناً ما ١٣٥ تحقَّق ، على الوجه الذى فصلَّته له تفصيلاً صريحاً . وكان ما كان ، و « رَجَعْتُ رِيمةً ، إلى عاداتها القديمة » ، كما يقال فى المثل ، بل هى لم تفارقِ عاداتها قط ، ولا تملكُ أن تفارقها ضربةً لازب .

...

ففى يناير سنة ١٩٣٧ ، أى بعد أقلَّ من عامٍ منذ ظهر كتابى ، كان ما توقَّعته ، كالذى حَدَّثْتُ به الشيخَ حَدَثُكَ القُدَّةَ بالقُدَّةَ ، كما يقال فى هذا المثل وإخوته . نشرت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » كتاب الدكتور طه « مع المتنبى » فى جزئين كبيرين ! وقد حَدَّثْتُكَ قبل ، [ص : ٣٤] ، أنَّ الدكتور طه فى سنة ١٩٣٥ ، وما قبلها وما بعدها ، « كان فى قمة مجده الذى حازه بالضجة التى ثارت حول كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وأنَّه كان يومئذ يروحُ ويغدو على ذُرَّاهَا ، يملؤهُ الرِّهْو ، وتستخِفُّه الحَيَلَاءُ ، ويميدُ به العُجْبُ » .

اشتريتُ الكتاب ، وكان خسارة ! ولكن أين المفقود ؟ فكل محبٍ للقراءة مثلى يُوقعه حبه مراراً وتكراراً فى الخسارة بعد الخسارة ، ثم لا يتوب ! هكذا كُتِبَ زماننا ! لقد جلبتُ على نفسى شراً كبيراً ! شرعت أقرؤه ، وأجارك الله وعصمك من كل تلف . وقعتُ فى مهلكة من غمٍ مطبقٍ ثوبس من كل نجاة . ست صفحات فى صدر الكتاب [من ص : ٣] الى م ١٣٦ م ٢٨ / وأنا تحت أقدام مزهوة ، وخطوات تتبختر ، وتحت مواطىء عجب غليظ يدوسنى جيئةً وذُهوياً ، منذ أول سطر :

« لا أريد أن أدرس المتنبى ... لم أترك القاهرة إلى فرنسا للبحث والدرس ... كتب لا أستجيب لها إلا حين أدع مصر وأعتزل المصريين ... لا أريد إذن أن أدرس المتنبى ... فررت بنفسي وأهلى من الدرس والتحصيل ... أكره لنفسي أن أمضى فى درس المتنبى أكتفى بأيسر طبعة من ديوان المتنبى لأنى لا أريد درساً ولا بحثاً ... ليس المتنبى من أحب الشعراء إلى ... هو بعيد كل البعد أن يبلغ من نفسى منزلة الحب والإيثار أحب أن أعاند نفسى وأخذها من حين إلى حين ببعض ما تكره من الأمر لم أجد بأساً أن أثقل على نفسى بالتحدث إلى المتنبى إذن إنما هى قراءة المتنبى لا أريد أن أدرس المتنبى إذن ... إنما هى قراءة المتنبى فى غير نظام ولا مواظبة قراءة إن صورت شيئاً ، فإنما تصور طغيان المرء على نفسه ، ولعبه بوقته وعَبَثَهُ بعقله ، وعصيانه لهواه ... قل ما تشاء فى هذا الكلام الذى نقرؤه . قل إنه كلامٌ يُملِيه رجلٌ يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلامٌ يهذى به صاحبه هذياناً ، قل إنه كلامٌ يصدر عن رأى وأناة ، وقل إنه كلامٌ يصدر عن شذوذٍ وجُمُوح ، فأنت محقٌ فى هذا كله ما أظننى أعرفُ أدباً مقيداً مسرفاً فى التحرج ، غالباً فى الاحتياط ، كأدبنا العربى الذى ينشئه أصحابه وهم يفكرون فى الناس أكثر مما يفكرون فى أنفسهم ، حتى أطمعوا الناس فيهم ، وأصبحوا عبيداً للجماعة ، وخدماء للقراء .

/ « فلنتمرد على الجماعة ، ولنشر بالقراء ، ولننبذ الاحتياط ، إلا هذا الذى يُثير الشر » م ١٣٧

ويؤذى الأخلاق » ، انتهى تلخيصه ، من [ص : ٣] الى م : ٨] .

« لا أريد أن أدرس المتنبي » ، « ولا أريد بحثاً ولا درساً » !! زهوٌ بغيض ، وخيلاءٌ نابية ، وعُجبٌ لا يرحم بائساً رماه حُبُّ القراءة في ثُورٍ وقودُه من زُمهريرِ ثُرثرة قارسة . و « شينشنة أعرفُها من أحزم » ، فهو دائماً يحبُّ أن « يغيظ » القراء ، وأن يثير « سخطهم » ، وأن يعاند نفسه و « يعاند » الناس . سلسلة طويلة مكررة من الاستعلاء والاستخفاف . ومضيتُ أقرأ محتملاً ما حُمِلْتُ ، فرأيتُ الدكتور قد صدَّق وعيده حيث لا خير في الصدق ، فما هو إلّا « الذي يثير الشرَّ ويؤذي الأخلاق » . كُلُّ ذلك فَعَلَ ، وجاوزهُ إلى أكبر مما قال وأفحش ، حتى فرغ من الكتاب . ولكنني فوجئت بفصل في ثمانى صفحات [ص : ٧٠٤ - ٧١١] ختم به كتابه ، بعنوان « بعد الفراغ » ، لا يقلُّ عن الفصل الأول إغراقاً في الزهو والعُجب والخيلاء ، ولكنه جاءني أنا وحدي بأعجب العجب ، فعرفني بشأن من شئون الدكتور لم أكن أعرفه أو أعهده ، من ذلك أنه رجل نساء ، ينسى كُلُّ ما يهضبُ به لسانه نسياناً كاملاً في أقل من نصف سنة ، ثم يعودُ فيذكره ، فينقضُّ على نفسه ما قاله آنفاً نقضاً مبرماً !

ويَبِّان ذلك : أنه كان مما قال لي يومَ دار الجمعية الجغرافية ، على مشهدٍ / من ١٣٨
الأساتذة وقوفاً حوله ^(١) : « يا فلان ؟ اعلم أني قرأتُ كتابك مرَّتين ، بل ثلاثاً ، ولا أظنُّ إلّا أني عائدٌ إلى قراءته مرَّات ، وأنا أشهدكم (هكذا قال) ، أنني لم أقرأ منذ سنوات كتاباً

(١) قلت في نقدي لكتاب الدكتور ، المنشور في هذا السفر ص : ٥٢٣ ، ما نصه :

« إن الدكتور طه نفسه ، في أول لقاء لي معه في يوم من أيام أسبوع المتنبي بالجمعية الجغرافية ، وقَفَ يشني على كتابي بما أستحي أن أردده في هذا المكان من كلامي . ثم اعترف بأن أحداً لم يسبقني إلى توقيت قصائد المتنبي هذه ، وأنه قد رضى بكل الرضا إلى آخر كلامه الذي أذكره ولا أنساه » . قلت هذا في مايو سنة ١٩٣٧ ، والذي أذكره هنا هو بعض ثنائه يومئذ ، ولا بأس إن شاء الله ، لأنني أقصُّ قصَّةً ، ولا حيَاء في القصص ، فيما أظن !!

مثل هذا الكتاب ، ولا أستثنى ، لا في العربية ولا في غير العربية ، لا عن الشعراء ولا عن غير الشعراء . وأشهد أنني ما قرأته مرة ثم عدت إليه أقرؤه ، إلا وجدت لذة أخرى فوق التي وجدتتها في المرة السالفة . وأشهد أنك مثلت لي المتنبى تمثيلاً ، وأنتك أحييتني إحياءً كأنى أراه وأسمعه . وأشهد أنك درست المتنبى كما كان ينبغي أن يُدرس ، وأشهد أنك صوّرت المتنبى كما كان يعيش ، أو كما كان ينبغي أن يعيش . وأشهد » ، وثناء آخر طويلاً ، فقد وجد لسانه لذة (أشهد) ، فراح يكرّرها على عادته .

م ١٣٩

و (من نفسى) ، أحبُّ أنا أيضاً أن (أشهد) شهادة واحدة على نفسى : / أنى لم أجد لإسهابه يومئذ في الثناء ، ولا لإغراقه في الإطراء ، بعض الذى وجدته لثناء الرافعى حين ذكر كتابى ، ولا بعض الذى وجدته من الراحة والبهجة في صمت العقّاد عن كتابى ، [انظر ما سلف من : ٧٦ - ٧٨] ، بل الذى وجدته جاثماً في نفسى بعد فراقه ، هو ما أفضيت به إلى الشيخ مصطفى عبد الرازق ، لأننى كنت خبيراً بالرجل أعرفه معرفةً ، و « حَمَرُ أَبِي الرَّوْقَاءِ لَيْسَتْ تُسَكَّرُ » ، أو هى ليست تسكرنى أنا على الأقل ؟

قال ما قال ثم نسيه ، هكذا ينبغي أن أظن ! وبعد أن فرغ من كتابه تذكر ما قاله ، فأخذه ، فأكله ، فمضغه فأجاد مضغه ، ثم ابتلعه ، ثم عاد فاستخرجه ، فأنشأه خلقاً آخر ، فقال : « الأمر الثانى أنى أبعد الناس عن حسن الرأى فيما أملت ، ولا تظن أنى أريد التواضع = أو أن أغضّ من هذا الجهد الذى أنفقته إنما أريد أن ألاحظ أن هذا الكتاب إن صوّر شيئاً ، فهو خليق أن يصورنى أنا في بعض لحظات الحياة أثناء الصيف الماضى (!!) ، أكثر ممّا يصوّر المتنبى » ، (وهذه حقيقة كتابه هذا ، لكن من غير الوجه الذى أرادته هو !!) . ثم قال بعقب ذلك مباشرة : « وإته لمن الغرور أن يقرأ أحدنا شعر الشاعر أو نثر النائر ، حتى إذا امتلأت نفسه بما قرأ ، أو بالعواطف والخواطر التى يثيرها فيها ما قرأ ، فأملى هذا أو سجّله في كتاب ، ظنّ أنه صوّر الشاعر كما كان ، أو درسه كما ينبغي أن يُدرس ، على حين أنه لم يصوّر إلا نفسه ، ولم يعرض على الناس إلا ما اضطرب فيها من الخواطر والآراء » ، وفهمت أنا تعريضه الخفى ، وفهمت أيضاً

(نظرية / اللحظات !) التى أتى بها بعد ذلك ، حين استمر يتكلم حتى ١٤٠ م
سكت ووضعتُ الكتاب جانباً ، وعزمتُ أنا على أن أتكلّم .

وفى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٧ ، كتبتُ المقالة الأولى ، من المقالات التى جعلتُ
عنوانها : « بينى وبين طه » . وحين بدأتُ أكتب ، كنت قد حدّدت طريقى تحديداً
كاملاً ، وهو أن أواجه الدكتور طه بثلاث حقائق :

الحقيقة الأولى ، أنه ، فى أكثر أعماله ، « يسطو » على أعمال الناس سطواً غريباً
أحياناً ، أو سطواً متلفعاً بالتذاكى والاستعلاء والعجب أحياناً أخرى .

والحقيقة الثانية ، أنه لا بصّر له بالشعر ، ولا يحسن تذوّقه على الوجه الذى يُتيحُ
للكتاب أن يستخرج دَفَائنه وبواطنه ، دون أن يقع فى التدليس والتلفيق .

والحقيقة الثالثة ، أن منطقَه فى كلامه كُلّه مُختَلّ ، وأنه يسترّه بالتكرار والترديد
والثرثرة .

ولم أجد بُدّاً من هذه المواجهة ، لأنى يوم فارقت الجامعة ، سنة ١٩٢٨ فارقتها
« ومعى ذلّ العجز ، يومئذ ، على مواجهته برأى فى تفاصيل « سنّة السطو » التى سنّها
لتلاميذه من بعده = ومعى أيضاً ما أجده فى نفسى من البشاعة « بشاعة ادّعاء المرء
امتلاك ما يسطو عليه ، كأنّه مما اهتدى إليه ، واستحقّ نسبته إلى نفسه بعد طول معاناة
فى البحث وشقاء فى الدرس = وأن عجزى ، كان ، عن مواجهته بلسانى ، غير متهيّب
ولا متأدّب ، كان يهدمُ نفسى هدماً ، وينسفُ آدائى نسفاً ، ويتركُ فى ضميرى غُصّةً
تأبى أن تزول . كان شيئاً بشعاً لا أطيقه » ، [انظر ما سلف من : ١٨] . كان ذلك كُلّه مما
أجد ، لا لأنه كان أمراً يمسّنى ، لا ، بل لأنه كان يسُنُّ سنّةً مُتلفّةً مفسدةً للحياة
الأدبية والحياة / العقلية والحياة النفسية فى الجيل البائس الذى أنا منه ، بسطوه سطواً
غريباً على مقالة الأعجميّ المستشرق « مرجليوث » ، ثم بسطوه على آخرين لم أذكرهم ،
سطواً متلفعاً بالتذاكى والاستعلاء والعجب . ذلك عجزٌ كان ، ثم انقضى .

أما الآن ، فلا ! وإذا كان غيرى قد قبل راضياً بما يفعله الدكتور بمجهده ونصبه ومعاناته ، أو قبل ذلك صامتاً على مضض ، اتقاءً لمعرة لسانه ، أو هيبه لما حازه من المجد والذكر والصيت ، أو مخافةً من سوء ظن الناس به ، أو رجاءً لخير يتوقعه على يديه ، فإننى أتيت . أتيت فى سنة ١٩٣٧ أن أستخذى لهذا السطو والإرهاب (الثقافى) !! وأخذت هذه المقالة الأولى ، وذهبت إلى دار صحيفة « البلاغ » ، إلى أستاذنا إبراهيم عبد القادر المازنى ، وسألته أن يقدمنى إلى صاحب « البلاغ » عبد القادر حمزة باشا ، ولم أذكر له شيئاً مما أريده ، فقدمنى إليه وانصرف . وبعد حديث قصير عرفته فيه بنفسى ، أخرجت المقالة ومددت يدي بها إليه ، وقرأ العنوان : « بينى وبين طه » والأسطر الأولى ، ثم نظر لى ، وقال بهدوئه الركين : قد قرأت عدد المقتطف ، ولكنى لم أر كتاب الدكتور طه . ثم عاد يقرأ حتى فرغ . ثم وضع المقالة أمامه على مكتبه ، وقال لى : لماذا كل هذا العنف ؟ فبدأت أحدثه عن أولية أمرى مع الدكتور طه فى الجامعة ، حتى بلغت ما كان منه يوم دار الجمعية الجغرافية ، وما أفضيت به من شكوكى إلى الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وما تحقق من هذه الشكوك بتأليفه كتاب / « مع المتنبى » . وكان حُسن استماعه لى وإصغائه ، يزيدنى عُنفاً فى الحديث ، فلما بلغت الغاية وسكت ، قال لى : ألا تخاف لدد الدكتور طه ؟ فقلت : لى لا أهابه ، بل أنا أعرفه ، وأعرف أنه إذا ما قرأ المقالة الأولى وما بعدها سوف يعرف ما عندى . والذى عندى من أدلة سطوه على كتابى ، مادةً وأسلوباً وطريقةً فى تدوq الشعر ، وما عندى من أدلة سطوه على آخرين ، سوف يمنعه أن يتكلم ، ولو تكلم ، « فما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء ثمرة » ! فضحك وقال : يا لك من مخاصم عنيد ! ثم قال : سأنشر كل ما تكتبه ، ولكنى أحب أن تفعل كذا وكذا نصيحة ضمنت بعضها أول المقالة الثانية ، [انظر هذا السفر : ص ٤١] وما بعدها .

ومضيت أكتب أسبوعاً بعد أسبوع فى البلاغ بعنوان واحد هو « بينى وبين طه » من بلاغ يوم السبت ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٥٥ (٣ فبراير سنة ١٩٣٧) ، إلى أن

كان اليوم الأخير من صفر الخير سنة ١٣٥٦ (١٠ مايو سنة ١٩٣٧) . لم أكد أفرغ من كتابة المقالة الثانية عشرة ، حتى جاءنى نعى أستاذى وصديقى مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، فأنهدم فى نفسى كل ما كان قائماً ، وذهب الدكتور طه وكتابه جميعاً من نفسى تحت الهدم ، فزدت كلمة فى آخر المقالة هى : « ولكن وننتهى من هذه الكلمة حيث انتهى بنا هذا الفصل من كتابه فى ص : ٩٨ ، فإن فى الذى يستقبل من كتاب الدكتور طه طولاً قد امتدّ وسمّق وتسامى !! وإن فى حاجة النفس لما يشغلنا عن الدكتور طه ، وما يأتى به ، أو يقع فيه ، أو يعرض دونه :

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعْتَنَيْتِى الَّذِى أَخَذْتُ مِنِّى ، بِحِلْمِى الَّذِى أَعْطَيْتِى وَتَجَرَّبِى !»

/ وانقطعتُ عن البلاغ أياماً طويلاً ، فلما زرت الأستاذ عبد القادر حمزة ، حاول ١٤٣ م أن يجعلنى أعاود الكتابة ، فأصررتُ على تركها . وحاول آخرون ، فلم أستجب ، وكرهت كتابى وكتاب الدكتور طه جميعاً ، وعدتُ إلى عزلتى لا أبالى .

...

وكذلك لم يكن مقدراً لى أن أتمم هذه المقالات على الوجه الجامع ، لأتى لم أتجاوز فى نقدي كتاب الدكتور طه الصفحة الثامنة والتسعين من ٧١١ صفحة . ونعم ، كنتُ حريصاً ، منذ أول ما كتبت ، أن أكشف فى مقالاتى الأولى عن أساليبه المتنوعة الماهرة فى « السطو » العريان ، وعن أساليبه أيضاً فى « السطو » الخفى الذى يحاول بالغرثرة البارة ، أن يجعل ما سطاً عليه ، يبدو كأنه رأى ارتآه هو بعد بحث ودرس وتنقيب وتحقيق ، إلى آخر ألفاظه التى يغرُّ الناس بها عن الحقيقة . ومع ذلك فأنا أستطيع أن أقول إن الذى ذكرته منها بلا تفصيل فى مقالاتى ، هو جماع أساليبه التى درّب عليها من قبل فى كتابه : « فى الشعر الجاهلى » ، وهو الحاشية الصغرى على مقالة مرجليوث ، وفى توأمة المعدل بعد أن علّت به السن ! وهو كتاب « فى الأدب الجاهلى » ، وهو الحاشية الكبرى على هذه المقالة [انظر ما سلف ص : ١٤] . بيد أنى فى الحقيقة لم أبلغ فى الذى كتبتُه

يومئذٍ ، كُلُّ الذى كان ماثلاً فى نفسى بعد الفراغ من قراءة كتابه « مع المتنبى » ، وحين بدأت أكتب ، لأنى كنتُ أدّخِر شيئاً كثيراً لأبواب الكتاب الأخرى ، من ص : ٩٩ إلى ص : ٧١١ .

١٤٤ م

/ وكتاب « مع المتنبى » هو فى الحقيقة حاشيةٌ كُبرى على ثلاثة كُتب : أولها كتابى ، ثم كتاب الأستاذ عزام ، ثم كتاب بلاشير عن المتنبى ، وكان الدكتور طه قد اكتسب خبرة فائقةً ، بعد عشر سنوات من (سنة ١٩٢٦ ، إلى ١٩٣٦) ، فى كتابة الحواشى (الحديثة) . ففى هذه الحاشية الكبرى جمع كُلُّ ما استطاع أن يحتجّه من هذه الكتب الثلاثة ، ولكنه لم يفعل ذلك إلا بعد أن تجاوز هذه الصفحات الثمانية والتسعين التى وقفتُ عندها . وقد أقرّ هو نفسه على ذلك بلسانه ، وذلك أنه قال فى خاتمته التى سمّاها « بعد الفراغ » ، بهذا الزّهو الغريب الذى كان يستخفه مُدلاً على القراء : « لم أكن جاداً ولا صاحبَ بحثٍ وتحقيق ، وإنما كنتُ عابثاً أريدُ أن أداعب المتنبى ، أو أداعب خصومه وأصدقاءه جميعاً ، وليس أدلّ على ذلك من هذه الصفحات التى تقرأها فى صدر هذا الكتاب . فهى لا تصوّرُ بحثاً ولا جدّاً ، وإنما تصوّرُ عبثاً وهوّاً ، ولكنى لم أكّد ألقى المتنبى وآخذ فى الحديث معه أو الحديث عنه ، حتى صرفنى عن اللهو والعبث ، [الكتابة عملٌ ظريفٌ ، أليس كذلك ؟] ، واضطّررتنى إلى محاولة البحث والتحقيق ، وأتى غرابه فى ذلك ؟ [لا ، لا غرابه !] ، ولم يكن المتنبى صاحبَ راحة ولا ميلاً إلى اللهو ، وإنما كانت حياته كُلّها جدّاً ، وجدّاً ثقيلاً ، ينتهى به وقرّائه إلى الملل أحياناً » ، (ص : ٧٠٤) .

١٤٥ م

لا ريب عندى فى أن هذا الزّهو كُلّه بعبثه وجدّه ، عبثٌ محضٌ ، / وخيلاءٌ بغیضة . ومع ذلك ، فإنَّ صحَّ عند أحدٍ أنّه جدٌّ ، إذا هو تورّط فى الخضوع لمنطق الفرثرة ، فإنَّ هذا الجدُّ ليس من جدّه هو ، بل من جدِّ كتاب الأستاذ عزام ، وكتاب الأستاذ بلاشير ، فهما الكتابان اللذان أخرجاه من العبث الجادِّ إلى الجدِّ العاثر ! ولذلك صار فيما بعد ص ٩٨ ، يذكر أسماء بعض مَنْ كتب عن المتنبى وخاصة

بلاشير ، ويرصّع بعض الصفحات القليلة بحواش قليلة ، يذكر فيها المراجع بالجزء والصفحة ، ويذكر أيضاً ديوان المتنبي بشرح الواحدى ، كأن هذه المراجع مراجعته هو ، وعنهما أخذ ما أخذ ، ولكنها فى الحقيقة مأخوذة من كتابى عزّام وبلاشير ، والحمد لله الذى عافانى ، فليس فى كتابى ذكرٌ للمراجع . ونسى الدكتور طه أنه حدثنا فى أول كتابه أنه كان معتزلاً فى « قرية من قرى الألب بفرنسا » ، وأنه لم يحمل معه من مصر من الكتب ، إلّا « أيسر طبعة من طبعات ديوان المتنبي » ، وشرح الواحدى لديوان المتنبي لا يدخل فى باب « أيسر طبعة » ! فمن أين له المراجع ؟ أليست هذه عجيبة من رجل كالدكتور طه ، ذكّور لا ينسى .

لم ينسَ ، ولكنه مُستخِفٌّ بالقرءاء ويعقوبهم ، ولكن الكتابة عملٌ ظريفٌ ، وتأليف الكتب عملٌ أظرف ! فإن الدكتور طه لم يخرج فى كتابه هذا عن أن يكون عابثاً بلا جدٍ ، فقد جمع الكتب الثلاثة وعجمها عَجْناً حتى كانت صلصالاً من حمائم مسنونٍ ، يستجيب أحسن استجابة لأنامله الماهرة ، فهو يشكّل منها أشكالاً كما يشاء أو يشاء هواه !

وإذا كنتَ محباً للوقوف على قدرة هذا المثال المقتدر فى العبث ، فإنى / أدلك على ١٤٦ م

المقالات الثلاث الأخيرة من مقالاتى [هذا السفر : ٤٨٧ - ٥٣٠] حين اهتبل من بلاشير فكرة « القرامطة » اهتبال الصائد ، وجعل يردّد لفظ « القرمطة » و « قرمطية المتنبي » ترديداً غليظاً ، تلذّذاً وتشدّداً وتشبّهاً بالذين « يملأون أفواههم بالقاف والطاء وما أشبهها من الحروف الغلاظ » أو كما قال : [انظر ما سلف : ٣٢] . وهذا من فعله سَطَوَ مجرد على بلاشير . وفكرة « قرمطية المتنبي » ، على سخافتها وتفاهيتها ، فكرة واهية دالة على خلوّ عقل القائل بها من فهم « القرمطية » ما هى ؟ ولكن الدكتور ظنّ أنه قادرٌ بالثرثرة ، وبعجن ما فى الكتب الثلاثة ، على أن يجعل شعر المتنبي مُبيناً عنها ، مع أن شعره دالٌّ على خلافها تمام الدلالة ، وكلامى الذى افترصه من كتابى ، وعجمته فى صلصاله ، مناقضٌ لها كلّ المناقضة . فكيف أطاق أن يفعل ما فعل ! هذا عبثٌ مجرد لا خير فيه . فاقراً ، غير

مأمور ، ما كتبته في المقالات الثلاث ، فستعلم علم اليقين أن حياتنا الأدبية والثقافية والفكرية عامة ، قد بُذرت فيها بذورٌ من الفساد والعبث والاستخفاف ، والتعالم البغيض ، والسفَه المؤدَّى إلى انتفاض عُرَى العقل عروةً عروةً ، حتى أثمرت هذه الثمرة اليانعة النضيرة التي تتحلَّى بها حياتنا الأدبية اليوم ، (سنة ١٩٧٧) ، وتتميّز تميّزاً ظاهراً ، في كتابة الكتاب وبحث الباحثين ! لا يكاد أحدنا يستثنى نفسه ، فهو كجلس صاحب الكبير (الحداد) ، إن لم تحرقه ناره ، ناله من شره ! ما علينا ، والأمر لله وحده ، لا ملجأ ولا منجى إلا إليه .

م ١٤٧

وكتاب « مع المتنبي » ، بُنى على طرازٍ غير معهودٍ في كتب الدكتور / طه أو كتب غيره ممن كتب عن الشعراء ، فلذلك قلت مراراً في مقالاتي ، وفي الذي تقرأه من قصة كتابي : إن الدكتور طه لم يكن إلا مقلداً لي ، وقد وصفت نفسي آنفاً [مر : ٤٢] ، وأنا أميل الرأي حائراً بين أساليب الكتابة ، وذكرت طرفاً من مناهج المحدثين من كتابنا في تأليف الكتب في تراجم الشعراء وغيرهم ، وبينت متى استقمْتُ على الطريق وكيف ؟ [مر : ٤٦] ، وهو طريقٌ يخالف كُلَّ المخالفة للمعهود من كُتب التراجم ، وقد انفردت بهذا النهج على غير مثالي سابق [مر : ٧٧] ، فإذا جاء بعدى رجلٌ يقصُّ على آثاري قصصاً ، تُخطوهُ خطوة ، فهو بلا ريب مقلدٌ لا أكثر ولا أقل . وقد بينت ذلك في مقالاتي بياناً صريحاً ، ثم قلت : « ونحن هنا لا نفخر بأننا أوّل من كتب تاريخ المتنبي على هذا الوضع الذي تراه في كتابنا ، ولكننا نقرّر ذلك إقراراً للحق ، وبياناً للذي فعله معنا الدكتور طه ، حين أخذ آراءنا فأفسدها ، ووضعها في غير موضعها ، واستعملها بغير حقها ، وأخرج كتابه على غرار كتابنا غير متهيّب ولا متورّع من مذمة أو إثم . وأغراه بذلك ما يعلم من عظيم شهرته وبعيد صيته ، وما يعلم مما نحن فيه من الخفاء والصنم وقلة الاكتراث بالدعاية الملققة لأنفسنا » [هذا السفر : ٥٢٩] .

ومع ذلك فإن بناء كتابه قائم على جُلْدٍ تُريد أن تنقُص ، لأنَّ بناءه كان فاعلاً بغيره ، لا بنفسه ! وبناء كتابي كان بناءً « متذوقاً للشعر » بنفسه وعلى طريقته .

/ وقد ذكرتُ آنفاً ، [مر: ١٧] أن أول صراعى مع الدكتور طه في الجامعة ، كان م١٤٨ صراعاً على ضرورة قراءة الشعر الجاهلي « قراءة متذوقة مستوعبة » ، وأنى كنت أحاول يومئذ أن أقنعه به فيأبى ويعرضُ ، [مر: ٩٩] ، كان ذلك سنة ١٩٢٧ وما بعده = ثم لما جاء هو في سنة ١٩٣٥ ، وتذكر ما كنت أصارعه عليه ، حاول محاولة ما أن يسلك طريق « تذوق الشعر » . ففعل ذلك ، ولكنه « تذوق بلا منهج ، وبلا هدف ، وعلى غير أصل » ، [مر: ٣٥: ٩٩] . فلما كانت سنة ١٩٣٦ ، وقرأ الدكتور طه كتابي ، كما قال هو : « مرتين ، بل ثلاثاً ، وما أظن إلا أنى عائد إلى قراءته مرات » ، [مر: ١٠٣] ، ظنّ ، وأكذب الحديث الظنّ ، أنه قد قتل « تذوق الشعر » علماً حتى طاعث له عواصيه ، بعد أن رأى تفسير هذه القضية ، قضية « تذوق الشعر » التى كان أباهما على ورفضها منى رفضاً = رآها مطبقة تطبيقاً شاملاً لكتاى كله .

وسئلت له نفسه أن يغتال « تذوق الشعر » ، ووجده أمراً لا غبار عليه أن يفعله معى ، جزاءً وفاقاً = ولم ؟ لأنه ظنّ أنى اغتلت « منهج الشك » وسرقته منه وغلبته عليه « سطواً » فاجراً ، حين شككتُ في نسب المتنبي الذى رواه الرواة !! فواحدة بواحدة ، والبادى أظلم .

...

وهنا نكتة لطيفة أحب أن تقف عليها ، لتعرف أساليب المكر / اللطيف في م١٤٩ الكتابة ، وفي صناعة « السطو » خاصة ، لأنها نافعة مُجرّبة ! فالدكتور طه حين قرأ كتابي ، وقام قائماً في الجمعية الجغرافية يلقي كلمته ، كان أول ما افتتح به كلامه أن قال [انظر ما سلف : ١٠٠] : « لقد شك بعض الناس في نسب المتنبي ، وأنا أوافق على هذا الشك » وانطلق يردّها مراراً مالتاً بها فمه . فلما حملت صاحبي الذى كان إلى جوارى مَالِكَةَ (أى رسالة) يبلغها الدكتور وهى : « أبلغ الدكتور أن موافقته أو مخالفته لا تساوى عندى قرشاً ماسحاً ، تتلافظه الأيدى في الأسواق ، لأنه لُفاظة لا تصلح للتداول » ،

لم يكذب صاحبه قبله إياها . فلما استدعانى فى اليوم التالى ، استقبلنى ، كما قلت ، مهلاً ضاحكاً أشدَّ ضحك وهو يقول : « لا تبرح أن تكون صعيداً ، كما كنت قديماً » ، يعنى أيام جدالى إياه فى الجامعة ، فى « المنهج » و « الشك » و « تذوق الشعر » ، [انظر ص : ١٧] . ولا شك عندى البتة فى أمر الدكتور طه ، أنه حين بلغته الرسالة ، علم علماً ليس بالظن ، أنى أعنى « الشك » الذى اصطنعه ، كما يقول هو ، منهجاً ، وذكر كل ما كنت أقوله له من القوادح المهلكة لهذا المنهج ، « منهج الشك » ، وعادت إليه ذكرى استخفافى به ، وأنه ليس شيئاً يعتد به ، وأن أمر العلم عندنا ، نحن أهل العربية والإسلام ، قائم أبداً فى كل خير من الأخبار على « التبين » ، وهذا « التبين » هو الذى أنشأ علم « الجرح والتعديل » فى الحديث ، وأن منهجه هذا لا يساوى شيئاً ، إذا ما قورن بالذى عندنا فى ذلك مبذولاً لكل طالب علم هو حق الطالب للعلم ، لا الطالب للثروة = وأن هذا مبذول عندنا فى كل كتاب = وأن / أصله كله راجع إلى هداية الله تعالى لعباده المؤمنين ، حيث قال لهم فى سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) ، [وقد بينت ذلك فى كتابى : « كتاب الشعر »] .

فانظر ماذا فعل بعد ذلك ؟ ألف كتابه « المتنبى » ، وتجاهل كل التجاهل كلمته التى افتتح بها محضرته ، والتى جهل فيها اسمى تجهيلاً ، فقال : « لقد شك بعض الناس فى نسب المتنبى ، وأنا أوافقه على هذا الشك » وألغاها إلغاءً = مع أن « الشك » منهجه ! = وافتتح كتابه بهذه العبارة :

« قد تعود الناس أن يؤمنوا بأن المتنبى عربى خالص النسب » ، وظل يأكل الكلام أكلاً ليثبت « أن المتنبى » لقيط لقيّة » ، لا يعرف لنفسه أمّاً ولا أباً » ، واجتنب لفظ « الشك » اجتناباً يقظاً جداً ، وحشاً هذا الفصل الذى بعده بالفاظ « والشئ الذى ليس فيه شك » و « أنا لا أشك » و « لا نكاد نشك » ، و « أنا لا أفهم الشك فى عربية المتنبى » = أى هى ألفاظ تدل على نفى « الشك » جميعاً ، ثم يأتى بها

بعد كلام طويل فى معرض شىء آخر ، فى قوله : « ومن حَقَّق أن تسألنى لماذا أُطِيل الحديث عن نسب المتنبى ، وأظهر الشك فى معرفته لأبيه وأمه ، ما دمت لا أُميل إلى الجدل فى عنصره العربى الصريح » ، [مر: ٢٥٠] . ومع ذلك فقد كان فى هذا « الشك الملقف » مقلداً مُسيئاً .

/ وقد قلتُ آنفاً [مر: ٥٤] : « كنت أول من شك فى نسب أبى الطيّب الذى رواه ١٥١ م الرواة ، ولكنى لم أقف عند الشك المجرد ، كما ذهب إليه من قلّدى (وهو الدكتور طه) = بل أبنتُ عن علّة الشك ، لأثبت مكانته حقيقةً أخرى ، دلّنى عليها شعره ومواقفه فى حياته كلّها ، مما كان له ارتباط وثيق بعلّة الشك » . وقد فسّرت أسباب الشك فى بيان « الفقرة الأولى والثانية » من عمود صورة المتنبى بياناً كافياً [ما سلف مر: ٥١ - ٦٠] .

وهذا الأسلوب فى تجاهل الألفاظ ، ثم الالتفاف حولها بألفاظ أخرى ، وإخراجها مُخرَج الأمر غير المتعمّد ، وإخفاء « المحرّك » وراء نقاب مُموّه = هو من الأساليب الناجحة أيضاً فى « علم السطو » ، والذى يقتدر عليه يبلغ مبلغاً عظيماً فى باب « السطو الخفى » ، فاحفظه ، فإنه نافع جدّاً ، وإذا خلط بمسحوق حَبّ « الثزّة » ، طيّب نفس القارئ ، وأطفأ حرارة الفهم ، وسهّل عمَل العَفلة !! هذه فائدة طيبة منقولة عن ابن البيطار ، العشّاب الطيب !! وانتهت النكتة اللطيفة !

...

قلتُ آنفاً إن الدكتور طه ، غرّته نفسه أن يفتال مِنّى « منهج تذوق الشعر » ، كما اغتلتُ أنا منه « منهج الشك » جزاءً وفاقاً ، وقد رآه سانحاً له = مطبّقاً فى كتابى من فاتحته إلى خاتمته . رآه مطبّقاً ، ولم يعرفه مفصّلاً ولا مشروحاً ، لا فى كتابى ، ولا فى كتاب غير كتابى ، / فاجتهد اجتهداً مبروراً ، (أى لا شبهة فيه ولا كذب ولا خيانة ، ولا يخالطه ١٥٢ م شىء من المآثم) .

ولمّا كَانَ « موضوع » التذوّق بينى وبينه واحداً ، وهو شعر المتنّبى ، رآه على نفسه سهلاً يسيراً ، وهيناً لَيْنَ المعاطف ، أن يتذوّقه كما تذوّقته ، وأن يستخرج منه حياة أبى الطيب ، وطبائعه وعواطفه وآماله وآلامه وأحزانه ، وأثر ذلك على بناء قصائده ، ودلالة هذا الأثر على أحداث حياته . وقد لاقى الأمرين فى هذا التذوّق ! لأنه كلّما جاء إلى شعر يتلوّقه ، فوجد لسانى عنده يتذوّق ، زاحمى عليه ، والتقّى اللسانان ، ثم رفع لسانه ليكتب عن أثر تذوّقه !! وإذا هو من حيث لا يدرى قد تذوّق بلسانى ، فتطابق ذوق اللسانين ، والحمد لله ! وقد ضربتُ لذلك مثلاً أو مثلين أو ثلاثة ! وتستطيع أن تجد شيئاً من ذلك مثلاً ، فى المقالة التاسعة [هذا السفر : ٤٨٧ - ٤٩٧] . وتستطيع أن تجد مثلاً آخر فى المقالة الحادية عشرة حين تفرّد لسانه بالتذوّق ، فى قصيدة لم أكتب شيئاً مفصّلاً فى تذوّق لها ، فأشرتُ إليها إشارةً ، فأخذها فاجتهد فيها اجتهداً مبروراً فتذوّقها وحده !! وأثبت فى كتابه تذوّقه هو ، فخرج منها بكلّ استنباط جديد يخالف ما كتبه فى كتابى . فكانت العاقبة أن أتى بضروب مختلفة المذاق من الأخطاء ، ومن قلة البصير بالشعر ، ومن إهدار ألفاظ الشعر نفسه إهداراً لا يكون مثله أبداً من متذوّق قد عرف معنى « تذوّق الشعر » ، وإنما هو تذوّق عابث مُفْتَعِل ، يحكّم فى الشعر والشاعر تخاليط بلاشير وأضرابه ، مع أن أوّل شرط فى / « تذوّق الشعر » أن نجعله محكّماً لا فى شأن هذه التخاليط الأعجمية ، بل فى تعديل أخبار الرواة القدماء أنفسهم أو تجرييحها ، أو استخلاص الصّدق من نصوصها ونفى ما زيفه التذوّق ، [انظر هذا السفر : ٥١١ - ٥٢٠] .

فلما تحطّى الدكتور مرحلة العبث واللّهو ، و « الشقاوة » فى مداعبة المتنّبى ومداعبة خصومه وأصدقائه جميعاً ، كما قال [انظر ما سلف من : ١٠٨ : ١١ ، ١٢] ، و « شبّ عمرو عن الطوق » ، عند ص ٩٩ من كتابه أو قبلها بقليل = جاء ما صرفه عن اللّهو والعبث ، واضطرّه إلى محاولة البحث والتحقيق ، (بحكم السنّ على الأقل) . جاء هذا الجأتى ومعه كتاب عزام بمراجعته ، وكتاب بلاشير بمراجعته ، وكتب اثنين آخرين ذكرهما بعد دهرٍ فى ص ٤٢٥ من كتابه ، وزعم أن كتبهم « ليست فى أيدي قراء العربية » ، لأنها

كتبت في الفرنسية والإيطالية ، (وليس هذا صحيحاً على إطلاقه !) ، فعندئذ فكر
وقدر ، ثم نظر ، ثم عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثم استبان له النَّهْجُ ، واستتبَّ له الطريق : أن يكون
باحثاً محققاً ، وناقداً متذوقاً ، في قَرْنٍ واحدٍ !! [والْقَرْنُ : الحبل ، أى مجتمعين فيه معاً] ،
وهذا مَرَكَبٌ وَغَرَّ شَأْقٌ ، لا تصلح معه السجاياء المتناقضة في النفس الواحدة ، حين
يكون : « مِنْ سَجِيَّتِهَا الْأَنَاءُ ، وَمِنْ سَجِيَّتِهَا الْعَجَلَةُ ، وَمِنْ سَجِيَّتِهَا الْجَدُّ ، وَمِنْ سَجِيَّتِهَا
اللَّهُو ، وَمِنْ سَجِيَّتِهَا التَّفَكُّيرُ ، وَمِنْ سَجِيَّتِهَا الْهَذْيَان » ، [كتابه ص : ٧] ، ويرضى أن تظنى
عليه بعض سجاياء هذه طغياناً « يَصَوِّرُ لعبه بوقته ، وعبثه بعقله ، وعصيانته لهواه ، وطاعته
لهذا الهوى أحياناً » [أيضاً ص : ٧] . / والذي هذه سجاياءه ، ثم يكون لا يملك أمر نفسه ، ولا
يفرق في أمرها بين القبيح والحسن ، ثم يبلغ به إرسال النفس على سجيئتها ، أن لا يفرق
بين مواضع الجدِّ ومواضع العبث ، حتى يرضى أن يأمر قارئه غير مبالي : « قل إنه كلام
يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً ... » [ماسلف : ١٠٢] ،
فهذا بلا ريب لا يُؤْمَنُ على ركوب طريق لا يصلح معه إلا الجدُّ والصبرُ والحزامةُ وخافةُ
العثار = إلا أن يكون غير صادق فيما يقول عن سجاياءه = أو إلا أن يكون مترجماً سيء
الترجمة لشعر العَجَّير السلولى :

إذا جَدَّ عِنْدَ الْجَدِّ ، أَرْضَاكَ جِدُّهُ ، وَذُو بَاطِلٍ ، إِنْ شِئْتَ أَرْضَاكَ بَاطِلُهُ

= أو إلا أن يكون قال ما قال ، من قَرَطَ الزَّهْوَ بنفسه ، والإدلال على سامعيه
أو قارئيه ، وهم مِنْ تَحْتِ سَمَائِهِ ، قيامٌ شواخصُ الأبصارِ إلى أُبْهَتِهِ في عليائه ! ولكن
ما لي أنا ولهذا ؟ فإن الله لم ينصِّبني محامياً أدفع عن كرامة عقول البائسين من السامعين
والقراء !

أما الذى يعيننى ، فهو منهج « تذوق الشعر » ، فإنه قد وقع في محنة عظيمة منذ
ص ٩٩ ، إلى آخر الكتاب ، لا ، بل كان ذلك منذ أوله أيضاً ، فقد صار مفروضاً عليه
فرضاً لازماً ، أن يكون خادماً سامعاً مطيعاً للمعارضات الخفية الماكرة التى جاء بها
الأستاذ عزام في كتابه تحت عباءة « البحث الطويل المتعب » ، وللتخاليط التى تتخلل

كتاب بلاشير وغيره عن المتنبي ، وصارت هذه الكتب محكمة في تذوق الشعر ، وفي حياة أبي الطيب ، ولم / تعُد للشعر نفسه ولا لتذوقه هيمنة على شيء ، لا على حياته ، ولا على تمحيص الحوادث والأخبار التي تتصل بحياته ، [انظر ما سلف : ٤٠ ، ٤١] . وهذه المحنة القاسية الغليظة = مع إصرار الدكتور طه على تقليدي في « تذوق الشعر » على الوجه الذي توهم أنه فهمه من كتابي = أدت بالدكتور طه نفسه إلى بذل جهد كبير في التقليد حين يتعرض لشعر لم تعرض له مكتوباً بالحبر والقلم . وأما الذي رآني قد تعرضت له ، فقد اضطره أن يبذل جهداً مضاعفاً أضعافاً كثيرة في تمويهه حتى يخفي آثار سطوه عليه ، وقلما نجح = وأن يبذل أيضاً جهداً أكبر في تطويره للعجن في خليط من أخلاط مجلوبة من أرض بعيدة غير أرضه ،

ومكلف الأشياء ضيّد طباعها ، متطلب في الماء جذوة نار

« وحلم القطط كله فيران » ، كما يقال في المثل العامي . فالدكتور طه بدأ كتابه مشغولاً بكتابي ، وبتطبيقي فيه منهجي في « تذوق الشعر » ، وكلمة « التذوق » لا تزال أصداؤها البعيدة في نفسه منذ كنت طالباً في الجامعة ، [انظر ما سلف قريباً : ١١٠ ، ١١١] . فلما بدأ يكتب ، اجتنب لفظ « التذوق » اجتناباً كاملاً متعمداً ، فكان يستعمل مكانها « التبيين » و « الاستنباط » و « الاستخراج » و « التدبر » و « التأمل » ، وهي كلمات دائرة أيضاً في كتابي ، وخاصة حيث أختصر الكلام اختصاراً ، مجتنباً الإطالة ، فأحيل القارئ في هوامشي على شعر أبي الطيب ، لينظر فيه على الأصول / التي درجت عليها في الكشف عن حياة المتنبي وعن شخصيته . ^(١) ولكنه حين بلغ ص ١٠٦ ، وأراد هو أيضاً الاختصار !! لم يملك إلا أن يستعمل كلمة « التذوق » ، التي تورقه ، لأول مرة حيث قال كما أقول : « وتُخذ أنت هذا الشعر ، وقف عليه من وقتك أياماً ، فما أشك في

(١) انظر هذا السفر ص : ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٥ ، ٣٥٠ ، ٣٨١ ، وتعليق

الهامش فيها . ومواضع أخرى في الكتاب نفسه .

أَنْتَ ستصل إلى ما لا أريدُ أنا أن أطيل فيه ، ولكنى واقفٌ معك عند بعض هذا الشعر ، فاجتهد أن تذوقه ، لعلنا نتعرف على أصول فن المتنبي في شيء من التفصيل والوضوح . هذه أول مرة ، ثم انطلق يستعملها مراراً بعد ذلك غير متحرج . ولكن ظهر ظهوراً بيناً بعد ذلك في سائر كتابه : أنه لم يخرج قط عن أن يكون تذوقه هو التذوق الساذج الذى ألفه فيما كتبه عن بعض شعراء الجاهلية ، وعن شعر الغزليين ، وشعر أبى نواس وأضرابه ، في كتابه « حديث الأرباء » = إلا ما شذ قليلاً حين تذوق بلسانى بعض شعر المتنبي ، كما أشرت إليه منذ قليل .

وهو معذور في ذلك ، لأن القدر الذى عرفه من تطبيق منهجى في « تذوق الشعر » ، وفي تذوق الأخبار أيضاً ، كان قدراً لا يكفى . فهو لم يستطع أن يدرك « تذوق الشعر » بمنجاة من تأثير الأخبار المروية ، كيف يكون . ولم يستطع أيضاً أن يعرف « تذوق الأخبار » أيضاً معروضة على الشعر ، ولا كيف تكون هيمنة الشعر على الأخبار ، حتى يُزيّف « تذوق الشعر » منها ما يزيّف ، ويصحح منها ما يصحح ، لكى يجلوها جلاءً جديداً يجعلها قادرة على أن تجعل حياة أبى الطيب ، واضحةً جليّةً مستوية . ولا كيف يكون ذلك / الصحيح من الأخبار قادراً على أن يجعل حركة وجدان أبى الطيب م ١٥٧ في شعره أشدّ ظهوراً ووضوحاً = ويجعل صورة حياته التى دلّ عليها تذوق شعره أدنى إلى الوضوح ، وأقدر على الالتحام بصورة الحياة التى يدلّ عليها ، ما صحّ من الأخبار ، [انظر ما سلف : ٤٨] . وهذه هى بعض الأصول التى يمكن أن تجعل « تذوق الشعر » قادراً على استخراج صورة صحيحة مستوية غير متناقضة لحياة الشاعر ، وتعصم الكاتب أيضاً من أن تضلّه الأخبار ، فبرى في شعر الشاعر معانى بعيدة كلّ البعد عن المعانى التى يدلّ عليها تذوق شعره جملةً واحدة ، وإلا خرجت الصورة كلّها مشوهة تشويهاً ، [انظر ما سلف :

. [٤١]

فلما كان الدكتور طه لم يدرك قدراً كافياً من هذا المنهج ، وكان في عجلة من أمره ، وكانت العجلة إحدى سجاياه ، لأنه قد طوى نيّته على تأليف كتاب عن المتنبي في صيف

سنة ١٩٣٦ بفرنسا ، ^(١) ليطمس به ذكر كتاب كتبه كاتب مغمور خامل الذكر في يناير سنة ١٩٣٦ ، كما قلت للشيخ مصطفى عبد الرازق ، [انظر ماسلف : ١٠٦ ، ١٠١] فإنه بدأ كتابه وانتهى منه على الصورة التى وصفها فى فصل « بعد الفراغ » : « ولكن لم آخذ فى الإملاء حتى دُفِعْتُ إليه دفْعاً عنيفاً ، لم أستطع له مقاومة ولا عليه امتناعاً ، وإذا أنا أجرى فى الإملاء أو أَعْدُو فيه أشدَّ العَدُو ، حتى لا يتابعنى صاحبى إلا بجهد كُلِّ الجهد ، ومشقة كُلِّ المشقة ، وإذا أنا أُملى إذا أصبحت ، / وأُملى إذا أمسيت ، وأُملى بين ذلك ، وأبغضُ الراحة أشدَّ البغض » ، إلى آخر ما قال ، وصدق ! [كتابه مر : ٧٠٥] . لما كان ذلك وفرغ من الكتاب ، مكثوداً قد انتهى به الإعياء إلى أقصاه ، وجد نفسه لم يقل للمتنبى ولم يقل عن المتنبى كُلُّ ما كان يريد أن يقوله [مر : ٧٠٥] . ولكن حقيقة هذا الكلام أنه وجد « صورة المتنبى » التى كتبها ، صورة لا تمثل شيئاً له قيمة ، فعبر عن ذلك بقوله : « إئتى أبعد الناس عن حسن الرأى فيما أُمليتُ ، ولا تظنْ أنى أريد التواضع وإنما أريد أن ألاحظ أن هذا الكتاب إن صوِّر شيئاً ، فهو خليق أن يصوِّرنى أنا فى بعض لحظات الحياة أثناء الصيف الماضى ، أكثر ممَّا يصوِّر المتنبى » [كتابه مر : ٧٠٦] . وهذا صحيح جداً مع الأسف ، لأنه يصوِّر حقيقة أعماله ، ودوافعه دائماً ، منذ كتب حاشيته الصغرى على مقالة مرجليوث المسماة « فى الشعر الجاهلى » ! فى سنة ١٩٢٦ ، منذ عشر سنوات ، ولم يتغيَّر لا كثيراً ولا قليلاً ، وأعجزته دوافعه ، « فلم يستطع لها مقاومة ولا عليها امتناعاً » .

(١) تبين من رسالة للدكتور طه إلى توفيق الحكيم فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٦ ، أنه قد فرغ من كتاب المتنبى قبل ذلك بأسبوع ، أى فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٦ تقريباً ، فإذا كان قد غادر مصر فى أواخر مايو ، فقد استغرق تأليفه ثلاثة أشهر أو أقل . وانظر كتاب توفيق الحكيم « وناثق من كواليس الأدباء » ، وفيه عجيبة من العجائب تخصُّ ما كنت أريد أن أكتبه عن المتنبى ، فلا أدرى كيف صار عند توفيق الحكيم منسوباً إلى نيةٍ سمع عنها ، من شاعرنا مطران ، والحقيقة أن هذه النية كانت نيتى أنا أعبرت بها شاعرنا مطران ، فلا أدرى كيف انقلبت فصارت نيةً للدكتور !

ولما كان كتابه ، كما قال ، خَلِيقاً أَنْ يَصَوِّرَهُ هو أكثر مما يَصُورُ المتنبي ! وأدرك ذلك إدراكاً يقيناً ، فإنه نظر إلى صورة المتنبي عنده ، وصورتها عندي ، فأنكر ما عنده إنكاراً شديداً ، فقد وجدها خَلِيقاً مُشَيِّئاً تضيق به نفسه ، [والمشيئ : المختلِف الخلق ، المُخْبِلُ ، القبيحُ الصورة] . ولكي تعلم أن هذا كما أقول ، فإنني موجز لك صورة المتنبي التي اختلطت في كتابه حتى خرجت ، فأنكرها هو أشد الانكار :

/ لقيطٌ لغيةٌ ، لا يعرف لنفسه أمّاً ولا أباً ، شاذٌّ لأمرٍ ليس له في يد ، لا يستطيع أن ١٥٩ م
يفخر بأسرته ، فهو يشعر بالضعة والضعف ، (من عنده) ، ^(١) نباتٌ شعبيٌّ خالص !!
(من عنده) ، شابٌ مستعدٌ لسانه للسخرية (من عندي ، والتصوير من عنده) ، صبيٌّ
شيعيٌّ متشيعٌ للعلوين ، وقرمطيٌّ لحبه سفك الدماء (خليطٌ من عنده ومن عندي) ،
حائِقٌ على النظام الاجتماعي والسياسي (خليط) ، قويُّ الحسِّ عنيف النفس (من
عندي) ، يمتحن ممدوحيه ليتبين استعدادهم للخروج على السلطان (خليط) ،
صاحبُ مذهب سياسيٍّ أشمل من القرمطية والتشيع ، وهو أن تجتمع كلمة العرب وأن
يعود إليهم ملكهم وسلطانهم ، وأن يرّد غير العرب من الخدم إلى طورهم الذي كانوا فيه
(الأصل من عندي مع خلط) ، يَنشُدُ أميراً عربياً يحى آماله ، مثل بدر بن عمار (من
عندي) ، كان يسأل جدته عن خبر أبيه وأمه ، (من عندي مع خلط) ، نشأته علّمته
الحيلة والحذر (من عندي مع خلط) ، سجنه جريمة من جرائم الرأي (من عندي مع
خلط) ، ما ينسب إليه من النبوة مرفوض (من عندي مع خلط) ، كفكف السجن من
غلوائه (من عندي) ، شقى بالأمل في أول أمره ، شقى باليأس بعد سجنه ، فأنضج
ذلك نفسه (من عندي) ، ظهور شخصيته في أوقات العنف ، وفي أوقات الحزن (من
عندي) ، يشعر بالغربة ، لولا جدّته (من عندي) ، لقاء بدر بن عمار وثب بفنّه ، فبلغ
من الرقي ما لم يبلغه في الأيام السالفة (من عندي) ، وثب فنّه الوثبة الأولى عند

(١) هذا موجز لبعض مواضع الاختلاف والاتفاق ، فيما كتبت في كتابي ، وما كتبه الدكتور طه في كتابه .

التنوخيين ، والثانية عند بدرٍ ، وكانت نواةً ستنبت وتنمو وتعطي شيئاً كثيراً مختلفاً ألوانه
 م ١٦٠ في الوثبة الثالثة عند سيف الدولة ، حين وثب / وثبته الأخيرة التي رفعته إلى الأوج (كله
 من عندي) ، يمتلئ قلبه بالبهجة عند لقاء بدرٍ وأمثاله حتى يعجز عن إخفائها (من
 عندي مع خلطٍ كثير) ، يثورُ آيياً للضم على من أرادوا أن يضيموهُ (من عندي) ،
 جبانٌ (من عنده) ، طبيعته التي يصورها شعره : جوع وأحاديث ، وفلسفة في الهواء
 (من عنده) ، امتناعه عن مدح العلويّ طاهر من زهو وغرور (من عنده) ، يلتزم برأيه
 حين يستغنى ، ويضحى حين يخاف أو يطمع أو يحتاج (من عنده) ، اتخذ لنفسه
 مذهباً سياسياً وفلسفياً ، (من عندي مع خلط) ، يتخذ الشعر وسيلة لا غاية ، وكان
 عبداً للطمع والمال ، لا للجمال والفن (من عنده) ، يمثل فكرة الجهاد بين الروم
 والمسلمين عند سيف الدولة ، وتجذب فيها فتناً وجمالاً (من عندي) ، ينتقل انتقالاً مفاجئاً
 في شعره (من عندي ، ولكن بغير دلالتها على شيء !) ، ذليلٌ ضعيفٌ مهينٌ بين يدي
 السلطان ، لم يكن صاحب مذهب ولا رأى ، إنما هو رجل متهاك على المنافع العاجلة
 (من عنده) ، رجلٌ مضطربٌ متلونٌ (من عنده) ، نفسٌ غير متحضرة ولا رقيقة الحسّ
 (من عنده) ، لا يقول الشعر إلا حين تدفعه دوافع كامنة أو ظاهرة (من عندي ، مع
 خلط) و « حسبك من شرِّ سماعه » .

هذه بعض ملامح الصورة : لم أستوعبها لأني في مقام غير مقام نقد هذا الكتاب ،
 ولكنها كافية في الدلالة على شيئين : على « السطو » المجرد ، وعلى الخلط المحكم الذي
 وصفته آنفاً ! [انظر ص : ١٠٨ ، ١٠٩] . فلما أفاق الدكتور من إملاء كتابه وهذا ، أنكرها ،
 م ١٦١ لا إنكار مقررٍ ببشاعة / الصورة ، ولكن ببراعة وفلسفة وتذوق ، فقال في فصل « بعد
 الفراغ » ، [ص : ٧٠٧ ، ٧٠٨] :

« وأكثر من ذلك أني أخذت أرى رأياً ، ما أظنُّ إلا أن كثيراً من الناس سيضيعون
 به ، ولعلهم أن ينكروه على ، وقد ضقتُ به أنا وأنكرته على نفسي ، ولكنني لم أزد

إلا إمعاناً فيه ، وأطمئناناً إليه ، وتعجباً من أتى قد انتظرت هذه السن ، وهذا الطور من أطوار الحياة ، قبل أن أفطن إليه وأطيل التفكير فيه ، وهو : أن شعر المتنبي لا يصور المتنبي ، وأن شعر الشعراء لا يصور الشعراء تصويراً كاملاً صادقاً ، يمكننا من أن نأخذهم منه أخذاً ، مهما نبحت ، ومهما نجد في التحقيق . وما أريد أن أطيل الاستدلال على ذلك ، ولا أن أسلك إلى هذا الاستدلال هذه الطرق الملتوية التي يسلكها الفلاسفة والعلماء والأدباء أيضاً ، وإنما أريد أن ألفتك إلى شيء يسير ، وهو أن ديوان المتنبي إن صور شيئاً ، فإنما يصور لحظات من حياة المتنبي ، لا أكثر ولا أقل وطفق يتفلسف !

وبالطبع ، كما نقول نحن المصريين في درج الحديث ، لا يوجد شيء كهذا الذي يؤهم الدكتور بكلامه أنه كائن . ولا يوجد شيء كهذا يقال فيه إن شعر الشعراء ، أو كلام غير الشعراء ، يصورهم تصويراً كاملاً صادقاً ، « يطابق الأصل ويوافقه » . لا توجد « نظرية » كما سماها ، تبلغ هذا الحد من السخف والتفاهة والإسفاف ، ويحتاج المرء معها « أن ينتظر هذه السن ، وهذا الطور من أطوار الحياة » ، ويخطم الثامنة والأربعين من عمره ، / وينطح بقرون رأسه جدار الخمسين ، حتى يفتن ويحيد الفطنة ، ١٦٢ م وحتى يفكر ويطيل التفكير ، حتى يتبين أنها باطلة ! ثم يحتاج بعد ذلك أن يسر على قارته المسكين فهم وجه بطلانها بضرب الأمثال ، فيقول : « فكما أنك لا تستطيع أن تزعم أنك تستخلص من هذا الكتاب صورة صادقة لي تطابق الأصل وتوافقه ، بل لا تستطيع أن تزعم أنك قادر على أن تستخرج من كتبي كلها صورة صادقة لي تطابق الأصل وتوافقه ، فكذلك أنت عاجز عن أن تخرج من ديوان المتنبي صورة صادقة ، تلائم حياة المتنبي ، كما كانت في النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة » .

هذه ثثرة حائرة ، ومجرد عبث محض بالألفاظ ، وهو فارغ يلهو به من يكون جُملاً مفيدة ، من ألفاظ مسطورة : « صورة » و « أصل » و « تصوير » و « قادر » و « عاجز » و « صادق » و « تطابق » و « توافق » !! والناس حين يقولون : « صور

الكاتب صورةً صادقةً لشاعرٍ ، لا يعنون بداهةً ما حاول الدكتور أن يُوهِم به قارئه ، ويستزِلُّ عقله بتأكيدهِ المتواصل : « تصويراً صادقاً كاملاً !! » = عن المعنى الذى يدركه عامة الناس بالداهية ، وهو أن الذى استخرجه الكاتب من شِعْرِ الشاعر ، يجعلُ شعرهُ أكثر وضوحاً ، وأظهر دلالة على فَنِّه ، وأقوى بياناً عن طبيعته وعَوَاطفه ، ويجعلهم أكثر قدرةً على تمثُل ما تخبُّهُ ألفاظُ شعره من موقفه تجاه أحداثِ حياته التى عاشها ، فصاغها صياغةً مبينة عما كان يعتلجُ في نفسه حين صاغها . وهذا موضع المثل : « زى الطبل منفوخ غَ الفارغ » ، وصدق من قاله .

١٦٣ م / وكل ما فى الأمر أن الرجل حين فرغ من كتابه ، رأى صورةً أبى الطيب فى كتابه ، وقد رآها من قبل فى كتابى ، وأدرك أن بين الصورتين بُوناً بعيداً ، كالبعد بين المستقيم والمعوج ، وبين الوليد الذى وُلِدَ تمامه ، والسَّقَط الذى وُلِدَ لغير تمام ، فاعتذر ، فأساء الاعتذار ، ولم يدر كيف يقول !

...

أما الآن ، وقد فرغتُ من لَمَحَة خاطفة فى القسم الذى يبدأ من ص ٩٩ إلى ٧١١ ، من كتاب « مع المتنبى » ، وهو الذى لم يكن مقدراً لى أن أتمم كلامى فيه فى مقالاتى : « بينى وبين طه » التى كتبْتُها سنة ١٩٣٧ ، ونشرتها اليوم ملحقة بهذا الكتاب = أما الآن ، فإنى أتلفتُ إلى الأيام الغابرة البعيدة ، حين كنت أشفقُ من مَغَبَّةِ السَّنِ التى سَنَها لنا الأساتذة الكبار ، كسَنَةِ « تلخيص » أفكارِ عالمٍ آخر ، ويقضى أحدهم عمره كله فى هذا التلخيص ، دُونَ أن يشعرَ بأنه أمرٌ محفوفٌ بالأخطارِ ، ودون أن يستتكف أن ينسبهُ إلى نفسه نسبةً تجعله عند الناس كاتباً ومؤلفاً وصاحبَ فكرٍ ، هذا ضربٌ من التدليس كَرِيه . ومع ذلك فهو أهْوَنُ من « السطو » المجرَّد ، حين يعمد الساطى إلى ما سطا عليه ، فيأخذهُ فيمزقه ثم يفرقه ويُغرقه فى ثُرثرة طاغية ، ليخفى معالمَ ما سطا عليه ، وليُصبح عند الناس صاحبَ فكر ورأى ومذهبٍ يُعرفُ به ،

وَيُنْسَبُ كُلُّ فَضْلِهِ إِلَيْهِ . ومع ذلك ، فهذا أيضاً أهونُ من « الاستخفاف » بتراث متكامل بلا سبب ، وبلا بحث ، وبلا نظر ، ثم دعوة من يَعْلَمُونَ علماً جازماً أنه غير مطبق لما أطاقوا ، إلى الاستخفاف به / كما استخف هو . ومع ذلك أيضاً ، فهذا أهونُ مما فعلوه وسنوه من سُنَّة « الإرهاب الثقافي » الذي جعل ألفاظ « القديم » و « الجديد » و « التقليد » و « التجديد » و « التخلف » و « التقدم » و « الجمود » و « التحرر » ، و « ثقافة الماضي » و « ثقافة العصر » = سيّاطاً مُلَهَبَةً ، بعضها سيّاطٌ حثٍّ وتخويف لمن أطاع وأتّى ، وبعضها سيّاطٌ عذابٍ لمن خالف وأبى .

أَتَلَفْتُ اليوم إلى ما أشفقتُ منه قديماً من فعل الأساتذة الكبار ! لقد ذهبوا بعد أن تركوا ، من حيث أرادوا أو لم يريدوا « حياة أدبية وثقافية قد فسدت فساداً وببلاً على مدى نصف قرن ، وتجددت الأساليب وتنوّعت ، وصار « السطو » على أعمال الناس أمراً مألوفاً غير مستنكر ، يمشی في الناس طليقاً عليه طيلسان « البحث العلمي » و « عالميّة الثقافة » و « الثقافة الإنسانية » ، وإن لم يكن محصوله إلا ترديداً لقضايا غريبة ، صاغها غرباء صياغة مطابقةً لمناهجهم ومنابتهم ونظراتهم في كُلِّ قضية ، واختلط الحابل بالنابل ، قلّ ذلك في الأدب والفلسفة والتاريخ والفنّ أو ما شئت ، فإنه صادقٌ صديقاً لا يتخلف . فالأديب منّا مصوّرٌ بقلم غيره ، والفيلسوف منّا مفكّرٌ بعقلٍ سواه ، والمؤرّخ منّا ناقدٌ للأحداث بنظر غريب عن تاريخه ، والفنان منّا نابضٌ قلبه بنبضٍ أجنبيٍّ عن تراثٍ فنّه .

وأما الثروة والاستخفاف ، فحدّث ولا حرج ، فالصبيُّ الكبير يهزأ مرهواً بالخليل وسيبويه وفلان وفلان ، ولو بُعِثَ أحدُهم من مرقّده ، ثم نظر / إليه نظرةً دون أن يتكلّم ، لأجمعه العرق ، ولصارَ لسائه مُضَعَّجٌ لا تتلجّجُ بين فكّيه ، من الهيئة وحدها ، لا من علمه الذي يستخفُّ به ويهزأ .

والله المستعان على كُلِّ بليّة ، وهو المسئول أن يكشفها ، وهو كاشفها بمشيئته ، رَحْمَةً بِأُمَّةٍ مسكينة ، هؤلاء ذُنُوبُهَا كانوا ، وأشباهُهم سبقوا ، وغفرانك اللهم .

الأحد ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٣٩٧

محمود محمد شاكر

٦ من نوفمبر سنة ١٩٧٧

كتاب المُتنبِّي

• على هيئته التي نُشر عليها في عدد المقتطف ، يناير ١٩٣٦

• الشعر الذي في رأس كل فصل ، من شعر المتنبِّي

كتب فؤاد صروف قال :

« هذا العدد من المقتطف يختلف عن كل
عدد صدر منذ ستين سنة إلى يومنا هذا ، فهو في
موضوع واحد ، ولكاتب واحد .

أمّا الموضوع فأبو الطيب المتنبي .

وأمّا الكاتب فالأستاذ محمود محمد شاكر .

وقد رأى محرر « المقتطف » في العناية
بالاحتفال بانقضاء ألف سنة على وفاة المتنبي ، وفي
طرافة المباحث التي انطوت عليها رسالة الأستاذ
شاكر ، ما يُسوِّغ له أن يجعل هذا العدد بمثابة
كتاب يرفعه :

إلى أبنى الطيب المتنبي »

٢ / أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْنَى
وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ
أَنَامَ مِلاًءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا
وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

كنتُ في غُلُوَاءِ الشَّبابِ حين وقعت لي ، فيما كنا نتعلم من « المحفوظات
العربية » ، أبياتٌ للمتنبى حفظتها في غير عناء ، وجعلتُ أَرُدُّهَا بكثيرٍ من اللذة
والحماسة ، لأنها كانت تنطوي ، فيما أظن الآن ، على ذكر سجايا يتيه بها الشاب وتهتزُّ
مَعَاظِفُهُ ، إذ لا يزال في مستهل الحياة ، يراها ، أو يتصورها ممتدة أمامه ، ميداناً رحيباً ليس
له فيه إلاّ الاقتحام والغزو والظفر . فكذلك كان مما حفظته ، وكأنا طبعته في ذاكرتي
بأحرف من نار :

رِدَى حِيَاضِ الرَّدَى ، يَا نَفْسُ ، وَأَتَّرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ
إِنْ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الْأَرْمَاجِ سَائِلَةً فَلَا دُعَيْتَ أَبْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالكَرَمِ

...

أَتَيْنَ فَضْلِي ، إِذَا قَنِعْتُ مِنَ الدَّهْرِ بِرِ بَعِيشٍ مُعْجَلِ التَّكْيِيدِ ؟
أَبْدَأُ أَقْطَعُ الْبِلَادَ ، وَنَجْمِي فِي نَحْوِ سَ : وَهَمَّتِي فِي سُغُودِ

...

٤ / لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

...

ولا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِينًا وَقَيْنَةً فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ
وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ ، وَأَنْ تُرَى لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَرِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أُنْمَلُهُ الْعَشْرُ

...

وعندما أراجع ديوان المتنبي الآن تمرُّ بي أبيات من الشعر كأن رنينها إذ أقرؤها محمول إلى من مغاور متغلغلة في جوف الماضي . وأكثر هذه الأبيات من شعر الغزل والنسيب الذي كان المتنبي يستهلُّ به بعض قصائده . ولست أحفظ الآن من ذلك إلا نزرًا يسيرًا ، لأن رجولة المتنبي كانت هي التي فتنتني في صباى دون رِقته ونسيبه ، وقد كنت أظن أن رجولته هذه يكون مردُّها ، في الغالب ، إلى خياله المتوثب وحده - إلى أن قرأت أصول هذا الجزء من المقتطف وتجاريه ، فإذا هي ، بحسب رأى الكاتب ، متصلة أوثق اتصال بأصله ونشأته وتربيته التي قامت عليها جدته ، « أمُّ أمه » وحوادث عصره وحياته ، وإذا أقوى شعره إعراب بليغ ، وبيان واضح عن ذلك كله .

وكنت أطلب العلم في جامعة بيروت الأمريكية فكان أستاذنا في الأدب العربي « جبر ضومط » رحمه الله عليه ، مولعاً بدراسة المتنبي وتدريسه ، فقضينا معه سنتين نحفظ من قصائد المتنبي ما يتخيره لنا منها ، ونمعن في حلّ أبياتها وإعراب ألفاظها ، وبمعن هو في تفسير معانيها وبيان ما تحمل في ثناياها / من حكمة وفلسفة . وكان لا يفوته أن يلمّح أحياناً إلى أن حياة المتنبي على صلة وثيقة بعصره . وكان معظمنا لا يعي من تاريخ الشرق العربي في ذلك العهد إلا اليسير ، فمرَّ بهذا التلميح غير آبه .

وأكبر الظن عندى الآن - وقد اطلعت على رسالة صديقي الأستاذ محمود محمد شاكر ، وما جلاه فيها من دقائق هذه الصلة - أن أستاذنا كان قد حاول أن يجتلي بعض هذا الغامض ، فتبينت له أشياء لم ينشرها ، إمّا التزاماً بالخطر العلمي قبل القطع برأى ، وإمّا مراعاة للأحوال السياسية .

وعلى ذلك ظلَّ المتنبي - على علوِّ مقامه في الأدب العربي ، ونصوع معانيه ، وسموِّ حكمته ، وكال رجولته - تكتنفه في ذهني غمامات من الغموض ، على كثرة شراح ديوانه ومفسريه .

ولكن مشاغل الحياة ، وانصراف أساتذتنا ، عند طلبنا العلم ، عن ترسيخنا في معرفة أصول تاريخنا الشرقى العربى ، صرفتني عن دراسة المتنبي ، فكنت فيما تلا من عهد الدراسة ، لا أذكره إلا عندما أسكن إلى ساعة من الراحة ، فأخرج شرح اليازجي ، وأقرأ بعض قصائده المشهورة ، صادفاً عما قد تنطوي عليه أحياناً من مُعلّق المعنى ، أو مهجور اللفظ ، أو معقّد التركيب ، مكتفياً بما فيها من قوة ورجولة ، تكاد تحسّهما ، بعد انقضاء عشرة قرون ، تتفجران من معاطف هذا العربى كالبينوع ، وتتطايران من عينيه كالشرر .

فلما ذكرَ المذكرون بانقضاء ألف سنة على مصرع المتنبي في ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٤ (وقد كان مصرعه في ٢٧ رمضان سنة ٣٥٤) قلت : هي فرصة فذة تتيح للمقتطف أن يشارك في إحياء ذكرٍ عظيم من عظماء العرب ، ونابعة / من نوابع اللسان العربى ، كسنته في الاشتراك في إحياء ذكرى العظماء من علماء الفرنجة ، وفلاسفتهم ، وكتابهم ، وزعمائهم . ولكن الفرق فيما يجب على المقتطف في الحالين واضح .

فنحن حين نحتفل بذكر عظيم من عظماء الفرنجة نجتزئ بمجمل من سيرته وأثره ، لأن الغرض إنما هو التعريف بآثاره من الناحية الذهنية ، والإشادة بخلقه أو مثاله من الناحية الأدبية . ولكننا - إذ كان المتنبي من عباقرة شعرائنا - لا ينبغي لنا أن نجتزئ بمجمل أقوال الرواة والنقاد في حياته وشعره .

فتحدثت في ذلك مع صديقى المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر ورغبت إليه أن يكتب كلمة مسهبة بعض الإسهاب عن المتنبي . وأقرُّ أنني كنت مقتنعاً - عندما أُلقيت إليه هذا الاقتراح - أن الكلمة لن تزيد عن عشرين ، أو ثلاثين من صفحات

المقتطف ، فوعدني أن يئذل ما لديه . ولكن البحث تشعب أمامه ، ومواطن الاستنباط والمقابلة تعددت ، فلم يرض ، وقد وجد مجال القول ذا سعة ، بالنهج المطروق . فبعد أن كتب عشرات من الصفحات مزّقتها وتبّذها ، وعاد إلى الكتابة على نهج آخر . فأصبح المقال عدداً كاملاً من المقتطف ، أو يزيد . وليس هذا العدد الكامل إلا موجز سِفرٍ في المتنبي ينوى أن يجعله في أربعة مجلدات أو أكثر .

ولا أخفى عن القارئ أنني مغتبط بهذا كل الاغباط . ففي هذه الرسالة ، على إيجازها بالقياس إلى ما كان يجب أن تكون ، دلائل على تبهر الكاتب في تاريخ هذا العصر من حياة شرقنا العربي ، ومقدرته على تبيين الإشارات الخفية في شعر المتنبي إلى حوادث ذلك العصر ، وبراعة عجيبة في استنباط / حالات الشاعر النفسية من أبيات شعره وربطها بحياته الخاصة ، والأحداث التي كانت في الأمة العربية بوجه عام . وفي الغالب أن يكون عمل كهذا متعزراً إذا لم يوفق الكاتب إلى دليل يهديه سواء السبيل ، في تيه الحوادث ومجاهل الآراء ، فضلاً عما يقتضيه من سعة نادرة في العلم ، وبراعة فذة في الاستنباط . وهذا الدليل الذي هداه هو رأى جديد في أصل المتنبي ونشأته ، أشبه ما يكون بالنظرية العلمية في ميدان العلوم الطبيعية .

فالحقائق في علوم الطبيعة هي خصوم النظريات ، والبحث عن الحقائق بالمجهر والمطاياف وغيرها من أدوات العلم ، عمل لا ينقطع ولن ينقطع ما بقي الإنسان على فطرته في حب الاستطلاع . ولا يخفى أن النظريات توضع لتفسير طائفة معروفة من الحقائق ، فإذا انقضت عقود من السنين أو سنوات قلائل ، فالغالب أن تحيى هذه الحقائق الجديدة التي يُكشَف عنها بعد وضع النظرية مخالفة للنظرية في مجملها أو لنواحي منها ، فتعدّل النظرية القديمة ، أو تُطوى وتوضع نظرية جديدة . ويشترط في النظرية الجديدة أن تكون تفسيراً عاماً مُنسَقاً للحقائق الجديدة والقديمة معاً ، وأن يكون فيها من المرونة ما يجعلها تحتمل تفسير الحقائق التي تستجد ، والتحميد للكشف عن أمور مجهولة .

فالأستاذ شاكر وضع هذا الرأي أولاً فيما قيل عن أصل المتنبي ووالده وذهابه إلى الكوفة لزيارة جدته ، وامتناع ذلك عليه ، فاستقامت الحوادث المتناقضة في الروايات المنقولة على أساس هذا الرأي الجديد . ثم لما طبقه على نفسية المتنبي في شعره ، وحوادث حياته الأخرى ، وخاصة حديث نبوته إلى أن اتصل بسيف الدولة ، تساوقت واتصل الأول منها بالآخر . واستقام كذلك فهمها على منوال يرتضيه العقل ، ويؤيده ما كان من حوادث العصر . ولا يبعد / أن تكون هذه النظرية تمهيداً للكشف عن أشياء في حياة المتنبي وتاريخ عصره على منوال ما تولده النظريات في العلوم الطبيعية ، كما قدمنا . ولعل الأستاذ محمود يحقق كل هذا تحقيقاً مفصلاً في سفره المرتقب ، إن شاء الله .

ولا يسعني في هذه السطور أن أفصل القواعد التي بنى عليها الأستاذ شاكر رأيه ، فهي كثيرة مفرقة في جميع الفصول ، وهذا البحث الظريف في حياة المتنبي وأدبه ليس إلا وليد تطبيقها .

فقد استطاع أن يكشف من شعر المتنبي عن دقائق حياته ، وينقض الروايات المنقولة إلينا عن أصله ونشأته وتنبؤه ووجه ومصرعه ، ويصل بين حياة الرجل وأحداث عصره . وبذلك اتسقت حياة المتنبي ، واتصل أولها بآخرها ، وقُلت الفجوات في تسلسلها ، واستقام فهمها على أساس معقول من الأدب والتاريخ . فالذي يقرأ هذا البحث ويعود إلى مطالعة ديوان المتنبي ، متدبراً ، تنكشف أمامه معاني شعره ، وصلتها بنفس صاحبها من ناحية ، وتاريخ عصره من ناحية أخرى .

فقد نقض الأستاذ شاكر الرواية المتداولة عن أن والد المتنبي كان سقاءً بالكوفة ، ورسم صورة لحداثته في مدارس الأشراف العلويين فيها ، وبين صلة المتنبي بالعلويين من نشأته إلى وقت مصرعه ، وتأثير ذلك في حياته وشعره وآرائه السياسية ، ونفى ما اتُّهم به المتنبي من النبوة مستندلاً على صحة ما يذهب إليه بما استنبطه من شعره ، وما استخرجه من دفائن الحوادث التاريخية المتصلة بمسألة النبوة ، واستطاع أن يصل إلى السبب المعقول في تسمية أبي الطيب بالمتنبي .

٩ / وقد درس حياته وهو في جوار سيف الدولة دراسة وافية من شعره وحوادث عصره ، فكشف عن الصلة بين سيف الدولة والمتنبى ، وأنهما كانا يعملان معاً على تحقيق الأمل السياسى لردّ الحكومة إلى العرب ، ونزعها من يد الأعاجم الذين كانوا قد استولوا على مقاليدها ، وبَيَّن أثر هذه الصلة السياسية في شعر أبنى الطيب الذى قاله لسيف الدولة .

وأثبت فيما أثبتته من تاريخ هذه الفترة أن أبا الطيب كان يحب « خولة » أخت سيف الدولة ، وما كان لهذا الحب من الأثر في سُمُو شعره ، وروعة بيانه .

فؤاد صرُوف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا
مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَهْطَأْنَا ، رَبَّنَا
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا
وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا »
« رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ »

وبعد فهذه كلمة مني عن شاعر العربية ولسانها الحكيم :

أبي الطيب المتبى

وأنا أشكر لكل من أعانني - بعلمه أو قلبه أو عطفه - عونته ، وأخص بالشكر
الفريق أمين فهد المعلوف ، والأستاذ محمد فريد نامق ، والأستاذ فؤاد صرّوف .

محمود محمد شاكر

مصر الجديدة : شارع المنصورة ٢٢

أول شوال سنة ١٣٥٤

٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥

ذَكَرْتُكَ بَيْنَ نَآيَا السُّطُورِ ،
 وَأَضْمَرْتُ قَلْبِي بَيْنَ الْكَلِمِ
 وَلَسْتُ أُبَوِّحُ بِمَا قَدْ كَتَمْتُ ،
 وَلَوْ حَزَّ فِي النَّفْسِ حَدُّ الْأَلَمِ
 تُعْرِضُنِي - مَا حَيْثُ - الْمُنَى ،
 فَأَرْقِعُ مَا مَرَّقَتْ بِالظُّلَمِ
 فَكَمْ كَتَمَ اللَّيْلُ مِنْ سِرِّنَا ،
 وَفِي اللَّيْلِ أَسْرَارُ مَنْ قَدْ كَتَمَ
 نَشَابَةَ - فِي كَتَمٍ مَا نَسْتَسِيرُ -
 سَوَادُ الدُّجَى ، وَسَوَادُ الْقَلَمِ

محمود محمد شاكر

- ١ -

١٣

/ أنا آبن مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أبا الـ
بَاجِثٍ ، وَالتَّنَجُّلُ بَعْضُ مَنْ تَجَلَّهْ
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ (الْجُدُودَ) لَهُمْ
مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهْ
إِنَّ الْكِذَابَ الَّذِي أَكَّادُ بِهِ
أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهْ

« أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي
أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي
أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي
هو أبو الطيب الملقب بالمتنبي . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ، بمحلة كانت بها تسمى
« كيندة » ، وكان أبوه الحسين سقاء يسقى الناس على جمل له بالكوفة ، وكان لقبه الذي
يُلقب به هو : « عِيدَانُ السَّقاء » . (١)

• / حَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ (الْمُحَسِّنِ بْنِ عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ) قَالَ : ١٤

(١) ضبطه ابن العديم في « بغية الطلب » في ترجمة المتنبي ، نقلا عن الخطيب البغدادي أنه قال : « عِيدَانُ ، بكسر العين ، وبالياء المعجمة باثنتين من تحتها » ، وكذلك ضبطه صاحب القاموس ، وذكره الزبيدي في تاج العروس فقال « هكذا ضبطه الصاغاني » ، وهكذا ضبطه الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٦ : ٩٩) . ونقل الحافظ الذهبي في مشيخته النسبة : ٤٣٣ عن أبي القاسم بن برهان النحوي (عبد الواحد بن علي) : « إن المتنبي : ابن عِيدَان » ، جمع عِيدَانَة (يفتح فسكون) ، وهي النخلة الطويلة ، وأخطأ من قال بالكسر ، يريد عِيدَان » . ونقله أيضاً الحافظ ابن حجر في تبصير المنتبه : ٩٠٥ . و « السقاء » ، هو الذي يسقى الماء ، بتشديد القاف ، مضبوطاً في جميع المواضع من بغية الطلب . وجاء في تكملة تاريخ الطبري [بيروت ١٩٦١] الجزء الأول : ١٩٥ ، عن أبي الحسن محمد بن يحيى الزبيدي العلوي (انظر الصفحة التالية) : « وأبوه يسمّى عبدون السقاء » ، ولم أجد أحداً قال هذا ، مع اختلافه عن نصّ التنوخي ، فكأنه من عمل ناسخ أو من عمل الناشر ، فلا يعتد بمثل ذلك .

« اجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسن بن أمّ شيّبان الهاشمي ، ^(١) وجرى ذكر المتنبي فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمّى « عبيدّان » ، يستقي على بعير له ، وكان جُفِعِيّاً صحيح النسب » .

• وحَدَّث التنوخي أيضاً ، عن أبيه قال :

« حَدَّثني أبو الحسن محمد بن يحيى العلويّ الزيّديّ ، ^(٢) قال : كان المتنبي وهو صبيّ ينزل في جوارى بالكوفة ، وكان يُعرف أبوه ، بعبيدّان السّقاء - يَسْتَقِيّ لنا ولأهل المحلة » .

(١) نقلته في الطبعة الأولى مصحفاً : « القاضي أبو الحسين بن أمّ شيّبان » ، وترجمت له عن الخطيب البغدادي في التاريخ ١٢ : ٩٩ « على بن محمد بن صالح » . وهذا خطأ محض . ثم تبين لي أن الصحيح هو ما ضبطه ابن العديم وغيره « أبو الحسن بن أمّ شيّبان » ، وهو والد المذكور آنفاً ، وهو : « القاضي أبو الحسن محمد بن صالح ابن علي بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، ابن أمّ شيّبان » . و « أمّ شيّبان » هي والدّة يحيى بن عبد الله جدّ أبيه ، واسمها كنيته ، وهي والدّة يحيى بن عبد الله بن محمد ، جدّ أبيه ، ويعرف هو وأهله ببني أمّ شيّبان . وهذا القاضي أبو الحسن بن أمّ شيّبان ولد سنة ٢٩٤ هـ ، وتوفي سنة ٣٦٩ هـ ، وهو من الكوفة ، بها ولد ونشأ ، وفارقها إلى بغداد سنة ٣٠١ هـ مع أبيه ، ثم تكرر دخوله إليها . ثم دخلها سنة ٣٠٧ هـ ، فقرأ على أبي بكر بن مجاهد ولقي الشيوخ ، ثم استوطن بغداد في سنة ٣١٦ هـ (تاريخ بغداد ٥ : ٣٦٣ - ٣٦٥ / المنتظم ٧ : ٥٦ ، ١٠٢) .

(٢) كنت ظننت في الطبعة الأولى أنه هو « محمد بن عمر بن يحيى » ينتهي نسبه إلى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم . كان من أهل الكوفة ثم سكن بغداد ، وكان المتقدم على الطالبيين في وقته ، والمنفرد في علو محله مع المال واليسار ، وكثرة الضياع والعقار . ولد سنة ٣١٥ هـ ، وتوفي ببغداد في ١٠ ربيع الأول سنة ٣٩٠ هـ ، ثم حمل بعد ذلك لسنة أو أقل إلى الكوفة فدفن بها . ولكنني أرجح الآن أن هذا خطأ ، ولعل هذا المذكور « محمد بن يحيى » هو عم « محمد بن عمر بن يحيى » ، ولكن أعيانى أن أجدر ذكره فيما بين يدي من الكتب .

* ثم عقب على كلامي هذا عالمنا الجليل الدكتور محمود مكّي ، بعد سنوات من طبع هذا الكتاب فقال :

« أبو الحسن محمد بن يحيى الزيّديّ العلوي ، المذكور ، هو فيما أرجّح عمّ الشريف الثريّ محمد بن عمر بن يحيى المشار إليه في هذه الحاشية . وقد عثرث على خبر متعلّق به ، جاء فيه ما يلي :

- وقال أبو الحسن العلويّ الزيديّ أيضاً من حديث التنوخي عنه : « كان عيّدان ، والد المتنبّي ، يذكر أنه جُفِئ ، وكانت جدة المتنبّي همدانيّة صحيحة النسب / لا أشكّ فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات » . ١٥
- ثم قال التنوخي (علي بن المحسن) ، قال أبي :

« فاتفق بجيء المتنبّي بعد سنين إلى الأهواز منصرفاً من فارس ، فذكرته بأبي الحسن (يعني محمد بن يحيى العلويّ الذي مرّ آنفاً) فقال : تَرَى وصديقي وجاري بالكوفة ، وأطراه ووصفه ... »

« وسألت المتنبّي عن نسبه فما اعترف لي به ، وقال : أنا رجلٌ أُحِبُّ القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعضُ العرب بطائليّ بينها وبين

= « لما دخل معز الدولة بن بويه بغداد في سنة ٣٣٤ عزم على أن يبايع أبا الحسن محمد بن يحيى الزيديّ العلويّ ، فمنعه الصيّريّ من ذلك وقال : « إذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوأم البلدان ، وأطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا أمره فيك . وبنو العباس قومٌ منصورون ، تتعلّ دولتهم مرةً وتصحّ مراراً ، وتعرض تارةً وتستقلّ أطواراً ، لأن أصلها ثابت وثبائنها راسخ » . فعدل معز الدولة عن تعويله ، وأحذر أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله من دار ابن طاهر إلى دار الخلافة » (الفضل بن المقتدر ، وليّ الخلافة بعد ، وتلقّب بالمطيع لله) [تكملة تاريخ الطبري ، للهمداني ١ : ١٤٩ (ط . بيروت ١٩٦١)] .

وقد أشار ابن الأثير إلى هذا الواقعة ولم يذكر اسم « محمد بن يحيى العلوي » صريحاً ، فقال في دخول معز الدولة بغداد ، في ١١ جمادى الأولى : ٣٣٤

« وكان أعظم الأسباب في ذلك [أي في إدبار أمر الخلافة ، وذهاب ريع الخلفاء] ، أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخلّوها من مستحقّيها ، فلم يكن عندهم باعثٌ دينيٌّ يحثُّهم على الطاعة ، حتى لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعةً من خواصّ أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيّين ، والبيعة للمعزّ لدين الله العلويّ ، أو لغيره من العلويّين ، فكلّهم أشار عليه بذلك ، ما عدا بعض خواصه فإنه قال : « ليس هذا برأى ، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحجلين دمه ، ومتى أجلسست بعض العلويّين خليفة ، وكان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه » ، فأعرض عن ذلك » [ابن الأثير ، الكامل

القبيلة التي أنتسب إليها . وما دمت غير منتسبٍ إلى أحدٍ ، فأنا أسلم على جميعهم ويخافوني لساني » .

هذا ما ذهب إليه رواتنا ممن وقع إلينا كلامهم في نسب المتنبّي ، يزيد بعضهم وينقصُ بعضٌ ... وقبل أن نبدأ كلامنا عن نسبه ، نذكر لك طرفاً من أمر « الكوفة » التي ولد بها أبو الطيب وفيها نشأ ، عسى أن تكون منه فائدةً فيما يستقبل من كلامنا .

...

كان تمصير الكوفة وأوّل أمرها ، على ما ذهب إليه أكثر العلماء ، في زمان عمر بن الخطاب رضی الله عنه ما بين سنة ١٧ إلى سنة ١٩ من الهجرة ، وذلك أن المسلمين لما فرغوا من وقعة رستم بالقادسية وعصفوا بالفرس ثم انحدروا ، كان مما أنزلهم فيه سعد بن أبي وقاص رضی الله عنه ، مكاناً من سواد العراق يقال له : « سَوْق حَكَمَة » ، فتفّض المسلمون وجهدهم المرض ، فكتب سعدٌ إلى عمر بذلك ، فكتب إليه :
« إن العرب لا يصلحها من البلدان إلّا ما أصلح الشاة والبعير ، فعليك بالريّف ، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً » .

١٦ / فلما ورد كتابُ عمر ، دَلَّ آتِنُ بَقِيْلَة (رَجُلٌ من سواد العراق) سعداً على موضع الكوفة ، وكان يقال له « سَوْرَسْتَان » ، فلما أقرَّ سعدُ الرأى على اختيار الموضع أسهم بين المسلمين ، فأَسهم لتزارٍ وأهل اليمن سهمين ، فمن خرج سَهْمُهُ أوْلاً ، فله الجانب الشرق ، وهو خيرُهُما ، فخرج سَهْمُ أهل اليمن أوْلاً ، فصارت خططُهُم في الجانب الشرق من الكوفة .

ومما وردَ في صفتها وحُسْنها ما يروى عن مالك بن دينار قال : كان علىّ رضی الله عنه إذا أشرف على الكوفة قال :

يَا حَبِّدَا مُقَامَنَا بِالْكُوفَةِ أَرْضٌ سَوَاءٌ سَهْلَةٌ مَعْرُوفَةٌ
تَعْرِفُهَا جَمَالُنَا الْعُلُوفَةُ

وما قاله محمد بن عُمَيْرِ العُطَارِدِيُّ في مجلس عبد الملك بن مروان :

« الكوفة سَقَلَتْ عن الشام ووبائها ، وارتفعت عن البَصْرَةِ وَحَرِّهَا ، فهي مَرِيئَةٌ مَرِيئَةٌ . إذا أَتَيْتُمَا الشَّامَ ذَهَبَتْ مَسِيرَةٌ شهر على مثل رَضْرَاضِ الكافور ، وإذا هَبَّتْ الجُثُوبُ جَاءَتْنا رِيحُ السَّوَادِ وورده وباسمينه وأُثْرُجَه . ^(١) ماءُنا عَذْبٌ ، وعيشُنا خَضْبٌ » .

فهي كما ترى أرض ذات طبيعة جميلة ، حَبِيت إلى كثير من المسلمين البقاء بها فَأَثَرُوهَا على غيرها ، حتى كانت الفتنة الكبرى بين عَلِيٍّ ومعاوية رضى الله عنهما ، فاتخذها أمير المؤمنين عَلِيٌّ قاعدة أمره ، واجتمع فيها أَشْيَاؤه وغلبوا عليها ، فمن يومئذٍ والكوفة معقل من معاقل الشيعة والعلوية والزيدية إلى يوم الناس هذا . يقول السيد محسن الأمين الحسيني العاملي صاحبُ كتاب (أعيان الشيعة) : ^(٢) « ثم إن الكوفة ضعفت بعد انتقال الخلافة منها إلى بغداد ، ثم خربت . واليوم فيها كثير من العمران ، وجميع أهلها شيعة » .

١٧ / أمَّا أمر تخطيطها وعمرانها في القرن الأول والثاني أو القرن الرابع الذي عاش فيه أبو الطيب ، فلا نكاد نجد بين أيدينا شيئاً مما رَوَى يَدُنَا عليه ، ويقفنا عنده ، إلا ما رَوَى عن بشر بن عبد الوهاب القرشي من أَنَّهُ ذَكَرَ قَدْرَ الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلاثي ميل ، وذكر أن فيها خمسين ألف دارٍ للعرب من ربيعة ومُضَرَ ، وأربعة وعشرين ألف دارٍ لسائر العرب ، (وستة آلاف دارٍ لليمن) ، وذلك في سنة ٣١٤ وما قبلها .

وقد رَمَى إلينا المتنبي طرفاً آخر من تخطيط الكوفة لعهد صباؤ ، إذ يقول وهو بالشام فيما مدح به (علي بن إبراهيم التنوخي) :

أَمْسَى السُّكُونُ وَحَضَرَ مَوْتاً (ووالدني) وَكِنْدَةَ والسَّيِّعَا

(١) السواد : الريف .

(٢) هو كتاب جليل على ما فيه .

يقول الواحدى : « هذه أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا ينزلون هذه المحال » . ولا شك أن « محلة كندة » التى ولد بها صاحبنا أبو الطيب كانت خطة من خطط الكوفة ، نزلها فى الصدر الأول من نزل من بطون كندة فسُميت بهم ، وأن سائر الكوفة - أو الجانب الشرقى منها على التحقيق - كان مقسماً مخططاً إلى أحياء كثيرة غير هذه التى ذكرها أبو الطيب فى شعره . ولكن مما نعجبُ له أن بشر بن عبد الوهاب يقول : إن دور أهل اليمن (جميعاً فى كل أحياء الجانب الشرقى) بالكوفة كانت فى سنة ٣١٤ وما قبلها وعدتها (ستة آلاف دار) ، ويقول صاحب (إيضاح المشكل فى شعر المتنبى) أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني أن (ابن النجار) حدثه ببغداد : (١)

/ « أن مولد المتنبى كان بالكوفة فى محلة تعرف (بكندة) بها ثلاثة آلاف بيت من بين رَواءٍ ونَسَاج » ، وذلك سنة ٣٠٣ . فليت شعرى أكان جُلُّ أهل اليمن النازلين بالجانب الشرقى من الكوفة ، وهو خير جوانبها ، ما بين سقاءٍ ونساج ؟ هذا عجبٌ أن يكون ذلك كذلك ، إذا كان النساجون والسقائون وحدهم قد شغلوا من دور أهل اليمن بالكوفة ، ثم بمحلة كندة وحدها ، ثلاثة آلاف دار ، فكم شغل من بقى من أهل اليمن من أصحاب الصناعات ومن لفَّ لفَّهم من التجار وأصحاب الأرضين . ثم ما يبقّى من حَيِّ أهل اليمن لرجال اليمن وأشرافها وفرسانها وعلمائها وشعرائها وأدبائها ، وهم كُثُرٌ .

(١) كنت نقلت هذا فى الطبعة الأولى من خزانة الأدب للبغدادى (١ : ٣٨٢) ، حيث نقل القسم الأول من كتاب « إيضاح المشكل فى شعر المتنبى » ، ثم طبع هذا الكتاب فى تونس سنة ١٩٦٨ . باسم « الواضع فى مشكلات شعر المتنبى » ، والخبر فيه ص : ٦

و « ابن النجار » . هو « محمد بن جعفر بن محمد بن هرون بن فروة ، أبو الحسن التميمى النحوى » ، ولد سنة ٣٠٣ بالكوفة ، ورحل إلى بغداد ، ثم مات بالكوفة سنة ٤٠٢ . (تاريخ بغداد ٢ : ١٥٨ / ومعجم الأدباء ٦ : ٤٦٧ / وبغية الوعاة) . ولابن النجار « كتاب تاريخ الكوفة » قال ياقوت : « وقد رأيت » .

فهذه المبالغة وجه من وجوه إسقاط قول (ابن النجار) ، وسترى أن المتنبي قد مَنَى في حياته وبعد موته بضروب من العداوات قد جعلت تاريخ الرجل مَزَلَّة لا تثبت عليها قدم ، ولا يهتدى فيها إلا بصيرٌ متثبت . ولو نظرت إلى أقوال الأصفهاني صاحب (إيضاح المشكل) ، وما رواه في مقدمة كتابه ، رأيته ممن كان يتحامل على أئى الطيب ، ويذكره بالسوء في كل قوله ، وما أتى له بمحمدة إلا وأتبعها بمذمة بالغة قارصة . وهو قد ألف كتابه هذا لأصغر أبناء « عضد الدولة » = الذى مدحه المتنبي ، وكان آخر من مدح = بهاء الدولة ، وهو أبو نصر خُرة فيروز ، [ويقال اسمه نحاشاذ] بن عضد الدولة بُويّه بن ركن الدولة بن بُويّه بن فَنَاحِسْرُو الديلمي ، وكان التحاسد واقعاً بين أبناء عضد الدولة ، حتى إن المتنبي حين ذكر أخويه ، وهما أكبر من بهاء الدولة ، في مدح أيهما دعا لهما فقال :

فَعَاشَا عِيشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بَضْوَهُمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ

فكأنى بالمتنبي قد أدرك ذلك منهما ، وألمَّ بطرف من تحاسدِهما . وقد خابت دعوة صاحبنا ، فإن شرف الدولة شيرزِيل بن عضد الدولة حارب / أخاه صمصام الدولة ١٩ وظفر به بعد حروبٍ وحبسه . ولا أظن أن بهاء الدولة كان بِمَنْجَاةٍ من ميراث أسرته من التباغض والتحاسد وسوء الظن والحقْد ، بل لقد وصفه المؤرخون بأبشع الصفات ، فقالوا إنه كان « ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء ، حتى إنه كان خواصه يهرون من قُريه ولم يكن في ملوك بني بُويّه أظلم منه ولا أقبح سيرة وكان به مرض الصرْع ، يُصرَع في دَسْت المُلْك ، وَرِث ذلك عن أبيه » ، فليس عندى بِمُسْتَعْرِبٍ ولا مُسْتَبْعَدٍ ، أن يضطغن مثل هذا السقيم المريض القلب ، على المتنبي ، لأنه مدح أباه وأخويه ورفع من ذكرهم ، ولم يجد هو من شعراء زمانه من يقول فيه ما قاله أبو الطيب في أبيه وأخويه ، فكتب الأصفهاني كتابه تقريباً وزُلْفى إليه .^(١) وما يؤيد ذلك أن كتاب الأصفهاني في نقد

(١) كنت قد وقعت في خطأ غريب فظيع ، ومررت في كتابي هذا وظل قائماً فيه مدة ست وأربعين سنة ، =

كلام ابن جنى ، وهو صاحبُ المنتبى ومريده ومن الضَّالِّعين معه . وسيأتى طرف من غرائب ما ذكره الأصفهاني في ثنايا القول ، يؤيد رأينا في أن الرجل كان يلفق بالهوى الجائر ، وما كان يؤلف بالتاريخ . ^(١) هذا على أنى أحشى أن يكون الأصفهاني في نفسه علوى الهوى ، كبنى بويه الديلمين ، وكانوا شيعةً غلاةً في التشيع .

...

= لم أتنبه له ، ولا وجدت من تنبه له وتبهنى إليه ، حتى جاء عالمنا الجليل الدكتور محمود مكى ، فوضعنى على طريق الصواب . كنت قد كتبت بعد قولى : « وظفر به بعد حروب وحبسه » ، ما نصه في الطبعتين السالفتين : « فلعل بهاء الدولة كان ممن يحقد على المنتبى ، إذ لم يمدحه أو يذكره في شعره (مع صفه إذاك) » ، وهذا خطأ فادح ، فكتب لى أخى محمود مكى معلقاً على هذه الجملة ما يأتى :

« هذا أمر بين الاستحالة ، فبهاء الدولة لم يكن قد وُلدَ بعدُ . الكلام هنا عن بهاء الدولة أنى نصر خُره فيروز أصغر أبناء عضد الدولة ، تُوِّفى من داء الصرع في الرابع أو الخامس من جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ (ابن الأثير ٩ : ٩٠ / ابن تغرى بردى ٤ : ٢٣٣) ينصان على تاريخ ٥ جمادى الآخرة ٤٠٣ / الشريف الرضى ، ديوانه : ٥٩١ له مراثية فيه سَجَل بين يديها أن وفاته كانت في آخر نهار الأحد ، لأربع خلون من جمادى الآخرة ٤٠٣ / ابن الجوزى ، المنتظم ٧ : ٢٦٤ يذكر وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة بغير تحديد لليوم) .

وكان عمر بهاء الدولة ، على ما يذكر ابن الأثير ومعه سائر المؤرخين ، على خلاف يسير بينهم في ذلك ، كان عمره ٤٢ سنة و ٩ أشهر و ١٥ يوماً . فكأن مولده كان في ١٩ شعبان سنة ٣٦٠ (وهو ما جاء نصاً في ديوان الشريف) . وأما أبو الطيب ، فكان مقتله قبل ذلك بنحو ست سنوات (قتل في ٢٧ رمضان سنة ٣٥٤) ، وأما سيف الدولة ، فمات يوم الجمعة لخمس بقين من صفر سنة ٣٥٦ ، أى قبل مولد بهاء الدولة بنحو أربع سنوات . يقول أبو فهر : إشارة الدكتور مكى إلى سيف الدولة ، لأنى كنت كتبت في التعليق التالى : « وقد اشتدت المنافسة أخيراً بين بهاء الدولة وسيف الدولة » ، وهو أيضاً خطأ فادح لا شك فيه . وإشارته إلى شعر الشريف الرضى ، إلى قصيدته التى أوَّلها :

دَعِ الذَّمِيلَ إِلَى الْغَايَاتِ وَالرَّثَكَا مَاذَا الطَّلَابُ أَثَرُ جَوْ بَعْدَهُ دَرَكََا

(١) هذا طرف من القول ، وبقيت أطراف ترجع إلى العداوة بين بنى بويه وسيف دولة وبنى حمدان [انظر

ما سيأتى ص : ١٥٩] ، وما جرَّت هذه الخصومة بين أهل العصر ، والأدباء خاصة . وقد اشتدت المنافسة أخيراً بين =

والآن ، وقد فرغنا من القول في محلة كندة التي ولد بها المتنبي ، وما وقع في أمرها من المبالغة ، ننظر في نسب الرجل ، لترى كيف بالغوا أيضاً في الإساءة إليه ، وتحقير مولده ، والخط من أصله ونشأته ، لأغراض خافية قد أحاطت بصاحبنا ، أضرت به في حياته ، وأفسدت تاريخه بعد وفاته .

رأيت قبل في أول ما رويناه لك من أقوال الرواة ، أنهم أرادوا أن يشبوا بما رووا أن الحسين والد المتنبي هو عيذان السقاء ، كان يسقي الماء على بعير له بالكوفة . وراوى القصة كلها هو علي بن المحسن التنوخي ، عن أبيه المحسن التنوخي ، ونحن نقدم فنشك في رواية المحسن التنوخي لأسباب نذكر طرفاً منها هنا ، ثم تأتي بعد أسباب أخرى تثبت ما نقوله إن شاء الله . [انظر ما سيأتى : ١٤٩] .

...

- ٢٠ / القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي ولد سنة ٣٢٧ ، وتقلد القضاء سنة ٣٤٩ ، فكان من أصحاب الوزير أبي محمد المهلبى ، وكان المتنبي حين دخل بغداد في طريقه إلى عضد الدولة بشيراز ، قد ترفع عن أن يمدح الوزير المهلبى ، فأغرى المهلبى به الشعراء وغيرهم ، كأتى على الحاتمى صاحب الرسالة العجيبة المعروفة بالحاتمى ، ذكر فيها سرقات المتنبي ، وزعم أنها قد وقعت كما قيدها بينه وبين المتنبي ، ^(١) فلا عجب أن يكون

= بنى بويه الديلمين وبنى حمدان العرب التغلبيين ، وتورط الأدباء فيها فكتبوا وألفوا يريدون بما ألفوا التقرب إلى واحد من الخصمين . وأيضاً فإن بنى بويه كانوا يعرفون يقيناً أن المتنبي لم يكن خالص المدح لهم ، فقد شاب مدحه بالحسرة على لقاءهم في بعض قصائده ، وما كان ذلك ليخفى عليهم وهناك كثير من القول أغفلناه هنا ، وربما أتى بعضه عرضاً في آخر ما نكتبه عن مدح المتنبي بنى بويه إن شاء الله .

(١) الرسالة الحاتمى ، مطبوعة ، وقد طبع صديقنا الدكتور محمد يوسف نجم كتاباً آخر للحاتمى في الخط على أئى الطيب ، سماه : « جبهة الأدب » ، ونشره الدكتور نجم باسم « الرسالة الموضحة » (سنة ١٩٦٥ بيروت) . والكلام هنا أكثر انطباقاً على الكتاب الثانى .

محسّن التنوخي من أعداء أوى الطيب لصلته القرية بالوزير ، فقد بلغ به أن كان من ندمائه . ولا عجب أيضاً أن يسند التنوخي روايته (أو كذبه) إلى بعض شيوخه لئلاً يفتضح . ولذلك زعم ، كما قدمنا لك ، أن القاضي ابن أم شيبان حدّثه فقال : « كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يقال له عِيدان إلخ » ، والقاضي ابن أم شيبان ، يحتاج أمره إلى بعض النظر ، إذا حدث عن المتنبي ، لأنّ أخشى أن تكون صلته قرية جداً ، بحياة المتنبي وما لقيه من العلويين ، كما سأبينه فيما بعد .

وهذا الشيخ التنوخي يقول : إنه سأل المتنبي عن نسبه فما (اعترف له به) ، وكان إذ ذاك شاباً في السابعة والعشرين ، وكان المتنبي قد نيف على الخمسين ، (١) فما نَظَنُّ أن القاضي التنوخي كان يجرو أن يسأل المتنبي عن ذلك ، لبُعْد ما بينهما ، ولتعالى المتنبي وترفعه حتى على الخلفاء والوزراء ، وأيضاً لما يعلم من صلة القاضي بالوزير المهلبى وتحقّقه بخدمته (كما قال عن نفسه) . فمن يترفع عن الوزير أوى محمد المهلبى ، وهو من هوَ في سياسة عصره ودسائسه ، لا يتبدّل مع صاحبنا القاضي / التنوخي . هذا ، فإن كان قد سأل المتنبي حقّاً كما يقول ، فما يكون جواب المتنبي عن ذلك هذا الكلام الملقّى الضعيف الذى يَضَعُ من رأى صاحبه وَيَسْتَفْسِدُ من عقله : « أنا رجل أطوى البوادرى وحدى وأُخِيط القبائل » ، (٢) فلم يكن المتنبي ممن يطوى البوادرى وحده إذ ذاك ، بعد أن سار اسمه مسير الشمس ما بين مشرقها ومغربها . والمتنبي الذى لم يخف أن يخرج غير محروس يوم قُتل وقد أوعّده ، وأرصدوا له ، وتحقق هو ذلك ، لا يقول : « ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التى أنتسب إليها » . وهل أذلّ من قوله : « وما دمتُ غير مُنتسِبٍ إلى أحدٍ ، فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني » ؟ أهذا يقوله من أوعد الملوك وجاهرهم بالعداوة في عصر كانت تذهب فيه الأرواح مع كلمات الوشاية والدسيس والمكر السيئ ؟! كلاً يا أبا على

(١) لقيه التنوخي بالأهواز منصرفاً من فارس من عند عضد الدولة قبيل وفاته سنة ٣٥٤ .

(٢) انظر ص : ٢٧٩ ، ومن أين استخرج الوضاعون هذا الخبر .

وقد بالغ صاحبنا التنوخى فى روايته عن المتنبي حين سأله عن أبى الحسن محمد ابن يحيى العلوى الزيدى ، ومبالغته تدل على أنه كان يريد أن يولد كلاماً ، فأطال فيما روى ليوهم السامع بطول قوله ، أن المتنبي حرّكته الذكرى ، فأفاض فقال عن أبى الحسن العلوى : « تَرَى وصديقى وجارى بالكوفة وأطراه ووصفه » .

وأخرى فمن جهل هذا التنوخى بأساليب الوضع المتقنة - التى جرى عليها شيوخ الوضّاعين وأحكموا أمرها حتى خفيت على الحفّى البصير من العلماء والأدباء - أنه جمع بين النقائض فى الكلام الواحد الذى يراد به إثبات ما لا يكون ، أو كَوْن ما لم يثبُت . فمن ذلك أنه روى أن أباً الرجل كان سقاءً يسقى على بعير له ، ثم حدّث عن الرجل نفسه أنه قال : « متى انتسبت لم آمنُ / أن يأخذنى بعض العرب بطائفةٍ بينها وبين القبيلة التى أنتسبُ إليها » . وهذا أمرٌ من الأمر ، فإن العرب لذلك العهد كانت قد نسيت التّراث القديمَ ، وألقت بالسّخائم المتوارثة ، وانصرفت إلى ما جدّ من الأحداث فى دولتهم وفرّق شملهم وجعل بأسهم بينهم ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، حتى لعبت بهم الأعاجم فحطّمتهم الأيام . فإذا كات العرب قد نسيت ما قدّم أو ذكرته قليلاً قليلاً ، فما خوف المتنبي مما لا يُخَاف منه ؟ وما خوفه وهو آمنٌ فى المدن بين الكوفة وحلب وأنطاكية ودمشق والفسطاط ؟ أو كان المتنبي وحده من أهل عصره هو الذى يخشى ذاك ؟ ألم يكن فى عصره مثله ممن يطوى البوادي وحده ؟ كلا ، وإن رجلاً قد سقط بأبائه السواقط إلى السّقاء وغيرها من حقيرة المهن ، لا تُبغى عنده طائفةٌ ، وإن بُغيت فما يكون لمدرّكها عنده فخرٌ . و (أبن السقاء هذا) ما عَرَض فى شعره كُله إلى قبيلة فهجاها أو عَرَض بها أو لمزها بشيء ، حتى يخشى ظهور كيد يُكاد به ، ولئن فعل لقالوا له كما قال الأول :

وكنّ كيف شئت ، وقل ما تشا ء ، وأرعذ يمينا وأبرق شمالاً

نجا بك عَرَضُكَ مَنْجَى الدُّبَا ب حَمَتُهُ مقاذيرُهُ أن يُنَالَا

وما عَرَض كعرض سقاء ابن سقاء ينجو به ناج من طالب ثأرٍ أو مدرّك يرة !

وهلاً أدرك هذا المترفع المتعالى على الملوك والأمراء ، غنيث المتنبي ، بنسبه رجلاً آخر غير هذا السقاء ، الذى هو أبوه ، فوقف عليه بنسبته !! ما كان يضير هذا الرجل ، لو أنه كان قد سئل عن نسبه ، كما يوهم التنوخى ، أن يرتفع بنسبه شيئاً إلى رجل من الناس معلوم غير منكور ولا محقر ؟! إن الرواة قد / اختلفوا ، كما رأيت فى صدر مقالنا ، فى اسم جدّه (أبى أبيه) ولم يجمعوا على شىء ، وأخطأ بعضهم فى اسم أبيه فسماه (محمداً) ، واقتصر جُلّ شراح ديوانه من الأوائل ، ثم أكثر التّسخ المخطوطة - على اسم أبيه وحسب ولم يزيدوا . فهذا دليل على أن الكتان إنما كتاناً للنسبة كلها لا كتاناً إلى قبيلة بعينها يخشى من الانتساب إليه أن يلحقه من جرائمها أذى فى ترة ، أو مكروهاً فى ضغينة قديمة أو مُحدثة ، وأىُّ ثارٍ يكون للعرب والقبائل عند من كان سقاءً بالكوفة ! ثم إن التنوخى يروى هذا الخبر ، ويروى أيضاً أنه كان جُفَعِيّاً صحيح النسب ، وما تصحُّ نسبة سقاء إلى جُفَعِيّ بن سعد العشيرة إلا أن يذكر نسبه متصلاً إلى جُفَعِيّ ، لأن سقاء يدعى الانتساب إلى جُفَعِيّ ، لا بدّ له من أن يقيم دعواه بالدليل والبرهان : وهما النسب المتصل المعروف غير المنكر ، ما من ذلك بُدّ . ولو كان ذلك ، لوقع إلينا نصٌّ واحدٌ يُذكر فيه نسب المتنبي إلى رجل من جُفَعِيّ لا يُخْتَلَفُ فى أمر نسبته . فما ظنك بمن آخِطِفَ فى جدّه الأدنى والذى بعده ، ولم يتجاوزوا ذلك إلى متفق عليه من عمود النسب ؟

أو لم يكن الذى حفز التنوخى أن يسأل المتنبي عن نسبه فأخفاه عنه ، ليحفزه أن يسأل ابن أم شيان الهاشمي ، أو أبا الحسن العلوى ، كيف صحّت نسبة الرجل إلى جُفَعِيّ ، وخاصة بعد أن جحدّه المتنبي وكنتم عنه ما عرفه غيره ؟ ولو كان فعل ، لكان نَسَبُ الرجل مشهوراً عندنا ، كما صارت مهنة أبيه مشهورة منقولة .

وبعد ، ألم يكن بين العرب جميعاً مَنْ يعرف أن الرجل جُفَعِيّ القبيلة غير / « ابن أم شيان الهاشمي » و « أبى الحسن العلوى » و « أبى على التنوخى » ؟ أو قد حرصوا ثلاثتهم على أن لا يذيع نسب الرجل إلى جُفَعِيّ ؟ ولو كان ذلك ، فما الذى حملهم على

هذا الحرص ؟ والتنوخي نفسه لم يكن يعرف سبب حرص المتنبي على كتمان نسبه إلا في السنة التي مات فيها (سنة ٣٥٤) ! أكانوا ثلاثتهم لا يأمنون « أن يأخذ المتنبي بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي ينتسب إليها » ؟ وكذلك شهد الرجل (التنوخي) على نفسه في حديثه بالتخليط أو الوضع .

ولا يفوتك أن المتنبي في أول أمره كان بأنطاكية واللاذقية ، وكان التنوخيون ينزلونهما من قديم ، وقد نبتت بين صاحبنا وبين رجال من تنوخ هناك نابتة من المودة ، ثم نمت وريت واهتزت ، فمدحهم ورثاهم ، ودفع عنهم ، ورمى دونهم ، وأقام طويلاً بينهم مكرماً ، وقد كان بين أصحاب أئى الطيب من التنوخين وأبناء أعمامهم عداوة ، فلما مات محمد بن إسحق التنوخي ورثاه المتنبي ، جرى في أنطاكية الخبر بأن أبناء عمه قد شتموا بموته ، فلجأ هؤلاء الشامتون إلى أئى الطيب يسألونه أن ينفى الشماتة عنهم ، فكان مما قال في ذلك :

(أبناء عم) كُلُّ ذَنْبٍ لَامْرِيءٍ إِلَّا (السَّعَايَةِ) بَيْنَهُمْ مَغْفُورٌ
طَارَ الوُشَاةُ عَلَى صَفَاءٍ وَدَادِهِمْ وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ

ثم عادوا فسألوه أن يزيد ، فكان مما قاله على لسانهم :

رَأَى أَبْنَاءُنَا غَيْرَ ذِي رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدْنَا عَنْهُ ، وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ
وَعَرَضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ ، وَإِلَّا فَرَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاضِبُ
/ أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْنَ بَنَى أَبِي (لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ) تَدْبُ الْعَقَارِبُ (١)

وهذه العداوة التي كانت بين التنوخين مما يحجزنا عن الثقة بأقوال أحد من تنوخ (كأئى على التنوخي) ممن يذكر من أمر أئى الطيب شيئاً ، وعلينا أن لا نطمئن إلى قوله

(١) انظر ما سيأتى ص : ٢٢٨ ، فإنه مهم ، حيث ذكرت هذا البيت ، وما وقع بين التنوخين من الفرقة

بسبب العلوية والتشييع .

حتى تقطعنا الحجة بأنه كان ممن لا يميلون إلى هوى ، ولا يُصغون أفقدهم إلى بغضة ،
فما ظنك بأبي عليّ التنوخي ، وهو قد اجتمعت الدلائل - كما رأيت - على وهن روايته ،
واختلاط حديثه ، وبيان هواه ؟

وليس عجيباً أن يكون التنوخي ممن يحمل لأبي الطيب في صدره شحنة لصلته
المعروفة بأبناء عمومته ، فتحمله هذه الشحنة على وصف الرجل بكل نقیصة ، أو النيل
منه بكل سبيل . واعلم أن عليّاً التنوخي (والد المحسن هذا) كان ممن وُلِدَ بأنطاكية
وشبّ بها ثم رحل عنها ، فلعلّه رحل عن أنطاكية لِحدَث وقع بين أهله وبين أقاربهم ، (١)
وبقيت في صدره وصدر أبنائه حزازات موروثّة وأحقاد لبني عمه هناك . ولا عجب ، فقد
كانت هذه الفترة من العصر العباسي مرّجلاً يغلب بالأحقاد بين الأخوة وبنی الأعمام ،
حتى قتل الرجل منهم أباه وعمه وأخاه ، وهتك عرضه ، واستباح حرّماته ، وخاصة مَنْ
رَفَى درجات الإمارة ، أو أدرك سبباً من السلطان كأصحابنا التنوخيين ، (وهم نسلُ
ملوك تنوخ الأقدمين) .

...

هذا ، ولو سلمنا للتنوخي رحمه الله بصحة روايته عن أبي الحسن العلوي ، وأن
الذي قاله عن المتنبي هو من لفظ أبي الحسن جملةً ليس بموضوع ولا مبتدع من عند
نفسه - فعندنا في أقوال العلويين المعاصرين عن أبي الطيب سببٌ / للتوقف دون التسليم
لهم هكذا ، لا نجادل (٢)

(١) أعنى فتنة التشيع التي فرقت الناس .

(٢) وقبل فلا تنس ما كتبنا لك : أن العصر الذي كان أبو الطيب أحد رجاله ، كان من بين العصور العربية
عصراً خبيث النفس ، فاسد الطوية ، قد طغت فيه الدسائس ولعبت به الأهواء واستحرت الأحقاد بين الرجل
وأخيه ، والوالد وبنيه ، والوحيد وعشيرته التي تؤويه . وفصل هذا المعنى ، وخذ به واعرضه في أثناء كلامنا ، فما
في كل موضع يمكن الإشارة ، ولا عند كل مفرق من القول يجب التعليق والتفصيل ، وما يفوز القارئ حين يفوز
إلا بما يظن إليه مما يغفل عنه غيره ويتجاوزه سواه .

ففى ديوان أبى الطيب معنى من المعانى ، وإخاله سرّاً من الأسرار ، لعله أن يكون يوماً ما مفتاحاً تتسنى له الأبواب المغلقة فى نسب الرجل ، ومعرفة أصله الذى يصله بنسب غير مجهول ولا موضوع ، فعلينا أن نستوفى هنا بعض الرأى الذى نذهب إليه ونقيده على مكث .

نشأ صاحبنا بالكوفة ، وهى إذ ذاك دار العلويين ، ^(١) ومعدل الأئمة منهم والناهبين من رجالهم وشجعانهم ، فكان حقيقاً بمثله ممن ينال بالشعر ويؤمل منه ، أن يمدح من تُرجى عنده الفواضل من كبار العلويين وأجوادهم ، وهم أهل بلده الذين فى ظلهم نشأ ، وبين ربوعهم نما ، ومن علومهم نهل واغترف ، ^(٢) واستقى وأفاض (على الناس من غيرهم) مما استقى وما اغترف .

فعجباً لأبى الطيب ، أيما عجب ، أن لا يكون مدح من العلويين إلا رجلين ما امتدّ به العمر ، وقد بين أبو الطيب فى إحدى قصيدتيه ، ويئت الرواية فى الأخرى ، سبب ذلك المدح

٢٧ / قال العكبرى : « وكان محمد بن عبيد الله العلوى المعروف بالمشطّب ، ^(٣) هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شابّ دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجرح فى وجهه فكسته الضربة حسناً فهذا ما سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا » - :

(١) من العلويين الزيدية ، والعلويين الاثنى عشرية الإمامية ، وكان بينهما فى الكوفة من الخلاف والشحناء

ما بينهما .

(٢) « اعلم كما سترى بعد أن المتنبى تعلم فى كتاب للعلويين » ، هكذا قلت قديماً بل الأمر الآن أكبر من

التعلم كما ستعلم بعد .

(٣) قال الأمير ابن ماکولا فى الإكمال ١ : ٨١ « الأشتر النقيب أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن على بن

عبيد الله بن على بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، مدحه المتنبى ، وكان يلقب « المصهرج » ، قاله لنا الشريف النسابة » ، وانظر جمهرة ابن حزم ص : ٥٦ (ثانية) فى سياق النسب اختلاف .

فمدحه المتنبي بقصيدته التي أولها : (١)

أهلاً بدارٍ سبائكٍ أغيدها أبعد ما بآن عنك خُرْدُها
فلذكر فيها أن ناقته حملته إلى (ابن عبيد الله) هذا الممدوح :
إلى فتى يُصنِّدُ الرِّمَاحَ وقد أنهلها في القلوبِ مُورِدُها
لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ (سَالِفَةٌ) أَعُدُّ مِنْهَا وَلَا أَعُدُّها
ثم طفق يمدحه إلى أن قال :

وَكَمْ ، وَكَمْ نِعْمَةٌ مُجَلَّلَةٌ رِيَّتُهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلُدهَا
وَكَمْ ، وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا
وَمَكْرَمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الـ جِرٌّ ، إِلَى مَنْزِلِ تَرْدُدِهَا
أَقْرَ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا
فَعُدَّ بِهَا لَا عِدْمَتُهَا أَبَدًا ، خَيْرٌ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا

/ والمتنبي ، كما ستعلم بعد ، كان أوَّل أمره وهو صبيٌّ : « يَخْتَلِفُ إِلَى كِتَابٍ فِيهِ
أَوْلَادُ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ » من العلويين ، فكان (محمد بن عبيد الله العلوي) هذا كان من
لِدَاتِ أَبِي الطَّيِّبِ أَوْ أَسْنَانِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي الْمَكْتَبِ ، (٢) وَأَخَذَتْ بَيْنَهُمَا الْمُوَدَّةَ ثُمَّ ،
وَلَعَلَّهُ كَانَ يُفْضِلُ عَلَى الْمُتَنَبِّي وَيَتَعَهَّدُهُ وَيَكْرُمُهُ فَلِذَلِكَ قَالَ : « لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَالِفَةٌ » .

(١) الرأى عندنا أن المتنبي قال هذه القصيدة بعد مرجعه إلى الكوفة من مقامه بالبادية سنة أو أقل ، وقبل
خروجه إلى بادية كلب واللاذقية حيث سجن في دعوى النبوة ، كما يزعمون ، وقد كانت سنه حين قالها على
الأرجح عندنا خمس عشرة سنة أى سنة ٣١٨ هـ . واعلم أننا إنما نختهد في تأريخ ما لم يؤرخ من قصائد المتنبي ، وقد
وجدنا في ذلك المشقة وما فوقها ، لترجم للرجل على بيته وهدى . وستجد فائدة ذلك في كثير مما يمر بك إن شاء
الله .

(٢) تقول : « فلان سن فلان » أى مثله في سنه ، والجمع أسنان .

فأكدت هذه المودة القديمة سبب المدح حين عاد من رحلته في البادية يتسقط اللغة وينتجع الرزق . ^(١) وأرجح الظن أن المتنبي حين عاد إلى الكوفة : عاد إليه صاحبه العلوي بالافضال والتعهد ، فلما أصيب بالجراحة في حربه ، مدحه المتنبي لصداقته ومودته ، ولما أسدى إليه من معروف ، وما اتخذ عنده من صنائع .

...

أما آخر الرجلين العلويين ممن مدح ، فهو أبو القاسم طاهر بن الحسن بن طاهر العلوي لم يمدحه المتنبي ابتداءً كما مدح غيره . وفي ما نرويه لك من خبره عجب ! [انظر ما سيأتى أيضاً ص : ٢٩٢ ، ٢٩٣] .

٢٩ / كان الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طُفَّج وهو بالرملة لم يزل يرأسل أبا الطيب بطبيرة سنة ٣٣٦ ، ويعزم عليه في القدوم عليه ، فلما كثر ذلك منه أجابه ومدحه وأقام عنده مُدَيِّدَةً ، فلم يزل أبو محمد (الحسن بن عبيد الله بن طفج) ، يسأل أبا الطيب أن يخصَّ أبا القاسم (طاهراً العلوي) بقصيدة من شعره (وأنه قد اشتبى ذلك) !! وأبو الطيب يقول : « ما قصدتُ إلا الأمير (ولا أمدح سواه) !! » فقال له أبو محمد : « عزمت عليك أن أسألك قصيدة تنظمها في فأجعلها فيه » ، [تأمل هذا !!] ، وضمّن له عنده مئات من الدنانير ، فأجاب .

(١) هذا ما قلته منذ أربعين سنة ، أما الآن فقد صار ما قلته هنا لا يعبر عن الحقيقة . فإن علاقة المتنبي بالعلويين لم تقتصر على تعلمه في كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، بل ارتفعت علاقته إلى أخوة من الرضاع . فقد ذكر ابن العديم (٥٨٨ - ٦٦٠ هـ) في ترجمته التي ستشعرها مع سائر التراجم الجديدة في آخر الكتاب ، أن المتنبي : « أرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله » وأسنده فقال : « أخبرني صديقنا أبو الدرداء ياقوت بن عبد الله الرومي مولى الحموي البغدادي ، قال : رأيت ديوان أبي الطيب المتنبي بخط أبي الحسن علي بن عيسى الربيعي قال في أوله » ، وذكر ما نقلته وغيره كثير . و « علي بن عيسى الربيعي » ، ممن روى عن المتنبي وأخذ عنه شعره . فالأمر إذن أجل من التعلم في كتاب أولاد أشراف الكوفة من العلويين . و « آل عبيد الله » ، هم بنو « عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب » ، ومنهم « المشطب » الذي مدحه ، كما ترى في نسبه ص : ١٥١ ، تعليق : ٣ ، والأرجح الآن أنه أخو المشطب من الرضاع على الأقل ! بل قد تبين بعد هذا ، أن المتنبي نفسه قال : « رضعتم بليان علوية من بنات عبيد الله بن يحيى » ، كما ستري في ترجمة الربيعي في (سنة ١٩٨٤ هـ) = التراجم الأربع .

قال محمد بن القاسم الصوفي : « فسرْتُ أنا والمطلبيّ برسالة طاهر إلى أبي الطيب ، فركب معنا حتى دخلنا عليه ، وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريه ، والتقاء مُسَلِّماً عليه ، ثم أخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه . فتحدّث معه طويلاً ، ثم أنشده أبو الطيب ، فخلع عليه للوقت خلعة نفيسة » .

قال علي بن القاسم الكاتب : « كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعتُ أن شاعراً جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمديحه غير أبي الطيب ، فإني رأيت هذا الأمير قد أجلسه في مجلسه ، وجلس بين يديه ، فأنشده :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ (١)

/ وفي هذه القصيدة التي يمدح بها رجلاً علويّاً ساميَ القدر يقول :

٣٠

كثيرُ حَيَاةِ المرءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا	يُزُولُ ، وَبَاقِي عُمْرِهِ مِثْلُ ذَاهِبٍ
إِلَيْكَ ، ... فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ إِذَا اتَّقَى	عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ
أَتَانِي وَعَيْدُ (الْأَذْعِيَاءِ) ، وَأَنْتَهُمْ	أَعْدُوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذَرْتَهُمْ ،	فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ
إِلَيَّ لَعَمْرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيبةٍ	كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ
بَأْيَ بِلَادٍ لَمْ أُجَرَّ ذُوَابَتِي !؟	وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأهُ رَكَابَتِي !؟

(١) لا بد لنا هنا من التنبيه إلى خطأ بليغ وقع فيه أحد كبار أدبائنا في كتابه عن المتنبي ، إذ زعم أن المتنبي قال هاتين القصيدتين (في ابن طغخ والعلوي) بعد فراق سيف الدولة وقبل اتصاله بكافور ، والصحيح أنهما قيلتا سنة ٣٣٦ وهو بالرملة ، ومن ثَمَّ في تلك السنة رحل إلى أنطاكية قاصداً أبا العشائر الحمداني الذي وصل أسبابه بسيف الدولة سنة ٣٣٧ . وسترى ذلك في موضعه من كتابنا هذا . هذا على أن أسلوب الرجل في هاتين القصيدتين وتَفَسُّهُ في الشعر ، غيره فيما قاله بعد فراقه لسيف الدولة ، وذلك بين لمن تدبر أدنى تدبر .

وَنَفَسُ الرَّجُلِ فِي الْقَصِيدَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَدْ لَقِيَ كِيداً فِي سَنَتِهِ تِلْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأَدْعِيَاءِ (وهم الذين يدعون الشرف بنسبتهم إلى عليّ رضى الله عنه) . وَيَبِينُ مِمَّا وَرَدَ فِي شَعْرِ أَيْ الطَّيِّبِ أَنَّهُ حِينَ أَزْمَعَ الرَّحِيلَ مِنْ طَبْرِئَةٍ سَنَةِ ٣٣٦ ، أَرَصَدَ لَهُ هَؤُلَاءِ الْعُلُوِّيُّونَ (الْأَدْعِيَاءُ) قَوْمًا مِنَ السُّودَانِ عَبِيدَهُمْ فِي طَرِيقِهِ بِكَفَرٍ عَاقِبَ لِيَقْتُلُوهُ ، (١) فَلَمْ

(١) كفر عاقب : قرية على بحيرة طبرية من أعمال الأردن ، وانظر ما سيأتى ص : ٢٥٤ .

الحمد لله وحده ، فهذه قرينة واضحة تؤكد صدق ما ذهبْتُ إليه في تفسير شعر أَيْ الطَّيِّبِ ، في هذه المسألة ، وفي علاقته بمحمد بن طُغْجَ حين كان محبوساً بكيد العلويين في أول شبابه ، [انظر ما سيأتى ص ٢٢٤ - ٢٣٤] ، فَإِنَّ آيَةَ طُغْجَ كَانَ يَصَانَعُ الْعُلُوِّيُّونَ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَأْمَنُهُمْ ، وَكَانَ عُلُوًّا لِلْقَرَامِطَةِ . فَقَدْ ثَبَتَ عِنْدِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْرَوْا بِقَتْلِهِ ، هُمُ الْقَوْمُ مِنْ وَلَدِ « الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » ، فَقَدْ جَاءَ فِي نَسْخَةِ ابْنِ جَنِّي مِنْ دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّئِيِّ (ص : ١٩١ ، طبعة الدكتور عزام) أَنَّ الْمُتَنَبِّئِيَّ قَالَ : « يَهْجُو عَلُوًّا عَبَّاسِيًّا :

أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ	وَجَرَّكُمْ مِنْ خِيفَةِ بِكُمْ التَّمَلُّ
وَكَيَّدَ أَيْ الطَّيِّبِ الْكَلْبُ ، مَا لَكُمْ	فَطَنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَا لَكُمْ عَقْلُ
وَلَوْ ضَرَبْتُمْ مَنْجَنِيْقِي وَأَصْلَكُمْ	قَوِيٌّ لَهَدَّتْكُمْ ، فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ
وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يَدْبُرُ أَمْرَهُ	لَمَا كُنْتُمْ نَسْلَ الَّذِي مَا لَهُ نَسْلُ

وجاء في نسخة أخرى : « وتوعده قوم من ولد العباس بن علي بن أبي طالب بطبرية بشر ، فقال لهم أبو الطيب في ذلك » .

فهذا نصٌّ قاطعٌ ، أنهم هم الذين توعده بطبرية ، وأرصدوا له بكفر عاقب . و « وَلَدُ أَيْ الطَّيِّبِ » ، الذين ذكرهم في البيت الثاني ، أبوهم : « أبو الطيب ، محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب » ، وهو الذي قتله محمد بن طُغْجَ الإخشيد قبل سنة ٣٣٤ . وكان أبو الطيب جليل الحال في الأردن ، وكثر ماله وضياعه ، وكان يسكن مدينة طبرية ، فكيسه رجال محمد بن طُغْجَ في بستان له فقطعوه بالسكاكين ، وذلك في أيام القرامطة ، وكان مُتَّهِماً بِالْمِيلِ إِلَى الْقَرْمَطِيِّ لِعَنَةِ اللَّهِ ، (جمهرة النسب لابن حزم : ٦٧ ، ومقاتل الطالبين : ٧٠٠) . وقول المتنبي في البيت الأخير : « لما كنتم نسل الذي ما له نسل » ، فإن ابن حزم قال في الجمهرة : ٦٧ ، « لَا عَقِبَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، إِلَّا مِنْ وَلَدِهِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَقَطْ » ، فالظاهر أن هَؤُلَاءِ الْعُلُوِّيِّينَ الْعَبَّاسِيِّينَ كَانُوا قَلَّةً فِي الْعَدَدِ ، أَوْ كَانُوا يَتَهَمُونَ بِأَنَّهُمْ « الْعَبَّاسُ » لَا عَقِبَ لَهُ الْبَيْتُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي شَعْرِهِ بَعْدَ « يَا عَلُوِيٌّ جَدَّهِ غَيْرِ هَاشِمٍ » ، أَيْ أَنَّهُ دَعَى مِنَ الْأَدْعِيَاءِ . وَلَيْسَ بِعَبِيدِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ أَبُو الطَّيِّبِ الْعُلُوِيٌّ هَذَا ضَالِعًا فِيمَا أَمَرَ سَجَنَ أَيْ الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيَّ .

يظفروا بما أَمَلُوا ، وأَحْفَظَ ذلك أبا الطيب ، فلما دخل الرَّمْلة كان ، على عادته كما سترى ذلك ، ثائراً لا يفتأ يذكر ما يختلج في ضميره ، لا يُرَاعِي ولا يُحَاسِن ولا يَتَهَيَّب ، ومن آثار هذه الحفيظة قوله في هذه القصيدة أيضاً :

إِذَا (عَلَوِيٌّ) لم يكن مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلتَّوَصُّبِ (٢)

ثم أَجْرَى هذا الأمر مجرى المَثَل كعادته فقال :

/ إِذَا لم تكن نَفْسُ التَّسَبُّبِ كَأَصْلِهِ فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامَ الْمَنَاصِبِ ! (١)
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدَ وَلَا بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبَ

والبيت الأخير هو حجته في نفى العلوية عنهم ، وإثبات أنهم أدعياء لا يمتثلون إلى الشرف بسبب ولا صلة . فلو كانوا علويين ، لا جرم ، لتشابهت الأخلاق في الكرم والسمو ، ولكانوا كهذا العلوي الذي يمدحه (طاهر بن الحسن) .

ليس هذا فحسب ، فإن أبا الطيب ، قبل هذا بأيام قلائل ، يقول للأمير أبي محمد بن طُغْج في مديحه :

كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ زَادٍ قَادِمٍ
وَكَاذَ سُرُورِي لَا يَقِي بِنِدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ
وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَثَرِيَّةً بِهَا (عَلَوِيٌّ) جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ

(وشرُّ الأرض) ، هي طَبْرِيَّة التي كان بها قبل مقدمه إلى الرَّمْلة .

...

أو ما ترى بعد أن في تجنُّب المتنبي مدح العلويين ورجالهم وأئمتهم في أوَّل أمره وهو بالكوفة ، إلا واحداً كان رفيق صباه وأحد أسنانه ، [وأخاه في الرضاع كما استظهرت في

(١) « التواصب » ، هم الخوارج الذين نصبوا العداوة لأمر المؤمنين على بن أبي طالب ، واحدها « ناصبي » .

(٢) « المناصب » جمع « منصِب » ، وهو الأصل الذي ينتمي إليه ويتنسب .

ص : ١٥٣ ، تعليق : ١] ومن خير المُفضّلين عليه والمُتعهّدين في مِحنته وفقره - ثم في طلب الأمير منه أن يمدح طاهراً العلوي فيمتنع ويستعصى عليه ، حتى يكثر عليه الأمير ويقول : « أنا أشتي ذلك » ، فيقول أبو الطيب : « ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه » ، فلا يزال به يحتال عليه حتى يستخرج منه وعده ، ثم في إكرام العلوي له هذا الإكرام البالغ بنزوله له وإجلاسه في مرتبته وعلى سريرته ، وهو بين جلة الأشراف العلويين ، ولا يتورّع المتنبي إذ ذاك / أن يذكر بعض العلويين بالمذمة والتعريض ونفى النسبة الكريمة عنهم - ألا ترى أن هناك سراً من الحفيظة بينه وبين العلويين الذين نشأ بينهم وفي ديارهم ، ودرس في مكتبهم ، بين أولادهم ؟ (١)

هذا ، وسيأتى طرف من ذلك بعد ، (٢) فترى أن أبا الطيب حين خرج في أول أمره باللادقية ، كان الذي عذبه وسجنه رجلٌ هاشميٌّ أو علويٌّ هو (ابن علي الهاشمي) ، (٣) وكان بكوتكين ، فجعل في عنق صاحبا ورجليه خشبتين من الصفصاف فقال له :

زَعَمَ الْمُقِيمَ بِكُوتَكِينَ بِأَنَّهُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ
فَأَجَبْتُهُ : مُذْ صِرْتُ مِنْ أَبْنَائِهِمْ صَارَتْ قِيُودُهُمْ مِنَ الصَّفْصَافِ

يسخر منه ، ومما أخذه به .

أفلو شككنا ، من أجل هذا ، في صحة ما يقوله العلويون عن أبي الطيب ،

(١) بل زاد الأمر على التعلم والنشأة وزاد العجب ! انظر ما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ ، وانظر توثيق مقالتي هذه في ترجمة ابن العديم رقم : ٦٨ ، من أن المتنبي كان مخالفاً للشيعة .

(٢) سيأتيك في خبر نبوته أيضاً بعد أنهم زعموا أن أبا الطيب ادعى أنه علوي حسني ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوي . وسترى بطلان ذلك إن شاء الله ، وتأويله عندنا على الرأي والنظر لا الرواية . [وقد وجدت في تكملة تاريخ الطبري ، الأول : ١٩٥ (بيروت ١٩٦١) أن المتنبي ادعى أنه حسيني ، وذلك في رواية حديث أبي الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوي] ، وكان هذا هو الصواب المحض .

(٣) انظر ص : ١٥٥ ، والتعليق : ١ .

وتوقفنا دون الأخذ بأقوالهم في ترجمة الرجل ، نكون قد أتينا أمراً كبيراً لا يقرُّنا أحد عليه ؟
لا أدري !

رَأَيْتَ قَبْلُ أَنَّ الَّذِي قَالَ : إِنَّ وَالِدَ الْمُتَنَبِّيِّ هُوَ « عَيْدَانُ السَّقَاءِ » ، إِنَّمَا هُوَ أَبُو عَلِيٍّ
الْمُحَسَّنُ التَّنُوخِيُّ ، وَهُوَ مِنْ شَبَوَيْخِ الْعِرَاقِ وَأَصْحَابِ الْوَزِيرِ الْمَهْلَبِيِّ ، فَرِذُّ عَلَى هَذَا أَيْضاً أَنَّ
الْمُتَنَبِّيَّ حِينَ دَخَلَ الْعِرَاقَ بَعْدَ فِرَاقِ كَافُورٍ ، أَعْرَضَ عَنِ الْمَهْلَبِيِّ ، وَلَمْ يَمْدَحْهُ ، وَلَمْ يِيَالِ بِهِ ،
فَأَغْرَى بِهِ الشُّعْرَاءَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْكُتَّابِ / وَالْأَدْبَاءِ . وَكَانَ شُعْرَاءُ الْعِرَاقِ خَاصَّةً يَخَافُونَ أَنَّ
يُنَالُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي الْعِرَاقِ مَا نَالَ فِي الشَّامِ ، فَيَذْهَبَ بِأَرْزَاقِهِمْ مِنَ الْمَدْحِ ، وَيَعْصِفَ
بَذِكْرِهِمْ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ ، كَمَا فَعَلَ بَيْنَ هُمٍ أَعْلَى مِنْهُمْ طَبَقَةً مِنْ شُعْرَاءِ الشَّامِ كَأَبِي فِرَاسِ
الْحَمْدَانِيِّ ، وَالسَّرِيِّ الرَّفَاءِ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ النَّامِيِّ ، وَأَبِي الْفَرَجِ الْبَيْغَاءِ ، وَخَلَقَ كَثِيرٌ مِنْ
الشُّعْرَاءِ . وَقَدْ هَجَمَ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ وَوَقَعَ فِي عَرْضِهِ شُعْرَاءُ الْعِرَاقِ حِينَ أَغْرَاهُمُ الْوَزِيرُ
الْمَهْلَبِيُّ بِهِ حَتَّى قَالُوا فِيهِ :

أَيُّ فَضِيلٍ لَشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ لَمِنْ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ بِالْكُوفَةِ الْمَاءَ ، وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحْيَا

فَزَعَمُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ سَقَاءً لَا أَبَوَهُ ، وَهَاجَ هَذَا الْقَوْلُ الْحَسَنُ بِنَ لَنْكَكَ شَاعِرُ
الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ ، كَمَا كَانَ الْخَالِدِيَانِ ، (حَاسِداً لَهُ طَاعِناً عَلَيْهِ هَاجِياً إِلَيْهِ ، زَاعِماً أَنَّ أَبَاهُ
كَانَ يَسْقِي الْمَاءَ بِالْكُوفَةِ) ، فَقَالَ ابْنُ لَنْكَكَ شِمَاتَةً حِينَ رَأَى وَاقِعَةَ شُعْرَاءِ بَغْدَادَ فِي
الرَّجُلِ :

قُولُوا لِأَهْلِ زَمَانٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ضَلُّوا عَنِ الرُّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بِهِ وَعَمُوا
أَعْطَيْتُمُ الْمُتَنَبِّيَّ فَوْقَ مُنْتَبَاهِهِ فَزَوَّجُوهُ بِرَغَمِ أُمَّهَاتِكُمْ
لَكِنَّ (بَغْدَادَ) ، جَادَ الْعَيْثُ سَاكِنَهَا ، نِعَالُهُمْ فِي قَفَا السَّقَاءِ تَزْدَحِمُ

وقال أيضاً :

« مُتَنَبِّئُكُمْ آبِنِ سَقَاءِ كُوفَانِ »

ونضح - بعد ذلك - إناء ابن لنكك بما فيه .

٣٤ فذكر المتنبي بالسوء وزعمهم أن أباه كان سقاءً ، من « مصنوعات » / العراق
وتجارته التي كان المهلبى (وزيراً) لها إذ ذاك على ما نرجح ، فكم أتجر صاحبنا المهلبى
بالأكاذيب في أيام وزارته ، كما روت التواريخ عنه وعن أيام أصحابه . وإلا فكيف (يصح
في الأذهان) أن يقف ابن السقاء ، هذا المتنبي ، كما زعموا ، في كل المواطن موقف المتعالي
المتكبر الذي لا يرى أحداً فوقه ولا أحداً مثله ، حتى سيف الدولة آبن حمدان ولي نعمته ،
وصاحبه ، ومُكْرَمُهُ على حين مَسَاءَةٍ من الزمن ؟! يا عجباً !! ألم يكن في مجلس سيف
الدولة من يعرف ذلك يوم غضب عليه ، وترك الشعراء يقعون فيه ، ويتصدى له أبو فراس
وهو ينشد ، فيجبهه ويقطعه عن الإنشاد ؟ يقول المتنبي في هذا المجلس :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بَأَنِّي خَيْرٌ مِنْ تَسْمَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْنَى وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

فانظر كيف فضّل نفسه على من ضمّ مجلس سيف الدولة وفيهم سيف الدولة
نفسه ، ولم يزد أبو فراس - وهو قريع المتنبي في الشعر وعدوه لمنزلته عند سيف الدولة -
على أن قال له فيما قال : « ومن أنت يا دَعِي كندة » !! وفي قوله : « دَعِي كندة » نَظَرٌ .
فما نظنُّ الرجل ادّعى لكندة ، وأصحابنا يزعمون أنه كان يخفى نسبه ! وكان أولى بأبي
فراس ، وأوقع في المتنبي ، وأوضح له في تيهه وتعاليه على الأمراء والملوك وكبار الشعراء كأبي
فراس نفسه - أن يقول له إذ ذاك : « مَنْ أنت يا ابن سقاء كُوفَانِ » ... لو أنه كان علم
ما علمه التتوخي وأصحابه ، وشعراء العراق ، وشاعر البصرة الحسن بن لنكك ، الذين
كانوا بالعراق على صلة (ببلاط) الوزير المهلبى وزير معز الدولة أحمد بن بويه (الديلمي)
عَدُوُّ بني حمدان ، وفي رأسهم سيف الدولة (العلويّ العربي) .

/ أترى شعراء الشام الذين ذهب برزقهم وذكرهم ، ولم يُعْفهم من ذمه لهم في شعره ، كانوا لا يَتَقَصُّونَ خبر الرجل وقد استفحل أمره بينهم ، فيعلموا أنه كان (ابن سقاء) ، فيلمزوه بذلك ، ويستخفُّوا به ، أو يعبثوا به ويتنادروا عليه ؟ وهذا آبن السقاء يتحدَّاهم ويتحدَّى سيفَ الدولة نفسه ، وأبو فراس قريعه وعدوُّه في ذاك المجلس إذ يقول :

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي أَنَا الْفَرَّيَا ، وَذَاكَ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ

أَتُنْهَم لِيَطْلُبُونَ لَهُ عَيْباً فَيُعْجِزُهُم الطَّلَب ، ويكون متعالماً في العراق بعد أن الرجل ابن سقاء كان يسقى الناس على بعير له بالكوفة !!

اقرأ ديوان الرجل كله ، تجده تياهاً يتسامى بنفسه على كلِّ مدح ، ويتعالى على كلِّ أهل عصره ، ولا يفتأ يوسع الشعراء من سُخْرِيته وهو قد قطع أرزاقهم ، وألوى بهم وبذكرهم ، وكلامه كلامُ الواثق الذي لا يُدَاخِلُهُ الشكُّ ، ولا يروِّعُه الكذب ، ولا يرُدُّه الافتراء ، فلو كان في نسب الرجل ، إذ ذاك مطعنٌ لطاعن ، أو في أصله تُهْمَةٌ لَمَتَّهُمْ ، لَتَرَدَّدَ في قوله تردُّدُ الحيران ، ولاجنب الفخر حيث يكثر الحسد والهمهمة والتلفيق والدس عند الأمراء ومن إليهم من رجال الدولة . ولو كان في نسب الرجل شيءٌ ، لسمعت عند كل موضع من فخره في شعره نادرة يتناقلها الأدباء ، وغمرة قد غمره بها أنداده وأعداؤه من الشعراء . ألم يسمع هؤلاء إلى قوله في فخره :

لَا بِقَوْمِي شَرُّنِي بَلْ شَرُّنِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلَّ مَنْ نَطَقَ الضَّأ دَ وَعَوَّذَ الْجَانِي وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

/ فهذا من أكبر الفخر ، فما من قوم يفخر بهم « كلٌّ من نطق الضاد » غير أبناء علي رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ . ويقول يرثي جدته وقد ماتت بالكوفة ، وكان صاحبنا إذ ذاك قريباً من الكوفة حيث نشأ وعُرف :

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفْسَهُمْ بِهَا أَنْفُ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا

والعجب أن لا يصلنا عن هذا وغيره خبرٌ واحدٌ يُطعن فيه الرجل بأنه ابن سقاءٍ !
وما يكون لابن سقاءٍ أن يقول مثل هذا ، ويكون كل ما وصلنا من خبر أبيه إنما وصل في
خبر دُخوله بغداد في آخر عمره ، ومن رجالٍ بينهم وبين الوزير المهلبى آصرةٌ مودّةٍ
وتنادم ، أو شعراء آسدهم هذا الوزير المهلبى وأغراهم بالرجل ، حتى وقعوا في عرضه ،
وولغوا في شرفِ نسبه ، وجودة قريضه وبيانه !! إنه العَجَبُ وما فوق العجب !

هذا ، إذا أغفلنا كُلَّ الإغفال أمر « العلوية » و « العلويين » و « الشيعة » وأتباعهم
من « المتشيعين » وما كان بينهم وبين أبى الطيب من عداوة بلغت حدَّ الإِرصاد له ابتغاء
قتله والفتك به ، [انظر ما سلف : ١٥٣ - ١٥٦] .

...

- ٢ -

فَوَا أَسْتَفَا أَلَّا أُكِبْتُ مُقْبِلًا
لِرَأْسِيكَ وَالصُّدْرِ اللَّذِي مُلِفًا حَزْمًا
وَأَلَّا أَلَاقِي رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي
كَانَ ذَكِّي الْمِسْلِكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا
وَلَوْ لَمْ تُكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ
لَكَانَ أَبَاكَ الضُّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا

٢٧ / هما ، ولا غيرهما ، أبوه الذي كان سَقَاءً ، زَعَمُوا ، يسقى على بعير له بالكوفة ، « وكان جعفيًا صحيح النسب ... » ، وَجَدْتَهُ ، « وكانت همدانية صحيحة النسب لا يُشْكُ فيها ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات » . هما ولا غيرهما ، أصله وَفَرَعُهُ ، وقديمُهُ وحديثه وعشيرته وأهله ، وَعَصَبَتُهُ وقومُهُ ، والقائمون بأمره في أوَّلِ حَدَائِثِهِ ، لا عَمٌّ ولا خَالَ !!

أُمَّا أُمُّهُ فَقَدْ جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ لَهَا خَبْرًا وَاحِدًا ، أَوْ ذَكَرًا فِي كَلَامٍ ، فَمَا وَصَلْتُ .
أَمَّا مَا يَزْعَمُ بَعْضُ الْكُتَّابِ وَالْأَدْبَاءِ مِنْ أَنَّهُ أَرَادَ أُمُّهُ بِقَوْلِهِ وَهُوَ فِي السَّجْنِ ، وَقَدْ كَتَبَ بِهِ إِلَى الْوَالِي :

يَبْدَى أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأُنَى غَرِيبُ
أَوْ (لَأُمِّ) ، لَهَا إِذَا ذَكَرْتَنِي ، دَمٌ قَلْبٍ يَدْمَعُ عَيْنِي يَذُوبُ

فَلَيْسَ عِنْدَنَا بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى جَدُّهُ (أُمُّهُ) ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي قِصِيدَتِهِ الَّتِي رثَاها بِهَا فَقَالَ :

٢٨ / وَلَوْ لَمْ تُكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضُّخْمَ كَوْنُكَ لِي (أُمًّا)

وَمِنْ قَرَأَ قِصِيدَتَهُ هَذِهِ وَتَدَبَّرَهَا ، وَقَعَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ أَنَّهُ لَمْ تَعَطْفُهُ عَاطِفَةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ ، (وَلَا نَسْتَشْنِي أَبَاهُ السَّقَاءَ !!) ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجَدَّةُ الْكَرِيمَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ

صغيراً وثكلته شأباً بفراقه لها ، ثم ماتت به سروراً حين جاءها كتابه وهو متوجّه إلى العراق (ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك !!) أو كما قالوا وفي قصيدته هذه إشارة دقيقة بليغة مقدّرة ، يشير بها إلى أن أُمّه قد ماتت وهو صغير ، فكفلته جدّته العجوز رحمها الله ، ^(١) وذلك في قوله :

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَقَاتَتْ وَفَاتَنِي (وقد رَضِيتُ لِي ، لَوْ رَضِيتُ بِهَا ، قِسْماً) ^(٢)

فتدبّر الشطر الأخير فَضَّلَ تدبّر ، تجد المعنى الذي أردناه من أن أمه ماتت وهو صغير ، فكان مما (قُسِمَ) لجدته أن تحضنه ، فرضيت بذلك رضى خالصاً ، وأحبته حباً عظيماً ، يقول في الدلالة عليه :

لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةٌ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصَمَا

وفي تسميته جدته (أُمًّا) بعضُ الغنى في الحجة المَرَّجحة لقولنا هذا .

شهد التنوخي ، أو أبو الحسن العلوي الزّيدى ، أو من تشاء ، لجدّة المتنبّي أنها كانت من « صلحاء النساء الكوفيات » ، ولعلّ هذا أمرٌ لا ريب فيه ، وإن / لم يكن قد وقع لنا الخبر بذلك ، فإنها هي التي تولّت تنشئة المتنبّي من صغره ، حتى كبر ، وقد شهد له أكثر أهل عصره حتى أعداؤه : أنه كان كما قال علي بن حمزة البصريّ (راوية المتنبّي : كما سماه أهل المغرب) : ^(٣)

(١) كان هذا الذي قلته ظناً ظننته ، ثم جاء النص على ذلك فيما حدثنا به ابن العديم ، عن الربيعي ، أن المتنبّي أَرْضَعَتْهُ امرأة علوية من آل عبيد الله ، فدل هذا على أن أمه ماتت قبل أن يتم رضاعه ، أو لعلها ولدته ثم ماتت في ولادها ، ولم ترضعه قط .

(٢) القسم بالكسر النصيب ، وقد مضى الشراح من أصحابنا ولم ينظروا في قوله (لو رَضِيتُ) . فاعلم أن (لو) في هذا البيت إنما تفيد الأسف والحسرة ، وهما وجه من وجوه التمني ، وللييت موضع آخر من كتابنا هذا نتولى فيه شرحه ، فقد أفسده الشراح . [انظر هذا ص : ١٧٣ ، ١٧٤] .

(٣) كان من أئمة العربية ، مات في رمضان سنة ٣٧٥ بصقلية ، ولما دخل المتنبّي بغداد كان بها على بن حمزة ، فنزل المتنبّي في داره ، وقرأ عليه شعره ، وقد تركنا بحقيقة قوله في المتنبّي لموضع من الكلام إن شاء الله .

« بلوث من أبى الطيب ثلاثَ خِلالٍ محمودَةٍ ، وتلك أنه ما كَذَبَ ولا زنى ولا لاط » ، وقال ابنُ فُورَجَه : « لم يكن فيه ما يشينه ويسقطه إلا بخله وشره على المال » .
وقد كان أثر جدته يَبِيناً فى أوَّل شعره كما سترى ، وقد ذكر المتنبي خُلُقَه فى أبيات له ، منها قوله :

وترى المُرُوءَةَ والفُتُوَّةَ والأَبُو ةَ فى كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَّائِهَا
هُنَّ الثَّلاثُ المَانِعَاتِى لَدُنِّى فى خَلُوقِى ، لَأَ الخَوْفُ من تَبِعَاتِهَا

فلا شك أن أكثر ذلك من أثر جدته ، وزكاءِ نفسها ، وصلاحِ قلبها . وقد وصفها المتنبي فجمع ما شاء ودلَّ عليها ، وأبلغ ، صادقاً فيما قال :

فَوَا أَسْفَا أَلَّا أَكِبَّ مُقْبِلًا لرَأْسِكَ والصَّدْرِ اللَّذِى مُلِقًا حَزَمَا
وَأَلَا أَلَاقِى رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِى كَأَنَّ ذِكْرَى الْمِسْكِ كانَ له جِسْمَا

ويبدو لنا أن هذه العجوز الحازمة التى يَبْنَتْ للمتنبي أمره ، ومهدت له طريقه ، كانت مع حزمها وهذيتها ، وبصيرتها ، رقيقة القلب تكاد تنخلع من نفسها إذا أعطت عواطفها قيادها . ومع ذلك ، فقد كانت تُحْزِمُ أمرها ، وتقسو / على نفسها ، حتى يُخَيَّلَ لمن لم يَحْبُرْهَا أنها لا تعطى المَقَادَةَ لشيءٍ إلا للعقل والتدبير المُحْكَم . وفى الذى رَوَّاهُ من خبر وفاتها ، دليلٌ يَبِينٌ على ذلك ، فإنها كتبت تشكو إلى ولدها وحَفِيدِهَا شَوْقَهَا وَلَوْعَتَهَا وطولَ غيبته عنها ، فلما توجَّهَ إلى العراق (من الشام) « ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك !! » ، انحدر إلى بغداد ، وكتب إليها كتاباً يسألها موافاته ببغداد ، فلما أخذت كتابه « قَبْلته وحُمَّتْ لوقتها ، وغلبها الفرح فقتلها » ، رحمة الله عليها . وقد ورث المتنبي عنها هذا ، فقد كان مع ما يبدو من شِدَّتِهِ وصَوْلَتِهِ ورجولته ، مُتَهَالِكاً لا يستمسك فيما يمس عاطفته ويلمُّ بقلبه . وفى رثاء جدته بلاغٌ لك ، إن تدبرته . وسترى ذلك أيضاً فى آخر ما نكتبه عن أمره مع سيف الدولة ، وعن أمره مع النساء ، أو مع المرأة التى أحَبَّها فهلكَتْ ، ثم أهْلَكُهُ على إثرها جَوَى داخلٍ وأَسَى ذَفِين .

- ٣ -

لَا يَقْوَمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرُّوَانِي
وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُلُودِي ..
وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلَّ مَنْ نَطَقَ الضُّا
دَ وَعَوَّذُ الْجَانِي ، وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

...

وَلَأَيَّ لِمَنْ قَوْمَ كَانَ نُفُوسُهُمْ
بِهَا أَنْفُ أَنْ تُسَكِّنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا

/ ندعُ الآن أمرَ جدته إلى جِينه ، إن شاء الله ، في كتابنا عن المتنبي ، ونبدأ برأى ٤١
لم نجد له ما يؤيده من نصوص التاريخ ، ولكن ...

رَوَى الأصفهاني أن المتنبي ، وهو ابن السقاء !! ، « اختلف إلى كتاب فيه أولاد
أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس (العلوية) شعراً ولغةً وإعراباً ، فنشأ في خير
حاضرة » . (١)

وتأويل هذا ، أن العلويين ، وهم « الأشراف » ، كما يتضح من هذا النص ، كانت
لهم مكاتب خاصة يتلقى فيها أولادهم مبادئ العلوم . ولا شك أن العلويين كانت ،
ولا تزال ، لهم مدارس خاصة بهم ، تقوم أصولها في التعليم / على أصل اعتقادهم . وقد مرَّ ٤٢
في قراءتي كثير من ذلك لا أذكر موضعه الآن ، وإنما أذكر أن الشريف الرضي كانت
له مدرسة سماها (دار العلم) . ونحن وإن لم نك نعلم نظام هذه المدارس العلوية ، إلا أنه

(١) الواضح في مشكل المتنبي : ٦ / والخزانة ١ : ٣٨٢ ، ويحيل إلى أن صواب هذه العبارة : « وكان يتعلم

دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً » .

يتبادر إلى الفهم أن هذه الكتابات والمدارس كان لا يدخلها إلا أبناء العلويين . ونصُّ الأصفهاني يقول بذلك . فدخل « أحمد بن عِيْدَان السَّقَاء » ، الذى هو المنتبى ، بين أبناء العلويين فى كتاب لهم ، غريب عجيب ! فيجب هنا أن نفهم من هذا الشاهد أن بين جدة المنتبى وبين العلويين سبباً موصولاً قوياً ، هو الذى شرح صدورهم وأرضاهم أن يُدْخِلُوا بين أبنائهم غلاماً كان أبوه سَقَاءً فى بلدهم .^(١)

هذه واحدة من علاقة أى الطيب وجدته بالعلويين . ثم إن أبا الطيب فارق جدته ورَحَلَ لغير سبب معلوم إلى البادية ، ثم عاد إلى الكوفة شاعراً قولاً ذا لسان ، فلم يمدح إلا « محمد بن عبيد الله المشطَب العلوى » ،^(٢) الذى قدمنا ذكره وذكر السبب فى مدحه ،^(٣) ولم يمدح أحداً من العلويين قاطبة على كثرتهم ، وثرائهم وعلو مرتبتهم ، وخلوص عريبتهم ،^(٤) فى عصر اختلطت فيه الأمور ، وصارت الشوكة إلى الأعاجم .

(١) قد برح الخفاء الآن ، فلا عجب . فالمنتبى إلا يكن علوى النسب ، فإنه أخو العلويين من الرضاة ، لأن امرأة علوية من آل عبيد الله ، هى التى أرضعته . انظر ما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ ، ثم ص : ١٦٤ ، تعليق : ١ .

(٢) لا يُعْزَرُك ما يقوله الدكتور طه حسين فى كتابه « مع المنتبى » ١ : ٧٤ ، أن المنتبى قال قصيدته فى « محمد بن عبيد الله العلوى » يزيه وصديقه ، فى بغداد (لا فى الكوفة) ، وأن « محمد بن عبيد الله العلوى » كان رجلاً رسمياً !! فإنه إنما اختطف هذا الكلام من بلاشير فى كتابه « أبو الطيب المنتبى » : ٦٢ ، ٦٣ ، وأشار بلاشير فى هامش كتابه إلى مرجعه « وهو كتاب الوزراء للصائى : ٢١٠ ، وهذه الإشارة تدلُّ وحدها على تدليس المستشرقين وقلة علمهم ، لأن الذى فى كتاب الصائى المذكور ، هو فى ذكر دور ابن الفرات (قتل يوم الاثنين حادى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٣١٢) وأنها كانت وقفاً ، وابتاعها جماعة » وتنقل الملك من واحد إلى آخر ، فمن ذلك الدار التى فى الطرف وتوازى سكة الخوض ، فإنها حصلت لأبى الحسين محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى ، ثم انتقلت إلى ورثته « (الوزراء : ٢١٠) . والكلام فى دار تنقل الملك فيها من واحد إلى آخر بعد سنة ٣١٢ ، فهل عند أحد منهما علمٌ بأمر « محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى » ومتى فارق الكوفة ودخل بغداد ، وحصلت له دار أبى الفرات ؟ وظاهر الخبر يدل على طول المدى فى تنقل ملكها من واحد إلى آخر ، حتى انتهت إلى العلوى الكوفى الذى مدحه المنتبى بهذه القصيدة فى سنة ٣١٦ - ٣١٩ على الأكثر ، وكان العلوى الكوفى كان يوم مدحه فنى قد بلغ الحلم ، أمرد ، أو نبتت لحيته ولم تتم ، كما جاء فى قصيدة المنتبى [انظر ما سلف ص : ٥٧ / ثم ص : ١٥١ ، ١٥٢] ثم ما سيأتى ص : ٥١١ - ٥١٣ .

(٣) انظر ص : ١٥١ ، تعليق : ٣ ، ففيه نسبه إلى « آل عبيد الله » .

(٤) والمنتبى كما تعلم ، كان من أكثر أهل عصره تمجيداً للعربية وتعصباً لها .

فلما خرج صاحبنا إلى الشام ، ذكروا فيما ذكروا من (أمر الفضول الذى نُبِرَ به ، يَعتونُ النبوة) : أنه ادّعى العلوية مرتين ، أى ادّعى أنه علوى صليبيّ ، وكان الذى قبض عليه هناك وعذبه وسجنه (ابن على الهاشمي) أو : / العلوى ، لا أدري . وكان إذ ذاك باللاذقية سنة ثَيفٍ وعشرين وثلاثمئة ، واللاذقية يومئذٍ دارٌّ من ديار العلويين ، يرض فيها رؤوس من الدّعاة العلويين .

ولما كان أبو الطيب بطبيرة سنة ٣٣٦ ، وأراد الخروج إلى الرملة ، أُرصد له العلويون قوماً من عبيدهم السودان ليقتلوه ، ولكنه فاتهم بحيلته ودهائه ، ودخل الرملة يمدحُ الأميرَ أبا محمد الحسن بن عبد الله بن طُغج ، فكان مما قال فى قصيدته : [انظر ما سلف ص : ١٥٤ - ١٥٦] .

وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَثَرِيَّةً بِهَا (عَلَوَى) جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ

ثم كان ما روينا لك من امتناعه عن مدح العلوى (أنى القاسم طاهر بن الحسن ابن طاهر) ، ولم يمدحه إلّا بعد إلحاح الأمير وتدتيه فى السؤال منه ، وكان مما قاله أبو الطيب فى هذا المدح ، [انظر ما سلف : ص ١٥٤] :

أَتَأْتِنِى وَعَيْدُ (الْأَدْعِيَاءِ) ، وَأَنْتَهُمْ أَعْدَوْا لِى السُّودَانَ فى كَفَرٍ عَاقِبِ
وَلَوْ صَدَقُوا فى جَدِّهِمْ لَحَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فى وَحْدَى قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

ثم انتزع من ذلك أمثالا فى التّسبئة إلى العلوية المكرمة فقال :

إِذَا لم تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ فَمَاذَا الَّذِى تُغْنِى كِرَامُ الْمَنَاصِبِ ؟
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمِ أَبَاعِدِ وَلَا بُعِدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمِ أَقَارِبِ
إِذَا (عَلَوَى) لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ

فلما دعتُه جدّته إلى العراق أن يزورها ، قصدها ، والنص الذى ورد فى ذلك هو هذا : « فتوجه نحو العراق ولم يُمكنه دُخُولُ الكوفة (على حالته / تلك) ، فانحدر إلى بغداد ، وكانت جدّته (قد يَسَّتْ منه) ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسيرَ إليه » ،

هذا نصٌّ في أصول ديوانه ، فكأنَّه من لفظ أبنى الطيب نفسه . وهو نص غريب كما ترى !! وليت شعري وشِعرك ما الذى أرادَ بقوله : « لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك » ، وهو قد أتاها قاصداً دُخولها ، ورؤية جدته التى تحبه ويحبها ، ويقطع صاحبنا الأرض من أقصى الشام إلى أسفل العراق ودخول الكوفة همُّه ، ثم يمتنع من دخولها لغير سببٍ مذكور أو معقول !! إذن فلا مناصَّ من القول بأنه قد مُنع من دخول الكوفة ، وهذا هو الوجه الآخر لتأويل هذا النص الغريب .

فإن صحَّ أيضاً ما أسنده التنوخى ، (وذلك ما أوردناه في أول كلامنا ص : ١٣٨ ، ١٣٩) ، إلى أبنى الحسن العلوى وابن أمّ شيبان الهاشمى ، وهما كوفيان ، وأن ذلك من كلامهما ، كثرت الأدلة التى تُوجِّه الحدس والظنَّ إلى وجوه بعينه ، وذلك أن بين المتنبي والعلوين سبباً مجهولاً حملهم أوَّل أوَّل إلى إكرامه بدخوله بين أبنائهم فى كتابهم بالكوفة ، ثم حملهم بعدُ على النية المعقودة للفتك به فى الشام ، ثم حملهم على منعه من دخول الكوفة ليرى جدته العجوز التى أرسلت إليه تشكو شوقها وطول غيبته عنها . ويزيدك فى هذا يقيناً وعليه اعتماداً ، رثاء المتنبي لجدته ، ففيه لطائف من الإشارة نكتفى بذكر البين منها هنا ، ثم نعود إليها بعد قليل . يقول المتنبي :

هَبْنِي (أَخَذْتُ الثَّأْرَ فَيْكَ مِنَ الْعَدَى) فَكَيْفَ بِأَخِذِ الثَّأْرِ فَيْكَ مِنَ الْحَمَى

ثم يقول :

لَنْ لَدَّ يَوْمَ (الشَّامَتِينَ) يَوْمِهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِإِنْفِهِمْ رَغْمًا

فقد أثبت أبو الطيب أن لجدته ثَمَّ له أعداء ، كان همُّه كله أو أكثره أن / يأخذ منهم (ثأرها) وثأره ، وأن هؤلاء الأعداء قد شتموا بموتها يوم ماتت . فهذه الجدة الصالحة العجوز قد اتخذت لنفسها أعداء يُرْضُون أنفُسَهُم بالشماتة ، وهؤلاء الأعداء ، ولا بُدَّ كانوا من الكوفة ، والأرجح أنهم كانوا من العلوين ، والهاشميين ، لما رأيت قبل من الصلة أو العداوة القائمة بينهم وبين أبنى الطيب المتنبي .

وأنا لا أرى بأساً من ترجيح الظن بأن المنتبى كان من أبناء العلويين ، فإن هذا يفسر كل غموض في حياة الرجل وشعره ، وفيما روى عن نسبه من الملفقات . وحسبى هنا أن أمر بك مرّاً على مواضع بعينها ، لترى رأيك ، وفقلك الله ، فيما أردنا من القول به ، فإن رأيت حجتنا ساقطة فأسقطها ولا تؤاخذنا بما ظلمنا ، فإن رجّحت ما نقول به
فَأَنْ نَدْعُو النَّاسَ لِأَبَائِهِمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ .

...

ووضع القضية عندنا هو هذا :

تزوّج رجلٌ من العلويين ، ولا جرم أن يكون من كبارهم ، بنت جدة المنتبى ، فحملت منه ووضعت أحمد بن الحسين (وهذا الحسين غير عيّدان ، السقاء) ، (١)
ولأمر ما أريد هذا الرجل العلوي على طلاق امرأته وفراقها ، وحمله العلويون على ذلك ، ففارقها وطلقها ، فرجعت إلى أمّها بجنينها أو طفلها ، وحزنت حزناً أهلكها ، فاستلّها الموت وذهب بها ، وبقي الطفل فكفلته جدّته وتعهدهت وقامت بأمره ، حتى بلغ مبلغ الفتيان ، ودلّته على الطريق بعد / أن صرّحت له بحقيقة أمره ، وصحيح نسبته ، وكان من ٤٦
حزنها أن حدّرت الفتى عواقب التصريح بأمر نسبه ، وأخذت عليه الموائيق والعهود ، بحبها له وحبّه لها ، وأنه إن فعل كان في ذلك هلاكها وهلاكه ، فبقي على ذلك متملماً حتى كان من أمره ما كان من ادّعائه العلوية بالشأم ، فقبض عليه ، فاضطرّ إلى الإخلاق والتسليم ، وحرص على أن يطيع أمر جدّته ، بعد أن علم حزمها وصواب رأيها ، وإخلاصها له المشورة ، ومحضها له النصيحة . (٢)

...

(١) ممكن أن يكون « عيّدان السقاء » هذا جده لأمه .

(٢) سأذكر في آخر هذا الفصل (ص : ١٧٧) قصة تشبه قصة هذه القضية ، وهي زيادة ، لم أذكرها في

وهذا الوضع لقضية المتنبي هو الذى يفسر لك طول تكثم المتنبي على نسبه ، وإخفائه جهده من أصحاب الألسنة المتنقلة بين الرجال ، ويفسر أيضاً مخرج قصة (أبيه السقاء) ، وحرصهم على حبكها ، والتقديم لها بلطيف القول ، وحسن العبارة ، كما رأيت فى أول كلامنا (ارجع إلى نقدنا لكلام التنوخى) - ويأتيك بالدليل البين فى أمر دخوله كتاب أشرف العلويين بالكوفة وتعلمه دروس العلوية - ويبين أيضاً عن السبب الذى من أجله سكت المتنبي عن مدح العلويين وعظمائهم وأصحاب الجاه والسلطان منهم وهو بالكوفة ، ثم تأييه على مدح أبى القاسم العلوى صاحب الأمير ابن طغج حين كان بالرملة ، ثم ما كان قبل من إرصاد العلويين له عبيدهم لقتله بكفر عاقب . وكفاك هذا ، فإننا سنبنى بقية كلامنا عن المتنبي من أول أمره على هذا الأسس أو ما يقرب منه . وبحسبك هنا أن نفسر لك بعض المعانى فى رثاء جدته على هذا الأصل . ونص مقدمة رثاء جدته هو هذا :

٤٧ / « ورد على أبى الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه ، وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ، فانهدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يمست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه وحملت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها » . [انظر ص : ١٦٩ ، ١٧٠ .]

وتأويل هذه العبارة كلها : أنه حين ورد عليه كتاب جدته أزعج الرحيل من الشام إلى الكوفة ليلقى بها جدته ، فبلغ الخبر مشيخة العلويين ، فذهب بعضهم إلى جدته ، وأبانوا لها سوء رأيها ، ونهوها أن يكون لقاء ولدها من همها ، وأخبروها أنهم قد أجمعوا رأيهم على منعه من دخول الكوفة بعد ما كان من أمره وهو بالشام ، من إظهاره العلوية ، ورغبته فى تحقيق نسبته إلى العلويين . فلما فجئهم الخبر بورود صاحبهم « المتنبي » على طرف الكوفة ، خرجوا إليه وأنذروه أن يكون ذلك من إرادته بعد فضوله فى الشام ، وأمروه بالانحدار إلى بغداد ، ورجعوا إلى جدته فأياسوها من لقاءه بتأ . فلما استقرت بالمتنبي بغداد ، وزاد شوقه إلى جدته ، وبكى من خيفته عليها ، حمله ذلك على الكتابة إليها ، بعد أن لم يجد عن ذلك محيصاً فى نفسه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ببغداد ،

ففرحت العَجُوزُ فَرَحَ اليائس من أمرٍ ، ثم أتته البُشرى بالظفر من وجهٍ آخر ، فاشتدَّ ذلك عليها ، واستبدَّت العواطف المعتلجة المتنازعة المتضادة بذلك البُنيان المهْدَم الضعيف ، فأنقضَّ بعضه على بعضٍ ، فماتت رحمةُ الله عليها ، وأثابها بما صبرت .

فلما ماتت المسكينة ثارت نفسُ الرجل ثورة اليأس ، وخاف أن يستعلن للعلوين بالعداوة وهو ببغداد : أن يقتلوه من أجل ذلك ، فأضمر ما في نفسه ، / وأشار إلى هذه المعاني من طَرَفٍ خفيٍّ . ويحسن أن نذكر هنا أن المتنبي خرج آخرَ مرةٍ من الكوفة مُرْغِماً على ذلك الخروج . وهذا أمرٌ طبيعيٌّ إذا صحَّ القول الذي نقول به .

فانظر الآن ماذا يقول الرجل في رثاء جدِّته :

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانًا تُكَلَّ صَاحِبِيهِ قَدَمًا

وقد شرح الشراح هذا البيت ، وأداروا معانيه ، ولكنه بقي في شرحهم لا معنى له ، كقولهم : « وكنت أبكى عليها في حياتها خوفَ فَقْدِها ، وفَرَقْتُ الأيامَ بيني وبينها ، فذاقَ كلانا تُكَلَّ (فَقَدَ) صاحبه قبل الموت » ، فالعطف في الذي قالوا به « وفَرَقْتُ الأيامَ » لا معنى له هنا ولا فائدة منه . وتفسير البيت هذا :

لما أياسوها من لقائي ، وقد منعوني من دخول الكوفة ، علمتُ يقيناً أنَّها ستحمل ثِقَلًا يهْدُها ، فبكيْتُ خِيفَةً عليها من أثر الحزن فيها ، وما يبيكني أن لا ألقاها ، وكيف أبكى لذلك (وقد ذاق كلانا تُكَلَّ صاحبه قديماً) ، بالفراق الذي حُمِلنا عليه ! ولو كنت باكياً لبكيْتُ للفراق الذي كان بيننا بمنزلة الموت ، فعَدْتُني هي قد مِتُّ ، وعدَدْتُها قد ماتت (وهذا تأويل قوله : وذاق كلانا) ، أى ثكلتني وثكلتها .

ثم يقول بعد أبيات :

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا ، ففَاتَتْ وَفَاتَنِي ، وَقَدَّرَضِيْتُ لِي ، لَوْ رَضِيْتُ بِهَا ، قِسْمًا ^(١)

(١) تفسير البيت عند الشراح هو هذا : فارقتها لأطلب لها حظاً من الرزق ففاتتني هي وفاتني هذا الحظ ، =

٤٩ / فَاصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْعَمَامَ لَقْبِرَهَا وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعْيَ وَالْقَنَا الصُّمًّا

ومعنى البيتین عندنا : كانت العجوز رضى الله عنها قد رغبت إلى أن أكنم أمر نسبتي العلوية إلى أن يشاء الله ، ولكنى خالفتها ، وآثرت فراقها لعلى أصيب بعيداً عن الكوفة ما لم أدركه بها ، فخرجت أطلب لها (حظاً) ، أى فضلاً وخيراً في ردّ شرف انتماؤنا إلى العلويين ، ولكن شاء ربك أن تفوتني بها الأحداث فتموت ، ويفوتني أيضاً بعد موتها ذلك الحظ ، لما أعلم من أنها كانت هي السبب في امتناعهم عن الفتك بي إن حاولت أمراً ، فواحسرتاه ! لم خالفتها ، وخرجت أطلب لها هذا الحظ ، وقد رضيت بي قسماً وحظاً ونصيياً ، وجعلت ظفرها بي عذلاً لما فاتها من الحظ الذى كنت أطلبه لها ؟ فيا ليتني رضيت بها كما رضيت بي ، ^(١) وجعلتها عذلاً لما فاتني من هذا الحظ . وعلى هذا الأصل يكون معنى البيت الثانى واضحاً بيناً فهو يقول : كنت أريد القتال والحرب لأشفى بالدم المهرق غليلها ، وأرد عليها حياتها في شرف نسبتنا إلى العلوية ، فالآن وقد ماتت وفاتت ، لا حيلة لي إلا أن أسال الله أن يبرّد قبرها بما يدر عليها من ماء الغمام . ثم قوله :

هَبْنِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيْكَ مِنَ الْعَدَى فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فَيْكَ مِنَ الْحُمَى
لَيْنَ لَذَّ يَوْمِ الشَّامَتَيْنِ يَوْمِهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا ^(٢)

وقد مضى بعض القول في هذين البيتین ، (ص : ١٧٠) ، ولكن بقى أن نقول : إن هؤلاء الأعداء والشامتين كانوا من أشراف الكوفة ، لما رأيت أولاً ، إذ لا يعقل أن يكون

= وقد كانت راضية أن أكون قسماً لها من الدنيا ، لو رضيتها قسماً لي (والقسم النصيب) ، وقد كنت أطلب من الرماح أن تسقيني دم الأعداء ، فلما ماتت تركت الحرب وجداً عليها ، وصرت أطلب من السحاب أن يسقي قبرها - أو كما قالوا !! فانظر هذا التفسير ، واقرأ تفسيرنا .

(١) اعلم أن (لو) في بيت المتنبي معناها التمني والأسف والحسرة .

(٢) الأنف ، والآناف ، بالمد والأنوف جمع « أنف » .

غير ذلك . لا يُعْقَل مثلاً أن يكون أولئك الأعداء والشامتون من طبقة السقائين والنساجين ومن إليهم ! ولو كان ذلك كذلك ، لما / حَفَلَ المتنبى بذكرهم ولا التعريض بهم ، وأن يجعل نفسه رَغماً لأنوفهم ، وهو مَنْ هُوَ في الكبرياء والتسامى والغلو في الترفع والعظمة .

وعلى عادته أتى في القصيدة بإشارة عجيبة ، هي من باب التفات القلب إلى ما يُلج فيه من الرأى المضمَر يقول : ^(١)

فَوَا أَسْفَا أَلَا أُكِبُّ مُقْبِلًا لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ اللَّذِي مُلِكَا حَزْمًا
وَأَلَا أَلَا قِي رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي كَأَنَّ ذِكْرِي الْمِسْلِكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا

ثم استيقظت في قلبه تلك الثورة العجيبة التي أصبحت طابع شعر الرجل كله ، فَانْقَلَبَ من معانى الحنان والرفقة إلى معانى القسوة والعتو ، فقال :

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا
لَيْنَ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمِهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنفِهِمْ رَغْمًا

ذكرته روح جدته بالثأر القديم الذى نسيه في قوله قبل ذلك : « هيينى أخذت الثأر فيك من العدى » فصرخ صرخته هذه ، فكأنى به يقول : أبعذك وتَفُوكِ ، فما يضير نفهم روحاً طيباً ، ونفساً زكية !! ولا تأسى ولا تحزنى ، فإنك قد ولدتنى ، وكفاك شرفاً أن تكونى لى أُمًّا ، فإنى مُرَغَمٌ أنوفهم ، وحاملهم على خُطَّةِ الحَسَنِ حَتَّى يُعْطُوا المَقَادَةَ وهم صاغرون . فعلى هذا فسر قوله :

وَإِنِّي لَيْنٌ قَوْمِ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا ، إِذَا شِفَتْ فَادْهَبِي ، وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهَا قُدَمَا
فَلَا عَبْرَتْ لِي سَاعَةٌ لَا تُعْزِنِي وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا

(١) انظر ما سلف ص : ١٦٣ - ١٦٥ ، ثم ما سأتى : ٢٤١ - ٢٤٣ ، ثم ص : ٢٧٧ ، والتعليق رقم :

١ ، ص : ٢٨٠ - ٢٨٣ ، ثم ص : ٣٧٢ - ٣٧٥ .

وقوله :

مَا بِقَوْمِي شَرُّتُ ، بَلْ شَرُّوا نِي ، وَيَنْفَسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
/ وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلَّ مَنْ نَطَقَ الضَّأ ، وَعَوِذُ الْجَانِي ، وَعَوْتُ الطَّرِيدِ
وفخر من نطق الضاد ، هم أبناء رسول الله ﷺ ، وقوله أيضاً :

وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعَشْمَا^(١)
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَسْتُ (السَّيِّدُ الْبَطْلُ الْقَرَمَا)^(٢)

ثم فسر على هذا الأصل قوله أيضاً ، وقد جعل قوم يستعظمون ما أتى به في رثاء جدته :

يَسْتَعْظِمُونَ أَيْبَانًا نَأَمْتُ بِهَا ، لَا تَحْسُدُنَّ ، عَلَى أَنْ يَنَامَ ، الْأَسَدَا^(٣)
لَوْ أَنَّ تَمَّ قُلُوبًا يَعْقِلُونَ بِهَا أَنْسَاهُمُ الدُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدَا

وتدبر قوله : (لا تحسُدُنَّ) ولو كان غير المتنبي - هذا الموتور صاحبُ الثَّارِ عند هؤلاء القوم - لقال : (لا تعجبين) أو ما يقرب من ذلك .

ونحن لو شئنا أن ننقل لك هُنا ونُفسِّر كل شيء يدلُّ من قريبٍ أو بعيدٍ على ما نذهبُ إليه ، لكلفنا ذلك أن نشرح لك أكثر ديوان المتنبي ، ولكن بقيت أشياء ننبه إليها . لو أنت قرأت ديوان الرجل لوقعت على كثيراتٍ من أمثالها . وذلك كقوله بعد وفاة جدته ومرَّجعه إلى الشام :

سَأَطْلُبُ (حَقِّي) بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمُوا مُرْدُ

(١) يعنى سيفه و « ذبابه » ، حده .

(٢) « القرم » بفتح وسكون ، السيد المعظم المكرم الذى لا يذل لشيء .

(٣) التميم : زئير الأسد .

فقله : (حَقَّى) ، لا يقع هذا الموقع من شعر إلا من أَحَدِ رجلين : رجل دَعِيَ
 ٥٢ طويل الباع واللِّسان فى الدعوى والكذب ، أو رجل صادق / لا يكذبُ على نفسه ولا على
 الناس ، وليس المتنبي بأولهما . إذن فقد كان له حَقُّ يطلبه بالحرب وهو الذى سَمَّاهُ
 « حَظًّا » فى رثاء جدته ، وإنما خَفَّفَ « الحق » فى الرثاء وجعله « حَظًّا » لما أشرنا إليه من
 قبل . ومثل هذا قوله لكافور :

فَأَرَمَ بى حَيْثُ شَيْئَتْ مِثِّى فَإِنِّى أَسَدُ الْقَلْبِ آدِمِى الرُّوْءِ
 وَفَوَّادِى مِنَ (الْمُلُوكِ) ، وإن كا نَ لِسَانِى يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ

فلا عَجَبَ بَعْدُ فى فخر المتنبي وتعاليه وتعاضمه ، فكلُّ مفسرٍ يَبَيِّنُ واضحُ العِلَّةِ
 والمعنى على هذا الأصل ، وكان عَجَبًا عَاجِبًا عند الناس أن تبلغ الحماسة بآتين سقاء ، أن
 يفخر مثل هذا الفخر ، ويتعاضم على الملوك مثل هذا التعاضم ، وذَهَبُوا فى تأويل ذلك
 مذاهبهم . ولعلَّ هذا ، إن شاء الله ، هو المذهبُ الحقُّ .

...

أحبُّ أن أختتم هذا الفصل ، بقصة اخترتُها من بين أشباهها ، وهى قصة أبى
 جعفر المنصور ، وولِدَ كان له من إحدى بنات دهاقين الأهواز ، حيث كان مستترًا قبل
 توليه الخلافة . وقد زدتها على أصل الكتاب ، لأنى آثرتُ أن لا أُغَيِّرَ شيئاً من سياق
 الكتاب ، كما كُتِبَ منذ أربعين سنة . وهذه القصة ، شبيبة بالقصة التى افترضتها آنفاً فى
 مولد « المتنبي » ، وأن أباه كان رجلاً علوياً ، فتزوَّج امرأةً ، ثم حيل بينه وبين إظهار
 نسب ولده إليه ، لسبب من الأسباب التى توجب الكتمان إلى حين . ونقلتها من كتاب
 « الوزراء والكتاب » للجَهْشِيَّارِى ، [توفى سنة ٣٣١ من الهجرة] ، وهى فى كتابه
 ص : ١٢١ - ١٢٣ ، قال الجَهْشِيَّارِى :

« لما كان [أبو جعفر] المنصور ، [وهو ثانى الخلفاء العباسيين] ، مُسْتَرًّا
 ٥٣ بالأهواز [قبل توليه الخلافة] نزل على بعض الدَّهَاقِينَ ، فاستترَّ عنده ، فأكرمه

الدّهقان بِجَمِيع ما يَقْدِرُ عليه ، حَتَّى أَتَخْدَمَهُ أَبْنَتَهُ ، وَكَانَتْ فِي غَايَةِ الْجَمال ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَر : لَسْتُ أَسْتَحِلُّ أَسْتَحْدِمُهَا وَالْحُلُوةَ بِهَا وَهِيَ جَارِيَةٌ حُرَّةٌ ، فزَوِّجْنِيهَا . فزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ، فَعَلِقَتْ مِنْهُ [أَى حَمَلَتْ] . وَأَرَادَ أَبُو جَعْفَر الخُرُوجَ إِلَى البَصْرَةِ ، فودَّعَهُمْ ، وَدَفَعَ إِلَى الجَارِيَةِ قَمِيصَهُ وَخَاتَمَهُ ، وَقَالَ : إِنْ وَلَدْتَ فَاحْتَفِظِي بِوَلَدِكَ ، فَمَتَى سَمِعْتِ أَنَّهُ قَدْ قَامَ فِي النَّاسِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَيَكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ ، فَصِيرِي إِلَيْهِ بِوَلَدِكَ ، وَبِهَذَا الْقَمِيصِ وَالْخَاتَمِ ، فَإِنَّهُ يَعْرِفُ حَقَّكَ ، وَيُحْسِنُ الصَّنْعَ إِلَيْكَ ، وَفَارَقَهُمْ . فَوَلَدَتْ أَبْنًا ، وَنَشَأَ الْغُلَامُ وَتَرَعَّرَعَ ، فَكَانَ يَلْعَبُ مَعَ أَثْرَابِهِ . وَمَلَكَ أَبُو جَعْفَرٍ ، فَغَيَّرَ الْغُلَامَ أَثْرَابَهُ بِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ لَهُ أَبٌ ، فَدَخَلَ إِلَى أُمِّهِ حَزِينًا كَمِييًّا ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ حَالِهِ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا قَالَ أَثْرَابُهُ ، فَقَالَتْ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنْ لَكَ أَبًا فَوْقَ النَّاسِ ! قَالَ لَهَا : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَتْ : الْقَائِمُ بِالْمُلْكِ . قَالَ : فَهَذَا أَنِي وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ! هَلْ مِنْ شَيْءٍ يَعْرِفُنِي بِهِ ؟ فَأَخْرَجَتْ الْقَمِيصَ وَالْخَاتَمَ ، وَشَخَّصَ الْفَتَى فَصَارَ إِلَى الرَّبِيعِ [مَوْلَى أَنَى جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، وَأَحَدَ رِجَالِ دَوْلَتِهِ] ، فَقَالَ لَهُ : نَصِيحَةٌ ! قَالَ : هَاتِيهَا . قَالَ : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَعْلَمَ الْمَنْصُورَ الْخَبَرَ ، فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِي نَصِيحَتَكَ . فَقَالَ : أُخْلِنِي ! فَنَحَى مَنْ عِنْدَهُ ، وَبَقِيَ الرَّبِيعُ ؛ فَقَالَ : هَاتِي . قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ يَتَنَحَّى . فَتَنَحَّاهُ ، وَقَالَ : هَاتِي . قَالَ : أَنَا أَبْنُكَ . قَالَ : مَا عَلَامَةُ ذَلِكَ ؟ فَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ وَالْخَاتَمَ ، فَعَرَفَهُمَا الْمَنْصُورُ ، وَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا ظَاهِرًا ؟ قَالَ : خِفْتُ أَنْ تُجَحِّدَ ، فَتَكُونَ سُبَّةً آخَرَ الدَّهْرِ . فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَبَلَهُ ، وَقَالَ : أَنْتَ الْآنَ ابْنِي حَقًّا . وَدَعَا الْمُؤْرِيَانِيَّ ، [هُوَ أَبُو أَيُّوبِ سَلِيمَانَ بْنِ أَنَى سَلِيمَانَ الْمُؤْرِيَانِيَّ ، أَحَدُ / رِجَالِ الدَّوْلَةِ] ، فَقَالَ : يَكُونُ هَذَا عِنْدَكَ ، وَمَا كُنْتُ تَفْعَلُهُ بِوَلَدِي لَوْ كَانَ لِي عِنْدَكَ فَأَفْعَلُهُ بِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ فِي أَنْ يُسْقِطَ الْإِذْنَ عَنْهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْبُكُورِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَالرُّوْحَ ، إِلَى أَنْ يُظْهِرَ أَمْرَهُ ، فَإِنَّ لَهُ فِيهِ تَدْبِيرًا . فَضَمَّهُ الْمُؤْرِيَانِيَّ إِلَيْهِ ، وَأَخْلَى لَهُ مَنْزِلًا ، وَأَوْسَعَ لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَكَانَ يَغْدُو وَيَرْوِحُ إِلَى الْمَنْصُورِ ، وَنَحَصَ بِهِ جَدًّا ، وَكَانَ الْفَتَى فِي غَايَةِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْكَمَالِ ، وَكَانَ الْمَنْصُورُ يَخْلُو

معه ، فيسأله المورياني عما يجرى بينهما ، فلا يُخبره ، فيقول له : إن أمير المؤمنين لا يكتُمْنى شيئاً ! فيقول له [الفتى] : فما حاجتك إلى ما عندى إذن ! فحسده المورياني ، واستوحش منه ، وثقل عليه مكانه ، فأطعمه سماً فمات ، وصار إلى المنصور ، فأعلمه أنه مات فجأة ، ثم ولى ، فقال المنصور : قَتَلْتَهُ ! قَتَلْنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ بِهِ ! فلم يلبث بعد أن فعل به ما فعل « .

...

- ٤ -

أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرَفْتُ بِهَا
لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى ، مَا عَاش ، وَأَتَّخَبَا
وَأَنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً
وَالسُّمُورَ أَخَا وَالْمَشْرِفَى أَبَا
بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا
حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا
فَالْمَوْتُ أَغْدُرُ لِي ، وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ لِي ،
وَالْبِرُّ أَوْسَعُ ، وَالْدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

٥٥ / ماتت أم (أحمد بن الحسين) ألى الطيب المتنبى وهو وليدٌ بعدُ ، فيما زعمنا ،
فوقع إلى جدِّته واختارتَه وآثرته على حظها من الدنيا ، فكفلته ، وألقت كلَّ ذاتِ قلبها
وكبدها في تعهده ورعايته ، ثم في تربيته وتنشئته ، ثم في النصيحة له ونُطْرُقِ وَغَرِ الدنيا
عند قَدَميه ، ومنحته في ذلك حنان الأمِّ الفاقد على ولدها اليتيم المملُطم بلا أب ولا أم .
وكانت العجوز ، كما وصفوها ، « من صلحاء النساء الكوفيَّات » ، وكما وصفها حبيبها
وولدها ثم حفيدها ، « حازمة ، طيبة الروح ، زكية النفس » ، غَيْرُ أَثْنَى الْعَقْل .

وكانت امرأةً مَوْتُورَةً ، كما ذهبنا إليه فيما مضى بك ، لا تزال تجدُّ في قلبها الأمرَ
الذى يقول لها : « ها أنا ذا فلا يَلْفِتَنَّكَ حنائِكَ عن الجِدِّ في تدبير العزم وإدارة الرأى
على وجوهه ، في طلب الثَّار الذى لك في أعدائك / المُنزِيلِكِ بشر منزلة ما ترضاها
٥٦ نفسٌ كنفسك في الطيب والزكاة » . وأطاعت العجوز أمرها بالانتصاف لنفسها
ولحفيدها ، ولا حيلة لها إلا تنشئة الصغير على غِرَارٍ فَذِي يَكْفُلُ لها إدراك ما تروم ، وكذلك
فعلت . فكان المتنبى في الزمن ، ثُمَّ فِي الشعراءِ خاصةً ، شخصيةً عجيبةً ، إذا أخذتها من

يَعْمِنُ التَّوْتُ بِكَ إِلَى شِمَالٍ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تَطْلُبُهَا مِنْ وَجْهِ ، رَاغَتْ مِنْ وَجْهِهِ ، وَأَسْتَبْهِمُ
أَمْرُهُ عَلَى النَّاسِ بِاسْتَبْهِامِ الْغُرُضِ الَّذِي رَمَى إِلَيْهِ هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ :
« مَلَأَ الدُّنْيَا وَشَغَلَ النَّاسَ »

لا ندرى كيف تَمَّ الرَّأْيُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعُلُوِّينَ أَنَّ « يَخْتَلَفُ - الْفَتَى أَحْمَدُ - إِلَى
كِتَابٍ فِيهِ أَوْلَادُ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ » ، كَمَا نَقَلَ الْأَصْفَهَانِيُّ ^(١) ، وَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ أَنَّ
يُزْبِضُوا الْعَجُوزَ ، وَيَخَفِّقُوا عَنْهَا ثِقْلَ هُمُومِهَا ، وَيَحْمِلُوهَا عَلَى الْمَطَاوِعَةِ لَهُمْ خَشْيَةً أَنْ تَفْجَأَهُمْ
بِمَا لَا يَجِبُونَ مِنْ إِظْهَارِ مَا أَرَادُوا كِتَابَتَهُ وَإِخْفَاءَهُ . دَخَلَ الْفَتَى الْكِتَابَ ، وَقَدْ قَالَ التَّنَوُّحِي
فِي حَدِيثِهِ الَّذِي أَسْنَدَهُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْعُلُوِي ، وَهُوَ يَعْنِي الْمُنْتَبِي : « وَنَشَأَ وَهُوَ مُحِبٌّ
لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَطْلَبَهُ » . وَلَا شَكَّ أَنَّ جَدَّتَهُ الْحَازِمَةَ الصَّالِحَةَ كَانَتْ مِنْ وَرَائِهِمْ تَسْتَحِثُّهُ
عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَتَسْتَفِزُّهُ إِلَى ذَلِكَ ، لِيَتِمَّ لَهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَا تُؤْمَلُ مِنَ الْفَرَحِ بِنَبُوغِهِ
وَتَفُوقِهِ عَلَى لِدَاتِهِ وَأَسْنَانِهِ مِنَ الْعُلُوِّينَ ، وَيَسْتَطِيعُ بَعْدَ أَنْ يَذْكُرَ لَهَا « حِظًّا » وَيَطْلُبُ لِنَفْسِهِ
« حَقًّا » هُضِيمٌ وَمُنْعٌ مِنْ دُونِهِ حَتَّى أُلْقَى فِي أَسْوَأِ مَجْهَلَةٍ وَبِشْرٍ مَنْزِلَةٍ ، فِي خَفَاءٍ مِنْ
النَّسَبِ ، وَقَلَّةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَبُعْدٍ عَنْ مَسَاعِي الْمَجْدِ . وَقَدْ وَجَدَتْ / الْعَجُوزُ أَرْضاً صَالِحَةً
بَطْبِيعَتِهَا لِمَا تُرِيدُ مِنْ أَمْرِهَا ، فَتَأَدَّبَ الْفَتَى بِالْعِلْمِ الَّذِي كَانَ يَتْلَقَاهُ فِي كِتَابِ أَوْلَادِ أَشْرَافِ
الْكُوفَةِ ، وَاجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ ، وَبَرَعَ وَفَاقَ أَصْحَابَهُ ، وَأَخَذَتْهُ جَدَّتُهُ بِأَخْلَاقِ صَالِحَةٍ طَبِيعَةٍ ،
وَحَاسِبَتِهِ وَحَرَصَتْ عَلَى اسْتِطْلَاعِ خَبَرِهِ كُلِّهِ ، وَأَلْقَتْ فِي قَلْبِهِ وَفِكَرِهِ وَخَيَالِهِ طَلَبَ الْمَجْدِ
بِالْعِلْمِ ، ثُمَّ زَيَّنَتْ لَهُ الْقُوَّةَ وَعُلُوَّ النَّفْسِ وَبُعْدَ الْهَمَّةِ وَعِظَمَ الْمَطْلَبِ ، وَأَدَّبَتْهُ بِالْصَّدَقِ
وَالْأَمَانَةِ وَكِتَابِنِ السِّرِّ ، وَعَلَّمَتْهُ مِنْ حِيلَتِهَا وَدَهَائِهَا وَحَذَرِهَا ، سَعَةَ الْحِيلَةِ ، وَخَفَاءَ الدَّهَاءِ ،
وَتَقْدِيمَ الْحَذَرِ . وَبَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ الْفَتَى مِنَ الْفِكْرِ مَا يَسَّرُ لَهَا مَا تُرِيدُ أَنْ تَبُوحَ لَهُ بِهِ ،
طَفِيفَتْ يُدِيرُ لَهُ السِّرَّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ، وَتَأْخُذُ نَفْسَهَا بِالْحَذَرِ وَالتَّكْتِمِ ، وَالْإِحْتِرَاسِ مِنْ
ثَوْرَةِ الْفَتَى إِذَا هِيَ فَجِئَتْهُ بِمَا تُرِيدُ ، حَتَّى بَلَغَتْ مَا أَرَادَتْ .

(١) أَعُوذُ فَأُكْرِرُ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَجَاوَزَ هَذَا الْقَوْلَ ، بِظَهْوَرِ الْخَبَرِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ الْعَدِيمِ عَنِ الرَّبِيعِيِّ : أَنَّ الْمُنْتَبِيَّ

قَدْ أَرْضَعَتْهُ امْرَأَةٌ عُلُوبِيَّةٌ مِنْ آلِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَكَانَ أَخَاهُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، عَلَى الْأَقْل ! انْظُرْ (ص : ١٥٣ ، تَعْلِيق : ١) .

وهذه المعاني كلها دائرة في حياة المتنبي وشعره دَوْران الدَّم في عروقه ، فإذا أنت قرأت ديوانه من أوله إلى آخره ، فلن يفوتك أن تراها جميعاً ، أو ترى بعضها ، ماثلاً غير خفي في كل موضع من شعره .

ويؤيد قولنا هذا : أن الغلام ، وهو صغير بالمكتب ، كانت له وَفْرَةٌ من الشعر تسيل على أذنيه ، وكانت حسنة جميلة فقال له بعض أصحابه من الفتيان (العلويين) : يا أحمد ، « ما أحسن هذه الوفرة » ؟ فكان جوابه أعجب جواب من صبي في مكتب :
لا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَنشُورَةَ الضَّفَرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ
عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةٍ يَعْلُهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبَالِ (١)

٥٨ / فَظَنَ مَا شئت بغلام في مثل سنّه لا يزال في أوّل طلبه للعلم يقول مثل هذا القول . ويحسن أن نطيل القول قليلاً في هذين البيتين ، ففيهما أصول كثيرة من حياة الرجل ونفسيته فيما بعد .

فالأصل الأول : هو هذا الالتفات الشعري الجميل من المعنى المحدود بغرض قائله ، إلى المعنى المترامي بخيال سامعه ، فإن أصحابه كانوا يُعجّبونه من حسن وفّرتِه واسترسالها ولينها ، فتجاوز صاحبنا هذا بخياله من الصورة الحاضرة إلى الصورة التي يريد أن يراها ، شَعْنَاءَ غَبْرَاءَ يَوْمَ يَنْشُرُ مَضْفُورَهَا يوم القتال بين الغبار الثائر والدم المهرق . وهذا إثبات للأصل الشعري القائم في نفسه .

والأصل الثاني : هو الرجولة والفتوة ، وبُعد الهمة ، وعِظَمُ المطلب ، وانصرافه عن سُفساف الأمور إلى معاليها ، لا يعبأ بلذّة لا تُجدي خيراً ، ولا تؤتي ثَمراً ، وإنما يجد لذّته فيما يأتيه بما يريد ، ولو كان فيه شقاؤه وجهده . وقد شرح صاحبنا هذا المعنى النفسي في شعره بعدُ فقال :

(١) « الضفر » ، الخصلة المضمفورة من الشعر كالغديرة . وقوله : « معتقل صعدة » أي حامل رمح إلى

الحرب . « ويعلها » ، يسقيها من الدم مرة بعد مرة . و « الوافي السبال » ، هو الطويل اللحية .

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي ، كَيْفَ لَدَتْهَا فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ
الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمَلِي نَوَائِبَهُ وَصَبِرَ نَفْسِي عَلَى أَحْدَائِهِ الْحُطَمِ

وهذا أصل رُجولته وفتوّته النفسية التي ظهرت واستعلنت في كل شعره حتى صار بها فذاً أَوْحَدَ .

والأصل الثالث : هو الثورة الدائمة ، فأنت تراه من صِغَرِهِ هكذا ، لا يريد إلا القتال والدم .

٥٩ / والأصل الرابع : أن هذين البيتين من صغير كفاثلهما ، يُضْمِرَانِ وراءَهما معنى آخر غير هذه المعاني ، وهو أنه مُنْشَأً على طلب الثأر من عدُوِّ ، فهو لا يزال ينقل الصورة من وضع إلى وضع آخر يُرَضَى ما يدور في نفسه من المعاني المحددة بطفولته ، وما غُذِيَتْ به من الآراء والأخلاق . وإن شئت فتدبّر السرّ العجيب في قوله « يَعْطُهَا » ، أى يسقيها الدم مرّة بعد مرّة ، لا يكتفى بواحدة . وتعجّب من قوة الأصل الشعريّ في هذا الغلام ، ومن طغيان الحقد والثأر على قلبه الصغير .

والأصل الخامس : هو بياؤه الخفيّ عن عدوّه الذي يريد أن يحاربه ، وقد صرّح بذلك في قوله « كُلِّ وافِ السَّبَالِ » ، فانظر من أَرَادَ هذا الصغير بهذه الصيغة ؟ أترأه عَنَى كُلِّ كبير السن ذى حية طويلة ؟ أترى ذلك !! كَلَّا ، فالبيّن البيّن أنه أراد قوماً بأعيانهم كَنَى عنهم بهذه الصيغة ؟ ومن هؤلاء الذين يريدُهم بهذه الصفة ؟ أليس المعقول أن هذا الصغير إنّما يتجه خياله إلى أقرب الناس إليه في بلده ، ثم إلى الذين أَوْحَتْ إليه جَدَّتُهُ بأنّ بينها وبينهم سَخِيمَةً من العداوة ؟ ومن يكون هؤلاء من أهل بلده إلاّ مَشِيخَةُ العلويين الذين أنزلوا الهوان به وبجَدَّتِهِ ، (١) فيما ذهبنا إليه من الرأى فيما مضى .

والأصل السادس : أن هذه الثورة التي تلبّست به وأخذت عليه مذاهبه في حياته ، إنّما هي من أثر جَدَّتِهِ ، إذ باحث له بسرّها ، وألقت إليه بمكنون / صدرها . ٦٠

(١) وهذان البيتان من الأدلة على ما ذهبنا إليه في قضيته مع العلويين في الذي مر بك ، ولم نذكرهما هناك

وذلك لأنَّ الفتى الصغير لا يكاد يُدرك هذه المعاني كلها ويُسيغها حتى تظهر هكذا مُسهَّلة على لسانه ، إلّا أن يكون قد أخذ بها ، وهُيَّء لها ، وأُعطي من نفس غيره قوة تخرجه من طبيعة الطفولة ، إلى عادة الرجولة والفتوة .

ولولا أن صاحبنا أبا الطيب قد « أسقط من شعره الكثير ، وبقي ما تداوله الناس » ، (١) كما حدثنا بذلك أبو القاسم الأصفهاني ، عن أبي الفتح بن جني ، لوجدنا فيما أسقطه كثيراً من أمثال هذا القول الذي يدل على نفسية الصبي التي كبرت معه ، وكانت هي (المتنبّي) الشاعر الفرد الذي لا يكاد يخفى شعره على أقل الناس بصراً بالشعر .

...

وأيات أخرى قالها وهو بالمكتب أيضاً :

إلى أيّ حين أنت في زِيٍّ مُحَرَّمٍ وَحَتَّى مَتَى فِي شِفْوَةٍ ؟ وَإِلَى كَيْمٍ !! (٢)
وإِلَّا تُمُتْ تَحْتَ السِّوْفِ مُكْرَمًا تُمُتْ وَتُقَاسِ الدُّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ
فَتُبْ وَاتَّقَا بِاللَّهِ وَتُبَةً مَاجِدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى التَّحْلِ فِي الْقَمِ

وهي وإن كانت مما قال في صغره ، إلّا أنها أمثل من الأيات الأولى / في الدلالة على المعاني التي ذكرناها ، والأصول الستة التي استنبطناها . فتدبرها على ما قدّمنا لك ، تجد الشاعر الكبير في الشاعر الصغير ، إلّا في موضع واحد قلّ في شعره بعد الكبير ، وذلك هو تقديم الثقة بالله ، على الثقة بسيفه ونفسه ، وهذا الموضع ولا شك من أثر جدّته التي كانت « من صلحاء النساء الكوفيات » . وهو يؤيد رأينا في أن العجوز كانت

(١) هذا القول يغلب على شعر صباه ولا شك ، ولا شك أيضاً أن بعض شعره في فتوته وكهولته قد سقط ، أو أسقط ، ولكنه قليل جداً لا يكاد ينفع شيئاً .

(٢) « زى محرم » كناية عن فقره ، لقلة ثيابه التي تستره . والمحرم من الحاج لا يلبس إلا إزارين غير مخيطين .

تَمَنُّهُ نَفْسَهَا ، وَتَمَحَّضَهُ نُصْحَهَا ، وَتَرْبِيَهُ عَلَى مَا أَرَادَتْ ، لَمْ تَكْتَفِ أَنْ تُرَكِّنَ فِي تَأْدِيهِهِ وَتَثْقِيفِهِ إِلَى الْمَكْتَبِ ، أَوْ إِلَى الزَّمَنِ وَأَحْدَاثِهِ ، وَهُوَ الْمَعْلَمُ الْأَكْبَرُ وَالْأُسْتَاذُ الْبَارِعُ .

هذا وما نشكُّ في أن الفتى كان وهو بالمكتب أكثر أصحابه تحصيلاً للعلم وإقبالاً عليه ، وانصرافاً إليه ، وذلك لما ذكروا من قُوَّةِ ذَاكِرَتِهِ الَّتِي كَادَتْ تَكُونُ إِحْدَى الْخَوَارِقِ = ثُمَّ لَمَّا أَخَذَتْهُ بِهِ جَدَّتُهُ مِنَ الْأَدَبِ وَالرَّأْيِ ، وَمَا زَيَّنَتْ لَهُ مِنْ طَلَبِ الْمَجْدِ ، ثُمَّ مَا تَهَيَّأَ فِي نَفْسِ الصَّغِيرِ مِنْ أَصْلِ طَبِيعَتِهِ الَّتِي تَسْرِعُ بِهِ إِلَى السَّمَوِّ ، وَلِهَذَا كَانَ الْفَتَى مُحَسِّدًا بَيْنَ أَتْرَابِهِ ، مَنْظُورًا إِلَيْهِ بَعِينٍ . فَالْحَسَدُ الصَّغِيرَ الَّذِي مُنِيَ بِهِ وَهُوَ فِي الْمَكْتَبِ ، وَمَا يَمْوجُ فِي صَدْرِهِ مِنْ حَقْدٍ وَثُورَةٍ وَيُبْغِضُ لِمَنْ أَرَادَ لَهُ أَنْ يَشْتَأَهُمْ وَيُبْغِضَهُمْ = كُلُّ ذَلِكَ كَانَ هُوَ الْأَصْلَ فِيمَا تَعَجَّبَ مِنْهُ الْمُتَعَجِّبُونَ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ هَذَا الشَّاعِرِ لِلْحَسَدِ وَالْحُسَادِ وَالْوَشَايَةِ وَالْوَشَاةِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُلَمُّ بِهِ . وَقَدْ أَلَمَّ صَاحِبُنَا بِهَذَا الَّذِي أَرْدَنَاهُ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ بِأَنْطَاكِيَةِ فِيمَا بَعْدَ :

أَبْنُو فَيْسَجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا
(وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي) إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا
(مُحَسِّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي) أَلْقَى الْكَمِيَّ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَا

/ فهو من يوم كان في وطنه الكوفة إلى سنة ٣٢١ حين رحل إلى الشام ، كان يلقي العَنَتَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحُسَادِ ، وَمَا تَكَذَّبُوا بِهِ مِنْ أَبَاطِيلِهِمْ ، وَمَا أَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنْ عِيُوبِهِمْ . فَلَمَّا اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ وَبَرَعَ وَفَاقَ الشَّعْرَاءَ ، وَأَكَلَ أَرْزَاقَهُمْ إِلَى رِزْقِهِ ، أَجْلَبَ عَلَيْهِ الْحُسَادُ وَالْوَشَاةُ ، فَدَسُّوا لَهُ وَأَذَاقُوهُ مِنْ بَأْسِهِمْ ، فَبَقِيَ إِلَى آخِرِ عَمَرِهِ يَذْكُرُ ذَلِكَ فِي شِعْرِهِ ، وَيَتَخَيَّلُهُ فِي صَغِيرِ أَمْرِهِ وَكَبِيرِهِ .

...

قلنا : إن الفتى كان أحذق أَسْتَانِهِ وَأَسْرَعَهُمْ إِلَى التَّحْصِيلِ ، وَأَحْفَظَهُمْ لِلْعِلْمِ ، وَظَاهَرُ شِعْرِهِ الَّذِي قَالَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَصَبَاهُ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقْصِرْ دَرْسَهُ عَلَى « دُرُوسِ

العلوية وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً ، بل كان كما كان إلى يوم وفاته ، متتبعا للكتب يقرأها ويحققها ويحفظها ، من كتب الشعر والأدب والدين والفلسفة والكلام وغيرها من علوم عصره ، وسنأتى على طرف من شعره فى سياق الدليل على ذلك . وقد روى بعض الرواة ، هو صاحبنا الأصفهاني ، أنَّ المتنبي « وقع فى صغره إلى واحد يُكنى أبا الفضل بالكوفة ، فهوَّسه وأضله كما ضلَّ » ، هكذا قالوا !

ولا شك أنَّ أبا الطيب قد لقي هذا الرجل وهو بالمكتب لم يرحه بعد ، والقصيدة التي فى ديوانه ، والتي قدَّموا لها بقولهم ^(١) : « وقال وهو بالمكتب يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه » ، هى فى ذكر هذا الرجل الذى ذكره الرواة ، وأولها :

٦٣ / كَفَى ، أَرَانِي ، وَبِكَ ، لَوَمْتُكَ ، أَلَوَّمَا هُمُ أَقَامَ عَلَى فَوَادٍ أَنْجَمَا ^(٢)

ويقول فيها ، وقد ذكر اسم الرجل :

كَصِفَاتٍ أَوْحَدِنَا (أبى الفضل) الذى بَهَرْتُ ، فَأَنْطَقَ وَأَصِفِيهِ وَأَفْحَمَا

ومن قرأ القصيدة كُلَّهَا أَلْقَاهَا كُلَّهَا ، فما فيها بيت واحد من الشعر ، ولفظها وكلامها ومعانيها غثُّ كله ، وما ندرى ما الذى جعل أبا الطيب يحرص على إبقائها فى ديوانه ، وقد أسقط الكثير من شعر صباه ، على ما ذكر تلميذه ابن جنى ؟ ^(٣) وقد أعْجَمَ صاحبنا القصيدة كُلَّهَا ، وأتى فيها بكل ساقطة من ألفاظ الفلسفة وما إليها ، وبالع حين مدح الرجل بما ينقل الكلام من معنى المدح إلى معنى الهجاء ، حتى أخلَّ ذلك بعريتها إخلالاً

(١) الأرجح أنَّ مقدمات القصائد الموجودة فى نسخ ديوان أبى الطيب القديمة ، هى من لفظه هو لا من لفظ شراح الديوان . فلذلك يجب التوثق منها ومن لفظها ، لأنها وثيقة تاريخية وأدبية تحدد مقاصد الرجل فى شعره .

(٢) ترتيب ألفاظ صدر البيت : « كَفَى لَوَمْتُكَ ، وَبِكَ [أى وبلك] أَرَانِي أَلَوَّمَا » .

(٣) انبه إلى قول المتنبي فى مقدمة القصيدة : « وأراد أن يستكشفه عن مذهبه » ، فإن هذه العبارة تنفى ثرثرة وكلاماً غثاً قاله من قاله فى شأن هذه الأبيات .

بيناً لم يقع مثله في ساقط شعره وسفسافه . والظنُّ عندنا أنه لقي أبا الفضل هذا ، وكان يدعى الفلسفة ، ويتبجحُ بذكرها ، ويظنُّ بنفسه العلم بها ، ويُعرضُ نفسه لقراءة دَرسٍ فيها . وكان في ذلك أضحوكة يَعَجِبُ منها وَيَتَفَكَّهُ بها ، وكانت صورته في ذلك كله تستقصي الضحك وتستخرجه ، فقال له أبو الطيب هذه القصيدة تنذرُ به وعبثاً وسخرية . ولا حاجة بنا إلى تفصيل ذلك بذكر الآيات التي تدلُّ على ما أردناه ، فإن قليلاً من التدبُّر ، فيما جمع فيها أبو الطيب من السُّخف والمضحكات والمناقضات والمبالغات ، فيه دليلٌ كافٍ وإف . ويبيِّنُ إذن أن المتنبي ما أثبت هذه القصيدة في ديوانه ، إلاَّ لأنَّهُ كان يذكرُ بها شخصيةً كانت تستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك ، وغاية الاستغراب .

٦٤

/ والعجب للأصفهاني ، صاحب « إيضاح المشكل » ، الذي مرَّ في أول كلامنا ذكره ، أن يزعم أن معنوهاً كأبي الفضل هذا النكرة ، قد هوَّس أبا الطيب وأضله كما ضلَّ ! فمن كان في بديهته المتنبي وذكائه وتوقُّده ، لا يلعب به رجلٌ مغمورٌ غيرُ مذكورٍ كهذا الذي ذكره . وظاهرُ أمرِ الأصفهاني ، أو من قال له ذلك ، أنه وقع إليه خبرُ أبي الطيب وتندُّره بأبي الفضل ، هذا الدعيُّ على الفلسفة ، فقلب الخبر من معنى الهزل إلى معنى الجدِّ ، ونسب إلى المتنبي الأخذ عنه ، والافتداء بسُخْفِهِ وهَذْيَانِهِ . فلو لا جاعوا بشيخٍ مذكورٍ من شيوخ الفلسفة ، وادَّعَوْا ذلك فيما ادَّعَوْا على الرجل !!

ونحن لا ننفي عن أبي الطيب التأثير بالفلسفة وغيرها مما يداخلها أو تداخله على مذهب الأوائل ، وكيف يكون ذلك ؟ والدنيا يومئذٍ موجَّ متلاطمٌ بالجدل والخصام ، والعلماء يومئذٍ كثيرون ، وأصحاب المذاهب الغريبة متوافرون ، وأصحاب الجدَل مغرمون بإقامة الشبهة وردّها بالحجة والبرهان العقلي ، والكتب المخلفة كثيرة لم تذهبْ بعدُ ، وهي كتبٌ نشأ منها بعدُ علم الكلام الذي اختلطت به الفلسفة وصارت أصلاً من أصوله ، والمساجد لذلك العهد كانت عامرة بالصَّحَب الذي لا يُجِدَى ولا ينفع في أصول الدين وعقائده ، فلسنا نشكُّ بعدُ أن هذا الفتى المتوقِّد = الذي قال عنه كثير ممن رأوه إنه كان

واسع العلم والمعرفة = قد اختلط وسمع وبحث ونظر وجادل ، وأخذ بأطراف مما سمع وقرأ وحفظ ، حتى بان ذلك في شعره الأول بياناً لا خفاء فيه ، ثم قل بعد أن استحكمت قوته وغلب عليه الأصل الشعري الذي آستولى على أكثر موهبته وقدرته .

ونسوق إليك هنا طرقاتاً من ذلك فيه غنى إن شاء الله ، يقول :

٦٥ / وضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى (غَيْرَ شَيْءٍ) ظَنَّهُ رَجُلًا

يريد « لا شيء » فأبدل ، وهذه من ألفاظ المتكلمة ، والخيال خيالهم ، وقال :

يَتَرَشَّقْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ (حَلَاوَةُ التَّوْحِيدِ)

وهذا من ألفاظ المتصوفة ، وقال :

كَتَمْتُ حُبْلِكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ ثُمَّ اسْتَوَى فِيهِ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي (جِسْمِ كَتَمَانِي)

والبيت الثاني ، واللفظ الأخير خاصة ، دليل على تأثره بالمعاني الفلسفية

والصوفية ، وهذه هي التي أخرجت له هذا الخيال السخيف ، وقوله :

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأَيْهِ فِي زَمَانِهِ أَقْلُ جُزْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ

فهذه قسمة حسابية !! و « الجزء » و « الجزئ » من ألفاظ المتكلمين

والفلاسفة ، وقلما يأتي أحدهما في الشعر مستحسنًا ، وقوله :

فَصَبِيحٌ مَتَى يَنْطَلِقُ تَجِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ (أَصُولُ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَنْقَرُّ)

وهذا مدحٌ فلسفي ليس بشعر ، وانظر إلى جمعه « البراعة » وهي من الغرائب التي

تلدها الفلسفة ، وقوله :

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءَ دَائِي عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَيَّ (صِفَاتُ جَالِيُوسَا)

بَشَرٌ (تَصَوَّرَ غَايَةً) فِي آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونِ (وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا)

/ فقلوه : (صفات جالينوسا) ، يريد ما يصفه جالينوس للأمراض من الدواء ، وهو دليل على نظره في كتب الطب ، ثم قوله : (تصور غاية) ، من أساليب المتفلسفة . وقوله : « تُفسد التقييسا » يريد « تفسد القياس » ، وهو مما يرد في كتب الكلام . ومن تتبع سائر شعره في صباه ، وجد فيه آثاراً كثيرة تدل على ما قرأ أبو الطيب وما سمع من كتب الفقه والحديث والتفسير والجدل والمنطق والمثل والنحل والتاريخ وسير الأوائل والأنبياء الماضين ، وغير ذلك مما كان من علوم أهل عصره ، وقد أحاط بكثير من ذلك واستوعبه ونظر فيه نظر المتفكر المتدبر ، ولولا ذلك لما ولع بذكره في شعره ، ولما دار على غير إرادة منه فيما نظن .

وقد كان في هذا القسم من شعره يلجأ إلى الأساليب الفلسفية في استخراج المعاني وتوليدها ، وكان يكثر من التقسيم الفلسفي ، والتوجيه المنطقي وغيره من ألوان كلام المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة والمتزندقة أيضاً ، حتى فسدت معاني شعره ، فلذلك كان أكثر ما نجد من ساقطه ومردوله = مما عابه عليه النقاد ، وخاصمه به المتعصبون عليه = هو من هذا القسم الذي قاله في صباه إلى أطراف سنة ٣٢٨ على وجه التقريب لا التحقيق . (١)

...

وهذا العهد من حياة المتنبي لم ترد عنه رواية مؤتقة مستفيضة ، وإنما عملنا فيه الاستنباط من قليل شعره الذي قيل في صباه ، واستخراج الأصول النفسية منه ، ثم مسيرها بعد وتدرجها معه حتى بلغت مبلغها في كبير شعره الذي « ملأ الدنيا وشغل الناس » .

(١) تتبع هذا اللون من الألفاظ والأساليب في شعر أبي الطيب ، محدداً بالوقت الذي قيل فيه ، وحصره في زمانه ، وقصره على زمن القول ، مع الانتباه إلى معرفة شيء صحيح عن الرجل الذي حوَّط بهذا الشعر = كل ذلك واجب الناقد والأديب والكاتب ، قبل أن يقول شيئا في شعر أبي الطيب ، فإن لم يفعل ، وكتب بلا حذر ، فالذي فعل هو الغرث لا غير .

٦٧ / عندنا أن المتنبي بقي في المكتب إلى سنة ٣١٧ تقريباً ، وكانت سنه أربعة عشر ، ولكنه كان بتوقده وذكائه في درجة من أناف على العشرين ، وقد ذكر التنوخي أنه قال الشعر صبيّاً ، وذكر غيره أنه كان آية في الذكاء والفطنة ، وقال غيرهما إنه من ذهابة عصره ، أي كان كذلك فيما بعد . وكان مما ورثه عن جدته ، هذا الإحساس المُرَهَف الدقيق الذي يهتز في قوته وكبريائه ، لا في ضعفه وذله . واجتماع الذكاء والحس المُرَهَف هما آلة كل شاعر ، وقد ظفر المتنبي من كليهما بنصيب الأسد المصور ، ولذلك كان شعوره أروع شعر في العربية وكثير غيرها ، وكان مُحَبِّباً إلى أهل عصره متداولاً سائراً بينهم ، لأنه كان يأخذ بنفسه المُرَهفة من شعور الناس وآلامهم وأحداثهم ، ويبنى بما يأخذ يَبُوت شعره ، وروائع بلاغاته .

وَهَبَ الله هذا الذكي المُرَهف الحسَّ جَدَّةً حازمةً كانت ، فيما ذهبنا إليه ، تُوقِد في قلبه نيران الثورة ، وتُورِّثها بالحق على قوم بأعيانهم ، وتدرِّبه على كرائم الخلق كالصدق والأمانة والوفاء وحبِّ المجد ، والتطلع إلى العلياء ، والجرأة المُستَنَفِرة التي لا تَهَيِّبُ ، يَحُدُّ منها الحذر الذي لا يَتَهاوَنُ ، والدَّهَاءُ الذي لا يَتَوَرَّطُ في موارد التَّلَف . وشرع الفتى يطلب العلم ويستزيد منه ، ويشتد في الطلب مُصَمِّمًا معترماً أمراً في نفسه أن يبلِّغه أو يَهْلِكَ دونه . ثم انفتحت لعينه الدنيا برذائلها وفضائلها وحكمتها وثرهاها ، وجدَّها وهزها ، فاضطربت نفسه وطفقت تتلمَّس الأشياء هنا وثم ، لتستقر على ما ترضى به وتأنس إليه .

٦٨ وكانت الكوفة ، التي نشأ بها وشب وترعرع وتفتى ، لذلك العهد ، / بلدًا من بلاد الإسلام ، قد رَمَتْها القرامطة بجيوشها مرَّاتٍ وفعلت بأهلها الأفاعيل ، وكانت الدولة العربية في شغلٍ عن الكوفة بانقسامها شيعاً يأكل بعضهم بعضاً ، وظهرت شوكة الأعاجم ، وكانوا أصحاب حيلة ودهاء ، فأوقعوا بين المسلمين وبين عرب البادية ، حتى صارت الدولة العربية المترامية الأطراف في ثورة دائمة لا تفتت ، ولا تنقطع الحروب في ناحية إلا اتَّقدت نيرانها في أخرى . وانقسمت دويلات ، ولم يبق للخليفة إلا الاسم الكريم يحملُه مُرَعَمًا ويضعُه مُرَعَمًا لا إرادة له . ولا شك أن إحساس أي الطيب قد ألم

بذلك كله وفصله ونقده ، وعرف الداء الذى كمن فى بدن العريّة واستلّ قوتها وقتل روحها ، فأزاد إلى ثورته ثورةً وإلى حقه حقدًا .

وكانت أخلاق الأمة قد اتضعت وفشلت بما تداخلها من أخلاط الأمم الذين لا أصل لهم يرجعون إليه ، ولا تُخلَق عندهم يستدثمون به ، وفسدت العامة من أهل المذّن فساداً كبيراً ، وأضطربت فى أيدي الناس جبال الأخلاق ، وصاروا لا يقيسون الناس إلّا بمقياس الظاهر ، ولا يزنونهم إلّا بميزان المال . فبطلت موازين الرجال التى يوزنون بها من العقل والحكمة والعلم والرّجولة وكرم العنصر . (١) فكان نظر الفتى إلى هذا ، مما ألقى الحطب على النار التى فى صدره ، فبعضت إليه سفّاف الأخلاق وتعلّق بمعالها ، وزين فى قلبه أن يكون هو الثائر الذى يردّ هؤلاء الأهمال والهملج إلى مردّ ، ويأوى بهم إلى مأوى ، ويقوم عليهم قيام الراعى حتى يخلصوا من الشرّ ، ويستمسكوا بالعروة الوثقى ، ويفيئوا إلى الخلق الكريم الذى لا يبغض الناس حقّهم ، ولا يظلمهم ، ولا يُدنيهم ، بل يعدل بينهم بالقسط ويرفعهم عن الدنيّة ، ويجعلهم قوة مستحكمة تردّ عدوان العادى وبغى الباغى ، ليصلوا بذلك إلى المجد والسلطان .

/ اصطدم هذا الخيال الذى أراد أن يحقّقه بحقيقة ما هو فيه من الفقر والخفاء ، والبعد عن مساعى المجد ، وامتناع نفسه عن إعطاء الطاعة للأخلاق التى كان يصلّ بها أهل ذلك العصر إلى ما يريدون من المكر السيئ والدسيس وما إليهما من حيل الخبيثين . وقد روى الرواة أن أبا الطيب قال :

« أذكر وقد وردت فى صباى من الكوفة إلى بغداد ، (٢) فأخذت بجانب مندبلى

(١) لا تحمل ، أيها القارئ ، كلامى هذا على التعميم المطلق ، فإن ذلك لا يصحّ البتة ، ولكن أهل زماننا من الكتاب والقراء حين يسمعون مثل هذا ، مما قيل قديماً أو حديثاً ، يحملونه على التعميم المطلق ، ويلدّ لهم أن يصفوا أسلافهم بكل قبيحة من القبائح ، بغياً وعدواناً على الحق وعلى التاريخ .

(٢) انظر دخول المتنبي بغداد فيما سلف [ص : ٦٥] ، وما سأتى ، انظر فهرست .

خمسة دراهم ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دُكان يبيع الفاكهة ، فاستحسنها ، ونوَّيتُ أن أشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت إليه وقلت :

- بكم تباع هذه الخمسة بطاطيخ ؟

فقال بغير اكتراث : أذهب فليس هذا من أكلك ، ..

فتماسكت معه وقلت :

يا هذا ، دع ما يَغِيظُ ، واقصِدِ الثمن .

فقال : ثمنها عشرة دراهم .

فلشدة ما جَبَّهَنِي به ، ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ... وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان ، ودعا له وقال :

- يا مولاي ! هذا بطيخ باكُور ، بإجازتك أحمله إلى البيت ؟

فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟

٧٠

/ قال : بخمسة دراهم ..

قال : بل بدرهمين ...

فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل .

فقلت له : يا هذا ! ما رأيْتُ أعجب من جهلك ؟ أَسْتَمْتِ عَلَيَّ في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، وكنتُ قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولاً !!

فقال : اسكت ، هذا يملك مئة ألف دينار !

قال المتنبي : فعلمت أن الناس لا يُكْرِمُونَ أحداً إِكْرَامَهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَمْلِكُ

مئة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار .

فبهذا وأمثاله من أعمال الحياة لذلك العهد اصطدم قلبُ الفتى ، فاستقرَّ على أن يجد لما يريده مخرجاً ، غير العلم والعقل والنصيحة والأخذ باللين والملاطفة ، وازداد بذلك للناس احتقاراً ، ولأعمالهم بُغضاً ، وَحَقَّرَ العظماء الذين لا يَعْظُمُونَ في أعين الناس إلاً بالمال ، وجعل يديرُ الرأي حتى خَلَصَ إلى العزم : أن يطلبَ المال ، لا ليجمعه ويفرِّحَ به ، ولكن لينال به ما يريدُ مما ينطوى عليه قلبه من حقدٍ على قوم ، وما يدور فيه من معاني الإصلاح ، وما ينبغي من إيقاظ الهمة العربية للاستيلاء على السلطان المضيع ، والمجد المفقود .

...

/ ومع هذا ... ، كان الذكاء ، والثورة ، والنُّظَرُ ، والتجربةُ والاختلاطُ بالناس واختبار أخلاقهم ، وتعجُّبه من فساد أقيستهم وبطلانِ مذاهبيهم ، ثم اعتماده في نفسه على الثقة بها ، واعتداده بمقدرته ، واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم أو السلطان أو القضاء إلاً بالسُّوء والقبيح ، ثم طبيعته الشاعرةُ المرفهة التي (تلتقط صُور) الأشياء ثم تنتزع منها الأنخيلة الشعرية ، والحكم البليغة ... كل ذلك أسرعَ بالفتى إلى ضرب من القول الساخر الذي لم ترَ العربية مثله في شعر شاعرٍ ، إلا أن سخريته التي انفرد بها لم تكن بَعْدُ في كبره إلاً ضرباً من الحكمة والعبرة التي لا يفطن إليها إلاً أفاذُ العقول ، ثم يَدُلُّون عليها بالإيجاز العجيب ، فلا يبالغون في تصويرها ، بل يضعون لها اللَّفْظَ الذي يُخْرِجُهَا مُخَرَّجَ الحكمة ، ويريدُها روعةً في السَّخَرِ ، وستعرضُ لتفصيل ذلك بَعْدُ . وقد حفظ لنا المتنبي ضرباً من سخريته في صفه تدلُّ على ما استحکم في شعره بَعْدُ ، وصار في شاعريته طبيعةً متأصلةً مستحكمة .

مرَّ المتنبي برجلين قد قَتَلَا جُرَدًا ، وأبرزاه يعجبان الناس من كِبَرِهِ ، فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَغِيرُ أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيحَ الْعَطَبِ
رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامَرِيُّ ، وَتَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ
كَيْلَا الرَّجُلَيْنِ أَتَلَّى قَتْلَهُ ، ... فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ ؟ فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنْبِ

قتل الرجلان ، الكنانى والعامرى ، هذا الفأر الكبير ، فأخرجاه ليعجبا الناس من
كبره ، وهذا سُخْفٌ مِنْهُمَا ، إذ شغلا نفسيهما بعبث لا معنى لثله / عند المتنبي الذى
يريد فى نفسه قتل الملوك ، فمن هنا قال : « الْجُرْذُ الْمُسْتَغِيرُ » ، الذى قد أغار عليهما كما
تغير الجيوش . ثم لما فرغ من جعله كذلك ، ذكر أن هذا الفأر قد وقع فى (أسر المنايا)
كما يقع العدو فى الأسر ، حين رماه الكنانى والعامرى بالسهم كما يُرمى العدو ، وبذلك
يسخر من رجلين يجمعان قلوبهما على قتل ، ثم لا يكون المقتول إلا فأراً !! ثم لا يكتفى
صاحبنا بهذا ، بل يقول إنهما أخذوا يصارعانه كما يصارع العربى خصمه مستعينا عليه
بالقوة حتى يَكْبَهُ على وجهه مقتولا ، وذلك قوله : « تَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ » ، ثم يقول
بعد : كَيْلَا كُما تَوَلَّى قَتْلَهُ ، وذلك لِكِبَرِ الْفَأْرِ وشدته ، ولكن مَنْ مِنْكُمَا الذى سَرَقَ حُرَّ
ثيابه وجيّد سلاحه ، كما يسرق السارق فى الحرب من أسلاب القتلى ويخفيها عن أصحابه
من المقاتلة ؟ ثم يعود فيقول : إنكما كنتما تصارعانه بعد أن رميتماه بسهميكما ، وكان
أحداكم من خلفه ، فمن منكما الذى كان من ورائه ليحتال على صرعه ؟ وقد عرفت حيلته
فى صَرَعَ هذا الْفَأْرَ العظيم ، فإنه عَضَّةٌ فى ذنبه ، وهذه الْعَضَّةُ بَيِّنَةٌ ثُمَّ !

وأنت إذا عُدَّتْ فقرأت الأبيات على ما تكلفنا شرحه ، رأيت بلاغة الرَّجُلِ فى
السخرية ودقته فى اختيار اللفظ وإيجاز الصورة التى يريد أن يتفكك لك بها . وهذا الضرب
من الكلام من أكثر ضروب الكلام دَوْرَاناً فى شعر المتنبي ، حتى بلغ من دِقَّتِهِ فى
وضعه ، وتَفَوُّذِهِ فى معرفته وإتقانه ، أنه كان يقول القول فى المدح وهو أبلغُ الهجاء ، كما
فعل بكثير من ممدوحيه ، حاشا سيف الدولة ، وفى أولهم كافورُ الْأَسُودِ الْخَصِيُّ .

وكانت هذه السخرية هي المنفذ لآلام أبى الطيب ، وما يضيق به صدره من الأحقاد والآراء ، ولعله كان في أصل طبيعته قريب الميل إلى المَرَح / والطَّرَب في وقارٍ ، ولولا ما كَلَّف نفسه من المشقة للسيادة والمجد ، لكان من أبرع الناس نكتةً بليغة وأكثرهم نادرةً عالية . يدلُّك على هذا أنَّ أبأ الطيب كان قد نادى في حياته كثيراً من الأمراء ، وكانوا يحبُّونه ، ولا يصلح للمنادمة رجل مترمِّت باردُ الطبع ثقيلُ الظل ، طويلُ الصمتِ جَهْمُ الوجه ، مُقَطَّبٌ . ومما قاله « مُعَاذُ اللّاذِقِ » لأبى الطيب سنة ٣٢١ : « والله إنك لشابٌ خطير ، تصلح للمنادمة ملكٌ كبير » ، ومعنى هذا أنَّ أبأ الطيب كان ظريفاً خفيف الروح ، محبباً إلى النفس ، مع وقارٍ وثُودة . ومن تدبَّر سخريته في شعره كُلِّه ، وجد فيه هذا المعنى ، إلا أنه لم يكن يَهْزِلُ هَزْلَ السخفاء .

...

كان هذا الفتى يمشى في نواحي الكوفة بآلامه وأحقاده وفقره ، ويتنقل في حوانيت الورّاقين يقرأ ما يقع بين يديه من الكتب ، ويختلف إلى مجالس الأئمة يستمع العربية والفقه والجدل ، وينظر متعجباً إلى الحوادث التي تقع بين ظَهْرَائِي قومه ، ويتسَمَّع لما تَرِدُ به الأنباء من أخبار الدولة المترامية الأطراف ، يُضحكه ما يقع من الأحداث العجيبة التي ترفعُ وتَضَعُ ما بين عشية وضحاها ، ويكون فيما يرتفع إلى الذروة أقوامٌ ، من العجب أنَّ يصلوا إلى كسب الرزق ، ثم هم يرتفعون فيما يرتفع بهم إلى إمرة الأمراء ، ومَشِيخَة الكتابة ، وسياسة الدولة ، والقضاء بين الناس . فلا عجب بعدُ أن يكونَ هذا الفتى النائر الذي يشهد آثارَ الأحداث في أمته ، كثيرَ العَجَبِ مِمَّا يرى وما يسمع ، قليلُ الحَفَلِ بهذه الأصنام التي ترفعُها الحوادث وتَضَعُها ، عَظِيمُ العُجْبِ بنفسه وما أوتي من فطنةٍ وذكاءٍ وعلمٍ ولسانٍ قَوَالٍ ، لم ينل بها إلاَّ الفقر والمَسْكَنَة والجِرْمَان :

/ لِمَ اللَّيَالِي الَّتِي أُخِثْتُ عَلَى جِدَّتِي بِرِقَّةِ الْحَالِ ، وَأَعْدَرْنِي وَلَا تُلْمُ أَرَى أَنَا سَأً ، وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ، وَذِكْرُ جُودٍ ، وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ

وقد بقي في الكوفة على ذلك - فيما نرى - إلى أطراف سنة ٣١٧ ثم خرج إلى البادية القريبة ، بادية الجزيرة المفضية إلى نَجْد ، وفيها قبائل من كَلْب ، فالتقى بهم وأخذ ينتقل بينهم ، ليسمع ما بقي من العربية المبرّاة على ألسنة هؤلاء القوم الذين قَلَّتْ بينهم الأعاجم ، ولم يظفر هناك بطائل إلا ما مَرَنَ عليه من مشقّة السّفر ، واكتساب الصديق ، واختبار الخلق . ثم عاد إلى جدّته بالكوفة يشاركها آلامها وشقاءها ، ينال من فضل بعض أصحابه متعافياً ، كمحمد بن عبيد الله العلوي المشطّب الذي مرّ آنفاً ، [١٥٣ ، ١٦٨] . ولعلّ العلويين الذين نكبوا جدّته كانوا يُفضّلون عليها ليتّقوا بذلك شرّ أحداثها لو حَدَّثتها نفسها بشيء . وبقي المتنبّي هناك بالكوفة منقطعاً عن مدح أحد من العلويين أو غيرهم من رجال الكوفة وعظمائها ، وقد جاء في حديث المتنبّي الذي ذكرناه آنفاً أنه انحدر مرّة من الكوفة إلى بغداد ، وما نشك أن مخرجه هذا إلى بغداد كان فيما بين سنة ٣١٩ إلى أوائل سنة ٣٢٠ .^(١) ودخل صاحبنا بغداد يرى العجب العاجب من الأحداث التي كانت تقع بها ، وشغّب الجند على الخلفاء ، وظهور الموالى من العجم والديلم والترك على مواليتهم من الأمراء والخلفاء ، وقضائهم في شؤون الدولة ، وتصريفهم سياسة الأمة على الشهوات المتنازعة والأهواء المتصارعة ، لا يرتدعون ولا يرعّون . فعفّ كذلك عن مدح أحد من هؤلاء الأمراء والخلفاء ، وإنف أن يتكسّب بشعره من هؤلاء المحقرين لديه ، ورضى بالفقر واستمسك به ، وبدأت تندفع الدوافع في صدره المملوء أحقاداً مؤرّثة ، وتراب لم ترّو بعد من الدم ، فعجّ صدره / بالنار المضطربة التي لا تهدأ ،^{٧٥} ثورّتها أفكاره ونظراته التي لا تفتّر ولا تكلّ . ففى سنة ٣٢٠ اعتزم الخروج من الكوفة ، وإن أبت جدّته عليه ذلك ، لما كانت تخشى من تدفّعه إلى موارد التّلف بما يحمل في صدره ، وعقد قلبه على إحداث حدّث لعلّه أن يصيب من ورائه ما يبتغى وما يؤمل ، ويُدرك به في قوم ثاراً ، ويشفى به صدر جدّته وصدره . ولعلّ هذه الأبيات التي نروها لك كانت آخر ما قاله بالكوفة مما وصل إلينا وما لم يصل من شعره ، ولعله عنى بالخطاب فيها جدّته ، قال :

مُحِبِّي قِيَامِي ، مَا لِذَلِكَُمُ النَّصْلِ
أَرَى مِنْ فِرْنَدَى قِطْعَةً مِنْ فِرْنَدِهِ
وَحُضْرَةُ نُوبِ الْعَيْشِ فِي الْحُضْرَةِ الَّتِي
أَمِطَ عَنْكَ تَشْبِيهِ بِمَا وَكَانَهُ
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرْفِي وَذَائِلِي ،
بَرِيئاً مِنَ الْجَرْحَى ، سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ
وَجَوْدَةً ضَرَبَ الْهَامُ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ
أُرْتُكَ أَحْمِرَارَ الْمَوْتِ فِي مَذَرَجِ الثَّمَلِ
(فَمَا أَحَدٌ فَوْقَ وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي)
نُكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الْوَرَى وَأَنْظُرُنْ فِعْلِي

وقوله : « محبي قيامي » ، يعنى ثورته وظهوره وخروجه ، وما نظن أحداً كان يحب ذلك منه غير جدته ، مع خوفها عليه وخشيتها أن يصيبه مكروه ممن يترص من العلويين ، فيما ذهبنا إليه . وفي الأبيات أكثر بين من ثورة الصبا وغروره ، ولكنها تدل دلالة بيّنة على عزيمة هذا الفتى الأيى الذى يريد أن يدرك ثاراً ، ويُحدث أمراً .

ولم يمض إلا قليل بعد ذلك حتى خرج الفتى من الكوفة واتخذ طريقه ، على ما وقع عندنا من الرأى ، من الكوفة إلى بغداد ، ثم خرج لوقته متخذاً / طريقه في ديار ربيعة بين النهرين إلى نصيبين ورأس عين وحران ومنبج ، وطبق يتنقل بين القبائل في جوف البوادي حتى انقضى به المسير إلى الشام في سنة ٣٢١ ، فنزل بدمشق وأعمالها وما يُدانيها ، (أعنى بعلبك ، وطرابلس وحمص) ، ثم كره الأرض التي نزلها ، ثم صعد سنته إلى منبج وحلب واللاذقية وأنطاكية ، ومدح بها من مدح ، ثم اعتقل بحمص ، لما قالوا به من ادعائه العلوية ، ثم النبوة ، ثم العلوية ، ثم استتيب وأشهد عليه بالكذب فيما ادعى ، ثم تاب وأطلق . هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير ميسر بعد لغموضها ونقصها . ولهذا الرحلة عندنا تفسير آخر سنعرضه بعد .

- ٥ -

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِيهِ
وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمِ
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَأْتُ مُصْطَبِرَ
فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لَأْتُ مُفْتَحِمَ
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشُّفَرَتَيْنِ غَدًا
وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
فَإِنْ أَجَابُوا ، فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ ،
وَلَا أَنْ تُولُوا ، فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ

٧٧ / النبوة في حياة المتنبي هي أبرز الحوادث التي عُرف بها الرجل ، ثم نُبِزَ بها بعدُ .
وقد اختلف الناس في أمرها اختلافاً كبيراً ، فعليها هنا أن نذكر لك أول ذى بدء رواية
الرواية في أمر نبوته ، تامة كما رَوَّوها ، ثم نعقبها برأينا الذى ارتضيناه ، وقضينا به . وقد
جاءت الرواية بها عن التنوخي الذى مر ذكره في أول كلامنا عن نسب المتنبي ، وجاءت
أخرى عن أبى عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي الذى قال : إِنَّهُ لَقِيَ الْمُنْتَنَبِيَّ بِاللَّاذِقِيَّةِ ،
وبَايَعَهُ بِالنَّبُوَّةِ ، وَأَخَذَ يَبْعَثُهُ لِأَهْلِهِ أَيْضاً !! كما ستري .

...

١ - رَوَّى التَّنُوخِيُّ (عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ) ، عَنْ أَبِيهِ الْحَسَنِ التَّنُوخِيِّ ، عَنْ
الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أُمِّ شَيْبَانَ الْهَاشِمِيِّ الْكُوفِيِّ ، قَالَ :

٧٨ / « وَقَدْ كَانَ الْمُنْتَنَبِيُّ لَمَّا خَرَجَ إِلَى كَلْبٍ وَأَقَامَ فِيهِمْ ادَّعَى أَنَّهُ عَلَوِيُّ حَسَنِي ، ثُمَّ
ادَّعَى بَعْدَ ذَلِكَ النَّبُوَّةَ ، ثُمَّ عَادَ يَدَّعَى أَنَّهُ عَلَوِيٌّ ، إِلَى أَنْ أَشْهَدَ عَلَيْهِ بِالشَّمِّ بِالْكَذِبِ فِي

الدعويين ، وحُيس دهرًا طويلًا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب ، وأشهد عليه بالتوبة وأُطلق .

٢ - وحَدَّث التنوخي أيضًا ، عن أبيه المحسن قال ، حدثني أبو علي بن أبي حامد قال :

« سمعت خلقًا بحلب يحكون ، وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك ، أنه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ ، أمير حمص من قبل الإخشيدية ، فقاتله وأنفَره ، وشرَّد مَنْ كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحَبَسَه في السجن حبسًا طويلًا ، فأَعْتَلَّ وكاد أن يَتَلَفَّ حتى سُئِلَ في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقةً أُشْهِدَ عليه فيها ببطلان ما ادَّعاه ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائب منه ولا يُعاوِدُ مثله ، وأطلقه » (١)

...

ثم هذا حديث مُعَاذٍ اللَّاذِقِيَّ ننقله على طوله :

٣ - « قَدِمَ أَبُو الطَّيِّبِ اللَّاذِقِيَّةُ فِي سَنَةِ ثِيْفٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِئَةً ، وَهُوَ لَا عِدَارَ لَهُ ، وَلَهُ وَفَرَةٌ إِلَى شَحْمَتَيْ أُذُنَيْهِ ، فَأَكْرَمْتَهُ وَعَظَّمْتَهُ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَحَسَنِ سَمِيَّتِهِ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ الْأَنْسُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَخَلَوْتُ مَعَهُ فِي الْمَنْزِلِ اغْتِنَامًا لِمُشَاهَدَتِهِ ، وَاقْتِبَاسًا مِنْ أَدَبِهِ قُلْتُ :

/ - وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشَابٌّ خَطِيرٌ ، تَصْلُحُ لِمُنَادِمَةِ مَلِكٍ كَبِيرٍ .

٧٩

- فَقَالَ : وَيْحَكَ !! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ أَنَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ !

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَهْزُلُ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ كَلِمَةً هَزَلُ قَطُّ مِنْذُ عَرَفْتَهُ .

(١) لهذا الحديث تنمة فيها ذكر قرآن أبي الطيب وغير ذلك سنعرض له فيما بعد .

- فقلت له : ما تقول ؟
- فقال : أنا نبي مرسل .
- فقلت : إلى من مرسل ؟
- فقال : إلى هذه الأمة الضالة المضلّة .
- قلت : تفعل ماذا ؟
- قال : أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً .
- قلت : بماذا ؟
- قال : بإدراج الأرزاق ، والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصا وأبى .

- فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه ! وعذّلتُه على ذلك .
- فقال : بديهة :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ ، إِنِّي	خَفِيْتُ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مُطَلَبِي ، وَأَتَى	أُحَاظِرُ فِيهِ بِالْمُهْجِجِ الْجِسَامِ
أُمِثْلُ تَأْخُذُ النَّكْبَاتِ مِنْهُ ،	وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ ؟
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصاً	لخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتُهَا اللَّيَالِي	وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي
إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ الْحَيْلِ مِنِّي	فَوَيْلٌ فِي التِّيْقِظِ وَالنَّامِ

- فقلت : ذكرت أنك نبي مرسل إلى هذه الأمة ، أفبوحى إليك ؟

- قال : نعم !

- قلت : فأنت على شيئاً مما أوحى إليك !

- فأتاني بكلام / مَا مَرَّ بِمُسْمَعِي أَحْسَنُ مِنْهُ .

- فقلت : ولم أوحى إليك من هذا ؟
- فقال : مئة عِبرة وأربع عشرة عِبرة .
- قلت : ولم العبرة ؟ فأتاني بمقدار أكبر من الآي في كتاب الله تعالى .
- قلت : في كم مدة أوحى إليك ؟
- قال : جُملةً واحدةً .
- قلت : أَسْمَعُ في هذه العبرات أن لك طاعة في السماء ، فما هي ؟
- قال : أحبس المِدرار ، لقطع أرزاق العصاة والفُجَّار .
- قلت : أتحبس في السماء مطرها ؟
- قال : إى والذى فطرها ! أما هي مُعْجِزة ؟
- قلت : بلى والله .
- قال : فإن حبست المطر عن مكان تنظرُ إليه ، ولا تشك فيه ، هل تؤمن بى ،
وتصدّقنى على ما أُوتيتُ من ربّى ؟
- قلت : إى والله .
- قال : سأفعل ، ولا تسألنى عن شيء بعدها ، حتى آتيك بهذه المعجزة ،
ولا تُظْهِرُ شيئاً من هذا الأمر حتى يَظْهَرُ ، وانتظر ما وُعدته من غير أن تسأله .
- ثم قال لى ، بعد أيام : أُنحِبُّ أن تنظر المعجزة التى جرى ذكرها ؟
- قلت : إى والله .
- فقال لى : إذا أرسلتُ إليك هذا العبد فاركب معه إلّى ولا تتأخر ولا تُخرج
مَعَكَ أحداً .
- قلت : نعم .

« فلما كان بعد أيام تغيّمت السماء في يوم من أيام الشتاء ، وإذا عبّده قد أقبل فقال : يقول لك مولاي : أركب للموعد . فبادرتُ إلى الركوب معه ، وقلت : أين رَكِبَ مولاك ؟

- قال : إلى الصحراء . واشتدَّ وقع المطرِ فقال : بادر بنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاي ، فإنه ينتظرنا بأعلى تَلٍّ لا يصيبه فيه مطرٌ .

- قلت : وكيف عمل ؟

- قال : أقبل إلى السماءِ أوَّل ما بدا السحاب الأسود ، وهو يتكلم بما لا أفهم ، ثم أخذ السوط فدار به في موضع ستنظر إليه

« وإذا هو على تَلٍّ بعيد عن البلد نصف فرسخ ، فأتيت إليه ، فإذا هو على التلِّ لم يصبه من ذلك المطر شيء ، وقد / خُضِنَتْ في الماء إلى رُكْبَةِ الفرس ، والمطر في أشَدَّ ما يكون . ونظرتُ إلى نحو مئتي ذراع في مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة مطر . فسَلَّمْتُ عليه ، فردَّ عليَّ السلام . فقلت : ابسط يدك ، أشهد أنك رسول الله . فبسط يده فبايعته بَيِّعَةَ الإقرار بنبوته ، ثم قال :

أَيَّ مَحَلٍّ أُرْتَقَى أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقَى
وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ هُوَ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ
مُخْتَفَرٌّ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي

« وأخذتُ ببيعته لأهلي ، ثم صَحَّ بعد ذلك أن البيعة عَمَّتْ كُلَّ مدينة بالشام ، وذلك بأصغر حيلةٍ تعلَّمها من بعض العرب ، وهي « صَدْحَةُ المطر » يصرفه بها عن أَيِّ مكانٍ أَحَبَّ ، بعد أن يَخْوِي بعضاً وَيَنْفُث في الصَدْحَةِ التي لهم .

« قال أبو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسُّكُونِ وَخَضِرْمُوتِ وَالسَّكَّاسِكِ من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاضمونهُ ، حتى إنَّ أَحَدَهُمْ يَصْدَحُ عن غنمه وإبله وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطر ، وهو ضَرَبٌ من السَّخَرِ . وسألت المتنبى بعد ذلك : هل دَخَلَتِ السُّكُونُ ؟ قال : نعم ! أَمَا سَمِعْتَ قَوْلِي :

مِلْتُ الْقَطْرَ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا
أُمْنِسِي السَّكُونِ وَحَضْرَمُوتَا وَوَالِدَتِي وَكِندَةَ وَالسَّبِيعَا

« فقلت : مِنْ ثَمَّ آسْتَفَادَ مَا جَوَّزَهُ عَلَى طَعَامِ أَهْلِ الشَّامِ (وَأَنْتَ مِنْهُمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِذَنْ ، فَقَدْ آمَنْتَ بِنَبُوتِهِ) ؟؟ »

/ ثم قال أبو عبد الله هذا : « وما كان يُمَخَّرَقُ به في البادية ، أنه كان مشاءً قويًا على السير ، يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحالّ العرب بها . وكان يسير من حِلَّةٍ إلى حِلَّةٍ بالبادية ، وبينهما مسيرة أربعة أيام ، فيأتي ماءً فيغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم يأتي أهل هذه الحِلَّةِ فيخبرهم ما حدث في تلك الحِلَّةِ التي فارقها ، ويوهم أن الأرض تُطَوَّى له . وسئل في تلك الأيام عن النبي ﷺ : فقال : أَخْبَرَ بِنَبُوتِي حَيْثُ قَالَ : « لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وَأَنَا أَسْمَى فِي السَّمَاءِ « لَا » .

« وَلَمَّا أَشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، وَشَاعَ ذِكْرُهُ ، وَخَرَجَ بَارِضَ (سَلَمِيَّةَ) مِنْ عَمَلِ حِمَصٍ فِي بَنِي عَدِيٍّ (وَظَهَرَ مِنْهُ مَا يَخِيفُ عَاقِبَتَهُ) ، ^(١) قَبَضَ عَلَيْهِ آبَنُ عَلَى الْهَاشِمِيِّ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا (كَوْتُكَيْنِ) ، وَأَمَرَ النَّجَّارَ أَنْ يَجْعَلَ فِي رَجْلَيْهِ وَعَنْقَهُ قُرْمَتَيْنِ مِنْ خَشَبِ الصَّفْصَافِ ، فَقَالَ الْمُتَنَبِّئُ :

رَزَمَ الْمُقِيمُ بِكَوْتُكَيْنِ بَأْتُهُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِنِ عَبْدِ مَنَافٍ
فَأَجَبْتُهُ : مُذْ صِرْتُ مِنْ أَبْنَائِهِمْ صَارَتْ قِيُودُهُمْ مِنَ الصَّفْصَافِ »

...

انتهى حديث مُعَاذِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ اللَّاذِقِي (أَيْ عَبْدِ اللَّهِ الصَّدِّيقِ !!) الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَ بِنُبُوتِ أَبِي الطَّيِّبِ وَآمَنَ بِهِ وَأَخَذَ بَيْعَتَهُ لِأَهْلِهِ !!

...

وما دمنا قد أطلنا بذكر هذا الحديث فلا بأس عليك ، إن شاء الله ، لو نقلنا لك ما رواه أبو العلاء المعري أيضاً قال :

٤ - / « وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه ، أنه لما حصل في بني عديّ وحاول أن يخرج فيهم قالوا ، وقد تبينوا دَعْوَاهُ : هُهْنًا نَاقَةً صَعْبَةً ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى رُكُوبِهَا أَقْرَرْنَا أَنَّكَ مَرْسِلٌ = وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي رائحة في الإبل ، فتحيّل حتى وثب على ظهرها ، فنَفَرَتْ سَاعَةً وَتَنَكَّرَتْ بُرْهَةً ، ثم سكن نَفَارُهَا وَمَشَتْ مَشْيَ الْمُسْمِخَةِ ، وأنه وَرَدَ بِهَا الْحِلَّةَ وهو راكبٌ عليها ، فعجبوا له كُلُّ الْعَجَبِ ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

« وَحَدَّثَ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ فِي دِيَوَانِ اللَّادِقِيَّةِ ، وَأَنَّ بَعْضَ الْكُتَّابِ انْقَلَبَتْ عَلَى يَدِهِ سَيِّكُنَ الْأَقْلَامِ فَجَرَحَتْهُ جَرَحاً مُفْزِعاً ، وَأَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ تَقَلَّ عَلَيْهَا مِنْ رِيْقِهِ وَشَدَّ عَلَيْهَا غَيْرَ مُنْتَظَرٍ لَوَقْتِهِ . وَقَالَ لِلْمَجْرُوحِ : لَا تَحْلُهَا فِي يَوْمِكَ ! وَعَدَّ لَهُ أَيَّاماً وَلِيَالِي ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْكَاتِبَ قَبْلَ مِنْهُ ، فَبَرِيءُ الْجَرْحِ ، فَصَارُوا يَعْتَقِدُونَ فِي أَبِي الطَّيِّبِ أَعْظَمَ اعْتِقَادٍ وَيَقُولُونَ : هُوَ كَمَحْيَى الْأَمْوَاتِ .

« وَحَدَّثَ رَجُلٌ كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ قَدْ اسْتَخْفَى عِنْدَهُ فِي اللَّادِقِيَّةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنَ السَّوَاوِلِ : أَنَّهُ أَرَادَ الْإِنْتِقَالَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ ، فَخَرَجَ بِاللَّيْلِ وَمَعَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَلَقِيَهُمَا كَلْبٌ أَلْعَ عَلَيْهِمَا فِي الثُّبَاحِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ . فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ لِذَلِكَ الرَّجُلِ وَهُوَ عَائِدٌ : إِنَّكَ سَتَجِدُ ذَلِكَ الْكَلْبَ قَدْ مَاتَ . فَلَمَّا عَادَ الرَّجُلُ أَلْفَى الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرَ وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَعَدَّ لَهُ شَيْئاً مِنَ الْمَطَاعِمِ مَسْمُوماً ، وَأَلْقَاهُ ، وَهُوَ يَخْفَى عَنْ صَاحِبِهِ مَا فَعَلَ وَ « الْحَرْقُ » سَمُّ الْكِلَابِ » .

...

٨٤ / هذا حديث نبوته ونبوءاته ومعجزاته عند أكثر الرواة ، أمّا قرآنه فقد أجمعوا أنه لم يبق إلا ما نزوي به لك . قال أبو علي بن أبي حامد ، الذي مرّ آنفاً :

٥ - وكان (يعنى أبا الطيب) قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه ، وكانوا يحكّون له سوراً كثيرة ، نَسَخْتُ منها سورة ضاعت ، وبقي أولها في حفظي ، وهي :

« وَالتَّجْمِ السَّيَّارِ ، وَالْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ الْكَافِرَ لَفِيْ أخطار ، آمُضِ عَلَى سَنَنِكَ ، وَأَقْفُ أثْرَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَامِعٌ زَيْغَ مَنْ أُلْحَدَ فِي دِينِهِ (الدين) وَضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ (السبيل) » .

قال : وهي طويلة ، لم يبق منها في حفظي غير هذا .

...

وأنا لا أحبُّ أن أتجاوز هذه النصوص إلى ما سواها ، إلا وقد نظرت فيها وبصَّرت القارئ بالتوائها وضعفها ووَهْنِها ، ويأتيه ما استنبطناه وقد وُفِّرَ في نفسه ردُّ هذه المقالة التي تُبَيِّنُ بها أبو الطيب ، وبذلك يقوم ردُّنا مقام البينة على ما أردناه ، أصبنا أو أخطأنا .

لن نعوذَ تارة أخرى إلى ما قدّمنا من ذكر التنوخي ، ثم روايته عن أبي الحسن العلوي وابن أم شيبان الهاشمي ، ففي أول كلامنا تجدُّ بعض الأدلة على وَهْنِ رواية التنوخي ، واستسقاطنا إياها ، ولا غنى لك عن العودة إلى تذكره عند هذا الحديث عن نبوة المنتبى . [انظر القول في التنوخي فيما سلف : ١٤٥ - ١٤٩] .

/ بَيَّنَّا لك فيما مرَّ ما بين أبي الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأرٌ قديمٌ هو الذى أراد أن يدركه فيهم ، وينال « حقه » منهم ، ورجح عندنا الاستنباط أن يكون أبو الطيب « علويّاً » منكوباً في نسبه وشرفه وجاهه ، وأنه كان يريد أن يظهر نسبته إلى العلويين ، ولكن عارضته دون ما أراد أهوالٌ وأحداثٌ ، فإذا جَمَعَتْ هذا الرأى هنا ونظرت في النص الذى وقع إلينا من التنوخي عن ابن أم شيبان الهاشمي ، [رقم : ١] ، وهو علويٌّ كبير ، ملكك الشكُّ وغلب عليك فيما رَوَى ، فإنه لم ينس أن يذكر لنا فيما قال - لو صدق التنوخي في روايته عنه - أن أبا الطيب أدَّعى العلوية مرتين .

...

أما حديث معاذ بن إسماعيل اللاذقي [رقم: ٣] ، فنقد سنده لا يتيسر لنا ، لأن صاحبنا هذا اللاذقي مجهول لم ننع له على ذكر ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التي تُسبب إليها كانت لوقت أبي الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومحطاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في التاريخ العربي كله . فلا بأس من أن تجعل هذا ذكراً مذكوراً وأنت تتبصر في أصل الرواية ، على وهنها وتضاربها وتهالك معانيها التي يُفسد بعضها بعضاً ، كما ستري بعد .

...

فالحديث الأول ، وهو حديث ابن أمّ شيبان الهاشمي ، [رقم: ١] ، عجيب لا يفرغ العجب من اختصاره وتداخله . فهو رتب أمر ظهور المنتبى على درجات ثلاث :

الأولى : ادّعاؤه العلوية = والثانية : ادّعاؤه النبوة = والثالثة : ادّعاؤه العلوية مرة

أخرى .

فأما أن يدعى العلوية ، ثم يعود فيدعى النبوة ، فهو قول لا بأس به ، ولكن العجب أنه بعد هذا عقّب على « النبوة » بلفظ التعقيب (ثم) ، فقال « ثم عاد يدعى أنه علوي » . فالذي يدعى النبوة ويُنابح بها ، كما يقول / اللاذقي الصديق !! ، لا يُعقب على هذه الدعوى بالعلوية . فادعاء الرجل النبوة ، ثم انحطاطه منها إلى العلوية ، إكذاب لنفسه ، وإقرار منه بالمخرقة على الناس والعبث بهم ، ولا يكون ادّعى النبوة ثم ينحط منها إلا بعد قتال يُرغم فيه على التسليم ، ولا شك أنه لو كان فِعْلُ بصاحبنا ذلك ، لحبس لوقته قبل أن يتمكن من القيام بالدعوة إلى نفسه مرة أخرى بين بني كلب فيدعى العلوية . ثم لو أنه كان مُطلقاً ، ورجع عن النبوة إلى ادعاء العلوية ، لكان ذلك كافياً في تكذيبه وتحقيره عند من سلّموا له بما ادعى من علويته بدءاً ، وثبوت بعد . فهذا وجه في إبطال هذا النص .

...

أما حديث أبي علي بن أبي حماد ، [ر٢ :] ، ولم نعرف الرجل ، فهو حديث محكم لا يقع فيه هذا الاعتراض الذي قدمناه ، إذ اقتصر صاحبه على ذكره النبوة وحدها ، وما يأتيه التوهين إلا من قبل غرابته عما جرت عليه الأحكام في شأن من يدعون النبوة .

فيقول أبو علي : إن لؤلؤاً أمير حمص : « استتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام » .

أما أن يستتبه ويشهد عليه أنه تائب ، فهذا لا بأس به ، وهو الحكم مع المتنبئين .

وأما أن يكتب وثيقة عليه ببطلان نبوته ، فهذا أمر لا معنى له ، لأن الوثيقة إنما تكتب فيما يخاف من قبله معاودة الدعوى ، فتكون إقراراً مكتوباً مشهوداً عليه بالبطلان من المدعى نفسه ، كدعوى الملكية في العروض ، ودعوى العلوية « مثلاً » في النسب ، فتكون الوثيقة حجة عليه إذا عاد ليحتاج الناس فيما ادعاه ، بعد الإقرار على نفسه بالكذب في الدعوى الأولى . أما النبوة ، فالأمر فيها على غير ذلك ، فإن الرجل إذا ادعى النبوة ثم / استتبه وأشهد على نفسه بالكذب فيما ادعى ، ثم رجع بعد ذلك يدعيها مرة أخرى ، لم يكن ينظر حتى يحتاج الناس فيما يدعى ، ويقول لهم : إنكم لم تأخذوا علي وثيقة مكتوبة مشهوداً علي فيها بالكذب ، وإنما يكون جزاؤه القتل من غير إنظار ولا استتابة .

٨٧

فهذه الوثيقة التي ذكرها أبو علي ، إذا صح أمرها ، إنما تكون قد أخذت عليه في دعوى العلوية لا دعوى النبوة . فأنت ترى أن نص ابن أم شيبان فيه ذكر العلوية مرتين ، وأن ذكر النبوة يكاد يكون مقحماً فيه = وترى أن نص أبي علي بن أبي حماد يرجح دعوى العلوية لا دعوى النبوة ، فإذا قرئت هذا إلى ما تمادينا في ذكره عن نسب المتنبى ، وما أتينا به من الحجة في ترجيح نسبته إلى العلويين ، لم تبعد عن الحكم بأن هذه الروايات إنما يراد بها « دعوى العلوية » لا « دعوى النبوة » .

أما ثالث الأحاديث ، وهو حديث أبى عبد الله الصديق !! معاذ بن إسماعيل اللاذقى ، [رقم : ٢] فعجب كله ، وبطلانه بين للمتدبر أدنى التدبر ، ولولا أن كثيراً ممن كتب عن المنتبى مر به ولم يعرض له لتركناك تحكم بوضعه من سياقه ومدرجه ، دون أن نأخذ أنفسنا بنقده . وأنت إذا تدبرت الحوار الذى زعمه أبو عبد الله هذا بينه وبين أبى الطيب ، لم تشك ساعة فى أن الرجل كان يضع هذا الكلام وضعا ولا يرويه رواية . والعجب له !! قد آتهم نفسه فى مواضع من كلامه بقلّة العقل وعمى البصيرة ، وسرعة التهور فى التسليم .

فهذا المسمى معاذاً كان ولا شك رجلاً مسلماً مُدركاً يملك من العقل مقداراً يكفى ، على الأقل ، فى الإنصات له إذا حدث ، وإلا بطل حديثه هذا / من غير محاولة منا فى إبطاله ... فإن كان كذلك ، أو أقل من ذلك قليلاً ، فما نظنه كان يصبر على الرجل حين ادعى النبوة كل هذا الصبر ، فيتأدى فى الحوار معه ، ثم يصف كلام فتى فى السابعة عشر أنه « ما مرّ بسمعه أحسن منه » . فهذه إما أن تكون كلمة جاهل ، وإما كلمة وضاع يريد أن ينتقص من الرجل ، فهو يهينى لانتقاصه بامتداحه وتعظيمه . ثم كيف يُعقل أن رجلاً مسلماً كان فى عصر المنتبى ، ثم فى مدينة كاللاذقية ، ويدلّ كلامه على بعض العلم ، يُصدّق دعوى حبس المطر ويُعدها معجزة ، فضلاً عن تصديقه النبوة بعد موت محمد ﷺ !

وأعجب من ذلك فى الوضع البين أن يدعى هذا المسمى معاذاً أنه أقرّ بنبوة المنتبى ، ثم بايعه لما رأى معجزة حبس المطر ، وأنه أخذ البيعة لأهله أيضاً على الإيمان به ، فأى رجل مسلم غير جاهل ولا مفتون فى ذلك العصر ، يتهور فى الكفر بغير معجزة ولا بينة ؟

ومن عجيب سهُو هذا اللاذقى فى الوضع أنه قال بعد ذلك ثوياً : « يريد معجزة حبس المطر » ، وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب . فلو أنه كان قد اتقن

وضعه ، لزعم أنه بقى على بيعة المتنبي والإقرار له بالرسالة ، إلى أن رأى ، بعد زمانٍ ، أو سمع وأستيقن ، أن الذى فعله المتنبي وزعمه معجزة له ، أمر مشهور عند بعض العرب يتعاطونه إذا كرتهم المطر ، ثم يصف كما وصف أنه « صدحة المطر ، يصرفونه بها عن أى مكان يحبون ، بعد أن يحووا بعضاً وينفثوا فى الصدحة التى لهم الخ » ، فكفر بنبوة المتنبي لذلك ، وتاب ورجع إلى الإسلام .

ثم من ضعف وضع هذا اللاذقى أنه زعم أنه كان قد رأى كثيراً من أهل السكون وحضرموت يفعلون صدحة المطر ولا يتعاضمونها ، فسأل المتنبي : هل دخلت السكون ؟ قال : نعم ! وما دام / اللاذقى هذا كان قد عرف هذه الصدحة ، فكيف آمن بنبوة صاحبه ، ولا دليل له على نبوته غيرها ، وهى مشهورة فى اليمن معروفة معمول بها ، كما يقول !!

وأعجب من هذا أنه يدعى أن دعوة المتنبي قد عمّت كل مدينة بالشام وبويع له بها .

كيف يكون هذا ؟ والشام إذ ذاك منزل من منازل أئمة الدين والعلم ، وكان أكثر أهلها لا يتخلفون عن صلاة ، ولا يزال بين ظهرانيهم عالم يقرأ فى مجلسه ، أو واعظ يعظ فى خلقة ، أو خطيب يخطب من منبره ، ثم يؤمنون بدعوى رجل لا تؤيده معجزة بيانية ، ولا خارقة كونية . وإن زعمنا أن اللاذقى قد آمن بالمتنبي لصدحة المطر ، أفؤمن له كل مدينة بالشام وتبايعه لهذه الضلالة ، أو هذه الأكذوبة التى لا تعقل ؟ ليكن اللاذقى رجلاً لا عقل له ، أفيكون أهل الشام كلهم هذا الرجل ؟!

ويقول اللاذقى للمتنبي يخوفه مما يقول به من النبوة : « إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه » ، فيجيبه المتنبي بشعر لا ذكر للنبوة فيه ، وإنما هو شعر رجل مقاتل يريد الحرب ، لا مقالة نبي يريد أن يؤمن الناس به . ثم إن الذى قاله فى الشعر يدل على غير ذلك ، فإنه قال :

ذَكَرْتُ جَسِيمَ مُطَّلَبِي ، وَأَتَى أَحَاظِرُ فِيهِ بِالْمُهَجِ الْجِسَامِ

ولست النبوة مطلباً يُطْلَبُ وَيُحَاطَرُ فيه بالنفس والنفيس ، وإنما النبوة أمرٌ من الله لمن أوحى إليه أن يَصْدَعَ بما يؤمر به ، فيكون عمله هدايةً للناس باللين أو بالشدة كما يشاء الله ، فلا يكون ذلك مطلباً للنبي يريد أن يناله ، بل / يكون أمراً يجب أن يطيعه ويعمل ٩٠ به ، وكذلك الآيات التي أنشدتها :

أَيُّ مَحَلٍّ أَرْتَقَى أَيُّ عَظِيمٍ أَتَقَى

فالقول فيها قريب من هذا .

أما البيتان الأخيران ، فهما الدليل على تلفيق الرجل ، فالبيت الأول هذا : « مُلِثَ الْقَطَرِ » ، أول قصيدة للمتنبي ، والبيت الثاني في آخر القصيدة ، ولا رابط بين البيتين حتى ينشد هما المتنبي معاً في الاستدلال على دخول السكون أو حضرموت ، وكان يكفيه البيت الثاني في الاستدلال لما أراد . ثم إن المتنبي ، بغير شك ، لم يدخل اليمن في حياته كلها من يوم وُلِدَ إلى يوم مَاتَ . أما الذي ذكر في الآيات فهو ، كما قدمنا لك ، أسماء خطط لأهل اليمن بالكوفة التي ولد بها أبو الطيب ، [انظر ص : ١٤١] .

وأيضاً ، فإن هذه القصيدة التي منها هذان البيتان ، في مدح على بن إبراهيم التنوخي ، وكان مدحه سنة ٣٢٣ بعد خروجه من السجن ، أو بعد رجوعه عن الكوفة إلى الشام سنة ٣٢٦ ، على ما حققناه . (١) وهذا الذي ذكره اللاذقي في حديثه كان سنة ٣٢١ ، قبل أن يُقْبَضَ عليه . فهذه كلها أدلة بينة على وضع القصيدة وتلفيقها ، وأنها وضعت على الأرجح بعد وفاة المتنبي بزمان .

ومن أكاذيب هذه الرواية أيضاً ، دعواهم أن المتنبي كان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ، ومحالّ العرب بها ، فذلك لا يتيسر إلا لمن وُلِدَ بهذه البلاد / ونشأ بها ، والمتنبي ٩١ دخل البلاد في السنة التي يَروى فيها اللاذقي هذا الحديث ، وحُبِسَ في السّنة نفسها ، فما

(١) الرأي هو هذا الأخير كما سترى بعد في موضعه ، ولا يصح عندنا غيره .

كان له أن يعرف مجاهل البادية ومواقع مياهها ومحال أهلها ، كما زعم ، في قلة من الوقت . فانظر الآن ما تقول في هؤلاء الوضاعين ؟

...

أما معجزات المنتبى التى ذكرها أبو العلاء المعرى ، [رقم : ٤٠] فلا نتكلم فيها لأن بطلانها بين وفسادها مكشوف ، ولقد علمت بهذه الأحاديث التى رويناها لك ، أنهم كانوا يريدون أن يتهموا الرجل بما هو منه براء ، فأولئى أن تكون المعجزات التى رواها أبو العلاء ضرباً من الكيد له ، وتأيداً لاتهمهم الرجل بدعوى النبوة . (١)

...

أما قرآنه ، الذى رواه أبو على بن أبى حامد ، [رقم : ٥٠] فهو كما ترى ليس بقرآن ، وإنما هو « ضرب من الهذيان » ، والعجب أن يبايع له اللاذقى ولا يحفظ من قرآنه شيئاً ثم يصفه فيقول : « ما مرّ بمسمعى أحسن منه » ! [انظر من : ٢٠١] ثم الأعجب أن نعلم بيعته كل مدينة بالشام كما قال ، ولا يبقى من قرآنه إلا هذه الحماقة الصغيرة التى رووها ، يزعم أبو على بن أبى حامد أنها بقيت فى حفظه !!

...

ولا ندرى لماذا أصيب المنتبى بهذا العجب !! ففى مسألة نسبه ، كانت نسبته إلى جُفَيفَى بن سعد العشيرة ، التى كان يخفيها خوفاً ، لا يعرفها إلا التنوخى وابن أم شيبان ، وأبو الحسن العلوى = وقرآنه لا يحفظه إلا أبو على بن أبى حامد واللاذقى ، = على فرض أن اللاذقى حفظ ما حفظه أبو على = ثم لا يحفظان معاً منه إلا قطعة بعينها ، مع أن

(١) انظر تمة القول فى الصفحة التالية ، والتعليق رقم : ١

اللاذقي قد ذكر تعدادها مئة عبدة وأربع عشرة عبدة ، [انظر ص : ٢٠٢] واتفقا معاً على حفظ هذه القطعة ونسيان ما بقي من هذا العدد !!

...

٩٢ / وبعد ، فإنَّ أحداً لا يشك في أن الرجل (أبا الطيب) كان قد سجن لأمرٍ ما ، ولكن حرص هؤلاء الذين رَوَيْنَا أقوالهم على أن يجعلوا حبسه من أجل النبوة ، يجعلنا نرى أنهم جعلوا مسألة « النبوة » غطاءً يسترون به حقيقة ما قام من أجله أبو الطيب فقبض عليه . ^(١) ويبيِّن على مذهبنا في نسب المتنبي أن الرجل حُبِسَ من أجل « دعوى العلوية » التي ذكرها الرجل الطيب ابنُ أم شيبان ، وأقحم عليها « النبوة » ، ليَجْعَلَ دعواه في علويته كذباً ، فإن الذي يدَّعي النبوة لا يتورَّع عن ادِّعاء العلوية . ثم إن هذا الرأي من ابن أم شيبان ، لو صحَّ عنه ، يزيدنا يقيناً بأن الرجل كان يعرف من أمر نسب المتنبي شيئاً ، ويريد أن يخفيه ، وأن لا يُظْهِرَ عليه أحداً من الناس .

ومسألة القبض على المتنبي وحبسه ، لها عندنا سياق تاريخي آخر استنبطناه ، ولكن يحسن بك أن تهَيَّء في نفسك مرة أخرى ما قلنا به من نسبة المتنبي إلى العلويين ، وما أفضنا فيه من القول في عدة مواضع ، ليسهل عليك أن تعيننا على تحقيق ترجمة الرجل . هذا ، ونحن والقارىء في هذا الموضوع سواء ، فمن تبين له وجه أو توجه له رأى ، فليكتب لنا به مشكوراً .

...

(١) فكأنه من المقطوع به أن كل هؤلاء الرواة لخبر نبوة أبي الطيب ، شيعة علويون ، حاشا أبي العلاء المعري ، فإنه نفى عن المتنبي دعوى النبوة ، التي ذكرها ابن القارح الشيعي في رسالته ص : ٢٥ [رسالة الغفران ، بنت الشاطيء ، الطبعة الثانية] . فقال أبو العلاء : « وحُدِّثت أنه كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة ، أي المرتفع من الأرض . وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه (يعني ثورة المتنبي وحبسه) ، ثم قال أبو العلاء : « وقد دلَّت أشياء في ديوانه على أنه كان متألهاً ، ومثل غيره من الناس مُتَذَلِّهاً ، [رسالة الغفران ، طبعة ثانية ص : ٤١٠ ، ٤١١] . فأبو العلاء لم يذكر ما ذكره [انظر رقم : ٤] دلالة على نبوة أبي الطيب » بل دلالة على قلة عقل من روى هذه الأخبار ، مع ظهور بطلانها .

- ٦ -

دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَّانِي الْبَلَاءُ
وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثَقُلَ الْحَدِيدُ
وَقَدْ كَانَ مَشِيهُمَا فِي النَّعَالِ
فَقَدْ صَارَ مَشِيهُمَا فِي الْقِيُودِ
وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَخْفِلٍ
فَهَا أَنَا فِي مَخْفِلٍ مِنْ قُرُودٍ
فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ
وَلَا تُعْبَأَنَّ (بِعَجَلِ الْيَهُودِ)
وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى (أُرْدَتْ)
وَدَعْوَى (فَعَلَتْ) بِشَأْنٍ بَعِيدٍ

١٣ / قلنا إن المتنبي في أواخر سنة ٣٢٠ ، اعتمر الخروج من الكوفة ، وأنه عقد قلبه على إحداث حَدِيثٍ لعله يُصِيب من ورائه ما يبتغي وما يؤمل ، ويدرك به ثأراً في قوم ، ليشفي به صدرَ جدته وصدره ، ثم أنفذ عزمه في الرحلة عن الكوفة إلى بغداد ، ومن ثم اتخذ طريقه مُصْعِداً إلى ديار ربيعة بين النهرين ، إلى الموصل ونصيبين ورأس العين ، وانحدر بعدُ إلى الشام ، فقبض عليه هناك .

١٤ وكان مُرُور المتنبي برأس عين في أوائل سنة ٣٢١ على الأرجح ، وفي تلك السنة حدثَ حادثٌ كان من جرائه أَنْ قُتِلَ أَبُو الْأَغَرِّ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ / (ابن عم سيف الدولة) . وذلك أَنَّ بَنِي ثُعَلْبَةَ اجتمعوا إلى بَنِي أَسَدِ الْقَاصِدِينَ إلى أرض الموصل ومن معهم من طييء ، فصارُوا يداً واحدةً على بَنِي مَالِكٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ ثُقَلَيْبٍ (وهم قوم بني حَمْدَانَ) ، وَقَرَّبَ بعضهم من بعضٍ للحرب . فركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن

حمدان ، (أخو سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان) ، في أهله ورجاله ومعه أبو الأغر بن سعيد بن حمدان للصلح بينهم ، فتكلم أبو الأغر فطعنه رجل من حزب بني ثعلبة فقتله ، فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا ، وقتل منهم ، ومُلكت بيوتهم ، وأخذوا حريمهم وأموالهم ، وتَجَوَّأ على ظهور خيلهم ، وتبعهم ناصر الدولة إلى الحديثة (بقرب الموصل) . فلما وصلوا إليها ، لقيهم يَأْنَسُ غلامٌ مُؤْنِس ، وقد وَلَّى الموصل وهو مُصْعِدٌ إليها ، فانضمَّ إليه بنو ثعلبة وبنو أسد وعادوا إلى ديار ريبة . وانقطع عند هذا التاريخ الذى بين أيدينا في كتب التاريخ ، ولكن بعض رُواة ديوان المتنبي أو شراحه يقولون : ^(١) إن المتنبي مرَّ برأس عين في سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة ، وقد أوقع سيف الدولة بعَمْرُو بن حابس من بنى أسد ، وبنى ضَبَّة وبنى رياح من بنى تميم ، فمدحه بقصيدته التى أوَّلها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاجِعِ الْآرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

وذكر ما كان من أمر سيف الدولة مع هؤلاء الذين ذكرناهم من قبائل العرب النازلين في أرض الموصل وما جاورها . فبيِّن أنَّ لقاء سيف الدولة هؤلاء الخارجين من بنى أسد وبنى ضَبَّة وبنى رياح ، كان على إثر قتلهم ابن عمه (أبا الأغر بن سعيد بن حمدان) = ٩٥ وأن مدح المتنبي سيف الدولة قد أحفظ / عليه بنى أسد وبنى ضَبَّة حتى كان من أمرهم بَعْدَ معه ما كان - على ما نذهب إليه - من أنهم قتلوه بالعراق ، كما سيأتى بعد . ويقول رواة الديوان : ^(٢) إن أبا الطَّيِّب لم ينشد سَيِّفَ الدولة هذه القصيدة ، ولا تَظُنُّ أن ذلك يكون دليلاً على أنه لم يلق سيف الدولة في سنته تلك ، بل الأرجح عندنا أنه لقيه وحَدَّثه ، واتَّصل بينهما الودُّ قليلاً قليلاً ، وفي القصيدة أبيات تدلُّ على أن

(١) ، (٢) أسلفت في ص : ١٨٧ ، والتعليق رقم : ١ ، أن مقدّمات القصائد المشبّهة في مخطوطات ديوانه

العتيقة ، هى لفظ أبى الطيب نفسه .

سيف الدولة (وكان صغيراً في مثل سن المتنبي) أفضّل عليه بعض الإفضال وأكرمه وأحبه . والعجب أن تكون هذه القصيدة ، وهي من أول قصائده في حياته ، (١) تدلّ على حبّ بليغ لسيف الدولة ، يقرب من حبه له بعد ، والذي تدل عليه مدائحه التي استفاضت بعد اتصاله به في سنة ٣٣٧ ، كقوله مثلاً :

وتعذّر الأحرار صبر ظهّرها	إلا إليك على ظهّر حرام (٢)
(أنت الغريبة) في زمان أهلها	ولدت مكارمهم لغير تمام
أكثرت من بذل التوال ، ولم تزل	علماً على الإفضال والإنعام
صغرت كلّ كبيرة ، وكبرت عن	لكائه ، وعددت سين غلام
ورفقت في حلّ الشاء ، وإنما	عدم الثناء نهاية الإعدام
غيب عليك ترى بسيف في الوعى ،	ما يصنع الصنصنم بالصنصنم ؟
إن كان مثلك كان أو هو كائن	فبرئت حينئذ من الإسلام

وهذا غلو عجيب وأنت إذا رجعت إلى مدائح المتنبي إلى أن اتصل / بسيف الدولة في سنة ٣٣٧ ، لم تجد دلالة الحب والتعظيم بادية في مثل هذه المعاني ، وغيرها مما لم نذكره من القصيدة . ولعل المتنبي كان قد رأى من سيف الدولة في ذلك العهد مثلاً من أمثلة المروعة والفتوة التي كان يفتقدها في رجال عصره . وأنت ترى أن المتنبي في صغره ، كما بينا لك أوّل كلامنا ، كان يرى الرجولة والفتوة المثل الأعلى الذي يعلّق به طرفة ، وذلك لما انطوى عليه قلبه من حب المجد وطلب الثار ، ولما في نفسه من الثورة على زمنه وأهله ، وعلى من ظلموه وأرادوا به شراً وذللاً ومهانة .

وعجيب أيضاً أن لا يمدح المتنبي واحداً من الخلفاء وأبنائهم وهم بالعراق ، ولا أحداً من كبار العراقيين من الأمراء ، ثم يعمد إلى مدح بنى حمدان وخدّهم ، ولم تكن

(١) كانت سن المتنبي إذ ذاك ١٨ سنة .

(٢) « ظهّرها » ، يعني ظهر ناقته .

شوكتهم بعدد قد بلغت مبلغ غيرهم من الأمراء ، فذلك دليل على أنه لم يمدحهم للعطاء وحده ، بل مدحهم لأمرٍ آخر لا نكادُ نتبين إلا أطرافاً منه . ولعلّ بنى حمدان كانوا يعرفون من أمر المتنبي شيئاً ، وكانوا يصلون جدته في حال نكبتها ، فلذلك ذكر المتنبي أبوي سيف الدولة في القصيدة ، وطلب لقبريهما السقيا ، وقد كان له مندوحة عن ذكرهما ، وذلك قوله :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ غَيْرَ مُؤَدِّعٍ وَسَقَى ثَرَى أَبُوبِكَ صَوْبَ غَمَامٍ

وفي مدحه لبنى حمدان أو سيف الدولة وإخوته وأبويه على التحقيق ما يرجح ذلك :

قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَايَا فِيكُمْ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامٍ
ثَالِثُ مَا عَلِمَ أَمْرُؤُ لَوْلَاكُمْ كَيْفَ السَّخَاءُ ، وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ

/وعندنا أن هذه القصيدة قد أثبتت في صدر سيف الدولة محبة هذا الفتى العربي الطموح الناصر الذي لا يستقر ، وكأن توافقهما في السن والفتوة قد جمع بين قلوبهما . ^(١) ولولا ما كان في صدر المتنبي من الأمانى التي لا تهدأ ولا تفتّر ، لبقى معه ، ولولا ما كان فيه سيف الدولة من مثل ذلك ، ومن أهبطه إلى حرب بنى أسد وبني ضبة ، لعزم على صاحبه في الرقعة في الحِلّ والترحال ، ولكن أراد الله شيئاً فكان ...

...

وخرج المتنبي من أرض بنى حمدان ، ومن جوار سيف الدولة خاصة ، إلى عزمته بالشام . وبدأت الحوادث تأخذه أخذاً حتى رمت به في سجنه ، ولم يكن المتنبي لذلك العهد مغموراً مجهولاً ، كما يذهب إليه أكثر الكتاب ، بل كانت قصائده قبل مدخله إلى الشام قد أثبتت عليه عُيون الدولة العباسية وجواسيسها ، وأطراف العلويين الذين هضموه

(١) ولد المتنبي سنة ٣٠٣ ، وولد سيف الدولة في تلك السنة .

وظلموه ، ونظرات العلويين الفاطميين أيضاً ، وكانت دَعْوَةُ الفاطمية قد نَفَذَتْ في بلدان العربية في تَكْتُمِهَا واستارها ، مع قُوَّتِهَا وحصافة القائمين بالدعوة إليها ، وما كان لهم من المذاهب في التدخّل في شؤون السياسة تدخّلاً حكيماً خفياً مكتوماً يترقّقون له ليصلوا إلى ضرب الخلافة العباسية والقضاء عليها ، وإقامة الخلافة العلوية الفاطمية .

وكان الذي أمسك العيون على المتنبي ، فيما نذهب إليه ، أنه قبل أن يلقى سيف الدولة في المرة الأولى سنة ٣٢١ ، وكان في طريقه بأرض العراق ، / قال من الشعر ما وقع ٩٨ إلى هؤلاء ، فلفّتهم إليه . فمن ذلك ما رُوِيَ من أن أبا سعيد المُجَيْمِرِي عَذَلَهُ على تركه لِقَاءَ الملوك وامتداحهم ، فقال له :

أَبَا سَعِيدِ جُنُبِ الْعِتَايَا قَرَبْتُ رَأْيِي أَخْطَأَ الصَّوَابَا
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحُجَابَا وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا
وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلَاتِ السُّمَرِ وَالْعَرَابَا
تَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحُجَابَا

فمثل هذا القول لا يذهبُ باطلاً عند أصحاب الأمر في الدولة ، ومن يضعون عيونهم على سياسة العصر ودسائسه ، وقد كان عصرًا مملوءًا بكل عجيب من الدعوات الخفية ، والثورات السرية التي لا يخطئها مُطَّلِعٌ على تاريخ تلك الفترة من العصر العباسي . ويبيّن من شعر المتنبي الذي وقع في ترتبنا لديوانه في هذه الفترة ، أنه حين دخل العراق لقي بعض الكيد على أثر ما عُرف عنه من الثورة القائمة في صدره ، ودليل ذلك قوله :

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ آسَتِهِ وَآخِرُ قُطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ
وَمِنْ جَاهِلٍ لِي ، وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ ، وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلُ
وَيَجْهَلُ أَنِّي ، مَالِكُ الْأَرْضِ ، مُعَسِّرُ وَأَنِّي ، عَلَى ظَهْرِ السَّمَائِكِينَ ، رَاجِلُ

ولم يكتف صاحبنا بذلك ، بل خرج إلى ذكر نفسه وصفتها ، وعرض بما يُضمَر من الخروج ابتغاءً لما يؤمّل من الثار أولاً ، وما سمّاه « المجد والعلی » ثانياً ، فقال :

تُحَقِّرُ عِنْدِي هَمَّتِي كُلَّ مُطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ
/ وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مَنَاكِبِي إِلَى أَنْ بَدَتْ (لِلضَّيِّمِ) فِي زَلَالٍ

٩٩

يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي وَأُنَّتِي فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَادِلُ
وَمَنْ يَنْبَغِي مَا أَبْغَى مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى تَسَاوَى الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ
(أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسَكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَسَائِلُ)
(غَنَائَةُ عَيْشِي أَنْ تَعَثَّ كَرَامَتِي وَلَيْسَ يَعْثُ أَنْ تَعَثَّ الْمَآكِلُ)

ولا يلفتتكَ ما نحن فيه عن أن تعود إلى ما ذهبنا إليه في أمر نَسَبِهِ ونَكْبَتِهِ الأولى وهو صغير ، لَتَعْلَمَ سِرَّ القول في قوله : « إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيِّمِ فِي زَلَالٍ » ، فهو يردُّكَ إلى ذكر المشكلة القائمة في نفسه ، والتي وصفناها لك على ما وَفَّقْنَا إليه ، إذ أنه بهذا الشطر قد ضَمَّنَ لك معنى ما نريد من أنه كان مغلوباً على أمره ، محكوماً عليه بأمرٍ كُلُّهُ ظلمٌ وضيمٌ . فلَمَّا بلغ مبلغاً ، زلزله هذا الضيِّمُ وقد حاول من صدره مخرجاً ، على أنه كان - كما وصف نفسه - رَابِطُ الْجَاشِ ، ثَابِتُ النَفْسِ ، ثُبُوتُ الْجَبَلِ على ما يعمل تحته من العوامل البركانية التي تبتغي مخرجاً بانفجارٍ .

...

دَغْ ذَا - ونعود إلى شعره في الفترة التي نحن فيها من تاريخه ، فكانَ مما قاله في العراق أيضاً قصيدته التي أَوَّلَهَا : « ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ » ، وننقل إليك طرفاً منها لتتدبَّره على ما رَمِنَا ، يقول :

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرْبَى وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمَى
وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرَكُنِي حَتَّى تُسَدَّ عَلَيْهَا طَرَفُهَا هِمَمَى

.....

..... /

١٠٠

سَيَصْنَحُ النَّصْلَ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَا تُضْطَبِرُ ،
لَأُتْرَكَنَّ وَجُوهَ الْحَيْلِ سَاهِمَةً ،
بِكُلِّ مُنْصِلَةٍ مَا زَالَ مُتَنْظِرِي
تُنْسِي الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقَتِي ،
رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَأَتْرِكِي
(إِنْ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الْأَرْمَاجِ سَائِلَةً
(أَيْمَلِكُ الْمَلِكُ - وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةً
مَنْ لَوْ رَأَيْتَ مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدًا
فَإِنْ أَجَابُوا ، فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ ،
وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ ^(١)
(فَالآنَ أَقْحَمْتُ حَتَّى لَا تُفْتَحِمَ)
وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَيَاقٍ عَلَى قَدَمِ
(حَتَّى أَدْلْتُ لَهُ مِنْ دَوَّلَةِ الْخَدَمِ) ^(١)
وَتُكْتَفَى بِالْدَمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيمِ
حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ
فَلَا دُعِيْتُ أَبْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
وَالطُّيْرِ جَائِعَةً - لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ ^(٢)
وَلَوْ عَرَضْتُ لَهُ فِي الثَّوْمِ لَمْ يَنْمِ
(وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ)
وَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ

...

فهذا الذي أثبتنا لك من شعره في القصيدتين ، وما صرَّح به فيهما عن آماله وآرائه ، وعن رأيه في الدولة العباسية التي ملك زمامها العجم والديلم والتُّرك من خَدَم الخلفاء ، ^(٣) وعن رأيه في الخليفة الضعيف الذي لا يَمْلِكُ من أمر نفسه شيئاً ، ثم يُعَدُّ في نظر شعبه ملكاً مملوكاً تعطى له المقادة ، وتُصَرَّفُ إليه الطاعة بالإذعان والتسليم = وما يتجلى في كلماته من إرادة التغلب والثورة على الدولة عَرَبِهَا وَعَجَمِهَا = كُلُّ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ ، جَلَبَ عَلَى صَاحِبِنَا ، عَلَى / صِغْرِهِ ، اهْتِمَامَ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْوَلَاةِ وَالِدُّعَاةِ مِنْ ١٠١

(١) انظر التعليق الآتي رقم : ٣

(٢) (لحم على وضَم) جملة يكتفى بها عن الضعيف الذي لا ناصر له ، كالمرأة التي لا حامى لها ، وهذه الكناية فاعل قوله (أَيْمَلِكُ الْمَلِكُ) ، والبيت الثاني بدل من قوله : « لحم على وضَم » .

(٣) انظر هذا السفر (ص : ٧٢ ، تعليق : ١) ، ... بُجِّكُمُ التُّرْكِيَّ وما فعله .. وما قاله .

العرب والعجم والترك والدّيلم ، واهتمام أصحاب الدعوة العلوية والدعوة الفاطمية ، على التخصيص .

فلما كان اتصاله بينى حمدان فى سنة ٣٢١ ومدّحه لهم ، دون غيرهم من الولاة والأمراء أمثالهم والمنافسين لهم والحاقدين عليهم ، والمريدين الإيقاع بهم لما عرفوا به من الصّراحة فى الحكم ، والدهاء فى السياسة ، والعصبيّة للعربيّة الصريحة ، وبُغْضِهِم لحكام الأعاجم الذين كانوا هم أصحاب الأمر والنّهى فى الدولة كلها = ازداد اهتمام هؤلاء بالفتى العربى (المتنبى) ، وردوا أنظارهم إليه ، وأدركوا أن هذا النّاثر الشاعِر البليغ سيكون له شأن أى شأن ، لو ترك غير مُراقِب ولا مأخوذٍ عليه السبيل التى يبغي ، والأمر الذى يهدّد به ، فأجمعوا على الإيقاع به حتى لا يستفجّل أمره ، ويتّسع عليهم الخرق من قبله ، فلا يملك له الرّاقع مرفّعة .

ورحل صاحبنا من (رأس عَيْن) حيث مدح سيف الدولة ، متخذاً طريقه إلى الشام ماراً بحرّان ثم منبج ، ثم أنطاكية واللاذقية وحماة وحمص وبعلبك ، وتردّد بين هذه المدن حتى قبض عليه . وكانت هذه البلاد نفسها منازل من منازل الدّعاة العلويين الذين كانوا أصحاب سياسةٍ ودهاءٍ فى دعوتهم إلى قلب الخلافة العباسية ، وإقامة الخلافة العلوية الخالصة ، وكانت الأعاجم فى الشرق ، والموالى الذين بلغوا غاية السلطان فى خدمة الخلافة العباسية ، يداً مع العلويين على الدولة العباسية . وكانت هذه البلاد أيضاً مجالاً للدّعاة الفاطميين أصحاب الجيوش والسلطان بالمغرب ، وكان هؤلاء الدّعاة يسعون جُهد السّعى لضمّ العلويين إليهم ، واستماله الولاة على اختلافهم / إلى مناصرتهم ، ليتمّ لهم دخول الشام دون معارضةٍ بعد فتح مصر - وكانوا يُعدّون له العدة - ثم يقفوا وجهاً لوجهٍ حيال الدولة العباسية بالعراق ، وكان قد تمّ لهم أمرٌ عظيم فى ما وراء دجلة والفرات ، وبذلك تسقط الدولة العباسية ، وتقوم على أنقاضها الدولة العلوية الفاطمية .

وكأنى بالمتنبى فى طريقه يُظهر فى القبائل والمدن أمر نسبه ، ويذيع بينهم أنه علوى الأصل شريف النّسب ، محتالاً لذلك بالدهاء ، مجتهداً فى اتخاذ العُصْد قبل أن يعلن أمره

إعلاناً صريحاً ، لئلا يواقع العلويون وينزلوا به كيدهم الذى يكيدون له . دار دَوْرته فى البلاد التى ذكرناها وأمره إلى علو ، لما عُرف من فصاحته وبلاغته ، وحُسن سَمته ، وجَمال هَدْيِهِ ، وتوقّد ذكائه ، وما يمتاز به من حُسن المعاشرة ولطيف المنادمة ، مع سعة العلم ، ودقة الفهم له . وكان فى القبائل البادية أظهر أمراً ، وأشدّ عضُدًا ، حتى كان آخر أمره بنى عدى وبنى كلب ، ففشًا ذكره بينهم ، وباعوه على العون له ، فى الدعوة إلى ردّ الحكومة إلى العرب دون الأعاجم . وكان ظهوره فى بنى عدى هو الذى جلب عليه السَّجن والشقاء .

ذلك أن بنى عدى هم قوم بنى حمدان ، ^(١) فكان ظهوره هناك ، ولقاؤه قبل ذلك سيف الدولة ، ومدحه بنى حمدان عامة = سبباً فى تيقظ ولاة (مُحَمَّد بن طُغج الإخشيد) ، وكان على دمشق ، ولم يكن ظهر أمره بمصر بُعد . وكانت بين بنى حمدان والإخشيديين الأتراك المتعصين للدولة العباسية / عداوةٌ جلبتها المنافسة ، وكان سيف الدولة مخصوصاً بهذه العداوة وحده دون بنى حمدان ، لما ظهر من قوته ، على صغر سنه ، وحبه فى توسيع سلطان بنى حمدان حتى يَضُمَّ الشَّام وما يتبعها إلى ولايته وولاية إخوته . فلا بدّ إذن للإخشيديين من مراقبة هذا الذى مدّح بنى حمدان ، وأحدث حَدَثاً فى القبائل التى كانت لهم موالية ، خَشية أن يكون مُوفداً من قبل سيف الدولة للقضاء على مطامع الإخشيديين فى الاستيلاء على الشام ومصر .

وأيضاً ، فإن دعاة الفاطميين الذين كانوا بالشَّام نظروا إلى ذلك ، وخافوا أن يكون موفداً من قبل سيف الدولة وبنى حمدان ، وكان بنو حمدان قد استعصوا على الدعوة الفاطمية ، مع أنهم كانوا من شيعة العلويين . وامتناع بنى حمدان على الدعوة الفاطمية ، كان هو السبب فى مناصرتهم للخليفة العباسى وتحققهم بخدمته ، لما يعرفون من أن دعوة

(١) هم بنو عدى بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وينتهى إلى « عدى »

هنا ، نسب بنى حمدان .

الفاطمين كانت قد ضُمَّت إليها أكثر ولاة الأعاجم الذين كانوا يحكمون بلاد الخلافة ما وراء الفرات وفي العراق نفسه . كان هذا هو السبب أيضاً في العداوة المتّقدة بين بنى بويه وبنى حمدان فيما بعد ، وبينهم وبين سيف الدولة خاصة ، فإن بنى بويه كانوا علويين فاطميين ، أو نظروا إلى دعوة الفاطميين نظرة الرضا .

فاجتمعت على المنتبى عيون الفاطميين ، وعيون العلويين ، ^(١) وعيون الدولة القائمة في الشام . فلما ظهر في بنى عديّ أرسلوا في القبض عليه ، فطارذوه من بلد إلى بلد ، وكان يستخفى منهم ، حتى وقع أخيراً في يد (آبن على الهاشمي العلوي) ، في قرية يُقال لها كوتكين ، ^(٢) فقبض عليه وأمر النجار بأن / يجعل في رجله وعُنقه قُرمتين من خَشَب الصَّفصاف ، فقال له المنتبى بيتين قد ذكرناهما آنفاً ، ^(٣) وبقي المنتبى في السجن من أواخر سنة ٣٢١ أو أوائل سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٢٣ ، ثم أُطلق .

...

وكان المنتبى في أوّل أمره مستخفّاً بالسجن ، لما يأمل من بلوغ خبره إلى سيف الدولة ، فإن بنى عديّ قَوْم سيف الدولة - كما يتوهّم - لن يتركوه في أيدي هؤلاء ، إلا أن يحملوا خبره إلى بنى حمدان ، فَيَخِفُّ بَنُو حمدان إليه ، لِنَيْتِهِمْ في دخول الشام ، ولكن نِيَّة بنى حمدان تَأَخَّرَتْ طويلاً ، فإن سيف الدولة لم يهدّد أطراف الشام بعساكره إلا بعد ذلك بزمان طويل .

وممّا يدلُّ على استخفافه بالسجن في أوّل أمره ، ما رَوَوْا من أن أبا دُلْف بن

(١) في ص : ١٥٥ ، التعليق : ١ ، ما يوشك أن يجعلني أرى أن لأبي الطيب العلوي العباسي يدأ في حبس المنتبى ، وكان أبو الطيب العلوي متهماً بالميل إلى القرامطة ، كما بينت ذلك آنفاً .

(٢) لعلها كانت قرية من (سلمية) وهي قرية من أعمال حمص .

(٣) ص : ١٥٧ ، ٢٠٤ ، قوله : « زعم المقيم يكو تكين بأنه » إلى آخر البيتين .

كُنْدَاج ، سَجَّانَ الْمُتَنَبِّى ، أَهْدَى إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَهُوَ مَعْتَقِلٌ بِحِمَص ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ ثَلَبُهُ عِنْدَ الْوَالِي الَّذِي اعْتَقَلَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَهْوَنَ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالْتَلَفِ وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا ذُلْفِ
(غَيْرَ آخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بِرِّكَ بِي) ، وَالْجُوعُ يُرْضَى الْأَسْوَدَ بِالْجِيفِ
كُنْ أَتِيهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ ، فَقَدْ وَطَنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفٍ^(١)
لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنَقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ

/ وفي هذه الآيات تقف كبرياؤه كما هي ، لم يأخذ منها عذاب السجن وشقاؤه ١٠٥
شيئاً ، حتى إنه ليقول للذي يَبْرُهُ في سجنه : « غَيْرَ آخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بِرِّكَ » ، ولولا ما أنا فيه
من العذاب لرددت عليك هديتك غير حافل بك ولا بها . ثم ينتزعُ المثل على عادته :
« وَالْجُوعُ يُرْضَى الْأَسْوَدَ بِالْجِيفِ » ، وهي سخريه حديدية مؤلمة .

فلما طَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ فِي السَّجْنِ ، لَجَأَ إِلَى الْحِيلَةِ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ
طُغْجِ يَسْتَعِظِفُهُ ، وَيَفْتِنُهُ مَا رُمِيَ بِهِ مِنْ إِرَادَةِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ ، فَكَانَ مِمَّا كَتَبَ :

يَبْدِي أَتِيهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنِّي غَرِيبُ
أَوْ لَأَمٍّ لَهَا ، إِذَا ذَكَرْتَنِي ، دُمُ قَلْبٍ بِدَمْعٍ عَيْنِي يَنْزُوبُ^(٢)
(إِنْ أَمَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتَكَ أَخْطَأُ تْ ، فَإِنِّي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ
عَائِبٌ عَائِنِي لَدَيْكَ ، وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوِي الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ)

إِلَّا أَنْ سَعَى الْفَاطِمِيُّينَ وَالْعُلُوِيَّينَ فِي إِبْقَائِهِ فِي السَّجْنِ ، وَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ خَوْفٍ
وَالِي الشَّامِ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي أَحْدَثَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبْلِ بَنِي حَمْدَانَ = لَمْ يُصْنَعْ إِلَيْهِ سَمْعُ
الْأَمِيرِ ، فَبَقِيَ فِي سَجْنِهِ إِلَى سَنَةِ ٣٢٣ .

...

(١) « معترف » ، صابر لا يجزع .

(٢) لم يكتب هذه الآيات ، إلا بعد رسالة وصلته من جدته ، انظر ص : ٢٣٠ ، فيما يلي .

وقد رُوِيَتْ له القصيدة التي كانت السبب في إطلاقه ، وفيها إشارة إلى كل هذا الذي ذكرنا لك . ويحسُنُ هنا أن نُليِّمَ ببعضها ، لتبيِّنَ ما أَرخنا لك من التاريخ .

/ يقول المتنبي يصف الأمير :

١٠٦

وَلَوْ لَمْ أَخْفُ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ
رَمَى (حَلْبًا) بِنَوَاصِي الْخُبُولِ ، وَسُمِرَ يُرْقَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ
وَبِضْ مُسَافِرَةٍ مَا يُقْمَنَ لَا فِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْعُمُودِ
يَقْدُنُ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ
فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ (الْخَرَشْنَى) ، كَشَاءٍ أَحْسَنَ بَزَارِ الْأُسُودِ
فَمَنْ كَالْأَمِيرِ آبَنِي بِنْتِ الْأَمِيرِ أَوْ مَنْ كَابَائِهِ فِي الْجُدُودِ

والذي تنبها له هنا أنه ذكر في هذه القصيدة (حلبًا) ، و (الخرشني) ، ^(١) وقد عَيَّنَّا بالبحث عن الحادثة التاريخية التي نستطيع بها أن نعيِّن السَّنة التي قيلت فيها ، ثم وقفنا الله إلى تفسير ذلك بالاستنباط .

ففي جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ ، سار الدُّمستق « قرقاش » في خمسين ألفاً من الروم فنازل مَلَطِيَّةَ ، ^(٢) وحصرها مدة طويلة حتى هلك أكثر أهلها بالجوع ، ثم فتحها وهدم سُورَهَا وقصورَهَا ، وضربَ خِيَمَتَيْنِ على إحداهما صليبٌ ، وقال : « من أراد النصرانية انحاز إلى خيمة الصليب لَنَرُدَّ عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى وله الأمان على نفسه ، وتُبْلِغُه مَأْمَنَهُ ! » فانحاز أكثر المسلمين إلى الخيمة التي عليها الصليب طمعاً في أهلهم وأموالهم ، وسيرَ مع الباقين بِطَرِيقاً يُبْلِغُهُم مَأْمَنَهُم ، وفتحها

(١) انظر قضية « الخرشني » في ص : ٨٨ - ٩٠ ، وما فعله الدكتور عزام رحمه الله ، وما أدخل فعله هنا على معنى القصيدة بذلك من الفساد .

(٢) بلدة مذكورة مشهورة في ديار ربيعة على حدود بلاد الروم في ذلك العهد .

بالأمان . ثم ملكوا « سُمَيْسَاط » وخرَّبوا الأعمال ، وأكثروا القتلَ وفعلوا الأفاعيلَ الشَّنيعة ،
(وصار / أكثر البلاد في أيديهم) ، وسكتَ المؤرِّخون

١٠٧

وظاهر أن وإلى الشام ، وهو إذ ذاك مُحَمَّد بن طُغْج الإخشيد ، لم يكن ليصْبِرَ
على ذلك ، فلما امتدَّ الدمستق بجيوشه وقصد حلب ، خرج إليه هو ، أو بعض مَنْ
أنفذه لقتاله ، فردَّه عن التوغُّل ، وانقلب الدمستق هارباً ولم يدخلها . (١) وقد جعلنا هذه
الحادثة تاريخَ القصيدة ، لأنها توافق ما أثبتنا من تاريخ المتنبي ، ثم لما ذُكر من أمر حَلَب ،
ثم لِدَكرِ هذا « الخرشني » = و « الخرشني » ، هو ملك الروم ، لأنهم ينسبون ملوك الروم
إلى جبل بيلادهم يقال له (خَرَشَنَة) (٢) = وتكون هذه القصيدة لذلك مما كتبه أبو
الطيب إلى محمد بن طغج الإخشيد التركي ، في أواخر سنة ٣٢٢ أو أوائل ٣٢٣ سنة .

وأما قول المتنبي في هذه القصيدة يخاطب ابن طُغْج :

- ١ - وَقِيلَ : عَدَوْتُ عَلَى الْعَالَمِينَ يَنْ وَلَادِي وَيَنْ الْقُعُودِ
- ٢ - فَمَا لَكَ تَقَبُّلُ زُورِ الْكَلَامِ وَقَدَّرُ الشَّهَادَةِ قَدَّرُ الشُّهُودِ
- ٣ - فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ ، وَلَا تَعْبَأَنَّ (بِعِجْلِ الْيَهُودِ)
- ٤ - وَكُنْ فَارْقَائِينَ دَعْوَى (أَرَدْتُ) وَدَعْوَى (فَعَلْتُ) بِشَأْوِ بَعِيدِ

فقد ذكر في البيت الأول أنه وهو رضيع لم تَمَّ لَهُ القُوَّة على الاستمساك في
قُعْدته ، كان قد أَثْهَم بالخروج على السلطان !! وهذا لم يحدث ولا شك ، وإنما هو
إشارة لما كتبنا عنه في نسبه من النكبة التي حَلَّت به وبجَدته من نَفْي النسب العلوي
الشريف عنه ، ومراقبة العلويين لجَدته ، خوف أن يَئْثَرَ منها ما لا يحبون ، فجعل
صاحبنا تلك المراقبة لنفسه ، إذ لم يفعلوا بها ذلك / إلّا من أجل نسبته هو إلى
١٠٨ العلويين .

(١) انظر ص : ١٥٥ ، والتعليق رقم : ١

(٢) انظر ما سلف : ٨٨ ، ٩١ ، وما بعدها .

والبيت الثاني استشارة لابن طعج ، إذ كان من أعداء العلويين في غير علانية ، وكان من أنصار العباسية ، فهو يقول له : مالى أراك تقبلُ في قول أعدائك وأعداء مواليك العباسيين ، وكان أولى بك أن ترين أقوالهم بما تزعمهم به (فقدّر الشهادة قدر الشهود) ، فلا تسمع لهؤلاء الذين يضمنون العداوة (الكاشحين) .

ثم جاء البيت الثالث فوصل كلامه عن العلويين بذكر العلويين الفاطميين فقال : (ولا تعبان بعجل اليهود) ، ^(١) و « عجل اليهود » ، كناية عن أحد دعاة الفاطميين الذين كانوا هناك بالشام . وتأويل ذلك أن العباسيين ، وكثيراً غيرهم حتى من العلويين أنفسهم (كبنى حمدان) ، كانوا لا يعترفون بنسبة الفاطميين ويزعمون أن جدّهم كان يهودياً ، وأسلم ليدخل على الإسلام فاسد العقائد نكايّة . وآسدهم على ذلك أن الدعوة الفاطمية كانت دعوة سريّة لها أصول خاصة ، ودرجات مرتبة ، من درجة التلمذة إلى درجة داعي الدعاة ، ولكل درجة من الدرجات تعليم خاص ، ومرتبة معروفة مقيدة . فقول المتنبي : « عجل اليهود » إشارة إلى ذلك .

ولا أنسى هنا أن أعود بالقارئ إلى بيت من أبيات مضت في ذكر التنوخي [ص : ١٤٩] ، وهو قول المتنبي يذكر التنوحيين :

أليس عجباً أن بين بني أب
لنجل يهودي تدب العقارب

وقد تبين لنا بعد البحث في تواريخ العلويين أن بعض الدعاة الفاطميين كان قد دخل اللاذقية (وهي من منازل تنوخ) ، وأدخل قسماً من التنوحيين / في الدعوة الفاطمية ، وبذلك افترق التنوحيون فرقتين : فرقة العلويين أو الشيعة ، وفرقة الفاطميين ، وهذه الأخيرة هي التي خرج منها الدروز وهم تنوحيون . وفريق الدروز يتّهمون من قديم عبادة (العجل) ، وقد نفى ذلك كثير من الباحثين ، والله أعلم بحقيقة أمرهم . ولعل

(١) قد حار الشراح في تفسير قوله « عجل اليهود » ، وقلوبها على وجوه كثيرة لا تصح ، وهذا هو الوجه عندنا ، وهو الصواب إن شاء الله .

هذا هو السرُّ فى قول أبى الطيب « عجل اليهود » ، يشير إلى الفاطميين ، وفى قوله : « نجل يهودى » ، يريد داعى الفاطميين الذى قَسَمَ التَّوْحِيْدَ ، وضرب بعضهم ببعض .

وأما قوله فى البيت الرابع :

وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى (أَرَدْتَ) وَدَعْوَى (فَعَلْتَ) بِشَأْنٍ بَعِيدٍ

فهو عندنا من الأدلة فى أن الأمر الذى قبض على المتنبى من أجله لم يكن « النبوة » ، وإنما هو الخروجُ على السلطان ، وأنت إذا قَلَبْتَ الدعويْن : « دعوى (أَرَدْتَ) ، ودعوى (فَعَلْتَ) » على معنى « النبوة » ، لم يتمَّ لك تساؤُق المعانى على ذلك ، وتَمَّ لك فى معنى الخروج على السلطان هذا التساؤُق ، إذ أن إرادة الخروج شَيْءٌ ، والفِعْلُ الذى يُسَمَّى به الرجل (خارجاً) شَيْءٌ آخر ..

والظاهر عندنا أن السبب فى إطلاق المتنبى من السجن لم يكن هذه القصيدة وحدها ، بل السببُ البليغ فى هذا الرضى عنه ، فيما نرجح ، أن بعض التَّوْحِيْدَ العلوِيَّيْن (غير الفاطميين) ، كانوا قد سَعَوْا عند آبن طغج لإطلاق المتنبى ، وذلك لصلتهم ببنى حمدان ، واتفاقهم معهم فى المذهب (العلوية) ، وأظهروا لابن طغج مَوالاتهم ، فرضى منهم بهذا وأكرمهم بإطلاقه ، ^(١) / ولكن العلوِيْن الكوفيين سَعَوْا من ناحية أخرى لدى الوالى أن لا يُطلقه ، فأرضاهم بأن يأخذ عليه وثيقة تُثبِت بطلان دَعْوَاه فى النسبة إلى الشجرة العلوية الشريفة المكرمة .

والذى حملنا على أن نظن ذلك من أمر التَّوْحِيْدَ ، أن المتنبى بعد خُروجه من السجن مَدَحَ التَّوْحِيْدَ ، وأخلص لهم ، ونزل عندهم ، ثم رجع إلى الكوفة وبقي بها مدة ، فلما عاد فى سنة ٣٢٦ ، رجع إليهم وبقي عندهم ومَدَحهم أيضاً ، وأجاد فى مدحه لهم

(١) ولا بأس أيضاً أن نذكر أن (بنى عدى) ، وهم قوم سيف الدولة ، النازلين بأرض الشام ، كان لهم شأن فى ذلك ، وأرضاهم ابن طغج لما يخشى من انتفاضهم عليه إذا لم يبذل لهم الرضى فى رجل قبض عليه عامله فى أرضهم ، وكان فى جوارهم .

إجادةً بينةً ظاهرة . وقد كان هذا الفتى وَفياً الوفاً كما وصف نفسه ، وكان يأسره الإحسان ويغلبه على أمره كثيراً ، وقد ظهر هذا الخلق في رَوْعة المثل الذي ضربه يوماً ما فيما بعد ، وهو قوله : « وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيْدًا » .

...

وقد أكثر الكتاب من الاستشهاد بحادث حبس المتنبي وما كان منه فيه ، وزعموا أنه كان متكبراً أحقَّ الرأي ضعيف الإرادة ، فدعته كبرياؤه أَوَّلَ أَوَّلٍ إلى الاستخفاف بالسجن ، ثم رَجَعَ فذلَّ وانقادَ واستخَذَى في قصيدته الأخيرة . وليس هذا لنا برأى ، فإن الأبيات البائية التي ذكرناها لا تُدَلُّ على ضعف ، ^(١) وإنما كان المتنبي ، كما روينا لك ، مرهفَ الحسِّ ، شاعر النفس ، فلما بَلَغَ جدُّته خبرُ حبسه كتبَتْ إليه ، وذكرته بما فعل وهو بدار غُرْبَةٍ ، وعذلتَه على ما كان منه وشكَّتْ إليه أَلَمَها ، وكشفت له عن ذِي قلبها ، فرقَّ وبَكَى ، وكتب الأبيات الأربعة على إثر ذلك ، وطبع عليها قلبه وحنَّانه ورقته ، لا ضعفَه واستخذاؤه . ويكفى في الدلالة على بطلان رأيهم ، أنه جعل البيت الرابع مهاجمةً لجميع من ادَّعى عليه وأراد حبسه ، وهجاءً بليغاً لهم ، / وليس هذا من الحكمة ، ١١١ إن كان الرجل ممن يستخذي ويضعف ، وذلك حيث يقول : (انظر ما سلف ص : ٢٢٥) .

عَائِبٌ عَابَنِي لَدَيْكَ ، وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوِي الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ

...

ثم لما كتب قصيدته الأخرى الدالية ، ذكر أبياتاً يزعمون أنها تدلُّ على مذهبهم في ثَلْب الرجل ، وهي قوله :

أَمَّا لَكَ رِقَى وَمَنْ شَأْنُهُ هَيَاتُ اللَّجَيْنِ وَعِثْقُ الْعَبِيدِ
دَعْوَتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ، وَالْمَوْتُ مِنِّى كَحَبْلِ الْوَرِيدِ
دَعْوَتُكَ لَمَّا بَرَأْنِى الْبَلَاءِ ، وَأَوْهَنَ رِجْلَى ثِقْلُ الْحَدِيدِ
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النَّعَالِ ، فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقُيُودِ

ونحن لا نرى فى هذه الأبيات شيئاً يُزِرُّ به ، لأنه إنما أراد ، كما قلنا ، أن يترقق لغرضه بالحيلة ، حتى يخلص من السجن ، إذ وَجَدَ أن لا جدوى عليه من الصبر على السجن الذى يُضَيِّعُ الأملَ فى تحقيق ما يريد من الانتقام من هؤلاء الذين فعلوا به ما فعلوا . والذى يَذَلُّ لا يَقْسُو فى الصفات هذه القسوة التى أبرزها المتنبى فى أبياته بعد ، إذ وَصَفَ مَنْ كانوا معه فى السجن متهمكاً ساخراً على عادته ، فقال :

وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفِلٍ فَهَا أَنَا فِي مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودٍ

ثم يخاطب ابن طغج مخاطبة التذ ، فيسأله على وجه التقرُّيع واللوم ، فيقول : « فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ ؟ » ، ثم ينهاه ناصحاً ومَحْذَرًا فيقول : « فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ » ، ثم يأمره على وجه التعليم والتنبيه بقوله : « وَكُنْ / فَارِقًا » ، فهذا مذهب ١١٢ تعليميٍّ فى الأمر ، ينطوى على تبصير الأمير ، الذى يزعمون أن المتنبى يذَلُّ له ، بوجه الصواب من الرأى فى التفريق بين الدعويين ، وتذكير له بأنه أخطأ خطأ كبيراً بتركه التحقق من أصل الدعوى التى أقيمت عليه وتطبيقها على ما كان منه حقيقةً ، ولو كان الأميرُ فعل ذلك ، لَبَطَلَ عنده ما يدَّعون عليه ، وهذا كما ترى فيه معنى التجهيل للأمير . ولا نَظُنُّ ابنَ طُغْجَ كان يخطئُ إدراك هذا البيان البين فى شعر المتنبى ، ومع ذلك فقد أعفاه من هَفْوَةِ اللسان ، وأطلقه إكراماً للتوخُّين فيما ذهبنا إليه ، وما كان من مدحه له فى القصيدة مدحاً لم يظفر بمثله من شاعرٍ مثل المتنبى الشاعر البليغ العربى الشريف .

فهذا كما ترى سياقاً تاريخياً لا بأس به ، إن رأيت ذلك ، في أمر القبض على أبي الطيب ولا ذكر فيه للنبوة ، ولا يمكن أن يكون قبض عليه لهذا الهراء الذي يزعمون . وستعلم بعد أن الخالغ حدثنا عن أبي الحسين الناشئ الشاعر أنه قال : « كُنت بالكوفة في سنة ٣٢٥ ، وأنا أُملي شعري في المسجد الجامع بها ، والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم ، وهو بعد لم يعرف ولم يُلقب بالمتنبي » . فهذا دليل على أن القبض عليه في سنة ٣٢١ لم يكن للنبوة ، إذ لو كان ذلك كذلك ، لَتَعَالَمَهُ الناس بالكوفة التي نشأ بها ، ولأشار إلى ذلك الناشئ ، وكلامُ النَّاشئ يدل على أن ذلك لقبٌ نُبِزَ به الرجل ، ولم يكن بسبب هذه النكبة التي أصيب بها في سنة ٣٢١ ، أو الحدث الذي أحدثه في تلك السنة [انظر القول في تلقيبه بالمتنبي في التراجم المنشورة في آخر الكتاب وما سياتي ص : ٢٣٣ تعليق : ١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ثم ص : ٢٧٠] .

...

وهناك سياق آخر للتدليل على بطلان هذا الافتراء الذي رُمي به الرجل ، نستنبطه من الأسلوب الشعري أولاً ، ومن الحالات النفسية القائمة في شعره / ثانياً ، ومن الأصول التاريخية في أمر المتنبين في ذلك العهد أخيراً ، ورأينا أن نُضْمِر ذلك ولا نطيل به ، حتى نظهره في كتابنا ، إن شاء الله ، عن المتنبي ، بالله التوفيق . (١)

أمّا هذا النبز الذي نُبِزَ به أبو الطيب وعرف به إلى اليوم : « المُتَنَبِّي » ، فليس مرجعُهُ إلى هذا الخروج الذي كان منه في بني عدي ، فقبض عليه ، وألقى في السجن من جرائه ، بل له عندنا مساق آخر هو أقرب إلى الصدق وأولى بالاعتبار .

...

(١) اعلم أننا تركنا أيضاً في هذا الحديث عن رحلته وحبه ما قال من شعر في مدح رجال لقهم في طريقه بالبلاد التي نزلها ، إذ ليس يضر هنا إغفال ذلك حتى حين ، ولو فعلنا لم يكن هذا العدد من المقتطف يتسع لما نريد وما نؤمل من استيفاء ترجمة الرجل على الوجه الذي نرتضيه ونقر عيناً به .

كان أبو الطيب من أوّل أمره متورّعاً في خُلُقهِ ، لا يخرج من حُدود الوقار ، مترمّناً لا يلين للشهوات ولا يلقي إليها مقاده ، مترفعاً عن سَفَسَافِ الأخلاق ، متمسكاً بمعالِها ، آخذاً نفسه بالجدّ الذي لا يفتر ، وكان لا يَقْرَبُ التَّهَمَ ولا يدانيها ، « فما كذب ولا زنى ولا لاط » ، ولا أتى أمراً منكراً يؤخذ عليه أو يُزَنُّ به ، واستمرَّ على ذلك حياته كُلُّها ، وخالف الأدباء والشعراء من أهل عصره ، فما شرب الخمر ولا حمل وزرها ، ولولا اضطرابه فيما تَرَى لما حضر مجلسها ، وكان منصرفاً إلى العلم قارئاً له ، محققاً لدقائقه ، طويلَ النظر والتدبُّر فيما يمرُّ به من أحداث الزمان ، كثير الاهتمام بأمر الأُمّة التي هو منها ، لا يفوته مغمَزٌ ينتقده أو تُخلَقُ يستسقطه . وكان أهل العصر / على خلاف له في ١١٤ ذلك ، وخاصةً من انتسب إلى الأدب ، واعتزى إلى الشعر . فكان الأدباء والشعراء أهل شرابٍ ومُعاقرةٍ ولهو وهزل وباطل ، لا يَقْرَعُونَ إلى الجدِّ إلّا بمقدار ، ولا يتورعون عن ذَنِيّةٍ إلّا مُكْرِهِينَ على الوَرَع . فلا عجب إذا عدّه أهل صناعته من الأدباء والشعراء غريباً بينهم .

وكان المتنبي في أوّل شعره يُكثر من ذكر « الأنبياء » ، ويردّد أسماءهم في شعره ، ويشبه نفسه بهم ، ويقس أخلاق ممدوحيه إلى أخلاقهم ، فمن ذلك قوله في نفسه :

ما مُقَامِي بِأَرْضِ نَحْلَةٍ إِلَّا (كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ)
وقوله في القصيدة نفسها :

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْبُ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ قَوْقُ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ
أَنَا تَرَبُّبُ التَّدَى ، وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَى ، وَغَيْظُ الْحَسُودِ
أَنَا فِي أُمَّةٍ ، تَدَارَكَهَا اللَّهُ ، (غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ)^(١)
وقوله :

« أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ أَلْ أَقْدَارَ الْمَرْءِ حَيْثُمَا جَعَلَهُ »

(١) يروى ابن جنى أن المتنبي قال : « لُقِّبْتُ بالمتنبي بهذا البيت » .

فشبه نفسه بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله ليكونوا شهداء على الناس .

وقوله في رثاء التنوخى « محمد بن إسحق » :

وَكَاثِمًا (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ (عَازِرَ) شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ

/ وكان أيضاً كثير الإنذار للملوك والأمراء بعذاب بئس سيئاتهم من قبله ، كقوله : ١١٥

مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدَاً وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ

فَإِنْ أَجَابُوا ، فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ

فهذه أمثلة مما تناثر في شعره من هذه المعاني ، وأنت إذا تَفَضَّصْتَ ديوانه وجدت في

معانيه المعاني التي تنبئ بالغيب ، كقوله في بذر بن عمار :

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا فِي النَّاسِ ، مَا بَعَثَ إِلَهُ رُسُلًا

لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ ، مَا أُنْزِلَ الْفُرْقَانُ وَالْتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ

ولا نطيل بذكر الشواهد في ذلك ، فهذا أمر متعالم مشهور .

...

وعندنا أن أبا الطيب لما عاد من الكوفة سنة ٣٢٦ ، واتصل سببه ببدر بن عمار ولزمه ، ^(١) وعلا عنده ، وأصاب كرامة لم يُصِبْ مثلهما من قبل ، تناوشه الشعراء إذ خافوه على أرزاقهم ، وطَفَقُوا ينتقصون الرجل ويطلبون له العيوب ، وأغراهم بذلك ما وجَدُوا من ترفعه عن مجالس لهوهم ، وانصرافه عن الهزل الذي يكونون فيه ، وظنوا به الكبر ، فأخذوا يذكرون شعره ويتنادرون به . فلما وقعوا على كثرة دَوْران أسماء الأنبياء في هذا الشعر ، وتشبيهه نفسه بهم ، وما هو فيه من التعفف والتورع ، أرادوا له لَقَباً يَنْبِذُونَهُ به ، فَلَقَّبُوهُ (المتنبى) ، يريدون التشبيه بالأنبياء ، وأخذوا يذكرونه بهذا الاسم ، ويتداولونه بينهم . ثم

(١) انظر ما سأتى في آخر الباب التاسع (٩) ، ص : ٢٧٠

استفاضت شهرته به لَمَّا اتَّصل بأبى العشائر سنة ٣٣٦ ، وصار لا يُذكرُ إلاَّ به ، بل
لعله سرُّه هذا اللَّقب فلم يُنكره .

/ وقد رأيت قَبْلُ أن القبض عَلَيْهِ كان سنة ٣٢٢ ، وأن الناشئ قال : إن
أبا الطيب كان يحضر مجلسه سنة ٣٢٥ بالكوفة ، ^(١) « وهو بعدُ لم يُعرَف ، ولم يُلقَّب
بالمُتنبى » ، [انظر ما سلف ص : ٢٣٢ ثم ص : ٢٧٠] ، فتلقَّيه بالمتنبى كان بعد سنة ٣٢٥
ولا شك كما رأيت ، وبذلك ينتفى أن يكون قد حُبس من أجل دعوى النبوة . فلما علا
أمر المتنبى وظهر ، وخشى من نخشى من العلويين ومن إليهم ، أحدثوا من هذا النُّبز
(المتنبى) = الذى قُصِدَ به التشبُّه بالأنبياء فى الخُلُق ، والوعيد والإنذار ، وتشبيه نفسه
به فى شعره = أحدثوا قصةً مخترعةً عن نُبوَّة زعموا أن الرجل أدعاها ، وأعانهم على صَوِّغها
ما كان من أمر حبسه حين أراد إظهار نسبته إلى الشجرة العلوية المكرمة . فكانت هذه
القصص التى نفضناها وأظهرنا بطلانها ، والحمد لله .

...

• ثم بعد سنين طويلة من كتابة هذا الرأى الذى استخرجته وقطعتُ به ،
جاءتنى ترجمة أبى الطيب فى كتاب ابن العديم « بُغْيَةُ الطَلَب » ، ونقل فيها ابن العديم عن
إمام من أئمة العربية = صاحب المتنبى بشيراز ، وكتب عنه ديوانه بخطه ، وراه بخطه أبو
الدَّرِّ ياقوت بن عبد الله مولى الحموى البغدادى = وهو الإمام أبو الحسن على بن عيسى
ابن الفرج الرُّبَيعى ، (ولد سنة ٣٢٨ ، ومات فى ليلة السبت لعشر بقين من المحرم سنة
٤٢٠) . وقال الربيعى : « ما أظنُّ أحداً صدَّق فى رواية هذا الديوان صدَّق (يعنى ديوان
المتنبى) ، فإنى كنت أكثره (يعنى يكثر المتنبى) ونحنُ بشيراز ، وربما أخذَ عنى من

(١) انظر ما سبَقَ [ص : ٢٣٩ ، ٢٤٠] فى دخول المتنبى الكوفة ، وزواجه فى نحو سنة ٣٢٥ ، أيضاً .

كلام أئى على النحوى (يعنى الفارسى) [انظر تراجم المتنبى فى آخر الكتاب ، ترجمة ابن العديم رقم :

١١] .

فقد روى ابن العديم فى ترجمة المتنبى [التراجم فى آخر الكتاب ، رقم : ٩] عن أئى الحسن الربعى قال : « قال لى المتنبى : كُنْتُ أَحَبُّ الْبَطَّالَةِ وَصُحْبَةِ الْبَادِيَةِ = وكان (يعنى المتنبى) يذمُّ أهل الكوفة ، لأنَّهُمْ يُضَيِّقُونَ على أنفُسهم فى كُلِّ شَيْءٍ ، حتى فى الأسماء فيتداعون بالألقاب = ولما لُقِبْتُ بالمتنبى ثَقُلَ ذلك على زماناً ، ثم أَلْفَتُهُ » [وانظر ابن العديم أيضاً رقم : ٢٢ ، ٢٩ بل انظر ، فهو أوْلى ، ترجمة الربعى ، فهى أقدمهن] .

وهذا عينُ ما قلته منذ أكثر من أربعين سنة ، وعين ما قاله الناشئ الشاعر ، وإن كان القول فى تلقيبه بالمتنبى فى كتابى هذا ، يحتاج إلى بعض التعديل ، وعلى كل حال ، فقد بطلت حماقة النبوة بحمد الله .

...

- ٧ -

أُنِنِي أُيُنَا ، نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ
أَبْدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ
تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا مِنْ مَعَشَرٍ
جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ ، وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ،
وَالشَّيْبُ أَوْفَرُ ، وَالشَّيْبَةُ أَنْزَقُ
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ ، وَلَمَتْنِي
مُسَوَّدَةٌ ، وَلِمَاءُ وَجْهِ رَوْنَقُ

١١٧ / خرج أبو الطيب رحمه الله من سجنه وشقائه وعذابه مُسْتَمِرَّ النفس ، مُكْتَهِلَ القلب ، فقد جَرَّبَ أحداث الزمان ، وما ابْتَلَى به من النكبات التي عَرَفَتْهُ في سجنه ، وما كَيْدَ به من أعدائه ، فَانْطَوَى على ما به غيرَ جازع ولا شاكٍ ولا مستسلم ، وابتسم للندى وهو يُضْمِرُ الغَيْظَ عليها ، « ولكنه غَيِظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَيْدِ » ، ^(١) وكان يعمل في نفسه بما قال بَعْدُ :

هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ
وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِتُهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرْبَانِ وَالرَّحِمِ
وَكُنْ عَلَى حَدَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتَرُهُ وَلَا يَغُرُّكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ

١١٨ / فإن صَحَّ ما رأيناه في ترتيب شعره ، وما قلنا به من أن التَّنَوُّحِيِّينَ كانوا قد سَعَوْا لدى ابن طُغْج في إطلاقه من سجنه ، فقد خَرَجَ صاحبنا من السجن ولحق بالتنوخيين

(١) هو للمتنبى وأوله « وَغَيِظُ عَلَى الْأَيَّامِ كَالثَّارِ فِي الْحَشَا » . وَالْقَيْدُ : القيد من الجلد .

باللاذقية وأقام عندهم وفي جوارهم . وكانت صِلته وثيقة بأبناء إسحق التنوخي (محمد والحسين) ، فلما مات محمد رثاه ، وقد قدّمنا طرفاً من ذكر ما ورد في رثائه لهذا الرجل . ^(١) وبين في شعره الذي رثاه به ما كان يُضْمِر له من الحب ، وما يقى له به من حُسْن صنيعه عنده . وأخلص بعد موت (محمد) الوفاء والمودة لأخيه (الحسين بن إسحق) ، ولكن صاحبنا لم يسلم هناك من الأعداء ، أعدائه من العلويين والفاطميين والعباسيين ، فقد قصّد بعضُ شعرائهم قصيدةً في هجاء الحسين بن إسحق وتخلّاه أبا الطيب ، فكتب الحسين إلى أبي الطيب يُعاتبه ، فردّ جواب كتابه بأبيات يقول فيها ، يعاتبه على تصديقه ما بلغه :

تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي
وَهَاجَى نَفْسِهِ مِنْ لَا يُمَيِّزُ كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمُ الْهَرَاءِ
وَأَنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي ، فَتُعَدِّلَ بِي أَقْلُ مِنَ الْهَبَاءِ
وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ ، وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنَاءِ

ونحن نرى أن المتنبي أقام قليلاً في جوار الحسين ، ثم وافاه كتابٌ من جدته = وقد كان بلغها خبرُ أنطلاقه من السجن = ثبّثه شوقها ، وتشكو له بثّها وحُزنها ، وتعزم عليه في الرحلة إليها ، وتذكّر له ما كان من أمرها مع العلويين بالكوفة ، وأنها أرضتهم ، وأخذت على نفسها العهد أن يُقْلِعَ / ولَدّها عما تهوّر فيه من إرادته إظهار نسبه ، وبينت له مَعْبَةً ١١٩ ما ينوى من ذلك ، ووعظته بما أصابه من قبل في سجنه ، وأخرجته في الحضور إليها ، فلم يجد قلبُ أبي الطيب بُدّاً من الطاعة ، وكنم عَزَمَهُ عن الحسين بن إسحق التنوخي ، ولكن عزمه لم يخف على صاحبه ، فأرادته على المُكْت ، فأبدى أبو الطيب رأيه بالموافقة ، وأضمر الخلاف والرحلة عن اللاذقية إلى الكوفة . وقد أشار إلى ذلك في مدحه إذ يقول ، معرضاً بعزيمة البقاء ، لِيَصْرِفَ التنوخي عن أن يعوقه :

لَكَ الْخَيْرُ ، غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى ، وَغَيْرِي بَغِيرَ (اللَّادِقِيَّةِ) لِأَحَقِّ
هِيَ الْعَرَضُ الْأَقْصَى ، وَرُوَيْتُكَ الْمُنَى ، وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ

وَاتَّخَذَ صَاحِبِنَا اللَّيْلَ جَمَلًا ، كَمَا قَالُوا ، وَانْحَدَرَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَقَدْ امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ
بِأَحْقَادِهِ وَآلَامِهِ وَآمَالِهِ ، وَسَارَ مِنْ بَادِيَةِ إِلَى مَدِينَةٍ ، وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى بَادِيَةٍ ، يَنْظُرُ إِلَى الْفِتَنِ
الَّتِي مَرَّقَتْ أُمَّتَهُ وَأَبْلَتْ جِدَّتَهَا ، وَمَا دَاخِلُهَا مِنَ الْإِنْحِلَالِ وَالتَّفَكُّكِ ، وَمَا أَصَابَ أَخْلَاقَهَا
مِنَ السَّقُوطِ وَالتَّسْفُلِ ، وَمَا فَعَلَتْ الدَّعَوَاتُ السَّرِيَّةُ فِي نَقْضِ مَجْدِهَا ، وَتَفْرِيقِ كَلِمَتِهَا ،
حَتَّى فَشِلُوا وَذَهَبَتْ رِيحُهُمْ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْفِتْرَةُ مِنْ حَيَاةِ الرَّجُلِ ، فِتْرَةً نَظَرَ وَبَصَرَ وَتَجَرَّبَهُ ، وَأَوَانَ تَرَدُّدٍ لَا يَدْرِي
مَا هُوَ فَاعِلٌ وَلَا مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِ . فَقَدْ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْكُوفَةِ عَلَى غَرَرٍ ، مَرَضًا لَجْدَتَهُ ،
لَا رَغْبَةً مِنْهُ فِي دُخُولِهَا ، وَأَخَذَتْهُ الْوَسَاوِسُ فِيمَا يُرَادُ بِهِ هُنَاكَ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ بِالشَّامِ
مِنْ إِرَادَتِهِ إِظْهَارِ نَسْبَتِهِ الْعُلُوبَةِ . وَكَانَ الثَّأْرُ يَغَالِبُهُ عَلَى تَرْكِ النَّيَّةِ وَالْعُودَةِ إِلَى الشَّامِ ، لَوْلَا
مَا يَخَافُ عَلَى جَدَّتِهِ مِنْ سُوءِ فَعْلِهِ . فَدَخَلَ الْكُوفَةَ بِهِمَّةً وَأَحْقَادَهُ وَآلَامَهُ سَنَةَ ٣٢٣ ،
أَوْ فِي أَوَاخِرِهَا عَلَى / الْأُرْجَحِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهَا ، رَأَى وَرَأَتْ جَدَّتَهُ أَنَّ ثَوْرَتَهُ لَيْسَتْ بِمَا
يُجْدَى عَلَيْهِ شَيْئًا ثُمَّ ، فَانصَرَفَ إِلَى مَجَالِسِ الْكُوفَةِ وَمَسَاجِدِهَا ، يَشْتَغِلُ بِطَلْبِ الْعِلْمِ
نَفْسَهُ عَمَّا يُسَاوِرُهَا وَيَهْزُ مِنْهَا ، وَكَانَ لَانْصِرَافِهِ هَذَا وَإِقْبَالِهِ عَلَى شُيُوخِ الْأَدَبِ وَالِدِينِ
وَالْفَلَسَفَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ عُلُومِ الْعَصْرِ ، أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَهْذِيبِ نَهْجِهِ الشَّعْرِيِّ ، وَاسْتَجْمَ بِهِدَاةِ
الْعِلْمِ ، وَاسْتَجَدَّ بِهَا قُوَّةً أُخْرَى عَلَى الثَّوْرَةِ وَالتَّقَلُّقِ ، بَدَتْ فِي شَعْرِهِ بَعْدَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْكُوفَةِ
رَائِعَةً مَدْيُونَةً ، كَأَنَّمَا انْفَجَرَتْ فِي لِسَانِهِ انْفِجَارَ الْبَرْكَانِ فِي زَلَزَلِ الْأَرْضِ .

...

وَكَانَ الْمُتَنَبِّيُ لِسَنَتِهِ تِلْكَ ، سَنَةَ ٣٢٣ ، غَزَبًا لَا يَأْوِي إِلَى سَكْنٍ مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَعَلَّ
جَدَّتَهُ رَأَتْ أَنَّ تَهْدِيءَ مِنْهُ قَلِيلًا بِالزَّوْجِ ، فَزَوَّجَتْهُ عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ مِنْهُ قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ ٣٢٥

قبل خروجه من الكوفة ، ^(١) وذلك لأن المتنبي بعد مرجعه إلى الشام سنة ٣٢٦ ، ذكر لأول مرة في شعره « الأبوة » . فِيمَا عرفناه من خلق أوى الطيّب أنه كان إذا نزل به أمرٌ أو جدٌ في حياته جديد ، فسُرْعَان ما يتلجّج ذلك في صدره ولا يستقرُّ حتى يشير إليه في شعره ، لكثرة ما تلذّ الحوادث في شاعريّة هذا الرجل من المعاني والآراء قال أبو الطيب في قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران قريباً من سنة ٣٣٢ ، يذكر المرأة :

وترى المروّة والفُتوّة والأبُوّة فيّ ، كُلّ مَلِيحَةٍ ، ضَرَّاتِهَا
هُنَّ الثلاثُ المَانِعَاتِي لَدُنِّي في خَلْقِي ، لا الخوفُ مِن تَبَعَاتِهَا

ولعلّ ولدُهُ هذا الذي ذكره في قوله : « الأبوة » هو « محسّد » الذي / ورد ذكره في
١٢١ خبر مرويٍّ وهو بواسط سنة ٣٥٤ [انظر ما سيأتى ص : ٣١٧ - ٣٢٠ في ذكر امرأته وموتها] ، وفيه أنه أجاز شعراً أنشيد ، وورد ذكره أيضاً في مقتل المتنبي ، وأنه قتل معه . فلو فرضنا أنه قُتل وهو في الثلاثين من عمره أو أقل ، لكان هذا التاريخ الذي حدّدناه لزواج المتنبي ، هو أقرب إلى الصواب إن شاء الله .

...

وقد كان قُرْبُ المتنبي من جدّته الحازمة في الكوفة ، وتزوّدُهُ من العلم هناك ، مما ملأه حكمة جديدة بدأت تستعلن في شعره الذي قاله بعدُ . هذا على أنه ، مُقامه بالكوفة ، لم يمدح أحداً ، ولم يتعرّض بشعره لمعروف ولا لمنكر ، على كثرة الأحداث التي كانت في تلك السنوات ، وعلى شدة ما لقي من العنت وهو بين أظهر أعدائه أو أصحاب ثأره ، ولكنه كان متملماً من مُقامه ، مضطرباً في عيشه . وكان أثر هذا التملل والاضطراب في نفسه المُستحصِدة القادرة على الكتمان والاتزان في بعض الأحيان ، أن طَفِقَ يُولّد هذا الشاعر معاني نفسه ، ويختار لها ألفاظها ، ويتنقى

(١) انظر ما سلف ص : ٢٣٥ ، والتعليق هناك .

عباراتها ، مدققاً محصاً مفتشاً عن الكلام الموجز الذى يستطيع أن يضم فيه ما يجيش فى صدره ، ويعتلج فى نفسه ، حتى استوى على طريقة ممتدة من الأصول الشعرية التى بينها فى أول كلامنا ، ^(١) إلى الغاية التى كان يرمى إليها ، ولذلك اختلف نهجه فى الشعر الذى قاله بعد مخرجه من الكوفة فى سنة ٣٢٦ ، اختلف عن نهجه الأول اختلافاً يَبِيناً ، ولكنه لم ينقطع من الاستمداد من الأصل الأول الذى هو الطبيعة القائمة فى النفس ، والتى لا تتغير فى أصلها ، وإن تغيرت فى الصورة والصوغ ومذهب البلاغة والإفصاح .

هذا ، وما من شك فى أن الرواية عن هذه الفترة من حياة الرجل ، / لم تأتنا ١٢٢ بحديث يُعلم به من أمر أى الطيب كثير ولا قليل ، إلا ما حدثناك به من أنه كان يحضر مجلس الناشئ بالمسجد الجامع بالكوفة سنة ٣٢٥ ، لسمع منه شعره ويكتبه مع الكاتبين ، وكان لم يعرف بعد ولم يلق بالمثنى ، ^(٢) إلا أن صاحبنا فى رثائه جدته سنة ٣٣٥ ، قد أفصح عن السبب فى فراقه الكوفة فى هذه المرة بعض الإفصاح ، وعرض بأشياء كانت وقعت له يومئذ هناك . يقول : ^(٣)

وَلَوْ لَمْ تَكُونِ بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا
لَئِنْ لَدَّ يَوْمَ الشَّامَتَيْنِ يَوْمِهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَفْهِمَ رَغْمًا
(تَعَرَّبَ لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا)
(وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجِيَةٍ وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمًا)
(يَقُولُونَ لِي : مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ! وَمَا تَبْتَغِي ؟ مَا أَبْتَغِي جَلًّا أَنْ يُسْمَى)

(١) انظر ما سلف من : ١٨٣ - ١٨٥ .

(٢) انظر ما سلف من : ٢٣٢ ، ٢٣٦ .

(٣) قد آثرنا أن نقل لك الأبيات جميعها فى نظمها لتقرأها متديراً ، فإن فى نفس الشاعر وشعره ، الذى استبطنه منه ما أردنا ، هذا ، وفى نسبه هناك ، ما . . . دليلاً على صحة ما نقول به ، وانظر ما سأتى من : ٢٧٧ ، تعليق : ١ .

(كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالَمُونَ بَأَنِّي) جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتَمَا^(١)
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي
(وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذِيَابِهِ) وَأَصْنَعُ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا
(وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ نَجِيَّتِي) وَتُرْتَكِبُ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعَشْمَا
إِذَا فَلَ عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعِيدِهِ ، وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدُ الْبَاطِلُ الْقَرَمَا
/ (وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ) فَأَبْعُدُ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزَمَا
(كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا ، إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي) بِهَا أَتَّفُ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
(فَلَا عَبْرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعْزُنِي) وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كِرَائِيهَا قَدْ مَا
وَلَا صَحِبْتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا)

قد بينا لك أولاً أن أبا الطيب بقوله لجده في القصيدة : « هبيني أخذت الثأر فيك من العدى » وقوله : « لكن لَدَّ يوم الشامتين بيومها » - إنما أراد « بالعدى » و « الشامتين » جماعة العلويين الذين أخفوا عنه نسبه ، فيما ذهبنا إليه ، ومنعوه الانتماء للذوذة العلوية المباركة [ص : ١٧٠ ، ١٧٤] ، فإذا تقرر عندك هذا وارتضيته ، وجدت أن قوله بعد ذلك :

تَعَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

يدل على أن هؤلاء العدى والشامتين بجده ، والذين منعوه من دخول الكوفة حين قصدها قبل وفاة جدته سنة ٣٣٥ = كانوا في تلك السنة التي فارق فيها الكوفة (٣٢٥) ، أو أوائل سنة ٣٢٦ ، قد أرادوه على خُطَّةٍ خَسِيفٍ ، فأبى أبو الطيب أن يركبها ، وشمخ بنفسه أن يذل لأحد من الناس ، أو يقبل له حكماً يريد أن يُجرِّيه عليه

(١) قوله : « كأن بنهم » ، دليل على أنه أراد قوماً بأعيانهم ؛ ولولا ذلك لقال : « كأن بنيا » ، يرجع الضمير إلى الدنيا ، يعنى الناس جميعاً كما قال بعد : « كذا أنا يا دنيا » . وهذا أسلوب من أساليب أبى الطيب في الإشارة إلى أغراضه التي في نفسه ، والتي لا يريد التصريح بها ، وإنما يجعلها إشارة لمن يريد إفهامهم غرضه .

وفيه المذلة والهوان وإهدار الكرامة ، وإسقاط الفتوة والبرورة ، وآثر أن يخرج عن الكوفة مرأغماً لهم ، مفضلاً آلام الغربة على الهوان في الوطن .

وبين من الشعر أنهم كانوا يستضعفونه ، ويسفّهون رأيهم في ركوب الفلوات ، وتنقله بين البلدان : بقوله : « ما أنت في كل بلدة ؟ » وقولهم : « ما تبغى ؟ » وما تريد من فراق الكوفة ، تذرّع الأرض من بلد إلى بلد ؟ فكان جوابه أن ما يبتغيه أجل من أن يُسمّيه لهم . ثم استدرك على ذلك / فزعم أنهم إنما يسألونه ويُلحّون عليه في استخراج ١٢٤ ذات نفسه ومُضمرها لحوفهم منه ، وأنهم يعلمون أنه سيأتهم بالذبح الذي يترك صغارهم أيتاماً ونساءهم ثكالى . وقد أبلغ في إنذاره لهم بعد كما ترى في الأبيات ، ورهبهم بما يكون منه ، وذكرهم بقومه ومحتدhem وحريتهم وقلّة مبالاتهم بالمهالك ، طبيعة قائمة فيهم ، حتى إن نفوسهم لتكاد تكرر البقاء في أبدانهم ، لما فيهم من الحرية والشرف .

ثم أفصح المتنبي عن الذي أرادوه به في قوله :

فلا عَبَرْتُ بِي سَاعَةً لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبتُنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلَمَا

فكان الذي كان منهم ، كان وضعاً من عزة نفسه ومهانة لها ، وأنهم كانوا يريدون أن يُنزّلوا به ظلماً بيناً لا يَقَرُّ عليه حرٌّ . وعندنا أنهم أرادوا أن يُرضوه برضيخة من المال تكون عليهم كالجزية له ، يأخذها منهم كلّما حال الحول ، على أن يبقى بالكوفة ، ويرضى بما يريدون منه ، غير مخالف لهم ، ولا مُظهر لهم عداوة ، وإن شاء أن يمدحهم بشعره فعَل ، وله عليهم أن يعطوه في مديحه لهم مثل الذي يُخَيِّ به من غيرهم إذا مدحه ، وكَبُر على أي الطيب أن يُرثى بالمال حتى يسكت عنهم ، ويُقَرَّ على ظلمهم له وضميمهم إياه ، وفي الأرض سعة ومراد لمن شاء أن يكون عزيزاً مكروماً .

وخارج صاحبنا من الكوفة قاصداً الشام مرة أخرى ، ونزل على « علي بن إبراهيم

التنوخى » .

- ٨ -

وَأَحْتِمَالُ الْأُذَى - وَرُؤْيَا جَانِبِهِ
 بِهِ - غِذَاءٌ تَضَوَّى بِهِ الْأَجْسَامُ
 ذَلْ مَنْ يَغْطِطُ الدَّلِيلَ بِغَيْشِ
 رَبِّ غَيْشٍ أَخْفُ مِنْهُ الْجِمَامُ
 مَنْ يَهْنُ يَسْتَهْلُ الْهَوَانَ عَلَيْهِ
 مَا لِيُجْرَجَ بِمَيْتٍ لِإِلَامٍ
 أَقْرَارًا أَلَذُّ فَوْقَ شَرَارٍ ؟
 وَمَرَامًا أَنْبَغِي وَظُلْمِي يُرَامُ !

- ١٢٥ / كان شعر أبى الطيب فى أوّل أمره ، كما حدّثناك ، قد اختلطت بألفاظ لا تَسْتَقِرُّ فى الشعر ، وَقَعَتْ إليه من ألفاظ المتكلمين والمتفلسفة وأصحاب المنطق وأهل الجدل فى الملل والنحل وغير ذلك ، وكان أسلوبه يَجْرِى على طريقة هؤلاء فى التّوجيه والتقسيم ، ثم فى توليد المعانى الشعرية على طريقة أهل العصر فى توليد معانى الجدل واللّجاج ، لإرادة الفلج فى الخصومة ، لا لتقرير الحق فى القضاء والحكومة . وأتاه ذلك من قُوّة حافظته وكثرة دوران هذه العلوم فى فكره ، واشتغاله بالنّظر فيها نظر المحقّق المفكّر ، إلّا أن تفكيره لم يكن محضاً لهذه العلوم ، بل كان فى عقّله الذى يفكّر به ، فكّر الشاعر الذى يتّسع بالعلوم ويمدّ بينها وبين طبيعته الشعرية أسباباً من الشّعر والخيال . ولما عاد إلى الكوفة سنة ٣٢٣ ، وهى مقرّ كثير من أئمة العلم والأدب والشعر ، ولزم مجالسهم سنتين أو أشْف قليلاً ، عَمِلَتْ هذه المجالس فى تهذيب علمه الذى وقع عليه فى / الصّغر ، ١٢٦ وعَمِلَتْ طبيعته الشعرية فى هذه العلوم عملها ، وكان له من الفراغ ما يكفيه للتفكير والاتّساع فى النظر ، وللترجيح والتعديل بين علمه وبين طبيعته . ثم كان له من توقّد

ذِهنه ، واشتعال قُوى نفسه الملتبهة بأحقادها وآلامها ، ما يحمله على أستخراج روائع المعانى التى تُوافق همّه وألمه ، وعلى توليد الآيات البيانية التى تتّصل بما فى قلبه وفكره ، وعلى اجتناء العبارة التى تكون فى إيجازها بمنزلة الرّمز لما يدور فى نفسه من المعانى المطوّلة .

...

والآن ، وقد رجع صاحبنا إلى الشام فى جوارٍ على بن إبراهيم التنوخى سنة ٣٢٦ ، كان أوّل ما قال ، هذا الشعر الذى أوجزنا لك فى صفته ، ذالاً على مذهبه الجديد ، وعلى تدرّج حالته النفسية تدرّجاً متوالياً متفاسحاً ... يقول :

أفكّر فى مُعاقرة المَنايَا	وقودِ الخَيْلِ مُشْرِفةَ الهَوَادِي
(زَعِيمٌ لَلقَنَا الحَظُّ عَزَمِي	بَسْفِكَ دَمِ الحَوَاضِرِ والبَوَادِي)
(إِلَى كَمَ ذَا التَّخَلُّفِ والتَّوَانِي !	وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فى التَّمَادِي !!
وشغُلُ النَّفْسِ عَن طَلَبِ المَعَالِي	بِيعِ الشَّعْرِ فى سُوقِ الكَسَادِ !!
وَمَا مَاضِي الشُّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ	وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ
مَتَى لَحَظْتُ بِيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي ،	فَقَدْ وَجَدْتُهُ مِنْهَا فى السَّوَادِ
مَتَى مَا أَرَدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي ،	فَقَدْ وَقَعَ اتِّقَاصِي فى اِزْدِيَادِي

ثم يقول بعد :

(وَمَا العَضْبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى	بِمُنْتَصِيفٍ مِنَ الكَرَمِ التَّلَادِ) (١)
(فَلَا تَعْرِزُكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ	تُقَلِّبُهُنَّ أَفْهَدَةَ أَعَادِي)
/ (وَكُنْ كَالْمَوْتِ ، لَا يَرْتِي لِبَاكِ	بَكِي مِنْهُ ، وَيَرَوَى وَهُوَ صَادِي)
فَإِنَّ الجُرْحَ يَنْغَرُّ بَعْدَ حِينٍ ،	إِذَا كَانَ البِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ (٢)

١٢٧

(١) « الطريف » القريب العهد ، و « التلاد » الموروث المتقادم .

(٢) نغر الجرح بالغين (كفتح) ، إذا انفجر وسال منه الدم . ويقال : جرح نغار ، على المبالغة . وفي رواية

(ينغر) بالفاء يراد بها يتورم . والذى أثبتناه أجود معنى .

وإنَّ الماءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ وَإِنَّ النارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادٍ
(أَشْرَتْ أَبَا الحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمِ تَزَلَّتْ بِهِمْ ، فَسِيرَتْ بِغَيْرِ زَادٍ)
وَطَنُونِي مَدْحَتَهُمْ قَدِيمًا ، وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي
وَأَنَّى عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَعَادٍ ، وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ)
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا أَتَجَهَّتْ رِكَابِي ، وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ

وكان شعر صاحبا في هذا الباب من القول = إلى ما قبل هذه القصيدة = شعراً قريباً لم تستخرجه فكرةً عُلَيمَةً مستوعبة لأحداث الزمن ، ولا نظراً مجرّبة نافذة في ضمير أخلاق الناس ، ولم يكن يزيد على الدلالة على ما في نفس الفتى من السمو ، وما في قلبه من كرم العنصر ، وما تُبْدِي طبيعته الفتيّة من أصول الرّجولة المستحكمة في طبعه وغيّزته ، وما يملأ صدره من أسباب الحقد وطلب الثأر ، وما يكشف عن نيّته في إحداث حَدَثٍ عظيم يُجْلِبُ فيه على أعدائه بخيله وسُيوفه حتى يُدِيلَ لها من « دَوْلَةِ الْحَدَمِ » الذين مَلَكُوا على الناس أمرهم ، وصَرَفُوهم في أهوائهم .

فانظر الآن فَرَقَ ما بين الشعريين : هذا الشعر ، وهذا النَبْدُ الذي أذكره لك من شعره في صباه : (١)

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ
(فَرُّوْهُسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْعَيْظِ ، وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الْحَقُودِ
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي ، وَدَعْ الدُّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ ، وَقَدْ يَعْجِجُ زُرَّ عَنْ قَطْعِ بُخْتِ الْمَوْلُودِ (٢)
وَيُوقَى الْفَتَى الْمَحْشُ وَقَدْ خَوْضَ فِي مَاءِ لَبَةِ الصَّنِيدِ

(١) قصدنا بجمع هذا الشعر هنا أن نَظَرُ فيه بما يغنينا عن الإطالة في تفصيل الفروق بين شعر صباه ، وبين شعره الذي قاله بعد خروجه من الكوفة سنة ٣٢٦ .

(٢) « الْبُخْتُ » بَرَقَّ صغير يُعَشَّى العنق والصدر ، أو كالْبُرْس الصغير يكون للأطفال يقي ملابس الطفل من سائل اللبن والريق ، ويسمونونه في مصر « الْمَرْيَلَة » .

وقوله :

وَمَنْ يَبْغِي مَا أَبْغَى مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَى
أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسُكُمْ
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ آمِرٍ رُوحَهُ لَهُ ،
غَنَائَةُ عَيْشِي أَنْ تَعْتَ كَرَامَتِي
تَسَاوِ الْمَحَايِ عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَسَائِلُ
وَلَا صَدَرْتُ عَنْ بَاحِلٍ وَهُوَ بِاحِلُ
وَلَيْسَ بِعَثٍ أَنْ تَعْتَ الْمَاكِلُ

وقوله :

لَيْسَ التَّعَلُّ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي
وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرَكُنِي
لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أُخِنْتُ عَلَى جِدَّتِي
أَرَى أَنَا سَاءً ، وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ،
وَرَبُّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مُرُوءَتِهِ ،
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِفْلَالِ مِنْ شَيْبِي
حَتَّى تُسَدَّ عَلَيْهَا طُرُقُهَا هِمَمِي
بِرِّقَةِ الْحَالِ ، وَاعْذِرْنِي ، وَلَا تَلُمِ
وَذِكْرُ جُودٍ ، وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ
لَمْ يَثِرْ مِنْهَا كَمَا أَثَرِي مِنَ الْعَدَمِ

إلى آخر القصيدة . وقد مضت منها أبيات ، [ص : ٢٢٠ ، ٢٢١] .

...

فتدبر التّهجين في هذين الضربين من الشعر فضّل تدبّر ، تجد ما رسمنا لك واضحاً بيناً ، وتر أثر هذه الرحلة إلى الكوفة ، على ما بيننا لك آنفاً ، مستعلنًا غير خاف .
١٢٩ / فقد بدأ صاحبنا يفكر بما اكتسب من تجرية ، وما أفاد من علم ، ويدس ما ألم به من الأحداث في شعره منتزعاً للمثل ، وضارباً ببلاغته في مفصيل الحكمة ، ونافذاً بالفاظه في مضمر أخلاق الناس حتى يكشف لك عنها الغطاء . فأنظر أين قوله أولاً : « أرى أناساً ومحصولي على غنم ... » ، من قوله بعد :

فَلَا تَعْرُوكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلُبُهُنَّ أَقْبَدَةَ أَعَادِي

فإنَّ الموضعَ الذى أخذَ منه المعنيينَ واحدٌ ، ولكنه كان فى الأوَّل غَسِيلاً محصوراً غير شامل ، وكان فى الآخر منهما حكيماً شاملاً مترامياً نافذاً إلى أصل طبيعة الكذب فى هؤلاء الناس ، مُمتدَّة من ضمائرهم إلى ألسنتهم . والسرُّ كُلُّ السرِّ فى نسبة تحريك اللسان الذى يظهر المودة والولاء ، إلى الفؤاد الذى يُضْمِر البَغَى والعدوان والكذب والنفاق . (١)

...

هذا ، وقد بدأ أيضاً يَصِف فى شعره ما وصلت إليه الأمة العربية ، إذ ملكتها الموالى من الترك والديلم وغيرهم ممن كانوا أوَّل أمرهم بمنزلة العبيد ، وذلك مما استفادته فى رحلته إلى الكوفة ، وما رآه فى بلاد العربية . ولم يُخَلِّ هذا مما يدور فى نفسه ، وما وقع له من المصائب والمكاييد والحسد يقول وهو يمدح على بن إبراهيم التنوخى أيضاً حين نزل به سنة ٣٢٦ ، أو كان ذلك فى أول سنة ٣٢٧ :

١٣٠ (وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ ، وَمَا / تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمٌ)
 (بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ / تُرْعَى بِعَبْدٍ كَانَتْهَا غَنَمٌ)
 يَسْتَحْشِنُ الْخَزْرَجِينَ يَلْمُسُهُ / وَكَانَ يُبْرَى بِظَفْرِ الْقَلَمِ
 إِنِّ وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي ، فَمَا / أَنْكَرُ أَتَى عُقُوبَةُ لَهُمْ
 وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ أَمْرُو عَلَمٌ / لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمٌ
 يَهَابُهُ أَبْسَا الرِّجَالِ بِهِ ، / وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهِمُ (٢)
 (كَفَانِي الدَّمَ أَنْتَى رَجُلٌ / أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكَرَمُ)

(١) سيكون تفسير هذه الأسرار البيانية واستخلاص حالته النفسية منها فى كتابنا عن المتنبي إن شاء الله ووفق . (هكذا قلت منذ أربعين سنة ، ولم أف بما قلت حتى اليوم ، وأرجو أن أفى بما وعدت إن شاء الله) .

(٢) « أبسا الرجال به » ، آنسهم به ، وأقربهم منه مجلساً ومودة .

يَجْنِي الْغَنَى لِلثَّامِ ، لَوْ عَقَلُوا ، مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعُدْمُ
(هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسَنَ لَهُمْ ، وَالْعَارُ يَنْقَى ، وَالْجُرْحُ يَلْتَثِمُ)

ثم قوله في سنة ٣٢٧ في مدح المغيث بن علي بن بشر العجلي :

أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِقتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى ، مَا عَاشَ ، وَاتَّحَبَا
الآيات [انظر ص : ١٨١] ، وقوله له أيضاً :

فَوَادَّ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ (وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ)
(وَدَهَرُ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارُ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَّتُ ضِخَامُ)
وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّثَامُ (١)
(أَرَانُبَ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلُوكُ ، مُفْتَحَةٌ غُيُوثُهُمْ ، نِيَامُ)
(بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا ، وَمَا أَقْرَأُهَا إِلَّا الطَّعَامُ) (٢)

وأبياتاً أخرى

/ وكانت حكمة المتنبي وبلاغته في هذه الفترة آتية من قبل نظره في أمر نفسه
ودخيلتها وخاصتها ، وما يُحيطُ بها وما يؤثر فيها ، ويثير من كوامنها وعواطفها ، وتَبَيَّنَتْ
فكرته على ذلك . وطَفِقَ يَلْبَسُ الْأُمُورَ وَالْأَحْدَاثَ في الدنيا كلها على امتداد نفسه
واتساع قلبه وهَمَّتْهُ ، فانفجر بين جنبيه يَنْبُوعُ الْكَلَامِ الْمَتَدَفِّقِ ، وفيه من قوته ورُجولته ،
ومن بيانه وفصاحته ، ومن ثأره وَعَدَاوَتِهِ ، ومن تهكمه وسُخْرِيَتِهِ . وَخَرَجَ مَدِيحُهُ أَيْضاً عَنْ
نَهْجِهِ الْأَوَّلِ ، فَصَارَ أَدَقُّ وَأَبْلَغُ في أداء المعاني ، وفي تصوير الفكرة باللفظ الْمُقَارِبِ ،
وانقلب من مَدِيحٍ مَعْرُوفٍ مُقْلِدٍ ضَعِيفٍ ، إلى مَدِيحٍ لَا يُرَادُّ بِهِ الْمَمْلُوحُ خَاصَةً ، وإنما
يريد به الْمُتَنَبِّئُ أَفْكَارُهُ هُوَ فِيمَنْ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَمْدَحَهُمْ ، فوقع في كلامه المبالغة . و « المبالغة »

١٣١

(١) « الْمَغْدِينِ » ، المكان من الأرض تستخرج منه الجواهر ، وهو الذي يسمونه اليوم « المنجم » .

و « الرِّغَامُ » ، التراب .

(٢) « يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا » ، أى يشتد ويستحرق . و « الْأَقْرَانُ » جمع « قِرْن » ، وهو كَفءُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ

في شعر أبى الطيب ليست كالمبالغة في شعر غيره من الشعراء ، فهو إذا ذكر المدح والبالغ في صفته ، فإنما يعطى الشعر حق نفسه من أفكاره في عظمة الرجال الذين عَدِمَهم في زمنه ، وكان يودُّ أن يمدحهم بهذا الشعر ، ويحفظ لهم فيه صورة حية باللفظ الناطق البليغ ، [انظر ما سيأتى ص : ٢٦٣ ، ٢٦٤] .

فأنت ترى أن نبوغ المتنبي إنما بدأ يتجلى ويتكشف حين أرغمتُهُ هَمَاهِمُ نفسه على استيعاب ما يحسُّ به من العواطف المتباعدة والمتقاربة ، فكانت دراسة قلبه ، ومعرفة دقائق ما يُحزُّ فيه من الآلام ، ثم المعانى التى تتولد من هذه الآلام ، أصلاً من الأصول العظيمة في نبوغه ، ثم في طبع شعره بطابع لا يخفى على ناظرٍ أو متأملٍ ، ثم في هَذِهِ إلى أن الشعر لا يكون شعراً إلا حين يَرَوَى من معانى القلب ويستقى منها . ولهذا كانت إجادة المتنبي بالغة أقصَى غاياتها في شعره الذى قاله في تصوير رجال الحرب ، أو في رسم صور الحرب ، أو فيما كشف به عن ضميره الذى كان كَحَوْمةِ الوغى بُغبارها ودمائها / وقتلاها ، وقعقة سلاحها ، وتَدَاوَى أصواتها ، وألتماع أَسْتَهَا وجراحها . واستمرَّ نبوغه ١٣٢ أو أكثره على هذا الباب ، حتى كان اتِّصاله بسيف الدولة ، فبدأت هناك في قلبه معانٍ أُخْرُ ، ^(١) تفاسحت بها نفسه ورُحِبَتْ ، فأمتدَّت بلاغته ، وانبسط نبوغه على الحياة كلها ، فأخذ منها ، ثم أعطى حكمةً باقيةً وبيانا خالداً ، على أن هذه الحكمة وهذا البيان لم ينقطع استمداؤُهُما من نفسه ، وما رُزِيَء به في حياته ، وما أصابه من أحداثٍ وأهوال .

ولو تدبرْتَ لوجدتَ لكل حكمةٍ في شعره أصلاً تاريخياً في قلب هذا الشاعر الذى لم يكن قلبه ينسى شيئاً أو يُقلِّته . وكأنى به ، وهو يقول البيت السائر والمثل الشرود ، كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدوِّى في مِسْمَعِيهِ ، كلُّ ما مرَّ به مما أثر فيه ، فيقول البيت وفى كل لفظة منه سبَّبَ مملود إلى ذِكْرَى يذكُّرها أو فِكْرَةٍ يتخيلها ...

(١) هى معانى المرأة التى أحبها !!

ولنضرب مثلاً قريباً نُوجِزه ، وعليك بَسْطُه ، ففي الأبيات التي وضعناها على رأس هذه الكلمة يقول ...

« وَاحْتِمَالُ الْأَذَى - وَرُؤْيَةُ جَانِيهِ - غِذَاءٌ تَضُنُّوْهُ بِهِ الْأَجْسَامُ »

فأين نجد الأصل التاريخي في هذا البيت ؟ أصل المعنى الذي أرادته الشاعر هو في قوله : « واحتمال الأذى غذاء تَضُنُّوْهُ بِهِ الْأَجْسَامُ » ، ولو كان غير المتنبي ، لوقف عند هذا ، فهو تمام وكفاية ، ولكن المتنبي = الذي (لم يكن قلبه ينسى شيئاً أو يفلته) ، والذي (كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدلّوْهُ فِي مِسْمَعِيهِ كل ما مرّ به مما أثر فيه) ، والذي كان قد احتمل أذى كثيراً من وطنه بالكوفة كما مرّ بك ، والذي كان رجع إلى الكوفة ، وحمل نفسه على / معاشرته من آذوه وهَضَمُوهُ حَقَّهُ ، وأقام بينهم مُرْغَمًا يراهم في كل خُطْرَةٍ بعينه وبخياله = زاد في المعنى وتَمَّمَهُ ، وأثبت فيه قلبه وعواطفه بقوله : « ورؤية جانيه » ، فهذه الجملة المعطوفة المعترضة هي توقيع المتنبي على البيت . (١) وهناك سرٌّ آخر في تسميته « احتمال الأذى » غذاء ، ليس هذا موضع تفصيله ، (٢) وعلى هذا فَيَقْسُ بَقِيَّةَ شعره وحكمته .

...

وبعد . فقد شَعَلْنَا هذا عن تحرير القول في رحلته وَمَدَّخَلَهُ الشام وقد روينا لك في أول هذا الباب أن المتنبي نزل الشام على عليّ بن إبراهيم التنوخي ، وأنشدناك أبياتاً من قصيدته التي مدحه بها وفيها يقول : (٣)

(١) انظر ما سيأتي ص : ٢٥٦ .

(٢) إذا قرأت المتنبي على هذا الأصل ، لم نجد الشاعر الذي يذكره الناس ملء الأفواه « بل نجد شاعراً قدأ لم يرزق الشعر ولا الحكمة مثله ذا لسان وبيان . وسنفرّد في كتابنا باباً كبيراً لبيان هذا الأصل في شعر المتنبي » وتفسير أكثر شعره على هذا المذهب .

(٣) انظر ص : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

أَشْرَتْ أبا الحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ نَزَلَتْ بِهِمْ فَسِيرَتْ بِغَيْرِ زَادٍ

وقد اختلفوا في قوله : « أَشْرَتْ » ، أهى من الإشارة عليه بمدحهم فتكون « أَشْرَتْ » بفتح الشين - أو من « الْأَشْرَ » وهو الفرح والطرب فتكون « أَشْرَتْ » بكسر الشين ، وإسناد الفرح إلى نفسه . والرواية الأولى عندنا أرجح . والظاهر أن المتنبي لما قَدِمَ على عليّ هذا باللاذقية ، أشار عليه بأن يتحدر إلى (طبرية) ليمدح رجلاً - لعله من العلويين أو أشياعهم - فمدحه / مُرْغِماً ولم يظفر منه بطائل ، فعاد إلى عليّ من قَوْرِهِ ١٣٤ وأنشده هذه القصيدة ، ثم قصيدة أخرى صَرَّحَ فيها بذكر بحيرة طَبْرِيةَ ، وما لقي هناك من الأدعياء (وهم الذين يدعون النسب إلى عليّ رضوان الله عليه) فيقول لعلّي .. (والبحيرة التي يذكرها هي بحيرة طبرية المشهورة) :

لَوْلَاكَ لَمْ أَتُرِكَ الْبَحِيرَةَ ، وَالـ	غَوْرٌ دَفِئٌ ، وَمَاوَاهَا شَيْمٌ ^(١)
وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةٌ	تَهْدِرُ فِيهَا ، وَمَا بِهَا قَطَمٌ ^(٢)
كَأَنَّهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا	جَيْشًا وَغَى ، هَازِمٌ وَمُنْتَهَزِمٌ
كَأَنَّهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ	خَفَّ بِهِ مِنْ جَنَانِهَا ظَلَمٌ
تَعْنَتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِبِهَا	وَجَادَتِ الْأَرْضُ حَوْلَهَا الدِّيمُ ^(٣)
فَهِيَ كَمَاوِيَّةٌ مُطَوَّقَةٌ	جُرْدَ عَنْهَا غِشَاوُهَا الْأَدَمُ ^(٤)
يَشِينُهَا جَرِيْهَا عَلَى بَلَدٍ	تَشِينُهُ (الْأَدْعِيَاءُ) وَ (الْقَزَمُ) ^(٥)
أَبَا الْحُسَيْنِ أَسْتَمِعْ ، فَمَدْحُكُمْ	بِالْفِعْلِ ، قَبْلَ الْكَلَامِ ، مُنْتَظَمٌ

(١) « الغور » غَوْرُ الْأُرْدُنِّ . و « شَيْم » بارد .

(٢) « القطم » ، هياجٌ فحل الإبل لضرب الناقة .

(٣) « جادت الأرض » أحيثها بالمطر . و « الدِّيمُ » جمع « دَيْمَةٍ » ، وهو مطر ليس فيه رعد ولا برق يدوم أياماً متتابعة .

(٤) « الماوية » المرأة ، و « الْأَدَمُ » الجلد ، يصنع على قياسها لتدخل فيه المرأة صيانةً لمآثها ورونقها .

(٥) « الْقَزَمُ » ، الدننى اللص الصغير التجئة .

وصف البحيرة وصفاً رائعاً لم يدع لها عيباً إلا عيبتها أنها تجرى على أرض تطوها
أقدام هؤلاء الأدعياء من العلويين واللتام ممن ذكرهم في قوله « القزم » . ولو رجعت قليلاً
إلى ما كنا حدثناك من إرصاد العلويين له بكفر عاقب (وهى بقرب طبرية) في سنة
٣٣٦ بعد ذلك ، ^(١) وجدت أن الذين قصدهم بقوله : « أشرت أبا الحسين بمدح
قوم » ، هم من العلويين أيضاً ، ولعلمهم هم الذين انتهوا الفرصة حين نزل عندهم
ليقتلوه ، ففاتهم برحلته إلى الرملة في جوار أبى محمد بن طُفُج .

وهذا الكيد الذى لقيه ببخيرة طبرية في سنة ٣٢٦ ، وما قاساه من مدح / الذين
أشار عليه بمدحهم على بن إبراهيم ، زلزل نفس الشاعر وهزه هزة رابية قذفت بحميه
الشعرية البركانية التى رويناها لك أولاً ، وتجد فيه أثر ذلك بيناً كقوله :

إِنِّى وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي ، فَمَا أَنْكَرُ أَسَى عُقُوبَةٍ لَهُمْ
وَكَيْفَ لَا يُحَسِّدُ أَمْرُو عَلَمٍ (لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمٌ)

وبين أن على بن إبراهيم لم يكن ليقبل من شاعر أن يمدحه ويقول في مدحه له
يصف نفسه بأن له « على كل هامة قدم » ، إلا أن يعلم ما دفع الشاعر إلى إخراج هذا
القول . وقد تحمّل هذا على لأبى الطيب ، إذ كان هو الذى أشار عليه بمدح علو من
أعدائه ، وزين له الرحلة إليه ، وهو يعلم ما فى نفس أبى الطيب لقوم هذا المملوح
أو هؤلاء المملوحين .

وبقى أبو الطيب قليلاً في جوار على التنوخى ومدحه ، ثم قال له في مدحه
يودّعه ، ويذكر نيته في الفراق :

وَأَتَى عَنْكَ (بَعْدَ عِدِّ لَعَادٍ) وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادِي
مُحِبِّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتُ رَكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ (مِنَ الْبِلَادِ) ^(١)

...

(١) انظر ص : ١٥٥ .

(٢) تأمل ما فى هذين البيتين من نبرة الحزن ، وغمغمة البكاء . هما عبرتان من الدمع لا بيتان من الشعر .

وخرج المتنبي من اللاذقية قاصداً حَلَبَ ، ولكنه لم يبق بها طويلاً ، بل قصد قَصْدَ أنطاكية حين نزها المغيث بن علي بن بشر العجلي ، فمدحه ، وذلك حيث يقول له :

لَمَّا أَقَمْتُ (بَأَنْطَاكِيَّةَ) آخَتَلَفْتُ إِلَى بِالْحَبِيرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلْبَا
/ فَسِيرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي : الْفَقْرَ وَالْأَدْبَا
أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِيفْتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى ، مَا عَاشَ ، وَانْتَحَبَا

وكان ما لقيه أبو الطيب بطبرية لا يزال يهذه منه ، ويعتلج في قلبه وصدره ، فكان شعره في هذه الفترة شعرَ الثائر المفكر المتأمل ، وقد كشف عن ذلك في قوله مثلاً :

فَالْمَوْتُ أَغْدُرُ لِي ، وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ لِي ، وَالْبُرُّ أَوْسَعُ ، وَالْدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

وفي قوله « وَالْبُرُّ أَوْسَعُ لِي » ، سرُّ تَقْلُقِهِ بين بلاد كثيرة في فترة وجيزة ، فإنه كان يريد أن ينال نيلاً عظيماً بكثرة التجوال ، حتى إذا ما جمع ما يريد استطاع أن يفعل ما قال وما أنذر بقوله : « والدنيا لمن غلبا » .

...

وكانت قصيدته الثانية في مدح المغيث بن بشر أروع من الأولى ، وأكثر إفصاحاً عن نفسية الشاعر في تلك الفترة ، فإنه كان قد هدأ واستجم من وعناء السفر ، ووجد الوقت كافياً ، والقول ذا سعة ، فقال كاشفاً عن ضميره ، ومصرحاً بآرائه في الآيات التي ذكرناها ، وأولها ، [ص : ٢٥٠] :

فَوَإِذَا مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ (وَعُمُرٌ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّثَامُ)

وفي هذه القصيدة (غير الآيات التي مرّت آنفاً) ، إشاراتٌ عجيبةٌ إلى ما في نفسه ، كقوله في المغيث :

تَلَذُّ لَهُ الْمَرْوَةُ ، وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعَشَقُ يَلْذُّ لَهُ الْعَرَامُ

فَقَوْلُهُ : « وَهِيَ تَوْدِي » ، هُوَ تَوْقِيعُ الْمُتَنَبِّئِ عَلَى الْبَيْتِ كَمَا ذَكَرْنَا ، ^(١) / إِذْ كَانَ الرَّجُلُ لَا يَرَى فِي عَصَاهُ مَرْوَةً إِلَّا وَقَدْ احْتَوَشَتْهَا اللَّثَامُ بِالسَّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَيَخْصُ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ، إِذْ كَانَ هُوَ صَاحِبُ الْمَرْوَةِ الَّتِي لَقِيَ بِهَا وَفَعَلَهَا أَذَى كَثِيرًا مِنْ أَعْدَائِهِ وَالْحَاسِدِيهِ وَالنَّازِرِينَ إِلَيْهِ ، وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا :

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ (وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ دَامٌ)

فَهُوَ يُغْرِقُ بِهَذَا الشَّطْرِ الْأَخِيرِ مَنْ أَرَادُوا أَنْ يُنِيلُوهُ نِيْلًا فَعَفَّ وَأَبَى ، وَآثَرُ الْفَقْرِ عَلَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْ نَوَاهِمُ شَيْئًا ، كَمَا مَرَّ بِكَ فِيمَا فَرَضْنَاهُ فِي مَسْأَلَةِ دَخُولِهِ الْكَوْفَةَ فِي الْبَابِ السَّابِقِ ، [م : ٢٤٢ ، ٢٤٣] .

...

ثُمَّ رَحَلَ الْمَغِيثُ عَنْ أَنْطَاكِيَّةٍ مِنْ قَوْرِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّئُ :

وَأَلَيْسَتْ مِنْ مِوَاتِنِهِ ، وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا مَرَّ الْعِمَامِ

فَالْتَفَتَ أَبُو الطَّيِّبِ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَمْدَحُهُ إِلَّا الْقَاضِي أَبَا الْفَرَجِ أَحْمَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْمَالَكِي ، ثُمَّ عَلَيَّ بْنَ مَنْصُورِ الْحَاجِبِ ، وَعَمْرُ بْنُ سَلِيمَانَ الشَّرَائِي ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ يَتَوَلَّى الْفِدَاءَ بَيْنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ ، وَلَيْسَ فِي مَدْحِهِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ شَيْءٌ يَذْكُرُ ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَدْ مَلَّ ، فَهُوَ يَقُولُ لِيَكْتَسِبَ مَا يَقُوتُهُ وَيَقُوتُ أَهْلَهُ ، ثُمَّ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ، وَضَاقَ ذَرْعًا بِمَا يُكَادُ بِهِ ، فَعَزَمَ عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَى جَمْعِ وَلُبْنَانَ ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْفَرَادِيسِ مِنْ أَرْضِ قِنْتَرِينَ ، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا (حَمَص) ، فَسَمِعَ زَيْبَرَ الْأَسَدِ فَقَالَ :

أَجَارِكِ يَا أَسَدَ الْفَرَادِيسِ ، مُكْرَمٌ ؟ فَتَسْكُنُ نَفْسِي ، أَمْ مُهَانَ فَمُسْلَمٌ
وَرَائِي وَقُدَامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لِصٍّ ، وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ

١٣٨ / فَهَلْ لَّكَ فِي حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ
إِذَا لَأَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثَرَيْتَ مِمَّا تَعْنَمِينَ وَأَغْنَمُ

وفي خطاب أبي الطيب للأُسَيد في هذه الأبيات ، يتجلى كل ضميره وما فيه من آثار العداوة ، وما فيه من المطالب والأمانى ، وهى تدلُّ دَلَالَةً بَيِّنَةً على أن الرجل كان قد ملَّ من مدحهم ، وأراد أن يجد مَنفَعْدًا يَنفَعُذُ منه إلى تحقيق آماله وآرايه في إدراك ثأره من عُدااته ، وإصلاح ما أفسد الحكم القائم في البلاد العربية ، وكان يودُّ أن يَلْقَى الرَّجُلَ الذى يُعِينُهُ ويستعين به على أغراضه ، ويكشفَ له عن ضمير نفسه . فكان مدحُه ، هو المقْدَمة للاتصال والاختبار : أن يجد عند أحدٍ ما يؤمِّل ، فمدح في طريقه « الأنطاكي عبد الرحمن بن المبارك » ، ولكنه لم يجد لديه شيئاً ، فقصده إلى لبنان في جوار الكاتب « أنى على هرون بن عبد العزيز الأوراجي » ، وبقي عنده ومدحه مدحاً عظيماً ، ولكن الرَّجُلَ لم يكن عند ظنِّ أبي الطَّيِّب ، فأقام عنده يستجمُّ من مشقَّة السفر في رُبَى لُبْنان ، يصطاد وَيَطْرُدُ ، ويغترِفُ من ينبوع الجمال الذى أُنْبَطَهُ الله في تلك البلاد .

...

وَمَهْمَهُ جُبْتُهُ عَلَى قَدِيمِي
تَعَجَّرُ عَنْهُ الْقَرَامِيسُ الدُّلُلُ
بَصَارِي مُرْتَدٍ ، بِمَخْبَرِي
مُجْتَرِي ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلُ
إِذَا صَدِيقُ نَكِرَتْ جَانِبُهُ
لَمْ تُعْنِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيلُ
فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ ،
وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ

- ١٣٩ / كَانَ لِهَذَا الاضطراب والملل الذي استشعره أبو الطيب في رحلاته في البلاد التي أوجزنا لك رَسْمَهَا ، أثر كبير في قلبه المَوْجَع المتأمل . وكانت أيام الهدوء والراحة التي أهتبلها من غفلة الزمن قَدْ جَدَّدَتْ معانِي قلبه ، وَرَمَتْ في فؤاده بالحطب الذي يُوقِدُ به ناره . فلما ملَّ الأوراجي وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ شَيْعاً وَلَا عِزْماً ، عزم على فراقه ، وجعل يتلَقَّفُ فرأى أبا الحسين بَلَرِ بن عَمَّار بن إِسْمَاعِيلِ الأَسَدِيِّ قد صَعَّدَ إلى طَبِيبَةٍ من قَبْلِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ رَاقٍ لِيَتَوَلَّى حَرْبَهَا ، أَى قِيَادَةَ جَيْشِهَا وَحِمَايَتَهَا فِي سَنَةِ ٣٢٨ . كَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ ، فِيمَا نَظَرَ ، غَرِيْباً مَاضِياً كَالسَّيْفِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ سَمْحاً ، قَرِيبَ الْمَذْهَبِ مِنْ أُنَى الطَّيِّبِ فِي بَقْضَاءِ الْعِجْمِ ، لَمَّا أَنْزَلُوهُ بِالدَّوْلَةِ مِنَ التَّفْرِقَةِ وَالتَّمْزِيقِ ، وَعَرَفَ أَبُو الطَّيِّبِ بَعْضَ أَخْبَارِهِ ، فَقَصَّده فَرِحاً ، كَأَنَّمَا وَجَدَ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنَ الْفِكْرَةِ وَالسُّطُوَةِ / وَالسُّلْطَانِ وَالْقُوَّةِ ، وَالرَّجُولَةِ ١٤٠ الْفَذَّةِ الَّتِي أَبْدَعَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي صِفَتِهَا بَعْدَ حِينٍ أُعْجِبَ بِهَا وَفُتِنَ . وَكَانَتْ أَوَّلُ قَصِيدَةِ مَدْحِهِ بِهَا تَدُلُّ عَلَى مَا أَدْرَكَ أَبُو الطَّيِّبِ مِنَ الْفَرَحِ وَالنَّشْوَةِ وَاتِّظَارِ الْفَرَجِ عَلَى يَدَيْهِ :
- أَحْلُمَا نَرَى ، أَمْ زَمَانًا جَدِيدًا أَمْ الْخَلْقُ فِي شَخْصٍ حَيٍّ أُعِيدَا ؟
تَجَلَّى لَنَا فَاضْئَانَا بِهِ كَأَنَّا نَجُومٌ لَقِيْنَ سَعُودَا

فقد جمع أبو الطيب في هذين البيتين كل عاطفة ينض بها قلبه ، وكل ما هزها واستثارها من الفرح بهذا العربي الذي :

تَعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقَهُ كَانَهُ بِالذِّكَاةِ مُكْتَحِجِلُ
(أَشْفِقُ ، عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ ، عَلَيْهِ مِنْهَا ، أَحَافُ يَشْتَعِلُ)

وبقى المتنبي في جوار بدر وفي مجالسه (وفي عريته) من أواخر سنة ٣٢٨ إلى أوائل سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لا على التحقيق ، ^(١) أطال المُقام في جواره ، وكأنه كان قد أحبَّ الرجل حباً عظيماً لما يرى من مروءته وقُوته ورجولته . والظاهر أن بدرًا قد وجد في نفسه لأبي الطيب مثل ما وجدَ له ، فأعان ذلك الشاعر على أن يتفتح ويُجيد ويبدع ، فإن مدائحه لبدر تكاد تكون في الطبقة الثانية من جيد شعره ، وفيها أبيات في الطبقة الأولى من الشعر العربي كله . وقد بدأ نهجه أيضاً يتغير ويتميز بألوان وآيات . ولا عجب ، فقد مارس الرجل الحياة بشاعريته ، وتلقف من الدنيا عبرها وحكمتها ، وسمع منها وحفظ عنها ، وأعمل فيها ذهنه المتوقد ، وأرسلها إلى قلبه ليقتنها بناره ، ويصوغها في بيانه الذي وصفناه أولاً ، ثم زين بها كلامه .

/ ولم يكن أبو الطيب ، طوال هذه السنين ، يدعُ استيعاب الكتب والآراء ونقدها ، والتبصُّر في أعقابها وأطرافها . وأيضاً فإنه كان قد بدأ يستحكم بفعل طبيعة الحياة البشرية ، فقد شارب الثلاثين ، وامتلاً شبابه بقوته وقُوته ورجولته ، وعبَّ قلبه بآلامه وأحقاده وآماله التي كان يجاهد فيها ويسعى لها ليحققها . وأيضاً فإن الأمل في إدراك الطلب ، وبلوغ الأمنية والظفر بها ، وقرب تحقق الفلج على الخصوم ، مما يُشعل القلب ويزيد النفس مضاً وتفاذاً . وقد كان له ذلك كله في جوار صاحبه وحبيبه بدر بن عمار الأسدي العربي الذكي الفؤاد ، فاتخذ أبو الطيب سبيله في الشعر عجباً ، واستقام

١٤١

(١) فيما سلف ص : ٩٢ - ٩٨ ، حديث عن هذا التاريخ ، وكيف فعل أستاذنا الدكتور عزام رحمه الله ، لأننا نعيش في زمن الأعاجيب !! وزمن بلاشير الأعجمي الذي ألف كتاباً عن المتنبي ، يعتمد عليه هؤلاء الأساتذة الكبار ، مع ما في الذي يعتمدون عليه من فاحش الخطأ والفهم .

على طريقته ، ومضى على غلوائه ، ورمى الدنيا بعيني عقاب كاسر يتلو فريسته أن تفر منه ، وزاده علواً ما وجد من حماية بدر له في طبرية موطن أعدائه كما حدثناك ، وأوزى زناذه ما لقي من عداوة بعض الشعراء له ، وما سعى به الوشاة المفسدون لدى بدر بن عمار ليقلبوا عليه قلبه . ومثل أوى الطيب إذا أريد به الشر أنتفض انتفاضة الأسد إذا رامه عدو ، وفي انتفاضته تنقذ قوته كلها على لسانه البليغ المين ، وذلك لقوة أعصابه ، وشدة توثرها ، وسرعة تأثرها مع ذلك .

...

وفي جوار بدر بن عمار الأسدى بدأت عصبية أوى الطيب للعرب والعربية تُسفر عن وجهه ، وتجلو عن نفس الشاعر ظلمات قد ضربت عليها حجابها ، وهيأت شاعريته لما يستقبله لدى سيف الدولة العدوي العربي هازم الروم ، وقامع الدسائس الفاطمية بالشام وبعض العراق . وبذلك كله كانت هذه / الفترة ، من ترتيب الزمن في تكوين ١٤٢ الشاعر الأكبر ، تطريقاً وتمهيداً للنبوغ الفذ الذي استودعه الله في قلب هذا الشاعر وفكره وأدبه وقوته وحقده وثأره والعصر الذي عاش بين أهله مُبتلى بمعاشرتهم أو كما قال في آخر عمره يعنى نفسه :

وَقَتَّ يَضِيعُ ، وَعُمُرٌ ... لَيْتَ مُدَّتَهُ فِي غَيْرِ أُمْتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ !!
أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ فَسَرُّهُمْ ... وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ !!

وقوله في صدر شبابه ، يعنى أهل عصره :

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامِ
وَدَهَرُ نَاسِهِ نَاسٌ صِغَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُنْثٌ ضِحَامُ

...

أحبَّ أبو الطيب بدر بن عمار ، وأحبه بدر وأكرمه ورفعته إليه وعزَّزه ونصَّره على أعدائه من العلويين أو أشياعهم بطبرية وما جاورها ، ووجد كلاهما في صاحبه ملجأً يأوي إليه . فقد كان أبو الطيب مهضوماً مطاردًا ، وكان قلبه ممتلئاً من آثار الظلم التي أوقعها جبابرة العصر بالعرب ، وكان فكره متبعاً لدهاء ذُهاة السياسة الذين كانوا يعملون على قلب الدولة أو تمزيق شملها بالشعبوية العجمية البغيضة المبعضة إليه ، وكان يرمى ببصره فلا يجد العربي الذي يأوي إليه ، فإن وجده فبينه وبينه أهوال . فلما وجد بدرًا ، ووجد في قلبه وفكره مثل الذي في قلبه وفكره ، توقَّد الرجل الشاعر توقُّد النار المستعرة قد وجدت طعامها من الحطب .

١٤٣ وبدأ يصف بدرًا العربيَّ الشجاع المحارب ، ويصف الحرب ، ويصف / كلَّ قوة أو مثلاً من قوة ، ويُدَّع في ذلك كُلَّهُ مستمدًّا من قلبه الجريء ، وخياله المتسامي إلى أشراف السُلطان والعلبة ، حتى خرجت مدائحُه في بدرٍ آيةً في دقة التصوير ، وسمو المعنى ، وشرف الغاية ... يقول في صفة بدر :

(هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ ، فَمَا	يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلُ)
يَكَاذُ ، مِنْ طَاعَةِ الْحِمَامِ لَهُ ،	يَقْتُلُ مَنْ مَا دَنَا لَهُ الْأَجَلُ
يَكَاذُ ، مِنْ صِحَّةِ الْعَزِيمَةِ ، مَا	يَفْعَلُ قَبْلَ الْفَعَالِ يَنْفَعِلُ
(تَعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقَهُ ،	كَأَنَّهُ بِالذِّكَاكِ مُكْتَحِلُ)
(أَشْفَقُ - عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ -	عَلَيْهِ مِنْهَا ، أَخَافُ يَشْتَعِلُ)
(أَغْرُ ... أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا	بِالْهَرَبِ ، اسْتَكْبَرُوا الَّذِي فَعَلُوا)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِجَةٍ	أَرْبُعَهَا ، قَبْلَ طَرْفِهَا ، تُصِلُ (١)

(١) يقال : « أَقْبَلْتُ الشَّيْءَ » ، إِذَا قَابَلْتُهُ بِهِ . و « السَّابِجَةُ » ، من الخيل تَسْبُحُ في عدوها ، صفة غالبية .

و « السَّوَابِجُ » هي الخيل .

جَرْدَاءٌ مِلءِ الْحِزَامِ مُجْفَرَةٌ تَكُونُ مِثْلَى عَسِيْبِهَا الْخُصْلُ^(١)
 إِن أُذْبِرْتَ قُلْتَ : لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ : مَا لَهَا كَفْلُ^(٢)
 وَالطَّعْنُ شَزَزَ ، وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ ، كَأَنَّمَا فِي فَوَادِهَا وَهْلُ^(٣)
 قَدْ صَبَعَتْ خَدَّهَا الدَّمَاءُ كَمَا يَصْنَعُ خَدَّ الْخَرِيْدَةِ الْحَجَلُ
 وَالْخَيْلُ تَبْكِي جُلُودَهَا عَرَقًا بِأَذْمُجٍ مَا تُسْحَهَا مُقْلُ
 سَارٍ ، وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَأَنَّمَا كُلُّ سَبَسِبٍ جَبَلُ^(٤)
 يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةٌ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسْلُ^(٥)
 (يَا بَدْرُ ، يَا بَحْرُ ، يَا غَمَامَةُ ، يَا لَيْثَ الشَّرَى ، يَا جَمَامُ ، يَا رَجُلُ)
 (إِن الْبَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ عِنْدَكَ ، فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ)
 (إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ ، فَقَدْ بَخِلُوا)
 (قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا آمَتْشَقُوا ، قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا اعْتَقَلُوا)
 (مِثْلُكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ ، وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوْلُ)

...

/ ومن تدبّر هذا التّهج في المديح ، ورجع إلى مدائحه الأول ، ولم يُخلِ فكره مما ١٤٤

- (١) « الفرس الجرداء » ، القليلة الشعر و « مُجْفَرَةٌ » ، عظيمة الجفرة ، وهي الوسط ، مدح في الخيل .
 و « العسيب » ، عظم ذنب الفرس ، و « الْخُصْلُ » ، جمع « خُصْلَةٌ » ، وهو شعر الذنب ، ويستحب طول شعر الذيل .
 (٢) « التليل » ، العنق ، و « الكفل » ، عَجَزُ الفرس . فهي مشرفة الكفل ، عريضة الصدر . إذا رأيتها مدبرة
 لم تر عبقها من إشراف كفلها ، وإذا رأيتهما مقبلة رأيت تليلها وسعة صدرها ، وغابَ عنك كفلها .
 (٣) « الوهْلُ » ، الفَرْعُ والرُّعْبُ .
 (٤) يسرى بحيلة في القلواتِ فلذلك امتنع أن تكون قفراً . و « السَّبَسِبُ » المطمئن من الفلاة الواسعة ،
 يصير بحيلة كأنه في الفلاة جبل .
 (٥) « الْأَسْلُ » ، الرماح ، تشتجرُ رماحه من كثرتها ، فإذا جاء مطر لم يُصِيبْ الفلاة منه شيء لتضايقه
 واشتياكه .

ذكرناه في أول هذا الباب ، وجد في هذا الشعر عاطفة الشاعر التي عطفتها على بدر ، وعرف أن هذا الشعر ليس مديحاً كالذي تلوكه الألسنة ، وينقده نقاد عصرنا هذا ، بل هو تصويرُ الرجولة وإبرازها في ألفاظها الحية ، وتفصيلُ مميزاتِها عند الشاعر ، ووجد أيضاً صديقاً في ذلك كله ليس لشيعر ، ولا لشعر ألى الطيب نفسه فيما سبق من مدائحه . وهذا موضعٌ للتدبر والتأمل ، فتدبره وتأمله ، ^(١) ... وتأمل قوله : « يا بدر ، يا بحر » ، فقد ناداه باسمه ، ثم بصفة صفةٍ من بعض صفاته ، فلما امتدَّ في الصفات إلى كلِّ غاية ، ووجد أنها مما لا يُفرغ منه ، ضمَّن كلَّ المعاني التي في نفسه من صفة بدر في لفظ واحد هو قوله : « يا رَجُلُ » ، فقد كانت الصفة الجامعة لكلِّ صفات صاحبه هي « الرَّجُولَةُ » ، تحتها كل كريمة من معاني النفس : من مروءة وهمة وشجاعة وسماحة وسناء .

...

وكان المتنبي ، في عشرته لابن عمار ، قد بدأ يُفسِّح في شعره مجالاً لإحساسه القوى بالجمال القوى المشبوب ، معبراً عنه بالعبارة المُرسلة من قلبه القوى المشبوب ، فكانت قصيدته في وصف الأسد ، والمقابلة بينه وبين بدرٍ وأسدَيْته وقوته ، رائعة قليلة المثل ، مُفردة من بين الشعر العالی ، اجتمعت له فيها الحكمة / السهولة ، والبيان المشرق الندى ، والخيال الجامع المقتدر المبدع ، والاختيار الصافي للصفات المميزة التي تجعلك تقرأ صفة ما يصف ، وكأنك تراه ماثلاً بين عينيك . ولا بأس من أن تُورد لك بعض ذلك على سبيل المثال هنا ، إذ كانت هذه الطريقة الشعرية قد بدأت عند الرجل ، ثم استحکمت فيه حتى بلغت أقصى غاياتها من شعره الذي قاله في سيف الدولة بعد .

قالوا : (خرج بدر بن عمار إلى أسدٍ فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج

(١) ليس فيما بقي لدينا من (المقتطف) سعة حتى نشرح هذا ، فنسأل القارئ أن يعيننا بذلكه ولفظه وأدبه ، فإن غمض عليه شيء ، فليراسلنا بعنواننا ، ليتسنى لنا أن نوفي أبا الطيب حقه في كتابنا إن شاء الله ، ثم انظر ص : ٢٥٠ - ٢٥١ .

قبله إلى أسدٍ آخرَ كان يقطع طريقَ السابلة ، ويُلاحق بهم أذى كثيراً - فهاجه عن بقرة
أفترسها بعد أن شبع وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه ، فبادره
بالسوط يضربه حتى مرَّغه في التراب) ، فقال :

أَمَعَّرَ اللَّيْثُ الْهَزِيرَ بِسَوَطِهِ ١ لِمَنِ آدَخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟
وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ، نُضِذْتُ بِهَا هَامَ الرِّفَاقِ ثُلُولَا
وَرَدَّ ، إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبَا ، وَرَدَ الْفَرَاتَ زَيْبُهُ وَالنِّيْلَا
(مَتَحَضَّبَ بِدَمِ الْفَوَارِسِ ، لَا يَسُ فِي غِيْلِهِ مِنْ لَيْدَتَيْهِ غِيْلَا)
(مَا قُوِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنْتُ ، تَحْتَ الدُّجَى ، نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا)
(فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا)
(يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تَيْهِهِ ، فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيْلَا)
(وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوحِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ لِكِيلَا) (١)
(وَتَظْنُهُ مِمَّا يُزْمَجِرُ ، نَفْسُهُ عِنَّا ، لِشِدَّةِ غَيْظِهِ ، مَشْغُولَا)
(قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى ، فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمَى جَوَادَهُ مَشْكُولَا) (٢)
(أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ ، وَبَرَبَرَ دُونَهَا ، وَقُرَيْتَ قُرْبَا خَالَهُ تَطْفِيلَا) (٣)
/ فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا
(أَسَدٌ يَرَى غَضَبِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا : مَتْنًا أَزَلَّ ، وَسَاعِدًا مَفْتُولَا) (٤)

١٤٦

(مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ حَتَّى حَسِبْتُ الْعَرَضَ مِنْهُ الطُّولَا)
(وَبَدَأَ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلَا)

(١) « العفرة » ، لبدة الأسد ، وهو الشعر النابت على قفاه .

(٢) « الكمي » الفارسي في سلاحه . و « المشكول » المقيد .

(٣) « بربر » زجر و زأر ، و « البريرة » ، كلام الغضبان .

(٤) « المتن » ، متن الظهر ، و « أزَلَّ » ، قليل اللحم .

وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ ، فَادَّتْنِي ، لَا يُصِيرُ الْخُطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلًا
(أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ ، تَارِكٌ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا)
(وَالْعَارُ مَضَاضٌ ، وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ خَتْفِهِ ، مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا)
(سَبَقَ التَّقَاءَ كُهُ بَوْبَةِ هَاجِمٍ لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ لَجَارَكَ مِيلًا)
خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ ، فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَ (١)
فَبَضَّتْ مَنِيتَهُ يَدَيْهِ وَعُنَقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَقَتْهُ مَغْلُولًا
سَمِعَ أَبْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَحَالَهُ ، فَتَجَا يُهْرُولُ أُنْسٍ مِنْكَ مَهُولًا
(وَأَمْرٌ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ ، وَكَفَنٌ لَهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا)
(تَلَفَ الَّذِي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ حُلَّةً ، وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا)

فهذا شعر لو ذهب أئينه وأفضله وأجلوه ، لما أعاننتى هذه الورقات
ولا وسعتنى ، وفيما رسمته في طريق كلامي عن شاعرية الرجل كفاية لو تدبرت . وقد
أثبتنا لك كثيراً من القصيدة اللامية السالفة ، ثم من هذه في وصف الأسد ، لأن هاتين
القصيدتين هما (نقطة الانقلاب) ، كما يقولون ، في شاعرية أبي الطيب من النهج الأول
إلى النهج الثاني الذي لزمه وسار في ذريته ، وتميَّز به . ففى هاتين تجد أبا الطيب فتى وكهلاً
وشيحاً . ولو قسَّتهما إلى ما يأتي بعد من / شعره ، لوجدت أن الرجل قد بدأ يستمر
مَريَّه بدءاً من هذه السنوات التي أقامها عند بدر بن عمار منذ سنة ٣٢٨ ، وفيهما أيضاً
الأصول النفسية والشعرية والبيانية التي مددنا لك أطرافاً منها في ثنَّيات القول .

...

ولابدُّ هنا من الإشارة إلى موضع يكثر مَوْرِدُهُ في شعر أبي الطيب : ذلك أن الرجل
= لاستحكام أصل الرجولة والمروءة والفتوة في نفسه غير مُدَّعٍ ولا متمثل = كان إذا رأى
ما يخالف الرُّجولة ويحطُّ منها ، اهتزَّتْ نفسه واشمأزَّ ، وأبدى ازدراءً واحتقاراً ، فهو يحبُّ

(١) « التجديل » ، الوقوع على الأرض ، وهي « الجدالة » .

من عدوه أن يستمسك بعروة الرجولة في اللقاء والهزيمة والنصر ، كما يحب ذلك من نفسه فحين قرَّ الأسد الثاني الذى ذكره ، من بدر بن عمار بعد هزيمة (ابن عمته) ، استدعى ذلك احتقار أى الطيب له ، فثارت رجولته كُلُّها لهذا الفرار القبيح من أسدِّ هو الأسد ، فضمَّن شعره هذا المعنى من الازدراء والسخرية به حيث يقول :

« سَمِعَ (أَبْنُ عَمَّتِهِ) به وبحالهِ ، فَتَجَا يُهْرُولُ أَمْسِي مِنْكَ مَهُولًا »
« وَأَمْرٌ مِمَّا قَرَّ مِنْهُ فَرَاؤُهُ ، وَكَفَّتِلَهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا »

فمن ألوان السخرية والتهكم والازدراء لهذا الأسد الجبان ، أنه حين وصف فراره جعله (هَرْوَلَةً) ، والهرولة حالة بين المشى والعدو ، فهو من خوفه واضطرابه ترك المشى وأراد العدو ، ولكن منعه الهلع أن يعدو ، فاضطكَّ ، فصار عدوه للفرار بنفسه لا هو من العدو ولا هو من المشى . ثم أبدى فى البيت الثانى كُلَّ احتقاره له بقوله : « وَكَفَّتِلَهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا » ، / فما يحسن بأسد أن يفرَّ ، وإلّا ما هما حُطَّتَانِ : إمّا صَبِرَ وظفرٌ ، وإمّا ١٤٨ إقدامٌ وحَتَفٌ ، فبذلك يُثَبِّت الأسد أنه أسدٌّ لا خروَفٌ ولا نعامَةٌ .

ولنضرب لك مثلاً آخر فى ذلك . ففى سنة ٣٤٢ أوقع سيفُ الدولة بالروم فى موقعة (بطن هنريط) ، وكان الدُّمستقُّ وولده يحاربانه ، فجرح الدُّمستقُّ ، وأصيب ولده فى مقتل أشْفَى به على الموت ، وفرَّ الدُّمستقُّ تاركاً ولده فى يد الموت ، فلم يُفْتِ أبا الطيب ، حين ذكر هذه الموقعة ، أن يشير إلى هذه الحادثة ، وأن يدلَّ على ازدرائه واحتقاره لهذا الدمستق الدليل الجبان الذى خلّف مُهْجَتَهُ وولده للموت ، فكان مما قال :

لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتَقُّ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يُوُولُ
(نَحَزْتُ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً ، وَخَلَفْتُ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ)
(أَسْلِمْتُ لِلْحَطِيَّةِ أَبْنَكَ هَارِبًا ؟! وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ)
.. (يُوَجِّهُكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرْشَةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ) (١)

(١) « المرشة » طعنة رمح تفجر الدم فتشره رشاً .

وهذه الأبيات غاية في الدلالة على استحكام الرجولة في طبع أى الطيب ، وأنه كان يؤذيه ويثيره أن لا يجد في الرجل صفة الرجولة : من إقدام وصبر ومروءة وشهامة ، وما إلى ذلك من كريم الصفات ، ولو كان أولئك الرجال من أعدائه . وأعد قراءة البيت الثالث ، فكأنك بأبى الطيب ينشده متعجباً مزدرياً ، ثم يصبق على صورة هذا الجبان الدمستق .

...

/ ثم رَجَعْنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ ... وجد أبو الطيب في بدر بن عمار (الرَّجُل) ، فاستقرّ وهذا حيناً ، وملأ نفسه من خلال القوة والفتوة والمروءة التي تحقّق بها بدر . ولكن وقع في هدوئه واستقراره واقع هزّه ونفضه ، وذلك أنه وهو بطبريّة ، التي كان بها العلويون من أعدائه ، والذين ذكرهم فيما قدمناه لك في قوله في صفة البحيرة ، بحيرة طبرية : ^(١)

« يَشِينُهَا جَرِيْهَا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ (الأدعياء) و (القرم) »

لم يفتأ يجد من عداوتهم له كيداً كثيراً ، حتى سَعَوْا به لدى بدر بن عمار ، وأغروا به الشعراء ليغيظوه بالسنتهم ، وكان هنالك رجل ممتّع بإحدى عينيه (أعور) ، يدعى ابن كرويس ، وكان قد اتصل ببدر ، وكان من أشد أعدائه عليه ، ولذلك قصده بالذّكر من بينهم . ونحن وإن لم نكن نعرف شيئاً عن هذا (الممتّع) ابن كرويس ، إلا أنه يحلّل إلينا أنه كان من صنائع العلويين أو الفاطميين ، ^(٢) صحب بدر كالعين عليه ، ثم ليجعله ينحاز إليهم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، على عادتهم مع الأمراء وغيرهم ، تمهيداً لقلب الخلافة من العباسية إلى العلوية أو الفاطمية .

فلما كان ذلك ، دخل على فرح أبى الطيب ما رده إلى قلقه وأضطرابه وغموه

(١) انظر ص : ٢٥٣ .

(٢) انظر ما سيأتي أول الفصل العاشر ص : ٢٧٣ .

وهوموه ، فعاد يذكر أحزانه ، ويُقَلِّبُ الرأى فى الفراق ، إذ لم يجد عند بدر عُضْداً ينصره
نُصْرَةَ المحبِّ لحبيبه ، فيقول :

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْعُوفٌ بِقَلْبِي فَسَاعَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوِصَالَ
/ كذا الدنيا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يُدْمَنْ عَلَيْهِ خَالاً
(أَشَدُّ الْعَمِّ عِنْدِي فِي سُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ آتِيقَالاً)
(أَلْفَتْ تَرْحُلِي ، وَجَعَلْتُ أَرْضِي قُتُودِي وَالْغُرَيْرِي الْجُلَالَ) (١)
(فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَاماً ، وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالاً)
(عَلَى قَلْبِي ، كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي أَوْجُوهَهَا جَنُوباً أَوْ شَمَالاً)

ثم يقول لبدر ، بعد أبيات يذكر ما لَقِيَ من أعدائه من الشعراء :

فَبَا آبَنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَذَنِ مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ السُّعَالِ
وَبَا آبَنَ الصَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ مِنَ الْعَرَبِ ، الْأَسَافِلُ وَالْقِلَالِ (٢)
أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ عَرَّوْا بِذَمِّي ، وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالِ ؟
وَمَنْ يَكُ ذَا فِيمَ مَرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالِ
وَقَالُوا : هَلْ يُبْلَغُكَ الثَّرْيَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِذَا شِئْتُ أَسْتَفَالِ

فهو بهذه الأبيات يعرض على بدر ما يلاقى من الكيد ، وَيَسْتَعْدِيهِ بِالْبَيْتِ الْآخِرِ
على نصرته على أعدائه . ولا ندرى ما الذى كان يكاد به أبو الطيب ؟ ولكن نظن أنهم
كانوا يتغامزون به وبشعره وما فيه من الغلو والطموح ، وما يردُّ فى أثنائه من الوعيد للطغاة
والملوك والأعداء ، والإنذار لهم أن يصيبهم من قَبْلِهِ كُلُّ مَكْرُوهِ . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي

(١) القُتُودُ ، خشب الرجل الذى يوضع على البعير . « الغريرى الجلال » ، نسبة إلى « الغرير » وهو فحل
كريم من الإبل عظيم البنيان . و « الجلال » مبالغة فى « الجليل » .

(٢) « القلال » ، جمع « قلة » ، وهى رأس كل شئ يقال : « قلة الجبل » ، أى رأسه ، يعنى أحسناء العرب
وأشرافهم .

في شعر أبي الطيب مما يستجلب التنبّه لها ، والوقوف عندها ، فليس في العربية كلّها شاعرٌ قد كثرت في شعره المعارضُ كما كثّر ذلك في شعر أبي الطيب ، بل أنت تقلّب دَوّابين / الشعراء جميعاً فلا تكاد تجد فيها هذه المعاني في الإنذار والوعيد والترّيب ، وخاصةً في المديح الذي يُراد به عطفُ القلوب لاستخراج مكنونها ، وإلانة الأيدي لقبض نَوَالِهَا . وهذه المعاني مما يَعْكِس على الشعراء مُرَادهم إن رَامُوهُ وتعاطَوْهُ في أشعارهم . أمّا أبو الطيب فقد جَعَلَهَا عُمُودَ شِعْرِهِ غيرَ مُبالٍ ولا حافِلٍ . فمن هذه الظاهرة في شعره = أغنى اعتياده في كثير منه على الإنذار والوعيد = بدأ أعداؤه في جوار بدرٍ يُسمّونه « الممتنّي » ويغيظونه بذلك ، ويعنون أنه يتشبه بالأنبياء ، إذ كان عُمُودَ نبوتهم الإنذار والوعيد أيضاً ، وهو قد جَعَلَ بنيان شعره على هذين . ^(١) ولعلّ هذا هو المراد بقوله : « أرى الممتشاعرين غرّوا (بذمّي) » . فهذا ذمُّه عندهم كما ترى .

واشتدّ هذا الكيدُ على أبي الطيب حتّى حمّله على فراقٍ بدرٍ ، إذ (نكّر جانيه) حين لم يجد عنده كلّ ما أراد ، ووجده يسمع للوشاة ويضعفهم أذنه . وكان آخر ما لقي أبو الطيب من ذلك : حين سار بدرٌ إلى الساحل = ساحل طبرية = حين أضيف عمله إلى عمله بطبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عن المسير معه ، فانتهر ذلك الأعور ابن كروّس ، فكتب إلى بدرٍ يقول له : « إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبةً بنفسه عن المسير معك » . ^(٢) وتلّع ذلك أبا الطيب ، فتارت نفسه وعزم الرحيل والفراق ، ولكنه أجّل ذلك حتّى يعودَ بدرٌ ليعرف ما عنده ، والظاهر أن / بدرًا كان قد حمل في نفسه شيئاً من آثار سعيّات الأعور ابن كروّس ، فلما عاد إلى طبرية ولقيّه أبو الطيب ، فطن لما يدور في نفس بدرٍ ، وخاف أن يخذله ، فاعتمد الرّحلة وطى الأرض ، ولذلك كانت آخر

(١) انظر ما سلف في آخر الباب السادس ، ص : ٢٣٢ ، ٢٣٥ .

(٢) هذا من نص كلام أبي الطيب ، في تقديمه لقصيدته التي منها الأبيات التالية .

قصيدة مقصّدة مدح بها بدرًا بينة الدلالة على اضطراب نفسه وقلقه وعزومه هذا ، فهو يقول فيها :

(أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ، ثُمَّ اعْتَرَفْتُ لَهَا فَصَارَتْ دَيْدَنًا)
وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحَ ، وَرَكَابِي فِيهَا ، وَوَقَّتِي الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا

وظهر فيها أيضاً خوفه أن يُسلمه بدر إلى أعدائه ، فيُصدوا له ويفتكوا به على غيرة ، فصرّح لبدر بذلك حيث يقول ، يذكر أمر تخلفه عنه ، ثم مخاوفه ، ثم ينذره :

فَطِينَ الْفَوَازِ لِمَا أَتَيْتُ إِلَى الثَّوَى وَلَمَّا تَرَكْتُ مَخَافَةً أَنْ تَفْطُنَا
أَضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيْنًا
فَأَغْفِرْ ، فِدَى لَكَ ، وَأَحْبِنِي مِنْ بَعْدِهَا لَتَخْصِنِي بَعِطِيَّةٌ مِنْهَا (أُنَا)
(وَأَنَّهُ الْمَشِيرُ عَلَيْكَ فِي بَضِيلَةٍ فَالْحُرُّ مُنْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزَّيْنَا) (١)
(وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعْرِضًا فِي مَجْلِسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعْنَى)
(وَمَكَايِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِمْ ، وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِئْسَ الْمُقْتَنَى)
لُعِنْتُ مُقَارَنَةَ اللَّيْمِ ، فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ الْمَلَامَةِ ضَيْفَنَا (٢)
(غَضَبُ الْحَسُودِ ، إِذَا لَقَيْتُكَ رَاضِيًا ، رُزَّةٌ أَخْفَ عَلَى مَنْ أَنْ يُوزَنَا)

ثم بقي مع بدر وهو يُضمّر في نفسه فراقه ، فكان يتتبع مرضاته في كثير / مما ١٥٣
لا يرضى به ، حتى شرب الخمر في منادمته ، ليصرف بدرًا عما كان في نفسه قليلاً ،
حتى تعرض له الساعة المواتية للفراق . فلما أتت الساعة ، بادّر واحتمل أهله ونفسه
وخرج إلى دمشق ، وقصد عملاً من أعمالها يقال له : (جَمَى جَرَش) ، كان به أبو

(١) « المشير » ، هو الأعور ابن كرويس .

(٢) « اللّيم » تعريض أيضاً بـ ابن كرويس . و « الضيفن » ، الذي يأتي مع الضيف ولم يُدْعَ .

الحسين على بن أحمد المرئي الخراساني ، وكانت بينهما مودة وهما بطبرية ، فلجأ إليه ،
واحتفى بحماه ، وذلك في سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لا التحقيق .

...

- ١٠ -

لا أَقْتَرِي بِلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ
وَلَا أُمُرُ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَظِّنٍ
وَلَا أُعَاشِرُ مِنْ أَمْلَاكِهِمْ مَلِكًا
إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ
مَدَحْتُ قَوْمًا... وَإِنْ عِشْنَا نَظُمْتُ لَهُمْ
قَصَائِدًا مِنْ إِنَابِ الْخَيْلِ وَالْحُصْنِ
فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُنْدٍ ،
وَلَا أَصَالِحُ مَعْرُورًا عَلَى دَخْنٍ

١٥٥ / ظَفِر « آبن كروّس » الأعور بأبي الطيب ، وأفسد عليه بَدْرُ بْنُ عَمَار . وَيَبِينُ
أَنْ دَهَاءَ أَبِي الطيب وَحِيلَتُهُ أَعَانَتْهُ عَلَى اجْتِنَابِ الْخَطَرِ الَّذِي كَانَ لَهُ رَصْدًا فِي طَبِيعَةٍ ،
وَالَّذِي كَادَ يُدْرِكُهُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ فِي سَنَةِ ٣٣٦ ، حِينَ أَرَصَدَ لَهُ الْعُلُوِّيُّونَ لِيَقْتُلُوهُ فَفَاتَهُمْ
إِلَى الرَّمْلَةِ ، وَهَذَا مِمَّا يَرْجِّحُ عِنْدَنَا أَنَّ « آبن كروّس » كَانَ مِنْ شِيعَةِ الْعُلُوِّيِّينَ ، أَوْ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ ، أَوْ مِنْ دَعَاةِ الْفَاطِمِيَّةِ . (١)

وكان أبو الطيب ، كما قدمنا لك ، وهو عند بدر قد بدأ يطمئن ثم حاجه هذا
الأعور آبن كروّس ، فانطلق إلى غاية في نفسه من الحقد والثورة والافتحام ، ولكنه كتم
ذلك . فلما نزل بعلّى بن أحمد المُرّي كانت قصيدته إعلاناً / للحرب مرة أخرى ،
١٥٦ وَزَلْزَلَةً وَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ فَأَخْرَجَتْ قَدِيمَهُ مِنَ الْأَحْقَادِ وَالتَّوْبَاتِ وَالْأَمَالِ وَالْآرَاءِ ، وَاسْتَمَرَّ
يَنْتَفِضُ وَيَقْدِفُ بِرَكَائِهِ بِحُمَمِهِ ، إِلَى أَنْ كَانَ اتِّصَالَهُ بِأَبِي الْعِشَائِرِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ

(١) انظر ما سلف من : ٢٧٠ ، وما سيأتي من : ٢٩٠ - ٢٩٤ .

٣٣٦ . (١) وكان شعوره في هذه الأغراض ، ثم في هذه الفترة ، نظراتٍ متطايرة كالشرر تحت ظلام الليل ، وهى مع ذلك حكيمة تقع في المفصل ولا تُخطئ ، إذ كان الرجل قد تحنك واستحكم واستمر في الشعر على طريقته ، مما وجد من الهدأة في جوار بدر ، ثم ما وجد من الكيد بعد . ولم يتصل بعد بدر بأمر يُنادمه ، بل كان يتنقل من مكان إلى مكان ثائراً مُغضباً مُوعداً مُنذراً مُرعداً ، يُريد ويُبغى ، ويؤمل وينتظر ، ويمل ويسأم ، ويحقق ثم ينفجر ، حتى كان ما كان من لقائه أبا العشائر ، ثم سيف الدولة . (١)

...

فانظر الآن إلى هذا الشعر الذى تلقى به على بن أحمد المرى ، بعد أن تردّ النظر مرة أخرى إلى ما كتبناه في الفصل الثامن يقول :

(لا آفخار إلا لمن لا يضام)	(مُدرك أو مُحارب لا ينام)
(ليس عزمًا ما مرّض المرء فيه ،	(ليس همًا ما عاق عنه الظلام)
(واحتمال الأذى ، وروية جانيه ،	(غذاء تضوى به الأجسام) (٢)
(ذل من يعيط الذليل بعيش	(رب عيش أخف منه الحمام)
(كل حلم أتى بغير اقتدار	(حجة لأجى إليها اللام)
(من يهن يسهل الهوان عليه ،	(ما ليجرج يميت إلام)
(ضاق ذرعًا بأن أضيق به ذر	(عا زمانى ، وأستكرمثنى الكرام)
(واقفاً تحت أحمصى قدر نفسي ،	(واقفاً تحت أحمصى الأنام)
(أقراراً ألد فوق شرار !!	(ومراماً أبغى وظلمى يرأ !!)
(دون أن يشرق الحجاز وتجد	(والعراقان ، بالقنا ، والشام !)

١٥٧

(١) انظر ما سياتى في أول الباب الحادى عشر ، والثانى عشر ، ثم ما يأتى ص : ٢٨٠ .

(٢) انظر ما قلته في هذا البيت ص : ٢٥٢ ، و « توقيع المتنبي » ، ص : ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

فهذه أبياتٌ قد اجتمعت فيها نفس المتنبي كلها ، بحكمتها وتجربتها وعلومها وقوتها ورجولتها وتورثها وانتقاضها وزلازلها ، وبآمالها وأحقادها ووعيدها وإنذارها ، وبصدقها وعواطفها المتسعة التي يأكل بعضها بعضاً ، وفيها (توقيع المتنبي) على كل بيت .^(١) فلا تحسبن شاعراً يستطيع أن يأتي بمثلها أو يسرق معانيها ، إلا أن يستطيع أن يسرق نفس ألى الطيب وقلبه جملة من بين جنبيه ، أو إلا أن يكون قد مُهد له في نفسه وفي صدقه وفي آلامه وغير ذلك ما تيسر لألى الطيب .

وألقى أبو الطيب هذه (القنابل) الحكيمة في « جَمِي جَرَش » ، ثم أدركته مكائد الأعور ابن كروّس ، أو العلويّين إن شئت ، فعجل بالرحيل غير مختارٍ له ، فقال يودّع صاحبه المرء ويعتذر له ، وقد أبان في هذه الأبيات كل الإبانة ، فهو راحل « في عجل » ، وهو راحل عنه غير مُختارٍ :

(لَا تُنْكِرَنَّ رَجِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ فَإِنِّي لِرَجِيلِي غَيْرُ مُخْتَارٍ)
(وَرَبِّمَا فَارِقَ الْإِنْسَانَ مُهْجَتُهُ يَوْمَ الْوَعَى - غَيْرَ قَالٍ - خَشْيَةِ الْعَارِ)
(وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَادٍ أَحَارِبُهُمْ ، فَاجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ أَنْصَارِي)^(٢)

١٥٨ / ثم أنطلق أبو الطيب من « جَمِي جَرَش » يتقحّم البوادي عَجلاً يَفُورُ فَوْرَانِ
القدر على نارها المتضرمّة ، وتسعّرت الدنيا في عينيه ، وتلذّعت الأفكار النارية بين جنبيه ، فخرج شعره كمعمعة الحريق ونقيضه وزفيره وفرقعته ، كما سترى . ومن شدّة ما لقي أبو الطيب من كَيْد هذا الأعور ابن كروّس ، كان - على عادته - يتخيّله كلما تلقت في مسيره واقترحامه ظلّلمات البادية . وقد حَفِظَ لنا أبو الطيب في شعره - على عادته أيضاً - صورةً ناطقةً من إحساسه وعواطفه وهو يطوى البادية طياً عَجلاً فقال :^(٣)

(١) انظر ما قلته في هذا البيت ص : ٢٥٢ ، و « توقيع المتنبي » ، ص : ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

(٢) أى : فاجعل نداك بعض أنصارى عليهم .

(٣) لقد أكثرنا من نقل شعر ألى الطيب ، إذ كان السياق الآن يقتضى ذلك ، ولذا نقطع القارئ بالرجوع =

رَكِبْتُ مُشَمَّرًا قَدَمِي إِلَيْهَا ، وَكُلُّ عُدَافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ
(أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ)
(أَعْرَضُ لِلرَّمَاكِ الصَّمِّ نَحْرِي ، وَأُنْصِبُ حُرَّ وَجْهِي لِلْهَجِيرِ)
(وَأُسْرِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَخَدِي ، كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ)

وهذا البيتان الأخيران فيهما من رجولة أبي الطيب وتفحُّمه ومضائه وتدفعه واستهائته بالشقاء في سبيل آرابه وآماله ما فيهما ، ففسرهما لنفسك ، وأعلم أن هذا الرجل شاعرٌ مبينٌ ، قلبه في لسانه ، وعواطفه في بيانه :

(قَقْلٌ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا ، عَلَى شَعْفَى بِهَا ، شَرَوَى نَقِيرِ)
(وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَى خَسِيسٍ وَعَيْنٍ لَا تُدَارُ عَلَى نَظِيرِ)
(وَكَفِّ لَا تُتَارَعُ مَنْ أَتَانِي يُنَازِعُنِي ، سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي) (١)
(وَقَلَّةٌ نَاصِرٍ .. جُوزِيَتْ عَنِّي بِشَرِّ مَنْكَ ، يَا شَرَّ الدُّهُورِ !)
(عَدَوِي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّى لَخَلْتُ الْأَكْمَ مُوْغَرَةَ الصُّدُورِ) (٢)
(فَلَوْ أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَقِيسٍ لَجُدْتُ بِهِ لِذِي الْجَدِّ الْعُثُورِ)
(وَلَكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي ، وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُورُ ؟)
(فَيَا أَبْنَ كَرُوسٍ ، يَا نِصْفَ أَعْمَى ، وَإِنْ تَفَخَّرَ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ)
(ثُعَادَيْنَا لِأَنَا غَيْرُ لُكْنٍ ، وَتُبْغُضُنَا لِأَنَا غَيْرُ عُورِ) (٣)
(فَلَوْ كُنْتُ أَمْرًا يُهْجَى هَجُونًا ، وَلَكِنْ ... ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ)

١٥٩

= إلى الديوان ، ثم لنختصر القول من ناحية أخرى . فعلى القارئ أن يستنبط ويستخرج المعاني على الأصول التي درجنا عليها في كتابنا هذا . والتدبر والتأمل هما الأصول في العلم والاستنباط ، وهما عماد « التذوق » الذي أشرنا إليه في المقدمة .

(١) « الخَيْر » ، بكسر الخاء ، الكرم والتبلى .

(٢) « الأكَم » ، جمع « أكمة » ، وهى التل المرتفع . و « موغرة الصدور » ، متوقدة بالغيظ .

(٣) « لُكْن » جمع « لُكْن » ، وهو الذى لا يُبين بالعريّة من عُجْمة لسانه .

وإمّا تدبرت الأبيات ، فستجدن أن نفسه الكريمة الأبيّة الأنوفة المستكفة ، قد أريد بها الشرُّ والأذى فاهترت ، وتدافعت هزّاتها في أعصابه كلّها ، فأثبتها على لسانه المبين في هذه الألفاظ المتقصّفة بأصواتها ومعانيها ، وألوانها البيانية ، في التدفّع والالتفات والانتقال ، ثم في البغض للدنيا وازدراؤها ، ثم في السخرية والتهكّم والاحتقار لهذا الأعرور الذي هاجه عن عُشّه في جوار ابن عمار .

...

وأراد الله خيراً بشاعرية هذا اللسان القوّال العربيّ المبين ، إذ رماه بآبن كروّس بعد هذّة واستجمام . فلما طوى البادية ، على ما وصفنا ، يقصّد قصّد أنطاكية ، دخلها سنة ٣٣٤ ، وكان بها « أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن محمد الحَصْبِيّ » ، وكان يُنوب عن أبيه في مجلس القضاء بأنطاكية . وكان أبو عبد الله الحَصْبِيّ داهيةً من دُهاة عصره ، فيما نرى ، فقصده أبو الطيب / يمدحه ، وجعل أوّل القصيدة يدلّ على ١٦٠ ما وصفنا لك من تسعّر الدنيا في عينيه ، وبين جنبيه ، وكانت معاني مدّحه من هذا الباب أيضاً . وقد تضمنت الأبيات التي سننقلها لك آراءه في الجيل الذي كان يتقلّب بين رجاله ، وأزدراؤه للرجال الذين قصّدهم فلم يُلِفْ عندهم خيراً يُعِينه على حاجته التي قال فيها فيما مضى من الأبيات : (فقلّ في حاجةٍ لم أقض منها) [ص : ٢٧٦] ، ثم وصف رحلته بين أهل البادية ، وما كان يحذّره في أرضهم خوْفَ الطلب أن يهتدى إليه فيدرّكه فيفتك به ، ثم يثور ويتمرّغ في أعنة نفسه فيُنذر ويوعّد وبذلك تعرف أن نفسه كانت على غايتها متورّقة مُستوفزة نائرة . ثم يأتيه كتاب جدّته فيقصّد العراق ، فيمنعه أعداؤه من العلويين الذين أرادوا به السوء من دخول الكوفة التي بها جدته ، فيجلب ذلك عليه الهمّ والألم ، فتموت جدّته ، فيهبّ ويتلذّع ويغن ويكي ، ثم تدرّكه رُجولته فتدّ عليه قوة مضاعفة ، فيبدع وينفرد بقصيدة من أجزل الشعر وأرضنه ، (١) ومن

(١) قد استشهدنا بأبيات كثيرة من قصيدته في رثاء جدته فيما مضى في نسبه وغيره ، وذلك لما ترى من أنها كانت تحمل نفس أبي الطيب كلها : صريحها ورغوتها ، [انظر ما سلف ص : ١٦٠ - ١٧٧ ، ثم ص : ٢٤١ - ٢٤٣ ، ثم ما سيأتي ص : ٣٧٢ - ٣٧٥] .

أكثر شعره خاصّة دلالة على ما في نفسه ، وعلى ما أصابه في حياته من مولده إلى يومه هذا سنة ٣٣٥ .

...

يقول أبو الطيب لأبي عبد الله الحَصْبِيُّ القاضِي :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِدَا الزَّمَنِ (يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ)
(وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحَرِّ مِنْ سَقَمٍ عَلَى بَدَنِ)
(حَوْلَى بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ) (خَلَقَ) تُخْطِئُ إِذَا جِئْتَ فِي آسَفِهَا بِمَنْ ؟)

/ وهذا بيت يهجو بالفاظه قبل أن يهجو بمعانيه ، ويدل على ما في نفس الرجل من الآلام ، وما لقي من أهل عصره من الكيد والمكر ، وما كانوا عليه من الخسة واللؤم ، والشر الثاني من البيت الثاني صفة صادقة لعصره كما تجدها في التاريخ ، وقد أشرنا إلى صفة هذا العصر فيما مر بك :

(لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرٍّ ، وَلَا أَمُرُّ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَّعِينَ)^(١)
(وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أَمْلَاحِهِمْ مَلِكًا إِلَّا أَحَقُّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ)
(إِنِّي لَا غَيْرُهُمْ مِمَّا أَعْنَفُهُمْ ، حَتَّى أَعْنَفَ نَفْسِي فِيهِمْ ، وَأِنِّي)^(٢)
(فَقَرُّ الْجَهُولِ بَلَا عَقِيلٍ إِلَى أَدَبٍ ، فَقَرُّ الْحِمَارِ بَلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ)^(٣)
(وَمُذْقِعِينَ بِسُبُوتٍ صَحَبَتْهُمْ عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ ، كَاسِيْنَ مِنْ دَرَنِ)^(٤)

(١) « قرا الأرض واقتراها » ، تتبعها أرضاً أرضاً وسار فيها ينظر حالها وأمرها .

(٢) « ونى نى في الأمر » ، ضعف وقصر وتوائى .

(٣) « الرسن » ، الحبل الذى يقاد به الحمار .

(٤) « المدقع » ، اللاصق بالدقعاء ، وهى الأرض من فقره وذله . و « السبوت » ، الأرض القفر

الصفصف . و « البرن » ، الوسخ .

خُرَابٍ بَادِيَةٍ غَرْنِي بَطُونُهُمْ ، مَكْنُ الضَّبَابِ لَهُمْ زَادَ بَلَا ثَمَنِ (١)
(يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ) (٢)
وَحَلَةٍ فِي جَلِيسِ التَّقِيهِ بِهَا كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ

وهذا البيت مما يدل على دهاء أبي الطيب وسعة حيلته ، ودقته في الحذر إذا أُحِيطَ بِهِ ، وخاف أن يظفر به عدوه :

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقِ خِفَتْ أُغْرِبُهَا فُيْهَتَدِي لِي ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ (٢)
(قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَكِنَّ الْعَزْمَ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ)
/ (كَمْ مَخْلَصٌ وَعُلَى فِي خَوْضٍ مَهْلَكَةٍ ، وَقَتْلَةٌ قُرِنَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ) ١٦٢
(لَا يُعْجِبُنِي مَضِيماً حُسْنُ بَزَّتِهِ ، وَهَلْ تَرَوْقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ) (٣)
(لَلَّهِ حَالٌ أَرْجِيهَا وَتُخْلِفُنِي ، وَأَقْتَضَى كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمْطُلُنِي)

ولا يفترنك هنا أن أبا الطيب في هذه الفترة قد أشار إلى مطلب له بهذا البيت في هذه القصيدة ، ومن قبل ما أشار إليه في القصيدة التي قبلها بقوله : « فقل في حاجة لم أقض منها » [ص : ٢٧٦ ، ٢٧٧] ونحن نقفك عند هذا البيت لتجعله منك على ذكر حتى يأتي تأويله فيما يستقبل :

(مَدَحْتُ قَوْماً ، وَإِنْ عِشْنَا نَظَّمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِنْاثِ الْخَيْلِ وَالْحُصْنِ)
تَحْتَ الْعَجَاجِ ، قَوَافِيهَا مُضْمَرَةٌ ، إِذَا تُنْشِدُنْ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنِ

(١) « الخراب » ، اللصوص الذين يسرقون الإبل . « غرني » جمع « غرثان » وهو الجائع الشديد الجوع .
« مكن الضباب » ، ييضها ، والبداة يأكلون بيض الضب .

(٢) من هذا البيت وما بعده ، أخذ التنوخي وأشباهه من أعداء أبي الطيب ، ما زعموه من أنهم سألوه عن نفسه ، فكان يقول : « إني رجل أطوى البوادي وحدي ، وأخطب القبائل . ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها » . انظر : ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) « المضم » ، الذي نزل به الضيم ظلماً فقهره وأذله . و « البزة » ، هيئة اللباس الثياب وشارته .

- (١) فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعاً إِلَى جُدْرٍ ، وَلَا أَصَالِحُ مَعْرُوراً عَلَى دَخْنٍ (١)
(٢) مُخَيِّمُ الْجَمْعِ بِالْبَيْدَاءِ ، يَصْنَهْرُهُ حَرُّ الْهَوَاجِرِ فِي صَمٍّ مِنَ الْفِتَنِ (٢)

وَيَبِّينُ مِنْ نَفْسِ أَبِي الطَّيِّبِ فِي هَذَا الشَّعْرِ أَنَّهُ قَدْ تَطَلَّقَ وَأَسْتَنَّى فِي عُدُوهِ إِلَى غَايَتِهِ مَاضِياً لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ ، وَأَنَّ لِسَانَهُ قَدْ انْدَلَقَ بِمَعَانِي قَلْبِهِ ، فَهُوَ مَبِينٌ فِي شَعْرِهِ وَإِشَارَتِهِ ، غَيْرُ حَافِلٍ بِمَا سَوْفَ يَلْقَاهُ مِنَ الْكِيدِ فِيمَا بَعْدُ . وَلَوْلَا أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ بَرَكَائِي الطَّبَعِ = يَحْمَدُ ثُمَّ يَفُورُ ، وَيَقْرَأُ ثُمَّ يَتَقَلَّعُ = لَمَا كَانَ مِنْ أَثَرِ كَيْدِ آبَنِ كَرْوَسٍ لَهُ ، مَا تَرَى فِي كَلَامِهِ مِنَ التَّدْفُقِ وَالتَّدَافُعِ الَّذِي تَرَاهُ فِيمَا رَوَيْنَا لَكَ مِنَ الشَّعْرِ . وَيَحْسُنُ بِكَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ هَذَا أَنْ تَتَّبِعَ مَا رَسَمْنَا لَكَ فِي التَّيَقُّظِ لِإِشَارَةِ الرَّجُلِ ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْكَ عَلَى ذِكْرٍ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ حِينَ يَفُورُ وَيَقُولُ ، تَتَرَايَ لَعِينِيهِ ، وَيَدْوِي فِي مِسْمَعِيهِ ، كُلُّ مَا سَمِعَهُ أَوْ مَرَّ بِهِ ، فَهُوَ يُوجِزُ لَكَ مَا فِي نَفْسِهِ ضَمِيراً فِي آيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ .

...

/ وقد استمرَّ أَبُو الطَّيِّبِ عَلَى حَالَتِهِ الَّتِي نَصِفُ ، حَتَّى اتَّصَلَ بِأَبْنَى الْعَشَائِرِ ، (٣)
فَكَلَّ شَعْرَهُ فِي هَذِهِ الْفِتْرِ آراءً وَنَظَرَاتٍ كُلُّهَا مُسْتَنْبِطٌ مِنْ يَنَابِيعِ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ لَمَّا قَلْنَا بِهِ مِنْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي نَبُوغِ الْمُتَنَبِّئِ هُوَ (اسْتِيعَابُهُ مَا يَحْسُ بِهِ مِنَ الْعَوَاطِفِ ، وَدِرَاسَةُ قَلْبِهِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَحْزُنُ فِيهِ مِنَ الْآلَامِ وَالْمَعَانِي الَّتِي تَتَوَلَّدُ مِنْ هَذِهِ الْآلَامِ ، ثُمَّ اهْتِدَاؤُهُ إِلَى أَنَّ الشَّعْرَ لَا يَكُونُ شِعْراً إِلَّا حِينَ يَرَوِي مِنْ مَعَانِي الْقَلْبِ وَيَسْتَقِي مِنْهَا) . (٤)

وَبَيْنَا الرَّجُلَ كَذَلِكَ ، إِذْ جَاءَهُ كِتَابُ جَدَّتِهِ تَسْأَلُهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهَا وَتَشْكُو شَوْقَهَا

(١) « عَلَى دَخْنٍ » ، الْفَشْ وَالْفَسَادُ الْمُسْتَوْرَ بِمَثَلِ الدَّخَانِ .

(٢) « الصَّمِّ » جَمْعُ « صَمَاءٍ » ، وَ « الْفِتْنَةُ الصَّمَاءُ » ، الشَّدِيدَةُ ، لَا يُسْمَعُ فِيهَا صَوْتُ نَاصِحٍ .

(٣) انْظُرْ مَا سَلَفَ ص : ٢٧٤ ، وَالتَّعْلِيقُ هُنَاكَ .

(٤) انْظُرْ مَا سَلَفَ ص : ٢٥١ .

إليه ، وطول غيبته عنها ، فلما قَصَدَ الكوفة التي هي بها وشارفها ، حيل بينه وبين دخولها ، ورؤية جدته المسكينة ، على ما مضى في تأويل هذه الواقعة . (١) فلما ماتت رحمها الله ثارت نفسه ، وقذفت بكل مكنونها من الآلام التي لقيها ، والحوادث التي فعلت فيه فعلها ، وكاد يصرّح بما لقي من كيد العلويين له في مسألة نسبه على ما فسرناه ، وما قَصِدَ به من الحسد والوشاية . ويكفي أن نشير هنا إلى بيت واحد من قصيدته في رثاء جدته لتعلم أين بلغ الألم من قلب أبن الطيب حتى مرّقه ، والبيت لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل ، وفي تدبره أو تأمل لفظه غنى ، إذ كان حسرة محبوسة في ألفاظ ، وكمداً مكفوماً وراء كلمات ، يقول :

(عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا فَلَمَّا ذَهَبْتَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا)
/ مَنَافِعُهَا : مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا ، تَعَذَّى وَتَرَوَى : أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْلَمَا

...

واجتمع على أبن الطيب ما في قلبه من الألم ، وما فجأه من موت جدته ، فتزوّت نفسه بقوتها حيناً ، واستسلمت بحكمتها وفلسفتها أحياناً ، وهو فيهما جميعاً حكيم بليغ ، فهو بعد أن ثار ما ثار بمثل قوله في رثاء جدته :

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا ، إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي ، وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِبِهَا قَدْذَا
فَلَا عَبْرَتْ لِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِيبَتِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا
وَأَنطَلِقُ مِنْ بَغْدَادَ = حيث كان حين ماتت جدته = قاصداً أنطاكية بالشّام ،
يقول في القاضي « أبن الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي » :
أَنَعَمْ وَلَكْذُ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا ، إِذَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ

مَا دُمْتُ مِنْ أَرْبِ الْحِسَانِ ، فَإِنَّمَا رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلٌ (١)
لِلَّهِوَ آوَةٌ تُمْرُ كَأَنَّهَا قُبُلٌ يُزَوِّدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلٌ
جَمَعَ الزَّمَانُ ، فَلَا لَذِيذَ خَالِصٍ مِمَّا يَشُوبُ ، وَلَا سُرُورَ كَامِلٍ

ومثل هذا الرأي قليل عند أبي الطيب ، بل هو ليس من عادته ، ولا مما يواتيه طبعه على معاطاته والعمل به ، وإنما أتاه من أنه كان قد اشتدَّ في فَوْرته إلى الغاية حتى بلغ أقصى ما تحتمله نَفْسُهُ من العَنَتِ والمشَقَّةِ ، ثم أصابته فَتْرَةٌ تَعْقُبُ ذلك لا بُدَّ منها ، فاستخرجت حكمته هذا المعنى ، وهو يحمل من اليأس والتَّعب والنَّصَب ما تَرَى في مثل قوله : « رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلٌ » ، وقوله : « جَمَعَ الزَّمَانُ » ، فهذا كلام الياثس المستسلم ، إذا قاله / مَنْ كانِ مِثْلَ أبي الطيبِ في تدْفِعه وتَقَحُّمه وثورته ، فهو ١٦٥ أشبه بالاستجمام من التعب والشِّقْوَةِ والنَّصَبِ . هذا على أن الحالة التي كانت متلبِّسةً به ، لم تفارقه كَلَّ المفارقة ، بل كانت فيه أعقابٌ منها ، فلما قصَدَ المعاني التي يقصدها على طبعه وغريزته ، والتي تكون بالفاظها كالقنبلة في حديدتها ، خرجت منه أَلْطَفُ تعبيراً ، وأَقْلُ تفجُّراً منها في غيرها فيقول لهذا القاضي :

لَا تَجْسُرُ الْفُصْحَاءُ تُنْشِدُ هَهْنَا وَلَكِنِّي الْهَزِيرُ الْبَاسِلُ
مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي ، وَلَا سَمِعَتْ بِسِخْرَى بَابِلُ
(وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ)
مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْلِيلٍ عَصْرِ يَدْعِي أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيُّ ، فَهْمُ بَاقِلُ (٢)

.... وكذلك ، ولكنه أقوى قليلاً ، مَا أَتَى به بعدُ في قصيدته لأخي هذا القاضي ، وهو « أبو سهل سَعِيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي » ، إذ يقول في صِفَةِ نفسه :

(١) « روق الشباب » ، صفاؤه وغضارته ونُضْرته .

(٢) « الهندي » ، حساب الهند المشهورون به . و « باقل » رجل يضربُ به المثل في العبي والقدامة والجهل .

إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيَّعَنِي قَلْبٌ ، إِذَا شِئْتُ أَنْ أُسْلَاكُمُ حَانًا
(أُبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي ، فَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا)
(وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي ، إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا)
(مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي ، أَلْقَى الْكَمِيَّ ، وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَا) (١)
(لَا أَشْرَبُ إِلَى مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعًا ، وَلَا أُبَيِّتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانًا)
(وَلَا أُسَرُّ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ ، وَلَوْ حَمَلْتُ إِلَى الدَّهْرِ مَلَانًا)

وفي هذه الأبيات يلتفت ، على عادته ، إلى الأيام التي مضت له بالكوفة ووطنه ، وما لقي هناك في خبر موت جدته ، فيذكرها فيشبهها في شعره ، / والالتفات في شعر ١٦٦ المتنبي من معنى إلى معنى ، هو الذي تستطيع أن تستخرج به أسرار الرجل كلها ، إذ كان على ما وصفنا لك يستوعب ما يدور بقلبه من الخواطر والإحساس والآلام ، ويستخرج منها معاني شعره . فالتفاتة هنا بعد رجوعه من وطنه الكوفة ، دليل على ما كان قد لقي هناك من الكيد ، وهذه الصفات التي وصف بها نفسه هي أيضاً من أثر ما لقي هناك .

...

ولم يلبث صاحبنا أن ثابت إليه قوته ، فنفضت عن نفسه أسباب اليأس والخشوع ، وألجأته إلى طريقته الشعرية التي تميز بها وانفرد ، وهي طريقة طبيعته الثائرة المستوفزة المتأهبة للقتال والنضال . ولكنه حين بدأ يعود إلى المذهب الذي جرى عليه ، كما رأيت فيما مضى ، كان لا يزال متثاقلاً كالمستيقظ من سبات عميق قد فتره ... فذلك قوله بعد ذلك وهو بأنطاكية أيضاً حين مدح « أبا أيوب أحمد بن عمران » :

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ ، أَتَيْتُهَا ثَبَّتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا

وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرَتْهَا أَقْوَاتٌ وَخَشِي كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا (١)
أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ ، كَأَنَّمَا أُيْدِي بَنَى عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا (٢)

فذكره الماضي وما كان فيه من المغامرة والتفحُّم والقتال والكفاح ، أشبه بقصة مَنْ يَقْصُّ عليك حُلماً كان رآه في نومه ، فهو لا ينظر إلى / المستقبل كعاداته ، ولا يُنْذِر ، ولا يُوعِد ، ولا يَصِفُ ما سيكون منه بعد ، كما رأيت في شعره الذي سبق هذه الفترة التي أصابته . ويؤيد هذا أن حكمته كانت تجرى هذا المجرى من كلام الأحلام = وكذلك كان مدحه = فهو يقول في حكمته في هذه القصيدة :

فِي النَّاسِ أَمْثِلَةٌ تُلَوِّرُ ، حَيَاتُهَا كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا

فالتنبي لو كان في غير حالته تلك ، لأخذ هذا المعنى وزماه إليك متفجراً مدوياً ، ولوجدت كل كلمة منه ملأى بما في نفسه من الازدراء للناس ، والاستهانة بهم ، ولأبدع في السخرية والتهكم على عاداته حين يتناول أمثال هذه المعاني ، كقوله فيما مر بك :
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ (خَلَقَ) تُخْطِئُ إِذَا جِئْتُ فِي اسْتِفْهَامِهَا ، بِمَنْ ؟

...

وكانت أيامه تلك هي آخرة الفتور الذي حَدَّ من طمَاحِه وجِماحِه ، ثم أتبرى كأشد ما كان ، وقد آجتمعت نفسه وتَضَامَّتْ شتاتُها ، وعادت إليه أفكاره كُلُّها ، فهو ينقل منها في شعره نقلاً بَيِّناً ، ولا يُضْمِرُ إلّا ما كان لأبْدَله من إضماره ، وهو الآن مُنْطَلِقٌ في الحديث عن نفسه وعمّا يجول في صدره . فلما قدم على « علي بن أحمد الأنطاكي » يمدحه ، قذف في وجهه بهذه الأبيات :

(١) « المقانِب » ، طائفة من الخيل يركبها أصحابها للغارة .

(٢) « أقبلتها » ، وجهتها إلى غرر الجياد تقابلها وجهاً لوجه .

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَحِيدًا ، وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ ؟

فهذه صورة مما كانت عليه نفسه قبل ما ذكرناه ، ثم انتقاله بعد إلى طبيعته القوية كما ستري . فهو حين ذكر أنه يقاتل « الدَّهر » ، ذكر أنه يقاتله وحيداً / لا ناصر له ولا عَصُد . فلما جرى ذلك في ضميره ، أثبت عليه كبريائه أن يَضْعُف في القتال لتوحيده وانفراده وقلة ناصره ، فاستدرك على هذا المعنى الذى خطر له ، فلام نفسه أن يخطر لها هذا الخاطر ، وهو نذير الضعف والاستسلام والخضوع ، فقال : « وما قولي هذا القول المستضعف الدليل ، وَمَعِيَ أَقْوَى ناصر ، وَأَشَدُّ عَصُد ، وهو هذا الصبر الذى أقاتل به ، وهو عندى مُعْنٍ عن الأنصار والأشياء » ، ثم تَفَجَّر بعد ذلك :

وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي ، وَمَا ثَبَّتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ
تَمَرَسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا تَقُولُ : أَمَاتَ الْمَوْتُ ، أَمْ دُعِيَ الدُّعْرُ ؟
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَيْتِي ، كَأَنَّ لِي سَيَوَى مُهْجَتِي ، أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَثَرُ (١)
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا ، فَمُفْتَرِّقٌ جَارَانِ ذَارُهُمَا الْعُمُرُ

وهذا كله تعليق على الشطر الأول من البيت الأول ، وجدال قائم بين الفترة التى كانت قد أصابته وما علق به من آثارها ، وما أنبطت في نفسه من المعانى والآراء = وبين الطبيعة التى تقوم عليها شخصيته وتتميز بها نفسه ، وهى طبيعة القوة والتفحُّم ، وما تُفَجِّر هذه الطبيعة في نفسه من معانى الإقدام ، وما تُؤَلِّد له من الآراء والأحكام . فلذلك كانت الأبيات التى تليها هى انتصار طبيعته القوية المشبوبة الفتية ، وكانت الآراء التى تضمنتها هى الآراء التى كثر ورودها في شعره ، آجتمعت فيها آراؤه في المجد الذى يصبو إليه ، وفيما يجب أن يأخذ نفسه به لإدراكه ، وأحكامه على أهل عصره ، وفي استسقاطه لهم ، وخاصةً ملوكهم وأمراءهم الذين قاربهم فلم يجد فيهم خيراً ، بل وجدهم / خذلاناً لمن استنصرهم ، وخجاً وخداعاً لمن استنصحهم ، فقال في أعقاب الأبيات التى روينها :

(١) « الأتى » : السيل المتحدر الآتى من مكان بعيد .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِينَةً ، فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ (١)
 وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ ، وَأَنْ تُرَى لَكَ الْهَبَوَاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ (٢)
 (وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا ، كَأَنَّمَا تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أَثْمَلُهُ الْعَشْرُ)
 إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ عَلَى هِيَةٍ ، فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ
 (وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ ، فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ)
 (عَلَيَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلِّ طِمْرَةٍ عَلَيْهَا بِأَطْرَافِ الرِّمَاجِ عَلَيْهِمْ كُورُوسُ الْمَنَائِيَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْحُمُرُ)
 وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّي الْجِبِ سَالٌ ، وَخَيْرُ شَاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ (٣)

.....
 (وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ)
 (وَأَلَّنِي رَأْيَ الضَّرِّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرٌ) (٤)

وأخذ المتنبي بعد ذلك يشتد في نفسه ويقوى على أثر ما أصابه من الفتور ، وأخذ يستعرض حياته كلها ويستخرج ما فيها ، ويبسط آراءه ويختار منها ، / ويصوغها في شعره ، وكل ذلك مما يبينه على ما مر به من أحداث الزمن = فإنه حين رَحَلَ عن أنطاكية قاصداً دمشق ، نزل في طريقه على « علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي » ، فكان مما ورد في شعره له قوله :

(١) « الرِّقْ » إناء الحمر ، و « القينة » ، الحسناء المغنية .

(٢) « الهبوات » جمع « هبوة » ، وهو الغبار الذي تثيره الخيل . و « المجر » ، الكثير العدد .

(٣) « طمرة » ، فرس سريعة الوثبة . و « الحيزوم » ، الصدر . و « الغمر » ، الغل والحقد والغيظ .

(٤) أظن أن القارئ ليس في حاجة بعد إلى الوقوف به عند كل مفصل للقول ، ففي ما قدمناه من المنهج كفاية له ، وحسبه أن يطمئن عند كل بيت اطمئنان المستغرق في التدبر ، فتنفجر في نفسه المعاني ، وبذلك يرى حقيقة الرجل ممثلة مجسمة في ألفاظه وأبياته . ولن تعرف المتنبي إلا أن تفعل ما نريك من الرأي .

وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادَى ، فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا !!
تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيَا (١)
ثم يستذكر ما لقي من الحساد ، كآبن كروّس وغيره ممن آذوه وهو بطبريّة وأنطاكية وغيرهما ، فيقول حين ذكر الليل :

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الدُّنُوبَا
(وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَادَى مَشُوبَا)
(وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيْبَا)
(عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى لَوْ آتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيْبَا)

ثم يزيد على ذلك إذ يذكر آرايه في الحياة وما كان منه في مسعاه للمجد وطلبه ، وما كان خرج في إدراكه من الثأر والمطالبة (بحقه) المهضوم في انتسابه للعلوية كما مرّ بك ، ثم ما مرّ به من الأحداث ، ومن لقي من الناس الذين استدعوا احتقاره لهم وازدراءه إياهم ، وهو مع ذلك مضطّرّ إلى مُعَانَاة عشرتهم ومصادقتهم ، ثم يذكر موت جدّته بالكوفة ، وأثر ذلك في نفسه ، وهي التي يحبّها حبّ الوفاء والإخلاص والبنوة ، وذلك إذ يقول :

/ أَقْلُ فَعَالِي ، بَلَّةُ أَكْثَرُهُ ، مَجْدُ وَذَا الْجِدِّ فِيهِ ، نِلْتُ أَوْ لَمْ أُنَلْ ، جَدُّ (٢)
(سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طَوِيلِ مَا التَّشْمُوا مُرْدُ)
.....
(أَدُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْمِلُهُ ، فَأَعْلَمُهُمْ فَدَمٌ ، وَأَخْزَمُهُمْ وَغَدُ)
(وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ ، وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ ، وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ)

(١) « الطير » هنا هي النسور تقع على جيف القتلى . و « الصرصرة » ، صوت البازي . و « النعيب »

صوت الغراب .

(٢) « الجد » ، الأولى بكسر الجيم ، الاجتهاد . و « الجد » الثانية بفتح الجيم ، وهو الحظ والنصيب .

وَمِنْ تَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرْ ، أَنْ يَرَى عَدُّوْا لَهُ ، مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ
يَقْلِي ، وَإِنْ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا ، مَلَالَةً ، وَبِ عَنْ غَوَانِيهَا ، وَإِنْ وَصَلَتْ ، صَدُّ

فهذه كما ترى كلمات كلها منتزعة مما كان في حياته لذلك العهد ، وما أصابه من الرزايا ، وما أدركه من الإخفاق في المطلب ، وما أوزرته ذلك من الحسرة والمرارة وألم الحرمان . ولما كان ذلك كله مما أصابه إنما أصابه ، على ما ذهبنا إليه أولاً ، في طريقه وهو يسعى لإدراك ثأره عند العلويين الذين ظلموه وظلموا جدته وأنزلوهما بشر منزلة ، وكانت جدته قد ماتت قبيل ذلك الوقت بقليل ، وكان أثر موتها لا يزال يحز في نفسه = التفت قلبه إلى تلك الحبيبة التي فارقت ، وانتقل من هذه المعاني التي تراها في الأبيات السابقة إلى ذكرى جدته ، فقال :

خَلِيلَايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنَ وَعَبْرَةً عَلَى فَقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُ ، مَا لَهُمَا فَقْدُ
تَلِجْ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ ، كَأَنَّمَا جُفُونِي ، لِعَيْنِي كُلِّ بَاكِيةٍ ، حَدُّ

/ ثم تلبث صاحبنا بعد هذين البيتين وهو يكتبهما ، وتأمل أحزانه وآلامه ، ورأى أن البكاء والتعجب مما لا يجمل به . وكيف يبكي ويقول وهو من هو في الصبر والجلد وتحمل النكبات غير جازع ولا متململ ؟ وقد لقي بصبره ، في سبيل جدته وفي سبيل نفسه ، كل نائبة ، وطوى الأرض موكلاً بذرعها غير حافل ، وقاسى من الحسد ما قاسى ، وأصابه من عداوة الناس له ما أصابه ، فأغتابوه وآذوه ، فاستدرك صاحبنا على بكاء جدته بقوله بعد يصف نفسه وما كان منه وما كان من أعدائه :

وَإِنِّي لَتُغْنِيَنِي مِنَ الْمَاءِ نُغْبَةٌ وَأُصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَمَا تَصْبِرُ الرَّيْدُ (١)
وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السَّنَانُ لِطَيْتِي وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمُجْلَحَةُ الْعُقْدُ (٢)
وَأُكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بَغِيَّةٍ ، وَكُلُّ آغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ لَا لَهُ جُهْدُ
وَأَرْحَمُ أَقْوَاماً مِنَ الْعِيِّ وَالْعَبَى وَأُعْذِرُ فِي بُغْضِي لَأَنَّهُمْ ضِدُّ

...

(١) « النُّغْبَةُ » ، الجُرْعَةُ مِنَ الْمَاءِ ، « الرَيْد » جمع « رِبْدَاء » ، وهى النعام ، وهى أصبر حتى عن الماء .

(٢) « أَطْوِي » ، أى أجوع . و « الْمُجْلَحَةُ الْعُقْدُ » ، الذئب الجريفة ، فى أذنانها التواء كأنه عقدة .

وعلى ما وصفنا لك من حالته ، وممّا يَلِجُ في صدره ويعتلج في نفسه ، انحدر إلى دمشق ولم يقيم بها إلا قليلاً ، وقصد طَبْرِيَّةَ ، وذلك في سنة ٣٣٦ ، ولعلَّ أبن كَرْوَسَ كان قد غادرها إذ ذاك . والظاهر أن أبا الطيب إنما دَخَلَهَا في جِوَارِ بعض أصحابه ، ومن كانوا يُكْرَمونه من أهل الفضل والنبل ، وأطمأن قليلاً بها ، ثم هاجت العلوية عليه مرة أخرى ، وأثبتوا عليه عداوتهم ، / وأرادوا أن يكيدوا له كيذاً ليخلصوا منه ومن أفعاله . ١٧٣ ونحسب أن أبا الطيب كانت له في البلاد التي دخلها شيعةٌ تشاركه الرأي وتتعصّب لمذهبه في السياسة ، وتزيد في تعصّبها لشعره وأدبه ، فكان ذلك سبباً في إثارة الفتن في كثير من البلاد التي دخلها .

وأنت ، فلا تظنَّ أن مثل أبا الطيب كان إذا دخل بلداً دخله صامتاً مخيطاً الشفتين ، لا يفتحهما إلا حين ينشد قصيدته في « المديح » في مجلس من يمدحه ، ثم ينصرف إلى داره مُنْزَوِيّاً في ركن من أركانها ، حتى يأذن له شيطانُ شعره بقصيدة أخرى ، وهكذا وهلم جراً . كلا ، فإننا لا نشك في أن أبا الطيب = ذلك الظريف المجلس ، الحاضر البديهة ، الحلو النادرة ، الأديب النفس ، صاحب الرأي في السياسة ، وطالب الحكمة أنى كانت ، والثائر على حُكّام عصره ، والمُزْدَرَى لأهل زمانه = والذي تَتَبَّين في شعره مواضع التجربة الطويلة ، والخبرة النافذة ، والتمرس بالأخلاق عالياً وسفاسفاً ، والذي كان شعره قطعةً من إحساسه وطبيعته ، وممّا يمسّها ممّا يدور حولهما أو يدانيهما من إحساس الناس وطبائعهم = والذي كان شعره ينمُّ على تلك الطبيعة البركانية المتفجرة التي لا تهدأ إلا ربّما ترتدُّ إليها قوتها القاصفة العاصفة الناسفة = والذي لم تكن هذه الظاهرة في شعره دَعْوَى أو باطلاً أو ظاهراً لا باطن له ، إذ لو كان ذلك كذلك ، لوقع فيها التخالف على تطاول السنين ، ولتقصت وضعفت بضَعْفِ الأسباب الجالية لها = والذي كان أيضاً ذا لسان وبيان ، وكان جَدِلاً طَلَّقَ اللسان أيبى النفس ، لا يهاب أن يصارح وأن يكشف عن ضميره على شِدَّةِ ما لقي من الكيد والمكر والترصص والرصد ، ثم كان (الرَّجُل) الشاعر الفرد من أهل عصره الذي كشف عن / سِيَّاتِ العصر ، ١٧٤

وصورَ رَدَائِلِهِ كُلِّهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ شَعْرِهِ = وَالَّذِي كَانَ قَرِيباً مِنَ الْأَمْراءِ ، أَثِيراً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ لَقِيهِمْ = أَقُولُ : أَنَا لَا أَشْكُ ، وَلَا تَشْكُنُ أَنْتَ ، فِي أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ ، قَدْ أَثَارَ كَثِيراً مِنَ الْجَدَلِ فِي الْأَدَبِ وَالسِّيَاسَةِ ، وَتَمَرَّسَ بِالنَّاسِ وَتَمَرَّسُوا بِهِ ، وَأَخَذَ وَأَعْطَى ، وَنَاقَشَ وَجَادَلَ ، وَذَهَبَ مَذْهَباً فِي تَنَاوُلِ الْأَرَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَبَيَّنَ رَأْيَهُ فِيهَا فِي مَجَالِسِ أَصْحَابِهِ ، وَتَنَاقَلَتِ الْأَلْسِنَةُ مَا كَانَ يَقُولُ ، وَوَجَدَ حُسْنًا مِنْ تَكْشِفِهِ وَصَرَاحَتِهِ مَطْمَئِنّاً وَمَقْتَلّاً يَطْعُنُونَهُ فِيهِ ، وَظَفِرَ الْوُشَاةُ بِقِدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَزَادَ أَلْسِنَتُهُمْ مِمَّا كَانَ الرَّجُلُ يَكْاشِفُ بِهِ مِنَ الرَّأْيِ ، وَمَا يُبْدِيهِ مِنَ النُّظَرَاتِ وَالْأَفْكَارِ ، فَسَعَوْا بِهِ إِلَى أَعْدَائِهِ ، وَإِلَى الَّذِينَ كَانُوا يُضْمِرُونَ لَهُ السُّوءَ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، أَوْ مَنْ كَانُوا يَعَادُونَ أَبَا الطَّيِّبِ لِأَسْبَابٍ خَفِيَّةٍ عَنِ السُّعَاةِ وَالْوُشَاةِ ، وَإِنْ لَمْ يَخَفْ عَنْهُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنْ لَا يَمِيلُونَ إِلَى بَقَائِهِ بَيْنَهُمْ ، أَوْ مَنْ يَتَرَيَّصُونَ أَنْ يَظْفَرُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْوُتَهُمْ بِحَذَرِهِ وَدَهَائِهِ .

...

فَبَيَّنَ أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ دَخَلَ « طَبْرِيةَ » ، عَلَى حَالَتِهِ تِلْكَ الَّتِي نَصِفَ ، مَرَاغِماً لِلْعُلُوِّينَ ، ثُمَّ لَمِنْ كَانُوا يَكِيدُونَ لَهُ قَبْلَ عَلَى عَهْدِ « بَدْرِ بْنِ عِمَارٍ » ، وَالَّذِي كَانَ يَتَوَلَّى كَبِيرَ مَا يَأْتُونَ بِهِ هُوَ الْأَعْوُرُ آيْنُ كَرُوسٍ كَمَا مَرَّ بِكَ . وَكَانَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي بَقِيَها بِطَبْرِيةَ حَذِيراً مُتَوَجِّساً يَتَرَقَّبُ ، وَكَانَ بِالرَّمْلَةِ إِذْ ذَاكَ (سَنَةِ ٣٣٦) الْأَمِيرُ « أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ طُغْجٍ » ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْخَبَرُ بِأَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ نَازَلَ بِطَبْرِيةَ ، طَمِعَ فِي مَدِيحِ أَبِي الطَّيِّبِ ، وَوَدَّ / لَوْ نَزَلَ عَلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَكْرَماً ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَاسِلُهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ وَيُنْزِلَ عِنْدَهُ ، فَأَضْمَرَ أَبُو الطَّيِّبِ الرُّحْلَةَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ الْخَبَرُ قَدْ بَلَغَ الْعُلُوِّينَ أَنَّ « أَبَا مُحَمَّدٍ ابْنَ طُغْجٍ » رَاسَلَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ فِي الرَّحْلَةِ إِلَيْهِ ، فَالْتَفَوْهَا نَهْزَةً مُعْتَرِضَةً أَنْ يَفْتَكُوا بِهِ ، وَتَوَهَّمُوا الطَّرِيقَ الَّتِي سِيرَ كُتُبُهَا أَبُو الطَّيِّبِ ، وَلَا بُدَّ ، فِي رَحْلَتِهِ ، فَأَرَصَدُوا لَهُ جَمَاعَةً مِنْ عِبِيدِهِمُ السُّودَانَ بِقَرِيَةِ بِالْقَرْبِ مِنْ طَبْرِيةَ يَقَالُ لَهَا « كَفَرُ عَاقِبٍ » ، وَأَمَرُوهُمْ أَنْ لَا يُفْتِلُوا الرَّجُلَ إِلَّا جُثَّةً دَامِيَةً . وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ كَانَ قَدْ جَرَى فِي خَاطِرِهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ فَاعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَخَالَفَ الطَّرِيقَ الَّتِي دَرَجَ السَّابِلَةُ عَلَى رُكُوبِهَا مَا بَيْنَ طَبْرِيةَ وَالرَّمْلَةِ ، فَلَمَّا فَاتَ الرُّصَيْدَ ،

وبلغه ما كانوا قد عزموا عليه ، وما كانوا قد أُرصدوا له ، رَثَ نفسُهُ ، وَزَفَرَ زَفْرَتَهُ من هذا الكيد المَلَّاحِقِهِ بكلِّ طريق ، وثارت في صَدْرِهِ الزَّوْبِعة التي كانت تثور فيه كلما أَبْتَلَى بيلاءٍ من العداوة ، أو أَصِيبَ بمصيبة من الكيد والمكر السيئ . فلَمَّا دخل الرَّمْلة ليمدح الأمير أبا محمد ابن طُغْج ، كان يَفُورُ وَيَغْلَى وَيَتَقَلَّقَلُ وَيَتَفَجَّرُ ، فلم يأخذ نفسه بآداب المدح والزيارة المبتدأة ، وَرَمَى في وجهه ممدوحه بقنايله قبل أن يُلجِج إلى مديحه فقال :

فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، طَلَايِي نُجُومُهَا ، وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ (١)
مِنْ الْجِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ ، إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ
وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ فَتُسْقَى ، إِذَا لَمْ يُسَقَ مَنْ لَمْ يُزَاجِمِ
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ ، مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ ، رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ ، وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بَائِمِ

ثم التفت إلى نفسه (يمدحها) ، قبل أن يمدح ابن طُغْج ، فقال :

/ إِذَا صَلُّتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكِ ، وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ (٢) ١٧٦

وَقَدْ قدمنا لك في أثناء القول أن أبا الطيب كان إذا نزل به نازلٌ مما يَكْرَهُه من العَمِّ والهَمِّ ، اشتدَّ به ذلك وأخذ عليه نَفْسَهُ ، فينصرف فكرُهُ كله إلى التدبر فيما مضى عليه من الرزايا ، وما أَجْلَبَ عليه من العُدَاةِ وَعَدَاوَاتِهِمْ . ولا يزال يَحْدَقُ ببصره في هذه الحالة ، مُسْتَوْعِباً كُلَّ إحساس في نفسه ، وَكُلَّ ما مرَّ به وَأَصَابَ منه ، حتى تتفجَّرُ في قلبه ونفسه ينابيع البيان ، فينتزع الحكمة من قلبه ولها أصولٌ تاريخية ضاربة فيه . فإذا تدبرت الأبيات السالفة وجدت فيها تاريخ قلبه وتاريخ مصائبه كُلِّهَا ، على ما سَقْنَاهُ في حديثنا .

ثم إن أبا الطيب لما كَرِهَ أمرُ العلويين الذين أُرصدوا له بكفر عاقب ، ارتدَّ إلى

(١) « الأرقام » ، جمع « أرقم » ، وهو الحية الخبيثة الخوفة .

(٢) « صال يصول صولاً ومصلاً » ، سطا على عدوه سطوة جبار .

الحالة التي وصفنا ، فلم يزل يدور ذلك في فكره بين قلبه ولسانه ، فلم يَقْدِر أن يَمْتَنِع عن ذكره في شعره الذي قاله في مدح أبي محمد خاصة ، ثم في شعره الذي قاله بعدُ لطاهر العلوي كما ستري . فمما قال لأبي محمد يذكر هذا الكيد الذي كيد به في طبرية :

كَرِيمٌ لَفَظْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ رَادٍ قَادِمٍ
وَكَادَ سُورِي لَا يَفِي بِنَدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ
(وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَثَرِيَّةً بِهَا (عَلَوِيٌّ) جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ)

والظاهر أنه كانت بين الأمير آبن طُفْج وهذا العلوي الذي كاد هو وشيعته لأبي الطيب في مخرجه من طبرية ، عداوة قائمة ، وأن هذا الكيد / كان لسبيين : الأول ، ١٧٧ ما كان بين العلويين وبين أبي الطيب كما قدمنا ، والآخر ، هذه العداوة بين رأس العلويين بطبرية ، وهذا الأمير الذي خرج أبو الطيب من طبرية قاصداً له مادحاً إيَّاه ، فلذلك قال أبو الطيب فيما يلي ما أنشدناه :

بَلَا اللَّهَ (حُسَّادَ) الْأَمِيرِ يَحْلِمِهِ ، وَأَجْلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَمَائِمِ
فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً ، وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْغَلَّاصِمِ (١)

...

هذا ، وقد بقي أبو الطيب في جوار الأمير أبي محمد بالرملة مكرماً ، يصحبه الأمير في رحلاته ، ويحضره مجلسه ، ويرافقه في زيارته ، ويُفَضِّلُ عليه كلَّ الإفضال ، حتى أَرْضَى ذلك القلب الذي كان يُغْضُ الأعاجم فيه طبيعة ثانية قائمة لا تَفُتَّر . وكان من أصحاب هذا الأمير رَجُلٌ من شيوخ العلويين بالرملة ، وأبناء شيوخهم ، وكانت له ولأهله أياد كثيرة عند بني طُفْج ، فلم يَفُتَّ الأميرَ أبَا مُحَمَّدٍ ما في مدح أبي الطيب له ، وقد ترك أن يمدح رجلاً جليلاً كصاحبه هذا « أبي القاسم طاهر بن الحسن بن طاهر العلوي » ، (٢)

(١) « حز الغلاصم » ، قطع الأعناق . و « الغلصة » لحمه ناتئة عند رأس الحلقوم .

(٢) نسب أبي القاسم ، مستوفى في جمهرة ابن حزم : ٥٥ ، ٥٦ .

فرغب إلى أبى الطيب أن يمدحه ، وكان من أبى الطيب ما كان فى امتناعه على ما مرَّ بك ، ^(١) فلما أجاب أبو الطيب الأمير إلى مدحه مُرغماً ، حاملاً على نفسه = إذ كان قلبه لا يرضى أبداً عن هؤلاء العلويين الذين آذوه ، والذين لقي من كيدهم بالأمس القريب ما لقي ، من إرصادهم لقتله = قال قصيدته يمدح أبا القاسم / طاهر بن الحسن ^{١٧٨} ابن طاهر ، ولكنه قدّم قبل مديحه هذه الأبيات ، وفيها ما فيها من لَمَزٍ قَوْمٍ من (العلويين) ، لعلمهم أن تكون بينهم وبين طاهر قرابةً دانية . والخطاب فى الأبيات لامرأة ذكرها فى تشبيب القصيدة :

وَلَمْ تَذَرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ	تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ
يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ ((وَلَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَعْرَ مُحَجَّلٍ
وُقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِي	يَهُونُ عَلَى مِثْلِ إِذَا رَامَ حَاجَةً
يَزُولُ ، وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبٍ	كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا
عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ	إِلَيْكَ ، فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى
أَعْدُوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ ((أَتَانِي وَعَيْدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنْتُمْ
فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبٍ ؟	وَأَنْتُمْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لِحَذَرْتُهُمْ

ثم التفت إلى نفسه (يمدحها) قبل مدح الشريف العلوى ، كما مرَّ بك فى قصيدة الأمير ابن طنج ، ^(٢) فقال فيما يلى ذلك :

إِلَى ، لَعْمَرِي ، قَصْدُ كُلِّ عَجِيبَةٍ	كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ
بَأَى بِلَادٍ لَمْ أَجِرْ دُؤَابَتِي !؟	وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأَهُ رِكَائِي !؟

وقد مضى ذكر هذه القصيدة وذكر أبيات أخرى منها ، فاكتفينا بما مضى منها

(١) انظر ص : ١٥٣ - ١٥٧ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٢٩١ .

عن الإعادة . (١) على أن هناك أشياء أخرى ، كان أولى بنا التوسع في تفصيلها ، ولكننا أجلناها إلى موضعها من كتابنا وبالله التوفيق .

...

/ ثم عزم أبو الطيب الرحلة من الرملة إلى جوار « أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي » ، فخرج من الرملة في سنة ٣٣٦ يريد أنطاكية ، ولم يحدث له حادث إلا ما كان من أمر إسحق بن إبراهيم بن كيغلغ في طلبه منه أن يمدحه ، فهجاه بقصيدته المشهورة التي أولها :

لَهْوَى النُّفُوسِ سِرِّيَّةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ ، وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

فلما بلغت ابن كيغلغ ، أراد قتل أبا الطيب ، وكان إذ ذاك بطرابلس ، فخرج منها ، فأتبعه ابن كيغلغ خيلاً ورجلاً فأعجزهم صاحبنا بالهرب إلى بعلبك ، ثم إلى دمشق ، ثم خرج من هناك إلى أنطاكية ، فلقى أبا العشائر . وكان مما قال لهذا الأعور ابن كيغلغ :

أَرْسَلْتُ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً !! صَفْرَاءُ أَضِيقُ مِنْكَ ، مَاذَا أَرَعُمُ ؟ (٢)
وَأَرَعْتُ مَا لِأَبَى الْعَشَائِرِ خَالِصاً ، إِنَّ الشَّاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيَنْعِمُ
وَلِمَنْ أَقْنَتْ عَلَى الْهَوَانِ بِيَاهِهِ تَذْنُو فَيُوجَأُ أَخْدَعَاكَ وَتَنْهَمُ (٣)

ثم طفق يمدح أبا العشائر إلى أن قال :

وَالْوَجْهَ أَزْهَرُ ، وَالْفُؤَادَ مُشَيِّعٌ ، وَالرُّمَحَ أَسْمَرُ ، وَالْحُسَامَ مُصَمِّمٌ
(أَفْعَالٌ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامَ كَرِيمَةً ، وَفَعَالٌ مَنْ تَلِدُ الْأَعَاجِمَ أُعْجَمٌ)

فكان أبا الطيب ، كان قد ملّ الأعاجم واستنقصهم ، وفيهم الأمير أبو محمد بن طنج الذي كان قد نزل عنده آنفاً بالرملة ومدحه ، ونال من فواضله .

(١) انظر ما سلف ص : ١٥٤ - ١٥٦ .

(٢) « صفراء » ، اسم أم ابن كيغلغ ، وفي البيت إشارة سيفة .

(٣) « وجأ عنقه » ، لزه وضربه من عند قفاه . و « نهمة » ، زجره واشتد في زجره وطرده .

- ١١ -

 أَصْبِرْ عَنكَ ، لَمْ تَبْخُلْ بِشَيْءٍ ؟
 وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَاشٍ ؟
 وَمَا وَجَدَ أَشْتِيَاقِي كَأَشْتِيَاقِي ،
 وَلَا عَرَفَ أَنْكَمَاشُ كَأَنْكَمَاشِي
 فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي ،
 وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ

١٨١ / أردنا في الباب السَّالف أن نذكرك على نفس أبي الطيب ، وما تميّزت به من شعراء العربية جميعاً ، وما أنطوت عليه من القوة والرَّجولة ، وما كان يزلزلها من الثورة التي لا تزال تهزُّه من قرارة قلبه ، فتنتطلق زلازلها من قلبه إلى لسانه ، فيثبّت لسانه في شعره عدَدَ هزّات الزلزلة وقوتها ، فلذلك نقلنا إليك طائفةً من شعره على التوالي في ترتيبها الزماني حتى هذا العهد الذي بدأ حين اتصل بأبي العشائر ، فدخل مدخلاً غير الأوّل ، وذهب في الشعر مذهباً عجباً ، وتحولت معاني نفسه من غرضٍ بعينه ، إلى غرضٍ آخرٍ غيرٍ مفارقٍ للأوّل ، بل منه استمدّد ، وعليه بنى . (١)

...

١٨٢ / خرج أبو الطيب من الرملة بقلبه وبنفسه وبآرائه قاصداً أنطاكية التي كانت في

(١) انظر ما سلف في أول الفصل العاشر ، وكانت قصائد أبي الطيب غير مؤرخة في ديوانه ، ولكن منذ اتصل بأبي العشائر وسيف الدولة جاءت قصائده كلها مؤرخة بالسنة والشهر واليوم ، وانظر ما قلته آنفاً ص : ٣٧ - ٤٠ ، ثم ص : ٨٣ - ٩٠ ، وهو مهم جداً .

يد بنى حَمْدَان التَّغْلِيَّيْن . وكان يَلِي أمرها ، من قبل سيف الدولة ، أبو العشائر الحَمْدَانِي الشاعر المبدع ، والمحاربُ الباسلُ ، والعريُّ الخالصُ الحبُّ للعرب والعربية ، الشديداُ العداوةَ للروم والترك والذيلم الذين توالى غاراتهم على الدولة العربية بالجيوش تارة ، وبالدسائس والمكايد والتمزيق تارةً أخرى . وكان المتنبي قد عرف بنى حَمْدَان من قَبْل ، وعرف منهم خاصةً سيف الدولة ، ^(١) الذى صَارَ الآن سنة ٣٣٦ صاحبَ الشام ، والمستولَى على أمرها ، والمُنْتَزِعُهَا من يدِ بنى طُغْج الإخشيديين الأتراك .

دَخَلَ أبو الطيب أنطاكية ليلقى العرب والعربية في مجلس بنى حَمْدَان ، وقد رمى دَبْرَ أذنه وتحت قدمه ، الأعاجمَ وما مدحهم به . وأراد أن ينقل شِعْرَهُ من تكْلُف المديح إلى التطلُّق والاسترسال في مدح مَنْ هُمْ من رأيه ، وَمَنْ يجد فيهم مَرْضَاةَ نفسه وآماله . ولئن كان قَبْلُ قد مدح القَوْمَ العلوجَ ليستخرج منهم بَعْضَ أموالهم التى غلبوا الأمة العربية عليها ، وليكون على مَقَرِّيةٍ من مَكْرهم ودَسَّهم ، وعلى عِلْمٍ بما يضمرون لأمتهم من الشرِّ الغالب على قلوبهم وعقولهم = فهو الآن قد وَجَدَ قُوَّتَهُ وأهله وعشيرته ، فليأتهم بكل غريبة من القول ، ولينجذ ذكْرهم في شعره ، وليهدأ قليلاً مما كان فيه من الثورة ، ليستطيع أن يَحْزِمَ رأيه وتدييره مع هؤلاء القوم ، عَلَى أن يعيدوا مجدَّ العربية ، (ويُدِيلُوا من دولة الخدم) الذين غلبوا على سياسة الأمة ، ورَمَوْا / بها في موارد الهلاك والفشل ، فهذا سرُّ قوله لأنى العشائر في قصيدةٍ مدحه بها ، والتى نقلنا أبياتاً منها في رأس هذا الباب :

١٨٣

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي (طَلَبِ المعالي) وَسَارَ سِوَايَ فِي (طَلَبِ المعاش)

فهو إنما قَدِمَ على بنى حَمْدَان لما ذكرنا لك ، لا للتكسُّب بالشعر ، وأكل الخبز من قوافيه ومعانيه .

...

(١) قد مضى ذلك في سنة ٣٢١ ، وقد تكلمنا هناك بما فيه الكفاية إن شاء الله - انظر من ص : ٦٩ -

رأيت قبل أن المتنبي كان إذا مدح بدأ بنفسه فذكرها ومجّدها وعظّمها ، ثم يبدى آراءه في الدنيا ، ويكشف عن الثورة القائمة في ضميره وقلبه ، ثم يُنذر ويوعد ويهدّد . فلما بدأ اتّصاله ببني حَمْدان ، ترك هذا المنهج ، وأدّخر قوته كلّها لأمرٍ غير هذا الأمر ، وأسبغ على بني حَمْدان ما كان يُسبغ من قبل على نفسه من ثياب المجد ، فهو يصفهم كما كان يصف نفسه ، ويعلو بهم إلى غاية السموّ في القوّة والسلطان والسماحة والبروّة وعِظَم المطلب ، ولم يذكر نفسه إلاّ حين يُخرجه الوُشاة والساعون بالشرّ بينه وبينهم .

فلما اتّصل أبو الطيب بأبي العشائر ، ونال منه مكانه ، وأدرك عنده طَلباته ، بدأت وشاية الوُشاة بأنطاكية تفعل أفاعيلها مرّةً أخرى ، ومَدّت الفتن أَعناقها من قبل شيعة العلويّين والفاطميّين والإخشيديّين والعباسيّين ، على ما نذهب إليه ، وشعر أبو الطيب بما هنالك ، فدَلّ أبا العشائر عليه بلطيف القول غير مُصرّح فقال :

فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ ، وَلَا أُورِي ، وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ ، وَلَا أَحَاشِي
/ كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشٍ ؟
أَصْبِرْ عَنْكَ ؟ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ ، وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَاشٍ ؟

.....

فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ ، وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشٍ
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ ، وَأَنْتَ ثَوْرٌ ، وَإِنِّي مِنْهُمْ لِأَلَيْكَ عَاشٍ (١)
(يُلِيْتُ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يَلْقَى أَنْوَفًا ، هُنَّ أَوْلَى بِالْخِشَاشِ) (٢)

(١) « عشا إلى النار يعيشو ، فهو عاش » ، إذا أَبْصَرَ في الليل المظلم فقصد قصدها .

(٢) و « الْخِشَاشِ » عودٌ صغير يُجْعَلُ في عِظَم أَنْفِ الْبَعِيرِ ، وَيُسْتَدُّ بِهِ الزَّمام ، لِيَكُونَ أَسْرَعَ لَانْقِيَادِهِ .
وعندى في هذا البيت نظر ليس هذا موضعه .

والظاهر أن أبا العشائر كان قد أصمَّ أذنيه عن سعاية السعاة والوشاة والحساد ، وما كانوا يريئون من تقليب قلبه عليه ، كما فعلوا بقلب « بدر بن عمار » من قبل ، فلما لم يأذن لهم أبو العشائر أول أول ، زادوا في التشهير بالرجل ، وفي اجتلاب الأكاذيب في ذمّه وتقيصته ، وفي التعريض به وبأدبه ، وجعلوا يذكرون ما كان في شعره من الثورة والإنذار والوعيد وذم الناس ، ويُعدّون مواضع فخره على مَنْ مدحه ، ويدّلون على سوء أدبه في مديحه إذ يقدّم مدح نفسه ، ثم يزيد فيمدحها بما لم يمدح ممدوحه بمثله أو بما يقاربه ، ووقع إليهم ما كان يُنَبِّز به لدى « بدر بن عمار » من تسميته بالمتنبى ، ^(١) فزادوا عليه ، ووضعوا من عند أنفسهم القصص في تطويل الحكاية ، وتعظيم أمرها . وبدأ العلويون أيضاً يُعرضون بمسألة نسبهِ ليُخرجوه أن يصرّح بنسبته العلوية ، فعندئذ لا يجدون حرجاً من أن يأخذوه كما أخذوه أول مرة ، ثم يلقّوا به في غيابة السّجن بضغ سنين . فلما بلغوا هذا المبلغ وضاق بهم / أبو الطيب ، لم يجد بُدّاً من العودة إلى طريقته الأولى حين يُخرج ، فكان مما قال في ذلك كله قبل أن يُلجّج إلى مديح أبى العشائر :

١٨٥

(أنا ابنٌ من بعضه يُقوّى أبا الب)	ساحٍ ، والتجلُّ بغضٍ من نجله)
(وإئتما يذكُر الجُدودَ لَهُم)	مَنْ تَقْرُوهُ ، وَأَنْقَلُوا حِيلَهُ) ^(٢)
فَخَرّاً لِعَضْبِ أَرْوَحٍ مُشْتَمِلَةٍ	وَسَمْهَرِيٍّ أَرْوَحٍ مُعْتَمِلَةٍ ^(٣)
وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ	مُرْتَدِياً خَيْرَهُ وَمُتَّعِلَةً
أَنَا الَّذِي يَبِينُ الْإِلَهِ بِهِ أَلْ	أَقْدَارَ ، وَالْمَرْءَ حَيْثُمَا جَعَلَهُ
جَوْهَرَةً تَفْرَحُ الشُّرَافُ بِهَا ،	وَعُصَّةً لَا تُسَيِّئُهَا السِّفَلَةُ

(١) قد مضى رأينا في هذه التسمية ، وأنها كانت لما كثر في شعره من الإنذار والوعيد ، انظر ما سلف ص ٢٣٢ - ٢٣٦ ، والتعليق هناك .

(٢) يقال : « نافرهُ ففرهُ » ، أى فاخره فغلبه في الفخر وألزمه الاستخذاء .

(٣) « العضب » ، السيف الماضى . و « اشتمل » ، تقلّد حمائله على منكبه . و « السمهرى » ، الرمح . و « اعتقل الراكب الرمح » ، جعله تحت فخذهِ ، ويحترّ آخره على الأرض وراءه .

(إِنَّ الْكِذَابَ الَّذِي أَكَاذُ بِهِ أَفُونُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي ثَقَلَهُ)
 فَلَا مُبَالَ ، وَلَا مُدَاج ، وَلَا وَا ن ، وَلَا عَاجِز ، وَلَا تُكَلِّه (١)
 وَدَارِعَ سِفْثُهُ فَخَرُّ لَقَى فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَجَاجِ وَالْعَجَلَةِ
 وَسَامِعَ رُغْتَهُ بِقَافِيَةٍ يَحَارُ فِيهَا الْمُتَفَحُّ الْقَوْلَةِ
 (وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهُ)
 (وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَغْرِفُهُ ، وَالذُّرُّ ذُرٌّ بَرَّغَمَ مَنْ جَهْلُهُ)

ومن صدق الرجل في محبته لأبي العشائر خاصة ، وبني حَمْدَانِ كَافَةً ، فَعَلَّ مَا لَمْ
 يَفْعَلُهُ مِنْ قَبْلُ ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَيَّ مَا ذَكَرَ بِهِ نَفْسُهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ فَقَالَ :

مُسْتَحْيِيًّا مِنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً

وقد أشار أبو الطيب في هذه القصيدة إلى أَنَّهُمْ زَادُوا عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْكِيدِ ،
 أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَكْثَرُوا الْقَوْلَ لَدَى أَبِي الْعَشَائِرِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ / إِنَّمَا كَانَ يَمْدُحُهُ لِلتَّكْسُّبِ ١٨٦
 وَالنَّيْلِ مِنْ فَوَاضِلِ مَالِهِ ، وَتَكْذَبُوا عَلَيْهِ بِكُلِّ نَقِيصَةٍ تُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبَ أَبِي الْعَشَائِرِ
 فقال :

مَالِي لَا أَمْدُحُ الْحَسَيْنَ ، وَلَا أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَذَلَهُ ؟
 أَخْخَفْتُ الْعَيْنَ عِنْدَهُ أَثَرًا ! أَمْ بَلَغَ الْكَيْدُ بَانَ مَا أَمَلَهُ ؟

ولكنَّ أبا العشائر كان قد عرف ، فيما نظنُّ ، سِرَّ الكيد الذي يكاد به أبو
 الطيب ، ولعلَّ سيف الدولة أيضاً قد بلغه مَقْدَمُ أبي الطيب على أبي العشائر ، فكتب
 إليه أن يحرِّصَ على الرجل ، وَلَا يَسْمَعْ فِيهِ لِمَنْتَقَصٍ وَلَا ذَامٍ ، وَلَا مِتْكَذَّبَ ، لما يعلم من سِرِّ
 الرجل الذي آنطوى عليه في أمر نسبته العلوية ، كما قَدَّمْنَا . فلذلك لم يجد الوُشَاةَ أَذْنًا

(١) « الْكَلَّةُ » و « الْوَكَلَةُ » ، الذي بكل أمره إلى غيره عجزاً عن القيام به .

صاغيةً ولا سَمِيعَةً ، فأنصرفوا برغمهم . ونال أبو الطيب الكرامة والعزة في جوار أبي العشائر ، وهدأ واستقرَّ قَرَارُهُ ، وأطمأن قلبه ، مُنْتَظِرًا مَقْدَمَ سيف الدولة إلى أنطاكية في مسيره في نواحي البلاد التي استولى عليها بالشَّام . وفي هذه الفترة من الطمأنينة والسكينة والكرامة لدى أبي العشائر ، استجَمَّ الرجل لِقُوَّتِهِ ، وأدَّخَرَ لسيف الدولة ذخائر قلبه وكرائم فُؤَادِهِ .

...

وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرَا
 تُ ، لَا يَخْتَصِمَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا
 قَوَافٍ ، إِذَا سِرْنَ عَنْ مَقُولِي ،
 وَتَبَنَ الْجِبَالُ ، وَخُضْنَ الْبَحَارَا
 وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ ،
 وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
 سَمَا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الْهُمُومِ ،
 فَلَسْتُ أَعْلُدُ يَسَارًا يَسَارَا
 وَمَنْ كُنْتُ بَحْرًا لَهُ ، يَا عَلِيُّ ،
 لَمْ يَقْبَلِ الدَّرُّ إِلَّا كِبَارَا

- ١٨٧ / في سنة ٣٣٧ كان سيف الدولة « أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن
 حمدان العدوي التغلبي » ، قد استولى على أكثر الشام ، ووقف للروم يرد غاراتهم على
 أطراف بلاده ، ويوقع بهم إيقاعاً شديداً ، وغلبت قدرته الحربية كل من كان في عصره
 من القواد ورؤوس الفتن التي عملت في انتكاس الدولة العربية وهلاكها . وكان يؤمل له
 أن يتسع ملكه اتساعاً عظيماً ، لولا ما كان من الأحداث العظيمة ، ثم ما كان في الدولة
 من دسائس الأعاجم التي فرقّت القلوب ، فلم تدع أمة من الناس إلا دخلت بينهم
 فمزقتهم شرّ ممزق ، وجعلت بعضهم على بعض حرباً وفساداً . وأيضاً ما كان من دعوة
 ١٨٨ / العلويين لقلب الخلافة التي بالعراق من عباسية سنية إلى علوية شيعية . وأيضاً ما كان
 من الدعوة السرية الجارفة التي كان يقوم بها دعاة الفاطميين ، وكانت هذه أشدّ البلايا التي
 ابتلى بها العالم العربي كله ، إذ أدخلت فيه ما ليس من طبيعته ، وقذفت به في ظلمات نهارها

من ليلها ، وكان دعائها قد تفرقوا في كل مكان من سلطان الدولة العباسية ، ليقعوا بين الأمراء ، وليحوزوا إلى دعوتهم فقة غالباً تُعينهم على ما يريدون وما يؤملون من إقامة الخلافة الفاطمية ممتدة من المغرب الأقصى إلى ما وراء خراسان .

وكان بنو حَمْدَان من شيعة العلويين ، ومن المتحققين بخدمة الدعوة العلوية ، إلا أنهم كانوا عرباً يَدْعُونَ إلى العلوية للعربية ، لما وجئوا من غلبة الأعاجم على الدولة العباسية ، ولكنهم حين رأوا ما دخل بين العلويين من فساد الأعاجم ، ومن الدعوة الفاطمية الجارفة ، وكانوا لا يَقْرُونَ هذه الدعوة ولا يسلمون لأصحابها بالنسبة الفاطمية المكرمة = رجعوا فانحازوا إلى الدولة العباسية ينصرونها وينصرون الخليفة (الثائم) على كرسى الخلافة . هذا ، مع إكرامهم للعلويين وتعظيمهم لهم . وقد أبدى بنو حَمْدَان من الدهاء ، وسعة الحيلة ، وحسن السياسة والتدبير في التوفيق بين عقائدهم العلوية وسياستهم العباسية ، ما لا قِبَل لأحد من أهل ذلك العصر في الإتيان بمثله ، أو القيام على أقل منه . وقد أثبت بنو حَمْدَان بسياستهم تلك أنهم كانوا يريدون إنقاذ العرب والإسلام من الفتن الباغية التي فعلت أفاعيلها لعهدهم في تضييع السلطان العربي ، وانتقال الشوكة والعزة إلى الحكم العجى الشعوى الفاسد الطويّة ، الباغى بكيده الإيقاع بالعرب ودينهم ولسانهم . (١)

وكان سيف الدولة خاصة من بين بنى حمدان أكثرهم دهاءً وأوسعهم / حيلة ، وأشدّهم حباً للعرب ودينهم ، وأكثرهم سعياً في ردّ الحكومة والسلطان إلى العرب ، وأعظمهم همّة في مساعى المجد لنفسه ولقومه ، وأكرمهم خلقاً أسراً ، وكان من بينهم محباً للأدب قائماً على خدمته ، وكان بطبيعته شاعراً خلّو اللسان ، خفيف الروح ، ينانى الفكر . وكان مبغضاً للأعاجم ولسانهم الذى أرادوا أن يغلبوا به على فارس وغيرها كما فعل بنو بُؤَيّه .

١٨٩

(١) انظر لهذا الفصل من الكلام ، ما سيأتى ص : ٣٢٧ - ٣٣١ ، وما قبلها أيضاً .

والظاهر أن سيف الدولة كان قد عَزَمَ في نفسه أن ينال بهِمَّتَه غاية الغايات في ضمّ أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظل حكومته ، وكان أوَّل ما أنفذ من ذلك أن رَاحِمَ بمناكبه الإخشيديين في الشام حتى أزاحهم عن أكثرها وردَّهم إلى الرِّمْلَةِ ، واستأثر دونهم بأكثر البلاد الشامية ، حتى هَلَعَ منه الإخشيد ، فتزَلَّفَ إليه بأن زَوْجَه ابنةَ أخيه ، ولم يُجِدْ ذلك كثيراً ولا قليلاً في إطفاء نار العداوة المستعرة بين الدم العربي والدم الأعجمي الغريب . واستمرَّ سيفُ الدولة في طلب التوسُّع والغلبة ، ولولا ما لقي من حروب الروم ، وما أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم ، لكان ثَمَّ له ما أراد . فإن حروب الروم ، قد استهلكت كلَّ قوته ، فلم يجد متسعاً لنيته في توطيد حكمه في الشام ، حتى إذا استجمع أذاته واستوفزَ بقوته ، مال إلى العراق فرَدَّ أمر الحكم إلى نِصَابِه في يد واحدة لا تضطرب ولا ترتجف . وذلك لما كان يرى من تقسُّم الأمر في بلاد الخلافة ، وضِياع السلطان بين الموالى ، وما جرَّ ذلك من المذابح المتوالية في كل مدينة من المدن العظيمة ، ومن الفتن المتتابعة في كل ناحية من النواحي . ونحن نظن أن السبب في كثرة غزوات الروم ، في عهد سيف الدولة ، لبلاد الشام وأطرافها ، أن الذين كانوا يفتنون الناس ببغداد من الأعاجم والروم والترك والديلم لينالوا ما يريدون ، علموا بأمر سيف الدولة / وما اعترم ١٩٠ من الميل عليهم مِثْلَةُ رابية ، فأوعزوا إلى ملك الروم أن يقاتله ، وأوقعوا في قلبه أن سيف الدولة إنما يريد أن يُزِيلَ الملك من بين يديه ويغلبه على بلاده ، فتمَّ لهم بذلك ما أرادوا من صَرَفَ سيف الدولة عن غزوهم وتمزيقهم ، واحتلال أرضهم ، وانتزاع السلطان من أيديهم . [انظر ما سيأتى ص : ٢٢٧ - ٢٢٨] وكان سيف الدولة على علم بما يُيَتُّون له من المكر ، فكان ينازل الروم ويواقعهم ، ويُعَدُّ انتصاره وهزيمة الروم ، انتصاراً لدعوته العربية وهزيمةً للأعاجم أصحاب هذا المكر ، وهزيمةً لمن وقع في حبالهم من العرب الذين لهم سلطان في سلطان هؤلاء . ولذلك كان وقع انتصاره في العراق وما وراء دجلة كوقع الصاعقة على رؤوس الفتنة ، وعلى الذين تولَّوا كِبَرُ هذا المكر السيئ والكيد الخفي . وأجَدَّت هذه الوقائع - التي انتصر فيها سيف الدولة على جيوش الروم - عداوة أصحاب السلطان من

الأعاجم لدولة بنى حَمْدَان ، فطفقوا يعملون على تفريق شمل من اجتمع إلى سيف الدولة وآزره ونصره ممن كان بالموصل والشام وغيرهما ، وبذلوا في مَسْعَاتِهِمْ أموالاً وذخائر . ولولا ما كان عليه سيف الدولة من الكرم والسخاء وبَسْطُ الْيَدِ للعافين والمريدين ، طَبِيعَةً مُرَكَّبَةً في أَصْلِ خُلُقِهِ ، لَأَعْيَوَهُ ، ولَأَخْرَجُوا من سُلْطَانِهِ أَكْثَر من دَانَ لَهُ وَرَضِيَ بِهِ وَبَحْكَمِهِ ، ولَأَعَانَهُمْ على ذلك ما يرون من المظالم التي ارتكبتها سيف الدولة مُدَّةَ حُكْمِهِ وَسُلْطَانِهِ .

هذا ، وقد كان أبو الطيب ، حين دخل أنطاكية قاصداً أبا العشائر في سنة ٣٣٦ ، عليماً بأمر سيف الدولة ، مُدْرِكاً للمكايد السياسية التي أحاطت بالرجل ، خبيراً بحقيقة ما اضطلع سيف الدولة بأعبائه من إيقاظ الهمم العربية ، / مستيقناً من أن غَرَضُ سيف الدولة فيما فعل ، إنما هو ضربُ الضربة القاضية على الفتن التي أَوْهَتْ قُوَّةَ الدولة العربية وَفَتَّتْ في عَضُدِهَا ، وأن الرجل كان قد اتخذ لأمره أحكم سياسة وأبرعها وأحسنها وأدقها وأبلغها في الوصول إلى الغرض المطلوب . وكان أبو الطيب نفسه ، يرمى بكل نفسه إلى هذا الغرض الذي يسدُّ إليه سَيْفُ الدولة ، فكان اتفاقهما في الغرض سبباً لاتصالهما وتوافقهما وتفاهمهما ، ولما تَمَّ بينهما من المودة والحب والكرامة .

وأخرى ، أن أبا الطيب ، كما وصفناه لك أولاً ، كان يرمى ببصره إلى (الرَّجُل) ، الرجل الذي تجتمع في رجولته صفات الخير كلها ، وصفات الكمال بأسرها ، كما كان يراها قلبه ويحلم بها فؤاده وأوهامه . و « الرجل » في أحلام أُنَى الطيب هو صورةٌ مثَّلها له ضميره ، من أحقادِهِ وآلامِهِ وثورته . فهو الرجل الضَّرْبُ الشجاع المستبسل الذي لا يهاب ولا يفتر ، بل يتقحَّم ولا يزداد على البلاء إلاّ مضاءً وعزيمة = وهو الرجل النافذ ببصره وبصيرته إلى أعقاب الأمور لا يَعْتَبِي ولا يَغْفُل ولا ينام = وهو الرجل المحارب الذي لا تغمضُ له عينٌ ، ولا يصبر على ضيمٍ ، ولا يَقَرُّ على ظلم = وهو الرجل الفَتَى العربي الذي داخل سياسة عصره فعرف أسرارها ، واتخذ لنفسه فيها مدخلاً ومخرجاً ، وأعمل فكره

في إنقاذ أمته ، وجاهد في سبيل ذلك بقلبه وفكره ولسانه ويده . وكانت هذه الصورة في دم أئى الطيب تدور فيه دوران الدم ، فإذا وجد (الرجل) حنً إلى كَأَشَدُّ ما تجد من حنين الدم إلى الدم ، وأخلص له ، وبذل له ذات نفسه وضمير قلبه ، فتراه لا يمجّد نفسه في شعره الذى يمدح به (الرجل) ، بل يَبْذُل كل كريمة من الصفات لهذا الممدوح مُضْرباً عن ذكر ثورته ، تاركاً وعيدَه وإنذارَه وتهديده ، إلا أن يُخْرِج كما حدثناك قبل . / وقد رأيت فيما مضى أن هذا قد وقع من أئى الطيب حين لقي « بدر بن عمار الأسدي » ، وهو الفتى العرنى (الرجل) ، [ص : ٢٥٩ - ٢٧٢ ، وانظره في الفهرس] .

وهذه الظاهرة الغريبة في شعر أئى الطيب تدل على أنه ما كان يبغي بقوله اكتساب المال وادّخاره للعيش ومُرافق الحياة ، بل كان يريد أن يحقق آماله التى يسعى إليها في ردّ السلطان لقومه العرب الأماجد . ولهذا تجده لم يقرّ سنواتٍ في جوار أحد ، إلا في جوار هذين العريين : « بدر بن عمار » ، و « سيف الدولة » . وذلك لما كان يرى منهما من الجهاد في سبيل الغرض الذى أنطوت عليه جوانحه . وكان أبو الطيب سريع الفراق لمن مدح حاشاهما ، إما لأنّه لم يجد عندهم عزماً إذا كانوا من العرب ، وإما لأنه إنما مدح بشعره للإجازة والمال الذى هو ملاك كل عمل ، إذا كان ممدوحه من غير العرب . فهذا موضع توله في شعره لأئى العشائر الحمدانى :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي (طَلَبِ المعالى) وَسَارَ سِوَاىَ فِى (طَلَبِ المعاشِ)

قالوا : « كان أبو العشائر وإلى أنطاكية من قبل سيف الدولة » فلما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية ، قَدِم المتنبي إليه ، وأثنى عنده عليه ، وعرفه منزلته من الشعر والأدب ، وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فاشتراط المتنبي على سيف الدولة ، أوّل اتصاله به ، أنه إذا أنشده مديحه ، لا ينشده إلا وهو قاعدٌ ، وأنه لا يُكَلِّف تَقْبِيل الأرض بين يديه ، فتسب إلى الجنون . ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلّع إلى ما يرد

١٩٣ منه ، فلما أنشده قصيدته الأولى التي أولها : « وفاؤكما كالثَّريع أشجاء طاسمه » ، / حَسَن موقعه عنده فقرُّهُ ، وأجازهُ الجوائز السنِّيَّة ، ومالت نفسه إليه وأحبَّه ، فسَلَّمهُ إلى الرُّواض فَعَلَّمُوهُ الفُروسِيَّة والطِّراد والمُتَاقِفَة .

ونحن لا نسلم بكل ما ورد في هذا النص ولا نثق به ، إذ كان مروياً عن غير ثقة مأمون معروف ، وإنما هو مما يتداوله الأدباء على علائته دون نقد أو تجريح ، وبحسن بنا أن نحدِّثك عن نقده قليلاً ، فإن في التَّقدِّم بركةً وخيراً ليست لشيء من الكلام .

فأول ذلك ، أن هذا اللقاء في سنة ٣٣٧ بين سيف الدولة وأبي الطيب لم يكن أول لقاء ، ولم يكن أول تعارف بينهما ، فقد حدثناك قَبْلُ أنه لقي سيف الدولة وأحبَّه ، وأحبَّه سيف الدولة في سنة ٣٢١ حين مدحه المتنبي بعد مخرجه من الكوفة متوجَّهاً إلى الشام ، وكان لقاؤهما برأس عيين من أرض الموصل الذي كان يدين لبني حمدان بالطاعة إذ ذاك ، [مر : ٢١٥ - ٢١٨ ، ٢٢٢] . ولا شك أن سيف الدولة ، وكان إذ ذاك صَغِيراً لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، قد فَرِحَ بمدح أبي الطيب له ، وأبقى ذلك أثراً في نفسه يجعله يتتبع شعر هذا الفتى العربي ومصيره . فهو كما ترى كان على معرفة به وبأدبه وشعره ومنزلته من الشعر والأدب ، هذا فضلاً عما استبطنَّاهُ هناك من العلاقة بين بني حمدان وأبي الطيب وجَدَّتْهُ ، وأنهم كانوا يفضلون عليها ويكرمونها ، وأنهم كانوا على علم بما أصابها من نكبتها في ابنتها وحفيدها .

وأخرى ، ... أن النص يقول إن أبا العشائر قدَّم المتنبي إلى سيف الدولة « وعرفه منزله من الشعر والأدب » . وهذا عجيبٌ من أمر سيف الدولة الأديب الشاعر السياسي المطلع على كل ما كان في البلاد العربية ، المتتبع لكل / حَدِّث في السياسة والأدب ، ١٩٤ عجيبٌ أن لا يكون قد وصل إليه طَرَفٌ من شعر أبي الطيب يَعْرِفُ منه منزلته في الشعر والأدب ، فيأتى أبو العشائر فيعرِّفه تلك المنزلة !!

وثالثة : أن النص يقول إن سيف الدولة قد دخل تحت شروط المتنبي حين اشترط عليه أن لا يُنشدَه إلَّا وهو قاعد ، وأنه لا يُكَلِّفُ تقبيل الأرض بين يديه . ونحن لا ندرى

لماذا يَدْخُل سيف الدولة تحت هذه الشروط ؟ ولا نعرف لماذا اشترط أبو الطيب هذه الشروط إذا كان قد جاءه على غير معرفة مُتَّصِلَةٌ بينهما ، وكان قد جاءه مُسْتَجِيباً طالباً رِفْدَه وَمَالَه وفواضله ؟ وهلاً أَجَلَ ذلك إلى أَجَلِه ، فيمدحه وينشده ، حتى إذا حَسُن موقعه عنده ، اشترط عليه ما يريد ، فَيَتَّقَى بذلك سُوء الرَدِّ ، وينال بالإِذْن لَه بما يشترط رِفْعَةً تُكَبِّتُ حُسَادَه ، وَتَغِيظُ عُدَاتَه ، ويكونَ فِعْلُه هذا أدلُّ على حُسْن سياسته ، وَسَعَةِ حيلته ، ويكونَ أشبه بتدبير أُنَى الطَّيِّبِ ، كما مرَّ بك في مواضع من كلامنا !!

والرابعة : أن في النَّص كلمة يُرَاد بها الغَضُّ من أُنَى الطيب وتحقيره ونسبته إلى الجفاء والغلظة والجَلَّافَة ، إذ زَعَمَ واضعها أَنَّ سيف الدولة سلم أبا الطيب « إلى الرِّوَّاض فعَلَّموه الفروسية والطراد والمثاقفة » . فقد كان أبو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة فارساً محارباً ولا شك ، وكان قد اتَّصَلَ بكثير من أصحاب السلطان وأصحاب الفروسية والطراد والمثاقفة ، وقد مرَّ بك أنه كان قد دخل بُنَّان وشارك في الطراد والصيد ، وكذلك حين كان في جوار « بدر بن عمار » وغيره ممَّن مدح . وكيف نَظُنُّ أَنَّ أبا الطيب كان قد طَوَّى هذه السنين كلها / بالشام ، مع ما كان فيه من العُجْبِ بقوته وفروسيته ، وذكر ١٩٥ ذلك في شعره ، ثم لم يأخذ نفسه بتعلُّم ذلك أو المشاركة فيه ، مع أنها كانت من الانتشار والذيعوم بمكان لا يجهل ؟

فهذه الرواية ، كما ترى ، لا تصلح أن تكون سياقاً للقاء أُنَى الطيب سيف الدولة . وأعلم أن أكثر ما يروى في ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التي تتناقلها مجالس الأدباء ، ولا يرادُّ بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما يُروى في تراجم رجالنا كان مما يراد به مَضْعُ الكلام في مجالس الأمراء أو في سامر الأدباء . = هذا على أنها ربُّما حملت فيما تحمل أشياء لولا ورودها في هذه النصوص ، لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم أمره إلَّا بها ، ولا يستمر إلَّا عليها . فلمثل هذا كان لابدُّ لنا من النظر في النصوص وتمييزها ، وردُّ بعضها

والأخذ ببعض ، حتى لا تتقطع بنا السبل في الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يفوتك هذا إذا قرأت ما نكتب ، أو أردت أنت أن تقرأ أو تكتب .

...

والسياق التاريخي عندنا للقاء أبي الطيب سيف الدولة هو ما ترى :

نزل أبو الطيب ضيفاً على أبي العشائر ، يمدحه ويخبره ويروّز ما عنده من الهمة ، وما في هذه الهمة من المطالب ، وما في مطالبه من الموافقة لما في ضميره من الآراء والأحكام . وكان يريد بذلك أن يكون على كُتب ومقرّبة من بنى حَمْدان (الذين منهم أبو العشائر) ، ليحقق في نفسه ما عَرَف عنهم / من خير ، وليرى رأيه في البقاء معهم أو مفارقتهم ضارباً في الأرض على ما كان عليه من قبل حتى يأذن الله له ، ويأتيه بالمواقي الموافق الذي يستطيع أن يهب له قلبه ووجهه ، ورأيه وحكمته ، وتجربته وخبرته ، وآراءه في السياسة التي كان جاهداً في معرفة خفّياتها ومُضمراتها طول حياته . وكان يخصُّ بإرادته هذه سيف الدولة ، وهو علّم بنى حَمْدان إذ ذاك ، والمستولى على الأمد من رجال عصره ، والذي عهد فيه أبو الطيب حين رآه في سنة ٣٢١ رجولة متحفّزة للوثبة ، وسمع من أخباره ما يكاد يحقق تَوْسُّمَه في ظفرو وفلّجه على خصومه وخصوم أبي الطيب نفسه .

وبقى أبو الطيب سنّة في ظلّ أبي العشائر ، وكان فتى من فتیان بنى حَمْدان ، قد جمع أداة الفتوة ولم يستكملها ، وكان أديباً مقتدرًا مولعاً بالأدب ، مبدجاً للأدباء عاطفاً عليهم معيناً لهم ، وكان شاعراً تقع له الدرّة الجميلة في شعره ، والنادرة البديعة ، غير متعمّد ولا جاهد . وأحبّ أبو الطيب صاحبه أبا العشائر ، وأحبّه أبو العشائر وأكرمه وأضفى عليه من كرمه ولينه وحنانه ، وقد حفظ له أبو الطيب هذه اليد التي له عنده ، حتى إنه لما غضب عليه بعد - لأمر سيأتى ذكره فيما يستقبل من كلامنا - وأرسل إلى أبي الطيب بعض غلمانهم ليوقعوا به وهو بظاهر حَلَب ، ورماه أحدهم بسهم أخطأه ، وقال له وهو يرميه : « خذه ، وأنا غلام أبي العشائر » = لم يُحفظ ذلك أبا الطيب على أبي

العشائر ، ولم يَسْتَدْعِ هذا العزم على قتله هِجَاءَهُ أبا العشائر ، بل قال : [ثم انظر ما سياتي

ص : ٣٤٤ - ٣٤٧] .

وَمُنْتَسِبٍ عِنْدِي إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ خَفِيفُ
(فَهَيْجٍ مِنْ شَوْقِي ، وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ الْوَفَّ)
/ وَكُلُّ وَدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَدَى دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحَسَنِ ضَعِيفُ
(فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرَنَ الْوَفَّ)
وَنَفْسِي لَهُ ، نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ، وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ غَنِيفُ
(فَإِنْ كَانَ يَبْغِي قَتْلَهَا - يَكُ قَاتِلًا بِكَفْيِهِ . فَالْقَتْلُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ) (١)

١٩٧

وهذه الحادثة وما كان من أبن الطيب فيها ، وما قال من الآيات السالفة ، دليل قاطع على أن الرجل كان إذا أحب وأخلص الحب لم يحوله شيء عن حبه = وأن هِجَاءَهُ الذي كان منه لبعض من مدحهم ، إنما كان منه لأنه لم يكن يُضْمِرُ لهم حُبًّا أَلْبَتَةً ، بل كثيراً ما كان يخفى بين جنبه احتقارهم وازدراءهم ، ولولا الضرورة لما مدحهم ولا قصدهم ولا وقف بأبوابهم . وهي أيضاً دليل على ما قطعنا به ، في موضع من كلامنا ، من أن أبا الطيب كان ودوداً الوفاً ، كريم الخلق ، وفياً لمن وفى له وأحبه وبأذله الوُدَّ . وقد صدق صاحبنا ولم يكذب إذ وصف لنا نفسه يوماً ما فقال :

خُلِقْتُ الْوَفَّا ، لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبَى مُوَجِّعِ الْقَلْبِ بَاكِيا

وهذا موضع من أخلاق أبن الطيب ونفسيته ينبغي الوقوف عنده وتدبره ، إذ كان كثيراً ما يعترض به المعترضون حين يذكرون أخلاقه ، حتى إنهم من اضطرابهم في فهم أخلاق الرجل ونفسيته ، زموه هو بالاضطراب والملل في الصداقة والود . وليس الأمر على ما ظنوا ، بل هو كما ترى في كلامنا هذا . ورحم الله أبا الطيب ، فقد حمل من نكد الدنيا في حياته وبعد موته ما لقي من أرزاء .

...

(١) أى فليقتلني بكفّي لا بكفّي غيره ، ولكن أبا الطيب أخرج المعنى في أسلوب غاية في البراعة .

/ هذا ، وقد لقي أبو الطيب وهو في جوار أبي العشائر ، كما حدثناك في الباب السابق ، كيداً كثيراً ، وتقول عليه المتقولون ما شاعوا ، وآذوه وكثروا عليه الوشاية والسعاية ، وغرّوا يذمه وتلّيه ، وكان ما زعمناه من تشهيرهم به إذ تَبَزَّوه باللقب الذي عُرف به بعد وهو (المتنبى) . ^(١) ولم يكن كل ذلك مما يردُّ أبا الطيب عن غايته التي قصد من أجلها أبا العشائر ، فبقى صابراً حتى كانت سنة ٣٣٧ .

ففى جُمَادَى الأولى من هذه السنة قدم سيف الدولة - من حربه مع الروم وظفريه بِحِصْنِ بَرْزَوَيْهِ - إلى أنطاكية التي كان بها أبو العشائر وأبو الطيب ، فاستقبله أبو العشائر ، وأبلغه ما كان من مَقْدَمِ أبي الطيب عليه ، وإكرامه له ، ووصف له ما حُسِنَ عنده من خُلُقِ أبي الطيب ، وما وجد فيه من الفتوة والمروءة ، وما أعجب به من حُسْنِ عشرته ، وجميل أدبه في المنادمة والمسامرة ، وما عليه أبو الطيب من الطَّبيعة الثائرة الجبَّارة ، وما انطوى عليه قلبه من محبة العرب ويُغُضُّ الأعاجم ، وما سمعه من آرائه في سياسة الأمة ، وما ابتليت به من البلاءِ الأعجمي والفتن الآكلة رطب الحياة العربية وبابسها ، وذكر له شعره الذي مدحه به فذكر سيف الدولة ذلك الفتى العربى الصَّبُوحَ الوجه ، الحسنَ السَّمِيتَ ، صاحب الوفرة المسترسلة التي تسيل إلى شَحْمَتَيْ أذنيه = ذكر ذلك الذى أنشده مديحه فى سنة ٣٢١ وهو يتدفق بفصاحته وبيانه ، ويتقلع بقوته وشِدَّتِه وحماسته وجِدَّةِ شبابه = ذكر سيف الدولة تلك الشخصية الطاغية بسحرها وجمالها وجلالها ، والتي لا تدع للنسيان فى الذاكرة يداً ماحية / أو مفسدة ... وقد كان أبو الطيب كما وصفوه « رَجُلًا مِلءَ العين قوياً بديناً خليقاً شَخِيصاً ، عادى الخلق ، قوى الأساطين ، وثيق الأركان ، جَيِّدُ الفصوص ، فيه جَفَاءٌ وخشونة » . ذكره سيف الدولة واستيقظت فى قلبه المحبة النائمة فى غُورِهِ ، وتجمعت له أخباره التي كان قد سمعها عنه من سنة ٣٢١ إلى هذه السنة ، فتقدَّم إلى أبى العشائر أن يستدعيه لساعته ، شاكراً له حسن وفادة الرجل وإكرامه له .

وكذلك لاقى العربيُّ الثائر الشاعر الفدُّ ، العربيُّ الفاتح الغازيُّ المجاهد الفدُّ ، على شوقٍ وحنين ، وحنَّ الدم إلى الدم ، وعَلَقَتِ النفسُ بالنفس ، وتعانقت القلوب في ساعة من غَفَلات الدهر ، أخرجت كِلَا الرجلين عن طوره . وكان هذا اللقاء الثاني فاتحةً مَجِيدِ أُنَى الطيب ، وخلود ذكر سيف الدولة في شعره وبيانه .

وفي هذا اللقاء التاريخي الذي انتفضت فيه القلوب ، ورمت بأسرارها وأشواقها ، ثارت نفسُ الرجل البليغ ، واجتمعت لها كُلُّ حَوَادِثِهَا وما مرَّ بها من الأهوال ، في مجلس أمير العرب الفاتح المجاهد الظافر ، وتقاذفت المعاني من قلبه إلى لسانه ، ووقفت محبوسةً في هذه الآيات التي ضَمَّهَا الشاعر إلى قصيدته بعدُ في مدح أميره وأمير قومه : (١)

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزَمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ (٢)
مَهَالِكُ لَمْ تَصْنَحْ بِهَا الذُّنْبُ نَفْسُهُ ، وَلَا حَمَلْتُ فِيهَا الْعُرَابَ قَوَائِمُهُ
(فَاُبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْعَبْرَ عَائِمُهُ)

ثم قال البيت الذي تنازعت كل عواطف قلبه ، ونوازع فؤاده ، وآراء فكره ، وفصَّح بيانه :

(غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بِلَا وَاصِيفٍ ، وَالشَّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهُ) (٣)

وكان ذلك بدء المجد الخالد الذي بقى للعرب في صفة أمير فدِّ من أمرائهم ، ردُّ به القدر عادية الروم عن بلد من بلادهم ، لا يزال مَعْقِلًا للعرب والعربية إلى يوم الناس هذا ... ألا وهو الشام الذي يضم فلذة أكباد الفاتحين من المهاجرين والأنصار ، ومن سبقهم

(١) أنشد أبو الطيب هذه القصيدة في مجلس آخر غير هذا المجلس الذي وصفناه لك ، ثم انظر مثل ذلك من فعل أُنَى الطيب ، في آيات يقرؤها ابتداءً ، ثم يضمنها شعره ، ص : ٣٤٠ ، والتعليق رقم : ٢ ، وما سياتي ص : ٣١٢ - ٣١٥ .

(٢) « مؤيدات » ، شديداً الأيدي ، وهو القوة .

(٣) « الطماطم » جمع « طِمْطَم » ، وهو العنق الذي لا يُفصَح ، يعرض بشعره زمانه .

إليها في الجاهلية من العَرَانِيقِ الصَّبَّاحِ من بنى غَسَّانَ . وكان ذلك أيضاً بدءَ المجد الخالد للسان العربي ، والفكر العربي الصريح في ديوان شاعرٍ فذٍّ من شعراء العربية ، لم يُرْزَقِ الشُّعْرُ ولا الحكمةُ مثله ذا لسان وبيان ألا وهو أبو الطيب المتنبي ، واحد الشعراء الذي جاء (فملاً الدُّنيا وشغل الناس) .

...

ولا بدّ لنا من الوقوف قليلاً عند هذا الموضع من الكلام ، وندع صِفَةً ما نحن فيه من لقاء الأسكدين العربيين الفاتحين . زعمنا لك فيما مضى أن تلك الأبيات الأربعة المذكورة آنفاً ، كانت مما ثارَ في قلب أبي الطيب في هذا المجلس الأول ، قبل أن يحتفل بيانه لقصيدته الأولى التي أنشدها سيف الدولة في تلك السنة . ^(١) وهذا موضع تدبُّرٍ وبَصَرٍ ، لا نحبُّ أن ندعه قبل أن نسوق إليك من أخباره طرفاً ، حتى تُنْهَجَ لنفسك نهجاً مقارباً يعينك على استخراج / أسرار أبي الطيب ، واستنباط ما كان يلجُّ في نفسه من العواطف ... بلى ، وهو عندنا قانونٌ من قوانين شِعْرِ أبي الطيب ونَفْسِهِ ، تستطيع به أن تعرف خَفِيَّاتِ ما في شعره من ضمائره ومبهماتِهِ . هذا ، وسنكشف لك عنه فيما يَسْتَقْبِلُ كَشْفاً مَبِيناً إن شاء الله . ^(٢)

كان أبو الطيب = على ما وصفنا لك من قُوَّةِ النفس وحِدَّةِ الطبيعة = مُرْهَفَ الحسِّ ، سريعَ التأثر ، تنطلق عَوَاطِفُهُ كُلُّهَا في ساعة من ساعات حياته ، فلا تلبث أن تستثير كل قُوَّةٍ فيه ، وتجتمع كلُّ قَوَاهُ حين ذلك ماضيةً من قلبه إلى لسانه ، لتثبت عليه عَدَدَ هَزَاتِ الزَّلْزَلَةِ التي وقعت في قلبه ونفسه ، ويفزع لسانه إلى بيانه لِيُبَيِّنَ عنه ما يغى من الإبانة ، فيحتفل بيانه كله في أبياتٍ قليلةٍ تكون هي أول القصيدة عند أبي الطيب ، ثم يَدَّخِرُهَا صاحبنا لأَجْلِهَا وموضعها ، فيثبتها في مكانٍ من شعره . وكثيراً ما تقع هذه

(١) انظر ما سلف ص : ٣١١ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر لذلك الباب الثالث عشر من حديثنا عن المرأة التي صنعت لأبي الطيب حكمته ، وأيدت بيانه

ببياناتها النسوى البليغ .

الآيات في موضع لا تتسأوُق فيه معاني الكلام على قاعدة مطردة من حَقَّ المعنى وتتابعه ، فلذلك تبقى هذه الآيات التي تحمل في ألفاظها هزات نفسه واقعة بين كلامين ، ولا تكون هي صلةً بينهما ، بل تكون كالفارق الفاصل . وهذا هو ما نسميه في شعر أبي الطيب موضع (الانتقال) . ومن مواضع الانتقال هذه تستطيع أن تستنبط الحالة النفسية التي كان عليها الرجل . فإذا تبصَّرت فيها ، واستخرجت معانيها ، وفصَّلت كلامها وألفاظها ، وفسرته على الأصول الشعرية والنفسية القائمة في شعر أبي الطيب ونفسه كما قدَّمناها لك = استطعت أن / تتلمَّس في ظلام التاريخ الحلقات التي ينبغي أن تصل بعضها ببعض ، فيسرى التيار بينها فتضئ لك ، فتتكشف المعاني في شعر الرجل ، وتبين المواضع الغامضة المظلمة من حياته وهذه هي الطريقة التي اتبعناها فيما كتبنا مما مضى بك ، وقد تحقَّقنا صدقها ، ووجدنا إسعادها لنا في المشكلات التي وُفِّقنا إلى تفسيرها أو نقدها أو تمييزها .

ويَجْمُلُ بنا هنا أن نعود بك إلى الآيات التي ذكرناها ، ونبين ذلك فيها ونسألك أن تعذرنا إذا قصرنا ، وأن تسدِّدنا إذا أخطأنا ، وأن تصبر على ما نستطرد فيه من الكلام بصير لا يَفُتُّ منه الملل ، فلا حكم لمُلُول ولا مُتَّرع .

يقول أبو الطيب قبل الآيات التي روينها لك يصف سيف الدولة :

لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٌ وَطَيْرٌ ، إِذَا رَمَى	بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجُمُهُ
أَجَلَّتْهَا ، مِنْ كُلِّ طَائِفٍ ، ثِيَابُهُ ،	وَمَوَاطِئُهَا ، مِنْ كُلِّ بَاغٍ ، مَلَأَتْهُ (١)
.....
سَحَابٌ مِنَ الْعِيقَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا	سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتَهَا صَوَارِمُهُ

(١) « الأجلة » جمع « جلال » ، وهو جمع « جُل » ، وهو كساء تلبسه الخيل لتصون ظهورها . « الملاغم » ،

ثم (ينتقل) أبو الطيب من ذكر الحرب ، ومن صفته جُيُوش سيف الدولة وما كانت تأتى به من أهوال الحرب ، وما يكون منها في ساحات الوغى ، فيقول غير متخلص إلى غرضه = على ما يريد علماء البلاغة !! من حسن التخلص = فيقول بصيف نفسه وما لاقى هو من الأهوال والمهالك :

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزَمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ

/ الأبيات الأربعة التى آخَرُهَا :

٢٠٣

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بِلَا وَاصِفٍ ، وَالشُّعْرُ تَهْدِي طَمَاطِمُهُ

ثم (ينتقل) بعد هذا البيت انتقالاً آخر ، فيقول يذكر نفسه ورحلته :

وَكُنْتُ إِذَا يَمُمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً سَرَيْتُ ، فَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ

ثم (ينتقل) أيضاً بعده فيذكر سيف الدولة فيقول :

لَقَدْ سَلَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِماً ، فَلَا الْمَجْدُ مُخْفِيهِ ، وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهُ

فلهذه الانتقالات المتتالية وَقَفْنَا عند الأبيات الأربعة التى قدمناها ، وتبصّرنا فيها وفي معانيها ، وفي دلالات ألفاظها واحدةً واحدةً ، ورددنا البصر إلى مَقْدَم أى الطيب إلى أنطاكية في جوار أى العشائر سنة ٣٣٦ ، ثم مَقْدَم سيف الدولة إليها في سنة ٣٣٧ ، ثُمَّ في اللقاء الذى رَوَوْا خبره على عِلَّاتِهِ ، ونفضنا الأبيات ومعانيها ، وتَلَمَّسْنَا الحلقات في ظلام التاريخ والترجمة ، فوصفنا لك اللقاء الذى كان في تلك السنة بين أى الطيب وسيف الدولة ، ونحن ننظر بعين لا تُخسر إلى ما قَدَّمْنَا من التاريخ في صدر هذا الباب ، وما عرفنا من خُلُق أى الطيب وآرائه وأغراضه وآماله ، وما وقفنا عليه من خُلُق سيف الدولة وآرائه وأغراضه وآماله ، ثم حكمنا كما رأيت أنها كانت أَوَّل ما قال أبو الطيب من

قصيدته تلك ، وأتممنا الرأى على ذلك ، واعتمدناه ، وسيرنا على بركة الله . فانظر ماذا نرى : (١)

...

/ ثم نعود إلى ما كنّا فيه لقي أبو الطيب سيف الدولة ، وخرج من مجلس أمير العرب ، وهو يقول كما قال أولاً في بعض من مدح بأنطاكية :

مُقْدَى بآباء الرجال ، سَمِيدَعَا هُوَ الْكَرْمُ الْمَدُّ الذِي مَا لَهُ جَزْرُ
وَمَازِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ
وَأُسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَقَيْنَا ، صَغَّرَ الْحَبَرَ الْحُبْرُ

واحتفلت نفس الشاعرِ الناثِرِ البليغِ لهذا اللقاءِ ، ونسى نفسه وما كان يذكرها به من القوة والفتوة ، وما كان طُولَ عمره يصفها به من صفات الرجولة والكمال ، ووجد آماله في آمال سيف الدولة ، وآراءه في آرائه ، وعواطفه في عواطفه ، فألقى في مدح (الرَّجُل) كل نفسه وآرائه وأفكاره وعواطفه ، وألغى ذكر نفسه ، ورمى بين يدي سيف الدولة الدُّرَّةَ الأولى في تاج بنى حَمْدَانِ مشرقة متألقة تَسْطَعُ وتَنْضَوُ .

وفي هذه القصيدة الأولى التي أولها : « وَفَاؤُكَ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ » ، رَجَعَتْ إلى أُنَى الطَّيِّبِ قُوَّةَ التَّصْوِيرِ وَالتَّمثِيلِ ، فرسم صورة سيف الدولة كأحسن ما تأتى من بنانٍ مُصَوَّرٍ صَنَعَ لَبِيقٍ حَازِقٍ مُبْدِعٍ ، ووصف المجلس الذي كان فيه سيف الدولة كأنك تراه . وذلك أنه دخل عليه وَقَدْ جَلَسَ فِي فَازَةٍ مِنَ الدِّيَاجِ عَلَيْهَا صُورَةُ مَلِكِ الرُّومِ ، (٢)

(١) اعلم أننا لو أردنا أن نقفك عند لفظ لفظ من الأبيات ، ونكتب لك الرأى كله مقيداً لطويتنا بذلك ورقات من هذا الحديث ، ولكان ذلك قطعاً لنا عن إتمام هذا العدد من المقتطف . فلا بد لك إذن من النظر ثم النظر ، ولعلك بالغ بقوتك ما لم تبلغه بضعفنا ، وفقنا الله وإياك .

(٢) الفازة : المظلة تقوم على عمود في وسطها . وهي أشبه بما يتخذها الناس في يومنا هذا على شواطئ البحار .

وصورُ رياضي يَدْوَحُها وطيرُها ووَحْشُها وحيوانها . فكان مما قال في صفة تلك الفائزة ،
والأسد المُقْعَى في ذراها :

٢٠٥ / وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ
عَلَيْهَا رِيَّاضٌ لَمْ تُحْكَمْهَا سَحَابَةٌ
وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجَّهِ
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحاً بِهِ
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ ، كَأَنَّهُ
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ
تُقْبَلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطِئِهِ ،
قِيَاماً لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيْفَهُ
قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً ،
لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَرَجُلٍ ، إِذَا رَمَى
أَجَلَّتْهَا ، مِنْ كُلِّ طَاغٍ ، ثِيَابُهُ ،
(فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغْيِرُهُ ،
(وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَذُقُّ صُدُورُهُ ،
لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِماً
عَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَغَرِّ نِجَادُهُ

حَيَا بَارِقٍ فِي (فَازَةٍ) أَنَا شَائِمَةٌ
وَأَغْصَانُ دَوْجٍ لَمْ تُعَنَّ حَمَائِمُهُ
مِنَ الدَّرِّ ، سِمَطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاطِمُهُ (١)
يُحَارِبُ ضِدَّ ضِدِّهِ وَيُسَالِمُهُ
تُجُولُ مَذَاكِيهِ ، وَتَذْأَى ضَرَاعِمُهُ (٢)
لَا بُلَجَ ، لَا تَيْجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهُ
وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُتْمُهُ وَبِرَاجِمُهُ (٣)
وَمَنْ بَيْنَ أَذُنَيْ كُلِّ قَرَمٍ مَوَاسِمُهُ
وَأُنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهُ (٤)
بِهَا عَسْكَرٌ لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجِمُهُ
وَمَوْطِئُهَا ، مِنْ كُلِّ بَاغٍ ، مَلَاعِمُهُ
وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاجِمُهُ
وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهُ (٥)
فَلَا الْمَجْدُ مُخْفِيهِ ، وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهُ
وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ

(١) « الموجه » ، ذو الوجهين .

(٢) يصف الخيل (وهي المذاكي) ، والأسود وهي تختل صيدها من الظباء النافرة . « دأى الصيد » ، ختله لبيده .

(٣) البراجم : مفاصل الأصابع .

(٤) القبائع : ما يكون على قوائم السيوف من الحلَى ، يعني السيوف المحلاة بالذهب والفضة .

(٥) تأمل تكرار « مل » في البيتين الأخيرين ، وتكرار « مما » ، وهي تدل على الكثرة .

تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ ، وَهِيَ عَبِيدُهُ ، وَتَدْخُرُ الْأَمْوَالَ ، وَهِيَ غَنَائِمُهُ
 / وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ ، وَالْدَّهْرُ دُونُهُ ، وَيَسْتَعْظَمُونَ الْمَوْتَ ، وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ
 وَإِنَّ الَّذِي سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِيفٌ ، وَإِنَّ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لَطَائِلُمُهُ
 وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَذُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ (١)

فاقرأ ، ثم اقرأ ، ثم تدبر ، ثم عُدْ إلى النهج الذي أشرنا إليه في الحديث عن « بدر بن عمار » ، وَوصَفِهِ الْأَسَدَ هُنَاكَ ، وَقَارِنْ بَيْنَ مَا تَرَى هُنَا وَمَا تَرَى ثَمَّ ، تَجِدُ التَّقَارُبَ بَيْنًا وَاضِحًا ، وَالتَّفَسُّرَ الشَّعْرِيَّ الْبَلِيغَ الْعَظِيمَ مَمْتَدًّا مِنْ زَمَانٍ بَدْرٍ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ غَيْرَ مَنْقُطِعٍ . وَتَدَبَّرْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْأَخِيرَةَ وَمَا وَسَمَّاهَا بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ مِنْ مِيسَمِهِ الَّذِي يَتَلَذَّعُ بِنَارِ قَلْبِهِ ، وَالَّذِي صَارَ عَلَامَةً بَيِّنَةً فِي كُلِّ شِعْرِهِ الَّذِي قَالَهُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ هَذَا . وَفِي الَّذِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ وَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ كِفَايَةً لِلْبَصِيرِ الْمُنْتَدِرِ .

وَبَقِيَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِأَنْطَاكِيَّةٍ أَشْهَرًا مِنْ سَنَتِهِ تِلْكَ ، وَأَبُو الطَّيِّبِ إِلَى جَوَارِهِ وَفِي مَجْلِسِهِ ، وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ وَفِي رِكَابِهِ . وَاسْتَصَفَاهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَمَنْحَهُ بِشْرَهُ ، وَقُرْبَهُ ، وَامْتَدَّدَ الْحَدِيثُ بَيْنَهُمَا فِي بَعْضِ الْخُلُوتِ عَنْ شُؤْنِ الدَّوْلَةِ وَمَا وَقَعَ فِيهَا ، وَمَا أَدْرَكَهَا مِنَ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ ، وَمَا كَانَ لَوَقْتِهِ مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ . وَرَأَى سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَنَّ مُحَدِّثَهُ رَجُلٌ دَاهِيَةٌ بِصِيرٍ مُحَنَّكَ قَدْ تَجَذَّتْهُ الْحَوَادِثُ ، وَلَهُ رَأْيٌ وَمَعْرِفَةٌ وَأَسْرَارٌ قَدْ اسْتَجَدَّهَا بَعْدَ اللَّقَاءِ الْأَوَّلِ فِي سَنَةِ ٣٢١ ، فَضَلَّاهُ عَمَّا كَانَ يَعْرِفُهُ ، فِيمَا زَعَمْنَا ، مِنْ نَكْبَتِهِ الْأَوَّلِ فِي نَسَبِهِ / مِنْ قَبْلِ ٢٠٧ الْعُلُوِّينَ أَصْحَابِ الْأَمِيرِ بِالْكُوفَةِ ، فَزَادَهُ قُرْبًا وَكِرَامَةً وَحُبَّةً ، لَمْ يَنْلِ مِثْلَهَا شَاعِرٌ مِنْ أَمِيرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَجَبًا فِي أَنْطَاكِيَّةٍ وَغَيْرِهَا ، لِمَا عُرِفَ مِنْ صَرَامَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَتَحَرُّرِهِ وَتَشَدُّدِهِ حَتَّى عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِهِ . فَانْظُرْ إِذَا أَرَدْتَ إِلَى مَا كَانَ بَيْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَيِّ فِرَاسٍ

(١) « اللزبات » جمع « لزبة » ، شذائد الدهر التي تفقر الناس .

الحمداني ، فإن القَرابة والرَّحَمَ لم تنفع أبا فراس في القرب من سيف الدولة ، مع أنه كان متحققاً بخدمته ، ذاهباً في طاعته ومَرْضَاتِهِ ، حامياً لحقيقته ، مفضلاً له في حروبه وغزواته بنفسه ودمه ، ممجداً له في شعره ، مخلداً ذكرَ غزواته وحروبه . كلُّ هذا لم يقرب أبا فراس من سيف الدولة قُرْبَ أبي الطيب منه ، مع تقدُّمهما في الشعر والأدب ، ومع أن أبا فراس كان أولى بالتقديم والتكريم من أبي الطيب لحُسْنِ بَلَاءِهِ في الحرب ، وقَدَمَ عِشْرَتِهِ لسيف الدولة ، وسبقه في تمجيده وتحليل ذكره وذكر حروبه . فلذلك نقول لك إن تقديم سيف الدولة أبا الطيب على سائر شعرائه المستظلين بظله ، والمتبردين في طاعته وخدمته ، لم يكن من أجل الشعر وحده وحسب ، بل للذي بلّاه سيف الدولة من آراء أبي الطيب وأفكاره وعواطفه في الأمور السياسية التي كان يسعى في تحقيقها وإتمامها والقيام عليها بسيفه وخيله ورجله ورجاله المحنكين من ذوى الذِّهَاء والخبرة والمعرفة والعلم . وقد قدمنا مطالب سيف الدولة في أول هذا الباب . (١)

...

ثم عزم سيف الدولة الرحيل عن أنطاكية إلى حلب مقرَّ حكمه ، ولكن أبا الطيب لم يصحبه في رحيله هذا ، فعزم عليه سيف الدولة أن يلحقه بحلب . / وعندنا أن الذي عاق أبا الطيب عن صُحبة سيف الدولة في هذا الرحيل ، أمرٌ يخصُّه هو ، وليست له فيه إرادة . وقد قلِّبنا الرأى في شعر المتنبي في تلك الفترة وما بعدها بقليل ، وتدبرنا كلام الرجل على الأصول التي قدمنا لك منها أطرافاً في كلامنا ، وظفرتنا بأشياء دلَّتنا على أن هذا الأمر الذي عاقه كان مما يقطع في قلبه ويؤججه في عواطفه ، وتبيَّن لنا أن هذا الأمر هو مَرَضُ زَوْجَتِهِ ، والظاهر أنها كانت حاملاً ، ثم جاءها المخاض فأغصت وعسرت ولادتها ، ثم رَمَتْ ذَا بَطْنِهَا وماتت [انظر ما سلف من : ٢٣٩ ، ٢٤٠] ، وكان مرضها ذلك في حَمْلِهَا ، ثم ما تركت له وراء ظهرها = ولعلَّ الوليد مات بعد أشهر قبل أن يستمسك = هو الذي منع أبا الطيب أن يصحب سيف الدولة يوم رَحيله من أنطاكية .

٢٠٨

(١) تلتب تجد بقية الحديث بعد قليل في هذا الباب ، فاجعله منك على ذكر .

وتأويل ذلك : أن أبا الطيب كان ولا شك عازماً على رُقعة سيف الدولة ، ولولا ما فُجِئَهُ مما لا حيلة له في رَدِّهِ لَفَعَلَ ، فإنه حين أَرَمَعَ سيف الدولة الرحيل عن أنطاكية قال له أبو الطيب :

نَحْنُ مِنْ ضَائِقِ الزَّمَانِ لَهُ فِيكَ ، وَخَائِنَةُ قُرْبِكَ الْإِيَّامُ

وقال أيضاً في يوم رحيل سيف الدولة ، وقد كثُرَ المطر وكاد يعوقه عن عزمته :

رُويَدُكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ تَأَنَّ ، وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ
وَجُودُكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً ، فَمَا فِيهَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ
لَا تُكِبْتَ حَاسِداً وَأَرَى عَدُوًّا ، كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّجِيلُ

فهو في البيت الأول يذكر ما يبتليه به الدهر من العوائق ، وما يُضايقه / به من
الآرزاء التي تُحَوِّلُ بينه وبين ما يروم من صحبة سيف الدولة والقرب منه ، وقد خَصَّ نفسه
بذلك إذ يقول : « نَحْنُ مِنْ ضَائِقِ الزَّمَانِ لَهُ فِيكَ » ، ولا نَظَنُّ أَنْ قد كان إذ ذاك ما يمنع
أبا الطيب من الرُقعة ، إلا ما يخرج عن إرادته ، ويقع بينه وبين عزمه . فلما كادَ المطر
يَعُوقُ سيفَ دولة ، بانَ الفَرْحُ في كلام أبنِ الطيب مقروناً بالحسرة ، لما يعلم من أن ذلك
لن يَقْطَعَ فيما أبْرَمَ من عزمه ، فسأله أن يبقى قليلاً بأنطاكية ، وتعلَّلَ له بعلته التي
ذكرها . وكان أبو الطيب إذ ذاك متأثراً بالحالة التي عليها امرأته ، فوقع في بيت من
قصيدته الأخيرة التي ذكرنا أوَّلَهَا ، ما يَدُلُّ على ما في نفس الرجل من آثار ما كان فيه من
الكَرْبِ ، على عادته التي أسلفنا بيّانها في مواضع . فقال لسيف الدولة :

فَلَوْ جَاَزَ الْخُلُودُ خَلَدْتُ فَرْدًا وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ ()

فهذا الحزنُ الغالب على الشطر الأخير ، والمتمثِّلُ في كلماته ، وفي عبارته عن
المعنى الذي أرادَهُ حين استدرك بقوله : « ولكن » بَعْدَ الذي كان من فرحه وطربه وتدفق
نفسه بالآمال ، واستبشاره بلقاء سيف الدولة ، والذي كشفت عنه قصيدته الأولى :
« وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه » ، على ما مضى في كلامنا = كُلُّ ذلك يَدُلُّ على أن

الرجل كان قد أدركه ما أحزنه وغمّ قلبه ، وردّ عليه فرح نفسه غمّاً وحسرة وتشاؤماً من الدنيا ، وما يكون فيها من بلايا الدَّهر بالفراق والموت . وهذا بين كما ترى .

وانتقل أبو الطيب - بعد موت امرأته بقليل - من أنطاكية إلى حلب ، ثم ماتت والدة سيف الدولة ، فقال له في عزائه قصيدته المشهورة ، وأولها من دموع أوى الطيب التي كان يبكي بها ، وقد جاء فيها :

٢١٠ / نَصِيْبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ، نَصِيْبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالٍ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِيهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
وَهَانَ ، فَمَا أُبَالِي بِالرَّرَايَا (لِأَنِّي مَا أَتَقَفَعْتُ بَأَنْ أُبَالِي)
.....
(يُدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَتَمْشِي) أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (

وهذا الحديث عن نفسه ومصائبها ورزاياها ، وما فيه من الحزن الغالب على عقله وعواطفه ، بعد الذي كان من أفراحه ، دليل على ما قدمنا من أن الرجل كان قد أصيب وأبتلى ببلاء آلمه وحزّ في قلبه ، لا يزال يدفعه إلى القول الباكي الحزين . ثم يستمر على ذلك في شعره مدّة ، فإنّه في هذه السنة نفسها (سنة ٣٣٧) قال وهو يمدح سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان من أسير الخارجيّ :

تُفْلِكُ الْعُنَاةَ ، وَتُعْنِي الْعَفَاةَ ، وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ
فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَعْيُكَ فِي الْآجِلِ

يعنى سيف الدولة ، وهذان البيتان في ختام القصيدة ، فكان حقّ الشعر أن يقف به أبو الطيب عند هذه الدعوة الصالحة بالظفر الذي كان ، والعمل الصالح فيما يستقبل ، ولكن نفس الرجل كانت مضطربة متأثرة ، قد غلبها الحزن ، وغمّتها الدنيا (التي ليس لها خليل) بما جلبت عليها من أرزاء ومصائب ، فانتقل على عادته غير

متخلص ولا حافل (بالمناسبة ومقتضى الحال) ، فقال في عَقِب هذين البيتين ، بيتين آخرين غريبين عن معنى الدعاء وعن معنى المدح ، / اجتمعت فيهما مرارة الحياة كلها ، ٢١١ ثم جعلهما ختام القصيدة ، قال :

(فَذِي الدَّارِ أَخَوْنُ مِنْ مُوسَى ، وَأُخَذْتُ مِنْ كَيْفَةِ الْحَابِلِ)
تَفَانَى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ

إنهما نفثة مكروب حزين ، قد أذمت قلبه غدَرَات الدَّهْرِ ، قال له الدهرُ : « خُذْ » ، ففرح وابتهج ، ولم يكذ حتى قال له : « هَاتِ » ، فطارت البهجة ، وأطبَق عليه الكَرْبُ الخانق المظلم .

فأنت ترى الآن أن هذه المعاني التي قَيَّدناها لك ، آخِذ بعضها ببعض ، على طَرَازٍ لا يختلف من الحزن والكرب . هذا ، وقد كان سيف الدولة سأل أبا الطيب بعد ذلك أن يسير معه إلى الموصل ، لَمَّا أُرْمِع هو المسير إلى نُصْرَةِ أَخِيهِ نَاصِرِ الدولة ، فاعتذر له أبو الطيب عن المسير معه بقوله :

كُنْ حَيْثُ شِئْتُ ، فَمَا تَحُولُ تَثَوُّفٌ دُونَ اللَّقَاءِ ، وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ
(إِنَّ الَّذِي خَلَّفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ ، مَا لِي عَلَى قَلْقَى إِلَيْهِ خِيَارُ)
(وَإِذَا صُجِبَتْ فَكُلُّ مَاءٍ مَشْرَبٌ لَوْلَا الْعِيَالُ) ، وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ)
إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأَنْ أَعُوذَ إِلَيْهِمْ صِلَةَ تَسِيرٍ بِذِكْرِهَا الْأَنْخَبَارُ

فلو أن امرأته كانت إذ ذاك باقية لم تَمُتْ ، لَمَّا عَزَّ عَلَى أَبِي الطيب أن يفارق (عياله) في رفيقته وصحبته . وبين من قوله : « إِنَّ الَّذِي خَلَّفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ » ، أنه يعني صغيراً من ولده لا يطمئن قلبه إذا فارقه مُضِيعاً ليس له من يَعُولُهُ أَوْ يَكُلُوهُ ويرعاه ، وأتم ذلك المعنى بقوله : « مَا لِي عَلَى قَلْقَى إِلَيْهِ خِيَارُ » . وفي الأبيات جميعها حنان الأبوة ماثلاً بين لا خفاء فيه وَحَسْبُكَ هَذَا مِنْ كَلَامِنَا ، فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الدِّيْوَانِ ، فتدبر قصائده بعد ذلك ، / ففيها من مثل هذا كثير ولا يفوتنك أن تذكر ما قدمناه من دقة ٢١٢

إحساس هذا الرجل ، وسُرعة تأثره ، وظهور هذا التأثير في شعره إذا كَرِهَ أمرٌ يَغُمُّه أو يثيرُه أو يَهيجُ كبريائه ، وما يكون من جَرَاء ذلك في شعره من الانتقال من معنى إلى معنى غير عالٍ (بحسن التخلص ومقتضى الحال) .

وقد قال أبو الطيب هذه الأبيات الرائية في آخر سنة ٣٣٧ ، وفي شهر صفر من سنة ٣٣٨ ، مات أبو الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، فرتاه أبو الطيب ، وختم رثاءه بثلاثة أبيات ، فاقراها متبصراً متدبراً ، قال :

أُنْبِكى لِمَوْتَانَا ، عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ تَقُوتُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلٍ
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ ، تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبَ مِنَ الْقَتْلِ
(وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤْمَلَ عِنْدَهُ حَيَاةً ، وَأَنْ يُشْتَقَّ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ)

فقال : « أُنْبِكى لموتانا » ، مقالة رجل قريب عهدٍ بنكبة الموت ، يخاطب رجلاً مثله قريب عهدٍ به . ثم ذكر الاشتياق إلى « النسْلِ » ، مع ما في البيت من المرارة الظاهرة التي لم يذهب طعمها من قلبه بعد . إنه يبت فاضاً عن قلبٍ مفعجوع يتفطر حزناً ، ويقطر يأساً . كل ذلك دليل صريح على أن أبا الطيب كان يخاطب نفسه كما يخاطب سيف الدولة ، لأن بنوهمَا واحدة .

...

اجتمع على أبنى الطيب ، كما ترى في أول صحبتته لسيف الدولة ، أفراح قلبه بلقاء أمير العرب الذى أحبه وأمل فيه الخير والبركة والنصر لآرائه وأفكاره وسياسته ، وأحزان قلبه بفقد امرأته ، ثم صغيره الذى جدّد له ما بقلبه من أحداث الزّمن ومصائبه من الآلام . فكان تنازع الفرح والحزن في تلك / النفس المزهفة الشاعرة الثائرة ، سبباً في استخراج كوامنها ومضممراتها وذخائرها . وأخذ أبو الطيب يروّز ما عنده من العواطف والأفكار ، ويتأمل ما تجدد في قلبه من المعاني التى ولّدتها الأفراح والآلام ، ويسنوعب ما في ضميره من الأحداث القديمة التى تركت وسمها فيه ، ويرمى ببصره إلى ما يستقبله في ظل سيف

الدولة . وينظر فيما وجد عند الأمير من العطف عليه والإكرام له ، ومن تقديمه على القدماء من أصحابه وشعرائه ورجاله . وشغلته الأيام بما يتجدد فيها مما يخصه ومما لا يخصه ، وحوته المجالس ، مجالس العلم والأدب والشعر والسياسة ، وأحاطت به الدنيا كلها مهياةً كأنما أعدت له ، ليأخذ منها ما شاء ويدع ما شاء ، ... فكان هذا كله ترفقاً من القدر لصنع هذه الشاعرية الفذة ، وتربيتها وتغذيتها وتشيبتها على غرار فذ ، يكون به أبو الطيب شاعر العرب والعريّة الذي (ملأ الدنيا وشغل الناس) .

وكان تنازعُ الفرح والحزن في تلك النفس المرفهة الشاعرة الشائرة حدًا لها من غلوائها ، وصرفًا لها عن الفكر في الكبرياء ، إلى الكبرياء في الفكر ، فأصبح أبو الطيب ينظر في الحياة نظرة التدبّر والتمحيص ، يقلّب الرأى ، ويعبّر الفكرة ، ويقيس الأشباه والنظائر ، ويردّ الأمور إلى أصولها ومنازعها ، وينتزع جوهر المعاني من بين أعراضها ، لا يأثلى في ذلك جهداً ولا يقصّر . فمن هنا تواردت عليه المعاني ، واتخذت لها بين قلبه وفكره منزلاً ومقرّاً ، فإذا قصد إلى الشعر واحتفل له بيانه وروافد هذا البيان من الخوافر والدوافع والعواطف ، ابتدرت هذه المعاني من منازلها بين قلبه وفكره ، إلى منازلها بين أبياته وقصائده . وهذا هو أحد الأسرار العظيمة في بيان هذا الشاعر العظيم .

...

٢١٤ / وتلاً مجد سيف الدولة في شعر أبي الطيب ، فقرّبه وزاده عطاء وإقطاعاً ، وأسبغ عليه نعمة لم يكن أبو الطيب ينتظر مثلها أو يؤملها ، فوقع ذلك من نفسه موقع الأمنية التي تحققت من نفس اليائس الذي ضجر بأمانيه ، وقد استيقنت نفسه أنها لن تتحقق . وكان هذا أيضاً - مع الحزن والفرح اللذين يتنازعان في نفسه - عوناً على صنع شاعرية الرجل وصقلها وجلالها ، لتكون المرأة التي تترأى فيها حقائق الحياة وفلسفتها وحكمتها وبيانها وما لها وما عليها .

ولم يكن سيف الدولة يجهل ما سيكون من هذا الرجل أول ما لقيه ، بل يقيننا أنه

كان قد انكشفت له نفسية ألى الطيب فأخذها من حيث ينبغي أن تؤخذ ، وعرف أن هذا الذى مدحه بأنطاكية سيكون مخلد ذكره ، وحافظ أخباره وصفاته فى شعره . وليس مثل سيف الدولة يغفل عن ذلك أو يتجاوز به بصره . فقد كان سيف الدولة أديباً شاعراً قد اجتمعت له من أداة الأدب والشعر أداة كاملة متقنة ، وكان بصيراً بنقد الشعر ، نافذاً فى إدراك أسرار البيان . وأيضاً ... ، فقد كان ما عليه سيف الدولة مما ذكرنا ، من أكبر العوامل فى شعر ألى الطيب ، فإنه كان يعرف يقيناً بصّر صاحبه سيف الدولة بالأدب والشعر ، فحملة ذلك على الإجابة والتبصر ، وتقليب المعانى واختيارها ، واصطفاء أثوابها من الألفاظ واجتباؤها ، وكان ذلك من ألى الطيب لِمَا فى نفسه من الكبرياء والعظمة ، إذ لو لم يفعل ذلك لعلّاً عليه فى نظّر سيف الدولة رجلٌ غيره من الشعراء أو لسوّاه به ، وصاحبنا هذا لا يرضى بأن يسبقه إلى سيف الدولة غيره من الشعراء ، فهل يرضى بالمساواة ؟ ... كلاً ، وكذلك فاق أبو الطيب كل من سبقه أو جاء بعده من شعراء العربية ، / فقد اجتمع له من الدوافع وغيرها ما لم يجتمع لأحد منهم .

٢١٥

وبعد أيضاً ، فقد كان من العوامل فى هذا النبوغ الفذ الذى استعلن فى ألى الطيب ، ما أصاب من الاستقرار والأطمئنان فى جوار سيف الدولة ، وما تيسّر له من الرزق الذى لم يكلفه همّاً ولا كُرباً ، بعد أن كان لا يمضغ لقمة من عيشه إلا ومعها تكّدها وهمّها وشقاؤها . وأيضاً فقد علمت قبل أن هذا الرجل كان من صِغَره محباً للعلم والأدب ، لا يدع استيعاب ما يقع إليه من الكتب فى كل فنّ وعلم ، ففى جوار سيف الدولة ، تيسّر له من ذلك ما لم يكن يتيسّر ، فقد كان مليئاً بما إليه الذى أفاده ، يشتري ما يشاء ويستنسخ ما يرغب فيه ، وما كان سيف الدولة يمنعه أن يستفيد مما اجتمع عنده من نواذر الكتب والمؤلفات قديمها وحديثها ، فأخذ أبو الطيب يقطع أيامه بالتزود من كل علم ، والاستزادة فى كل فنّ ، وقد وهبه الله ذاكرةً واعية ، وفهماً نافذاً ، وقدرةً على النقد والتمييز ، ونفساً شاعرةً تأخذ من ذخائرها ما تشاء ، وتنضو عنه ما يعلّق به ، وتجلّوه جلوة العروس فى ثياب عرسها . وكذلك اتفق لألى الطيب فى هذا العهد كل ما يعينه على النبوغ والسبق .

...

قلنا قبل إن سيف الدولة قد قَرَّبَ أبا الطيب وزاده كرامةً ومحبةً لم ينل مثلها شاعرٌ من أمير ، مع ما عُرِفَ عن سيف الدولة من تحرّزه وتشدّده حتى على الكثيرين من أهله ، وضربنا المثل بأبى فراس الحمداني وهو من هو في قربه من سيف الدولة لقربته ورّحمه ، وتحقّقه بخدمته ، والذهاب في طاعته ومَرْضَاتِهِ ، وتمجيده في شعره ، وتخليد ذكر وقائعه وحروبه ببلاغته وبيانه / = وأشرنا إلى أن السياسة كانت أيضاً مما قَرَّبَ أبا الطيب وأدناه ٢١٦ من مجلس سيف الدولة وسامره وخلوته . ولعلّ هذا الأمر الأخير = مع ما قدمنا ذكره من أحوال سيف الدولة وأبى الطيب ، وما فيه من النبوغ والدهاء ، = هو الذي جعل لأبى الطيب عند سيف الدولة منزلةً لا تدانيها منزلة أحد من أقاربه أو أهله أو شعرائه الذين كانوا يبابه ، وقد قالوا إنه لم يجتمع يباب أحد من الأمراء مثل ما اجتمع يباب سيف الدولة من الشعراء والأدباء .

وقد تتبعنا ديوان أبى الطيب كلّهُ لنظفر بالدليل على أن سيف الدولة كان قد استصَفَى أبا الطيب واتَّخَذَ منه أخصاً يمنحه ودّه ويكشف له عن سرّه ، ويحدّثه بآماله في السياسة والحكم ، فوقعنا على أشياء من ذلك لا بأس من ذكرها والتدليل عليها ، على ما درجنا عليه في كلامنا من استنباط المعاني وردّ بعضها إلى بعض . هذا ، على كثرة ما يتّصل بهذا من أحوال أبى الطيب وسيف الدولة ، مما لا نستطيع أن نجمله لك في فصل واحد ، ولذلك سنكتب ما نكتب ، وعلى القارئ أن لا ينسى ما مضى من القول فيضعه في موضعه ليزيد ما أمامه قوةً وبياناً ، وأن يستأنى لما يستقبل فيُجِلُّه محلّه ليرتبط الأوّل بالآخر ، وينكشف له ما يغمض عليه أو يستبهم مما نحن فيه .

...

كان أبو الطيب ، كما رأيت أولاً ، رجلاً ثائراً بما في نفسه غير راضٍ عن الحكم القائم في البلاد العربية ، وقد ذكر ذلك في كثير من شعره الذي مضى بك ، وهتّد الأمراء والملوك والسلاطين بما سوف يفعله بهم ، وما يأتيهم به من القتل والفتك ، وخصّ بالذكر

والجهد والوعيد الأعاجم الذين كانوا / قد استولوا على مقاليد السلطان والحكم ، ولم يفتأ يذكر ذلك من أول أمره إلى أن اتصل بيلدر بن عمار . وكان ، كما قلنا قبل ، يؤمل أن يجد في بلدر بن عمار (الرجل) الذى يستعين به على آماله وآرابه ، ويحقق بعونه له ، ما كان يلور في نفسه من المطامع السياسية : من ردّ الحكومة إلى العرب دون الأعاجم ، وكذلك هدأ حين اتصاله بيلدر ، ولم يكثر من ذكر وعيده وإنذاره وآرائه ، وفسرنا هذا هناك ، [ما سلف من : ٢٥٩ - ٢٧٢] فلما كان اتصاله بسيف الدولة على ما وصفنا في هذا الفصل ، من توافق الرجلين في المذهب السياسى ، والرأى الذى يريانه لإنقاذ العرب من عادية الأعاجم وغيرهم ممن يكيّدون بالفتنة لأمتهم ، هدأ أبو الطيب هدأته تلك ، وانصرف بيانه إلى تمجيد صاحبه ، كما فعل حين كان في جوار بلدر . وقد ألمعنا بحالة أبى الطيب النفسية وفسرناها ، وبيننا أنّ ذلك عادة له إذا لاقى العربى المحارب الفاتح الذى يؤمل في وجهه النصر والظفر وتحقيق الآمال التى تسمو بهمته إلى غزو الأمة ، وإنقاذها من البلاء الذى حلّ بها وأوهاها وفرّق شملها . وجمعنا إلى ذلك ما كان من تقرب سيف الدولة أبا الطيب إليه ، واصطفائه بمودته دون سائر الشعراء ، وجميع أهله وقرباته ، والمتصلين به من أصحاب الفكر والرأى والدهاء . وقد مضى بك أيضاً أنّ أبا الطيب كان قد ذكر ، حين قدم إلى أنطاكية على أبى العشائر ، أنه لم يأت مستميحاً ولا طالب رّفد وعطاء ، بل أشار إلى مُرادِه ومبتغاه الذى من أجله قصد أنطاكية ، [ما سلف : ٢٩٦] ، فقال :

فَسِيرْتُ إِلَيْكَ فِي (طَلَبِ الْمَعَالِي) وَسَارَ سِيوَاىَ فِي (طَلَبِ الْمَعَاشِ) .

= وتبيننا من شعر أبى الطيب في المدة التى سلّحها في ظلّ سيف الدولة / من سنة ٣٣٧ إلى سنة ٣٤٦ ، أنه كان يقول الشعر في سيف الدولة ممجّداً له ورافعاً من ذكره وذكر غزواته وحروبه ، وقد تآزرت عوامل نفسه كلّها على منحه التجويد والإبداع في ذلك . وتفسير ذلك عندنا أن هذا الرجل الثائر حين لاقى سيف الدولة الفاتح ، وجّه كل ما كان في قلبه من القوة التى دفعته إلى مدح نفسه وذكرها والإفصاح عن آرائها وآمالها ، إلى مدح هذا الرجل (سيف الدولة) ، ووصفه ووصف حروبه وغزواته ، فصارت القوة

التي كانت يئنة في شعره الأول إلى هذا الشعر ، فكان وخذته هو أبداع ما أتى به وما أخرجه من البيان . وكان صورة أخرى من شعره الأول ، إلا أنها أقوى وأتم وأمثل في التجويد والتصوير .

ثم فارق أبو الطيب سيف الدولة ، وهو لا يزال ثابتاً على محبته والإخلاص له ، وكان سيف الدولة لا يزال مُستقصياً لأخباره في كل بلد ينزله ، متتبِعاً لشعره الذي يقوله لكل من مدحه من بعده . وكان أيضاً لا يزال يُهدى إليه من هداياه ، مع أنه فارقه ومدح غيره ، بعد إكرامه له إكراماً لم يلق مثله أبو الطيب قبل اتصاله به . وكان أيضاً يُكاتبه ويتلقى منه بعض كتبه = وكل هذا دليل على أن المحبة التي كانت بين الرجلين لم تكن محبة أمير لشاعره وحسب ، بل كانت صداقة لا يقطع فيها حدث من أحداث الزمان ، أو سعى الوشاة والمتقولين .

...

هذا وقد رَوَوْا أن سيف الدولة أنفذ إلى أبي الطيب ، وهو بالكوفة سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر ، وبعد أن فارقه بسيت سنوات ، / هدية مع أحد أقاربه ، فكتب إليه قصيدة أهداها إليه كما أهدى ، فكان مما ورد في هذه القصيدة ، يخاطب سيف الدولة :

أنت طول الحياة للروم غاز ،	فمتى (الوعد) أن يكون القبول ؟
وسوى الروم خلف ظهرك روم ،	فعلى أى جانبك تيميل ؟
فعد الناس كلهم عن مساعي	ك ، وقامت بها القنا والتصول
ما الذى عنده تدار المنايا ،	كالذى عنده تدار الشمول (١)
لست أرضى بأن تكون جواداً ،	وزمانى بأن أراك بخيل

نَعَصَ الْبُعْدَ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا ، مَرْتَعِي مُخْصِبَ وَجِسْمِي هَزِيلَ

.....

مَا أَبَالَى ، إِذَا اتَّقَنْتُكَ اللَّيَالَى ، مَنْ ذَهَبَتْ حُبُولُهُمَا وَالْحُبُولُ

وقد ذكرنا قبل أن سيف الدولة كان قد عزم في نفسه أن ينال بهيمته غاية الغايات في ضمّ أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظلّ حكمته ، وكان أوّل ما أتم من ذلك أن رَحِمَ الإخشيديين بمناكبه حتى أزاحهم عن أكثر البلاد الشامية وردّهم إلى الرملة ، وأراد أن يوطد سياسته وحكمه بالشّام ، حتى إذا أعدّ العدة ، واستجمع الأداة ، تحفّز بقوته كلها على العراق فمال عليه مَيْلَةً رَابِيَةً ، ليزيل عنه سلطان الموالى الذين استولوا على سلطة الخلافة . وكان هؤلاء الموالى ، أو أكثرهم ، ممن استقل بالدويلات ، من شيعة العلويين الذين أطاعوا داعية الفاطميين ، وكان سيف الدولة لا يُقرّ بحكم الفاطميين ولا يرضى عنهم ، ولذلك نصر الخلافة العباسية ، مع أنه / علويّ المذهب . كانت هذه ٢٢٠ هي سياسة سيف الدولة ، وكانت هذه هي إرادته ، ليجمع شمل العرب ويردّ الحكم إلى اليد التي لا تضطرب ، وإلى الفكر الذي لا يحلّله من مكانه كيّد الكائدين للعربية من أصحاب الفتن والدسائس [انظر ما سلف من : ٣٠١ - ٣٠٤] فجاء أبو الطيب يقول في هذه الأبيات :

أَنْتَ طَوَّلَ الْحَيَاةَ لِلرُّومِ غَايَ ، فَمَتَى (الْوَعْدُ) أَنْ يَكُونَ الْقُقُولُ ؟

وَسِوَى الرُّومِ تَخْلَفَ ظَهْرُكَ رُومٌ ، فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ ؟

ففي البيت الأول يصرّح بأن سيف الدولة كان قد وعدّه أن يَقُولَ من غَزَوْ الروم الذين يهدّدون أطراف الشّام ، ويُعَدّ العدة لغزو غيره ، فإن قوله (الوعد) معرّفاً ، دليل على تخصيص وَعْدٍ بعينه ، ولا يكون كذلك إلّا أن يكون وعداً وعده سيف الدولة أبا الطيب لتحقيق ما يريدان من ردّ الحكومة إلى العرب ، وذلك بأن يغزو سيف الدولة العراق و (يميل عليه) ، ويزيل عنه سلطان الموالى والأعاجم ، ولذلك سأل أبو الطيب سيف الدولة في البيت الثاني فقال : (فعلى أيّ جانبيك تميل ؟) . وقد جعل القائمين

بالحكم ، والمستولين على السلطان في العراق ، « روماً » ، لما أشرنا إليه قبل ، من أن هؤلاء لما وقفوا على عزيمة سيف الدولة في إزالتهم عن العراق ، أو عزوا إلى ملك الروم أن يقاتله ، إذ أوقعوا في قلبه وفكره بمكرهم ودهائهم أن سيف الدولة الذي كان يمد سلطانته على الشام يوماً بعد يوم ، إنما يريد بذلك أن يُزيل المُلْك من بين يديه ويغلبه على بلاده ، وبذلك يتم لهم ما يريدون من صرف سيف الدولة عن حربهم ، وانصرافه إلى حرب الروم ، ويكون ذلك استهلاكاً لقوته ، حتّى إذا / ما أراد أن يميل عليهم ، يكون قد فقد صفوة المحاربين معه في ٢٢١ قتال الروم ، فلا يصيب إذ ذاك في حربهم وقتالهم ظفراً ولا نصراً ، [انظر ما سلف من ٣٠٢ - ٣٠٤] ، وهذا التعبير من أبي الطيب دليل على أنه كان يعرف سير هذا الأمر كما يعرفه سيف الدولة ، ثم إن أبا الطيب أخذ يهون على سيف الدولة أمر غزو العراق ، ويُعْريه بالإقدام على ما وعده من الفتح ، إذ وصفه ووصف أهل العراق فقال :

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا ، كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ

فهو بهذا يُعْريه بهم ، إذ كانوا قوماً أهل سكرٍ وعُربدة ، لا أهل حرب وقتال كسيف الدولة الذي لم يكن يفرغ من غزوة ويُقفل منها حتى يبادر إلى أخرى يصيب فيها النصر والظفر ، أو التجربة في القتال والمِرَان على مكر الحرب وتُحْدَعِهَا . وهذا الذي كان من (الوعد) بين سيف الدولة وأبي الطيب ، كان هو السبب في أن أبا الطيب حين دخل العراق في تلك السنة ، لم يعبأ بأحد من السلاطين والحكام وأولى الأمر من الوزراء ، واستكبر عن جميعهم ، فلم يمدح منهم أحداً ، حتى الخليفة لم يفكر في مدحه ، بل راعمهم جميعاً حتى كان ما كان من أمر الوزير المهلبى وغيره ، وعداوتهم له ، وإغرائهم الشعراء بالوقوع في عرضه وشرفه ونسبه ، وتحريضهم الأدباء على معاندته ومُجادلته للغض منه والإضرار عليه ، كما مرّ بك في أوائل كلامنا ،

[انظر ما سلف من : ١٥٨ - ١٦٠] .

وأيضاً ... ، ففي ذى الحجة من سنة ٣٥٣ كتب سيف الدولة إلى أبي الطيب كتاباً (بخطه) يسأله المسير إليه ، فأجابه أبو الطيب بقصيدة أنفذها إليه ، أولها :

/ فَهَمْتُ الْكِتَابَ ، أَبْرَ الْكُتُبَ فَسَمِعْنَا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ
وَطَوَعًا لَهُ ، وَأَيَّهَاجًا بِهِ ، وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ

فإذا كان هذا الكتاب ، كما وردت الرواية ، قاصراً على رغبة سيف الدولة إلى أنى
الطيب في أن يُلْحَقَ به ، ويكون في جواره ، فيكون قولُ أُنَى الطيب (فهمتُ الكتاب)
من أسخف القول وأزْدِلَه وأحطَه وأسْقَطَه ، ويكون سقوطاً قد أصاب عقل هذا النابغة .
أيقول أبو الطيب إنه فهم كتاب سيف الدولة (الذى كتبه له بخطه) ، يسأله أن يسير
إلى الشام ؟ وما في هذا الطلب مما يحتاج إلى « الفهم » ؟ وما فيه مما تقتضى الإجابة عنه أن
يخبره بأنه قد فهمه ؟ أيكون هذا أو يُعْقَل !! والْبَيِّنُ أن سيف الدولة كتب إلى أُنَى الطيب
- بعد القصيدة التى مر ذكرها ، والتى أغراه فيها بغزو العراق وفتحها - كتاباً يشرح له فيه
الأمر ، غير مصرّح بشيء ، ويذكر العوائق التى تعوقه دون غرضهما ، ويبيّن له ما هو فيه
من الكرب والضيق ، وأنه لولا ذلك لما تأخر عن عزيمته ، ولوفى لأُنَى الطيب بالذى وعده
من فتح العراق . ولهذا لم يأتين سيف الدولة أحداً على هذا الكتاب الذى كتبه إلى أُنَى
الطيب ، فكتبه إليه (بخطه) خَيْطَةً وحذراً أن يشيع ما ورد فيه . وقد أراد سيف الدولة
في كتابه هذا أن يزيد أبا الطيب بياناً ، ولكنه لم يستطع خشية الأحداث التى لا يملك
صرفها ، من وقوع هذا الكتاب في يد عدوّ من أعدائه ، ولذلك طلب من أُنَى الطيب
أن يقدّم عليه بالشام فيخلّو به ، ويشرح له الأمر في غير كناية ولا تعريض ، ولكن أبا
الطيب كان قد فهم ما وراء كنايات سيف الدولة وإشارات الخفية ، فكتب إليه :

/ فَهَمْتُ الْكِتَابَ ، أَبْرَ الْكُتُبَ فَسَمِعْنَا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ

فهذا الذى أفضنا فيه دليل كله على أنه كانت بين سيف الدولة وأُنَى الطيب
أسرارٌ سياسية تخص أغراضهما وآمالهما في إعادة المجد العربى ، وإزالة الحكام الطاغين
من الموالى ، وقمع الفتن التى قام بها العلويون والفاطميون في البلاد ، وهم لا يقدّرون معيّناتها
وعواقبها ، ولا يزيّنون أمرها ، إذ يتخذها أعداء العرب والإسلام ذرائع لقضاء مآربهم في تمزيق

الأمة ، وتفريق شملها ، وإضاعة مجدها وسلطانها ، ليقيموا على أنقاضها ما تسوُّله لهم
أحقادهم وضعفائهم من الأوهام والأحلام . وحسبك دِلالة على صواب ما قلناه ، أنه قاله
له : « فسمِعاً لأمرِ أميرِ العرب » ، فتسميته سيف الدولة « أمير العرب » ، تعريضٌ ظاهرٌ
الدلالة على ما في نفس أُنَى الطيب من صفة هذا الشجاع المحارب ، صفة تُجِبُّ كُلَّ
صفة .

...

لِعَيْنَيْكَ ، مَا يَلْقَى الْفَوَادُ ، وَمَا لَقِيَ
وَلِلْحُبِّ ، مَا لَمْ يَتَّقِ مَنَى ، وَمَا بَقِيَ
وَأَخْلَى الْهَوَى ، مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبَّهُ
وَفِي الْهَجْرِ ، فَهَوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي
سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا
وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعْتَقِ
إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرَ مُسْتَمْتَعًا بِهِ
تَحَرَّقَتْ ، وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَحَرَّقْ

- / (١) قد رأيت قبل أن الحوافز التي اجتمعت على أبنى الطيب من أول أمره ٢٢٥
إلى عهد اتصاله بسيف الدولة ، إنما كانت ترفقاً من القدر وتطريقاً وتمهيداً للنبوغ الفذّ
الذي صار به صاحبنا شاعر العرب ولسان العربية الذي آستحكم في عصره ، وضرب
بحكمته على من كان قبله ، ومن أتى بعده . وقد ذكرنا من أداة نبوغه وأسبابه ما تيسر لنا
جمعه في هذه الكلمة ، إذ كانت الأشياء مرهونة بأوقاتها من المعاني ومنازلها من الكلام .
ورأيت أن اتصاله بسيف الدولة نقل قلب الرجل من منزلة إلى أخرى ، نقله من
منزلة الإحساس الشخصي الموحد ، إلى منزلة الإحساس الشخصي / المتوَلِّج في الاجتماع ٢٢٦
المُزَاجِم في سياسته ، المؤمل في سيف الدولة ردّ السلطان إلى العرب والعربية ، بعد الغلبة

(١) كان حق هذا الباب أن يسبقه في ترتيبنا باب آخر ، نذكر فيه ما تميز به شعر أبنى الطيب ، ونفصل فيه أسلوبه كله على تدرج لا يتفاوت ، ولكن منعنا من ذلك ضيق الوقت ، وانظر ما سلف من : ٢٣٤ ، وما قبلها .

والظفر وتحقيق الأمانى . وكان هذا سبباً في انتفاض قلب (الرجل الشاعر) بالفرح المستولى عليه ، الغالب على عواطفه . ثم كان أيضاً ما استنبطناه ممّا سبّب في هذا القلب أسباباً للألم والحزن والأنين والبكاء والحسرة ، فصار التنازع في هذا القلب بين الفرحة الغالبة والحسرة المتمكنة ، سبباً في استخراج مكنوناته ، وتوليد المعانى الجديدة من الصراع الهائل الذى كان فيه . وبذلك خرج أبو الطيب عن طوره الأول المحدود بحده ، إلى الطور الثانى المتفاسح المترامى إلى كلّ غايات الحياة وأسبابها وما يكون فيها وما يكون منها .

وكان هذا الرجل الشاعر إنما يعتمد في توليد معانى شعره على استيعاب ما بنفسه من الأفراح والآلام ، ما تقادم منها وما جدّ ، ثم الاستغراق في تأمل هذه الذخائر التى في نفسه وردّ بعضها إلى بعض ، وربط الغائب منها بالشاهد ، وعطف الأول منها على الآخر ، وكأنما كانت تتراعى لعينيه حوادث قلبه وحوادث دهره ، وتتردّد في سمعه أصوات قلبه موصولة بأصوات الناس وكلامهم ما قلّ منه وما عظم . وكان هذا الاستغراق في تأمل ما بنفسه ، هو أحد الأسرار العظيمة في تصوير شاعريته ، وتسويتها وتنشئتها وتغذيتها وتنميتها إلى الغاية التى هى عليها في شعره .

وقد بينّا قبل أن من أداة هذا الشاعر العظيم ما أودعه الله فيه من الحس المرهف ، وما وهبه من العاطفة الملهبة المتوقدة التى لا يخبو لها ضرام ، ورائة كان ذلك من جدّته ، أو فطرة فطره الله عليها غير موروثية . وكان / هذا الرجل في أول أمره مطالباً بثأر قد نُسئ عليه ، وأخذ به من صغره ، حتّى شغل فكره وعقله ، وتدقّق في بنيانه كله تدقّق الدّم ، وصار أصلاً من الأصول التى قامت عليها كل حالته النفسية = على ما ذكرناه أولاً ، وتدرّجنا في بيانه إلى عهد اتصاله بسيف الدولة = وكان قد بلغ من العمر أربعاً وثلاثين سنة ، وهى السنّ التى تستحكم فيها الأصول ، وتستقرّ المذاهب ، ويقف الرجل عندها لا يملك في تبديل أمره حولاً ولا قوّة إلا أن يشاء الله ، وخاصةً من كان مثل المتنبي قد عركته الأيام من صغره ، وتحاملت عليه ورمت به في ثنورها حتى استوى على صورة بعينها ، واستمرّ

مريّة على ما فيه من القوة المستحصدة والمُتّة الدائبة الفورة والتزاع ، لا تستقر ولا تهدأ ولا تطمئن .

هذا ، وقد استوقفنا ، ونحن نتّبع شِعْرَ الرجل على طريقتنا ومذهبنا ، الفرق الكبير الكائن بين شعره الأول ، وشعره الذى قاله فى حضرة سيف الدولة ، وتدبرنا الأسباب على ما بيناه قبل ، فلم يَسْتَوِ عندنا أن يكون ذلك من أجل ما ذكرناه قبل وحسب ، فعُدنا نجدد الرأى لذلك ، ونقرأ ما بين كلمات الرجل من المعانى ، ونستنبط من روائع حكمه وبلاغته ما يهديننا إلى السبب الأكبر فى هذا التجويد الفذ الذى غلب به الرجل على شعراء العربية ، فاستروخنا فى شعر الرجل نَفْحَةً من نَفَحَات « المرأة » التى تكون من وراء القلب تصنع للشاعر المُبدع بيانه ، وتتخذ من فتها النسوى مادّة تُهيئها لفرن صاحبها وعبقريته ونبوغه . فأتّممنا الأمر على ذلك ، ورَجَعنا إلى شعر أبى الطيب وقفنا عليه من أسرار نفسه ، وتمثلنا « المرأة » بينهما وهى دائبة تصنع له بيانه وتبشّر له فته ، فاستوى الأمر على ذلك . وطلبنا الدليل ، فدلّنا على المرأة التى / سكنت قلب أبى الطيب ٢٢٨ = وهو فى ظل سيف الدولة = وجعلته حكيم الشعراء وشاعر الحكماء .

كان صاحب الحكمة أبو الطيب يصنع حكمته بالتدبر فى معرفة نفسه ، واستبطن أسرارها وإدراكها ، فلما جاءته « المرأة » ، وأرادت كبرياءه على الخضوع لها والتصرف بأمرها ، وقعت نفس هذا المرأة بأسرارها وأحداثها بين نظرات أبى الطيب النافذة المتولّجة إلى ما وراء الواقع والحسّ الملموس ، وبين نفسه بأحداثها وأسرارها وما أنطوت عليه وما تجلّلت به . ولما كانت نفس المرأة المحبوبة هى تمام نفس الرجل المحب وتكملتها ، كانت دراسة الحكيم المحب لنفسه المكملّة التامة بالمرأة المحبوبة ، إنما هى دراسة للكون كله ، فإنّ العاشق لا يرى الدنيا بأسرارها إلّا بعينى مَنْ يَعشَق ، وهى على ذلك الدنيا المترامية ، بعد أن كانت قبل عشقه مَحْصُورَةً فى دائرتها من نفسه الناقصة غير التامة . والحُبّ القوى النافذ الذى يتملّك حواس المحب ويغلب عليها ، هو بطبيعته امتدادٌ بهذه الحواس إلى غايات بعيدة لم تكن تصل إليها قبل غلبته على القلب والنفس

والفكر . فلهذا حين أَحَبَّ أبو الطيب = الرجلُ النَّائِرُ المتكبرُ الشاعرُ الحكيمُ البيانيُّ
الفكر واللسان = كان امتدادُ نفسه وتوابعها إلى غايات بعينها من الرجولة والثورة والكبرياء
والحكمة والفكر ، ولم يستطع أن يكون ، بعد أن غلب الحبُّ قلبَهُ وتفاوَسَ به ، شاعراً
غَزْلاً رقيقَ البيان . وهذا هو السرُّ عندنا في ضَعْفِ مادة الغَزَلِ عند أبي الطيب ، وقُوَّةِ مادة
الحكمة وما إليها ، مما هو من طبيعته المتأصلة فيه على ما فصلناه في أثناء كلامنا . وليس
يَصِحُّ عندنا أن لا يكون أبو الطيب عاشقاً صَباً متدلّها ، / ما لم نجد في شعره غَزْلاً
ولا أنيناً وحنيناً وبكاءً .

٢٢٩

...

والآن ، وبعدَ هذه المقدمة ، نحاول أن نعيِّن لك « المرأة » التي أحَبَّها أبو الطيب
على ما يتفق لنا ، ^(١) إذ كان ترتيبُ هذا الموضع من الكلام ممَّا يستدعي النظر في أكثر
شعر أبي الطيب وتقليبه على المذهب الذي اتخذناه ، فيخرج الأمر من حَدِّه ولا تتسع له
هذه الورقات .

لما ماتت أختُ سيف الدولة الصُّغرى ، وقف أبو الطيب يُعزِّيه وَيَزِيها ، ويسلِّيه
ببقاء أختِهِ الكُبرى ، وذلك في يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان سنة ٣٤٤ ، وبعد
سبع سنواتٍ من مُقامه في حضرة سيف الدولة ، فأنشده قصيدته التي أولها :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنْ الْأَفْضَلُ الْأَعَزُّ الْأَجْلاً

وطبق يمدح سيف الدولة بمناقبه مما يصلح لهذا الموضع من العزاء ، إلى أن قال :

أَيَّنْ ذِي الرِّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْ بِ إِذَا اسْتَكْرَهَ الْحَدِيدُ وَصْلاً ؟
أَيَّنْ خَلَفَتْهَا غَدَاةٌ لَقِيتَ الـ رُومَ ، وَاهْلَامُ بِالصُّورَامِ ثَقْلَى
(قَاسَمْتُكَ الْمَنُونُ شَخْصِينَ جَوْرًا جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فِيهِ عَدْلًا)

(١) اعلم أنا كنا نؤمل أن نبسط القول في هذا الباب ، ولكن حالت دون ذلك أحوال .

(فَإِذَا قَسَتْ مَا أَخَذْنَ بِمَا غَا دَرْنَ ، سَرَى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَى)
(وَتَيَقَّنَتْ أَنَّ حَظُّكَ أَوْفَى ، وَتَبَيَّنَتْ أَنَّ جَدُّكَ أَعْلَى)

٢٣٠ / فأبو الطيب يطلب من سيف الدولة أن يقيس أخته الصغرى التي ماتت ، إلى أخته الكبرى التي بقيت له ، فإذا فعل ذلك كان سلوى له وتسريةً لله عن قلبه . ولا ندرى كيف يتفق أن يحطّر لشاعر يرثي امرأةً محجبةً ماتت ، أن يذكر أخرى = وتكون أختها = ويعزّي أياها بهذا العزاء الغريب ؟ ثم يزيد في قوله له : إنك إذا فعلت ذلك الذي دلتك عليه ، « تَيَقَّنَتْ » أن حظك في بقاء هذه الكبرى أوفى من حظ الموت في أخذ الصغرى ؟ وكيف يُتَقَّن أبو الطيب سيف الدولة من حسن حظّه ببقاء الكبرى ، إلا إذا كان هو على يقين من ذلك ؟ وكيف يكون على يقين من ذلك ، إلا وهو يعرفها معرفةً تُفْضِي به إلى هذا اليقين ؟

ثم مضى أبو الطيب في القصيدة كلّها يمدح سيف الدولة ، ولم يتعرض لهذه الفتاة أخته الصغرى إلا في موضع آخر ، إذ يقول :

حَظْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ ، وَإِنْ كَانَتْ الْمُسَمَاءُ تُكَلِّلًا
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْئًا ذَاتُ حِذْرٍ ، أَرَادَتْ الْمَوْتَ بَعْلًا

فالعجب أن يكون ذلك عزاءً ، فإن أبا الطيب قد قدّم الكبرى في المنزلة ، فكان أولى إذن أن تموت الكبرى ، إذ هي ولا شك عند أبي الطيب أفضل من هذه الصغرى التي لم تجد من الناس كفتاً يكون لها زوجاً ، فاختارت الموت بعلاً لها !! وهذا التناقض يدلنا على أن الرجل كانت قد اقترنت في عينه صورة الكبرى بصورة الصغرى ، فاضطرب قوله ولم يمض على سنين ونهيج ، وذلك لاضطراب نفسه الذي أظهر ما في قلبه وكشف عنه في تدفقه حين ذكر هذه الكبرى فقال فيها البيتين : « فَإِذَا قَسَتْ إلخ » .

٢٣١ / فلما ماتت الكبرى هذه التي ذكرها هنا = وهي خولة أخت سيف الدولة ، في سنة ٣٥٢ ، أي بعد ذلك بسنوات ثمانٍ ، وكان أبو الطيب يومئذ بالكوفة ، فورد عليه

خيرها ، فكتب إلى سيف الدولة قصيدة فيها (٤٤) بيتاً ، منها واحد وثلاثون في ذِكر خولة هذه ، وستة أبيات في ذكر الدنيا ونكدها ، ولم يذكر سيف الدولة إلا في سبعة أبيات منها . هذا مع أن القصيدة التي رثى بها الصغرى ، لم يذكر فيها الصغرى مُفردةً ، إلا في بيتين هما : « خطبة للحمام » ، وذكر الكبرى ومعها الصغرى في ثلاثة أبيات هي « قاسمتك المنون » ، وجعل بقية القصيدة ، وعدتها (٤٢) بيتاً ، في مدح سيف الدولة ، إلا قليلاً في الحكمة والحياة . أليس هذا عجباً !

كان الفرق بين القصيدتين بيتاً واضحاً لا خفاء فيه ، وكانت الثانية في رثاء « خولة » عاطفة قد أخذها الحزن وغلبها البكاء ... يقول أبو الطيب ، وافتتحها بخطاب خولة :

يَا أُخْتِ خَيْرِ أُنْجٍ ، يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ	كِتَابَةٌ بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
أَجَلٌ قَدَرَكِ أَنْ تُسَمَّى مُوْتَنَةً ،	وَمَنْ يَهْفُوكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ
(لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْمَحْزُونُ مَنْطِقَهُ	وَدَمْعُهُ ، وَهِيَ فِي قُبْضَةِ الطَّرِبِ) ^(١)
غَدَرْتُ يَامُوْتُ ، كَمْ أَقْبَيْتُ مِنْ عَدُوِّ	بِمَنْ أَصْبَيْتُ ! وَكَمْ أَسَكْتُ مِنْ لَجْبِ) ^(٢)
وَكَمْ صَحِجْتُ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ !	وَكَمْ سَأَلْتُ فَلَمْ يَتَحَلَّ وَلَمْ تَخِبِ !
(طَوَى الْجَهْرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ ،	فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ)
(حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمْلًا ،	شَرِقتُ بِالذَّمِّعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ لِي)
تَعَثَّرْتُ بِكَ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسِنُهَا ،	وَالْبُرْدُ فِي الطَّرِيقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ) ^(٣)
/ كَأَنَّ « خَوْلَةَ » لَمْ تَمْلَأْ مَوَاقِبَهَا	دِيَارَ بَكْرِ ، وَلَمْ تَخْلَعْ ، وَلَمْ تَهَبِ
(وَلَمْ تُرَدِّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَةٍ ،	وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ) ^(٤)

٢٣٧

(١) « الطرب » ، خفة ودهشة غالبية تأخذ المرء عند الحزن أو عند السرور .

(٢) « اللجب » ، الضجيج واختلاط الأصوات .

(٣) « البرد » ، جمع « برید » ، وهو الرسول الذي يخرج على فرس من بلد إلى بلد .

(٤) « الحرب » ، ذهاب المال وهلاكه ، يقول المثلوف « يا ويلاه ، واخترباه » .

- (أَرَى الْبِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نَعِيتُ ،
(بَظُنُّ أَنْ قُوَادِي غَيْرَ مُلْتَهَبٍ !
(بَلَى ، وَحُرْمَةٌ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً
(وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَاتُهَا ،
(وَقَعْمُهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً ،
(يَغْلَمُنَ حِينَ تُحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا ،
.....
(وَإِنْ تُكُنْ تُخِلِّقْتُ أَتَى فَقَدْ خُلِقْتُ
.....
(فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِيَةً ،
(وَلَيْتَ عَيْنَ النَّيِّ آبَ النَّهَارِ بِهَا
.....
(وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا
(قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤُوسِهَا ،
(وَلَا رَأَيْتُ عَيُونَ الْإِنْسِ تُدْرِكُهَا ،
(وَهَلْ سَمِعْتُ سَلاماً لِي أَلَمْ يَهْأ ؟
(وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ .
.....
(قَدْ كَانَ قَاسِمُكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهَا ،
.....
(أَرَى الْبِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نَعِيتُ ؟
(وَأَنْ دَمَعَ جُفُونِي غَيْرَ مُنْسَكِبٍ !
(لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقَصَادِ وَالْأَدَبِ
(وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةُ النَّشَبِ (١)
(وَهُمْ أَتْرَابُهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ
(وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّشَبِ (٢)
.....
(كَرَمَةٌ ، غَيْرَ أَتَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ
.....
(وَلَيْتَ غَائِيَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبْ
(فِدَاءُ عَيْنِ النَّيِّ زَالَتْ وَلَمْ تُؤَبْ (٣)
.....
(إِلَّا بَكَيْتُ ، وَلَا وَدَّ بِلَا سَبَبٍ
(فَمَا قَنِعَتْ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ !
(فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهْبِ ؟
(فَقَدْ أَطْلُتُ ، وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَتَبٍ (٤)
(وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَانُنَا الْغُيْبُ ؟
.....
(وَعَاشَ دُرُّهَا الْمَقِيدِيُّ بِالذَّهَبِ
.....
(أَرَى الْبِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نَعِيتُ ،
(بَظُنُّ أَنْ قُوَادِي غَيْرَ مُلْتَهَبٍ !
(بَلَى ، وَحُرْمَةٌ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً
(وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَاتُهَا ،
(وَقَعْمُهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً ،
(يَغْلَمُنَ حِينَ تُحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا ،
.....
(وَإِنْ تُكُنْ تُخِلِّقْتُ أَتَى فَقَدْ خُلِقْتُ
.....
(فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِيَةً ،
(وَلَيْتَ عَيْنَ النَّيِّ آبَ النَّهَارِ بِهَا
.....
(وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا
(قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤُوسِهَا ،
(وَلَا رَأَيْتُ عَيُونَ الْإِنْسِ تُدْرِكُهَا ،
(وَهَلْ سَمِعْتُ سَلاماً لِي أَلَمْ يَهْأ ؟
(وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ .
.....
(قَدْ كَانَ قَاسِمُكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهَا ،
.....
(أَرَى الْبِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نَعِيتُ ؟
(وَأَنْ دَمَعَ جُفُونِي غَيْرَ مُنْسَكِبٍ !
(لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقَصَادِ وَالْأَدَبِ
(وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةُ النَّشَبِ (١)
(وَهُمْ أَتْرَابُهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ
(وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّشَبِ (٢)
.....
(كَرَمَةٌ ، غَيْرَ أَتَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ
.....
(وَلَيْتَ غَائِيَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبْ
(فِدَاءُ عَيْنِ النَّيِّ زَالَتْ وَلَمْ تُؤَبْ (٣)
.....
(إِلَّا بَكَيْتُ ، وَلَا وَدَّ بِلَا سَبَبٍ
(فَمَا قَنِعَتْ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ !
(فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهْبِ ؟
(فَقَدْ أَطْلُتُ ، وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَتَبٍ (٤)
(وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَانُنَا الْغُيْبُ ؟
.....
(وَعَاشَ دُرُّهَا الْمَقِيدِيُّ بِالذَّهَبِ

(١) « النَّشَب » ، ما يملكه الإنسان من مالٍ وعقارٍ وغيرهما .

(٢) « الشنب » ، رقة في أطراف الأسنان ، وصفاءها ونقاؤها وبريقها .

(٣) « آبَ يُؤُوب » ، رجع .

(٤) « من كتب » ، من قرب .

٢٣٣ / (وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ ، إِنَّا لَنَغْفُلُ ، وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ)
مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا ! كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ (١)

ولست تخطيء فيما نرى ، ما تضمنته هذه الأبيات من القصيدة من العاطفة التي عطفته على هذه التي يريها ، وما يتوهج في ألفاظها من نيران قلبه . ولست تخطيء أنين الرجل وحنينه وبكائه . ولا بد لنا هنا من بعض القول في أبيات منها نشرح به أمر أوى الطيب على وجهه .

...

قد ذكرنا قبل أن الانتقال من معنى إلى معنى في شعر أوى الطيب ، هو الموضع الذى ينبغى لنا الوقوف عنده وتمييزه والتبصر في أوائله وأواخره ، إذ كان الانتقال في شعره هو الذى يُعينك على الكشف عن أسرار قلبه ونفسه وحياته . (٢) فإذا شئت الآن فانظر إلى انتقاله من قوله في مخاطبة الموت : « وَكَمْ صَحِبْتُ أَخَاهَا فِي مَنَازِلَةٍ ! » إلى ذكر ما أفرغه وكرهه ، وهز نفسه وحز فيها إذ يقول :

« طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ فَرِغْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ »
« حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعَ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقتُ بِالْذَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ لِي »

والرأى عندنا أن هذين البيتين هما أول ما قاله أبو الطيب من القصيدة حين بلغه خبر موت خولة وهو بالكوفة ، (٢) فنزع قلبه ، واضطرب أمره ، وانتشرت عليه عواطفه ، ففى البيتين أثر قلبه الفزع المضطرب ، وعليها وسم من لوعته وحرقته .

(١) « الورد » غشيان الإبل للماء للشرب ، و « القرب » سيرها ليلاً لورد الماء .

(٢) انظر مثل هذا ، في شأن الأبيات التى يقولها الشاعر حين يفاجئه شيء ، ثم يضمها بعد في خلال

قصيدته ، ص : ٣١١ ، والتعليق رقم : ١ ، ثم ص : ٣١٢ - ٣١٥ ، ثم ص : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ثم ص : ٣٥٣ .

٢٣٤ وقد غلب أبا الطيب يَبَانُهُ في هذين البيتين ، فصَّرَحَ فيهما بكل ما يضمُر / لخولة من الحبِّ . انظر كيف جعل الخبر يَطْوِي الجزيرة كُلَّهَا يَقْصِدُهُ وحده دون غيره ، وقد خَصَّصَ ذلك بقوله « حتى جاءني » ، وفي هذا من غلبة الحبِّ على قلب أبي الطيب ما جعله يرى أن هذا الخبر بموتها = الذي سمعه وهو بالعراق ، وكان قد علمه الناس ولا شك = لم يقطع أرض الجزيرة إلَّا ليلبغهُ هو ، والحبُّ دائماً يَخْصُّ ويضَيِّقُ بمثل ذلك ، ولا يرى فيه الشَّرَكَةَ ، ولو تساوى الناسُ جميعاً في المشاركة فيه أو العلم به . ثم إن أبا الطيب نَسَبَ الفزع الذي لحقه إلى آماله ، إذ كانت آماله كلها في الحياة بعد حَبْه لخولة متعلِّقةً بها وبحياته ، فلما جاءه الخبر بموتها فزعَتْ آماله هذه أملاً أملاً إلى الشكِّ في الأمر الواقع ، وإلى طلب الحيلة في رَدِّه وتكذيبه ، عسى أن تجد لها مُتَعَلِّقاً تستمسك به . فلما أخفقت الآمالُ أملاً أملاً ، وقطَّعَهَا الخبر الذي سمعه بالصدق واليقين ، سقطت نفسُ الرجل ولم تستمسك على رجولتها وقوتها ، وغرِقَتْ في دمعها حتى شَرِقَتْ به . وهذه حالة في الحبِّ القويِّ العنيف الذي يستولى على القلب ، ولا يجعل للحياة بآمالها معنى إذا فقد من يحبُّ ، أو ساءه من أمره ما يسوءه . فهذا من أبنى الطيب دليلٌ على أن كلامه هذا ليس كلام شاعرٍ يرثى أخت صديقه وأميره ، وإنما هو كلامٌ قَلْبٍ محبٍّ مفجوع قد تقطعت آماله من الدنيا بموت حبيب قد فجعته المنيَّةُ فيه .

ومثل ذلك في الدلالة على ما أصاب قلب أبي الطيب من الفجعة التي تخصَّصه

بموت « خولة » ، قوله :

« أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْنُوعٌ ، فكيف لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبٍ ؟ »

« يَظُنُّ أَنَّ فَوَادِي غَيْرَ مُلْتَهَبٍ ، وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرَ مُنْسَكَبٍ »

٢٣٥ / فليس يطول الليل على شاعر من أجل أخت أميره ، وإنما يطول عليه من أجل

حبيته التي فاته بها الموت . ثم زاد أبو الطيب في الدلالة بقوله : إن سيف الدولة يظن أن فواده غير ملتهب ، وأن دمع غير منسكب ، وما لسيف الدولة ولهذا ؟ أيحبُّ سيف

الدولة أن يلهب قلبه وينسكب دمه من أجل أخته ، أو يسوءه إذا لم يكن ذلك كذلك ؟

هذا ، ولا نشكُّ نحن = من قَبْل ما جمعناه عندنا من الدلائل في هذا الأمر المتعلق بحب أبي الطيب و « خولة » أخت سيف الدولة = في أن سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة الغالبة على أمرهما ، وأنه كان قد وعد أبا الطيب عِدَّةً لم يَف له بها في أن يزوجه أخته هذه ، وكان ذلك سرّاً بينهما ، اتَّصل بعضُ خبره بأبي فراس الحمداني ، فكان سبباً في العداوة الباغية بين الرجلين . ولولا علم سيف الدولة بذلك لما استباح أبو الطيب لنفسه أن يكتب هذه القصيدة إلى سيف الدولة ، على كثرة الإشارات فيها إلى أمره وأمر « خولة » والحب الذي بينهما .

ومن الشواهد غير ما ذكرناه مما يدلُّ على الحب الذي بينهما دلالة واضحة لا تخفى على مثل سيف الدولة ، قوله :

« وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَّاقُهَا ، وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةُ النَّشَبِ »

الآيات الثلاثة ، فقد ذكر أبو الطيب أخلاق « خولة » ، ثم ذكر ما كانت عليه من علو النفس والهمة منذ نشأتها ، ثم ذكر ثَغَرها ابتسامتها ، وهذه كافية في الدلالة على معرفته « خولة » معرفةً صحيحة عن خبرة ولقاء . وأيضاً قوله :

/ « وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا إِلَّا بِكَيْتٍ وَلَا وَدَّ بِلَا سَبَبٍ » ٢٢٦

وهذا دليلٌ على ما كانت تُسبِّغ عليه « خولة » من صنائعها وفواضلها مما يستجلب له البكاء حين يذكرها ، وما نظنُّ أن صنائع « خولة » عنده كانت بِمِثَارِ صنائع سيف الدولة ، ولكن حُبُّ أبي الطيب هو الذي جعل صنائعها من قلبه بهذه المنزلة . ثم تدبر قوله : « وَلَا وَدَّ بِلَا سَبَبٍ » ، وفي رواية أخرى « بِلَا وَدٍّ وَلَا سَبَبٍ » ، وكأن هذه الرواية الثانية يراد بها نَفَى أمر بعينه ، كان الوشاة يَكْمرون القول فيه عند سيف الدولة مع علمه بالأمر الذي بينهما ، من أن صنائع « خولة » التي كانت تُتَّخِذها عند أبي

الطيب لم تكن من أجل هذا الوُدّ ، وإنما كانت من كرم نفسها وطيب عُصْرُها . ويكون المقصود بهذه الرواية غيّر سيف الدولة ، ممن كان يتزهد في القول ويتكذّب عليه بما هو منه برّاء ، ولينفَى التّهم بذلك عن هذه التي كان يحبّها ويمنحها قلبه .

وإذا شئت الزيادة فاقراً قوله :

فليت طالعة الشمسين غالبة

وتدبر البيتين وما فيهما من العاطفة وأقرأ :

وهل سَمِعْتَ سلاماً لى أَلَمَ بها

ثم انظر إلى هذا الالتفات إلى الماضي الذى جعلناه من المذهب في الكشف عن أسرار أبى الطيب ، إذ ذكر ما كان منه حين رعى أخت سيف الدولة الصغرى - من ذكر « نخوة » هذه ، وذلك إذ يقول ، [مر : ٣٣٦] :

« قَاسَمْتُكَ النُّونَ شَخْصَيْنِ جَوْرًا »

٣٣٧

/ فعاد يقول في هذه :

« قَدْ كَانَ قَاسَمُكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا ، وَعَاشَ دُورُهُمَا الْمَفِيدُ بِالذَّهَبِ ،
« وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ ، إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ »

وتدبر الصلة بين هذا وذاك ، والحسرة المتميزة في قوله : « إِنَّا لَنَغْفُلُ » ،
و « مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا » .

...

وندع هذا الآن ، ونتنقل بك في مواضع من الديوان على غير ترتيب ، ليرى أثر هذا الحبّ في شعر أبى الطيب وفي حياته ، وما أصابه وهو في ظلّ سيف الدولة من جراء هذا الحبّ . وكان حق هذا الموضع من هذا الباب أن نتّبع لك حياة أبى الطيب سنة سنة ،

ونكشف لك عن تدرُّج هذا الحبِّ في شعره وقصائده حتى تنتهى إلى الغاية ولكن
وقف المتنبى في مجلس سيف الدولة يُنشدُه قصيدته التى أولها :

وَآخِرُ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمْ وَمَنْ بِجَسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ ^(١)

وقد زعموا أن سبب هذه القصيدة كان على ما قالوا : « جرى له خطاب مع قوم متشاعرين ، وظنَّ الحيف عليه والتحامل » ، إلى غير ذلك . وقد أتى المتنبى في هذه القصيدة بكل عجيبة من القول في الكبرياء والحب لسيف الدولة والوعيد له ، كقوله :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بَأْتِنِي خَيْرٌ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ

/ كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ ، وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

وقوله في حُبِّ سيف الدولة :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ ، وَجَدَانَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ

وقوله في إنذاره :

لَئِنْ تَرَكَنْ ضُمَيْرًا عَنْ مَيَامِينَا لَيُحْدِثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتَهُمْ نَدَمٌ ^(٢)
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ ، فَالرَّاحِلُونَ هُمْ

قالوا : فلما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة ، وقف له رَجَالَةٌ في طريقه ليغتالوه ، فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم ، سَلَّ سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يُقَدِّموا عليه . وتِمَى ذلك إلى أبى العشائر ، فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا بباب سيف الدولة ، وجاء رسوله إلى أبى الطيب ، فصار إليهم حتى قَرَّب منهم ، فضرب

(١) « الشِّمْ » ، الماء البارد ، ويعنى قلب الغافل الذى لا يجد ما يجده أبو الطيب من الحرارة في قلبه .

(٢) « ضَمِير » ، يقال هو جبل أو حصن قريب من دمشق ، يكون على يمين القاصد مصر خارجاً من دمشق . يشير إلى نيته أن يرحل إلى مصر .

أحدهم يده إلى عتّان فرسه ، فسَلَّ أبو الطيب سيفه ، فوثب الرجل أمامه ، وتقدّمت فرسه الخيل ، وعبرت قنطرة كانت بين يديه ، واجتَرَّهم إلى الصحراء ، فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم ، فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به ، واستقلت الفرس ، وتباعد بهم ليقطعهم عن مددٍ كان لهم ، ثم كرَّ عليهم ، بعد أن فنى الثُشَاب فلما يتسوا منه ، قال له أحدهم في آخر الليلة : نحن غلمانُ أبى العشائر ! فقال قصيدته التى مضت :
 « ومُنْتَسِبٍ عندى إلى مَنْ أَحَبَّهُ » ، (١) ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة / مستخفياً ، فأقام ٢٣٩
 عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة ، وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل به ذلك أو أمر به وكان ذلك في سنة ٣٤١ ، فلما رضى عنه سيف الدولة ، قال له قصيدةً أولها :

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرُّكْبِ وَالْإِبِلِ
 ظَلَّلْتُ بَيْنَ أَصِيْحَابِي أَكْفَكِفُهُ وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَدْلِ
 أَشْكُو النَّوَى ، وَلَهُمْ مِنْ عِبْرَتِي عَجَبٌ ، كَذَاكَ كُنْتُ ، وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكِلَلِ

ثم انتقل من هذا المعنى إلى معنى غيره فقال :

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنْ اللِّقَاءِ ، كَمُشْتَقٍ بِلاَ أَمَلٍ

وكانه بهذا الانتقال يهون على سيف الدولة الأمر ، ويذكر له أن هذا الحب الذى بينه وبين « خولة » كائن على غير أمل ، وأنه لا يطمع فى أن يظفر بإدراك أمله من زواجها . ثم يدلُّ على ذلك بما كان من الحادثة التى كاد يُقْتَلُ فيها ، والتى تولى أمرها أبو العشائر (وهو من قوم خولة) ، ويذكر لسيف الدولة أن أهل « خولة » لن يدعوه أن يكون بينه وبينها صلة كما بلغه الوشاة ، فانتقل من معنى البيت إلى قوله :

(١) انظر ما سلف ص : ٣٠٩ ، وخبر هذه الحادثة هو من لفظ أبى الطيب ، كما رواها ابن جنى فى روايته

ديوان أبى الطيب ، عن أبى الطيب ، (الديوان : ٣٢٧ ، ٣٢٨) .

« مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَّحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ » (١)

وهذه صفة ما لقي أبو الطيب في ذلك اليوم الذي رويناه لك . فانظر إلى هذا الانتقال الذي يدل دلالة واضحة على ما في ضمير الرجل ، وما كان من سبب تلك الحادثة التي كادت تُودى بحياته ، ثم انظر الترفق في قوله : « لَا يَتَّحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ » ، وذلك لما بينه وبين أى العشائر من / المودة والحب ، فهو يجعل أداة القتل (نُحْفَة) ، وقد قال لأى العشائر في هذه الحادثة نفسها أبياتاً تدل على حبه له ، وتقرب إليك بيان هذا المعنى ، وقد مضى ذكرها ، (٢) ويقول له في آخرها :

« فَإِنْ كَانَ يَبْغِي قَتْلَهَا ، يَكُ قَاتِلًا بِكَفِّهِ ، فَالْقَتْلُ الشَّرِيفُ شَرِيفٌ »

وفي تلك السنة نفسها ، سنة ٣٤١ ، يقول أبو الطيب ما نقلناه في رأس هذا الباب :

« لِعَيْنَيْكَ ، مَا يَلْقَى الْقَوَادُ وَمَا لَقِيَ وَلِلْحُبِّ ، مَا لَمْ يَتَّقِ مِنِّي وَمَا بَقِيَ »

فعلى ما نذهب إليه من شدة تأثير الحوادث في أبى الطيب ونفسه ، واستخراجه معانى شعره من تلك الحوادث ، وتهججه دائماً على ذكر الحوادث القريبة ، نجد في هذه القصائد ما يشير إلى هذه الواقعة وما لقي فيها من الكيد .

والظاهر أن هذه الجفوة التي كانت في سنة ٣٤١ ، امتدت إلى أوائل سنة ٣٤٢ ، وكان من جرأتها أن انقطع أبو الطيب مدة عن مدح سيف الدولة فاستبطأه وتكرّر له ، فركب سيف الدولة يوماً في رجاله ، وقدم عليه أبو الطيب راكباً مُهَرَّهً ، فلما سلّم عليه ازورّ عنه وأعرض ، فقال أبو الطيب :

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ آزُورًا وَصَارَ طَوِيلَ السَّلَامِ آخِصَارًا

(١) « تحفه » ، أهدى إليه طرفة تعجب المرسل إليه لغرابتها ، « التحفة » ، الطرفة الغريبة المحيية .

(٢) انظر ما سلف ص : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

تَرْكَنْتَنِي الْيَوْمَ فِي خُجْلَةٍ ، أُمُوتَ مِرَارًا وَأُخَيَا مِرَارًا
أَسَارُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيَا ، وَأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِي سِرَارًا
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ إِلَيْكَ ، أَرَادَ أَعْتَذَارِي أَعْتَذَارًا
/ كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا ت ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي آخِثَارًا

ثم يذكر له العلة في ذلك الانقطاع عن مدحه فيقول ، [ثم انظر ص : ٣٥٤] :

(وَلَكِنْ حَمَى الشَّعْرَ ، إِلَّا الْقَلْبَ حَلْ ، هُمُ حَمَى التَّوَمَ إِلَّا غِرَارًا)
(وَمَا أَنَا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَلَا أَنَا أَضَرَّمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا)
(فَلَا تُلْزِمْنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ ، إِلَيَّ أَسَاءَ وَإِيَّائِي ضَارًا)

وهذا الهم الذي يُسَقِّمُ الجسمَ ويَضْرُمُ نَارًا في القلب ، ولا يملك له الإنسان رَدًّا ، لا يكون إلا هذا الحب العنيف الذي تنقطع دونه الآمال ، ولا يكون هذا الهم إلا ذلك ، فإن أبا الطيب كان ممتعاً بكل شيء في ظل سيف الدولة ، فقد كان صاحب إقطاع ومال كثير قد أسبغه عليه سيف الدولة . ثم انظر ما في قوله في البيت الأخير ، من الجزع المشوب بالعزة والترفع ، والرقّة أيضاً .

...

وحسبك هذا من شعره وهو في جوار سيف الدولة ، ثم أنظر إلى أثر هذا الحب في شعره بعد فراق سيف الدولة ، فإنه أدل وأبلغ في الكشف عن سرّ قلبه . ولا بأس في أن نسرّد لك ذلك على ما وقع في ترتيب ديوانه .

فمن آثار هذا الحب في شعر أبي الطيب ، ما وقع في القصيدة الأولى التي أنشدّها كافوراً في جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ ، حين قدم عليه بالفسطاط . وقد رأيت قبل أننا لم نتعرض لعاطفة أبي الطيب في شعره إلى أن اتصل بسيف الدولة ، فإذا أنت عُذْتُ إلى شعره في ذلك العهد الأول ، لم نجد فيه إلا قسوةً وشدةً وعنفاً ليس لشعر ، وقلماً لأن

الرجل أو ترقق إلا متكلفاً للغزل . وكان قد فارق قبل سيف الدولة رجالاً أحبهم وصحبهم ٢٤٢ وبأذهلهم مكنون صدره من / الودّ ، ولم يظهر في شيء من شعره بعد فراقهم أثر لهذا الفراق إلا قليلاً قليلاً . ولكنه حين فارق سيف الدولة ودخل مصر آختلف الأمر اختلافاً بيناً ، وظهرت في شعره رقة لا عهد له بها ، ولا تكون العلة في هذه الرقة التي ظهرت فيه بعد أن جاوز الأربعين ، واستحكم واستمرّ مريه ، واستوت طبيعته على طريقة من القوة والتشدد والاستمساك = لا تكون من أجل فراقه سيف الدولة وحسب ، فإن ذلك الفراق بين (الرجلين) لا يعمل في تغيير الطبيعة المتأصلة كل هذا العمل . وليس لشيء من العمل في تغيير الطبائع وتبديلها مثل ما للحب في القدرة على ذلك . وكان أبو الطيب حين فارق سيف الدولة ، يتلفّ قلبه إلى تلك التي خلفها من ورائه ، وخلف عندها قلبه وعواطفه ، فأثار ذلك في قلبه ذكرى وآلاماً ، جعلت الدنيا تضيق بها نفسه وتضجر منها .

فكان أوّل ما لقي كافوراً لقيه بالبيت الذي عدّه الأدياء والتقاد من سوء أدب المتنبي ومن جفائه وغلظته . وليس الأمر على ذلك ، فإن الرجل لم يكن جافياً ولا غليظاً ولا سيئ الأدب ، ولا ضعيف البيان ، ولكنه كان كما حدثناك مُرهَف الحسّ ، تغلبه العاطفة على أمره فلا يملك لبيانه تصريفاً ، بل تُصرّف عاطفته هذا البيان كما شاءت ، والعاطفة لا تعرف أميراً ولا كبيراً ، ولا تفرّق بين لقاء الملوك ولقاء الصعاليك ، فلذلك رمى في وجه كافور بهذا ، في شهر جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ ، [انظر ما سيأتى ص : ٣٦٢] :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
تَمْنِيَتُهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقاً فَأَعْيَا ، أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِيَا

ثم يمضى أبو الطيب على طريقته حتى يرق رقة ، لو أنت قلبت ديوانه لم تجد لها شبيهاً ولا مثيلاً ، وذلك قوله في خطاب قلبه ، ذلك القلب الذي حطّم فيه فراق « خولة » وهذا ببيان رجولته وقوّته :

٢٤٣ / حَبَبْتُكَ قَلْبِي ، قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَأْيٍ ، (١)
 (وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ ،
) فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَ بِرَبِّهَا
 إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَصاً مِنَ الْأَذَى
 وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَذُلُّ عَلَى الْفَتَى ،
 (أَقِلْ اِشْتِيَاقاً أَيُّهَا الْقَلْبُ ، رُبَّمَا
) تُخَلِّقُ الْوَفَا ، لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَا
 وَقَدْ كَانَ غَدَاراً ، فَكُنْ أَنْتَ وَافِياً
 فَلَسْتُ فَوَادِي إِنْ رَأَيْتَكَ شَاكِياً
 إِذَا كُنَّ إِثْرُ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا
 فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا الْمَالُ بَاقِياً
 أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أُمَّ تَسَاخِيَا
 رَأَيْتَكَ تُصَفِي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ صَافِياً
 لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِياً

أَيُّ رِقَّةٍ ، وَأَيُّ تَوَجُّعٍ ، وَأَيُّ جَمَالٍ !!

فاقرأ الآن الأبيات وتدبرها ، وأنظر في خطابه قلبه - على غير عادته - خطاباً رقيقاً متنهداً ذا زَفَرَاتٍ ، وانظر اضطراب أمره بين قلبه وفكره ، وبين عاطفته ورُجولته ، يقول لقلبه : « لَسْتُ فَوَادِي إِنْ رَأَيْتَكَ شَاكِياً » ، ثم يعود فيقول : « تُخَلِّقُ الْوَفَا ... » فليس في الأبيات حُبّه لسيف الدولة وحسب ، بل فيه تَفَحُّحات من لوعة الحب الذي يستولى على القلب : حُبُّ المرأة التي يهجرها الرجل وهو يعلم يقيناً أنه لا يهجرها ، وإنما يهاجر قلبه الذي بين جنبيه ويعانده ويرأغمه .

هذا ، وقد ظهر نفسُ هذا الأثر في كثير من شعر المتنبي ، وهو في جوار كافور ، بعد فراقه سيف الدولة . ظهر في حكمته ظهوراً بيّناً ، وذلك كقوله ، وذلك في رمضان سنة ٣٤٦ :

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ
 مِئْتِي ، بِحِلْمِي الَّذِي أُعْطِيتُ وَتَجَرَّيْتِي
 فَمَا الْحِدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ ،
 قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَّانِ وَالشَّيْبِ

/ وهذا القول ليس من مذهب المتنبي في كلامه الأول إلى فراقه سيف الدولة .
ومثل ذلك قوله ، في ذى الحجة سنة ٣٤٦ :

أودُّ مِنَ الأَيَّامِ ما لا تُودُّهُ وأشكو إليها (يَنِينًا) وهى جُنْدُهُ
(يُبَاعِدُنَ حُبًّا يَجْتَمِعُنَ وَوَصْلُهُ ، فكَيْفَ بِحُبِّ يَجْتَمِعُنَ وَصْدُهُ ؟!)
(أبى خُلُقِ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ ، فَمَا طَلَبى مِنْهَا حَبِيباً تُرْدُهُ)

ثم تَلَفَّت المتنبي إلى ما كان من فراقه « خولة » ومهاجرتها مراغماً لقلبه ، متكلِّفاً
الصبر والجلد ، فقال في عَقَب ذلك :

(وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِراً تَكْلُفُ شَيْءٍ فِى طِبَاعِكَ ضِدَّهُ)

وكان أبو الطيب يظنُّ أن في الفراق ما يُنسيه « خولة » ويمحو من قلبه آثارها . وقد
فارق ، وعلم أن ذلك لن يكون ، وأنَّ ما كان من اندفاعه ومُراغَمته عند أوَّل الفراق ، إنما
كان أمراً يخالف طبيعة حبه التى وصفها في شعره قبل وهو عند سيف الدولة بقوله :

إِلَامَ طَمَاعِيَّةِ الْعَاذِلِ وَلَا رَأَى فِى الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
(يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ ، وَتَأْتِى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ)

هذا وإذا أنت أخذت في دراسة شعره في المدح والحكمة في هذه الفترة ،
وجدت آثار هذا الحب الذى انقطعت منه آمال اللقاء والنظر والابتسامة والتلطُّف ،
وما رُمى في قلب أبى الطيب من الكَمَد والحسرة والأسَف والحنين ، فأصبح كلامه وبيانه
من تلك العواطف اليائسة التى انطوى / عليها قلبه ، وأضطرب بها ضميره وفكره ، (١)
وبذلك تميَّز شعره في هذا العهد ، من شعره فيما سبقه ، وتباين عنه تبايناً عظيماً .

(١) سيكون بيان ذلك تفصيلاً في بيت بيت وقصيدة قصيدة في موضعه من كتابنا عن أبى الطيب ،
ونعتمد عن ذلك هنا ، لما نرى من تشعب الموضوع وسعته ، وما يقتضى من الوقت .

ويقول أبو الطيب يذكر فراقه سيف الدولة ومقدمه على كافور ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧ :

فِرَاقٌ ... ، وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرَ مُدَمِّمٍ وَأَمَّ ... ، وَمَنْ يَمُتُّ خَيْرَ مُيَمِّمٍ
وَمَا مَنَزِلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ إِذَا لَمْ أَبْجُلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
سَجِيَّةُ نَفْسٍ لَا تَرَالُ مُلِيحَةً مِنَ الضَّيِّمِ ، مَرَمِيًّا بِهَا كُلَّ مَحْرَمِ^(١)
رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنِ عَلَيَّ !! وَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَيِّعٍ !!^(٢)
(وَمَا رُبَّةُ الْفَرْطِ الْمَلِيحِ مَكَائِهِ ، بِأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ)
(فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنِّعٍ عَذَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمِّمِ)
(رَمَى ، وَأَتَقَى رَمِييَ ، وَمِنْ دُونِ مَا أَتَقَى ، هَوَى كَاسِرُ كَفَى ، وَقَوَسَى ، وَأَسْنَهَمَى)

فهو بالبيت الأول قد عيّن من أراد بهذه القصيدة . فالذي فارقه هو سيف الدولة ،
والذي قصده وبممه هو كافور ، وعلى ذلك اتفق الشراح جميعاً ، فلما أتى البيت الرابع
قال : « رحلت » ، يعنى رحلته عن حلب ، ثم ذكر بعده ما كان من جرّاء هذا الفراق ،
وأبان عن الذى كان سبباً فيه ، وقابل فى ذلك بين اثنين : رجل وامرأة . فذكر باكية
تبكى على فراقه يعنى غزال ، وباكياً يبكى يعنى أسد ، وجازعة لفراقه زينتها قرطها الذى
فى أذنّها ، وجازعاً زينته حسامه . وقد اتفق الشراح أيضاً = ولا شك فيما قصده / أبو
٢٤٦ الطيب = على أنه قصد سيف الدولة بقوله « ضيّع » ، وقوله : « ربّ الحسام المصمم » .
والمقابلة بين سيف الدولة وهذه المرأة دليل على صلتها بسيف الدولة وبأبى الطيب ، ومعرفة
سيف الدولة بهذه الصلة ، ولا نشك بعد ما رأيت أنه عنى بالباكية الجازعة لفراقه
« خولة » أخت سيف الدولة ، ثم قال بعد : « فلو كان ما بى من حبيب مقنّع عذرت »

(١) « المخرم » ، من مخارم الجبال ، وهو الطريق المفضى إلى أفواه الفجاج .

(٢) الشادين : ولد الغزال ، يريد به المرأة الغريرة الحسناء ، والضيغم : الأسد .

وصبرت على ما يصيبني منه لحبي إياه ، والأذى من المرأة المحبوبة ينزل من قلب الحب منزلة الرضا ، فهو لا يحمل على فراق ولا يَبْنِ ، ولكن الذى حملنى على الفراق كَوْنُ هذا الأذى إنما أصابنى « من حبيب مُعَمَّم » ، هو سيف الدولة . ثم صرح فى البيت الأخير مبيناً عن هواه فقال : إن سيف الدولة رماه بسهمه (يريد الأذى الذى أصابه منه) ، واتقى بدرعه أن يرميه أبو الطيب بسهم مثله ، وهذا الاتقاء من سيف الدولة عَمَلٌ لا محلَّ له ، إذ كان يعلم يقيناً أن أبا الطيب لن يرميه جزاءً له كما رماه ، لما فى قلبه من حُبِّ « خولة » أخته وهواها الذى يحبس يده ، ويكسر كفه ، ويحطم قوسه ، ويدقُّ سهامه .

هذا وقد روى أن أبا الطيب اتَّصل به وهو بمصر أن قوماً نَعَوْهُ فى مجلس سيف الدولة بحلب ، فقال قصيدة يذكر ذلك ولم ينشدها كافوراً ، وكان مما جاء فى أولها قوله : [قالوا فى أول سنة ٣٤٨ ، فيما أرجع] .

بِمَ التعلُّلُ !؟ لا أَهْلٌ ولا وَطَنُ ، ولا نَدِيمٌ ، ولا كَأْسٌ ، ولا سَكَنُ
أريدُ من زَمَنِى ذَا أن يُبَلِّغَنِى
لا تَلَقُ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ
مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يُدِيمُ سُورَ مَا سُرِّتَ بِهِ ،
ولا يُرْدُ عَلَيْكَ الْفَائِتُ الْحَزَنُ
(مِمَّا أَضَرَّ (بِأَهْلِ الْعِشْقِ) أَنَّهُمْ
هَوُوا وما عَرَفُوا الدُّنْيَا ، ولا فَطَنُوا)
(تَفَنَّى عُيُونُهُمْ دَمْعاً ، وَأَنْفُسُهُمْ
فى إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنُ)
تَحَمَّلُوا حَمَلْتُكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ ،
فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنُ
(مَا فى هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهَجَّتِي عَوْضُ
إِنْ مِتُّ شَوْقاً ، ولا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ)
يَا مَنْ نُعِيْتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ،
كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
كَمْ قَدْ قَتِلْتُ ، وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمْ !!
ثُمَّ أَنْتَفَضْتُ فَرَالَ الْقَبْرِ وَالْكَفَنِ

٢٤٧

وفى هذه الأبيات عندنا قول كثير نوجزه ونمدُّ منه أطرافاً تنفادى بها الإطالة ،
ففى الأبيات الأولى تأخذ عينك أثر الأحزان التى كانت فى قلب الرجل متمثلة مصورة فى
شعره . وتدبّر عبارته عن آلامه بقول : « بِمَ التعلُّلُ » !! وتأمّل هذا السكون الذى

يَعْقُبُ استفهامه وتعجبه ، فهو بيانٌ في غير لفظ ، ثم يعود إلى القول فيقول : « لا أهل ، ولا وطن ، ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن » ، فقد كان بمصر وليس بها أحد يسكن إليه إلا ولده « محسّد » ، وهو مهاجرٌ لا وطن له ، وهو بمصر غريبٌ لا صديق له ولا نديم ، وقد سَمِيت نفسه كل شيءٍ حتى الكأس من الخمر لا تسليّه ولا تحركه . ثم تَمَّ ذلك بلوعة قلبه ، إذ فقد سَكَنَهُ وحبّيه الذى يسكن إليه ويأوى . ثم مضى ينتقل في المعنى حتى انتقل من تجلّده تارةً ، ومن أحزانه أخرى ، إلى الداءِ الذى يَسْلُ قلبه وَيُسَقِّمُهُ ، فقال منتقلاً على عَادَتِهِ التى بَيَّنّاها قَبْلُ ، [ما سلف ص : ٣٤٠ : تعليق : ٢] .

مَمَّا أَضُرَّ (بِأَهْلِ الْعِشْقِ) أَنَّهُمْ هَوُوا ، وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا ، وَلَا فَطَنُوا

وهو بيان عن نفسه وما يحزُّ فيها من آلام « خولة » ، وما لقيه بعدها من الاضطراب بين رجولته التى تأبى أن تخضع أو تضعف ، وبين عواطفه التى / تأبى إلا أن تخشع لخولة ، وتتعبد بذكرها وهواها وآلام حبيها . وكان من جرّاء هذا الاضطراب أن أنكر (الرجل) قلبه ، وقسا عليه وتعنّف به ، وذمّ له هذه التى قد ثَوَّلَ بها ، وهى التى أَضُرَّتْ به وأشفّته وعذّبته ، سفهاً وجهلاً منه ، إذ أراد ما لا يكون ، وما لا تأتى به الأقدار ، ولا ترضى به التقاليد الاجتماعية في هذه الدنيا ، كما ذكر في البيت الماضى ، فقال في عقب ذلك معانداً ومراعماً لما في قلبه :

« تَفَنَّى عَيُونُهُمْ دَمْعاً ، وَأَنْفُسُهُمْ فِي إِنْثَرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنٌ »

يرحمك الله يا أبا الطيب ثم انطلق يعاند قلبه ، ويذمّ له « خولة » ، ولا ذنب لها إلا ما تكلّفه هو بالفراق وإبرادة نسيانها ، « وتأتى الطَّبَاعُ على الناقل » أن يكون ذلك . ثم انظر خطابه بعدُ لسيف الدولة بقوله :

يَا مَنْ تُعِيْتُ ، عَلَى بُعْدٍ ، بِمَجْلِسِهِ ، كُلُّ بِمَا رَعِمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

فوربك إنى لإحبال أبا الطيب قد قال هذا البيت وهو ييكى ، فإن في الشطر الأخير عبراتٍ من دمعته لا تزال تجول فيه وتترقرق . فكلُّ ذلك آثارٌ بينة على انتقال طبيعة

أبى الطيب من تكبرها وعتوها وتزمتها ، إلى حالة نفسية طارئة قد نفذت فيه آلامها وأهوالها ، فهو يعانى منها ما يعانى ، ويضطرب لها ويهتز ويتلذذ ، حتى كان شعره بعد فراق سيف الدولة كثير الشكوى ، مخالطاً بالحزن والحسرة والألم ، وقد تنبه إلى ذلك أبو الطيب نفسه ، فقال فى قصيدة من مدائحه لكافور ، فى شوال سنة ٣٤٧ :

(لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ ! فَكُلُّ بَعِيدٍ اِهْمٌ فِيهَا مُعَذَّبٌ / (أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْكِي فِيهَا وَلَا أَنْعَبُ ؟) ٢٤٩
وَبِى مَا يَذُودُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ ، وَلَكِنَّ قَلْبِي ، (يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ) ، قُلْبٌ

وهذا الذى به مما يذود عنه الشعر ويمنعه من أن يقوله ، هو الذى ذكره أولاً فيما تقدم ، [ص : ٣٤٧] :

وَلَكِنْ حَمَى الشَّعْرَ ، إِلَّا الْقَلِيلَ ، هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا
وَمَا أَنَا أُسْقِمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

وهو حب « خولة » الذى ملأ قلب الرجل وأخذه وتفرد به دون فكره وإرادته .

.... فلما ماتت « خولة » رحمه الله فى سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر ، تغيرت طبيعة أبى الطيب واسودت الدنيا فى عينه ، وامتلاً قلبه حُزناً ، وتقطعت نفسه عليها حسرات ، فكان شِعْرُهُ بعدُ من هذه المادّة ، وأوّل ذلك ما كان من شعره فى القصيدة التى رثاها بها ، إذ يقول لسيف الدولة :

فَلَا تَتْلُكَ اللَّيَالَى !! إِنَّ أُنْدِيَهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرْبِ (١)
وَلَا يُعِنُّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ ، فَإِنَّهُنَّ يَصِيدُنَّ الصَّفَرَ بِالْخَرْبِ (٢)
(وإن سرّزَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعَنَ بِهِ ، وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ)

(١) « النبع » ، شجر صلب تصنع منه القسي . و « الغرب » ، شجر ضعيف العيدان .

(٢) و « الحرب » ، طائر لا يصيد ، وهو ذكر الحبارى .

(وَرُبَّمَا أَحْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا ، وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرِ غَيْرٍ مُّحْتَسِبٍ)
 وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَّائَتَهُ وَلَا أَتَتْهُي أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ (١)
 / تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ (٢) ٢٥٠
 فَقِيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً ، وَقِيلَ : تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
 وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهِجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

وأعد قراءة الآيات الثلاثة الأخيرة ، وتدبر نفس أى الطيب فيها ، فهو يكاد ينقطع ويسقط من العجز والتعب والفكر فى الذى أصابه بموت حبيبته « خولة » . فإذا أردت أن تعرف تمام حالة أى الطيب هذه ، وامتداد فكره فيها ، فاقرأ قصيدته التى قالها حين توفيت عمّة عضد الدولة بن بويه فى سنة ٣٥٤ ، فبيل موت أى الطيب بقليل ، والتى يقول فيها :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى ، فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ !!

 لَوْ فَكَّرَ (الْعَاشِقُ) فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِى يَسْبِيهِ ، لَمْ يَسْبِهِ

وبقى كثير من الإشارات إلى هذا الذى فى قلبه ، طَوِينَاهُ حَتَّى يَأْتِيَ أَجْلُهُ ، وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ .

...

(١) « اللَّبَّائَةُ » ، الحاجة .

(٢) « الشَّجَبُ » ، الهلاك ، يريد الموت .

يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ
لَمْ يَكُنْ ، غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ ، رَجَائِي
وَلَقَدْ أَقْنَيْتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِي ،
قَبْلَ أَنْ تَلْتَقِي ، وَزَادِي ، وَمَائِي
فَأَرَمِي حَيْثُ شِئْتَ مَيِّ ، فَأَيُّ
أَسَدِ الْقَلْبِ آدَمِي الرُّوَاءِ
وَقَوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ كَا
نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ

٢٥١ / قد ذكر الرواة في موضع القول من فراق أبي الطيب حضرة سيف الدولة أسباباً
مُوجِبَةً لهذا الفراق ، كالذي يروون من أنه كان بحضرة سيف الدولة ، وفي المجلس أبو
الطيب اللغوي ، وابن خالويه النحوي ، وجرت مسألة في اللغة بين أبي الطيب اللغوي
وابن خالويه ، فتكلم أبو الطيب المتنبي ، وَضَعَفَ قول ابن خالويه ، فأخرج ابن خالويه
(من كُتْمِهِ مفتاحاً من حديد) يشير به إلى المتنبي ، فقال له المتنبي : وَيَحْكُ ! اسكت ،
فإنك أعجمي ، وأصلك خوزي ، فمالك والعربية ! فضرب ابن خالويه وَجْهَ المتنبي
بذلك المفتاح ، فأسال دمه على وجهه وثيابه . مغضب المتنبي من ذلك ، ولا سيما إذ لم
ينتصر له سيف الدولة ، قولاً ولا فعلاً ، فكان ذلك أحد أسباب مفارقه لسيف الدولة .

٢٥٢ = وكالذي يروون من كَيْدِ أبي فراس له عند سيف الدولة بمثل قوله له : « إِنَّ / هذا
المتشدِّق (يعني المتنبي) كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار
عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرِّق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من
شعره !! فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه » ، فأعرض عن أبي الطيب لذلك .

فهذه الروايات وغيرها ، كما حدثناك قبل ، ^(١) هي من الأحاديث التي تتناقضها مجالس الأدباء ، ولا يراد بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، ولكننا نستفيد منها على علاقتها ، ونأخذ منها ونَدْعُ ، ولا نطيل القول هنا بنقدها وتجريحها ، فلذلك أجله وموضعه إن شاء الله .

والرأى عندنا أن فراق أبي الطيب لسيف الدولة مشكلة معقدة يطول تفسيرها وتبيينها على وجه معقول لا يتناقض ولا يختلف . ومختصره أن هذا الفراق كان لأسباب قد اقتضاها حُبُّ أبي الطيب « خولة » أخت سيف الدولة ، وبقي أبو الطيب في جوار صاحبه وحييته يتلذع بآلام قلبه وفكره تسعة أعوام مُجرَّمة ، وهو على عِدَّة من سيف الدولة أن يحقق آمال فكره السياسية ، وأمانى قلبه وعواطفه بزواج « خولة » ، ثم أدركه اليأس ، وظنَّ أن في الفراق راحة له ونسياناً ، وهو ما أشار إليه في قوله ، على ما فسرناه به : (٢)

« وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِراً تَكْلُفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِيْءُهُ »

وقد حمّله على ذلك ما كان يلقاه من الكيد والسعاية من قبل (قَوْم) / « خولة » كَأبَى فِرَاسٍ وَأَبَى الْعِشَائِرِ وَغَيْرِهِمَا ، وما فعلوه من تحريض الأدباء عليه ، كابن خالويه ، وإغراء الشعراء بغِيْظِهِ وَمَنَافَسَتِهِ وَالنَّيْلَ مِنْهُ حَتَّى ضَاقَ بِهِمْ ، فاستعدى عليهم سيف الدولة بمثل قوله له في عيد الأضحى سنة ٣٤٢ :

أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَيْبَتِهِمْ ، فَأَنْتَ الَّذِي صَبَّرْتَهُمْ لِيْ حُسْداً
(إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُعْظِداً)
(وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيْ حَمْلَتُهُ ، فَزَيْنَ مَعْرُوضاً ، وَرَاعَ مُسَدِّداً)

(١) ص : ٣٠٧ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٣٥٠ .

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي ، إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا
 فَسَارَ بِهِ ، مَنْ لَا يَسِيرُ ، مُشْمَرًا ، وَعَنَى بِهِ ، مَنْ لَا يُعْنَى ، مُعَرَّدًا
 (أَجْزَنِي إِذَا أُتْشِدْتُ شِعْرًا ، فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدًا)
 (وَدَغَ كُلُّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي ، فَإِنِّي أَنَا الطَّائِرُ الْمَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى)

وقوله أيضاً في ذلك ، في صفر سنة ٣٤٣ :

أَفَى كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَيْبِي شَوْنِعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي ، قَصِيرٌ يُطَاوِلُ (١)
 لِسَانِي يُنْطَقِي صَامَتٌ عَنْهُ عَادِلٌ ، وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلٌ
 وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تَجِيبُهُ ، وَأَغِيظُ مَنْ عَاذَكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ
 وَمَا التَّيَّةُ طَبِي فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى الْجَاهِلِ الْمُتَعَاقِلِ (٢)
 وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلٌ ، وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلٌ
 لَعَلَّ لِسِيفَ الدَّوْلَةِ الْقَرَمَ هَبَّةٌ يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلٌ (٣)
 رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ وَهَنَّ الْعَوَازِي السَّالِمَاتُ الْقَوَاتِلُ

فهذه أبيات صارخة الدلالة على ما كان يلقاه أبو الطيب في ذرى سيف الدولة من الشعراء في بلاطه . ثم انظرو ، فقد بين في هذه الأبيات أيضاً عن وشايات وسعايات كان يكاد بها لدى سيف الدولة من قبل : من الطعن في نسبه ، والتشهير به في خلقه وضميره ، وذلك حيث يقول في جمادى الآخرة سنة ٣٤٢ :

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ ، إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولٌ
 (وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يَرِينِي أُصُولٌ ، وَلَا لِلْقَائِلِيهِ أُصُولٌ)
 أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى ، وَأُهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجُولُ

(١) « الضنين » ، ما بين الإبط والكشح في الإنسان .

(٢) « طبي » ، أى شأني وعادتي .

(٣) « هبةُ السيف » ، هزته ومضاوؤه في الضربة .

/ سِوَى وَجَعِ الحُسَّادِ ذَاوٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبِ فَلَيْسَ يَحُولُ
وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ
وَإِنَّا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ
يَهُونَ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ (

وقد كان يَتَوَلَّى أَمْرَ هذا الكيد كُلَّهُ أَبُو فِرَاسِ الحمداني ، وعندنا أن المنافسة في الشعر لم تكن هي السبب ، وإنما كانت « خولة » السبب الأكبر الذي جلب عليه كيد أبنى فراس ، ثم أبى العشائر ، مع أنه هو الذي قَدَّمَهُ إلى سيف الدولة وقرَّبه إليه على ما يقولون . وقد بلغ من ذلك أن أُغْرِيَ أَبُو العشائر غلمانَه بقتله ، وقد رأيت قَبْلُ أن أبا الطيب على ذلك لم ينقص حُبَّهُ لأبى العشائر ولا ضَعُفَ ، [انظر ما سلف : ٣٠٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦] . وهذا لأنَّ الأمر لم يكن منافسةً في شعرٍ أو غيره ، وإنما كان غيرةً من أبى العشائر على بعض حُرْمِهِ . وأبو الطيب ، كما حَدَّثْنَاكَ في مواضع ، كان يضع (الرجولة) وتوابعها في المنزلة الأولى ، ويحبُّ من عدوه أن يستمسك بعُرْوَتِهَا ، فلذلك لم يَحْقِدْ على أبى العشائر حين أخذته الغيرة على حُرْمِهِ ، بل ازداد تعطفاً عليه وتلطُّفاً له ، على تكبره وتعاليه وعُتُوِّهِ ، حتى قال له ، [انظر ص : ٣٠٨ ، ٣٠٩] :

(وَنَفْسِي لَهُ ، نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ، وَلَكِنْ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفُ)
فَإِنْ كَانَ يَبْغِي قَتْلَهَا ، يَكُ قَاتِلًا بَكْفِيهِ ، فَالْقَتْلُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ

وهذا يصبح لفراق أبى الطيب لسيف الدولة معنىً يُعْقِل ويعتمد عليه ويُعْتَدُّ به ، ثم تَنَسَّقُ حالته النفسية الظاهرة في شعره ، وتتساقق معاني ديوانه متدرجة على أساس من نفسه وآلامها وآمالها وأشواقها ، وما أصابها من الكيد والعدوان ، وما مُنِيَتْ به من حُرْقَةٍ الحُبِّ ، ولوعة الحرمان .

/ خرج أبو الطيب من حَلَب حيث كان سيف الدولة ، قاصداً دمشق ، وقد ٢٥٥
 آحتال لذلك حتى تَمَّ له الفراق قبل أن تدركه مكاييد أوى فراس وأصحابه ، وذلك في
 أواسط سنة ٣٤٦ ، وكان يَحْمِل بين جنبيه قلباً مُمَزَّقاً قد اعتورته السَّهام ، أو كما قال ،
 وهو يعزى سيف الدولة حين ماتت والدته ، وذلك في سنة ٣٣٧ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِيَالٍ
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِيهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
 وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا ، لِأَنِّي مَا آتَنَفَعْتُ بَأَنْ أَبَالِي

فَهُوَ قد أُصِيبَ فِي آمَالِهِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَأُصِيبَ فِي هَوَى قَلْبِهِ ، وَأُصِيبَ فِي حُبِّهِ
 سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَمَا كَانَ يَضْمُرُ لَهُ مِنَ الْإِحْلَاصِ وَالتَّوْقِيرِ وَالْوَدِّ ، فَانطَوَى عَلَى مَا بِهِ ، مُحْزُوناً
 ضَجِيراً مَلُولاً ، يَتَبَرَّمُ بِالدُّنْيَا وَيَضْيِيقُ بِهَا وَبِأَهْلِهَا ذَرْعاً . فَلَمَّا وَافَى دِمَشْقَ وَدَخَلَهَا ، كَانَ بِهَا
 رَجُلٌ يَهُودِيٌّ مِنْ قَبِيلِ كَافُورٍ ، كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ يَسْتَقْبِلُ ظِلَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَكَانَ قَدْ لَقِيَهُ قَبْلُ
 فِي سَنَةِ ٣٢٧ ، حِينَ نَزَلَ عَلَى صَاحِبِهِ أَيْ عَلِيِّ (هِرُونَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأُرْجَانِيِّ) الْكَاتِبِ ،
 فَسَوَّلَتْ نَفْسُ هَذَا الْيَهُودِيِّ لِإِرَادَتِهِ وَرَغْبَتِهِ أَنْ يَحْمِلَ أَبَا الطَّيِّبِ عَلَى أَنْ يَمْدَحَهُ بَعْدَ أَنْ
 مَدَحَ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَتَقَدَّرَ أَبُو الطَّيِّبِ هَذَا الْيَهُودِيَّ وَغَثِيثَتْ بِهِ نَفْسُهُ ، فَسَكَّنَهَا
 بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَازْدِرَائِهِ وَالتَّهَانُوتِ بِهِ ، فَغَضِبَ الْيَهُودِيُّ (آيْنَ مَلِكُ) غَضَبَةً يَهُودِيَّةً ، حَتَّى
 إِذَا مَا كَانَ مِنْ كَافُورٍ مَا كَانَ ، مِنْ مَكَاتِبَتِهِ فِي طَلَبِ أَبِي الطَّيِّبِ أَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ ، فَعَلَهَا
 آيْنَ مَلِكُ ، وَكَتَبَ إِلَى كَافُورٍ أَنْ أَبَا الطَّيِّبِ قَالَ : « لَا أَقْصِدُ الْعَبْدَ ، وَإِنْ دَخَلْتَ مِصْرَ
 فَمَا قَصْدِي إِلَّا آيْنَ سَيِّدِهِ » . (١) ثُمَّ ضَاقَتْ دِمَشْقُ بِأَبِي الطَّيِّبِ ، فَخَرَجَ مِنْهَا يَرِيدُ
 صَاحِبَهُ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ طُغْجِجٍ بِالرَّمْلَةِ الَّذِي مَدَحَهُ فِي سَنَةِ ٣٣٦
 كَمَا قَدَمْنَا ، [ص : ٢٩٠ ، وَمَا بَعْدَهَا] فَاسْتَقْبَلَهُ / وَأَنْزَلَهُ مُنْزَلاً كَرِيماً ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ الْهَدَايَا النَّفِيسَةَ ، ٢٥٦
 وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلْعَ الْفَاخِرَةَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ بِمَوْكِبٍ ثَقِيلٍ ، وَقَلَّدهُ سَيْفاً مُحَلَّيً ، جِزَاءً لِمَا كَانَ

(١) خبر ابن ملك اليهودي في رواية ابن جني لديوان المتنبي : ٤٣٥ (طبعة عزام) .

مدحه به أولاً ووفاء بالصُّحبة . فكان كافور يقول إذ ذاك لأصحابه : « أَثَرُوتُهُ يَبْلُغُ الرَّمْلَةَ وَلَا يَأْتِينَا !! » . وبلغ ذلك أبا الطيب ، وأنَّ كافوراً يَجِدُ عليه في نفسه : أن يَقْصِدَ عُمَّالَهُ (كَأَبْنِ طُغْج) ولا يَقْصِدَهُ ، وَأَتَتْ أَبْنَ طُغْجَ كُتُبَ كافور في طلب أبا الطيب ، وكان أبْن طُغْجَ ، فيما نرى ، رجلاً بصيراً داهية مترقفاً حُلُو اللسان مُطَاع الرِّغبة ، فأخذ يراود أبا الطيب ، وأبو الطيب يتعسَّر عليه ويضيق بطلبه ، لما تحمل نفسه من الضُّجر والتَّبرم . وبعد لأيٍ ما ظفر به الأمير أبْن طُغْجَ وحمله على المسير إلى كافور . فلما قدم عليه ، أمر له بمنزله ، ووكل به جَمَاعَةً ، وأظهر التُّهْمَةَ له ، وطالبه بمدحه فلم يمدحه ، فخلع عليه الخلع حتَّى أخرج به بكرمه ، فلم يجد أبو الطيب الذى يقول :

« وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا »

.... لم يجد بُدًّا من أن يحمل نفسه على مدح هذا الأسود الخصى ، علَّه يصيب عنده ما فاته عند غيره من الفحول البيض . وعزَّى نفسه بذلك ، ولكنها أبت عليه أن تكون خالصة لكافور ، فرمت في وجه كافور بأبياتها لا أبيات أبا الطيب ، [في جمادى الأولى

سنة ٣٤٦] ، [انظر ما سلف : ٣٤٨] :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
تَمَنِّيَتْهَا لَمَّا تَمَنِّيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَاعْيَا ، أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا

واستقبال كافور بهذين البيتين هجاء دونه كل هجاء فيه إقذاعٌ وفُحْشٌ وسخرية ٢٥٧ وتهكُّم . وبقي أبو الطيب بعد ذلك بمصر يحتال لأمره ، ولا يزال / يَنْفُثُ في كل شعر ذات صدره من الآلام والآمال ، وألقى على شعره ظلاً من الحزن والفجيعية والحسرة واليأس ، ولكنه كان مع ذلك يجتهد في أن يظفر من كافور بولاية من الولايات يقوم عليها ، ليَجْرُبَ نفسه بعد أن أخفق في عقد آماله على غيره . وكان أبو الطيب حين خرج من حلب ، خرج ومعه الخالديان (أبو عثمان سعيد بن هاشم وأخوه محمد) ، وكان يُريدانه على أن يصحبهما إلى العراق ، فيمدح الوزير أبا محمد المهلبى ، فأثنى عليهما وخالفهما ، فذلك حيث يقول أبو الطيب ، يذكر ما كان من أمره وأمرهما ، ويعرِّض بحاجة نفسه لكافور ، [في شعبان سنة ٣٤٩] :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ ، وَفِيكَ فَطَانَةٌ ، سَكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةٌ ، ضَعِيفُ هَوَى يُتَغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ
(وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَذُلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابُ)
(وَأَعْلِمُ قَوْمًا خَالَفُونِي ، فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ ، أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا) (١)

(إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هِينٌ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثَّرَابِ ثُرَابُ)
(وَمَا كُنْتُ - لَوْلَا أَنْتَ - إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصَحَابُ)

ولم يكن أبو الطيب يؤمل من كافور ماله أو عطاياه أو هداياه ، فقد كان غنياً بما أعطاه سيف الدولة ، أو ما آذخه من عطائه وإقطاعه الذي كان له بالشام ، (٢) بل كان يريد أن يُلَيِّ بعض بلاد الصعيد ، أو صَيِّدَاءَ كما ذكروا ، / وذلك ليحقق ما استطاع آماله ٢٥٨ السياسية التي تتراعى إلى غاياتها التي قدمناها قبل . وقد زعموا أن كافوراً قال له حين ذكر حاجته : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين ، سَمَتْ نَفْسُكَ إِلَى الثُّبَّةِ ، فَإِنْ أَصَبَتْ وَلَايَةً وَصَارَ لَكَ أَتْبَاعٌ فَمَنْ يُطِيقُكَ ؟ » وهذا من كلام الرُّوَاةِ وَحَسْبُ والذي نراه رأياً أن كافوراً كان يعلم يقيناً أن أبا الطيب لا يُضْمِرُ له حباً ولا كرامة ، بل كان يزدريه في نفسه ، وَحَسْبُهُ ما لطمه به في أول لقاء كما مرَّ بك ، وحسبه ما كان يذكر في مدحه له من الحنين إلى سيف الدولة وندمه على فراقه كقوله ، (سنة ٣٤٩) :

أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً ، وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ

(١) يعني بالتشريق ذهاب صاحبيه إلى العراق قاصدين المهلبى ، والتغريب مقدمه هو على مصر ليمدح

كافوراً .

(٢) يذكرون أن سيف الدولة تقدم إلى (دهوان البر) بإخراج الحال فيما وصل به أبو الطيب المتنبى

فخرجت بخمسة وثلاثين ألف دينار في مدة (أربع سنين) .

وأينُ تعريضاً وأبلغ إفصاحاً عن حقارة هذا الأسود في نفس أبي الطيب ، ما يقوله له في أول مديحه ، [في شوال سنة ٣٤٧] :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ ، والشُّوقُ أَغْلَبُ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، والْوَصْلُ أَعْجَبُ
والضمير في قوله (فيك) يرجع إلى سيف الدولة ، ويُريد بالهجر مفارقه سيف الدولة ، وبالوصل مَقْدَمَهُ على كافور ، ثم يزيد فيقول بعد :

أَمَّا (تَغْلُطُ) الْيَوْمَ فَيَ بَأْنُ أَرَى (بَغِيضاً) تُنَائِي ، أَوْ (حَبِيباً) تُقَرِّبُ
وَلِلَّهِ سَيْرِي ، مَا أَقْلُ تَكْيَّةً عَشِيَّةً شَرَفَى الْحَدَالَى وَغُرْبُ (١)
عَشِيَّةً أَحْفَى النَّاسِ بِي (مَنْ جَفَوْتُهُ) وَأَهْدَى (الطَّرِيقَيْنِ) الَّتِي أَتَجَنَّبُ

/ فأنظر إلى نفس أبي الطيب في شعره ، ودقة بيانه بقوله : (أَمَّا تَغْلُطُ الْيَوْمَ) ، وهذا التصريح الذي وضعناه بين الأقواس يريد به سيف الدولة وكافوراً ، أفتظن أن هذا كان مما يخفى على (الأستاذ) كافور ، وكان من علماء عصره وأدبائهم ؟ وهل كان يخفى على كافور ما سخر أبو الطيب به في شعره من ذكر سَوَادِهِ والتعريض به ، وجعله من مادة مدح له ، والإتيان في ذلك بكل غريبة ونادرة ، مما يدل على تمكن الأصول البيانية في لسان أبي الطيب وقلبه ؟ انظر إلى قوله وهو يهنيء كافوراً ببناء الدار التي أقامها بإزاء الجامع الأعلى على البركة ، [في رجب سنة ٣٤٦] :

نَزَلْتُ ، إِذْ نَزَلْتُهَا الدَّارُ ، فِي أَحْسَنَ مَنَ مِنْهَا ، مِّنَ السَّنَى وَالسَّنَاءِ
وهذا لا بأس به ، ولكن تدبر التهكم العجيب في هذه الأبيات ، وذكر المستحيلات التي لا تقع ولا تكون ولا تُتَوَهَّمُ ، إِذْ جَعَلَهُ (شمساً منيرة) ولكنها سوداء !!

تَفْضُحُ الشَّمْسُ - كُلَّمَا ذَرَبَتِ الشَّمْسُ - سُنْ - بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ (سَوْدَاءِ)
إِنَّ فِي ثَوْبِكَ - الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ - لَضِيَاءٌ يُزَرِّي بِكُلِّ ضِيَاءٍ

(١) « الشية » التاني والتوقف ، « الحدالي » ، موضع بالشام . ، « غرب » ، جبل هناك .

وهذا الضياء هو سواده !!

إِنَّمَا (الْجِلْدُ) مَلْبَسٌ ، وَأَبْيَضَاضُ الـ شَفْسِي خَيْرٌ مِنْ أَيْبَضَاضِ الْقَبَاءِ (١)
كَرَّمَ فِي شَجَاعَةٍ ، وَذَكَاءٌ فِي بَهَاءٍ ، وَقُدْرَةٌ فِي وَفَاءٍ
مَنْ لِيَبْضِي الْمُلُوكُ أَنْ تُبْدَلَ اللَّوْ نَ (بَلَوْنِ الْأَسْتَاذِ ، وَالسَّخْنَاءِ)

/ ثم يجعله بعد ذلك (رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ) ، [انظر فئدة ص: ٣٥٧] وذلك لأنه
عجيبة عن عجائب الدهر . وتدبر كُلَّ شعر الرجل في مدح كافور تجد أمثال ذلك بيناً
دالاً على نفسه ، وتنبه لألفاظ الرجل فإنها هي التي كان يطوى تحتها معاني تهكمه
بكافور كقوله : « يا رجاء العيون » ، وتنبه إلى قلبه المعاني ، وَلَفَّتِهَا عَنْ وَجْهِهَا ، كقوله
مثلاً ، [انظر ما سلف : ٣٤٨] .

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمُلْكَ بِالْمُنَى ، وَلَكِنْ بَأْيَامِ أَشْبَنَ التَّوَصِيَا
(عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيًا ، وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيًا)

وهذا البيت الأخير تعريض بسقوط همة كافور ، وليس بمدح . وكان حق المعنى أن
يكون :

(عِدَاكَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيًا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيًا)

وذلك أن الأعداء يستعظمون ما كان من تملكه البلاد ، وَيَعْتُدُّونَهُ أَمْرًا عَظِيمًا
كالرقى إلى السَّمَاءِ = وذلك لحسدهم وعداوتهم التي تربو في صدورهم ، فترمى في الواقع
بالوهم فيتعاضم في العيون = ولكن كافوراً لُبْعاً هَمَّتْهُ ، لا يراها أمراً عظيماً ، بل هي
مساعٍ في الأرض لا جهْدَ فيها إلَّا كجهْدِ المَشْيِ فهذا هو المعنى الذي قلبه أبو
الطيب ببيانه القوى ، ليعرضه مَذْحًا ، وهو ذمٌ بليغٌ وهجاءٌ نافذٌ .

(١) تدبر قوله (الجلد) فهو هناك من أقيح الهجاء باللفظ قبل المعنى ، وكذلك قوله « لون الأستاذ

والسحناء » .

فكان كافور يُجيد فَهَمَ ذلك وينفذ إلى أسراره ، ويُبَصِّرُ به إن لم يكن قد أدركه ،
فقد كان أبو الطيب وهو بمصر مُلْقًى بالرزايا ، مقصوداً بالعداوة من أقوام بعينهم كانوا
يمهدون للدعوة الفاطمية ، وكانوا على صلة بكافور وثيقة ، يبدون له المحبة والإخلاص ،
وهم يعملون على إهلاكه . وكان كافور / يتقى ذلك بدعائه وحيلته وخبرته السياسية ،
فكان يهادى المعز لدين الله الفاطمي صاحب المغرب ويظهرُ ميله إليه ، وهو مع ذلك
يُذَعِّنُ بالطاعة لبني العباس ، ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء . وأيضاً ما كان من عداوة
الوزير أئى الفضل ابن خنزابة (جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن
ابن الفرات) ، وكان عالماً فاضلاً له درسٌ يلقيه وهو في وزارته ، وكان المتنبي لم يمدحه
ولا عِبّاً به ، فلذلك عاداه ، وكاد له كيداً بالغاً ، حتى إن المتنبي ذكره بعد خروجه من
مصر فقال ، [ربيع الأول سنة : ٣٥١] :

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْجِكَاتِ ، وَلَكِنَّهُ ضَجَّكَ كَالْبُكَاءِ
بِهَا (تَبَطَّيْتُ) مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرُسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَاحِ !

والنبتى هو هذا الوزير ، وكان عالماً بالأنساب قائماً عليها ، ألَّفَ كتاباً في أسماء
الرجال والأنساب ، وقصدته العلماء لذلك ، كالحافظ المحدث أئى الحسن الدارقطنى ،
وقدم عليه من العراق وأقام عنده .

وأقام أبو الطيب بمصر على كُروهِ ، إلى أن ورد أبو شجاع فاتك غلام الإخشيد
(محمد بن طُغْج) من الفيوم ، فلقبه المتنبي بالميدان على رِقْبَةٍ من كافور . وكان فاتك
عند مَقْدَمِهِ قد أهدى إليه هدايا قيمتها ألف دينار ، فأنشده قصيدته التى أولها ، [رجبى]

الآخرة سنة ٣٤٨] :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ ، فَلَيْسَ عِنْدَ النَّطْقِ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

وقال له فيها يذكر ما كان منه :

(وَمَا شَكَرْتُ لَأَنَّ الْمَالَ فَرَّخَنِي ، سَيَّانٍ عِنْدِي إِكْتَارٌ وَإِفْلَاحٌ)

لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا ، وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُحْسَالٍ
/ لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّى وَتَكْرَمْتِى ، إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِى طَوْلَ لَابِسِهِ ، إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى التَّنْبَالِ تَنْبَالُ (١)

يشير بالتنبال إلى كافور ، ثم يزفر المتنبي زفرته من جوف قلبه :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، الْجُودُ يُفْقِرُ ، وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
وَأِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ (٢)
إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكُ الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ
ذِكْرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِى ، وَحَاجَتُهُ مَاقَاتُهُ ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

وكذلك كان أبو الطيب قد يئس من بقائه فى مصر ، ويرى بالمال وأصحاب المال ، وعزم على الرحلة من مصر ، فأعدَّ له العدة ، واعتمد على الهرب بحيلته ودهائه قبل أن يذكره كافور الذى أرصد له الرُّقْبَاءَ وبثَّ عليه العيون . وانتهر هذا الداهية الخبير البصير الفرصة فى العيد يوم عرفة من سنة ٣٥٠ = وكان رسمُ كافور أن يستقبل العيد بيوم ، (هو يوم الوقفة الآن) ، وتُعَدُّ فيه الخَلْعُ والحُمْلانات والهدايا وأنواع المبار لرابطة جُنْدِهِ ، وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تُفَرَّقُ ، وثانى اليوم يذكر له من قَبْلِ ، ومن رَدَّ واستزاد = فأهتبل المتنبي غفلة كافور واشتغاله بالعيد ، ودفن رِمَاحه برّاً ، وسار ليلته ، وحمل بغاله وجماله ، وهو لا يألُو سيراً وسريراً . وقطع فى هذه الليلة مسافة أيام ، حتى وقع فى يه بنى إسرائيل ، إلى أن جازه على الحِلَلِ والأحياء والمفاوز والمجاهيل والمناهل والأواجن فلما بلغ كافوراً الخبر ، بذل فى طلبه ذخائر الرغائب ، وكتب إلى عمّاله فى سائر أعماله ولكن يقول المتنبي [فى قصيدته لما نالته الحمى بمصر سنة ٣٤٨] :

(١) « التنبال » ، القصير اللثيم .

(٢) « الشملال » ، الناقة السريعة الخفيفة المشى .

١٤٣٦٨ - (سنة ٣٤٦ - ٣٥٠) ، إعجابه بأبي شجاع فانتك ، ورحيله من مصر

فَرَّبْتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ ، أَوْ قَنَاقٍ ، أَوْ حُسَامٍ
وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ^(١)

...

(١) « الفِدَامُ » : ضرب من التسيج ، يجعل على فم إبريق الخمر ، ابتغاء تصفيتها وترويقها .

- ١٥ -

فَلَمَّا أَتَيْنَا ، رَكَّزْنَا الرِّمَّا
 حَ يِّنَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى
 وَبِتْنَا نُقْبِلُ أَسْيَافَنَا
 وَنَمْسُحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَى
 لِنَتَعَلَّمَ مِصْرَ ، وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ،
 وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ - أُنَى الْفَتَى
 وَأُنَى وَقَيْتُ ، وَأُنَى أُيُوتُ ،
 وَأُنَى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَنَا
 وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى ،
 وَلَا كُلُّ مَنْ سِيَمَ حَسَنًا أُنَى

/ خرج أبو الطيب من مصر ، وقد أجتواها ، وبُغِضَتْ إليه هذه الحياة الفاسدة ٢٦٣
 التي بها وبغيرها من البلاد العربية ، والتي وَصَفَهَا في قصيدته حين مرض بالحمى وهو
 بمصر فقال ... ، [من قصيدة الحمى ، في ذى الحجة سنة ٣٤٨] :

(وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خِجَا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ بَابِتْسَامِ)
 (وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعَلِمَى أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ)
 يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافَى ، وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ
 / (وَأَنْفُ مِنْ أَخِي لَأَنِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ)
 أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ

٢٦٤

وتنازعت قلب أبي الطيب كل أسباب همه ويأسه : هم الحب ويأسه من اللقاء ،
 وهم السياسة ويأسه من إدراك المطلب وتحقيق الآمال ، وأثبت كل ذلك في قصيدته التي

قالها يوم خروجه من مصر ، فتدبرها وفصلها على ما رسمنا فيما مضى يقول ، [في يوم

عرفة ، ذى الحجة سنة ٣٥٠] :

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عِيدُ ، بما مَضَى أَمْ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ ؟
أَمَّا (الْأَجَبَةُ) فَالْيَبْدَاءُ دُونَهُمْ ، (فَلَيْتَ دُونِكَ يَبْدَأُ دُونَهَا يَبْدُ)

لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَيْدِي شَيْئاً تُثَبِّتُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ
يَا سَاقِيَّ ! أَحْمَرُ فِي كُؤُوسِكُمَا ، أَمْ فِي كُؤُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ ؟!
أَصْخَرَةٌ أَنَا ؟! مَا لِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ ، وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ !
إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا ، وَ (حَبِيبُ النَّفْسِ) مَفْقُودُ
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا !! .. وَأَعْجَبُهُ أَنِّي - بِمَا أَنَا شَاكٍ مِنْهُ - مَحْسُودُ
أَمْسَيْتُ أَرْوَاحَ مُثَرِّحَازِنًا وَيَدًا .. أَنَا الْغَنِيُّ ، .. وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ

ثم يخلص أبو الطيب إلى ذم مصر وأهلها ، ووصفهم بالكذب والمماطلة ، وما كان من ولاية كافور الأسود الخصي عليها ، وما كان يجري من المكر فيها وفي سياستها ، ثم يهجو كافوراً بأفحش الهجاء ، ثم يذكر هَمَّ نفسه وفراق سيف الدولة ، وذلك قوله :

/ أَوْلَى اللَّثَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْمٍ ، وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ
وَذَاكَ ، أَنَّ (الْفُحُولَ الْبَيْضَ) عَاجِزَةٌ عَنْ الْجَمِيلِ ، فَكَيْفَ (الْخِصْيَةَ السُّودُ) !

٢٦٥

ونحن نقدم العذر لأبي الطيب فيما ذم به مصر ، وما ذكر من أخلاقها ، فقد كان الرجل منكوباً في نفسه وآماله ، وقلبه وهواه ، وزاده القوم كيداً ، وأثبت عليه الأسود كافور عداوةً باغيةً ، وهو الذي أقدمه على مصر بطلبه ، وقد أعذر أبو الطيب بمدحه إياه أيّاً كان ، بعد أن كان في جوار أمير العرب سيف الدولة . هذا وليس يمنعنا من شهادة الحق - ولو على أنفسنا - ما يأتي به بعض الناس من الغضب الباغي (للقومية) . وقد ذكر أبو الطيب عيوباً لا تزال متأصلة في مصر ، ولا خير في الغضب من ذكرها ، بل

الخير كل الخير في معرفتها والتنبه لها والعمل على إصلاحها . والحقيقة التي لا تُجحد أن
أبا الطيب قد نفذ ببصيرته إلى ما كان يسئل مصر ويقتلها من الخلق الفاسد ، وقد كشف
عنه في قصائده التي قالها في هجاء كافور ومدح فاتك وراثته . وليس أبو الطيب وحده
هو الذى عرف ذلك يومئذ وأدركه ، بل قد عرف ذلك كثير من أهل عصره ، وإذا أنت
قرأت التاريخ الذى بين أيدينا ، وقفت على ذلك ، وعلمت أن الرجل كان بصيراً نافذاً
إلى ضمائر الناس مجلوها ويكشف عنها . ولا بأس هنا من أن نذكر لك آياتاً قد قالها
القاضى التنوخى الكبير ، حين قدم هو أيضاً مصر وخرج منها كارهاً ، يقول :

تَرَكْنَا أَرْضَ مِصْرَ لِكُلِّ قَدَمٍ	لَهُ بَاغٌ يُقَصِّرُ عَنِ ذِرَاعِ
نُفُوسٍ لَا تَلِيْقُ بِهَا الْمَعَالَى ،	وَأَخْلَاقٌ تُضَيِّقُ عَنِ الْمَسَاعَى
أَقَمْتُ بِهَا وَمِنْ مَحَنِ اللَّيَالَى	مُقَامُ الْأَسَدِ فِي كَهْفِ الضَّبَاعِ
/ أَقُولُ ، وَقَدْ نَأَوْنَا ، بُعْداً وَسُخْفاً	لِشَرِّ الْخَلْقِ فِي شَرِّ الْبِقَاعِ
وَكَمْ خَلَفْتُ مِنْ كَرَمٍ مِهِينٍ	بِعَرْصَتِهَا ، وَمِنْ عَرْضِ مُضَاعِ
وَأَجْسَامٍ مُسَمَّنَةٍ شِبَاعِ ،	وَأَحْسَابٍ مُضْمَرَةٍ جِيَاعِ
وَنَقْصٍ فِي أَكَابِرِهَا خَضِيضِ ،	وَجَهْلٍ فِي أَصَاغِرِهَا مُشَاعِ
لَقَدْ نَامَتْ سِرِيرَتُكُمْ ، وَكَانَتْ	فَضِيحَتُكُمْ قِنَاعاً لِلْقِنَاعِ
جَعَلْتُمْ ذَنْبَنَا أَنَا سَمِعْنَا ... ،	وَمَا الْآذَانُ إِلَّا لِلْسَّمَاعِ

٢٦٦

وهذا ليس مما يُغضبُ منه ، فإن في التاريخ من أمثال ذلك ما لا يُدفع ، وقد
كانت في مصر لذلك العهد ، وفي غير مصر ، أخلاقٌ فاسدة هي التي عَصَفَتْ بالمجد
العربى وأضاعته بين ذئاب الأعاجم وغيرهم ، حتى صرنا إلى ما نحن فيه الآن . فهذا
الغضبُ التاريخي لا محل له ولا وجه ، إلا القصور في معرفة التاريخ . هذا وليس بمنكر
أن تكون هناك فضائل أخرى تُلطّف هذه العيوب وتحفّف منها ، فتُنسى في جانبها ،
وتُخفى صورتها في ظلّها .

.... سار أبو الطيب يطوي الفلوات بماله ورجاله ورماحه وخيله هارباً من كافور وما أتبعه من الطَّلَب ، وقطع في سيره الفلاة ما بين مصر وطور سيناء خائفاً يترقب ، وتراءت له أيامه كلها بأهوائها وغفلاتها ، وحسناتها وسيئاتها ، واضطربت نفسه وعلت أمواجها ، وأدركته رجولته وقُتوتُه ، حين لَفَحَتْهُ هَبَّاتُ المهجير وقد نَصَبَ لها حُرَّ وجهه ، وتنسَّم من سَمَائِهَا التي اعتادها في أوَّل أيامه قبل أن يستنيم إلى بعض الدَّعَةِ ، ويركن إلى غَفَلَاتِ الراحة ، وكذلك غَلَبَ ما كان به من اليأس والضَّجَر ، ومدَّ ذراعيه يَسْتَمْسِكُ بالحياة ، يَبْغِي الظفر وتحقيق الأمل . ومن هنا قال في قصيدته التي / ذكر فيها رحلته عند وروده إلى الكوفة يصف التَّوَقُّ التي نجا على ظهرها ، [في شهر ربيع الأوَّل سنة ٣٥١] :

(وَلِكِنَّهُنَّ (جِبَالُ الْحَيَاةِ) ، و (كَيْدُ الْعُدَاةِ) ، و (مَيْطُ الْأَذَى)
ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهِ ضَرْبَ الْقِمَا ر ، إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا
إِذَا فَرَعَتْ قَدَمَتَهَا الْجِيَادُ ، وَبِيضُ السُّيُوفِ ، وَسُمْرُ الْقَنَا

وَقَلْنَا لَهَا : أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَتْ - وَنَحْنُ بَرْثَان - : هَا

ولم يكن أبو الطيب في مخرجه هذا يريد مكاناً بعينه يَقْصِدُهُ ، بل كان متردداً بين أن يقصد المدينة ويقيم بها ، أو يقطع في رحلته الفلاة إلى نجد ، أو ينحدر إلى العراق . ولعله كان يتلقَّف الأخبار وهو في طريقه ، حتى يرى رأيه في قصده ، ويتَّقَيَّ شُرَّ الكيد الذي كان يُكَادُ به طول عمره من جراء السياسة ، ومن أجل تَقَعُّمِهِ على أصحاب الدسائس متهاوناً بهم . ^(١) والظاهر من شعر أبي الطيب أنه ، لأمرٍ ما ، اعتمد الرحلة إلى الكوفة

(١) قد حاولنا أن نهتدي في ظلام التاريخ إلى وجه من الرأى ، فلا نقرر الآن شيئاً ، فإن ذلك يقتضى التنقيب في تاريخ العلويين خاصة في ذلك العهد ، وما كان لهم وما كان منهم . والكذب الذى بين أيدينا من التاريخ ناقصة ، ومفرقة . فإذا تم لنا شيء من السند التاريخي ، فحينئذ نقدم على القطع برأى من أمر مدخله الكوفة . هذا على أن في أيدينا أشياء ، ولكنها لا تكفى في الدلالة على الوجه الصحيح .

ودخلوها . وقد رأيت قَبْلَ في خبر موت جدّته أنّه حين أراد دخول الكوفة ليرأها ، منعه العلويون ، فيما ذهبنا إليه ، وحملوه على مفارقة جوارها إلى بغداد ، ^(١) فكان من جرّاء ذلك ما استعلن في قصيدته التي يرى بها جدّته ، من الحِدة والتهوّر / والثورة ، والتعريض ٢٦٨ بما أريد به من الظلم والضميم ، فكان مما قال :

لَيْسَ لَدِّي يَوْمَ الشَّامِتِينَ يَوْمَهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي (لِأَنَّهُمْ رَغَمًا)
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعِظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ، وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعِشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ نَجِيَّتِي ، وَإِلَّا فَلَسْتُ (السَّيِّدَ الْبَطْلَ الْقَرَمَا)
(إِذَا قُلَّ عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفِ بُعْدِهِ ، فَأَبْعُدْ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزَمًا)
وَأَنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَانَ نُفُوسُهُمْ بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعِظْمَا
(كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا ، إِذَا شِئْتَ فَادْهَبِي ، وَيَا نَفْسُ ، زِيدِي فِي كَرَائِبِهَا قُدَمًا)
(فَلَا عَبْرَتِي سَاعَةً لَا تُعْزِنِي ، وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا)

وقد قلنا ثمّ أنه أراد بالشامتين الذين كان لأنوفهم (رغماً) - العلويين ، وأنّه أنذر وأوعد وهذد يريدُهُم بذلك ، لما أنزلوه من الكيد له حتى خفّيت نسبته إلى الشجرة العلوية المباركة . ولم يزل أبو الطيب يُسِرّ ذلك في نفسه ، وهو في كل مرة يلقي من العلويين كيداً كثيراً ، كما رأيت من إرصادهم لقتله بكفر عاقب ، [ص : ١٥٤ - ١٥٦ ، والتعليق هناك] .

فالآن ، يتمكن أبو الطيب - بعد استمرار عزيمته ست عشرة سنة (من سنة ٣٣٥ إلى سنة ٣٥١) - من دخول الكوفة ، بعد أن حِيلَ بينه وبينها في موت جدّته ، وقد لقي في هذه السنوات من المصائب والأرزاء ما فتّ حيناً في عضده ، وما رمى في قلبه بالعزم والقوة حيناً آخر . يدخل الكوفة وقد رَغِمَتْ أنوف من مَنَعُوهُ عن دخولها أولاً ، ومن فارق الكوفة وتغرب غير قابل لما أرادوه عليه من ظلمهم له فيقول :

(١) انظر ما قلته في شعره في رثاء جدته فيما سلف ص : ١٦٠ - ١٦٥ ، ثم ص : ١٧٠ - ١٧٧ ، ثم

ص : ٢٤٠ - ٢٤٣ ، ثم ص : ٢٧٧ ، والتعليق : ١ ، ثم ص : ٢٨٠ - ٢٨٢ .

/ فَلَمَّا أَنْخَنَّا رَكَزْنَا الرُّمَّا ح ، بَيْنَ (مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى)

٢٦٩

فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ : (مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى) ، أَتَكُونُ (مَكَارِمَهُ وَالْعُلَى) هَذِهِ هِيَ السَّقَاءَةُ وَمَا إِلَيْهَا ؟ إِذْ تَكْذَبُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَعَمُوا أَنْ أَبَاهُ كَانَ (سَقَاءً بِالْكُوفَةِ يَسْقَى الْمَاءَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ) . وَالْعَجَبُ أَنْ يَذْكُرَ أَبُو الطَّيِّبِ هَذِهِ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْكُوفَةِ ، الَّتِي كَانَ بِهَا مَنْ يَعْرِفُهُ مِنْ لِدَاتِهِ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فِي الْمَكْتَبِ وَهُوَ صَغِيرٌ . إِنْ يَكُنْ مَا زَعَمُوا فَتَبَّأُ (لَابْنِ السَّقَاءِ) هَذَا مِنْ شَيْخٍ لَا يَسْتَحْيِ مِنْ اللَّهِ وَلَا مِنَ النَّاسِ !! هَذَا ، وَفِي الْآيَاتِ الَّتِي تَلَى هَذَا الْبَيْتَ نَفْحَةٌ مِنْ نَفْحَاتِ الصَّدَقِ ، وَصُورَةٌ مِنْ قُوَّةِ الْعَزِيمَةِ ، وَكَرَمُ الْعَنْصَرِ ، وَعِزَّةُ نَفْسٍ تَتَمَيَّزُ فِي أَلْفَاظِهَا ، لَا قَبْلَ لَكْذَابٍ وَلَا دَعَى بَأَنْ يَجْعَلَهَا تَرَاءً فِي كَلَامِهِ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ سَمَّحَةٌ مُسْتَعْلَنَةٌ يَقُولُ :

وَيْتَنَا نُقْبَلُ أَسْيَافَنَا	وَتَمْسَحُهَا مِنْ دِمَائِ الْعِدَى
لِتَعْلَمَ مِصْرٌ ، وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ،	وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ ، أَتَى الْفَتَى
(وَأَتَى وَفَيْتُ ، وَأَتَى أُبَيْتُ ،	وَأَتَى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا)
(وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى ،	وَلَا كُلُّ مَنْ سِيَمَ خُسْفًا أُبَى)
(وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ ،	يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى)
(وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ	وَرَأْيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا)
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى ،	عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخُطَى

وَفِي قَوْلِهِ : « وَأَتَى وَفَيْتُ » الْبَيْتَانِ ، إِشَارَاتٌ بَيْنَةٌ إِلَى مَا مَضَى فِي كَلَامِنَا عَنْ نَسَبِهِ وَغَيْرِهِ ، وَلَا تُطِيلُ بِإِعَادَتِهَا هُنَا مَرَّةً أُخْرَى . وَكَذَلِكَ أَرْغَمَ / أَبُو الطَّيِّبِ أَنْوَافَ أَعْدَائِهِ جَمِيعاً ، وَأَرَاهُمْ أَنْ عَزَمَهُ لَا يَزَالُ مَاضِياً مُتَقَحِّماً لَا يُرَدُّ عَلَى بَعْدِ الشَّقَةِ وَتَطَاوُلِ الْأَيَّامِ ، وَأَنَّهُ قَرَّبَ إِلَيْهِ مَا كَانُوا يَبَاعِدُونَهُ عَنْهُ بِتَهْكِمِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِ بِهِ إِذْ قَالُوا : « مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ! وَمَا تَبْتَغِي ؟ » .

وقد صدق إذ قال :

إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بُعْدِهِ ، فَأَبْعُدْ شَيْءٌ ، مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا

...

لَمْ يَرِدْ فِي خَبَرِ أَيْ الطَّيِّبِ وَمَدْخَلِهِ الْكُوفَةَ فِي شَهْرِ رَيْبَعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٣٥١ شَيْءٌ
يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِهِ التَّارِيخُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ إِلَى وَجْهِ بَعِينِهِ . وَالَّذِي فِي رِوَايَةِ الرِّوَاةِ أَنَّهُ تَوَجَّهَ
بَعْدَهَا إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ (بَغْدَاد) ، وَلَكِنْ مِنْ قَبْلِ رَحَلَتِهِ حَدَّثَ بِالْكُوفَةِ حَدَّثَ حَضْرَهُ
الْمُنْتَسِبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا خَارِجِيًّا كَانَ قَدْ ثَارَ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ مِنْ بَنِي كِلَابٍ ، وَاجْتَمَعَتْ
إِلَيْهِ فِئَةٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ الْخَوَارِجِ ، فَانْتَهَضَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْفَوَارِسِ دَلِيرُ بْنُ لَشْكُرُوَزَ ، وَانصَرَفَ
هَذَا الْخَارِجِيُّ قَبْلَ وَصُولِ دَلِيرٍ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَمَدَحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ ، وَأَنْشَدَهُ وَهُوَ فِي الْمِيدَانِ ،
فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ بِمَرْكَبٍ ذَهَبٍ . وَلَسْنَا نَعْرِفُ سَبَبًا لِمَدْحِ أَيْ الطَّيِّبِ هَذَا الرَّجُلَ
(دَلِيرٍ) ، وَلَمْ يَرِدْ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ الَّتِي بَأَيْدِينَا ذِكْرُ هَذَا الْحَادِثِ ، وَلَا ذِكْرُ الْخَارِجِيِّ
الَّذِي ثَارَ بِالْكُوفَةِ فِي سَنَتِهِ تِلْكَ . وَهَذَا مِمَّا يَجْعَلُنَا نَأْخُذُ الْحَذَرَ فِي الْقَطْعِ بِرَأْيِ ، وَالظَّاهِرُ
أَنَّ لِهَذَا الرَّجُلِ (دَلِيرٍ) عِلَاقَةً بِالشَّكْلِ الْعُلُويَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِدَلِيلِ الْعَهْدِ بِالْكُوفَةِ ، وَأَنَّهُ
كَانَ مِمَّنْ يَمِيلُونَ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي فِيهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، وَأَبُو الطَّيِّبِ ، فَإِنَّ نَفْسَ أَيْ الطَّيِّبِ ،
كَأَنَّ رَأْيَ تِلْكَ الْفَتَى دُونَ سِوَاهُ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ ، أَنَّهُ قَصَدَ بِذَلِكَ أَنَّ يَبْدَى
غَالِبًا ، كَمَا مَرَّ بِكَ فِي قَوْلِهِ :

فَلَمَّا أَنْخَنَّا رَكَزْنَا الرِّمًا حَ يَّيْنِ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى

٢٧١ / أَقَامَ أَبُو الطَّيِّبِ بِالْكُوفَةِ أَشْهُرًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ سَنَتِهِ تِلْكَ إِلَى بَغْدَادٍ فَتَزَلَّ عَلَى
صَاحِبٍ لَهُ هُوَ عَلِيُّ بْنُ حَمْرَةَ الْبَصْرِيِّ ، ^(١) وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي دَارِهِ . وَبَيَّنَّ مِنْ نَزُولِ أَيْ الطَّيِّبِ
عَلَى هَذَا الْفَتَى دُونَ سِوَاهُ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ ، أَنَّهُ قَصَدَ بِذَلِكَ أَنَّ يَبْدَى

بفعله ازدراءه لهم ، واستهانته بهم . ولعله كان مما أراد أيضاً أن يكون على مقربة من سياسة الدولة ، ليخبر الرجال الذين كانوا يُوقِدُونَ نار الفتنة إذ ذاك ، وليُرَ وَرَ ما عندهم . وهذا يَبَيِّنُ مما قدمناه قبل ، ^(١) من المراسلة التي كانت بينه وبين سيف الدولة . ويَبَيِّنُ أيضاً أنه كان متعالماً عند أهل السياسة في ذلك العهد أن أبا الطيب كان مَقْدَمُهُ من أجل ذلك ، فقد ذكر الحاتمى (صاحب الرسالة الحاتمية) : أن معز الدولة بن بويه الديلمي (ساءه أن يَرِدَ على حضرته رجلٌ صَدَرَ عن حضرة عدوه) ، يعنى سيف الدولة .

ثم إنَّ أبا الطيب لم يقف أمره عند ذلك ، بل قد رغب إليه جماعة من أصحاب الوزير المهلبى أن يمدح الوزير ، فأبى عليهم أبو الطيب وجَبَّهَهُم بأسوأ الردِّ . وكان السبب في سوء رَدِّهِم أن أبا الطيب ، كما علمت ، لم يكن يرضى أبداً عن هؤلاء الأعاجم الذين مرَّقوا الدولة العربية وتقاسموها بينهم - ونعنى منهم هنا بنى بويه - وكان المهلبى وزير مُعِز الدولة البويهى ، وكان مشايعاً لهم في كثير . وعلى أن مُشَايعة الوزير المهلبى لبنى بويه كانت ، فيما نرى ، ارتفاقاً للرزق ، فإن أبا الطيب لم يعبأ به ، بل أغضى عنه تهاوناً وازدراءً . فأحفظ ذلك الوزير المهلبى ، فآسد عليه الأدباء والشعراء وأغراهم به ليغيظوه ويكيدوا له ، ويغلظوا / له القول في مجلسه . فكان ما رأيت قَبْلُ من هجائهم إيَّاه ، وزعمهم أن أباه كان سقاءً بالكوفة ، كما ورد في الشعر الذى قدمناه في أول الأبواب .

ولا يفوتك هُنا أن تعلم أن التنوخى الذى روى قِصَّةَ نسبه كان بالعراق لذلك العهد . وأيضاً أن ابن أم شيبان الهاشمى ، وأبا الحسن الزيدى العلوى كانا كذلك ببغداد . وقد رأيت في الباب الأول كلامنا عن هؤلاء وما ادَّعوه من أن أباه كان سقاءً ، فاجتماع هؤلاء ببغداد ، ومقدم أبى الطيب عليها من أجل السياسة ، وهو عدو بنى بويه ، إذ كان من أصحاب سيف الدولة ، ورجلاً من الذين اتخذهم لسره وآرائه السياسية ، ثم ما كان من امتناعه عن مدح الخليفة العباسى ومعز الدولة الديلمي (العلوى الفاطمى)

المذهب ، وازدراؤه لوزير معز الدولة (أنى محمد المهلبى) ، ثم ما كان من عداوة الشعراء والأدباء له بإغراء المهلبى وغيره ، نقول : إن هذا كله ممّا يجعلك تستيقن فساد الروايات التى يرويها الرواة عن أمر المتنبى ، وخاصة ما كان ظاهر التحامل ، بين الضغينة ... عفا الله عنهم !! لقد رموا الرجل بكلّ نقيصة ، ووضعوا لكل ما كان يتمدّح به في شعره قصّة تخالف ذلك : رأوا المتنبى يتمدّح بالكرم ويمدّح عليه ، فوضعوا القصص في بُخله وشراسته على المال ، ورأوه يمجّد الرجولة والشجاعة ويصف بها نفسه ، فوضعوا الأكاذيب في حكايات جُنبه وخوّره إلى غير ذلك من الأحاديث التى لا تصلح لتحقيق ولا ترجمة .

...

وبقى أبو الطيّب ببغداد مستهيناً بكل كيد وحقد ، وأخذ يقرأ ديوانه على بعض أصحابه بدار على بن حمزة البصرى . ثم فرغ من أمره ورجع إلى الكوفة / في أواسط سنة ٢٧٣ ٣٥٢ وبقي بها ، ولم يقل شعراً بلغنا ، إلى أن بدأت سنة ٣٥٤ فارتحل إلى بغداد ، وكان الوزير المهلبى قد مات .

والظاهر من أمر أنى الطيب أنّه حين بلغه وهو بالكوفة في سنة ٣٥٢ موث « خولة » أخت سيف الدولة ، تمزّقت أحلامه ولم يبق له قلب يمدّه بالقوة والتدافع والثورة ، كالذى كان له من قبل ، واستيأس من أمره إلّا قليلاً . فلما جاءه كتاب سيف الدولة في ذى الحجة من سنة ٣٥٣ يذكر العوائق التى تمنعه عن فتح العراق ، ويبين له ما هو فيه من الكرب والضيق والعسر ، على ما قدمنا في شرح قوله : (١)

« فهِمْتُ الْكِتَابَ ، أَهْرَ الْكُتُبَ فَسَمِعاً لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ »

..... أُحِيطَ بِأَبِي الطَّيِّبِ ، وَأَسْلَمَتْ نَفْسُهُ قِيَادَهَا لِأَحْزَانِ قَلْبِهِ ، فَلَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، لِئَلَّا يُذَكِّرَهُ الْمَكَانُ وَأَهْلُهُ ، بِمَكَانِ قَلْبِهِ وَالسَّائِكِيهِ ، نَعْنَى « خَوْلَةٌ » ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْسَى هَمَّهُ بِقَصْدِ أَرْضٍ غَيْرِ الشَّامِ الَّتِي يَتَلَقَّتْ قَلْبَهُ إِلَيْهَا فِي حَنِينٍ وَأَنْبِيٍّ وَبِكَاءٍ .

وكان أبو الفضل بن العميد ، ^(١) وهو بالرى ، يخرج كل عام خُرْجَتَيْنِ إِلَى أَرْجَانِ ، فَبَلَغَهُ مَقْدَمُ الْمُتَنَبِّىِّ إِلَى بَغْدَادِ « فَرَّاسِلُهُ » ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ فِي الْحُضُورِ إِلَيْهِ بِأَرْجَانِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ الْعَمِيدِ « كَانَ يَسْمَعُ بِأَخْبَارِ أَبِي الطَّيِّبِ ، وَكَيْفِيَّةِ اشْتِهَارِهِ فِي الْأَقْطَارِ ، وَتَرْفُعِهِ عَنْ مَدْحِ الْوُزَرَاءِ ، فَسَمِعَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ / مَدِينَةِ السَّلَامِ مُتَوَجِّهًا إِلَى بِلَادِ فَارَسَ ، وَكَانَ يَخَافُ أَنْ لَا يَمْدَحَهُ ، وَيَعَامَلُهُ مَعَامَلَةَ الْمُهْلَبِيِّ = فَيَتَكَبَّرُ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَيَعْرِضُ عَنْ سَمَاعِ شِعْرِهِ » . وَالصَّحِيحُ مِنْ هَذَا أَنَّ ابْنَ الْعَمِيدِ كَانَ يَخَافُ أَنْ لَا يَعْأَ بِهِ الْمُتَنَبِّىُّ ، فَرَّاسِلُهُ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاضِلِهِ . فَمَضَى أَبُو الطَّيِّبِ فِي سِيرِهِ مِنْ بَغْدَادِ إِلَى أَرْجَانِ يَصْحَبُهُ تَلْمِيزُهُ عَلِيُّ بْنُ حَمْرَةَ الْبَصْرِيَّ . قَالَ عَلِيُّ هَذَا : « فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا (أَبُو الطَّيِّبِ) ، وَجَدَهَا (يَعْنَى أَرْجَانُ) ضَيْقَةَ الْبُقْعَةِ وَالذُّورِ وَالْمَسَاكِينِ ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : تَرَكْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ وَهُمْ يَتَعَبَّدُونَ لِي ، وَقَصَدْتُ رَبَّ هَذِهِ الْمَدْرَةِ ؟! فَمَا يَكُونُ مِنْهُ !! ثُمَّ وَقَفَ بِظَاهِرِ الْمَدِينَةِ وَأَرْسَلَ غُلَامًا لَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مُوَلَايَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّىُّ خَارِجَ الْبَلَدِ - وَكَانَ وَقْتُ الْقَيْلُولَةِ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فِي دَسْتِهِ - فَتَارَ مِنْ مَضْجَعِهِ ، وَاسْتَبْتَبَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ حَاجِبَهُ بِاسْتِقْبَالِهِ ، فَركبَ وَاسْتَرْكَبَ مِنْ لَقِيهِ فِي الطَّرِيقِ ، فَفَصَلَ عَنِ الْبَلَدِ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَتَلَقَّوهُ وَقَضَوْا حَقَّهُ وَأَدْخَلُوهُ الْبَلَدَ . فَدَخَلَ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ فَقَامَ لَهُ مِنَ الدَّسْتِ قِيَامًا مُسْتَوِيًا ، وَطَرَحَ لَهُ كُرْسِيَّ عَلَيْهِ مِخْدَةُ دِيبَاجٍ ، وَقَالَ أَبُو

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي ، وكان عالماً أديباً فصيحاً ذا بيان ، وكان من أئمة الترسيل ، وقد سمي بالجاحظ الثاني ، وكان من دهاة السياسة وتدير الممالك .

الفضل : كُنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب » ، وكان دخول أبي الطيب أرجان ولقاؤه ابن العميد في شهر صفر سنة ٣٥٤ .

كان آبن العميد من رجال عصره في السياسة وتدير الملك ، ومن شيوخهم في العلم والفلسفة وما إليهما ، ومن أفذاذ البلغاء والأدباء ، وكان أمةً وحده . فلا عجب أن يحتفل له بيان أبي الطيب احتفالاً عظيماً في أول اللقاء ، فيمدحه بقصيدته المشهورة : « بَادِ هَوَاكَ صَبَّرْتَ أَمْ تَصْبِرَا » ، والتي يقول فيها يصف آبن العميد :

٢٧٥ / مَن مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَتَى بَعْدَهَا جَالَسْتُ رِسْطَالِيسَ وَالْإِسْكَنْدَرَا
وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتِبَ مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّياً مُتَحَضِّراً
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا

وأكرمه آبن العميد واحتفل له ، فبقى عنده المتنبي شهرين أو أشْف قليلاً ، وكان المتنبي ، وهو في جوار ابن العميد ، لا يزال يُعاوده هُمُّ قلبه ويغلبُه اضطرابُ نفسه ، فكان ذلك في شعره ، ولكنه كان يتأسكُ على الضعف ، ولا يعطى المقادة إلاً مقهوراً . وقد وقع ذلك في قصيدته التي مدح بها ابن العميد ، وفطن ابن العميد إلى هذا الاضطراب في شعر أبي الطيب . رَوَّاهُ أَنَّهُ لَمَّا أَنشَدَهُ :

بَادِ هَوَاكَ ، صَبَّرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاءَ ، إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى
كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَأَيْتَسَامُكَ صَاحِبَا لَمَّا رَأَى وَفِي الْحَشَا مَا لَا يُرَى !!

فقال له ابن العميد : يا أبا الطيب ، أتقول : « بَادِ هَوَاكَ » ، ثم تقول بعده : كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ ؟ ما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به !! فكان جوابُ أبي الطيب : « تلك حالٌ ، وهذه حالٌ » . وهذا هو ما نقول به فَإِنَّ أبا الطيب كان يذكر « خولة » أحياناً فلا يُخْفِي هَوَى ، ولا يَرُدُّ دمعاً ، وتنطلق عواطفه من عقال رجولته ، فإذا ما ارتدَّت إليه قُوَّتُه وإرادته ، رَدَّ ذلك برجولته وأبدى الصبر ، وأظهر الابتسام والرضى . وهذه حالة من أحوال الحبِّ الطاغى المسيطر ذى السلطان والغلبة . وظهورها في شعر أبي الطيب في بيتين

متعاقبين ينقضُ معنى أحدهما معنى الآخر ، كما قال ابن العميد ، دليلٌ على أن الرجل كان أحياناً في أسر الهوى لا يملك نفسه ، ولا يجدُ في تناقضِ معاني البيتين شيئاً . وذلك لأن هذا التناقض الذى نراه في معانى شعره ، يكون عنده اتساقاً في معانى / عواطفه وحبه ، وتعبيراً بليغاً صادقاً عن إحساسه وضميره وحاجة نفسه ، ... فهذا قوله : « تلك حال ، وهذه حال » .

وَأَنْظُرْ ، فإن الرجل حين ودع ابن العميد قال : [سنة ٣٥٤] :

وَمَنْ لِي يَوْمٌ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ ، قَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ
(وَأَلَّا يَخْصُ الْفَقْدُ شَيْئاً ، .. لِأَنَّنِي فَقَدْتُ ، فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي)
تَمَنَّ يَلْدُ الْمُسْتَهَامُ بِذِكْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فِتِيلاً وَلَا يُجِدِي
وَعَظِظَ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا ، وَلَكِنَّهُ غَيِظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقِدْ
فَأَمَّا تَرِنُنِي لَا أَقِيمُ بِلَدَةٍ فَافَّةٌ غِمْدِي فِي دُلُوقِي مِنْ حَدَى (١)

وهذه الإشارة التى فى البيت الثانى بقوله : (لأننى فقدتُ) « هى إلى صاحبه « خولة » التى ماتت فى سنة ٣٥٢ ، فلم ينسها بل بقى مضطرباً مغلوباً على أمره لا يستطيع الصبر تارة فتغلبه دموعه ، ويتحامل أخرى بصبره فينطوى على وجده ولوعته ، والنار التى فى حشاه .

...

(١) « الدلوق » ، سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده . يقول : إن رأيتى منزعاً لا أقيم ببلدة ، فإن ذلك لمضائق كالسيف الحاد ، تخرجه جدة حدّه ، فينزلق فيخرج بغتة من غمده .

- ١٦ -

مَعَانِي الشَّعْبِ طَبِياً فِي الْمَعَانِي
 بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ
 وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا
 غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللُّسَانِ
 مَلَاعِبُ جَنَّةٍ ، لَوْ سَارَ فِيهَا
 سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ
 إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ الْوَرْقَ فِيهَا
 أَجَابَتْهُ أَغَانِي الْقَيْسَانِ
 وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَخْوَجُ مِنْ حَمَامٍ
 - إِذَا غَنَّى وَنَاحَ - إِلَى الْبَيَانِ
 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا
 وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ

- ٢٧٧ / وَرَدَ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ - وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ الْعَمِيدِ - كِتَابٌ مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازَ
 يَسْتَزِيرُهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِأَبِي الطَّيِّبِ رَغْبَةً تَحْمِلُهُ ، فَلَمْ يَخَفْ إِلَى
 اسْتِدْعَائِهِ . فَكَلَّمَهُ ابْنُ الْعَمِيدِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : مَا لِي وَلِلدَّيْلِمِ ؟ فَقَالَ لَهُ : عَضُدُ الدَّوْلَةِ
 أَفْضَلُ مِنِّي ، وَيَصِلُكَ بِأَضْعَافٍ مَا وَصَلْتُكَ بِهِ . فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : « إِنِّي مُلْقًى مِنْ
 هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ ، أَقْصِدُ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ ، وَأُمَلِّكُهُمْ شَيْئاً يَبْقَى بَقَاءَ النَّبَرِينَ » وَيُعْطُونَنِي
 عَرَضاً فَنَائِياً وَلِي ضَجَرَاتٌ / وَاخْتِيَارَاتٌ ، فَيُعَوِّقُونَنِي عَنْ مُرَادِي ، فَاحْتَاجُ إِلَى
 ٢٧٨ مَفَارِقَتِهِمْ عَلَى أَقْبَحِ الْوُجُوهِ !! » ^(١) فَكَاتَبَ ابْنُ الْعَمِيدِ عَضُدَ الدَّوْلَةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَوُورِدَ

(١) أَعَدَّ قِرَاءَةَ هَذَا النَّصِّ . فَإِنَّهُ مَلَأَ بِإِشَارَاتٍ كَثِيرَةٍ تَطَابِقُ أَكْثَرَ الَّذِي قُلْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ .

الجواب بأنه مُملِكٌ مُرادَه في المُقام والظَّن . فسار المتنبى من أَرَجَان ، فلمَّا كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبى عُمَر الصَّبَّاح ، فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشدَه ، فقال المتنبى : الناس يَتَنَاشِدُون ، فاسمعه . ^(١) فأخبره أبو عُمَر أنه رُسيم له ذلك من المجلس العالى . ثم دخل البلد ، فأنزل داراً مفروشةً ، وأنشد أبا عمر قصيدته التى قالها في الكوفة ، والتى قال فيها ، [انظر ما سلف : ٣٦٩ ، ٣٧٤] .

فَلَمَّا أَنْخَنَّا رَكَزْنَا الرِّمَّا حَ يَّيْن مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى
وَبِتْنَا ثَقْبُلُ أَسْيَافِنَا ، وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَى
لِتَعْلَمَ مِصْرُ ، وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ، وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ ، أَتَى الْفَتَى
(وَأَتَى وَفَيْتُ ، وَأَتَى أُيُوتُ ، وَأَتَى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا)

فرجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده هذه الأبيات ، فقال عضد الدولة : « هُونًا يتهَدَّدنا المتنبى !! » .

وبينَّ مما روينَا لك أن أبا الطيب كان لا يزال يَحْقِرُ الأعاجم ويغضهم لما أصابوا به قومه من البلاء ، وكان استعصاؤه على ابن العميد وجَدَّالُهُ معه في الرحلة إلى عضد الدولة ، من أجل مذهبه السياسى ، ومن أجل أن هؤلاء ، بنى بُؤْيَه ، كانوا أعداءَ صاحبه سيف الدولة = ومن أجل أنهم كانوا من / شيعة العلويين الفاطميين الذين لا يرضى عنهم أبو الطيب ولا سيف الدولة = ومن أجل أنه يعلم أن مَدِيحَهُ فيهم سيَبْقَى لهم ذكراً خالداً في شعره ، وهم له أعداءٌ ، ولكن الرجل ، كما علمت قبل ، كان مضطرباً قد داخله اليأس واستبدَّ به ، فسار وهو يقول :

وَأَيَّا شَيْتٍ يَا طُرُقِي فَكُونِي ، أَذَاةً ، أَوْ نَجَاةً ، أَوْ هَلَكََا

فلما دخل شيراز واستقبله أبو عمر الصَّبَّاح ، واستنشدَه كأنه يَخْتَبِرُ شعره ، لم يصبر المتنبى فرمأه بقوله : « الناس يتنشدون ، فاسمعه » ، إذ كان شعره قد سارَ مسير النيرين الشمس والقمر ، فلما عرف أن ذلك الطلب بأمر من عضد الدولة ، غضب

(١) أعد قراءة هذه الجملة مرَّاتٍ ، فإنَّ في ضميرها حقيقة أبى الطيب .

لنفسه ولعريته ولشعره ، فاختار من قصائده قصيدة فيها ذكر ظفره بمراده ، وفلجِه على الخصوم من الملوك والأمراء ، وهجاء كافور الذي كان عنده قبل أن ينزل على عضد الدولة ، لتكون هذه القصيدة تهديداً ووعيداً وإنذاراً ، ومقابلة لإساءة عضد الدولة بإساءةٍ مثلها . ولذلك لما سمع عضد الدولة :

« وَأَنى وَفَيْتُ ، وَأَنى أُمَيْتُ ، وَأَنى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا »

عرف مراد المتنبى فقال : « هوناً يتهددنا المتنبى !! » .

...

وبينَ أن هذا اللقاء الأول ، وضع بين أئى الطيب وعضد الدولة أسباب الحذر والاحتراس ، فكان أحدهما يتملّق الآخر خوف البغى والعدوان . ولا شك أن عضد الدولة كان يعلم من أمر هذا الداهية السياسى ، أئى الطيب ، كثيراً ، وكان يُرصدُ عليه العيون والرقباء على أن أمر أئى الطيب ، كان / بيناً ، فإنه حين حضر سيماط عضد الدولة بعد أيام من مقدّمه عليه ، أنشده قصيدته التى أولها ، [سنة ٣٥٤] :

مَعَانِي الشَّعْبِ طِيّاً فِي الْمَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنْ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ ، وَالْيَدِ ، وَاللِّسَانِ
مَلَاعِبُ جَنَّةٍ ، لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ

فهذا هجاء بين لأرض فارس وأهلها . فقد زعم أن سليمان عليه السلام = الذى علّم منطق الجن والطير والحشرات والبهائم = لو دخل أرضهم لاحتاج إلى ترجمان ، فأخرجهم بذلك من منزلة من ذكرنا وجعلهم دونهم ! وأنه = من هوانهم على الله ، وقتلهم فى الأرض = لم يُعلم الله سليمان لسائهم ، وليس يخفى هذا على مثل عضد الدولة . ولم يكتف أبو الطيب بذلك ، بل أتبع هذا قوله بعد :

إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ الْوُرُقَ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُ الْقِيَانِ
(وَمَنْ بِالشَّعْبِ ، أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ - إِذَا غَنَّى وَتَاحَ - إِلَى الْبَيَانِ)

فَتَمَّ المعنى وأبان مقصده من الآيات الأولى ، إذ جعلهم أقل منزلة من الطير في البيان والإفصاح . ولم يكتف أيضاً بهذا ، بل أراد أن يُعْلِمَ عُضْدَ الدولة ، أن هذه البلاد ليست مكانه الذي يرتاح إليه ، وليست بالأرض التي تحرّصُ عليه أو يحرصُ عليها ، وأنه غريبٌ عنهم ، وأن مدحه لهم ليس شيئاً ، وأنه عربيٌّ ليس بأعجميٍّ يميل إليهم أو يكون له شأنٌ بينهم ، فقال :

وَلَكِنْ (الْفَتَى الْعَرَبِيُّ) فِيهَا (غَرِيبُ الْوَجْهِ ، وَالْيَدِ ، وَاللِّسَانِ)

فَكَلَّ ما قال أبو الطيب في مديح هذا الديلمي (عضد الدولة) ليس / من قلبه ولا من نفسه . وشعره بين الدلالة على أن الرجل كان يقول مُتَكَلِّفاً بعد أن أخرج بمقدمه عليه . وقد فَطَنَ عضد الدولة إلى كُلِّ هذا ، فقد كان أديباً شاعراً جيدَ الْقَرِيحَةِ ، وقال :

« إن المتنبي كان جَيِّدَ شِعْرِهِ بِالْقَرْبِ » (يعني غرب فارس) ، ويُشير بذلك إلى علوّه سيف الدولة خاصةً . وبلغت المتنبي مقالة عضد الدولة فقال : « الشعرُ على قَدْرِ البقاع » وهذا تصريح بليغ ، ولا شك أن عضد الدولة أخبر بقول المتنبي هذا .

ولم يكن كل ذلك مما يَمْنَعُ هذا الملك المدبّر عُضْدَ الدولة الدَّيْلَمِيَّ = الذي وَصَلَ بدهائه وسياسته وحُسن تديبه أن كان أوّل من حُوطِبَ بِالْمَلِكِ في الإسلام ، وأوّل مَنْ حُطِبَ لَهُ على المنابر بعد الخليفة = من أن يكسُو أبا الطيب من نعمته ، ويُقرّقه بِنَدَائِهِ وكرمه . فإنهم يروون أنه حين أنشده : « مغاني الشعب » ، حمل إليه من أنواع الطيب في الأردية والأمنان ، من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد إليه فرسه الملقب بالمَجْرُوح = وكان قد اشترى له بخمسين ألف شاةٍ = وبدرّة دراهمها عدلية ، ورداء حَشْوُهُ ديباج رُومِيٍّ مفصّل ، وعمامة قُوِّمَتْ بخمسمئة دينار ، ونَصْلًا هندياً مرصّع النجاد والجفّن بالذهب .

هذا ، وقد كان الجمال الطبيعي ، الذي مَسَحَ الله به بلاد فارس ، ممَّا أراح
نفس أى الطيب وأراح همَّها قليلاً ، فكان شعره الذى مدح به عُضُدُ الدولة مقارباً ليس
فيه اضطرابٌ بين ، أو أثرٌ ظاهرٌ من داءِ قلبه ، إلَّا فى أبيات قلائل . ولم يظهر فى شعره
ذلك ، لأنَّ مُدَّةَ إقامته هناك كانت قليلة ، فإنه بقى بشيراز على الأرجح من أواخر ربيع
الآخر إلى أول شعبان من سنة ٣٥٤ .

٢٨٢ / ولكن ظهر همُّ أى الطيب واستعلن ، وعادت إليه ذكرى « خولة » وموتها ، وذكر
آماله ومغامرته وجراته ، حين توفيت عمَّة عضد الدولة ، فرثاها بقصيدة ليس فيها شيءٌ
إلَّا هذه الأبيات ، [سنة : ٣٥٤] :

لَا تَبْدُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ	لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ
يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ ،	وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى ... ، فَمَا بَالُنَا	نَعَاؤُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شُرْبِهِ !!
تَبَخَّلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا	عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ !!
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهِ ،	وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبِهِ !!
(لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى	حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ ، لَمْ يَسْبِهِ)
لَمْ يَرُقْ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ ،	فَشَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ ،	مَيَّةَ جَالِيُنُوسَ فِي طَبِّهِ
وَرُبُّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ ،	وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرْبِهِ
وَعَايَةُ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ ،	كَعَايَةِ الْمُفْرِطِ فِي خَرْبِهِ
فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ	فَوَادَهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ

ففى هذه أثر بين لتفكير أى الطيب فى الموت ، بعد الذى لقي من فقد
« خولة » ، كما بيناه فى مواضع .

...

- ١٧ -

لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْمَةٍ
لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى ، فَمَا بَالُنَا
نَعَا فَمَا لَا بُدَّ مِنْ شَرِّهِ !!
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ
مَيِّتَةً جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُفْرِهِ
وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ
وَعَايَةَ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ
كَعَايَةَ الْمُفْرِطِ فِي خَرْبِهِ
فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ
فُرَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ

٢٨٣ / أشرنا قبل إلى أن الرجلين (أبا الطيب وعضد الدولة) ، كانا يتخادعان ، وأنهما
كانا في الباطن عدوين لا يأمن أحدهما جانب صاحبه ولا عُذْرته ولا سُوءَ المنقلب . ويُبينُ
لك عن هذا أن أبا الطيب مع إكرام عضد الدولة له ، كما رأيت ، لم يستطع القرار بأرض
فارس أكثر من ثلاثة أشهر ، ولولا ما أشرنا إليه لَأَسْتَطَابَ أبو الطيب المكان الذي وجد
فيه غاية الإكرام ، والمال الكثير المبذول ، والعطايا السابغة الكريمة . وهو مع ذلك دليلٌ
على أن أبا الطيب ليس من الطمع والحرص على المال بالمنزلة التي يذكرونها بها ، / ويتابعهم
٢٨٤ عليها كثير من الذين نصبوا أنفسهم للكتابة عن الرجل والترجمة له من المحدثين
وقضية هذه العداوة بين أبي الطيب وبنو الدَّيْلَمِيِّين قضية مُعَقَّدة طويلة ، ولها
في التاريخ الإسلامي والعربي أسباب ممتدة . ونحن نختصرها هنا ونجعلها في وجهين قريين :

فالأوّل منهما : ما عُرف عن أبي الطيب من بغضاء الأعاجم على ما فصلناه في مواضع .

والآخر : هو المسألة السياسية المتصلة بالخلافة العباسية ، والدعوة العلوية ، والدعوة الفاطمية والدعوة القرمطية ... وهذه هي أكبر مشاكل التاريخ الإسلامي ، وخاصة في هذا العصر الذي كان المتنبى أحد رجاله الأفاضل .

كان العلويون يريدون إخراج سلطان الخلافة من يد العباسيين إلى أيديهم ، وقد تمكنوا بالدعوة التي قام بها الدعاة العلويون أن يحزموا أمرهم ، ويجمعوا إليهم رؤوس الدولة فيكونوا من شيعتهم . وكان من شيعة العلويين ، ممن نذكرهم هنا ، بنو بويه الديلميون ، وبنو حمدان العرب التغلبيون . ثم غلبت على بنى بويه الدعوة الفاطمية فصاروا من العاملين عليها في المشرق ، واستعصى على هذه الدعوة بنو حمدان . وكانت سياسة بنى بويه علوية أعجمية ، وكانت سياسة بنى حمدان علوية عربية . فاشتعلت البغضاء بينهما ، ثم زاد العداوة وضراً وضراً ما كان من استجابة بنى بويه للدعوة الفاطمية ، واستعصاء بنى حمدان عليها ومناوأتهم إياها في الشام والموصل . وكان بنو بويه يعلمون أن بنى حمدان قد أدركوا خفايا السياسة الدبلوماسية الأعجمية المظاهرة للدعوة الفاطمية ، / وأنهم يعملون على نقضها . وكان دليل ذلك عندهم مناصرة بنى حمدان للخلافة العباسية ، مع أنهم من رؤوس شيعة العلويين مذهباً وعملاً ، وقد علم بنو بويه أن هذه المناصرة إنما يراد بها إزاحة بنى بويه عن مواضعهم من العراق ، وإبعادهم عن مقر الخلافة .

٢٨٥

فلما كان ما كان من أمر سيف الدولة وظهور سلطانه بالشام ، ووقوفهم على نيته في اتخاذ العدة واستجلاب العَدَد ، وتهيئة أمره لفتح العراق ، على ما ذكرناه ، استحرّت العداوة بين هؤلاء وهؤلاء ، وخاصة سيف الدولة ، وهو رأس بنى حمدان ، وأصلبهم عوداً ، وأشدّهم مِرَاساً ، وأقدرهم رأياً ، وأحزمهم دهاءً ، وأبعدهم نظراً ، وأمضاهم عزيمةً وهماً . وكان من آثار ذلك ما أشرنا إليه قَبْلُ في سبب حروب الروم وسيف الدولة .

وكان أبو الطيب ، كما علمت ، من المقرئين لدى سيف الدولة ، ولم يكن بنو بويه ليخطئوا معرفة الرجل ومذهبه في السياسة ، وأن هذا المذهب هو مذهب سيف الدولة ، فلذلك حذره عضد الدولة على ما رأيت ، وبقي له (علواً مداجياً) . وقد كان أبو الطيب ، فيما ذهبنا إليه ، علوياً منكوباً في نسبه ، فليس بمستكر أن يُراد به ، من قبل العلويين ، ما أريد به من قبل وهو بطبرية سنة ٣٣٦ ، حين أرصد له العلويون عبيدهم السودان ليقتلوه ، [انظر ما سلف : ١٥٥ ، والتعليق : ١] فيكون من ذلك أن يسعى هؤلاء العلويون لدى عضد الدولة في إيذاء الرجل والنيل منه . وأيضاً ما كان الدعاة الفاطميون يريدونه به لما يعلمون من أمره أولاً ، وإنكاره نسبهم ، وقوله إنهم من « نسل اليهود » ، كما قدمنا في خبر نبوته ، إذ قال : [انظر ما سلف : ٢١٥ ، ٢٢٧ - ٢٢٩] :

« فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تُعْبَأَنَّ (بِعَجَلِ الْيَهُودِ) »

٢٨٦ / يريد (بعجل اليهود) أحد الدعاة الفاطميين . ولعل الذي جعل الفاطميين يكيّدون له ، سعاية الأسود الخصى كافور ، فإنه كان قد بذل أموالاً في طلب المتنبى حين مخرجه من مصر قبل هجائه له ، فلا عجب أن يبذل أكثر من ذلك بعد أن يبلغه الهجاء المفضّع المفزع ، وما فيه من السخرية والتشيل به كقوله :

(وَأَسْوَدُ ، مِشْفَرُهُ نَصْفُهُ) يُقَالُ لَهُ : أَنْتَ بَذَرُ الدُّجَى

وأبلغ من ذلك تحريضه أهل مصر على قتله والفتك به ، كقوله ، [سنة ٣٤٩] :

أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتُهُ كَيْمَا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتَّهْمُ
فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِيْنُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقَدَمُ
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْرِى خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الَّذِي زَعَمُوا

وقد كان كافور ، كما قدمنا ، على صلة بالفاطميين والعباسيين معاً ، يخادعهم ويداجيهم معاً ، فليس بعيداً أن يكون هو الذى حمل الفاطميين الذين بالعراق على الإِرْصَادِ لأنى الطيب ، وأن يكون بذل مالا كثيراً للانتقام منه .

والظاهر أن عضد الدولة كان قد علم بكل ذلك الذي يُكادُ به أبو الطيب ،
ففضل أن يرفع يده عن دمه ، فأغرى بعض أتباعه بأن يُوقع في نفس أبي الطيب شيئاً من
الخوف والرعب ، فيخف أبو الطيب للرحلة عن شيراز ، ويتعد عن دياره ليلقى حتفه في
مكان آخر . ولذلك « استأذنه المتنبي في المسير عن شيراز ليقضي حوائج في نفسه ثم
يعود إليه » . وكان هذا من أبي الطيب ضرباً من ضروب دهائه ومخادعته ، فلما عزم
الرحلة ، كان من دهاء عضد الدولة أن زاده كرامة ليوقع في نفسه أنه مُصدّقه ، « فأمر أن
تُخلع عليه الخلع / الخاصة ، وتُعاد صِلته بالمال الكثير » ، ويقيننا أن أبا الطيب حين
وجد ذلك ، من إكرام عضد الدولة له ، وكان قد بلغه طرف من أخبار الكيد الذي يُكادُ
به ، عَرَفَ ما يريدُه عضد الدولة وما يُراد به ، ولذلك أشار في آخر قصيدة مدحه بها =
وهو مفارق له في أوّل شعبان سنة ٣٥٤ = إشارات كثيرة ، منها قوله :

٢٨٧

وَمَنْ يَظُنُّ (نثر الحبّ جوداً ، وينصب تحت ما نثر الشباكاً)

وهذا المثل ، هو مثل لما تراه قبل من أمر عضد الدولة . ثم انظر إلى يأس أبي
الطيب وقد علم أنه قد أُحيط به ، وأنه مقتول لا محالة إذ يقول :

« وَأَيَّا شَيْتِ يَا طُرْقِي فَكُونِي ، أذاةً ، أو نَجاةً ، أو هَلَاكاً »

.....

« وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ ، يُعُودُ ، وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتَسَاكاً »

فلما فصل أبو الطيب من شيراز ووصل إلى دَيْرِ العاقول - وهي ضيعة بالعراق -
اجتمعت عليه بنو أسيد وبنو ضبة ، فقتلوه وقتلوا غلمانهم وقتلوا ولده محسداً . وقد قدمنا
لك أن سيف الدولة كان قد أوقع بعمر بن حابس من بني أسيد ، وبني ضبة ، وبني
رياح من بني تميم ، وذلك في سنة ٣٢١ ، وقد هجاهم أبو الطيب في مدحه لسيف الدولة
في تلك السنة . وكان ذلك المدح وهذا الهجاء سبباً في أن أحفظ عليه هؤلاء القوم من بني
أسيد وبنو ضبة (١) قال أبو الطيب لسيف الدولة ، وذلك قديماً في سنة ٣٢١ :

(١) انظر ما سلف ص : ٢١٥ - ٢١٨ .

/ مَهْلًا إِلَّا اللَّهُ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي «عَمْرُو حَابٍ» وَ «ضِبَّةُ الْأَغْنَامِ» ٢٨٨

يريد عمرو بن حابس من بنى أسد .

لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأُسَيْنَةُ فِيهِمْ جَارَتْ ، وَهَنَّ يَجُزْنَ فِي الْأَحْكَامِ
فَتَرَكْتُهُمْ تَحْلَلُ الْيُبُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُؤُسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ ، وَنَجْمٌ يَبْضِي فِي سَمَاءِ قَتَامِ
وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فَلَانٍ كُنْيَةً حَالَتْ ، فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْنَامِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَنِي أَسَدٍ وَبَنِي ضِبَّةٍ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ الْعُلُوِيْنَ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا
قَدْ انْحَاذُوا إِلَى الْأَعَاجِمِ مَخْدُوعِينَ ، وَصَارُوا بَعْدَ مِنْ شِيعَةِ بَنِي بُؤَيَّةِ الْفَاطِمِيِّينَ . وَلَيْسَ
يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ كَافُورٌ هُوَ الَّذِي أَمَدَّهُمْ بِالْمَالِ لِيَقْتُلُوا الرَّجُلَ ، وَتَوَسَّطَ لَهُ فِي ذَلِكَ أَصْحَابُهُ
مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوْ الْفَاطِمِيِّينَ .

هذا هو مختصر القول في مقتل أبي الطيب في ٢٧ رمضان من سنة ٣٥٤ . أما
ما يروونه من السخف في حكاية مقتله بسبب القصيدة التي أولها :

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمَ ضِبَّةٌ وَأُمُّ الطَّرْطَبَةِ
وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا مَحَبَّةَ

..... إلى آخر الفحش القبيح الذي ورد بها ، فلنا في نقده ونقضه وجوه لا نطيل

القول بها هنا ، ولها موضعها إن شاء الله من كتابنا . وأيضاً فقد ورد أن سبب قتله : « أنه
لَمَّا وَرَدَ عَلَى عِضْدِ الدَّوْلَةِ وَمَدَحِهِ ، وَصَلَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَثَلَاثَةِ أَفْرَاسٍ مُسَرَّجَةٍ
مُحَلَّلَةٍ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ دَسَّ لَهُ مِنْ يَسْأَلُهُ : أَيْنَ هَذَا الْعَطَاءُ مِنْ عَطَاءِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ؟ فَقَالَ
أَبُو الطَّيِّبِ : « إِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ / كَانَ يُعْطَى طَبْعاً ، وَعِضْدُ الدَّوْلَةِ يُعْطَى طَبْعاً » ٢٨٩
فَبُلِّغَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَغَضِبَ . فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ أَرْضِهِ ، جَهَّزَ إِلَيْهِ قَوْمًا مِنْ بَنِي ضِبَّةٍ فَقَتَلُوهُ ،
بَعْدَ أَنْ قَاتَلَ قِتَالاً شَدِيداً ثُمَّ انْهَزَمَ ، فَقَالَ لَهُ غَلَامُهُ أَيْنَ قَوْلُكَ :

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فقال : قَتَلْتَنِي قَتَلَكَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ » ، فمثل هذه الرواية لها تأويل
وسياق فيما قدمناه لك .

...

وَرَجِمَ اللَّهُ أَبَا الطَّيِّبِ إِذْ يَقُولُ :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا ، فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُهِبٍ
تَمْلِكُهَا الْآتِي تَمْلِكُ سَالِبٌ ، وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ

وَأَنْتَ يَا أَبَا الطَّيِّبِ

فَذَلِكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ ، فَإِنَّهَا مُعَذَّبَةٌ فِي حَضْرَةِ وَمَغِيبٍ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَخْسُدُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ

أبو فهر

محمود محمد شاكر

٣ شوال سنة ١٣٥٤

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥

قَضِيَّةُ الْمُتَّبَعِ
وَأَرْبَعُ تَرَاجِمٍ لَمْ تُنْشَرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ونعمه ، والصلاة والسلام على صفوته من خلقه محمد رسول الله ، وعلى أبونا إبراهيم وإسماعيل ، وعلى سائر رُسُلِهِ إلى عبادِهِ .

وبعد ، فهذا ما كنت كتبته قديماً في صحيفة « البلاغ » بعنوان « بينى وبين طه » ، وكان غرضى أن أكشف الحقيقة التى انطوى عليها كتاب الدكتور طه حسين « مع المتنبى » . كتبها يومئذ والدكتور طه حسين حياً بعد ، يستطيع أن يردنى إن جرت عن الحق ، أما اليوم فأنا أعيد نشرها بعد أن فارقنا ، غفر الله لنا وله ، ويستقبلها جيل لم يشهد تلك الأيام ، وهى عنده خبر من الأخبار . ولم أنشرها على ما كتبت عليه يومئذ ، إلا لأنها أصبحت تاريخاً يُروى ، ولأنها تتضمن تفصيلاً كثيراً عن أشياء ذكرتها فى كتابى ، يبين بها الفرق بين منهجى فى دراسة الشعر والشعراء ، وبين منهج غيرى ممن كتب سيرهم ، أو فسر شعرهم ، كما أشرت إليه فى المقدمة الأولى . ثم ضمنت إليها ما كتبته فى مجلة « الرسالة » يومئذ عن « نبوة المتنبى » ، ورد أخى وصديقى الأستاذ الجليل سعيد الأفغانى إلى أن انقطع القول بينى وبينه ، / لأنه أيضاً رواية تاريخ ، وإبانة عن منهج . ثم لم أثبت شيئاً مما كتب عن كتابى هذا مما فيه ثناء عليه ، لقلة انتفاع هذا الجيل به ، إلا كلمة واحدة أثبتها ، لا لما فيها من ثناء ، بل لأن صاحبها كان أستاذاً وصديقاً ، ولأن وفاته كانت أحد الأسباب الداعية إلى ترك الاستمرار فى نقد كتاب الدكتور طه ، رحم الله الراحل ، وغفر له ولنا جميعاً .

ثم ألحقت بهذا التاريخ أربع تراجم للمتنبى لم تُنشر ، لأن الكتب التى نُقلت عنها لم تنزل مخطوطة ، ولأن فيها شيئاً جديداً كثيراً عنه ، لم يقع لى ولا لأحد قبلى . وقد بينتُ

أمر أولاهنّ في مقدمة هذه الطبعة الثانية ، وأمّا التراجم الثلاث الآخر ، فقد بينت أمرهنّ في مقدمة الطبعة السابقة . وكان الفضل كلّ الفضل في الوقوف على هذه التراجم الثلاث الأخيرة ، مصروفاً إلى أخى وصديقى الأستاذ الجليل أحمد راتب النفاخ ، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، نقل بعضها قديماً بخطّه ، وصوّر لى بعضها . وشكرى له لا يفي بقليل كرمه ، فكيف بالكثير الذى غمرنى به آسياً ومواسياً فى كلّ ضراء لحقتنى ، أو آتياً ومواتياً فى كلّ سرّاء زادها بهجةً لإسراعهُ إلّى وهو أنا ، وأنا هو ؟ أطال الله بقاءه ونفع به .

مصر الجديدة :

٣ شارع الشيخ حسين المرفى

السبت : ١٥ رجب ١٣٩٧

٢ يوليه ١٩٧٧

محمود محمد شاكر

بینی و بین طہ

إِنَّمَا أَنفُسُ الْأُنَاسِ سَبَاقُ
يَتَفَارِسْنَ جَهْرَةً وَآغْتِيَالاً
مَنْ أَطَاقَ التِّمَاسَ شَيْءٌ غِلَاباً
وَآغْتِصَاباً لَمْ يَلْتِمِسْهُ سُؤلاً
كُلُّ غَايٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى
أَنْ يَكُونَ الْعُصْفَرُ الرَّبَاباً

/ نشر الأستاذ الجليل ، عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية ، الدكتور طه ١١/٢
حسين بك كتاباً سماه « مع المتنبي » ، ولدته المطبعة وفيه سبعة صفحة وإحدى عشرة
صفحة ، كلها جيد النسق ، جميل الرونق ، لو تمنى عالم عَزَبَ لَأَلْقَى في أمنيته أن يكون
له بعداها ولدٌ يحملون عنه العلم من جيل إلى جيل .

وقد عشت مع المتنبي زمناً يطول أو يقصر ، كما عاش معه الدكتور الجليل ،
وكتبت عنه كتاباً متواضعاً في مئة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، نشره المقتطف في
أول شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، للذكرى ألف سنة مضت على مقتل أبي الطيب ، كما كتب
عنه الدكتور الجليل كتاباً فخماً ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في شهر يناير سنة
١٩٣٧ .

فمن حق المتنبي عليّ أن أقرأ ما كتب عنه الدكتور طه وغير / الدكتور طه ، كما ١٢/٢
أنه من حق نفسي عليّ أن أضع التاريخ في موضعه الذي أرخته به دورة الفلك ، فإن
التاريخ لا يصلح معه الأدب الذي أدبنا به الله تعالى في قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ

لَكُمْ تَفْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ([سورة المجادلة : ١٢] ، فوالله إنا لنفسح للدكتور الجليل في مجالسنا حتى يبلغ الغاية التي هو لها أهل ، وعلى وُدِّنا أن نفسح له في التاريخ أيضاً لولا أن التاريخ « يحتاج بشدة » .

فبينى وبين الدكتور الجليل أمران جليلان أيضاً : أولهما ما يقوله هو عن المتنبي ، وآخر الأمرين ما يقوله كتابى الذى نشر فى يناير سنة ١٩٣٦ ، وكتابه الذى نشر فى يناير سنة ١٩٣٧ . ففى أولهما حديث رويناه : « أن إبراهيم النظام المعتزلى قال لرجل : أتعرف فلاناً المجوسى ؟ قال : أجل ، أعرفه ، ذاك الذى يخلق وسط رأسه مثل اليهود . فقال النظام : لا مجوسياً عرفت ، ولا يهودياً وصفت » = (والنصارى لا اليهود هم الذين يخلقون وسط رؤوسهم) = وفى آخرهما خبران رويناهما ، أحدهما عن الرياشى فيقول : كان الفرزدق مهيئاً تخافه الشعراء ، فمر يوماً بالشمرذل وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

وَمَا يَنْ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعاً وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ ، غَيْرُ حَزِّ الْقَلَاصِمِ

فقال له الفرزدق : والله يا شمرذل ، لتترك هذا البيت أو لتترك / عِرْضَكَ ! (يتوعده بالهجاء) . فقال الشمرذل : نَحْذُهُ عَلَى كُرْهِ مَنَى يَا أَبَا فِرَاس ! فهو اليوم فى قصيدته :

* تَجِنُّ بَزْوَرَاءِ الْمَدِينَةِ نَاقَتِي *

قال الرياشى : وكان الفرزدق يقول :

« خَيْرُ السَّرْقَةِ مَا لَا يَجِبُ فِيهِ الْقَطْعُ »

يريد سرقة الشعر ، لا يجب فيها قطع يد السارق .

= والخبر الآخر عن الضحاك الفُقَيْمِيُّ قال : « بينا أنا بكاطمة ، وذو الرِّمَّةُ ينشد

قصيدته التى يقول فيها :

أَحِينْ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمَ نِسَاءَهَا وَجُرَّدَتْ تَجْرِيدَ الْيَمَانِي مِنَ الْغَمْدِ
إِذْ رَاكِبَانِ قَدْ تَدَلَّيَا مِنْ نَعْفِ كَاطِمَةٍ ، مَتَقْنَعَانِ ، فَوْقَا ، فَلَمَّا وَقَفَ ذُو الرِّمَّةِ ،
حَسَرَ الْفَرَزْدَقُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ : يَا عُيَيْدُ (وَهُوَ الرَّاكِبُ الْآخَرُ وَرَاوِيَةُ الْفَرَزْدَقِ) ،
أَضْمُمْهَا إِلَيْكَ . فَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَبَا فِرَاسٍ ! فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : دَعِذَا عَنْكَ .
فَانْتَحَلَهَا الْفَرَزْدَقُ فِي قَصِيدَتِهِ ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ آيَاتٍ .

والفرزدق كان فحلاً قَطْماً من فحول الشعر ، كان يَنْفُضُ الشعراءَ بلسانه نفْضَ
النِّدَافِ ضَرْبِيَةِ الْقَطَنِ ، فَلَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَهِيئاً تَخَافُهُ الشعراءُ ، وَتَتَّقِي شَبَابَةَ لِسَانِهِ
بِالْعَفْوِ لَهُ عَنْ بَعْضِ مَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ مِنْ جَيِّدِ شِعْرِهِمْ وَبِضَائِعِ أَفْكَارِهِمْ . فَهَذَا أَدَبُ الشَّاعِرِ
اللَّصِّ أَيْ فِرَاسٍ ، لَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَغَارَ عَلَى / شِعْرِ أَحَدٍ مِنْ شِعْرَاءِ عَصْرِهِ فِي غِيْبَةٍ صَاحِبِهِ ،
وَلَمَّا كَانَ مَذْهَبُهُ فِي اللَّصُوصِيَّةِ أَنْ يَنْحَطَّ عَلَى صَاحِبِ الشَّعْرِ كَالصَّقْرِ لَا يَبَالِي ، أَنْ
يَسْتَلْبِهِ مَا شَاءَ اغْتِصَاباً فِي مَشْهُدِهِ ، عَلَى الرِّضَى أَوْ عَلَى الْغَضَبِ ، وَعِلَاقِيَّةٌ غَيْرُ
مُسْتَخْفٍ بِرِيَّةٍ ، وَلَا مُهَادِنٍ بِحِيلَةٍ ، ثُمَّ لَا يَأْخُذُهُ حِينَ يَأْخُذُهُ إِلَّا كَمَا هُوَ بِنَصِّهِ
لَا يَغْيِرُهُ وَلَا يَبْدِلُهُ وَلَا يُسْقِطُ مِنْهُ ، وَلَا يَأْخُذُ بِبَعْضِ الْمَعْنَى وَيَدَعِ سَائِرَهُ . إِنْ الْفَرَزْدَقُ
شَاعِرٌ بَلِيغٌ قَدْ أُوتِيَ حِطّاً مِنَ الشَّعْرِ سَجَدَ لَهُ الْأَخْطَلُ حِينَ سَمِعَ إِنْشَادَهُ ، وَشَهِدَ لَهُ
جَرِيرٌ بِالْعُلُوِّ ، وَتَسَاقَطَ دُونَهُ الشُّعْرَاءُ تَسَاقُطَ الْجِيَادِ دُونَ الْغَايَةِ ، أَتُظَنُّ الْفَرَزْدَقُ = هَذَا
اللَّصُّ = كَانَ يَزْعُمُهُ شَيْءٌ عَنْ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى الْمَعْنَى الَّتِي أَرَادَهُ الشُّمْرَدِلُ أَوْ ذُو الرِّمَّةِ ،
فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي أَيْ اللَّفْظِ شَاءَ ؟ أَوْ أَرَأَيْتَهُ إِنْ فَعَلَ ، كَانَ يَعْبُزُ عَنْ تَجْوِيدِ الْمَعْنَى
وَتَحْسِينِ اللَّفْظِ وَإِبْدَاعِ الْقَافِيَةِ ؟

إِنْ الْفَرَزْدَقُ لَخَلِيقٌ أَنْ يَفْعَلَ فَيُخْفِي مَا أَخَذَهُ وَسَرَقَهُ ، فَيَجُودُ الشَّعْرَ ، فَيَزِيدُ فِي
بَيَانِهِ ، فَلَا يَعْرِفُ النِّقَادَ مِنْ أَيْنَ أَخَذَ وَلَا كَيْفَ سَرَقَ ، فَيَرَأَى مِنْ صَعْلَكَةِ الشُّعْرَاءِ
وِغَارَاتِهِمْ وَسَرَقَاتِهِمْ . وَلَكِنْ هَذَا أَدَبُ الْفَرَزْدَقِ ، وَهُوَ أَدَبُ الْإِغَارَةِ وَالسُّطُوِّ وَاتِّهَابِ
أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ مِنْ جَيْدِ الْقَوَافِي .

ولكنّ اثْنَيْ عَشَرَ قرناً قد دارت على آداب الناس دورة الرَّحَى ، فطحنت أدباً كثيراً وذَرَّتْهُ في الهواء ، فكان مما طحنت وذَرَّتْ أدب جَمِّ بعضه « أدب الإغارة والسطو » ، وهو أدب لا يقوم به ولا يعتمد على أصله ، إلا أصلٌ في النفس قوى مستحكم متأسك عزيزٌ يأنف الدُّنْيَا ، ويأبى الحَفِيَّةَ ، ويتهجّم حين يتهجم مُقَدِّماً حاسراً متدفّعا كأنه قبيلة تنطلق

...

1٥/٢ / وبعد ، فإن الأول قال : « مَنْ يمدح العروسَ إلا أهلها » ، فأنا أعوذ بالله من أن أكون كأهل العروس ، ما يعرفون من نعت حسن إلا نعتوها به ، وإن كانت شوهاء مدبرة ، وأعوذ بالله من شر النفس وما تأمر به وتتولّج فيه وما تنزو إليه ، وأعوذ بالله من أن أكون ذليلاً ضَرَعاً لا يدفع عن نفسه ولا يحمي حماه .

هذا ما أقدمه بين يدي نقد كتاب الأستاذ الجليل (عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية) الدكتور طه حسين بك ، الذى سماه فيما يسمى « مع المتنبي » . وعلى للقارئ أن لا أُخِلَّ بما أحتصره له من أبواب هذا الكتاب وفصوله ، ولى على القارئ أن يتابع النقد ، ويفصل بينى وبين الدكتور الجليل ، فما كان من مالى فهو لى وإن جحد الجاحد ، وما كان للدكتور فأنا أدعه له طيب النفس ، وأسأل الله أن تَقَرَّ به عينُ الدكتور .

...

قسم الدكتور الجليل عميد الأدب العربي كتابه إلى خمسة كتب ، فالكتاب الأول فى صيا المتنبي وشبابه ، والفصل الأول من هذا الكتاب كالمقدمة يقول فى ص ٦ : « لا أريد أن أدرس المتنبي إذن ، فالذين يقرأون هذه الفصول لا ينبغي لهم أن يقرأوها على أنها علم ، ولا على أنها نقد ، ولا ينبغي أن ينتظروا منها ، ما ينتظرون من كتب العلم

والنقد ، وإنما هي خواطر مرسلة تثيرها في نفسى قراءة المتنبي قراءة المتنبي من غير نظام ولا مواظبة ، وعلى غير نسق منسجم » . ثم يقول فى ص ٧ : « وقل ما تشاء فى هذا الكلام الذى تقرأه : قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، / وقل إنه كلام يَهْدِي به صاحبه هدياناً ، قل إنه كلام يصدر عن رأى وأناة ، وقل إنه كلام يصدر عن شذوذ وجموح ، فأنت محق فى هذا كله ، لأنى مرسل نفسى على سجيئها » .

هذا مختصر الفصل الأول من ص ٣ إلى ٨ ، ونحن لا نعلق عليه بشئ إلى حين ، ومن شاء فليقرأه كله ، فإنه بيان بليغ معجز ، وفن رفيع لا يعرفه ولا يجيده ولا يتأقنى له وإن ركب إليه كل مركب ، إلا الدكتور الجليل طه حسين بك !

أما الفصل الثانى والثالث من الكتاب فهما فى نسب المتنبي ، من ص ٩ إلى ص ٣٤ . وقد أراد الدكتور بهذين الفصلين أن يخلص إلى القول بأن « مولد المتنبي كان شاذاً ، وأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته كلها » ص : ٤٤ . فلذلك زعم الدكتور أنه يشك فى نسب أبى الطيب ، وأنه يتوقف فى القطع برأى فى صحة ما يرويه الرواة من نسبه . وسيجد القارئ من طرافة ما يقول الدكتور طه حسين لذة لا تعدلها لذة النكتة المصرية البارة من رجل همُّه أن يكون حاضر البديهة ، سريعاً إلى تصوير فنه العبقريّ فى ألفاظ تهكم يقول الدكتور :

« قد تعود الناس أن يؤمنوا بأن المتنبي رجل خالص النسب ينتهى من قبل أبيه إلى جُعْفَى ، ومن قبل أمه إلى هَمْدان » ، ولكن « ديوانه لا يثبت ذلك ولا يؤكد ، بل لا يسجله ولا يذكره » ، بل « لعل ديوانه ينفيه نقياً هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح » ص : ٩ . « فالمتنبي لم يمدح / أباه !! ولم يفخر به !! ولم يرثه !! ولم يظهر الحزن عليه حين مات » ص : ٩ أيضاً . ثم إن المتنبي « كان يؤثر أن ينتسب إلى السيف والرمح وإلى الحرب والبأس على أن ينتسب إلى هذا الرجل الطيب !! الذى سماه المؤرخون الحسين » . وأكثر من ذلك ، فقد اختلف المؤرخون فى جده : « ولم يجمعوا على الاسم الذى يلصقونه به » ص : ١٠ : والمؤرخون يزعمون « أنهم كانوا يعرفون عن (والد المتنبي)

شيئاً يسيراً جداً ، كانوا يزعمون أن أبا المتنبي كان سقاً في الكوفة » ص : ١١ ، ولعلهم لم يقصدوا بذلك إلا أحد أمرين : « الرفع من شأن المتنبي أو الوضع من قدره فكأنهم إذن لم يعرفوا من أمر أبى المتنبي إلا مثل ما عرفوا من أمر جدّه ، أى لم يعرفوا شيئاً » ص : ١٢ . إذن ، « أكان المتنبي يعرف أباه ؟ قال المؤرخون نعم ، ولم يقل المتنبي شيئاً » ص : ٩ ، وقد « أثبهم المتنبي في نسبه ، وسئل عن أبيه وجده فلم يستطع ، أو لم يرد أن يجيب سائله ، وآثر أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس » ص : ١٧ ، وقال في جواب سائله :

أَنَا آبَنُ مَنْ بَعْضُهُ يُفَوِّقُ أَبَا الْـ
وَأَنَا يَذْكُرُ الْجُلُودَ لَهُمْ
فَخَرًّا لِعَضْبِ أَرْوَحٍ مُشْتَمِلَةٍ
وَلَيْفَخَرِ الْفَخْرُ إِذْ غَلَوْتُ لَهُ
أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ الْـ
إِنْ الْكِذَابَ الَّذِي أَكَاذُ بِهِ
بَاجِحِ وَالشَّجَلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَةٍ
مَنْ تَقَرُّوهُ وَأَنْفَلُوا حِيلَةَ
وَسَمَهَرِيَّ أَرْوَحٍ مُعْتَقَلَةٍ
مُرْتَدِيًّا خَيْرُهُ وَمُنْتَعِلَةٍ
أَقْدَارَ ، وَالْمَرْءَ حَيْثُمَا جَعَلَهُ
أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ

/ ويقول في آخر هذه الأبيات :

١٨/٢

وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ ، مَعِيَ
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ ،
مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْرَ الَّذِي أَكَلَهُ
وَالدُّرُّ دُرٌّ يَرْغَمُ مَنْ جَهَلَهُ

والدكتور لا يحتاج أن يقف عند شيء من هذه القصيدة إلا شيئاً واحداً « هو هذا الكذاب الذى كان المتنبي يُكاد به عند أبى العشائر » = « أترأه يمسّ نسبه من قريب أو بعيد ؟ » ص : ١٦ . ثم يقول فى ص : ١٧ : « ليس فى ذلك من شك عندي » ، وهذه الأبيات « تصور ضعف المتنبي من ناحية نسبه أبلغ تصوير وأقواه » ص : ١٧ . هذا هو الفصل الثانى من كتاب الدكتور طه من ص : ٩ إلى ص : ١٧ مختصراً بتوسع !!

إن الدكتور طه حسين رجل عبقرى ليس فى ذلك شك عندى ، فهو من قبل شكه فى نسب أبى الطيب قد استطاع أن يشك فى الشعر الجاهلى وفى أشياء كثيرة !! واستطاع أن يتغلب بتوفيق الله له على خصومه والمناوئين له ، واستطاع أن يقوم كالجبل لا يعمل فيه السيف عمل السيف ، ويعمل هو فى السيف عمل الجبل فى تثليمه وتحطيمه وتكسيه ، ورجع السيف عودَه على بذئه ، حديدة لا تنفع ولا تقطع !!

ولكن هل يستطيع الدكتور الجليل ، أو كتابه الأجل أن يجيبنى : لماذا شك الدكتور طه حسين فى نسب أبى الطيب ؟ وما هى الأسباب التى دفعته إلى هذا الشك ؟ أما الدكتور الجليل فأكبر الظن فيه أنه يترفع ، على عادته ، عن الإجابة ، فهو رجل عبقرى ، والعبقرى لا يقال له « لماذا ؟ » . / فإذا قيل له : « لماذا ؟ زوى وجهه ١٩/٢ وانصرف ، وترك سائله لصخرة الأعشى التى ذكرها فى لاميته المشهورة . وأما كتابه الأجل فهو أطوع لسائله وأسرع إلى جوابه .

سألت كتاب الدكتور : « لماذا شك صاحبك فى نسب أبى الطيب ؟ » فقال : « لا أدري والله » ... كذا !! إذن فما هى الأسباب التى دفعته إلى ما يظهر من الشك ؟ فقال الكتاب : « إن الدكتور يزعم أنك إذا قرأت ديوان أبى الطيب مستأنياً متمهلاً ، لا تجد فيه ذكراً لأبيه ، ص : ٩ ، وأنتك تجده لم يمدحه ، ولم يفخر به ، ولم يرثه ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات » ، ص : ٩ ، وهذا كاف فى تشكيك العلماء فى نسب أبى الطيب ، وهو كاف فى اليقين بأن المتنبى لم يعرف أباه .

هذه هى الأسباب التى دفعت الدكتور الجليل طه حسين بك عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية إلى الشك فى نسب المتنبى ، فمن حق المتنبى علينا أن ننظر فيها ، أهى مما يحمل على الشك فى نسب رجل لم يشك فى نسبه الذى رواه المؤرخون أحد ، من يوم أن روى ذلك النسب إلى اليوم السادس من شهر شوال سنة ١٣٥٤ ، والأول من شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وهو يوم صدر كتابى عن المتنبى !

ألا فليحدثنا الدكتور طه ، أيكون لزماً على كل شاعر أن يمدح أباه ، وأن يفخر به ، وأن يرثيه ، وأن يظهر الحزن عليه حين يموت ؟ فإن لم يفعل الشاعر ذلك ، فهو شاعر : « لا يعرف أباه » ! إني أجد من الشعراء من فخر بأبيه ، وقد كان ذلك في شعر كثير من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وعصر / بنى أمية أو بنى العباس ، ثم أجد فيهم كثيراً لا يُعَدُّ كثرةً من لا يفخر بأبيه ولا ذكره في شعره ، أفكل هؤلاء لم يكن يعرف أباه ولا يثبت نسبه لضعفه وخسته ؟ وليحدثنا الدكتور الجليل عن شعراء العرب الذين رثوا آباءهم من الجاهلية إلى يومنا هذا ، وليحدثنا الدكتور الجليل عن هؤلاء الشعراء الذين أظهروا الحزن على آبائهم حين ماتوا ، وليرجع الدكتور إلى ما شاء من كتب الشعر ، وكتب الأدب ، فيجمع لنا أسماء الشعراء الذين رثوا آباءهم وحزنوا عليهم ، وليثبت أن هؤلاء كانوا من الأشراف ذوى الأنساب = وأن سائر الشعراء الذين لم يفعلوا مثل الذى فعلوا ، هم من السوقة الملتطمين اللقطاء الذين لا يعرفون آباءهم ولا يشتون أنسابهم ! إن الدكتور طه رجل ذكى صاحب حيلة ونَفَاز ، فربما رأى رأى فأراد أن يتخذه رأياً ، فيخترق له الأسباب ، فيرى الأسباب لا تغنى فى رأى ، وأن الاعتراض يأكلها سبباً سبباً ، فيحتال بجعل الاعتراض فى سياق قوله ، ويأتى به على وجهٍ يجعله ظهيراً لرأيه . وهذا الذى نقوله ليس بزعم من عند أنفسنا ، بل هو ما ترى ...

رأى الدكتور طه أن إغفال الشاعر ذكر أبيه لا يدل على شيء البتة ، وأن الشعراء الذين لم يفخروا بآبائهم ، ليسوا أقل نسباً ولا أخطأ مَعْرِساً من الذين فاخروا ونافروا بآبائهم ، وأن التاريخ يحدثنا « أن أبا جرير الشاعر لم يكن شيئاً ، وأن جريراً أضاف إليه من خلال والخصال والأخلاق ما لم يكن منه بسبب ، حتى غلب به الشعراء وقهر به الفحول ، ثم لم يمنعه ذلك من أن يظهره للناس كما هو ، ليثبت لهم أن شعره كان أكبر من غروره » ، وأن / طبع أبيه قد خذله وأعياه فأنجدته شعره ، وأعانه على أن يخلقه خلقاً جديداً » ٢١/٢ ص : ١٢ . فهذا جرير « كان أبوه يشرب من ضَرَع العنز مخافة أن يُسَمَعَ صوتُ الحلب فيطلب منه لبن ، ففاخر به ثمانين شاعراً فغلبهم . فاخر جرير بهذا البعيل الكثر اللثيم

الفرزدق ، وأبوه غالب بن صعصعة ، وكان غالب من أجيال العرب المعروفين ، وكان جده كذلك ، وهو الذى منَعَ الوئيد فى الجاهلية فلم يدع تيمناً بتد بناتها وسُمى : « مُحبى المؤودات » . وعرف الدكتور ذلك فأراد أن يتأوله على الوجه الذى يرضى به ، فزعم أن « شعر جرير غلب غروره » ، والله ما أدرى ماذا يريد الدكتور طه بهذا الزعم وما فهمته ولن يفهمه أحد لقد عرف الدكتور الجليل أن المتنبي = وهو الشاعر الذى رمى شعراء عصره فأصماهم فغلبهم فذهب بأرزاقهم عند الأمراء = كان يستطيع أن يفعل ما فعل جرير ، وأن يفخر بأبيه السقاء ، على ألى فراس الحمدانى وغيره من أشرف الشعراء فى عصره ، وعرف أن كثيراً من الشعراء غير جرير قد فخرُوا بأبائهم على من كان أكرم منهم أباً وأماً ، فماذا يفعل الدكتور بعد ذلك ؟ إنها لمشكلة تلد مشاكل ! إذن ، فما الذى يضيره أن يقول : « أما المتنبي فلم يستطيع شعره أن يغلب غروره (!!) ، ولم يستطيع أن يضيف إلى أبيه ما ليس فيه ، ولم يستطيع أن يخلق أباه خلقاً ، ومن يدري ؟ لعل مصدر ذلك أن جريراً كان يعرف أباه فصوّره كما أراد لا كما كان ، وأن المتنبي لم يكن يعرف أباه فلم يستطيع أن يصوّره لا كما أراد ولا كما كان » ، وانتهى كلام الدكتور ص : ١٣ .

حقاً إن طه حسين بك رجل صاحب حيلة لا تفرغ ، وحقاً إن له فناً قد / غلب ٢٢/٢ به أهل الفن ، وحقاً إنه لعبقري ! هذا الدكتور يقول إن شعر جرير قد أعانه على أن يخلق أباه خلقاً جديداً ، ومعنى ذلك أن جريراً ، قد صوّر أباه صورة ليس بينها وبين الحقيقة سبب ولا نسب ، ومعنى ذلك أيضاً أن معرفته لأبيه لم تُغنِ فى هذا الخلق الجديد شيئاً ، لأنه التمس له من فنه الشعرى صورة متخيّلة زيّنها له شيطان شعره ، ولم تُعنه حقيقة أبيه لما فيها من لؤم وخسة وضعة . فإذا كان المتنبي لا يعرف أباه كما يزعم ، فإن ذلك لا بأس به ، لأنه إذا أراد أن يصوّره فلن يرجع إلى حقيقته لينتزع منها الصورة ، كما أن جريراً لم يرجع إليها ، وإنما المرجع هنا إلى شيطان الشعر ، فهو وحده الذى « يخلق أباه خلقاً جديداً » ، كما خلق جرير أباه خلقاً جديداً . وجهُ المتنبي فى هذا أقل من جهد جرير ، فالمتنبي الذى لا يعرف أباه ولا يعرف حقيقته ، يتخيل ما يشاء من الآباء كأحسن الآباء ،

أما جرير « الذى يعرف أباه » ، فمن جُهدِه أن يغالط نفسه ، وأن يغالط الناس الذين يعرفون أباه ، وأن يطمس صورة أبيه البخيل الكز الليم لئلا تتراءى له وهو ينقل الصورة الجديدة ، فتفسد عليه فنه . ثم على جرير أن يتخيل ما لم يكن من صورة الأبوة الكريمة الممدحة التى يستطيع أن يغالب بها الشعراء ويفاخرهم ويظهر عليهم بها فى فخره ونفاره .
لعل المسألة إذن أن الأمر فى جرير والمتنبى هو ما قال الشاعر :

إِنِّى وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَنتِى وَشَيْطَانِى ذَكَرٌ

فشیطان أبى الطیب كان أنتی ، ضعيف المنة قليل الخير ، يكذب صاحبه / فى طلب الخيال القوى للآباء ، وكان شیطان جریر ذكراً فحلاً قد امتلاً قوة ، لا يطلب خيلاً إلا أدركه وظفر به وغلب به الشعراء !!

٢٣/٢

إنى أشفق على الدكتور طه حسين بك من بدوات عبقريته ، [فهى تصور له الأشياء كما يريد لها هو ، لا كما يجب أن تكون] !! فيتورط فيحتال ، فتكون حيلته كالكذبة البلقاء لا تجد ما يسترها . أراد الدكتور أن يثبت فى أثناء هذا الفصل أن أبا الطيب « لا ينتسب إلى الرجال ، لأنه لا يريد أو لا يستطيع أن يجد فى الانتساب إلى الرجال غناء » ، ص : ٥١ ، وأن المتنبى هو الذى يأتي فى شعره بالدليل على ذلك ، فهو يقول :

أَنَا أَبْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَاكَ بَاحِثٌ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ
وَأِنَّمَا يَذْكُرُ الْجَدُّ لَهُمْ مَنْ نَقَرُوهُ وَأَنْفَلُوا حَيْلَهُ

« فالمتنبى كما ترى لا ينسب نفسه إلى أب كآباء الناس ، وإنما ينسب نفسه إلى متجزئ » ، له بعضٌ يمتاز عن كله ، وبعضه هذا يفوق آباء الباحثين عن نسبه » ، ص :

١٥ .

لقد مضى على زمن وأنا أجد اللذة فى تتبع كتب الفكاهة ، فكان أعجب ما يعجبني منها المَحَالَات ، وهو الكلام الذى يأتي به الرجل تحسبه مستقيماً ، وهو محال لا يكون ولا يفهم على وجه من الوجوه . وأشهد أن فن الدكتور طه فى شرح هذا

الشعر أعجب إليّ الآن من ذلك . كيف لا ؟ وهو عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية ، وهو بعد ذلك إمام الأدباء / المجتدين فى هذا العصر ! أيّما امرئ فى القراء ٢٤/٢ فهم شرح الدكتور الذى نقلناه ، فله عندنا ثلاث نسخ من كتابنا عن المتنبى من طبعته الثانية . أى شئ هذا الذى ينسب نفسه « إلى متجزئ » بعضه يمتاز عن كله ! وأنا أتولّى تفهيم الدكتور معنى هذا الشعر ، فالمتنبى يقول : أنا ابن منْ وَلَدُهُ يفوق أبا الباحث ، ويعنى بذلك نفسه = هذا كل ما أراد المتنبى أن يقوله . ^(١) والذى أوهم الدكتور فأوقعه فمرّغ كلامه فى هذا (المتجزئ الذى له بعض يمتاز عن كله) ، هو قول أبى الطيب [بعضه] فى البيت . ولعلّ حيلة الدكتور أو عبقريته تقول : فلماذا لم يقل : « أنا ابن منْ نَجْلُهُ ... » ؟ فلو قال المتنبى ذلك لما كان قوله : « والنجل بعض من نجله » يعطى من المعنى إلا أقله ، ولا يزيد فى كلام أبى الطيب شيئاً ، لأنها حقيقة معروفة ابتداءً . ولكن المتنبى أراد أن يقول للسائل :

إن الحقيقة المقررة هى أن الولد بعض الوالد (أى جزء منه) ، فإذا كان الولد (وهو جزء) يفوق أباك (وهو كل) ، فما ظنك (بالكل) الذى يكون (جزؤه) خيراً من (كل أيك) ؟ ولذلك قال المتنبى (بعضه) ولم يقل (نجله) .

هذا هو المعنى على الصورة التى أظن أن الدكتور يفهم بها البيت ! وهذه المعادلة المنطقية لابد وأن يتشابه طرفاها . فإذا كان والد / الباحث رجلاً ، فلا بدّ إذن من أن يكون ٢٥/٢ والد المتنبى رجلاً أيضاً . ولكن الدكتور طه يقول : « هو لا ينسب نفسه إلى رجل ، لأنه لا يحفل أو لا يريد أن يحفل بالانتساب إلى الرجال » ، ص : ١٥ . ويقول : « هو إذن لا ينتسب إلى الرجال ، إلخ » ص : ١٥ أيضاً ، « ولكن المتنبى كان يؤثر أن ينتسب إلى

(١) قول المتنبى : « أنا ابن من بعضه » مأخوذ من قول رسول الله ﷺ : « فاطمة بضعة منى ، فمن أغضبها أغضبني » أخرجه البخارى وغيره . و « البضعة » ، بفتح فسكون ، القطعة من كل شئ ، أى بعض الشئ .

الرمح والسيف على أن ينتسب إلى هذا الرجل الطيب الذى سماه المؤرخون الحسين » ، ص : ١٠ من هذا الكتاب الجليل !

هذا بعضٌ من خلطٍ كثير وقع فى الفصل الثانى فى الكتاب من ص : ٩ إلى ص : ١٧ . وهذا ، غير الأخطاء التى تدل على أن الدكتور صادق فيما يقول فى مقدمة كتابه ، أن هذه الفصول لا ينبغي أن تقرأ « على أنها علم ، ولا أنها نقد ، وإنما هى خواطر مرسله ، تثيرها قراءة المتنبي فى غير نظام ولا مواظبة وعلى غير نسق منسجم » ، ص : ٦ . فإذا كانت القراءة فى غير نظام ولا مواظبة على نسق ، فالفهم إذن كذلك . وإذن فقد صدق الدكتور أيضاً ، وأدرك حقيقة ما يجب أن يشعر به قارئ كتابه إذ يقول : « قل ما تشاء فى هذا الكلام قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً فأنت محق فى هذا كله » ، ص : ٧ ، وصدق .

وميعادنا الأسبوع القادم لنظهر الدكتور على أخطائه ، ونذله على المواضع التى أخذها من كتابنا فى هذا الفصل ، وأفسدها على الناس ، لأنه أراد أن يحاكي ، فخذلته المحاكاة ، وأراد أن يقلد فخانه التقليد .

- ٢ -

٢٦/٢ / رَغِبَ إلينا بعض بلغاء العربية ، وَمَنْ هُمُّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ، وَأَنْ يَبْرَأَ
 الْأَدَبَ مِنْ دَاءِ اللَّجْلَجَةِ ، وَزَمَانَةَ الْغُرْتَةِ ، وَعِلَلِ التَّلْفِيقِ وَالتَّمْوِيهِ الَّتِي يُرْتَجَى بِهَا التَّلْيِيسُ
 عَلَى الْعُقْلَاءِ ، وَاسْتِمَالَةِ الدُّهْمَاءِ إِلَى فَاسِدِ الْآرَاءِ = أَنْ نَعْمَدَ إِلَى النِّقْدِ الَّذِي كَتَبْنَاهُ فِي بِلَاغِ
 السَّبْتِ الْمَاضِي ، وَالَّذِي كُنَّا عَلَى نِيَّةِ إِتْبَاعِهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَا بَعْدَهَا ، فَتَقَدَّمَ لَنَا كَلِمَةٌ فِي
 مَجْمَلٍ مَا نَنْقُدُهُ مِنْ كِتَابِ الدُّكْتُور طه حَسِينِ الَّذِي سَمَّاهُ فِيْمَا يُسَمَّى « مَعَ الْمُتَنَبِّئِ » ، وَأَنْ
 نَحْدُدَ أَغْرَاضَ النِّقْدِ وَنُمَيِّزَ بَيْنَهَا ، وَنَفْصَلَ أَبْوَابَهَا ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي جَمْعِ الْمُؤْتَلِفَاتِ مِنْ أَبْوَابِ
 النِّقْدِ فِي نَسْقٍ مَفْصَّلٍ ، وَالتَّمَشُّبَاتِ مِنْ فَعَلَاتِ الدُّكْتُور فِي قَرْنٍ مُشْتَرَكٍ ، وَأَنْ نَجْعَلَ مِنْهَا
 عَلَى ذِكْرِ مَا كَتَبَهُ النِّقَادُ وَالْأَدْبَاءُ وَالمُتَرَجِمُونَ لِأَيِّ الطَّيِّبِ ، وَأَنْ نَشْرِكَهُمْ مَعَنَا فِي الْإِنْتِصَافِ
 مِنَ الدُّكْتُور طه ، فَإِنَّ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْ كِتَابٍ قَدْ فَرَّغَ النَّاسُ مِنْ قِرَائَتِهِ فِي فَرَايِرِ سَنَةِ
 ١٩٣٦ ، يَسْتَطِيعُ الْوَقِيعَةُ فِي كِتَابٍ لَمْ يَفْرُغَ النَّاسُ مِنْ قِرَائَتِهِ بَعْدُ ، فَمَا بِالْكَ فِيْمَا مَضَى
 عَلَيْهِ بَعْضُ الْعَامِ ، وَمَا مَضَى عَلَيْهِ أَعْوَامُ !

ولكنني أعتقد أن ليس شيء أشق على القارىء من أن يقدم له الناقد بين يدي
 نقده مجمل ما يتعاطاه من الأغراض والأبواب والفصول والغايات ، وخاصة إذا كانت
 ٢٧/٢ أغراض النقد تتناول فيما تتناول كل الأصول التي بُنِيَ / عليها الكتاب = وخاصة إذا كان
 الكتاب من كتب الدكتور طه حسين بك ، فإن ما يكون فيه من اضطراب الآراء
 وتحالفها وتناقضها ، وما يقع فيه من الذبول اللفظية المكررة المعادة على غير جلوى
 ولا فائدة ، وما ينزو به من القفزات « الأولمبية » المحكمة من فكرة إلى فكرة لا تصل بينهما

صلة من المنطق ، ولا تربطها من رابطة إلا الألفاظ الدائرة التى توقع التشابه فى نفس القارئ إذا غفل ولم يتدبرها = كل ذلك يجعل اختصار الأغراض وتجديدها أمراً عسيراً لا يُثمر ثمرة تكون كفاءً لما يلقاه فى سبيله من نصيب الفكرة وعلاج الرأى .

وأيضاً ، فإن جَمْع المؤتلفات ، وضمّ المتشابهات كلاً إلى كُـل ، هو أشق على القارئ ، وأخرى أن يحمله على سوء الظن فيما نكتب ، فربما وقع أحد المتشابهين فى أول الكتاب والآخر فى أدباره ، فإذا عرضنا لنقدهما معاً ، نحيل للقارئ أننا لم ننصف الدكتور طه ، إذ أخذنا جزءاً من كلامه فى باب من الأبواب وتركنا سائر الباب ، فعمل فى سائره ما يفسر ذلك أو يوجهه أو يحدد الرأى فيه ويقرّبه إلى جهة الصواب ، وينزع بنا إلى جهة الخطأ والتحامل . ولو فعلنا ذلك لكانت المشقة أبلغ ، والجهد فى الحكم على النقد أشدّ وأصعب ، فإن هذا المذهب فى القول يقتضى القارئ أن يُلَمّ ، وهو يقرأ ، بأطراف الكتاب كله على معنى الإحاطة ، مع التنبيه السابق إلى الخطأ والتلبس والطرفة فى الكلام ، وأن يكون قد عرف مثل الذى عرفنا من وجه التأويل فى الفكرة أو الرأى أو المذهب . فهذا كما ترى لا يستطيعه قارئ النقد على الوجه المرضى .

٢٨/٢

/ وأما أن نجعل كتب النقد والكتّاب والأدباء الذين درسوا أبا الطيب ، وكتبوا عنه على ذكرٍ منا حين نقد ، فسنحمل النفس عليه ، مع ما تعرف فيه من العنت حتى نبليغ رضا الأدباء والقراء . وفى الانتصاف لمن لم ينتصف لنفسه ، فضيلة الصدق ، وشيعة العدل ، وحسن الجزاء عند الله وعند الناس .

...

ولا بأس ، فهذه كلمة تُجمل فيها بعض أغراض النقد على سبيل العرض والتقديم ، لا على سبيل التحديد والبسط والإحاطة . فأول ذلك أننا اعتمدنا أن نكشف عن الطريقة التى انتهجها الدكتور طه فى كتابه وهو يترجم حياة أبى الطيب . فهل كان الدكتور مقلداً فى نهجه أم مبتدعاً ؟ وهل استطاع أن يسوق القول على النهج الذى

لا يختلف ، أم أغنى فاختلف واضطرب ؟ وهل أصاب فيها خيراً أم أخطأه الخير ، ولم يستحق من ذلك إلا مَعَرَّةَ التقليد والمحاكاة ؟ والقول في هذا لا يكون مُدْرِكاً غايته من الإصابة والبيان إلا أن نفرغ من نقد أجزاء الكتاب جزءاً جزءاً ، وبعد أن نَمِيزَ الفاسد من الصالح ، ونفصل بين المؤتلف والمختلف ، والسليم وذى الآفة ، وما تسلم نسبته إلى الدكتور طه ، وما يُستَلَحَقُّ إلى نسب غير نسبه ، إلى آخر هذا الباب .

والثانية : أن نعرض الأخطاء التى ارتطم فيها الدكتور خطأً خطأً في فصل فصل وكتاب كتاب ، ونبين فساد المذاهب وبطلان الحجج ، ونكشف عن ضعف الصلة بين الفكرة والفكرة ، ونحدّد سوء الانتقال من مقدمة / لا تنتج النتيجة التى استولدها منها ، ٢٩/٢ وننضو عن كلامه الزينة التى سترته ، وما خَوْض فيه من شعر المتنبي فأفسد معناه وأخطأ فهمه .

وثالثة العلل ، أو ما يذهب قوم إلى تسميتها « مآخذ » ، ويذهب آخرون إلى تسميتها « سرقات » ، ونحن لا نرجح أحد الاسمين في حاق التسمية !! ولكننا نعوّذنا في كتب الدكتور طه نَقَلَه معانى الناس إلى معانيه ، وأنقته من نسبة الأشياء إلى أصحابها والذين رموا أنفسهم في نارها حتى استخلصوها بعد أن أصابهم البلاء والأذى وجهدهم الجُهد . وما أستطيع هنا أن أحدد كل الكتب التى أدركتها يد الدكتور طه ، ولكن أقرب الكتب هى (١) كتابنا عن أبى الطيب المتنبي الذى نشره المقتطف في يناير سنة ١٩٣٦ (٢) وكتاب « ذكرى أبى الطيب » للدكتور عبد الوهاب عزام (٣) وكتاب « أبى الطيب المتنبي » لمحمد كمال حلمى بك (٤) وكتاب « المتنبي » للأستاذ شفيق جبرى ، وكثير غير ذلك مما فاضت به الصحف في السنة الماضية حين احتفل الناس بمرور ألف سنة على مقتل أبى الطيب ، ثم آراء طائفة من القوم الأعاجم المستشرقين الذين ترجموا لأبى الطيب أو ذكروه في بعض كتبهم أو مقالاتهم .

وهذا أو أن العودة إلى ما كنا فيه من كلمتنا السالفة ، وقد بينا أن الدكتور طه حسين بك إنما يشك في نسب المتنبي ، ويزعم أنه كان (لا يعرف أباه) ، لأن أبا الطيب لم يذكر والده في ديوانه !! ولأنه لم يمدحه !! ولأنه لم يفخر به !! ولأنه لم يرثه !! ولأنه لم يظهر الحزن عليه حين مات !! / ولأنه سئل عن أبيه وجده فلم يستطع ، أو لم يُرد ، أن يجيب سائليه ! وآثر أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس ، كما توهم الأستاذ الجليل !! وذلك حيث يقول :

أنا ابن من بعضه يفوق أبا الـ سباح ، والتجل بعض من تجلّه
وإنما يذكر الجدود لهم من تفروهم وأنفدوا حيلهم
فخرًا لعضب أرواح مشتتة وسهمري أرواح معتقلة

إلى آخر الأبيات التي أخطأ الدكتور في فهمها ، فزعم أن أبا الطيب « ينتسب إلى متجزى » ، له بعض يمتاز عن كله » !! [انظر ص : ٤١٠ ، ٤١١] .

وقد عرفت أن العلل التي حملت الدكتور على الشك في نسب المتنبي ، وإنكاره صديق الرواة فيما رواه من أن أباه كان جعفيًا صحيح النسب ، وأن أمه كانت همدانية صحيحة النسب ، إنما هي علل واهية وأسباب واهنة ، المتعلق بها كالمعلق بخيوط من بيت العنكبوت . فإن الشعراء الذين لم يذكروا آباءهم في دواوينهم ، ثم لم يمدحهم ، ولم يرثهم ، ولم يظهروا الحزن عليهم حين ماتوا ، ولم يفخروا بهم في أشعارهم وقصيدهم ، لا تلزمهم لازمة الشك في أنسابهم ، ولا تلحق بهم معرة أن يكونوا (لا يعرفون آباءهم) ، ثم هم ليسوا أقل شأنًا ولا أخس نسبًا ، ولا أنكد مفرسًا من الذين فعلوا ذلك وأتوا به وذكره في أشعارهم . وأيضًا فإن التاريخ يشهد أن القليل من الشعراء هم الذين رثوا آباءهم وأمهاتهم ، وأظهروا الحزن عليهم في أشعارهم ، أو فخروا بهم ومدحهم في قصيدهم . ولو أردنا أن نخرج الدكتور الجليل / لقلنا : إن أبا الطيب عاش من سنة ٣٠٣ ٣١٢ إلى سنة ٣٥٤ ، وكان في عصره هذا من الشعراء من لا نخصيم كثرة ، فهل هو بمستطیع أن يدلنا على عدة الشعراء المعاصرين للمتنبي ، الذين رثوا آباءهم أو أمهاتهم أو مدحهم

وفخروا بهم أو بكَوْهم وأظهروا الحزن عليهم حين ماتوا ؟ فإذا قرر لنا أن أكثر الشعراء المعاصرين قد فعلوا ذلك ، وأن الذين فعلوه هم من أشرف أهلهم ، ومن الذين (يعرفون آباءهم) ، ويعرف التاريخ أنسابهم وأصولهم ، ويعدّد مفاخرهم ومثالبهم ، وأن سائر من لم يفعل ذلك منهم ، هم السفلة والغوغاء وأوشاب الناس الذين (لا يعرفون آباءهم) ولا يثبتون أنسابهم = إذا قرّر الدكتور الجليل ذلك أخذنا معه المتنبي بالقياس ، وبغير نظر في دلائل شعره وتخايل كلامه ، ووضعناه معه حيث وضعه في المنزلة التي يكون الرجل فيها (لا يعرف أباه) .

لا تجد في الناس من يطبق أن يتابع الدكتور طه في شكّه من أجل علل كهذه العلل ، فإن وجدته فلن تجد من يتابعه في أنها دليل على أن المتنبي لم يكن يعرف أباه . وأكبر الظن أن كل من قرأ كتاب الدكتور طه يشعر أن هذه العلل علل مفتعلة للشك لا أصل لها في نفس الدكتور ، ولا في نفس أحد غيره ممن (يريد أن يدرس المتنبي) أو من (لا يريد أن يدرسه) .

أو تدرى لماذا شك الدكتور طه حسين في نسب أبي الطيب ، وكيف أخذ يجد في نفسه الحاجة إلى هذا الشك ، وأين وجد هذه الكلمات التي اتخذها ذريعة يتوسّل بها إلى تحليل شكّه ؟ ولماذا لم يستطع إلا أن يتوقّف في الشك / ويذهب يزعم لنفسه أو للناس ٣٢/٢ أن المتنبي كان (لا يعرف أباه) ؟ وما المعنى الذي أرادته أو صرّح به في قوله يصف المتنبي بأنه (لا يعرف أباه) ؟ فخذ خبر ذلك كله بما ترى وتسمع !

ما في الدنيا أديب عربيّ لم يقرأ هذه الكلمة التي قالها ابن رشيق حين أفضى به القول إلى ذكر أبي الطيب ، وذلك إذ يقول : « ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس » . وقد صدّق وصدّقت الأيام قوله ، فقد ذكروا من شروح ديوانه أكثر من أربعين شرحاً ، وما تكاد تجد كتاباً من كتب التراجم أو كتب الأدب لم يذكر المتنبي أو لم يترجم له ، ثم أفرد بعض القدماء كتباً لترجمته ، ثم جاء من بعدهم المحدثون والمعاصرون فكتبوا عن أبي الطيب على طريقة أهل العصر . وما رأيت أحداً من هؤلاء شك في نسب

أبى الطيب ، أو فى اسم أبىه المتداول ، فكلهم = من ألف سنة إلى أول يناير سنة ١٩٣٦
= إجماع على التسليم بصحة ما رواه الرواة ، من أن والد المتنبى كان سقاء بالكوفة ، وأنه
كان جُفْعِيًّا صحيح النسب ، وأن أمه كانت همدانية صحيحة النسب أيضاً .

ثم جاء كاتب هذه الكلمات فقال كلمته عن شاعر العربية ولسانها الحكيم أبى
الطيب ، ونشرها المقتطف فى عدد خاص ، احتفالاً بذكرى ألف سنة مرت على مقتله ،
وتداولها الناس ، ومنهم الدكتور طه حسين بك ، فى السادس من شهر شوال سنة ١٣٥٤

(أول يناير سنة ١٩٣٦) . وقد كانت الفصول الأولى ، أو أكثر الكتاب ، فى نقد
الروايات التى وصلت إلينا فى كتب الأوائل والأواخر عن حياة أبى الطيب ، وقد أثبتتها
بإسنادها فى / أول الكتاب ، وطفقت أنقذها من كل وجه معروف للنقاد ، حتى

٣٣/٢

خلصت من ذلك إلى الشك فى صحتها ، أو صحة الأقوال التى تضمنتها ، والأخبار التى
أتمت بها ، وجمعت الأدلة التى تهيأت لى فى ذلك الوقت ، وجعلتنى أبصر فساد التهمة
وسوء القصد ، فقطعت الرأى فيها بأنها نكايّة وكيد وإرادة الخط من قدر الرجل = دفع

الرواة إليه العداوة والحسد وما هو من بابهما . وهذه الروايات التى كان الأدباء جميعاً ،
ولا يزالون ، يقطعون بصحتها ، كنتُ أوّل من شك فيها وبين فسادها ، وقذف بها فى
وجوه روايتها . وأدخلنى شكى فى هذه الروايات مداخل من هنا وأخرجنى من ثم ، حتى

ذهبت فى الرأى مذهباً لم أسبق إليه ، فزعمت أن أبى الطيب كان علويّاً شريف النسب
ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وقد أثار هذا الرأى الأدباء ، فمنهم من
وافق ، ومنهم من توقّف ، ومنهم من عارض بالحجة ، ودفع بالبرهان كما تبين له ، ومنهم من

أخذ بعض الرأى وترك بعضه ، ومنهم من كان هذا الشك الذى أثير به فى نسب المتنبى
أنه جُفْعِيّ الأب همدانىّ الأم وأن أباه كان سقاء = حافراً له على النظر بين اليقين
والشك ، ولكنه نهج نهج العلماء المثبتين فجرى فى نقد الروايات فى هذه الأخبار

وغيرها على طريقتنا ، ولم يوافقنا فى النتيجة ، بل ذهب مذهباً آخر وسطاً ، فكان قوله إن
والد المتنبى « لم يكن رجلاً ثابة الشأن » = أعنى الأستاذ الجليل المثبت الدكتور
عبد الوهاب عزام صاحب (ذكرى أبى الطيب) المطبوع ببغداد فى ربيع الآخر سنة

/ فهل عرفت الآن لماذا شك الدكتور طه في نسب المتنبي ؟ شك لأن إنساناً قبله ٢٤/٢

سبقه إلى هذا الشك ونسى أن شكَّ هذا الإنسان قد بُنى على الجهد والنَّصَب وطول العلاج والتمرس بالنقد العَصِيل الذى لا يسلم عليه أحد = وأنَّ شكَّ الدكتور طه الذى أتى به في كتابه ، عُريَانٌ متكشَّفٌ لا تستره حجة ، لا يُقنَّعه برهان .

إذن فكيف بدأ الدكتور طه يجد في نفسه الحاجة إلى هذا الشك ؟ لقد أَلَفَ الدكتور أو أُمِّلَى - أو ما يشاء - كتاباً سماه « في الشعر الجاهلى » ، وتوهمَّ أنه قادر على الاضطلاع به ، فوقعَت إليه كلمات يشكُّ بها أصحابها في نسبة الشعر الجاهلى إلى أصحابه ، فأعجبه ذلك وَحُبَّ إليه ، فأغرى به ، ودار دورةً في الأوهام حتى وقع على مذهب فيلسوف عظيم يُسمَّى ديكارْت ، فاستعار مذهبه لكتابه ، فزعم أن ذلك هو المذهبُ الجديدُ المبتدعُ في نقد الشعر والأدب ، وجعل يرى ذلك مذهباً ، وجعل المطيفون به يردِّدون ذلك القول في عبقرية هذا الرجل التى استعلنت للناس في هذا المذهب الذى سمَّوه « مذهب الشك » = وكانوا في ترديدهم كما قالت العرب في ذلك : « أنت كآبنة الجبل ، مهما يُقَلُّ ثَقُلَ » ، يريدون كَالصَّدى ، صَدَى الصوت . إذن فالدكتور طه هو صاحب مذهب الشك في الأدب ، وهو مبتدعه والقيِّم عليه ورائضه وسائسه . وقد جاء الزمنُ الذى لَحَّ فيه الناس في ذكر أى الطيب ، وقام من بينهم رجلٌ غير الدكتور طه حسين بك ، فشكَّ في نسب المتنبي ، أفيحلُّ لصاحب « مذهب الشك » أن لا يشكَّ في نسب المتنبي / حين يتكلم عنه ؟ ساء ذلك رأياً !! إذن فلا بُدَّ ٢٥/٢ له من الشك حين يتكلم عنه ، ولا بُدَّ له من أن (يصطنع) مذهبه في الشك ، ولا بُدَّ له من طلب الأسباب التى (تحمله على هذا الشك) !! وإذن فليطلب الأسباب من هنا ومن ثَمَّ ، وليتلقَّف أطرافها التى يتعلق بها تلَقَّف الغريق العودَ لا يرسله من يده ، وإن هَوَى به إلى قرارة اليمِّ .

إذن ، فأين وجد الدكتور طه هذه الكلمات التى اتخذها ذريعة يتوسل بها إلى تعليل شكه أو تسويغه ؟ لقد جهد فلم يستطع أن ينال فيما كان بين يديه علة أو سبباً

ينفعه ، حتى جاء الأستاذ عزام فنشر كتابه في ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ ، أى منذ سبعة أشهر ، فقال في ص : ٢٩ : « وقد حرص المتنبي على أن لا يذكر نسبَه في شعره ، فما ذكر أباه ولا جده ولا أحداً من آبائه ، ولا صرح باسم قبيلة ولا عشيرة » .

ثم عاد الأستاذ عزام يقول في ص : ٣٦ : « وبخبرنا صاحب اليتيمة (الثعالبي) أن والد المتنبي سافر به إلى الشام وسواءً أصح ما يقوله الثعالبي أم لم يصح ، فما ذكر المتنبي والده بكلمة ، ولا رثاه حين مات كما رثى أبو العلاء المعري أباه وأمه رثاءً بليغاً . وهذا يشهد بما اتفقت عليه الروايات من أن والد أبي الطيب لم يكن رجلاً ثابّة الشأن » . وجرى الله عزاماً خير الجزاء ، بما مهّد للدكتور الجليل من سبيل الحجة والبرهان والدليل للرأى الذى ارتآه فى نسب أبى الطيب !!!

أفليس هذا على التحقيق هو قول الدكتور طه حسين بك فى ص : ٩ - ١٠ / من كتابه الجليل : « فأنت تقرأ ديوان (المتنبي) من أوله إلى آخره ، وتقرؤه مستأنياً متمهلاً ، فلا تجد فيه ذكراً لهذا الرجل الطيب الذى أنجب للقرن الرابع شاعره العظيم . لم يمدحه المتنبي ، ولم يفخر به ، ولم يرثه المتنبي ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات !! أكان ذلك لأن المتنبي لم يعرف أباه ؟ أم كان ذلك لأن المتنبي عرف أباه ولكنه لم ير له خطراً ؟ ... كل ذلك ممكن » .

وفى ص : ١٠ : « أكان المتنبي يعرف جدّه ؟ لا يحدثنا ديوانه بشيء ، ومن أعرض عن ذكر أبيه لم يُستغرب منه أن يُعريض عن ذكر جدّه ، ومن لم يعرف أباه لم يعرف جدّه » ، إلى آخر هذه المقدمات والنتائج .

ولكن أين هذا من ذاك ؟ فكلمة الأستاذ عزام ، على ما فيها من بعض الخطأ ، فهى على ذلك لا تزال كلمة الرجل الثبّت العالم الذى لا يريد أن يتهم بهواه على ما ليس بحق ولا بصواب . وأما كلمة الدكتور التى نقل إليها كلام عزام ، فسيبيلها سبيل ما تقول العرب للذى يأتهم بالأباطيل والأكاذيب والمُحال ، وما لم يكن وما لا يمكن أن يكون :

« جاءَ بقرئى حمار » ، والحمار لا قرون له . وإن يكن في كلام الدكتور طه شيء ، فإن هذا الشيء ليس السبب الذى يحمل على الشك ، ولا العلة ، ولا البرهان على المذهب ، وإنما هو المعجزة : إذ انقلبت كلمات الأستاذ عزام حين دخلت كتابه « مع المتنبي » من قرئى كبش نطّاح إلى قرئى حمار !!

فهل اكتفى الدكتور طه بما اختلعه من كتاب عزّام ؟ كلاً ... ، فإنه أراد أن يأتي بكلمة أخرى تكون كالبُحُور في جوّ الساحر ، فقال في ص / ١٠ : « إذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أنهم كانوا يعرفون أبا المتنبي ويسمونه « حُسيناً » ، فإنهم لم يتفقوا على جدّه ولم يجمعوا على الاسم الذى يلصقونه به (هكذا) ، فهو الحسين حيناً ، وهو عبد الصمد حيناً آخر » .

ومن أخطاء هذا الكلام المموّه في اختلاف المؤرخين واتفاقهم ، أن يكتب الدكتور أنهم اختلفوا في اسم جدّه (فهو الحسين حيناً وهو عبد الصمد حيناً آخر) ، وليس كذلك ، فإن المؤرخين اختلفوا في اسم جدّه (والد أبيه) فقالوا هو (الحسين ، أو الحسن ، أو مُرّة) ، أما جدّه الأعلى (والد جدّه) فسموه (عبد الصمد أو عبد الجبار) ، فهذا خلط كما ترى .

وهذا ليس شيئاً ، ولكن هل يحسب الدكتور أن اختلاف المؤرخين في جدّ رجل من الناس يكون دليلاً ، أو كالدليل ، على شيء من ضعة في النسب أو ضعف في الأرومة ؟ إن ظن ذلك فقد وهم . فلو رجع إلى كتب التراجم لوجد الخلاف يقع بين المؤرخين في أسماء الآباء والأجداد ، ولا يكون ذلك عند أحد من النسابين مطعناً يُثَلَّب به الرجل في نسبه ، أو يُعَمَز في أصله ، أو يتخذ للشك في صحة انتسابه إلى قبيلة من القبائل . وسبب اختلاف المؤرخين والنسابين في أسماء عمود النسب معروف لكل من مارس علوم العربية ، وعلم أنّ أصل بنائها على الرواية ، والرواية يقع فيها النسيان والخطأ والتحريف والسقط وما إلى ذلك ، وخاصة فيما هو كالأنساب : اسم بعد اسم بعد اسم ، فليس يربط ذلك بعضه ببعض معنى يقيمه ، أو يذكر به ، أو يحفظه من

الإسقاط . ولو شئنا لضررنا له الأمثال بمن لا يختلف في أمره ، ولا يقال فيه ما يقول الدكتور في أبى الطيب إنه (لا يعرف أباه) .

٣٨/٢ / وليس في اختلاف الرواة في نسب المتنبي ، أو خطئهم في رواية أسماء أجداده ما يسوغ القول بأن المتنبي لم يكن يعرف أباه أو يعرف جده ، ولا يدل على أنه كان مدخول النسب وضيع النشأة خسيس الأصل . وإنما يكون ذلك أشبه وأحق وأثبت ، حين يكون هذا الاختلاف قد وقع من المتنبي نفسه ، ويكون هو الذى اضطرب وأخطأ ، ولكن الدكتور طه يعرف ويقول في كتابه إن المتنبي لم يذكر في ديوانه أباه ولا جدّه . وعلى ذلك ليس يدخل هذا الاختلاف في باب معرفة المتنبي لأبيه وجده أو جهله بهما . وإتيان الدكتور به على مجرى الشبهة والشك والارتباب ، تقحّم وخلط وفساد .

أفتدري أين وجد الدكتور طه هذه الكلمات التى اتخذها أيضاً سبباً في الشك والزعم بأن المتنبي كان يعرف أباه ؟ ههنا وجدها !

فقد رويانا في كتابنا [ص : ١٣٨] من حديث التنوخى عن ابن أم شيان الهاشمي أنه قال ، وقد جرى ذكر المتنبي : « كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عيذان ، يستقى على بعير له ، وكان جُفَعِيًّا صحيح النسب » . ورويانا أيضاً أن التنوخى قال : إن المتنبي كان يكتم نسبه . فقلنا في [ص : ١٤٨] : « ثم إن التنوخى يروى هذا الخبر (يعنى خبر كتمان النسب) ، ويروى أنه كان جُفَعِيًّا صحيح النسب . وما تصح نسبة سقاء إلى جُفَعِيٍّ بن سعد العشيرة إلا أن يذكر نسبته متصلاً إلى جُفَعِيٍّ . لأن سقاء يدعى الانتساب إلى جُفَعِيٍّ ، لا بد له من أن يقيم دعواه بالدليل والبرهان : وهما النسب المتصل المعروف غير المنكر ، ما من ذلك بُدٌّ . ولو كان ذلك ، لوقع إلينا نصٌّ واحد يذكر / فيه نسب المتنبي إلى رجل من جُفَعِيٍّ لا يختلف في أمر نسبته . فما ظنك بمن اختلف في جدّه الأدنى والذى بعده ، ولم يتجاوزوا ذلك إلى متفق عليه في عمود النسب » .

هذه الجملة الأخيرة من كلامنا هى التى أخذها الدكتور ، فأقحمها في الأسباب التى حملته على الشك في نسب المتنبي وتوهم أنها تدخل في معنى ما يريد من

الارتباب في معرفته لأبيه أو جده . ولقد وَهِم ، فلسنا ممن يلقي القول على عواهنه حتى ندخلها في كلامنا ونجعلها من أسباب شكنا (لا شك الدكتور) في النسب الذى رواه الرواة . ولم نأت بهذه الكلمة في آخر كلامنا ، إلا لذلك التَّوْخِي رَأَى هذه الأخبار ، من أن أباه كان سَقَاءً ، ثم كان جُعْفِيًّا صحيح النسب ، ثم أن المتنبى كان يكتم نسبه . وقد بينا في كتابنا فساد هذه الأقوال مجتمعة ، فإن بعضها ينقض بعضاً ، فأبن أم شيبان يقول إن أباه كان سَقَاءً ، وأنه كان جُعْفِيًّا صحيح النسب ، إذن فهو يعرف النسب من لَدُن والد المتنبى إلى جُعْفِيٍّ ، وإلا فكيف عرف النسب وصَحَّحه ، ولم يشك فيه ؟ روى ذلك التَّوْخِي وزعم أنه سأل أبا الطيب عن نسبه فكتمه ، فلماذا لم يتحوَّل إلى صاحبه ابن أم شيبان فيعرف منه النسب ؟ ولئن صحَّ أن التَّوْخِي قد صَرَفَه ما يصرف الناس عن السؤال ، أفلم يسأله أحدٌ غيره ؟ ثم ، ألم يكن بالكوفة كلُّها من يعرف نسب هذا السَقَاء غير ابن أم شيبان الهاشمي ؟ بلى ! لقد عرفه أيضاً ، كما روى التَّوْخِي ، رجل آخر هو أبو الحسن الزَّيْدِي العلوي . وعلام يكتم المتنبى نسبه عن التَّوْخِي ، وهو يعلم أنه قد صحب ابن أم شيبان وأبا الحسن الزَّيْدِي العلوي ؟

/ وقد زعم التَّوْخِي أنه سأل المتنبى عن أحدهما ، فقال له المتنبى عنه : « تَرَبَّى وصدىقى وجارى بالكوفة » ؟ فإذا كان هذان الرجلان قد صَحَّحا نسب المتنبى إلى « جُعْفِيٍّ » ، فقد عرفاه وأثبتاه علماً ، فَأَعْجَبَ هؤلاء ، أكانوا أيضاً يكتُمون نسبه ؟ حتى بلغ الأمر مبلغاً عجيباً ، إذ لم يقع لأحدٍ ممن كان يتحقَّى بأخبار المتنبى نصٌّ واحد يذكر فيه نسبه إلى « جُعْفِيٍّ » ، أو إلى رجل قريب ممن لا يختلف في نسبته إلى « جُعْفِيٍّ » ، ولكن الأمر وقع بخلاف ذلك ، فقد اختلفوا في جدِّه ووالد جده ، ولم يأتوا بعد ذلك بشيء .

فهذا سياق قولنا في بطلان هذه الروايات التى استَبَضَّعَهَا التَّوْخِي ، وهو الذى استدعى قولنا : « فما ظنك بمن اختلف في جدِّه الأدنى والذى بعده » ، فأخذ الدكتور هذه العبارة ولم يهتد إلى موضع (يُلصَقُهَا) به إلا هذا المكان من كتابه ، فأفسدها وأفسد مذهبه بها .

وبعد ، فقد رأيت كيف كان كتاب الدكتور طه يتقّم الآراء من ههنا ومن هنا
 ليشكّ ، ويثبت أنه هو الذى بدأ الشك في نسب أبى الطيب ، فهو يعلم من أمر الدنيا
 كثيراً ، ويعلم أو يتوهم أن الناس سيذكرونه بذلك وينسّون من أقام المذهب على الجادة ،
 وذلك لذيوع اسمه وشهرته ، وخُفوت أسم غيره وجهل الناس به . وهذه عادة هو مُغرئ
 بها ، وهى محبّة إليه ... ولكن « سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَان » ، كما زعموا ، من أن رجلاً
 خرج يلتمس العشاء فوق على ذئب فأكله (وهذا مثل يُضرب للرجل يطلب الأمر التافه
 فيقع في هلكة) . والدكتور طه حسين بك ، عميد الأدب العربى بالجامعة / المصرية ،
 ٤١/٢ حين ألقى محاضراته فى أسبوع المتنبى فى السنة الماضية ، كان أحسن رأياً ، وأكرم عملاً ،
 وأنجى من التلف وسوء المنقلب ، فقد بدأ كلامه ذلك اليوم بهذه العبارة : « ولقد شكّ
 بعض الناس فى نسب المتنبى وأنا أوافق على هذا الشك » ، ويعينى أنا بذلك . والظاهر
 أن هذه العبارة قد سقطت من الطبعة الثانية من « أمالى » الدكتور طه حسين عن
 المتنبى !! هذا على أننا كنا نحبُّ له أن يعلم أن موافقته لرأينا ومخالفته ، وبخاصة فى
 الأدب ، سواء = وصّدق أبو الطيب .

ومن جهلت نفسه قدره ، رأى غيره منه ما لا يرى

وإلى الأسبوع المقبل تنمة هذا الحديث ، لماذا لم يستطع الدكتور طه إلا أن
 يتوقّف فى الشك ، ويذهب يزعم لنفسه أو للناس أن المتنبى كان (لا يعرف أباه) ؟ ثم
 ما المعنى الذى أراداه أو صرح به فى قوله يصف المتنبى بأنه (لا يعرف أباه) ؟

- ٣ -

/ رأيت مما كتبناه قبل في الكلمتين السالفتين أن الرواة حدثونا أن المتنبي هو ٤٢/٢ « أحمد بن الحسين السقاء » ، وأنه جُفِئ الأب همداني الأم ، وأن شراح ديوانه = على كثرتهم وجليل منزلتهم في العلم = ثم جميع من ترجم له في مَدْرَج كتاب ، أو في كتاب مُفْرَد = تناولوا أمر هذا النسب وماله وما عليه بالتسليم واليقين . وتصرّفت على ذلك ألف سنة وما فوقها ، حتى نشرت كتابي عن المتنبي في مقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ، وبنيتُ على نقد الرواية وتزييف الخبر ، بما تهيأ لى إذ ذاك من أسباب وعلل ، فخرّجتُ من ذلك بالشك في صحة هذه الروايات والأخبار التى وصلتنا عن المتنبي ونسبه ، ثم جمعتُ من طوائف الرأى ما جعلنى أزعم أن والد المتنبي كان علويًا ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وبذلك كنت أول من شك في هذا النسب المروى ، وأول من انتهى به الشك إلى هذا الرأى .

ثم جاء الدكتور طه حسين بعدى بعام ، يَعدُو عَدُوًا ويزعم للناس أنه يشك هو أيضًا ، في نسب المتنبي ، فيبنى شكّه على عِلل ملفقة قد بَيَّنْتُ زُيفها وبُطلانها ، وأنها لَيسَت مما يحملُ أحداً على الشك أو ما هو دونه . ثم دَلَلْتُ على الموضع الذى نُقِلَ منه هذه العِللُ في كتاب الأستاذ عبد الوهاب عزام ، ثم في كتابي ، وذكرتُ ما دخلها من فساد ، إذ حُمِلت من مكانٍ هـى فيه أولى وبه أليق ، إلى مكان لا تصلح له ولا يصلح هو عليها . وكان / سبب هذه الفعلة ، أن الدكتور الجليل ، وهو صاحب « مذهب الشك » ٤٣/٢ الذى كان أول من (اصطنعه) حين ألّف كتابه « فى الشعر الجاهلى » - أنف لنفسه أن

يسبقه أحد إلى الشك في نسب المتنبي الذى أجمعت الرواية على التسليم به . وما دُمْتُ أنا قد سبقته إليه ، فعَلَى رَغْمِي ورغم التاريخ أن يكون هو أولى به مَنى وأحق . وإذن فليؤلف كتاباً ، وليُسَمِّ هذا الكتاب « مع المتنبي » - وليشك في نسب المتنبي ، وليتقَمِّ الأدلة من هنا ومن ثَمَّ ، محتالاً على تلييسها وتزيينها بما أوقى من حسن منطق وبلاغة أسلوب وإعجاز بيان !! ولو زعموا أن « المَخِيلَة تَقْتُلُ نَفْسَ الخائل » ، (المَخِيلَة : الخيلة والكبر إعجاباً بالنفس) !

ولكن ، لماذا لم يستطع الدكتور الجليل إلا أن يتوقف في الشك الذى اصططنه ، فَهَبَ يزعم لنفسه أو للناس أن المتنبي كان (لا يعرف أباه) ؟ هذه هى المسألة التى وقفنا عندها فى الكلمة السالفة ، وإليك خبرها .

قَلَى الدكتور حيناً إلى مذهبه القديم فى الشك ، فحاصَ حَيْصَةَ بين الكُتُب ، فوجد فى كتابِ عزام وكتاى من الأسباب الملفقة والعلل المزورة ما يُقَوِّمُ أَوَدَ هذا الشك الذى انتحاه ودبَّ إليه ، فَاتَمَّ رأيه وقال : « هذه أسباب كافية وعلل وافية ، وإذن فَلَنُشَكِّ ! » لكن أيشك فى « وجود » المتنبي نفسه ، كما شك فى وجود بعض شعراء الجاهلية ؟ كلا ، فهذا ليس بشئ ، والعلل التى وقع عليها لا تؤدى إلى هذا الرأى . وثارت به بَدَوَات العبقريَّة = والدكتور طه حسين بك رجل عبقري بارع ، ليس فى ذلك / شك عندى = فأخذت تُدِيرُ له الرأى والحجَّة والبرهان وما إلى ذلك ، ويستعصى الأمر ، وتَلَجُّ هى فيه ، حتى وضعت المشكلة وضعاً منطقياً خالصاً ، وللمنطق حيلة ، وفيه غَنَاء ، وبه المُسْتَعَان فى توليد الآراء !

٤٤/٢

يقول الرواة : « إن المتنبي جعفى الأب همدانى الأم » ، والدكتور محمول على الشك فى هذا القول ، وإذن فهو ليس بجعفى ولا همدانى ، فأى قبيلة ينتسب إليها ؟ ذكر عزام فى كتابه ص : ٢٩ : « أن المتنبي لم يصرح باسم قبيلة ولا عشيرة » ، وعلى ذلك لن يجد الدكتور فى ديوانه قبيلة غير هاتين يستطيع أن ينسبه إليها . وعلى ذلك فالرجل غير منسوب إلى قبيلة من قبائل العرب . أياكون ، إذن ، علوى النسب كما زعم (محمود

شاكِر) فى كتابه ؟ ربّما ، ولكن نفس الدكتور لا تطاوعه على أن يستلب هذا الإنسان شكّه وما وُلد له هذا الشك . إذن فهو ليس بعلويّ أيضاً . وأظلمت الدنيا عليه ، وهى مُظلمة . فهذا رجلٌ لا ينتسب إلى قبيلة من القبائل ، ولا إلى العلويين ولا غيرهم ، وهو عربىٌ ولا شك ، فقد صرح الدكتور بذلك كما صرح شعره ، والعرب يعتزّون بالانتساب إلى قبائلهم « ويحرصون على ذلك أشد الحرص » ، فكيف الرأى ، وقد أدخله الشك مدخلاً لا يستطيع الخروج منه ؟ وهنا أسعفته العبقرية مرةً أخرى ، فالمتنبي لم يذكر أباه ، ولم يمدحه ، ولم يرّثه ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات !! إذن ، إذن ، إذن ، فالمتنبي لا يعرف أباه . وليس فى هذا شك ، فلو أنه كان قد عرّفه ، لذكره ، ثم لمدحه ، ثم لراثه ، ثم لانتسب إليه ، ثم لعرّفَتْ له قبيلة ينتهى إليها نسبه !!

٤٥/٢ بهذا المنطق فاز الدكتور ، ووُلد له شكّه شيئاً يستطيع أن يسمّيه فى / الآراء رأياً ، وإذن فالكتاب قد حَضَرَ وفرغ منه ، وإذن فليُنشر الكتاب على الناس فى أقرب فرصة ، ليطمس به ذكر هذا الواغل الطُفيل الذى دخل على « مذهب الشك » آثماً ، وخرج منه سارقاً ! هذا الذى نشر له المقتطف كتابه عن المتنبي فى يناير سنة ١٩٣٦ .

أنا أعرف الدكتور طه حسين بك ، وأعرف كيف يفكر ، وأعرف كيف يتهمّ على غير بصيرة فى الرأى . فأنا أشهد ، والدكتور يشهد معى ، أن هذا هو ما خطر له وهو يفكر فى هذا الأمر . والدكتور الجليل ، وهو الراوية الثبت ، يذكر أنه كلّمنى فى أسبوع المتنبي من العام الماضى (سنة ١٩٣٧) ويذكر ما دار بينى وبينه من حديث سنروى لك بعضه فيما يلى ، بعد أن نبّين ماذا أراد الدكتور بمعنى قوله فى صفة المتنبي إنه (لا يعرف أباه) .

ولعل القارئ قد عرف ، قبل أن نُعرّفه ، أن الدكتور الجليل طه حسين بك يعنى بقوله : إن المتنبي كان (لا يعرف أباه) : أن هذا الرجل كان ولداً بين رجل وامرأة (لا يعرفهما أو لا يعرف أحدهما على الأقل) ، أو كان منبوذاً لغير رِشْدَةٍ ، أو كان لقيطاً . وطئ هذا معنى أنت تعرفه بعد ، وإلاً فهذا هو يقول فى أول الكتاب كما

حدثتك ، إن المتنبي (لم يكن يعرف أباه) ثم يقول فى ص : ١٠ : « إن المؤرخين الذين ذكروا جدّه لم يجمعوا على الاسم الذى يلصقونه به !! » وفى ص : ١١ : « إن المتنبي لا ينتسب إلى الرجال (هكذا) ، لأنه لا يريد ، أو لا يستطيع ، أن يجد فى الانتساب إلى الرجال غناء » .

٤٦/٢ / ويقول فى ص : ٢٥ : « ومن حَقَّك أن تسألنى لماذا أطيل الحديث عن نسب المتنبي ، وأظهر الشك فى معرفته لأبيه وأمه ؟ ... فأعلم يا سيدى إنما آثرتها لأنهى منها إلى حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهى أن المتنبي لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه !! التمس لذلك ما شئت من عِلَّة ، فهذا لا يعنينى ! وإنما الذى يعنينى ، ويجب أن يعينك ، أن شعور المتنبي الصبى بهذه الضَّعة ، أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأذنين ، قد كان العنصر الأول الذى أثر فى شخصية المتنبي » .

ثم يقول فى ص : ٢٧ : « ولماذا احتاج المؤرخون أن يتحدثوا عن أبيه ، وعجزوا ، أو لم يريدوا !! أن يتحدثوا عن أمه ، ولم يتحدث هو عن هذه وذاك ؟ »

وفى ص : ٣١ : « هذا يدل من غير شك على أن سرّاً من الأسرار كان يكتنف حياة أبى الطيب ويحيط بأسرته ، ويستر عنا حقيقة الصلة التى كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتى كانت بين الحسين السقاء وبين هذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتى اقتضت أن تُهْمَل أمُّ المتنبي إهمالاً تاماً !! » .

ثم يقول بعد حديث طويل كلّه شَبَّه مثل هذه فى ص : ٣٤ : « هذا كلّه يكفينى لأقتنع بأن « مولد » المتنبي كان شاذاً !! وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته كلها » . هذا ما نقلناه لك فتدبره ، فإن معناه ظاهر ، وهو أظهر عند مَنْ قرأ كتاب الدكتور من ص : ٩ إلى ص : ٣٤ . / والدكتور على عادته يُجَمِّع القول ويُديره من هنا وهنا ، « ويصطنع » اللفظ الساخر ليدلّ على غرضه بغير تصريح ، كما ترى فى قوله فى اسم

جدّ المتنبي : « إن المؤرخين لم يجمعوا على الاسم الذى (يلصقونه به) » ، ثم يعقب على ذلك بقوله ص : ١٠ : « ومهما يكن من شيء فقد كان للمتنبي أب ، وكان له جدّ ، لأننا لا نعرف إنساناً ليس له أب ولا جدّ ، لا نستثنى من ذلك إلا اللذين استثناهما الله عز وجل حين قال : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) . وأنت بعدُ تعرف المعنى الذى أراداه الدكتور الجليل .

وفى العام الماضى أُخبرْتُ أن الدكتور طه يذهب إلى أن المتنبي « لَقِيطٌ لِعَيَّة » ، فاستعذت بالله ، واستكبرت أن يقول الرجل هذا القول ، حتى كان يوم اجتماعنا فى دار الجمعية الجغرافية لأسبوع المتنبي ، (١) فكان من حديثه لى أن قال : أنت تذهب إلى أن المتنبي علوى النسب ، وأنا قد قرأت هذا الفصل ، وأوافقك على الشك فى النسب ، ولكنى لا أوافقك فى أنه علوى ثم ماذا ، يا محمود ، لو قلنا إن المتنبي « لقيط » ؟!! وقد والله تحيل لى أن الشيطان فَاغْرَ فِيهِ بينى وبين هذا الرجل ، فرجفت رجفة وعُذت بالله ثم قلت له : إن هذا رأى منقوضٌ من وجوه ، وهو على كلّ حال نتيجة للشك فى نسب المتنبي ، مع التوقف عند مجرد هذا الشك ، قبل القول بأنه علوى أو جُعْفَى أو هذا أو ذاك « ، وأردت أن أنبهه بهذه الكلمة إلى أن رأيه / مسلوخ من كتابى ، وذلك أنه أخذ ٤٨/٢ الشك فى النسب منى ، وعجز عن أن يقول شيئاً فى نسب جديد (يلصقه به) .

وهذا الرأى وحده هو سر اهتمام الدكتور طه بالكتابة عن المتنبي ، فلو لم يكن وَقَعَ عليه لما كتب عنه . فهو يقول فى ص : ٤ : « وليس المتنبي هذا من أحب الشعراء إلّى ، وآثرهم عندى ، ولعله بعيد كلّ البعد عن أن يبلغ من نفسى منزلة الحب والإيثار ، ولقد أتى علىّ حين من الدهر لم يكن يخاطر لى أنّى سأعنى بالمتنبي أو أطيل صحبته أو أديم التفكير فيه » .

(١) أرجو أن يعلم قارى هذا بعد أربعين سنة من كتابته ، أن هذا الحديث قد نشر سنة ١٩٣٧ ، وقرأه الدكتور طه يومئذ ، ولم ينكره ولم يكذبه . أقول هذا لأنى سمعت أن بعض الناس يزعم أن هذا اللقاء لم يحدث ، وهذا من أعاجيب زماننا !!

وقال فى ص : ٥ : « وقد قلت فى غير هذا الموضوع إنى لست من المحيين للمتنبى ولا المشغوفين بشخصه وفنه » .

فلولا أنى شككت فى نسب أبى الطيب ، ولولا أنه أخذ هذا الشك منى ، وانتهى إلى أنه (لقيط) ، لما كتب عنه حرفاً واحداً ، لأنه لا يجب الرجل ولا فته ، وتسألنى لماذا ؟ كما يقول الدكتور ، فجواب ذلك أن الأستاذ المازنى قد شرح فى كتابه « قبض الريح » سرّ هذا بأحسن بيان وأدقّ فكر ، يقول المازنى ص : ٨٣ : « لقد لفتنى من الدكتور طه فى كتابه « حديث الأربعاء » ، وهو مما وضع ، وفى « قصص تمثيلية » ، وهى ملخصة ، أن له ولعاً بتعقب الزناة والفسّاق والفجرة والزنادقة » .

ثم ساق الأدلة من الكتاين على ذلك ، إلى أن قال فى ص : ٨٩ : « وللقارئ أن يسأل لماذا لم يؤثر الدكتور « نحواً » آخر من « أنحاء » الأدب الغربى ، وليس هذا كل ما فيه ولا هو خيرّه ؟ لماذا غنى على وجه الخصوص بقصص / الزناة والزوانى ، وبحكايات الجهاد ، كما يقول هو ، « بين العواطف والشعور من جهة ، وبين العقل من جهة أخرى ؟ » .

ثم شرع المازنى يقارن بالقسط والحق بين الدكتور طه وبشار الأعمى وأبى العلاء ، وقد استوفى الكلام على الغريزة الجنسية عند بشار وأبى العلاء ، وأثرهما فى شعرهما وآرائهما ونظراتهما إلى الحياة ، وحياة المرأة خاصة ، حتى انتهى إلى هذه الكلمة فى ص : ١٠٩ :

« فلا عجب إذا رأينا الدكتور كلفاً بتناول المُجَان وأهل الخلاعة من شعراء العرب ، وتلخيص القصص التى تُدور على الخيانات وما إليها ، وتسويغ ذلك والاعتذار له « حتى لكأنما يحاول أن يقول بلسانه غير ما تلجّ به الرغبة فى الكشف عنه والإفضاء به من مكنونات نفسه » .

وأنا أنصح من يريد أن يفهم ما تُنطوى عليه كلمات الدكتور طه فى كُتبه ، أن يرجع إلى هذه الفصول التى كتبها المازنى فى « قبض الريح » فيقرأها ويتدبرها ، فإنها من

أجود ما يُكْتَب ، وأحسن ما يعينك على التغلغل فى أسرار طائفة من النفوس الإنسانية ومنهجها ، وإدراك ما ترمى إليه فى أحاديثها وأشعارها وأخبارها وتأليفها واختيارها وما إلى ذلك .

وبعد ،

فهل يستقيم هذا رأى الذى ذهب إليه الدكتور طه من أن المتنبي (لم يكن يعرف أباه) ، وأنه « لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه وأنه كان يشعر بالضعة والضعف من ناحية / أسرته ، ص : ٢٦ ، وأنه « لما تقدّمت به السنُّ ٥٠/٢ قليلاً قد عرف من أمر نفسه !! ومن أمر أسرته ما أنكره وما لم يستطيع أن يُقيم معه فى الكوفة ، فأثر الرحيل » ، ص : ٣٣ ، وأن « الكِذَاب الذى كان يُكَاد به عند أى العشائر ، ويزه أهون عنده من ناقله ، لم يكن كِذَاباً كُلَّهُ !! » وإنما كان له أصل « يملأ صدر المتنبي غيظاً وحفيظة ، وينودّه عن الكوفة ، بل يبعّض إليه الحياة فى العراق ، ويحمّله على أن يُنفق عمره غريباً مُجَوَّلاً فى الآفاق !! » ، ص : ٣٤ ؟؟؟

لم يستطع الدكتور الجليل العبقري أن يأتى بيت واحد من ديوان أبى الطيب يؤيد به هذا الرأى ، ومع ذلك فهو يقول به ويكرّره ويعيده !! هذا على أن منشأ الشك فى هذا الأمر لابد أن يكون من ديوان الرجل نفسه . والدكتور يقول إن المتنبي كان يشعر بالضعة من ناحية أسرته ، وأنه عرف من أمر نفسه وأمر أسرته ما أنكره ، فأين وجد المتنبي يشعر بالضعة ، أو ينكر أمر نفسه وأمر أسرته ؟ وأين هذا الأثر الذى أتاح له أن يقتنع « بأن مولد المتنبي كان شاذاً ، وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته (كلها !!) ؟ وتأمل هذه المبالغة فى قوله (سيرته كلها) ، وقرأ الكتاب كله فلا تجد الدكتور طه حسين بك أشار فى موضع واحد إلى (حكاية) هذا النسب ، ولا أدخله فى شيء من العلل التى أراد أن يعلل بها ما (يرى من رأى) !! فهو بذلك عاجزٌ من ناحيتين : عاجز من ناحية شعر المتنبي ، وعاجز من ناحية تفسير حياة المتنبي وتحليلها على ضوء هذه الضعة ، وهذا « المولد الشاذ » . ولا أدري بَعْدَ علامَ أجهّد الدكتور لسانه وكَفَّ / مُستملية ، بإملاء ٥١/٢

هذه الفصول عن نسب المتنبي ؟ ففيها الخطأ ، كما بينا ذلك كله ، وفيها سوء النقل من الكتب ، وفيها ضعف الفهم للشعر ، وفيها فساد الفكر وتناقضه ، وفيها قذْف المتنبي بأنه (لا يعرف أباه) ، وكَبَّر ذلك مقتناً عند الله وعند الناس . لقد كنا أقرب الناس إلى الإغضاء عما فى كلام الدكتور طه من الخطأ والنقص والتناقض ، لو أنه ترك هذه الآراء جانباً ومضى على غُلُوِّه يأتى بما يشاء من ذبول كلامه الطويل والتى تحتال فيها كتبه ومؤلفاته !

وأستغفر الله مما فَرَط ، فقد نسيت أن أذكر لك أن الدكتور الجليل أراد أن يُلبس على قارئ كتابه فيهمه « حقاً ، أن المتنبي كان يشعر بالضعة والضعف من ناحية أسرته » فاستشهد فى هذا الفصل ص : ١٣ ، بأبيات أبى الطيب التى أولها :

أَنَا آبَنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَاكَ بَاحِثٌ ، وَالتَّجَلُّ بَعْضُ مَنْ نَجَلَةٌ
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ تَقَرُّوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَةَ

واستخرج من هذين البيتين أن أبا الطيب « لا ينتسب إلى الرجال لأنه لا يريد أو لا يستطيع أن يجد فى الانتساب إليهم غناء » ، ص : ١٥ = وأن هذه الأبيات « تصور ضعف المتنبي من ناحية نسبه أبلغ تصوير وأقواه » .

/ وقد بينا فيما مضى فساد فهم الدكتور لهذين البيتين « فالمتنبي ينتسب إلى رجل لم يصرح باسمه لا « إلى متجزئ له بعض يمتاز عن كله !! » ، كما فهم الدكتور العبرى . إن الدكتور طه حسين بك ، عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية ، رجل قد أثبتت التجارب والأيام ، ثُمَّ مؤلفاته ، أنه لا بَصَرَ له بالشعر ولا بمعانيه ، وسيأتى فى مواضع أخرى من كلامنا تأييد هذا رأى بأدلة كثيرة « تَقْصَى بِالضَّاحِكِ اسْتِغْرَابَهُ » ، كما يقول البحتري ، وسنسوق إليك هنا « فصلاً » من هذا الباب .

وأحب للقارئ أن ينفذ عن نفسه غُبَار هذه المعانى التى جاءت فى كلام الدكتور طه ، ويبدأ معنا من حيث يجب أن يبدأ ، ليكون ذلك أنقى لنفسه ، وأطهر لفهمه مما عُلِّقَ به .

لو فرضنا أن المتنبي كان ، كما يزعم صاحبنا ، (لا يعرف أباه) ، وأنه كان يشعر بالضعة من قبل أبيه وأمه فلا يجهر بذكرهما ، وبالضعف من ناحية نسبه وأسرته ، وأنه قد عرف من ذلك ما أنكره وبغض إليه الحياة فى الكوفة = ولو فرضنا أيضاً أن « الكذاب الذى كان يكاد به » هو بسبيل من هذا الأمر ، كما زعم الدكتور فى ص : ١٦ ، فهناك أمران لا مناص عن أحدهما : فإما أن يكون هذا « الكذاب » مما قالته فيه الشعراء ، تثيره فيه بالضعة ، وأنه « لا يعرف أباه وينكر أمره وأمر أمه » ، وإما أن يكون مما قيل قولاً ، ولم يُقل شعراً .

/ أما الأول : فالدكتور مُطالب بإظهارنا على هذا الشعر إن كان سمع به أو قرأه ٥٣/٢ عليه ، وما هو بمستطيع إن شاء الله !! فإنه إذا صح أن أحداً من الشعراء قد عرّض بوالد المتنبي أو أبيه على هذه الصورة التى اخترعها الدكتور طه ، فعندئذ يصح أن يجيب المتنبي الشعرَ بالشعر ، وأن يكون هذا الشعر مما « يصور ضعفه من ناحية أبلغ تصوير وأقواه !! » = هذا على أنه كان أولى بالمتنبي عند ذاك أن يسكت ، فذلك خير له من أن يفضح نفسه فى مجلس أبى العشائر ، ويحمل الناس على اللجاج فى السؤال عن نسبه ، والتقصى لأخبار أمه وأبيه وجدّه وجدّته . هذا صريح العقل .

وأما إذا كان هذا التعريض مما تداوله لسان ناطق وأذن سامعة ، وعرف المتنبي خبر ذلك ، فكان أولى به إذن أن يسكت عنه فى شعره ، وإن شاء تكلم فيه فى مجلس مُقنّع يراوغ فيه بالحجة ويدافع بالحيلة ، حتى يقطع عن نفسه شرّ هذا اللسان ، ولا يتحامق فيتحدّاه هذا التحدى المؤذى الداعى إلى الشر والمماحكة وطلب الوقعة بقوله فى ذكر ذلك المفترى عليه :

وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْرَ الَّذِي أَكَلَهُ
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي ، وَأَعْرِفُهُ وَالْدُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمٍ مَنْ جَهِلَهُ

ونرجو الدكتور طه أن يتفهّم = على سبيل الجدّ ، لا سبيل العبث كما يقول عن

٥٤/٢ نفسه = قول أبى الطيب : « ويظهر الجهل لى وأعرفه » ، فإن / هذا لا يقوله من يخشى أن يتطلع الناس إلى نسبه ، فينكروا منه سوءاً أنكرها هو من قبل .

وأيضاً يا مولانا الدكتور الجليل ، كيف تستطيع أن تقول فى رجل يشعر بالضعة من ناحية أبيه وأمه ونسبهما أو صلتها ، وهو يذأب على الفخر بأنه لا يذكر الجدود ولا يؤليهم اهتمامه ؟؟ ولو صحَّ أنه مما يجوز أن يفخر به حين يكاد « بالكذاب » ، ويتم فى نسبه ، فكيف يجوز أن يذكره فى غير مناسبة تقتضيه أو تحمل عليه ؟ أياى الرجل وفيه العيب والعار ليدل الناس على عاره وعييه ويقول : هأنذا فانظرونى ؟؟

هذا المتنبي يقول فى صباه لغير مناسبة :

لَا بِقَوْمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرَفُوا بِي ، وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي
وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلَّ مَنْ نَطَقَ الضَّأ دَ وَعَوَّذُ الْجَانِي وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

ويقول وهو بمصر فى قصيدة الحمى ، ولغير مناسبة أيضاً :

وَلَسْتُ بِقَانِيعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأَنَّ أُعْزَى إِلَى جَدِّ هُمَامٍ

إلى غير ذلك من شعره الذى يدل دلالة صريحة على أن الرجل لم يكن يشعر بالضعة ، وإنما كان يكتُم أمراً جليلاً يخاف منه على نفسه . وإن الرجل إذا كان يشعر بالضعة فى نسبه ، لا يأتى فينبه فى شعره لغير سبب ولا علة إلى ذكر هذا النسب . ولو فعل ذلك لكان أحقَّ الحمقى ، وأشأمهم على نفسه .

٥٥/٢ / وأيضاً يا سيدى العميد ، لو كان الأمر كما زعمت حين تقول فى ص : ١٦ : « ما عسى أن يكون هذا الكذاب ؟ أترأه يمسُّ نسبه من قريب أو بعيد ؟ » ، ثم تحيب نفسك فى ص : ١٧ : « ليس فى ذلك عندى من شك ، فقد اتهم الرجل فى نسبه » ، أليس المعقول بعد هذا أن يكون الذين تولوا هذا « الكذاب » ونطقوا به ، واتهموا المتنبي فى نسبه ، وسألوه عن أبيه وجده فلم يستطيع أن يجيب = أن يكونوا قد عرفوا من خبر هذا النسب الموضوع الدنى طرْقاً يلوحون به لهذا المتنبي ، فيبهج ويضطرب ويختلط عليه

أمره ؟ ولو كان هؤلاء قد اتهموه فى نسبه كما تزعم ، لملأوا على أبى الطيب الدنيا بما يعرفون من عار أمه وأبيه ، ولتجاوبت به صدور أعدائه من الشعراء وغير الشعراء ، لفرط عداوتهم له وغيظهم منه ، ولتردّدت هذه الخسّة فى نسبه فى كل مكانٍ وعلى كل لسانٍ .

أجل يا سيدى ، فإن مثل الذى جَمَعْت به من القول فى نسب المتنبي ، لو كان على ذلك العهد (من سنة ٣٠٣ - ٣٥٤ من الهجرة) ، وفى البلاد العربية ، وفى غمرة تلك الفتن والوشايات والأكاذيب ، لما خفى على أهل الكوفة وهم قومه ، ولا انتشر وملاً الأسماع والبِقَاع ، ولأُخِفت ذِكر المتنبي ودسّ رأسه فى التراب من الهوان والعار ، ولم يجعل من دأبه أن يفخر بتركة ذكر الآباء والأجداد .

وقد بقى فى هذا الفصل كثير من التناقض ، وسوء النظر ، وقلة التمهّيص للآراء وتقليبها على وجوهها ، وضعف المنطق ، نتركه ولا نبالى / به ، إذ كان فيما يستقبل من ٥٦/٢ فصول هذا الكتاب « مع المتنبي » ، ما هو أدلّ عليه وأعلّق به . وقد رأيت أن الدكتور فى هذا الفصل أراد أن يسلبنا شكنا فى نسب المتنبي الذى رواه الرواة ، وأن يعارض رأينا فى علوية أبى الطيب برأى لا يستقيم ولا يُسمّى رأياً ، إذ يتهدّم فيقول « إنه رجل لا يعرف أباه » . وقد خرج الدكتور منه ، بعد الذى كتبناه ، بنصيب الرجل الذى سرق قميصاً فبعثه مع ابنه لبيعه ، وكان ابنه هذا يعرف أن أباه سرق القميص من رجل بعينه ، فعارضه فى الطريق من سرّقه منه ، فأسلمه إليه . فلما رجع قال له أبوه : بعث القميص ؟ فقال الولد : نعم ! قال : بكم ؟ قال : برأس المال !!

وأنا والله أشدُّ إشفاقاً على الدكتور طه حسين بك منه على نفسه ، ولكم وددت أنى يأتى الرجل بشيء فى كتابه يقال له عنده : لم تخطئ يا سيدى . ولكن لعن الله الحظوظ ، فإنها ربما وضعت الرجل منّا فى غير موضعه الذى هو له أوفق ، فيضطر إلى ما لا معدى عنه من طلب الشيء بحسن به مكانه ويثبت فيه ، فيكون فى طريقه المَرَلَّة والعطبُ والهلاكُ ، وما نعوذ بالله منه ، ورحم الله من قال : « العُرَى الفادح ، خير من الزرى الفاضح » .

وإلى السبت المقبل ، نستقبل الفصل الثانى من كتاب الدكتور حفظه الله .

- ٤ -

٥٧/٢

/ يبدأ الفصل الثانى من كتاب الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك « مع المتنبي » من ص : ١٨ - ص ٣٤ ، وهو عن نسبه أيضاً من قِبَل أمه وجدته . وهو أيضاً فصل من الشك كالأذى مضى ، بدأه الدكتور الجليل بهذه الكلمة الجليظة : « وهل كان المتنبي يعرف أمه ؟ مسألة فيها نظر ، كما يقول الأزهريون » ، ص : ١٨ . ونحن بسبيلنا من اختصار هذا الفصل على القاعدة التى جرينا عليها فى الكلمة الأولى من حذف الحواشى ، والإبقاء على مادة الفكر ، وعلى الرأى ، وعلى الأسباب ونتائجها ، ثم نتبع ذلك بالنقد المفصل للفصل كله . يقول الدكتور :

« فديوان المتنبي صامت بالقياس إلى أمه صمته بالقياس إلى أبيه ولكن الخطب فى أم المتنبي أعظم منه فى أبيه » ، فالرواة والمؤرخون « ذكروه فسموه الحسين » ، أما هى فلم « يذكروا من أمرها شيئاً » ، « وكلّ ما نعرفه أن أمّها قد عطفت على المتنبي » ، ص : ١٨ ، وهذه الأم (جدة المتنبي) أيضاً « لا نعرف لها اسماً ولا أباً » ، وإنما قال بعض الرواة : « إنها همدانية صحيحة النسب ، وإنها كانت من صوايح نساء الكوفة » ، « هذا وديوان المتنبي لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور وصاغته الكبراء ، ووضعه جموح الشاعر فى غير موضعه من الرثاء :

٥٨/٢

/ وَلَوْ لَمْ تَكُونِ بِنْتُ أَكْرَمٍ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخَمَ كَوْنُكَ لى أُمًّا

ص : ١٩ ، وينتهى الدكتور بعد ذلك إلى قرارة الأشياء ! فلا يكاد « يشك في أن المتنبي قد كان عربياً » ص : ٢١ ، « وقد كان المتنبي يرى أنه عربى ، وسار حياته كلها سيرة ملائمة لهذا رأى » ص : ٢٣ . والدكتور الجليل يفهم كل شيء ، ولكن لا يفهم « الشك في عربة المتنبي ، ما دامت القرائن لا تنسبه إلى أم أعجمية » ص : ٢٤ . ويريد الدكتور أن يقرر بهذه الكلمة أن أم المتنبي عربية ، ثم يقول الدكتور إنه يظهر الشك في معرفة المتنبي لأمه وأبيه ! ، لينتهى من هذه المسألة إلى « حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهى أن المتنبي لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن (يَجْهَر !!) بذكر أمه وأبيه . التمس لذلك ما شئت من علة ، فهذا لا يعنينى ، وإنما الذى يعنينى ويجب أن يعنك ، هو أن شعور المتنبي الصبى بهذه الضعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأذنين ، قد كان العنصر الأول الذى أثر في شخصية المتنبي وبُعْض إليه الناس ، وفرض عليه أن يرى أن حياته بينهم لم تكن كحياة أترابه ورفاقه ، وإنما كانت حياةً يحيط بها كثير من الغموض ، ويأخذها كثير من الشذوذ . رأى نفسه شاذاً لأمر ليس له في يد ، ففكر تفكير الشاذ ، وعاش عيشة الشاذ » ، ص : ٢٦ .

ثم يقول : « وتسألنى ، ومن حقلك أن تسألنى ، عن مظاهر هذا الغموض الذى أحاط بحياة المتنبي » وعن مواطن هذا الشذوذ فلاحظ قبل كل شيء غموض الأمر في نسبه ، ولاحظ بعد ذلك خلوة ديوانه من ذكر أمه وأبيه أو / الإشارة إليهما ، ولاحظ بعد ٥٩/٢ هذا وذاك هذا الكذاب الذى كان يكاد به عند أى العشائر . ثم لاحظ آخر الأمر أنه حين عرف شوق جدته إليه ، ووجد الشوق إلى لقاءها ، وذهب لتنعم وينعم هو بهذا اللقاء ، لم يستطع أن يدخل الكوفة أليس هذا كله دليلاً على أن شيئاً كثيراً من الغموض قد أحاط بأسرة المتنبي ؟ » ، ص : ٢٧ . ثم يتطرق يتكلم وينشد قصيدته في رثاء جدته إلى أن يقول : « هذا يدل من غير شك على أن سراً من الأسرار كان يكتنف حياة أى الطيب ويحيط بأسرته ، ويستر عنا حقيقة الصلة التى كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتى كانت بين الحسين السقاء وهذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتى اقتضت أن تُهْمَل أم المتنبي إهمالاً تاماً » ، ص : ٣٢ . والمتنبي يقول عن نفسه :

تَغْرَبُ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

« فهو إذن لم يتغرب عن الكوفة حباً في الغربة » ، وإنما « تغرب منكراً للحياة في الكوفة » . وما الذى ينكر المتنبي من ذلك ؟ ينكر أمرين : « أحدهما يتصل بالحياة الاجتماعية ، والآخر يتصل بالحياة السياسية . وليس من شك عندى ، ولك أن تشك ، فى أن المتنبي لما تقدّمت به السنّ قليلاً قد عرف من أمر نفسه وأمر أسرته ما أنكره ، وما لم يستطع أن يقيم معه فى الكوفة ، فآثر الرحيل » ، ص : ٣٣ . فهذا هو الأمر الاجتماعى . وأما السياسى فسيأتى ذكره فى فصل آخر ، « وهو عندى أثر من آثار الأمر الأول » ، ص : ٣٤ . ثم ينتهى الدكتور بهذا : « ولعل هذا كله لم يقنعك كما أقنعنى بأن طفولة المتنبي / لم تكن طفولة عادية وبأن الكذاب الذى كان يُكادُ به عند أبى العشائر لم يكن كذاباً كُلَّهُ ، وإنما كان له أصل يملأ صدر المتنبي غيظاً وحفيظة » ، « هذا كله يكفينى لأقتنع بأن « مولد » المتنبي كان شاذاً ، وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته كلها » ، ص : ٣٤ .

فهذه سبع عشرة صفحة اختصرناها فى هذه الأسطر ولم نخل بموضع رأى للدكتور الجليل .

...

والدكتور فى هذا الفصل يقرر أن المتنبي « لا يعرف أمه » كما كان لا يعرف « أباه » ، ويبيّن أنه بينى شكّه فى معرفة المتنبي لأمه على العلل التى اصطنعها فى أمر أبيه ، فالمتنبي لم يرثها ، ولم يظهر الحزن عليها حين ماتت ، ولم يذكرها !! ولم يمدحها أيضاً ، أليس كذلك يا سيدى الدكتور ؟ وقد جمع ذلك فى قوله : « فديوان المتنبي صامت بالقياس إلى أمه صمته بالقياس إلى أبيه » . وقد فرغنا فى الكلمات الماضية من القول فى أن إغفال ذكر الآباء ، وهم مادة فخر الشعراء ، لا يتخذ أصلاً فى تقرير النسب ، ولا يجدى فى الحكم بأن الرجل منهم « كان يعرف أباه » أو كان « لا يعرف أباه » .

وإذا تجاوزنا للدكتور فقلنا إنّ له بعض العذر في أمر والد المتنبي ، وقلنا إنّ الخطب في هذا الشك الذى اصطنعه هينٌ ، وله وجهٌ ، وفيه مقالٌ ، فإن هذا الفصل من كتابه يجعلنا نقول له مثل الذى قال : من أن « الخطب في أم المتنبي (في كتابه) أعظم من الخطب في أبيه » . !!

/ إن الدكتور طه رجل لا يستقيم على رأى ، ولا يُلمّ به إلام العارف الذى لا يغفل ٦١/٢
عن موضع التناقض والاختلاف والفساد الذى يركب بعضه بعضاً . فهو يقول : « كان المتنبي يرى أنه عرى ، وسار حياته كلها سيرة ملائمة لهذا الرأى » ، ثم يقرر بعقب ذلك : « ولعل هذا الرأى كان أبلغ المؤثرات في حياته العملية » ، ثم يزيد تقريراً بقوله : « وهو أبلغ المؤثرات في حياته الفنية على كل حال » . ويعنى بهذا التقرير الأخير أن (عربيته) كان لها الأثر في شعره . فإذا كان المتنبي كالذى يقرر وبالع في تقريره ، فما الذى ينكر من أن « ديوانه صامت بالقياس إلى أمه ، صمته بالقياس إلى أبيه » ؟ وما الذى كان يريد من المتنبي ؟ أكان يريد أن يمدح أمه ؟ والعرب لا يفعلون ذلك = أم كان يريد أن يذكر أسم أمه في الشعر ؟ والعرب أيضاً قلماً يفعلون ذلك إلا لضرورة = أم كان يريد أن يفخر بأمه ؟ والعرب أيضاً لا يفخرون بأمهاتهم وإنما الفخر عندهم بالآباء ، وهم أصل الدم وصلة العصب = أم كان يريد أن يرث أمه ويظهر الحزن على موتها ؟ والعرب أيضاً كانوا قلماً يرثون أمهاتهم أو يظهرن الجزع على موت النساء عامة ... ولو كان لهذا الدكتور طريقة في الفكر يتعقب بها المعانى ، ويستقصى الأغراض ، ويستوعب الأسباب والروابط ، لما جعل صمّت ديوان المتنبي عن ذكر أمه أو مدحها أو الفخر بها أو الحزن عليها ورثاتها موضعاً للنظر ، أو شبهة في الغموض ، أو علة للشك وهو يقول إنه عربى ، وأن عربيته كان لها أبلغ الأثر في حياته الفنية ... التى هى شعره .

أما كان أولى به أن ينظر نظرة العقلاء من العلماء فيقول : إن المتنبي رثى / جدّته ، ولم يرث أمه ، ويسأل نفسه عن سرّ ذلك ؟ وسرّ ذلك بغير شك أن أمه ماتت وهو صغير لم يشهدها وهو شاعر يقول ويفصح = أو لعله وجد لموتها من الغم ما صرفه عن قول

الشعر . وهذا ليس بغريب ولا عجيب ، فكم من شاعر يُنَكَّبُ النكبة تُرَضُّه رَضُّ القَصْبَةِ ، فما يستطيع أن يثبت آلامه في بيت واحد من الشعر ؟ أليس أحد هذين هو الأقرب إلى عقل العقلاء ، وتصرّف أهل البصر ؟ ولكن هذا الرجل ، كما قلنا لك مراراً ، يرى الرأى بادیء الرأى فلا يتبصّر فيه ولا يقلّبه ولا يَرُوزُه ، ويعزم على القول متهجماً فيصرفه هواه عن القصد ، فيُلجّئه ذلك إلى الاستعانة ببذوات عبقريته ، فلا تزال به تتقمّم هذا وذاك ، وهو لا يبالي أن يناقض أو يخالف أو يتورّط أو يغالط عقله ، ويفسد عقول الأشياء والمريدين من أصحابه .

ومن البلاء الذى لا بلاء بعده ، أنه حين يتخبّط في مثل هذا ، يعمد إلى « اصطناع » الهدوء في إلقاء القول ، وكأنه على ثقة مما يقول ، ويزيد « فيصطنع » المنطق أيضاً ، وما يريد بذلك إلا إيهام من لا يقف متدبراً عند القول وقريته ، وما يترافدان به من المعانى والأغراض .

ثم يبائع في التلبيس فيسوق إثر ذلك شبهة أخرى يقول فيها : « ولكن الخطب في أم المتنبي أعظم من الخطب في أبيه . فقد سكّنت المتنبي نفسه عن أبيه ، ولكن الرواة والمؤرخين ذكروه فسموه الحسين ، وعرفوا له أباً اختلفوا في أسميه بعض الاختلاف ، وعرفوا له صناعة هي السّقاية في الكوفة . وهذا على قلته وضالته كثير بالقياس إلى ما عرفوا عن أم المتنبي ، لأنهم لم يعرفوا من / أمرها شيئاً ، ولم يذكروا من أمرها شيئاً . فنحن لا نعرف اسمها ، ولا نعرف أبها ، ولا نعرف أكانت عربية من قبل أبيها أم أعجمية ، وكل ما نعرفه أن أمها قد عطفت على المتنبي وأحبّته وكلفّت به ، وعُمرّت حتى رآته رجلاً » ، ص : ١٨ .

فتدبّر هذا الكلام الفضفاض الطويل ، وهو لَعَوٌ يبتدىء ، وثرثرة لا تنتهى وكل ذلك لأن المؤرخين لم يعرفوا من أمر أم المتنبي شيئاً ، ولم يذكروا اسمها ولا اسم أبيها !! والدكتور مُعَرِّى بهذا الضرب من الإفاضة حتى يصدّع رأس القارىء بالضجيج اللفظي ، فينام فكره ، فيتلقى ما يريد به من الرأى نائماً أو كالنائم . وإلا فالأمر أهون من ذلك

بكثير أيها الدكتور العبقرى . فلو أنك أمرت مستمليك أن يمد يده فيتناول كتاباً من كتب تراجم الرجال فيقرأ لك طرفاً منها ، لعلمت أن أصحاب هذه الكتب ، وهم المؤرخون ، قلما يعرضون فى التراجم للذكر أمهات الرجال أو ذكر أسمائهن أو أسماء آبائهن . ومن الإنصاف أن نلاحظ أن المؤرخين لم يكونوا يقدِّرون فى أكبر الظن فى سنة ١٩٣٧ ، أنه سيُتشكك فى نسب المتنبي ، وسيُلتَمَس وجه الحق فيه بعد أن يموت بألف سنة ! ولو أنهم قدَّروا شيئاً من ذلك ، « لأمكنهم أن يحتاطوا له بعض الاحتياط » !! أو كما قال الدكتور فى ص : ١٩ .

ما أظن أحداً يستطيع أن يُخرِج من شعراء العربية وهم ألوف لا تنتهى ، مئة شاعرٍ يعرف المؤرخون أسماء آبائهم وصناعة هؤلاء الآباء ، وأمَّهاتهم وأسماءهن . ولعل الدكتور يطلب بعد ذلك من المؤرخين أن يصفوا له الآباء / والأمهات ، وحليَّتهم ، وطولهم ، وعرضهم ، ولونَ عيونهم ، وما إلى ذلك = وإلا زعم أن هؤلاء جميعاً لا يعرفون آباءهم ولا أمهاتهم !

وهذه الأباطيل هى الأصل الذى بنى عليه الدكتور شكُّه فى هذا الفصل ، وهو أصل فاسدٌ كله .

وإنما شأن المتنبي من قبلها شأن مَنْ سبقه ومن عاصره ومن جاء بعده . فلماذا نقذف المتنبي وحده بهذا « المَقْت » الذى طَلَع به الدكتور ، ولا نأخذ بالقياس على أشباهه ونظرائه ، ونجعل الأمر فيه أمرهم ؟

هذا على أن المتنبي لم يذكر له أحدٌ من شعراء عصره شيئاً عن أمه ، يهجوها أو يعرض أو يغمز ، حتى يكون « صمت ديوانه عن ذكرها » سبباً فى توجيه النظر إلى أمرها . ثم يكون هذا الأمر من القُبْح والمَقْت بحيث ينكره المتنبي = ثم يكون هذا الإنكار داعيةً للمتنبي أن لا يَجْهَر بذكرها !! = ثم يكون فى سنة ١٩٣٧ ، حافزاً للدكتور العبقرى ليشك فى « معرفة المتنبي لأمه » = ثم يكون هذا الشك سبباً فى اقتناعه غاية

الاعتناع « بأن مولد المتنبي كان شاذاً ! وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ » وتأثر به فى سيرته كلها » !!

فإذا كان الأمر كما رأيت الآن ، فأئى عجب فى أن لا يذكر المتنبي أمه شاباً ومكتهلاً ، وراضياً وساخطاً ، ومسروراً ومحزوناً ، وما إلى ذلك من أوهام الدكتور طه .

وانظر إلى هذه الحقيقة التى يذكرها ، « حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك » وهى أن المتنبي لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه / وأبيه ، التمس لذلك ما شئت من علة ، فهذا لا يعنينى ، وإنما الذى يعنينى ، ويجب أن يعينك ، هو أن شعور الصبى بهذه الضعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأذنين ، قد كان العنصر الأول الذى أثر فى شخصية المتنبي » = ثم انظر إلى قوله : « لماذا احتاج المؤرخون أن يتحدثوا عن أبيه ، وعجزوا (أو لم يريدوا) أن يتحدثوا عن أمه !! » = ثم انظر إلى هذه الصلة الفاجرة التى يعينها الدكتور بقوله : إن سرّاً من الأسرار « يكتنف حياة أبى الطيب ويحيط بأسرته ، ويستر عناً حقيقة الصلة التى كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتى كانت بين الحسين السقاء وهذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتى اقتضت أن تُهمل أم المتنبي إهمالاً تاماً » .

ألا إن أم المتنبي لم تُهمل إهمالاً تاماً لسرّ من الأسرار ، بل شأنها شأن غيرها من أمهات الشعراء والرجال الذين لا نعرف عن أمهاتهم شيئاً وهم السواد ، وقلّ أن يكون قد ذُكر من أمرهن شيء فى كتب التراجم .

إن عادة الدكتور أن يعمد إلى الأصل الفاسد الذى بينى عليه كلامه ، فيطيل فى ذكره والتنبية إليه بشبّه لا حقيقة لها ، ثم يدير الكلام من هنا ومن هنا ، ويحتال فى الإكثار والإطالة ، متلبساً بالهدوء والوقار ، ملوّحاً بالمنطق ، مخادعاً بالفكر ، ليتوهم من لا يدرك حقيقة هذا الأصل الفاسد الذى يعتمد عليه ، أن الرجل قد أتى بشيء ، وأنه قد فكّر ، وأنه قد علم ثم أخيراً أنه قد أجاد وأحسن ! وما به شيء من ذلك .

وأنت إذا رجعت إلى هذا الفصل بعد الذى بيناه من أن صمت ديوان / أبى ٦٦/٢ الطيب عن أمه ، وصمت المؤرخين عن ذكرها ، أمر لا غبار عليه = عرفت أن هذا الفصل وحل كله ، وليس فيه من جهد الفكر إلا جهد الاحتيال وإرادة التلبيس والتّمويه على البسطاء ، ومن لم يدرس على أصل حكيم مقرر ، ومن لا يقف على المعانى والأغراض وقوف المتثبت .

ولا نحب أن نقف طويلاً عند إبطال هذه الأباطيل ، فإن أمرها بين ظاهر . وقد تكلمنا فى الكلمة السالفة عن المعنى الذى أراه الدكتور طه فجمع له كل هذا الغناء من الألفاظ والمعانى والآراء والأفكار ، ليقول إن المتنبي « لا يعرف أباه » و « لا يعرف أمه » ، وليقول إن « مولد » المتنبي كان شاذاً ، ثم يفعل ذلك ليوقع فى نفس القارئ أن هذا الرجل كان ولدًا لغير رشدة بين رجل وامرأة من الناس لا يعرفهما ، وينكر من أمرهما ما كان . واللهم إنا نعوذ بك من فضوح الدنيا وفُضُوح الآخرة ! فهذه فضيحة عقلية « كبرى » ، لا يرضاها لنفسه إلا من تبع هواه ، وانقاد لغرائزه ، وأعطى السلم لصاحب الأمر والنهى فى شهوات متبعية .

ثم يريد الدكتور تغطية هذا الفصل التّغل المعين برأى جديد !! (التّغل : تتّقب الجلد من سوء الدّباغ . ومعينون : ظاهر الفساد تراه العين) ، وهو أن المتنبي « عربى » ! فمن الذى شك ، يا سيدى ، فى عربية المتنبي ، وهل فى الأرض أحدٌ تكلم فى هذا ، أو خاض فيه ، أو عرّض له ؟ وأى شيء يحمل مؤلفاً على أن يملأ ست صفحات من كتابه (من ص : ١٩ - ٢٥) بكلام لا وزن له ، ولا غناء فيه ، ولا معنى يُراد له ؟ ويتعالم على الناس فيقول : / « ونحن إذا انتهينا إلى (قرارة الأشياء) لا نكاد نشك فى أن المتنبي قد ٦٧/٢ كان (عربياً) » !! وقد أنصف الدكتور إذ وقع له لفظ (القرارة) فى هذا الرأى ، فإنه شيء ساقط حقاً لا يأتى إلّا من القَرار . ولماذا يدور لسانه بما يملأ صفحتين على هذا النمط : « إنما أفهم الشك فى عربيّة المتنبي ، لو أن المؤرخين روّوا له نسباً معروفاً أو قريباً من المعروف فى أمة غير عربية ، وأنه قد جحد هذا النسب وتبرأ منه ، واصطنع لنفسه نسباً

عربياً » ، ص : ٢٤ ، « ولكنى لا أفهم الشك في عربية المتنبي ما دامت القرائن لا تنسبه إلى أمة أعجمية » ، ص : ٢٥ ؟؟

ولكن ، أيدرى القراء من أين أخذ الدكتور العبقري هذا المعنى فأفاض فيه للَّجَاجَة لا للغرض ؟ فاعلم يا سيدى أن الأستاذ الجليل المفكر العاقل عبد الوهاب عزام حين تكلم عن نسب أبى الطيب الذى يذكره الرواة قال فى ص : ٣٤ : « ولكننا إذا رجعنا إلى الحقائق ، وتطلبنا الأدلة القاطعة ، لم نجد فى شعر أبى الطيب ما يدلنا دلالة صريحة على أن الرجل يَمَانٍ أو مُضَرِّىٌّ ، أو ما ينبىء بعشيرة أو قبيلة » ، ثم ذكر ثلاثة أدلة على خُمول نسب أبى الطيب ، ثم قال بعدها فى ص : ٣٥ : « ومهما يكن ، فلا ريب أن شاعرنا كان (عربياً قحاً) ، فلا يعيبه أن كان من بيت فقير ، وكفاه أن كان كما قال القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا

/ « فالرجوع إلى الحقائق » ، فى كلام عزام انحط فى كلام الدكتور إلى « قرارة الأشياء » ، وكلام عزام فى أن الفقر لا يحط من قيمة الرجل العربى ، اقتطع منه أن المتنبي « عربى » . وتوهم الدكتور أن ثمة مَنْ شَكَّ فى نسب المتنبي ، أو من سَيَّشَكَ فيه لقول عزام : « فلا ريب أن شاعرنا كان عربياً قحاً » ، ثم نفخ الدكتور فى الكلمة الواحدة من روحه حتى بلغت ست صفحات من فصل هو ست عشرة صفحة فهل يملك القارئ بعد ذلك شيئاً إلا العجب ، ثم الضحك ، ثم إسناد كُفِّه إلى حشاه من الإفراط فى هذا الضحك ؟

ومن عجيب أمر الدكتور طه ، وهو الرجل العبقري الحاذق ، أنه إذا كتب أراد أن يتظرف فى كلامه ، فيأتى من ظرفه كلام كقطع الليل المظلم . يقول فى ص : ١٩ : « ومن الإنصاف أن نلاحظ أن المتنبي لم يكن يقدر فى أكبر الظن ، أننا سنتشكك فى نسبه ، وسنلتبس (وَجْه الحق) بعد أن يموت بألف سنة . ولو أنه قدر شيئاً من ذلك ، لأمكن

أن يحتاط له بعض الاحتياط ! ومن يَدْرِى ؟ لعله كان يزدرى شكنا ، كما كان يزدرى كَيْد المعاصرين ، ولعله كان يُجِيننا بكل ما أجا بهم به حين قال :

أنا ابنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أبا الـ باحث ، والتَّجَلُّ بَعْضُ مَنْ تَجَلَّه
وإنَّما يذكُرُ الجدودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَلُوا حِيلَهُ

وأنت ظريف ، ظريف جدًا يا سيدى الدكتور ، حين تتوهم أن المتنبي لو عرف أنك ستلتبس (قفا الباطل) الذى تسميه (وجه الحق) ، وقدَّر / موقفه منك (لأمكن ٦٩/٢ أن يحتاط له بعض الاحتياط) !! آلمُتَنَّبِىَّ يحتاط لك !! وهو الذى وقف لهؤلاء المعاصرين الكائدين له فى حضرة سيف الدولة ، ويخاطب سيف الدولة فيقول :

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا (عَيْنًا) فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ، أَنَا الثَّرِيَّا ، وَذَاكَ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ

آلمُتَنَّبِىَّ الذى استعلَى على الملوك والسلاطين والخلفاء فى عهده !! ورمى فى وجوههم بهذا القول :

وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ (مَقْتُهَا) وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ
وَأَنْتِ رَأَيْتِ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا وَأَجْمَلَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كَثْرُ

يحتاط من أجلك أنت خوفًا وفرقًا ؟

آه لو علم الدكتور أسرار الألفاظ التى يستعملها الرجل فى شعره ، إذن لتوصَّل إلى فقه نفسية المتنبي ودراستها ، ولأخلد بكلامه هذا إلى الأرض ، ودسَّه فى التراب ، وغَيَّبه وستره عن الناس .

وآلمُتَنَّبِىَّ يقول لك : « أنا ابنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أبا الباحث » !

كلًا يا سيدى ، فتمَّة أن المتنبي قال لكبير كُتَّاب سيف الدولة أبى الفرج السامري :
السامري :

أَسَامَرِيٌّ ضُحْكَمَةً كُلَّ رَأْيٍ فَطِنْتُ ، وَكُنْتُ أُغْنِي الْأَغْيَاءَ
صَعُرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ : أَهْجَى ! كَأَنَّكَ مَا صَعُرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ !
/ وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ ، وَلَا جَرَيْتُ سَيْفِي فِي هَبَاءِ

٧٠/٢

هذه نفس المتنبي تطلُّ علينا من شعره ، لا من خفة روح الدكتور طه .

وأنا قد أثبت هذه الكلمات وأثبت كلام المتنبي ، ليعرف القارئ أن الدكتور الذى يدعى أنه يؤلف عن المتنبي ، ويقول فى آخر كتابه ص : ٧٠٦ : « فما أكثر ما بقى فى نفسى من المتنبي » ، يجهل كلَّ الجهل نفسية المتنبي ! وإن كلمة واحدة فى كلام مؤلف ، لتدلُّ أكبر الدلالة على صدقه أو كذبه فيما يدعى . وليس كذلك الخطأ ، فإن الخطأ بسبيل أخرى غير التغلغل فى نفس الشاعر الذى تكتب عنه ، والإحاطة بآرائه وعواطفه ، وما يحتمل أن يصدر منه وما لا يحتمل . فهذه الكلمات التى قالها الدكتور ، هى الدليل على أنه « لم يعرف المتنبي » كما لم « يعرف المتنبي أباه وأمه » ! ولشدَّ ما عجبْتُ من هذا « الاحتياط » الذى أراده الدكتور من المتنبي . وكلما قرأت ذلك أو مثله فى كتاب « مع المتنبي » تمثل لى أبو الطيب وهو يُنشد :

وَمَنْ جَهِلْتُ نَفْسَهُ قَدَرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وللسبب المقبل تمة نقد هذا الفصل ، وإظهار شيء من سائر عيوبه وما أخذه ،

والله المستعان !!

- ٥ -

/ رأيت في الكلمة السالفة وما قبلها أن الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك ٧١/٢
 = عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ومؤلف كتاب « مع المتنبي » حالاً ، ومؤلف
 كتاب « في الشعر الجاهلي » سابقاً = أراد أن يشك في نسب المتنبي الذى رواه الرواة ،
 فشك على غير بينة أتى بها ، ولا لنقد « اصططنعه » ، ولا لعلّة توقّف فيها ونظر إليها ،
 ولا لأصل من علم الرواية أحاط به ، ولا لضرورة ملجئة لهذا الشك تحمله على تفسير
 شعر المتنبي وتحليله على حقيقة يهتدى إليها ، أو فرضي يَنْصِب نفسه للجدال فيه بالحجة
 والبيان والتصريف .

ثم انطلق بهم في خياله إذ يزعم أن المتنبي « كان لا يعرف أباه ولا أمه » ، لأنه لم
 يذكرهما في شعره ، وأنه كان لا يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه
 وأبيه ، لأن « مولده » كان شاذاً . ونعوذ بالله من خطرات السوء ، ومن قذف أعراض
 الناس بالأباطيل والأوهام ، فما في الدنيا شرٌّ من حديث الإفك وتعاطي « التظرف »
 بإسقاط المروءات .

/ وأما هذه الكلمة فهي في إظهار سائر فساد هذا الفصل الثانى من كتاب ٧٢/٢
 الدكتور ، وبيان مغالطاته وتناقضه ، وسوء ما يكون فيه من الرأى والتأويل والتخيل
 القاسد .

وأوّل ذلك أنه كان بمصرَ شريف من ولد العباس يعرف بأبى جعفر الشُّقّ ،
 فدخل عليه يوماً كاتبه أبو الحسين ، فوجده يبكى بكاءً شديداً ويقول : وأنقصام

ظهوره ، واهلاكاه ! فقال له : ما للشريف ، لا أبكى الله عينيه ؟ فقال : ماتت الكبيرة = يريد أمه ، وكان بها باراً . فقال الكاتب : ماتت ؟ قال : نعم ! فشقَّ الكاتب جيبه ، وأظهر من الجَزَع ما يجب لمثله . ثم ما لبث أن أنكر الأمر إذ لم يجد دليلاً : لا أَحَد يعزِّيه ، ولا في الدار حركة ، فما هو إلا أن أتت الخادمة فقالت للشريف : الكبيرة = تعنى أمه = تقرئك السلام وتقول : إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولى لها : ومتى أكلت قطُّ بغير شهوتك ! فابتدر الكاتب يقول له : يا سيدى ، الكبيرة فى الحياة !! فقال : وإيش تُظنُّ أنها ماتت من حقِّى ، إنما رأيت البارحة فى المنام كأنها راكبة على حميرٍ مصرى تسقيه من النيل ، فذكرت قول الشاعر :

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأَمِّ عَمْرٍو فَلَا رَجَعْتَ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ

وكذلك الدكتور طه حسين بك ، توهم بغير بينة أن المتنبي (لا يعرف أباه) ، ثم توهم أيضاً (أنه لا يعرف أمه) ، وجعل كلام أحلامه حقيقة يستنبط منها حقائق فى الفصلين الأولين من كتابه ، ثم يُفَيِّق فى سائر الكتاب / من تفسير هذه الأحلام ويتنزَّع عنها . ولكن قبل ذلك يحلُم مرة أخرى فى شأن جدته فيقول : « وكل ما نعرفه نحن أن جدته قد عطفَت عليه ، وهذه السيدة التى قتلها حب حفيدها فيما يقال وكما سترى (لا نعرفُ لها اسماً ولا أباً) ، وإنَّما نعرف أن بعض الرواة كانوا يقولون إنها همدانية صحيحة النسب ، وأنها كانت من صوالم نساء الكوفة ، وهذا كل ما نعرفه عنها التاريخ . وهو كذلك كلُّ ما نعرفه عنها ديوان المتنبي . أستغفر الله ، فديوان المتنبي لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور ، وصاغته الكبرياء ، ووضعه جموحُ الشاعر فى غير موضعه من الرثاء وهو قوله :

ولو لم تكُونى بنتُ أكرم والدٍ لكان أباك الضَّخَمَ كوثُك لي أُمَّا

فأقل ما فى هذا البيت أن المتنبي يذكر لنا أن جدته قد كانت بنت أكرم والد ، ولكنها لم تكن محتاجة إلى هذا النسب لأنه حفيدها ، ولكن المتنبي لم يذكر لنا شيئاً عن

هذا الوالد الذى كان أكرم الناس » ، انتهى بنصه من ص : ١٨ ، ١٩ . ورحم الله من قال : « عيى الصمت خير من عيى المنطق » !

...

وما أدرى والله من أى أمور هذا الرجل أعجب ؟ أمن أوهامه ؟ أم / من استخراجها ٧٤/٢
(الحقائق) من أوهامه ؟ أم من توهمه أن هذا البيت من كلام المتنبي يشكك في نسب جدته ؟ أم من هذا الشرح العجيب الذى علق به على البيت ؟ وقد بينا في الكلمات السالفة هذه الأوهام العجيبة التى طافت برأس الدكتور الجليل ، وكشفت عن فضوح الرأى التى استخرجها من هذه الأوهام ، ووصفها بأنها (حقيقة لا تقبل الشك) . وبقي هذا البلاء العريض الذى ابتلينا به في فهم الشعر ممن لا يحسن فهمه ، ولا يتنصر مواقع الألفاظ من المعانى . فالنحاة (يزعمون) أن « لو » حرف امتناع لوجود ، فيقولون في التمثيل : (لو لم تكن جاهلاً لفهمت) أى (وجود) (الجهل) (منع) (الفهم) ، فهذا تقرير للجهل لا تشكيك فيه . وهذه مسألة بينة واضحة وضوح الصبح لدى عيين . فكذلك المتنبي ، يقرر أن جدته بنت أكرم والد ، فوجود هذا الوالد الكريم هو الذى منع أن يكون (والدها الضخم كونها أمه) ، فهذا تقرير لكريم عنصرها من جهة ، وفخر بنفسه من الجهة الأخرى ، فلذلك قال في البيت الذى يليه :

لَيْنَ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمَهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنفِهِمْ رَغْمًا

ثم انساق بعد ذلك يفخر بنفسه ويصفها بالجلال والحرية والشجاعة والمكارم فأين (بعض التشكيك) الذى خوَّض فيه هذا الرجل الحاذق الفطن المتكلم ؟! ... وليس هذا فحسب ، فثمَّ السؤاَة الأخرى في شرحه حيث يقول الدكتور الجليل : « فأقل ما في هذا البيت أن المتنبي يذكر لنا أن جدته قد كانت بنت أكرم والد » ، فهل في القراء من يستطيع أن يفهم / معنى قوله (فأقل ما في هذا البيت ...) ؟ ٧٥/٢
وأين الباقي الأكثر يا سيدى الدكتور وما هو ؟ لقد كان أولى بك أن تقول : « فكل ما في

هذا البيت » لأن المتنبى يقرر أنها بنت أكرم والد ، وأن هذا قد منع ما وراء ذلك من قوله : « لكان أباك الضخم كونك لى أما » . وهذا من حيل الدكتور طه فى التعبير للإيهام والتلبس ، وخلط الباطل بالحق حتى يفسد فى نظر من لا يتدبر .

ثم يقول الدكتور بعقب ذلك : « ولكنها ، يعنى جدة المتنبى ، لم تكن محتاجة إلى هذا النسب لأنه حفيدها » .

فهل يفهم أحد من الناس = ولو كان من الجهال = هذا الذى قاله الدكتور ؟ وهل يستطيع أن يستخرج المعنى الذى ذكره الدكتور العبرى من ألفاظ هذا الشعر ؟ هل قال المتنبى لجده : إنك غير محتاجة إلى هذا الوالد الكريم لأنى حفيدك ؟ يا سيدى الدكتور طه « هل تتكرم فتسمح لى أن أقول لك مرة أخرى ، وما بين الأولى والآخرة إلا (فَرَكَةُ كَعْب) : إن النحاة يزعمون أن (لو) هذه التى استعملها المتنبى فى أول البيت هى حرف امتناع لوجود ، وأن (وجود) الأب الكريم (منع) أن يكون حفيدها المتنبى هو أباه الضخم ؟ فأين هذا يا سيدى من الخلط الذى تقوله من أنها (لم تكن محتاجة إلى النسب لأنه حفيدها) ؟

...

/ ثم ما هذا التعسف يا مولانا الجليل ؟ وما هذا التحكم فى السنة من مات من الشعراء ؟ ثم ما هذه السيطرة التى حَبَاكَ الله بها على عبادته ؟ ثم ما هذا السلطان الذى مُلْكْتُهُ على ما يجب أن يُقال وما لا يجب ؟ ومن الذى خَوَّلَكَ الحق فى أن تقول بعقب هذا القُثَاء : « ولكن المتنبى لم يذكر لنا شيئاً عن هذا الوالد الذى كان أكرم الناس » ؟ لماذا يذكر المتنبى ذلك ؟ وأئى ضرورة فى الشعر تقتضيه أن يثبت لك فيه اسم هذا الوالد ونسبه وصفته وطوله وعرضه ؟ وهل كان جميلاً أو دميماً ؟ وهل هو أزرق الحدة أم أسودها ؟ وهل هو أعمى أم مبصر ؟ وهل كان أفتى الأنف أم أفطس ؟ أئذا لم يذكر لك المتنبى شيئاً عن والد جدته ، نصبت له نفسك فى مكان مُنْكَرٍ وتكبر تحاسبه على

الصغيرة والكبيرة حتى تبلغ ما تريد من الشك في نسبه وقذفه في أمه وأبيه ، وأنه لا يعرفهما ولا يستطيع أن يجهر بذكرهما !! وأن ثمة صلة بين الحسين السقاء وهذه الجدة (آقتضت أن تُهمل أم المتنبي إهمالاً تاماً) ؟ ومن الإنصاف ، كما يقول الدكتور ، أن نلاحظ أن المتنبي لو كشف له غيب الأيام وعرف أن مثلك سيتشكك في أمره ، ويبلغ هذا المبلغ الذى بلغت ، متعسفاً متحكما متهجمًا ، وأن مثل هذا القول سيجد أذنًا تصغى إليه وتسمع له ، لجمع شعره فأحرقه ، ولضرب الناس على روايته وهو يقول : « اتق الصبيان لا تُصيبك بأعقائها » ، أو كما قال المثل . (الأعماء جمع عقى : وهو ما يخرج من بطن الصبي حين يولد قبل أن يطعم ، والعقى أسود لزج كالغراء) .

فهذا كما ترى استنطاق للشاعر بما لم يقل به ، وتلفيق على فهم القراء / بالمقدمات ٧٧/٢ الفاسدة ، وهوى غالب على فكر مضطرب ، وسوء فهم للشعر ليس بعده سوء ولا فساد ، وتعسف بغیض ، وتحكم غليظ ثقيل ، بغير ضرورة موجبة ، ولا معنى مستور يراد له التوضيح والبيان وهذا كما ترى أدب الدكتور الجليل طه حسين بك وفقهه في العربية ومعاني ألفاظها ، وكرسى الجامعة من وراء ذلك كله يعينه ، فكأنه روح القدس !!

...

وأعجب العجب ، والصيام في رجب ، ما سنذكره لك من المثل المنصوب في كتاب الدكتور طه للتناقض أولاً ، ولسوء الفهم ثانياً ، وللتعسف البغيض الغليظ ثالثاً ، إذ يتخيل الدكتور أنه وحده الذى له حق النظر والاستنباط والحكم ووضع النتائج من شعر المتنبي ، وأنه ليس لغيره مثل الذى له من ذلك . يقول : « وإذا كان الكائدون للمتنبي من معاصريه قد عجزوا عن أن ينفروه ويُنفدوا حيله ، ويضطروه إلى أن يذكر لهم آباءه وأجداده ، فإن الباحثين المعاصرين لنا أعجز من أولئك الكائدين . فليس بين هؤلاء المعاصرين الباحثين وبين المتنبي منافسة ولا خصومة » ، وليس هؤلاء الباحثون

المعاصرون من العلم بأمر المتنبي ودخيلته بحيث كان خصومه ومنافسوه في القرن الرابع . فليس هناك شك في أن الذين عاصروا المتنبي وخصموه ، كانوا يعرفون من سيرته ومن أمره جملة أكثر جداً مما نعرف ، لأننا لا نعرف شيئاً ، أو لا نكاد نعرف شيئاً ... » ، ص : ٢٠ .

وأول ما في هذه العبارة أنه قد أراد بها الرد على رجل واحد ، لا على / (هؤلاء المعاصرين الباحثين) ، وهذا الرجل الواحد هو (محمود شاكر) الذى شك في النسب الذى رواه الرواة ، وزعم أن المتنبي كان علويًا . فما من أحد غيره حاول أن يعرف حقيقة الأمر في نسب المتنبي . وكتان هذا الرجل المؤلف آسمى وذكرى لا يجدى عليه شيئاً ، ولا ينقصنى . بل إن جعله المعاصر الواحد والباحث الواحد « معاصرين وباحثين جملة » ، دليل على أنه متخلف عاجز عن الفكر فى القول الذى يريد أن يردّه بهذه الكلمات . وأنا أشهد ، والدكتور الجليل يشهد معى ، أنه أعجزُ الناس عن التقد ، ثم أبلغهم عجزاً عن نقدي أنا خاصة وسيرى القارئ أمثلة كثيرة من هذا العجز ، حين أراد أن يتعرض للذكرى فى كتابه بالتلميح لا بالتصريح ، حتى بلغ من عجزه أنه كان يعتمد على النص الذى اعتمد عليه فى استنباط رأى ، فيهمل النص ويرويه فى ألفاظ من عنده ملفقة ، حتى يفسد معناه الذى هو له . ومع ذلك فلا يتحرج ولا يتذم من أن يشير فى أسفل الصحيفة إلى الكتاب الذى نقل عنه بالجزء والصحيفة !!

٧٨/٢

ودع هذا ، فإذا كان هؤلاء المعاصرون الباحثون عاجزين عن إدراك حقيقة القول فى نسب المتنبي للعِلل التى ذكرها ، فلماذا لم يكن هو من جملة هؤلاء الباحثين المعاصرين ؟ ولماذا يكتب إذن عن نسب الرجل حتى يرميه بالداء القبيح فى عرض أمه وأبيه ؟ وكيف يبيح لنفسه أن يقول أنه اقتنع بأن (مَوْلَد) المتنبي كان شاذاً ؟ إلى آخر هذا السخف الذى عرضناه ! أترى هذا الدكتور ليس من المعاصرين ؟ أتراه يلى على غلامه هذه الفصول وهو / مِنْ وَرَاءِ حُلُودِ الدُّنْيَا فى بحبوحة الآخرة ؟

٧٩/٢

وإذا كان هذا الرجل يعترف بأنه لا يعرف عن المتنبي شيئاً أو لا يكاد يعرف شيئاً !! فما عَنَاءُ هذا الكتاب الذى كتبه ؟ وعلى أى شيء اعتمد ؟ ومن أخذ ؟ وكيف استوحى ؟ ألا إن فى الكلام ما يسمى (فاسداً) كما قالوا - وعندى أنا أن فى الكلام ما لا يستحق أن يسمى (فاسداً) ، لأن هذا اللفظ لا يستغرق كل معانى الفساد الذى يكون فيه . ألا ترى ذلك يا سيدى الدكتور ؟ فإن لم تكن تراه ، أفلا تراه أنت يا سيدى القارىء ؟ بلى وَرَبُّ الذى قال (ﷺ) : « الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار » .

...

ومن أعجب السخف وأغربه وأعرقه نسباً فى الأباطيل ، ما عرض له الدكتور فى ص : ٢٣ ، ٢٤ إذ يقول : « وقد أنبأنا المتنبي برأيه هذا (يعنى عربيته !!) فى نفسه حين قال :

لا يَقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي ، وَبَنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِمَجْدُودِي
وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلَّ مَنْ تَطَلَّقَ الضَّأَّ دَ ، وَعَوَّذُ الْجَانِي ، وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

فهذا البيت الثانى صريح فى أن المتنبي كان يعلن إلى الناس أنه لا يَشْرُفُ بقومه وإنما يَشْرُفُ به قومه ، وأنه يفخر بنفسه لا بأجداده ، وإن كان قومه فخر العرب ومجتمع خلاهم وخصالهم » . ولا يفوتك أن تسمع / لهذا العبقري حين يقول إن البيت الثانى ٨٠/٢ صريح « فى كذا وكذا » - وعَلِمَ الله أن هذا الصريح الذى أتى به فى كلامه هو البيتان جميعاً ، وليس بيتاً واحداً !! ثم يقول فى إثر ذلك : « فما الذى يمنعنا أن نصدق المتنبي ، ونرى معه أنه كان عربياً قحطانياً ، لا شيء إلا أنه لم يحفظ نسبه ، ولم يحفظه له المؤرخون ، فأمره فى ذلك أمر الكثرة التى لا تحصى من العرب القدماء والحديثين الذين أضاعوا أنسابهم (تأمل هذا جيداً) ، أفنجد عريبتهم لأنهم قد أضاعوا هذه الأنساب ؟ وما يمنعنا إذن أن نجد إنسانية الناس ، لأنهم لم يحفظوا أنسابهم إلى الإنسان الأول ، أو إلى الأناسي الأولين » ، ووقفت العبقريّة فى ص : ٢٤ .

فأنت ترى أن هذا الرجل يزعم لك أن المتنبي في هذين البيتين يرى (أنه عربى قحطائى) ، ولم يقل المتنبي ذلك كما ترى ، بل قال : « وبهم فخر كل من نطق الضاد » ، والقحطانيون والعدنانيون كلاهما ينطق الضاد ، والإجماع على أن « فخر من نطق الضاد » ، وهم العرب ، هم قريش من عدنان ، فأين المرجح الذى جعل الدكتور يستخرج من كلام المتنبي أنه كان يرى (أنه عربى قحطائى) في هذا البيت ؟ وأين الدليل على أن « فخر من نطق الضاد » هم قحطانيون لا عدنانيون يا سيدى الدكتور ؟ أفترى لماذا أتى هذا الرجل بهذه الكلمات ، وبهذا التأويل الفاسد ، وبهذا التعسف الغليظ ، وبتحميل البيت ما لا يتحمل من المعانى والأغراض ؟ إذن فأعلم أنه ما أتى بذلك إلا ليعارض هذا المسئى (محمود شاكر) ، لأنه هو الذى قال / في كتابه أن « فخر من نطق الضاد » ، هم - ولا شك - أبناء على رضى الله عنه وفاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ . وجعل ذلك من الأدلة على (علوية) أى الطيب في باب النسب .

٨١/٢

وأكثر من ذلك أن الرجل حين غلى صدره بهذا الغشاء الذى يَقْدِف الناس به ليرد على قولى في (علوية) أى الطيب ، ناقض نفسه ، وأتى بالدليل على اضطراب فكره ، وقلة تبصره ، وسرعة تهجمه على الحق والباطل ، برأى ضعيف وإدراك واهن . فهو حين شك في نسب أم المتنبي وأبيه ، وقذفهما بالكبيرة الفاجرة ، حصل من الأدلة على ذلك أن المتنبي لم يذكر لنا نسبه ولا نسب أمه ولا جدته ، ولا ذكر المؤرخون شيئاً من ذلك ، فأنتهى إلى الرأى الذى قال به : من أن المتنبي (لا يعرف أباه ولا أمه) ، أو أنه لقيط لغير رِشْدَةٍ . ولكنه في هذا المكان لا يرى أن هذا الإغفال للنسب مما يمنعنا من القول بأن المتنبي (عربى قحطائى) ، وجعل أمره في ذلك أمر « الكثرة التى لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم » . فلماذا ، أيُّ هذا العبقري ، لم تجعل أمره في معرفة (أبيه وأمه) ، أمر هذه الكثرة التى لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم وأضاعوها المؤرخون ؟ بل عمدت إلى القذف في عرض الرجل ، ولم تتق الله ، ولم تحفظ على نفسك شمائل أصحاب المروءة والحياء والستر ؟ أم تُرَاك تزعم أيضاً في

إحدى بدوّاتك أن هذه (الكترة التى لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم) ، هى كثرة من الناس لا تعرف آباءها ولا أمهاتها ، وأنها ولدت لِعَيَّة من غرور الشيطان وتسويله وتزيينه !!

/ وليس هذا فحسب ، بل أنظر إلى هذا الرجل إذ يأتى للتدليل على هذا الذى ٨٢/٢
قال بقوله : « وما يمنعا إذن أن نجحد إنسانية الناس ، لأنهم لم يحفظوا أنسابهم إلى الإنسان الأوّل ، أو إلى الأناسيّ الأوّلين ؟ » .
أين هذا من ذاك أيها الرجل ؟ أتجعل الانتساب إلى قبيلة بعينها أو إلى رجل بعينه ، كالانتساب إلى جنس الإنسان ؟

اسمع ، يا سيدى الدكتور ، إنك لرجل كثير المغالطة ، شديد اللدد ، غير مستقيم الرأى ، مضطرب الفكر ، متخلف النّظر ، فإن الشرط فى أن تكون عربياً هو أن تكون متحدراً من سلالات عربية رجلاً رجلاً . هذا هو الأصل . وأما أن تكون إنساناً ، فقد قال المناطقة فى تعريفه أنه « هو الحيوان الناطق » الذى يمشى على آثنين لا على أربع ، وبذلك يمتاز الإنسان ، وليس يُشترط فى إثبات إنسانيته أن يكون حافظاً لنسبه إلى الإنسان الأوّل أو الأناسيّ الأوّلين !! فإذا تكلمت بكلام المنطق فلتنظر نَظَر المنطق ، وإلا فالعيبى والسكوت خير كلّهُ ، وقد قالوا ، أو رحم الله من قالوا : « عيبى الصمت خير من عيبى النطق » ، فوالله إن هذه الأقوال التى تأتينا بها لتفضح أمة بأسرها ، لا رجلاً واحداً .

ومن ظريف تخليط الدكتور الجليل أنه يقول فى معرض حديثه عن اللغو الجميل فى عربية المتنبي : « ولكنى لا أفهم الشك فى عربية المتنبي ، ما دامت القرائن لا تنسبه إلى أمّه أعجمية ، وما دام خصومه على كثرتهم وشدة بأسهم لم يفعلوا ذلك ، وما دام هو ينبئنا أنه عربى صريح » ، ص : ٥٢ . فالقرائن وصمت الخصوم = فى منطق الدكتور ، وفى هذا الموضوع خاصة = / هو مما لا يجعله يشك أو يقارِفُ الشك على الأصح ، ولكنه حين دفعته طبيعته وغريزته إلى ذكر السوءات فى صلة والد المتنبي بأمه ، وصلته بجَدّته ، وصلة المتنبي بهم جميعاً ، لم يَقم للقرائن ولا لصمت الخصوم وزناً ، ولم يحفل بهم ، بل جعل

هذه القرائن نفسها ، وهذا الصمت نفسه ، دافعاً من دوافع الشك ، وسبباً من أسبابه ،
ودليلاً على رأى الفاجر الذى اعتمده وامتدّ فيه واستطال ، فأطلق لسانه فى عرض
الرجل وأمه وأبيه وجدته .

...

وقد أردنا الإطالة والتكرار فى هذا الفصل من كلامنا خاصة ، لنكشف للقراء عن
هذه الفوضى العقلية ، وهذا الاضطراب الفاسد المفسد ، وعن التعسف القبيح والسيطرة
الباغية ، وعن ثقل النفس التى يُعْذُّها من يجهل ظَرْفًا ونظْرًا ، وعن البذاء الذى لا ينتهى
أبدأ إلى غاية يقف عندها وقفة المتحرّج ، وعن سوء الفهم للشعر وقلة البصّر به ، وعن
تحميل الألفاظ العربية ما لا تحتل من المعانى ، وعن فساد الاستنباط الذى « يصطنع »
صاحبه الهوى ، والتهجم على غير هدى ولا بيان = وما نفعل ذلك إلا لنؤدّي أمانة الله
التي حُمِّلناها بقول رسول الله ﷺ : « يَحْمِلُ هذا العلم من كل خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ
عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . وقد رأينا من شباب هذا
الجيل مَنْ أخذ يقول فى العلم عن هذه الأصول الفاسدة من التعسف والتهجم والانطلاق
إثر الغرائز الدنيا ، وهؤلاء هم الذين يتعبّدون بذكر الدكتور الجليل طه حسين بك ومَنْ
لَفَّ لَفَّهُ ، فتقاذفهم هذه العبادة بتزكية من الدكتور طه حسين إلى الصحف والمجلات
والمطابع ، فرَمَوْا فى / وجوه الناس بالعتّ البارد الغليظ من الفهم والظرف والأدب ، حتى
اختلط على الناس الأمر ، فكروهوا الأدب واستنقصوا أهله ، واستسقطوهم واسترذلوهم ،
وبادروا إليهم بالمهانة والمذمة ، ثم انتهوا إلى الإعراض عنهم وإغفالهم ، فضاع المُجيد وهو
قليل ، فى هذا الغبار الثقيل الذى ثار فملاً الجوّ ، وأعمى الأعين ، وتحوّل فى الأنوف إلى
مثل السّدادة من الجيفة المتعفنة .

...

- ٦ -

/ لا يَهُولُكَ ، أيها القارئ الكريم ، ما ترى من ضَخامة بعض هؤلاء الفلاسفة ٨٥/٢
الذين يملأون الأوراق والمجالس وقاعات المحاضرة بالثرثرة والإفاضة والتطويل ، فكثيرُ
ذلك لَغَوٍّ وَعَبَثٍ وَعُذْوَانٍ على جهود الوادعين المتواضعين الساكنين ، وإنما هم قوم
حَشَوْهُمُ أَلْقَابَ لها رَنِينٌ وصوتٌ وصَدَى تتجاوب فيه الأصدااء ، وإنما هم قوم
يتصدَّقون على القراء بالذى يستلبونه من قول الناس وآرائهم وفنونهم كالذى
زعموا من أن أبى لىلى كان يساير رجلاً من وجوه أهل الشام ، ^(١) فمرّاً بحمال معه
رُمانة ، فتناول هذا الشامى رمانةً فأخفاها في كُمِّه ، فعجب ابن أبى لىلى من ذلك
واستكبره ، ثم رجع إلى نفسه وكذَّب عينيه ، حتى مرَّ بهما سائلٌ فقيرٌ ، فأخرج
الشامى الرمانة من كُمِّه فناوله إياها ، فقال له ابن أبى لىلى : قد فعلت عَجَباً ! قال
الشامى : وما هو ؟ قال : رأيتك أخذت رمانة من حِمَالٍ وأعطيتها سائلاً . قال
الشامى : وإنك ممن يقول هذا القول ؟! أما علمت أنى أخذتها سيئةً ، وأعطيتها
فكانت عَشْرَ حسَنات ! فقال ابن أبى لىلى : أما علمت أنك أخذتها فكانت سيئةً ،
وأعطيتها فلم تُقْبَلْ منك ؟

وكثير من هؤلاء الأدعياء من الفلاسفة يذهبون مذهبَ هذا الشامى الكبير
الوجيه ، فيعتقدون في أنفسهم أن لهم حقَّ السَّطو على مجهود الناس ، / وأنهم حين
٨٦/٢ يُعطون الناس ما أخذوه ، يزيدونه من أسمائهم سُمُوءاً ، ويمنحونه من جاههم جاهاً ،

(٥) نشرت في جريدة البلاغ ، السبت ٧ من المحرم سنة ١٣٥٦/٢٠ من مارس سنة ١٩٣٧ .

(١) ابن أبى لىلى : هو عبد الرحمن بن أبى لىلى قاضى الكوفة ، كان قتيماً عالماً نبيلاً . توفى سنة ١٤٨ هـ .

ويضعون فيه سرهم وسرَّ عظمتهم ، وتراهم يجترئون على الناس ، ولا يتدَّمون من العدوان والإغارة والتبجح بادعاء الملِّك فيما لا يملكون ويُغريهم بذلك أن أكثر المنكوبين بهم هم من المستضعفين الذين يتبيَّون أن يقاضوهم ، أو أن يُغيروا عليهم فيستردُّوا أقوالهم ، وآراءهم على الرغم والممارسة والتشبث .

وقد شاء الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك ، عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، أن يؤلف كتاباً يسميه (مع المتنبي) ، ويشاء هذا الكتاب أن يسير بين صَفحات الكتب ، فيتناول ما يشاء منها بغير إذن ولا نسبة ، غير متدَّم من إثم ، ولا متحرِّج من عدوان .

وقد كشفنا فى الكلمات السابقة السالفة عن الأنحاء والآراء والأصول التى استلبها أو « اصطنعها » كتاب الدكتور طه حسين من كتابى عن المتنبي ، ومن كتاب العالم الجليل الأستاذ عبد الوهاب عزام . على أن للدكتور فى ذلك فضيلة ليست لغيره ، فإنه كان يُبدِّل ويغيِّر ، ويضع هذه الأشياء فى غير مواضعها ، متحرِّياً إخفاءها بالحيلة والجرأة ، متوخّياً أسلوب الإفاضة والثثرة الذى لزمه وانطلق فيه وامتدَّ عليه .

...

وهذا حينُ القول فى سائر ما أخذه من كتابنا فى الفصلين الثانى والثالث من كتابه من ص : ٩ إلى ص : ٣٤ ، وستترك أشياء مما كان لنا / الفضلُ فى تنبيه الدكتور إلى النظر فيها ، والوقوف عندها ، لنُدع لقارىء كتابنا وكتاب الدكتور موضعاً يُعمل فيه فكره ، ويصرِّف فيه رأيه ، و « يصطنع » أسلوب (شرلوك هولمز) فى استجلاء الغوامض ، وحُسن البصر ، وتبعية الدقائق التى تُفضى به إلى جمع الأدلة لتكوين الرأى ، ثم وضع الجانى بحيث لا يجد مساعاً للتخلُّص من الاعتراف بجنايته .

١ - يقول الدكتور الجليل فى ص : ٢٧ : « وتسألنى ، ومن حَقك أن تسألنى ، عن مظاهر هذا الغموض الذى أحاط بحياة المتنبي وعن مواطن هذا الشذوذ فلاحظْ

قبل كل شيء غموض الأمر في نسبه ، ولاحظ حُلُوَّ ديوانه من ذكر أمه وأبيه ، أو الإشارة إليهما ، ولاحظ بعد هذا وذاك ، هذا الكِذاب الذى كان يُكاد به عند أبي العشائر ، ثم لاحظ آخر الأمر أنه حين عرف شوق جدته إليه ووَجَدَ الشوق إلى لقائها ، وذهب لتنعم وينعم هو بهذا اللقاء ، لم يستطع أن يدخل الكوفة ، فذهب إلى بغداد ، وكتب إلى جدته لِتَشْخَصَ إليه .

٢ - ثم قال في ص : ٢٨ : « لماذا كاد الكائدون للمتنبى في نسبه ؟ لماذا تعمَّد الغربة عن الكوفة وألحَّ فيها ، وتجنَّب الحياة في العراق ما وسَّعَهُ هذا التجنُّب ؟ لماذا عجز » عن دخول الكوفة حين خَفَّ للقاء جدته ، فمضى إلى بغداد وطلب إلى جدته أن تشخص إليه ؟ كل هذه حقائق واقعة لا نستطيع أن نشكَّ فيها (هكذا) ، ولكننا لا نستطيع أن نعللها تعليلاً قاطعاً .

٣ - / ثم يثبت الدكتور أبياتاً من رثاء المتنبى لجدته من ص : ٢٨ - ٣١ ، ٨٨/٢ ، ويقف عند أبيات من هذه القصيدة فيستخرج منها مواضع للقول والسؤال والشبهة ، فيقول تعقيماً على هذا البيت :

طَلَبْتُ لها حظاً ففَائَتْ ، وفَائَتْنى وَقَدْ رَضِيتُ بى ، لَوْرَضِيتُ بها ، قِسْماً

« فهو قد طلب لجدته حظاً لم تدركه لأنها أسرع إلى الموت ، ولأن هذا الحظَّ أبطأ على صاحبه » ، ص : ٣١ . وأرجو أن يقف القارئ عند هذا الكلام العربى المبين من أستاذ الأدب العربى بالجامعة المصرية . فظاهرُ كلام هذا الفطن الفهامة البليغ ، يُفصح عن أن المتنبى « لم يدرك هذا الحظ » ، والسبب فى هذا الإخفاق أن جدته ماتت ، وأن الحظَّ أبطأ عليه . فليقرأ القارئ بيتَ المتنبى وشرح الدكتور الجليل ، ليعلم صدق الذى نقول به : من أن الرجل متخلف الفهم فى العربية ، مُضطرب الفكر فى المنطق ، لا بصَّر له بالشعر ، ولا طاقة له على استيعاب معانيه . وما دام الأمر كذلك ، فهو لا قدرة له على استنباط المعانى من الشعر . ودعواه فى التوقُّف عند الأبيات لربطها بمجداث حياة الرجل ، دعوى باطلة يطلها هذا التخلف فى الفهم وسوء العلم بمعانى الكلام العربى ؟!

٤ - ويقف أيضاً عند قول المتنبي :

هَبْنِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فَيْكَ مِنَ الْعَدَى فَكَيْفَ بِأَخِذِ الثَّأْرِ فَيْكَ مِنَ الْحُمَى

٨٩/٢ / فيقول معلقاً عليه : « فمن حقنا أن نسأل عن هؤلاء الأعداء من هم ، ومن عسى أن يكونوا ؟ » ، ص : ٣١ .

٥ - ويقف أيضاً ، وما أكثر وقوفه ، عند قول المتنبي :

لَيْنَ لَدَّ يَوْمِ الشَّامَتِينَ يَوْمِهَا ، لَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لَأَنْفِهِمْ رَغْمًا

فيقول فى ص : ٣٢ : « فهو يحدثنا بأن قوماً قد يسرون بموت جدته ، ويشمتون بموتها ، ولكنه يعلن إلى هؤلاء الناس أنها إن مضت ، وأعجزها الموت عن أن تكبتهم وترد كيدهم فى نحرهم ، فقد ولدته رَغْمًا لأنوفهم ، وكَبَّتْ لما فى صدورهم من الحقد والشَّتَان » .

٦ - ثم يقف أخيراً ويقول : « ولكنك تقف من هذا الوصف المألوف فى شعر المتنبي عند هذا البيت الذى لا يخلو من غرابة تدعو إلى التفكير :

تَغَرَّبَ ، لَا مُسْتَعِظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِحَالِقِهِ حُكْمًا

فهو إذن لم يتغرب عن الكوفة حُبًّا فى الغربة ، ولكن إثاراً لها ولمشقاتها وأخطارها على العافية فى الكوفة . وهو لأمرٍ ما قد آثر هذه الغربة ، وتعرض لما قد تنكشف عنه من الأخطار والأهوال » ، ص : ٣٢ - ٣٣ .

فهذه ستة مواضع من كلام هذا الدكتور الجليل من ص : ٢٧ إلى ص : ٣٣ ، كلها مأخوذة من كتابنا كما سنرى .

...

٩٠/٢ / فى الفقرة الأولى يقول إن المتنبي « لم يستطع أن يدخل الكوفة » ، وفى الثانية يسأل : « لماذا عجز المتنبي عن دخولها » ؟ ونص هذا من ديوان أبى الطيب :

« ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه ، تشكو شوقها إليه ، وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة (على حالته تلك) ، فأنحدر إلى بغداد » .

وقد جعل الدكتور الجليل (انظر ص : ٢٧) هذا النص ، على تأويله واختصاره ، دليلاً على أن « شيئاً كثيراً من الغموض قد أحاط بأسرة المتنبي » ، فليسأل القارئ ، آية صلة بين هذا وبين أسرة المتنبي ؟ وأى سبب يصل قولهم بأن المتنبي (لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك) بقول الدكتور : إن المتنبي كان (لا يعرف أباه ولا أمه) ، وأن الغموض والشذوذ كان يحيط به وبأسرته ؟ والدكتور قد ألغى ، كما ترى ، قولهم (على حالته تلك) ، وهى تقييد معنى (لم يمكنه) . وفعل الدكتور ذلك لغير سبب ولا علة ولا فرض ، وهو لم يعرض هذا النص على القارئ ولم يتكلم فيه ، فهل من أمانة العلماء أن يفعل أحدهم هذا الفعل ؟ ولكن الدكتور معذور معذور .

فقد سقت هذا النص فى كتابى [ص : ١٧٠] وقلت : « وهو نص غريب كما ترى ، وليت شعرى وشعرك ما الذى أرادوا بقولهم : (لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك) ، وهو قد أتاها قاصداً دخولها ، ورؤية جدته التى تحبه ويحبها ؟ ... ويقطع صاحبنا الأرض من أقصى / الشام إلى أسفل العراق ، ودخول الكوفة همهم ، ثم يمتنع لغير سبب مذكور ٩١/٢ أو معقول !! إذن فلا مناص من القول بأنه (قد منيع من دخول الكوفة) » .

وهذا هو التأويل الصحيح ، كما ترى . وقلنا بهذا ، لأننا ذهبنا إلى وجود مشكلة بين أبي الطيب والعلويين فى الكوفة ، وأن هذه المشكلة اقتضت أن يُصير العلويون على منيع أبي الطيب من دخول الكوفة ، وبيننا ذلك فى [ص : ١٧٢] من كتابنا هذا ، ولكن ما الذى يحمل الدكتور طه على الأخذ بهذا التأويل الذى أولنا به النص ، فيقول (لم يستطع) ، ويقول تارة (عجز) ؟ فالعداوة بين أبي الطيب والعلويين فى الكوفة - كما فرضنا - كانت هى العلة فى أن أبا الطيب (لم يستطع) وعجز عن أن يدخلها . ولكن الدكتور فرض أن المتنبي (لم يعرف أباه ولا أمه) ، فهل فى هذه علة تجعل المتنبي (لا يستطيع) أو (يعجز)

عن أن يدخل الكوفة ؟ وإذا فرضنا أنه يستطيع أن يُجرى هذا الفرض مُجرى العلة للعجز عن دخولها ، فلماذا جاء هذا الأحمق المتنبي من الشام إلى الكوفة يقطع الفلوات ؟ ألم يعرف أنه (لا يعرف أباه ولا أمه) إلا حين دخل في حدود هذه البلدة ؟ فعند ذلك (عجز) عن دخولها = أم تُرى أن جهل المتنبي بأبيه وأمه قد يكون سبباً في أن يمنعه أهل الكوفة من دخول بلدتهم ؟ ... هذه مشكلة عجيبة نرجو أن يتولأها الدكتور الجليل بما عهدنا فيه من قوة المنطق والفلسفة والإفاضة والثروة والتعسف الغليظ . وهذا الاضطراب القبيح هو الدليل على أن / الدكتور لم (يُعط) رأياً ، وإنما (أخذ) رأياً لم يحسن فهمه ٩٢/٢ ولا عَرَفَ موقعه من الكلام .

...

والدكتور الجليل يقول في الفقرة الثانية : « كل هذه حقائق واقعة ، لا نستطيع أن نشك فيها ، ولكننا لا نستطيع أن نعللها تعليلاً قاطعاً » . ومع أنه لا يستطيع أن يعللها ، أى أن يُجريها من فرضيه الذى فرضه مُجرى منطقياً ، فهو برغم ذلك يجعلها من أسباب الشك في نسب الرجل وصلة أبيه بأمه وجدته ، ومن الأدلة على أن الرجل لم يكن (يعرف أباه ولا أمه) ، هذا أعجب العجب !!

...

وأما الفقرات الأربع الباقية التى وقف عندها فى أبيات من قصيدة المتنبي ، فهى مع الأسف العظيم ، بعضٌ مما وقفنا نحن قراء كتابنا عليه ، وشرناه لهم ، ووصلناه بحياة المتنبي صلة لا تنقطع ، ولا يدخلها الضعف والتناقض ، ولا تحتل معانيها بالفرض الذى زعمناه من أن المتنبي كان علوى النسب ، وأن بينه وبين العلويين مُشكلة سببت شيئاً من العداوة ، بل تكاد تكون من السبل المفضية إلى القول به وتحقيقه تحقيقاً صحيحاً . أما الدكتور الجليل فقد وقف عندها على آثارنا ، ولم يستطع أن يوفق بينها وبين الفرض الذى زعمه ، فلذلك لم يستطع أن يعللها تعليلاً قاطعاً أو شبيهاً بالقاطع ، وعمد إلى الحيلة

فجعلها من أسباب الغموض ومن أسباب الشك ، ثم / زادها سُقوطاً فجعلها من الأدلة ٩٣/٢
على هذا الفرض ، بعد هذا العجز كُلِّهِ ، وبعد هذا التخلف العقليّ البين .

فقد وقفنا عند قول المتنبي :

طَلَبْتُ لَهَا (حِطًّا) فَفَاقَتْ ، وفَاتَنِي ، وقد رَضِيْتُ لِي ، لو رَضِيْتُ بِهَا ، قِسْمًا
في كتابنا (ص : ١٧٣ ، ١٧٤) ، وشرحنا البيت شرحاً وافياً ، وصححنا أقوال
شراح الديوان فيه ، ثم ضممنا إلى البيت قوله :

سَأَطْلُبُ (حَقِّي) بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا أَلْتَمُوا مُرْدُ
وقلنا في (ص : ١٧٦ ، ١٧٧) إن (الحِطَّ) الذي طلبه ، و (الحق) الذي
سيطلبه ، أمرٌ واحدٌ ، هو حل المشكلة التي بينه وبين العلويين في مسألة نسبه إلى عليّ
ابن أبي طالب رضي الله عنه ، هذا في الفقرة الثالثة .

...

أما الرابعة التي وقف عندها الدكتور في قوله :

هَبْنِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فَيْلِكَ مِنَ الْعِدَى ، فَكَيْفَ بِأَخِذِ الثَّأْرِ فَيْلِكَ مِنَ الْحُمَى

فقد وقفنا عنده في مواضع (ص : ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢٤١ - ٢٤٣) ، فقلنا في ص :
١٧٠ « فقد أثبت أبو الطيب أن لجدته ثَمٌّ له أعداء ، كان همُّه كله أو / أكلوه أن يأخذ
منهم ثأرها وثأره » ، ثم دللنا على أن هؤلاء الأعداء هم العلويون على مذهبنا .. أما الدكتور
الجليل فهو لم يزد على أن سأل ! وما سؤال لا جواب له !!

إن الرجل يريد أن يُعرِّف قارئ كتابه أنه قد تدبّر شعر المتنبي ونظر فيه ،
ولكن ... أين يذهب عن القارئ الفطن أن الدكتور طه قليل البصر بالشعر ، سيء
الفهم له ، بعيد كل البعد عن القدرة على الاستنباط منه ؟ خاصة وأن الدكتور الجليل

لا يفتأ يرمى في كلامه بالدليل إثر الدليل على صِدْق ذلك ... كما بيناه في مواضع من الكلمات السابقة وفي هذه الكلمة .

...

وأما الخامسة التى وقف عندها فى قول أبى الطيب :

لَئِنْ لَدَّ يَوْمَ الشَّامِتِينَ يَوْمِهَا ، لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّى لِأَنفِهِمْ رَغْمًا

فهى فى كتابنا (ص : ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٤١) وقلنا فى ص : ١٧٤ :

« إِنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءَ وَالشَّامِتِينَ كَانُوا مِنْ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ ، إِذْ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَكُونُوا غَيْرَ ذَلِكَ ، لَا يُعْقَلُ مِثْلًا أَنْ يَكُونَ أُولَئِكَ الْأَعْدَاءُ وَالشَّامِتُونَ مِنْ طَبَقَةِ السَّقَّائِينَ وَالنَّسَاجِينَ ٩٥/٢ وَمِنْ إِلَيْهِمْ . فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ / كَذَلِكَ ، لَمَا حَفَلَ الْمُنْتَبِى بِذِكْرِهِمْ وَلَا التَّعْرِضُ بِهِمْ ، وَأَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ رَغْمًا لِأَنُوفِهِمْ ، وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي الْكِبْرِيَاءِ وَالتَّسَامَى وَالْعُلُوِّ فِي التَّرْفَعِ وَالْعِظْمَةِ » .

...

وأما السَّادِسَةُ التى وقف فيها الدكتور الجليل عند قول أبى الطيب :

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

فقد وقفنا عندها أيضاً من قبله وقلنا (فى ص : ٢٤٢ ، ٢٤٣) فى سبب تغرُّبه :

إن العلويين ، وهم هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءَ وَالشَّامِتُونَ بموت جدته ، كانوا فى سنة ٣٢٦ هـ حين ترك الكوفة فى غبار راحلته : « قد أرادوه على حُطَّةٍ خَسِيفٍ ، فَأَبَى أَبُو الطَّيِّبِ أَنْ يَرْكَبَهَا ، وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ أَنْ يَذَلَّ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ أَنْ يَقْبَلَ لَهُ حُكْمًا يُرِيدُ أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ الْمَذَلَّةُ وَالْهَوَانُ وَإِهْدَارُ الْكَرَامَةِ ، وَإِسْقَاطُ الْفَتْوَى وَالْمَرْوَةِ وَآثَرُ أَنْ يُخْرَجَ عَنِ الْكُوفَةِ مَرَاغِمًا لَهُمْ ، مَفْضِلًا آلَامَ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْهَوَانِ فِي الْوَطَنِ » .

وليعُدَّ القارئ إلى تعليق الدكتور في هذه الفقرة ليرى مشابه القول ، وظرف هذا الدكتور العظيم ، إذ كان كل همّه أن يغيّر قولنا « على الهوان في الوطن » إلى « على العافية في الكوفة » ، وهو تغيير يدلُّ أصدق الدلالة على عقل صاحبه وحسن فهمه للمعاني التي ينمو إليها في كلامه !!

...

٩٦/٢

/ ويَعُدُّ :

فإن قارئ كتابنا يعلم أننا وقفنا عند أبيات كثيرة من هذه القصيدة غير التي ارتطم فيها الدكتور الجليل ، وقد تجاوزنا عنها ، إذ لم يبق فيه موضع لتناول شيء أكثر من ذلك . فهذه الأربعة الأخيرة وحدها ثقيلة الحمل ، قد ناء بها كتابه الجليل ، فاضطرب وتخاذل واسترخت مفاصله ، فكيف ، بالله ، يطيق بعدها تناول شيء هو عليه أثقل وله أقتل ؟

هذا مع أننا بعد كتابة هذا الكتاب الذى نشره المقتطف في يناير سنة ١٩٣٦ ، قد وقفنا على أشياء من معاني هذه القصيدة لها شأن وفيها مقال ، لا أظن الدكتور طه يتنبه لها ، ولو طفق يقرأ هذه القصيدة وحدها سنوات .

وتسألنى ، ومن حقك أن تسألنى ، لم هذا التبجح ؟ وفيم هذا التعسف ؟ وعلام تدعى حق الوقوف عند هذا الشعر ؟ أكان شعر المتنبي (تَرْكَةً) لا يدخل في ميراثها غيرك ؟ أم هو (وَقَفَّ) قد حَبَسَه المتنبي عليك ؟ فأجيبك ، ومن حقى أن أجيبك ، أن هذا الذى وقفت عنده ونَبَّهت إليه ، ودعوت إلى النظر فيه ، وسُقِّته في كتابى على سبيل من التدبُّر والتأمل والتبصُّر ، إنما هو من شعر المتنبي ، وليس من شعر غيره ، وقد زعموا أن أكثر من ستين شارحاً شرحوا هذا الديوان ، وأن أكثر القدماء قد ترجعوا لأبى الطيب ، وأن عشرات من المؤلفين في هذا العصر قد ترجعوا لهذا الرجل ، وتناولوا شعره على طريقة أهل العصر من التحليل والتشريح . / وقد انقضى على ذلك ألف سنة ، ومع كل هذا فأنا ٩٧/٢

أجزم لك ، وأصرُّ على هذا الجزم ، أنَّ أحدًا من هؤلاء جميعاً لم يقف عند بيت واحد مما وقفتُ عنده ، وتكلّمت فيه ، وتأوّلت معناه ، ووصلته بتاريخ الرجل = وأنَّ أحدًا من هؤلاء لم يَسْتَنْبِط من هذا الشعر الذى تدبّرتُه شيئاً من الذى استنبطته أنا من الحالات النفسية والعقلية التى كانت تعتلج في صدر المتنبي وفكره . ثم أنا أزعّم لك فوق ذلك أن الدكتور طه في مثل قوله في ص : ٢٨ ، حين قدّم للأبيات التى أثبتّها من رثاء المتنبي لجده فقال :

« فاقراً معى هذه الأبيات ، ولكن قراءة المستأنى المتمهل الذى لا يمرُّ بالشعر مرّاً ، والذى لا يشغله الجمال الفنّى عن التماس نفس الشاعر ، وما يُكنُّ في ضميره من العواطف المكظومة ، والأهواء المكتومة ، والخواطر التى لا يعرب عنها إلا بالإشارة والتلميح » = أقول بلا مَثْنَوِيَّة : إنما أخذ الدكتور طه ذلك كلّهُ من فضول كلامنا عن هذه القصيدة ، وهدهاء إلى هذا التنبيه منهجناً في الكلام عنها ، وتبيهُنّا نحن على مثل ذلك في ذيل (ص : ٢٤١ ، تعليق : ٣) ، عند ذِكْرِ هذه القصيدة ، وفي أكثر من عشرة مواضع في أثناء كلامنا في الكتاب كله .

وقد قلتُ إن هذا إنّما هو أصل من أصول العلم والاستنباط ، وقارىء كتابى يعرف ذلك حق المعرفة ، والدكتور طه أحد هؤلاء ، ولكنه مؤلّف أيضاً !! ولهُ في التأليف مذهبٌ لم يخرج عنه في أكثر ما ألف ، مذهبٌ قد استخرجه من مذهب الأخيّمير السعدى اللصّ الذى يقول :

/ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُرَى أَجْرُرُ حَبْلاً لَيْسَ فِيهِ بَعِيرُ
وَأَنْ أَسْأَلَ النُّكْسَ الذَّنْءَ بِعَيْرُهُ ، وَبُعْرَانُ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرُ !!

= بُعْرَانُ كثيرة ، يأخذ منها ما يشاء كما يشاء ، ويذهب بها أين شاء ! وللسبت المقبل البدء في نقد الفصل الخامس من كتاب الدكتور الجليل .

- ٧ -

/ لقد كان من عملنا فى الكلمات الماضية أن كشفنا عن عوارِ الفصل الثانى ٩٩/٢
والثالث من كتاب الدكتور طه الذى سماه « مع المتنبي » ، وأبنا عن الأصل الذى بناه
عليه ، ومن أين أخذه ، وكيف أحاله عن وجهه ، وأخرجه عن طريقته ، وتعهده
بطبيعته الجبارة !! فأفسده أيما إفساد ، وأراد أن يجعله فئاً جديداً فى نسب أبى الطيب ،
فكان قذفاً جريئاً فى عِرْضِ الرجل . ثم زدنا فرددنا مواضع القول = الذى أفاض فيه
الدكتور حين اطمأن له ، واتكأ عليه ، واسترخى فيه ، وتوَحَّى به الراحة والدعة =
إلى أصله وشبيهه من كتابى عن المتنبي ، ومن كتاب الأستاذ العالم الجليل عبد الوهاب
عزام . ثم ختمنا القول فى الكلمة السادسة بالجمع بين ما وقف عنده الدكتور فى كتابه
من شعر المتنبي ، والذى وقفتُ عليه أنا من قَبْلُ من هذا الشعر نفسه ، ولم يسبقنى إليه
سابقٌ على امتداد ألف سنة تحطَّم عامٌ منها على عام .

ومن رجع إلى ما كتبه جملةً واحدة ، ولم يدغ طَرْفَ عينه من كتاب الدكتور
طه ، استيقن يقيناً لا يخامره الشك أن الدكتور طه إنما كان فى هذين الفصلين كالناقل
المسئ ، وكالمترجم المتخلف الذى لا يعرف معنى الكلام ، ولا يبصر عُصْرُ القول
من أين أتى ، وكيف تدرَّج ، وإلى أين انتهى !!

وما ذلك إلا لما قلنا به من أن الدكتور الجليل رجل هو فى فهم الشعر وإدراك
معانيه ، ثم فى العربية وحدود ألفاظها ، ومقاطع جُمَلها ، ومطالع / تراكيبها وفصولها ١٠٠/٢
وغاياتها ، كالذى زعموا من أن خالد بن صفوان الخطيب البليغ ، دخل يوماً إلى

(هـ) نشرت فى جريدة البلاغ ، السبت ١٤ من المحرم سنة ١٣٥٦/٢٧ من مارس سنة ١٩٣٧ .

الحمام ، وفيه رجلٌ ومعه ابنه ، فأراد الرجل أن يعرف خالداً ما عنده من البيان والفصاحة فقال لابنه : يا بنى أبداً بيداك ورجلاك !! ثم التفت إلى خالدٍ كالمتهامى فقال : يا أبا صفوان ، هذا كلامٌ قد ذهب أهله ! فقال خالد : هذا كلامٌ لم يخلق الله له أهلاً قط ! وإنما الدكتور رجل يتعالم في الشعر العربي والأدب العربي بما سُوغ من شهرة وصيت ، وما استوطأ من سكوت الناس عنه ، وما استعلَى به من كرسي الجامعة = وإلا فهو أديب من الأدباء ، إذا أردت أن تصف أدبه بما تصفه به كُتبه قلت : ليس بذاك ! ولَوَيْتَ عنقك ، وانصرفت إلى شأنك ، وشغلت نفسك بما هو أجدى عليها وأليق بها من أدب غيره ، ممن طَمَسَتْ أسماءهم هذه الطبول ذَوَاتُ الدوى والطنين والعَجيج الذى لا ينتهى من الدكتور فلان إلى الأستاذ علان .

هذا خلاصة ما تخرج به من مَعْنَاة كلامنا في الفصول الماضية التى نقدنا بها الفصل الثانى والثالث من كتاب الدكتور الجليل .

وأما الفصل الرابع الواقع في الكتاب من ص : ٣٥ - ٤٨ ، وقد سماه الدكتور : (الحياة الإسلامية حين ولد المتنبي) ، فقد كنتُ على نية الكلام فيه ، ولكنى وجدته مما لا يتعلّق بشيء مما نحن بسبيله ، وما رأيت في نقده غناءً للقارىء ، ولا في الفصل نفسه موطناً يستحق أن يتكلف له القلم مؤونة التسطير ، فلذلك أغفلناه . ونبدأ بعون الله في الفصل الخامس وقد سماه : (صبي المتنبي في العراق) وموقعه من (جغرافية) هذا الكتاب بين ص : ٤٩ ، ٩٢ . / وما أظن القارىء بالذى يكلفنى أن أختصر له هذا الفصل ١٠١/٢ قبل البدء في النقد ، على ما تعودناه في الكلمات السالفة ، ولكنى له زعيم بأن أجعله على حالة يكون فيها كالذى قرأ الفصل كُلُّه لم يُفْتِهِ منه شيء ، مضمناً قولى ما لا بد من ذكره من كلام الدكتور طه ، بعد إسقاط لغوه ، وقصّ ذيوله ، وإطراح فضوله .

هكذا يبدأ الفصل الخامس في ص : ٤٩ : « وطفولة المتنبي مجهولة بالطبع كطفولة غيره من الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه » ، ثم يقول بعد لغو : « والذي نعرفه عن صبي المتنبي ينقسم قسمين : أحدهما ينبئنا به الرواة ، وأنا أقف منه موقف التحفظ والاحتياط ،

ولكننى لا أهمله ولا ألغيه = والثانى ينبئنا به المتنّى نفسه فيما حُفِظَ لنا من ديوان شِعْرِ الصبى ، وأنا أطمئن إليه اطمئناناً تاماً ، وآخذه أخذ الناقد الذى لا يصدّق كل ما يُلقَى إليه فى غير تفكير .

وليقرأ القارئ هذا الكلام مرة وأخرى ، وليتدبّرهُ ، وليعرف أوّله من آخره قبل أن يقرأ كلامنا ، وما نريد له ذلك إلا ليخبرَ بنفسه ، وقيس ما عنده ، فإن جودة العلم لا تتكوّن إلا بجودة النقد . ولولا التّقْدُّ لبطل كثيرُ عِلْمٍ ، واختلط الجهل بالعلم اختلاطاً لا خلاص منه ولا حيلة فيه ...

ثم إن هذا الكلام الذى نقلناه ، لنا فيه وجهان من القول : أمّا أحدهما ، فالدّلالة على موضع النقل من كتابنا نقلاً بيناً لا خفاء فيه ولا لبس = وأمّا الآخر ففساد الكلام فيه فساداً لا صلاح له .

يقول الدكتور إن صبى المتنّى ينقسم إلى قسمين : « أحدهما ينبئنا به / الرواة ، ١٠٢/٢ و (أنا) أقف منه موقف التحفظ والاحتياط ، ولكننى لا أهمله ولا ألغيه » ص : ٤٩ . والقارئ يعلم كما قدمنا أننا أوّل من شكّ فى الروايات التى رُويت فى ترجمة أى الطيب جميعها ، من مبدأ القول فى نسبه إلى غاية القول فى مقتله ، ولم نجعل شكّنا كما جعله الدكتور حين سُؤل له أن يشكّ ، لغير علة حاضرة أو سبب مذكور .

كلاً ، فقد تتبعنا نقد سنَد الرواية ونصّها على طريقتنا حتى زَيَّفنا زَيَّفها وأبطلنا باطلها ، وميَّزنا المدخول من الأصيل ، والصّحيح من السليم ، فقول الدكتور هذا هو وصف لما فعلناه نحن ، وكان من حقّنا عليه أن يضع مكان قوله : « (وأنا) أقف منه موقف التحفظ والاحتياط فلا أهمله ولا ألغيه » ، ما نصّه : « ومحمود شاكر) يقف منه موقف التحفظ » إلى آخر العبارة ، وذلك للسبب الذى ذكرناه ، من أن تحفظنا واحتياطنا وشكّنا ، إنما بُنى على أسبابٍ وعلل . وأمّا الدكتور فلم يفعل من ذلك فى كتابه شيئاً .

وَتَمَّ شَيْءٌ آخَرُ أَحَبُّ أَنْ يَعْلَمَهُ الدُّكْتُور طه ، وَهُوَ أَنِّي أَعْرِفُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَتَرَفَّقُ بِهَا فِي اسْتِجْلَابِ الْأَدَبِ إِلَى نَفْسِهِ ، مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِإِنْكَارِهِ وَلَا الْمَكَابِرَةِ فِيهِ ، ثُمَّ لِيَقْرَأَ الْقَارِئُ قَوْلِي فِي [ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨] مِنْ كِتَابِي هَذَا مَا نَصَهُ :

« وَأَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَرَوَى فِي تَرْجُمَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَغَيْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ ، إِنَّمَا كَانَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَتَنَاقَلُهَا مَجَالِسُ الْأَدْبَاءِ ، وَلَا يُرَادُ بِهَا التَّحْقِيقُ ، وَلَا يُنْظَرُ فِيهَا إِلَى صَدَقِ الرِّوَايَةِ وَسِيَاقِ التَّارِيخِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، بَلْ إِنْ كَثُرَ / مِمَّا يُرَوَى فِي تَرَاجُمِ رِجَالِنَا ، كَانَ مِمَّا يُرَادُ بِهِ مَضْنَعُ الْكَلَامِ فِي مَجَالِسِ الْأَمْراءِ أَوْ فِي سَامِرِ الْأَدْبَاءِ . هَذَا عَلَى أَنَّهَا رُبَّمَا حَمَلَتْ فِيهَا تَحْمِيلَ أَشْيَاءَ لَوْلَا وَرُودُهَا فِي هَذِهِ النُّصُوصِ ، لِأَفْتَقَدْنَا مِنْ حَلَقَاتِ التَّارِيخِ حَلَقَاتٍ لَا يَنْتَظِمُ أَمْرُهَا إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَسْتَمِرُّ إِلَّا عَلَيْهَا ، فَلَمَثَلْ هَذَا كَانَ لِأُبْدُ لَنَا مِنَ النَّظَرِ فِي النُّصُوصِ وَتَمْيِيزِهَا ، وَرَدِّ بَعْضِهَا وَالْأَخْذُ بِبَعْضِ ، حَتَّى لَا تَنْقَطِعَ بِنَا السَّبِيلُ فِي التَّرْجُمَةِ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ . فَلَا يَفُوتُكَ هَذَا إِذَا قَرَأْتَ مَا نَكْتُبُ ، أَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ أَوْ تَكْتُبَ » . انْتَهَى مِنْ كَلَامِنَا .

وَالدُّكْتُور فِي هَذَا الْبَابِ « يَصْطَنِعُ » التَّحْفِظَ وَالْإِحْتِيَاظَ فِي الشُّكِّ ، وَيَقُولُ إِنَّهُ (لَا يَهْمِلُ النَّصَّ وَلَا يَلْغِيهِ) تَقْلِيدًا لِقَوْلِنَا : (فَلَمَثَلْ هَذَا كَانَ لِأُبْدُ مِنَ النَّظَرِ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ ، وَرَدِّ بَعْضِهَا وَالْأَخْذُ بِبَعْضِ) ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا تَقْلِيدًا قَبِيحًا ، وَاعْتِدَاءً مُفْرِطًا فِي الْعَدْوَانِ ، وَتَأَثُّرًا لِحُطُوتَانَا عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ النَّفْسِ وَالرَّأْيِ وَالْفِكْرِ وَالتَّدْبِيرِ ، فَمَا يَكُونُ ؟

أَرَأَيْتَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ أَنَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَقْلُدُنَا ، وَيَدُلُّ بِالْأَدِلِّ الْقَاطِعِ عَلَى أَنَّهُ مُقَلِّدٌ ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْلُدَ ؟ أَمَّا رَأَيْتَ قَبْلُ فِي الْفُصُولِ الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ حِينَ تَكَلَّمَ فِي نَسَبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ ، وَالرِّوَايَةِ عَنْهُ مَنَقُولَةً عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَقَلُوا هَذِهِ الْأَخْبَارَ نَفْسَهَا ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ (يَتَحْفَظُ أَوْ يَحْتَاطُ) ، أَوْ (لَا يَهْمِلُ النَّصَّ أَوْ يَلْغِيهِ) ، بَلْ تَعَلَّوْا بِهِ

الجرأة ، ويتقازفه الوهم ، « فيشك فى غير تحفظ ولا احتياط » ويُهمل النصوص ويُغيبها جملة ، ليذهب إلى رأيٍ فاسد ، يقذف به عِرْض الرجل حيث جعله (لا يعرف أباه ولا أمه) ، / وأن مولده كان (شاذاً) . فما الذى حمله بدءاً على نبذ الاحتياط ، وإطراح ١٠٤/٢ التحفظ ، وإسقاط الرواية جملةً واحدة ؟ ثم ما الذى حمله على (اصطناع) الاحتياط والأخذ بالتحفظ والتعلق بالرواية ، فيأخذ بعضها ويرُدُّ بعضها أو (أن لا يهملها ولا يلغيا) ؟ هل تجد عندك أيها الدكتور علة تنبذها للناس ، علَّها تستر هذا العوار الذى فى كلامك ؟ وما أصدق ما قاله مبذول العُذرى :

وما كُلُّ مَنْ مَدَّدَتْ ثَوْبَكَ دُونَهُ ، لَتَسْتُرَهُ فِيمَا أَتَى ، أَنْتَ سَاتِرُهُ

وما الذى جعل الرواة فى قولهم : إن والد المتنبي هو الحسين السَّقاء ، وأن جدته كانت همدانية صحيحة النسب ، وأن نسب أبيه ينتهى إلى جُعْفَى = أَكْذَبَ منهم حين يقولون : إن المتنبي فى صباه فعل كذا ، وكان من أمره كذا ؟ وما العلة فى أن الرواة حين ذكروا جدَّه لم يتفقوا عليه ولا على الاسم (يلصقونه) به كما قلت فى ص : ١٠ ، أو حين ذكروا صباه أثبتوا شيئاً صحيحاً (وألصقوا) معه شيئاً كذباً موضوعاً ؟ أفى المنطق أن يكون ذلك كذلك ؟ أم المنطق أن يكونوا فى ذكر صباه ، أَكْذَبَ منهم فى ذكر أبيه وأمه وجده وجدَّته ! « نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » !

...

وأما القسم الثانى ، وهو الذى « يُنبئنا به المتنبي نفسه ، فيما حفظ لنا ديوانه من شعر المتنبي » = يقول الدكتور الجليل المفكر العبقري أنه « يطمئن إليه اطمئناناً ما ، ويأخذه أخذ الناقد الذى لا يصدِّق كل ما يُلقَى إليه فى غير تفكير » . فهذا كلام لا أدري ، والله ، كيف أصفه ؟ وإنما أَدْعُ للدكتور طه / نفسه أمر هذا الوصف إذ يقول ١٠٥/٢ فى ص : ٧ من كتابه وعن كلامه هذا وأمثاله : « قل ما تشاء فى هذا الكلام الذى تقرأه ، قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، قل إنه كلام يَهْدِي به صاحبه هدياناً ، قل إنه

كلام يصدر عن رأى وأناة ، وقل إنه كلام يصدر عن شذوذ وجموح ، فأنت مُحق في هذا كله » ، وليختر القارئ بعد هذا أحق القولين بالإثبات ، وأليقهما بالصفة ، وأدكهما على الغرض الذى يوحيه كلام الدكتور .

فمن قرأ شعر المتنبي في زمان صباه لم يجد فيه خبراً واحداً يكون كالرواية عن أمر هذا العهد من عمره ، وإنما هو شعر لا تخبر فيه ولا حديث . والدكتور قد جعل هذا الشعر - كما هو بين من كلامه - قريناً لأخبار الرواة ، فلذلك يقول : « فأنا أطمئن إليه اطمئناناً ما » ، وجعله أحد قسمين مما نعرفه عن صبي المتنبي . وإذا ظن ظان أن الدكتور يريد بهذا القول ما يستنبطه من هذا الشعر من حالته النفسية وتعليقها ببعض الأخبار التى رويت لیتَّمّ النقص ، ويزيد في تصوير هذا العهد من حياته ، فالدكتور نفسه قد سدّ عليه هذا الباب بقوله : « فأنا أطمئن اطمئناناً ما ، وآخذه أخذ الناقد الذى (لا يصدّق) كل ما يلقي إليه في غير تفكير » ، فإنّ الاطمئنان لا موضع له هنا ، إلا أن يكون في صحّة نسبة هذا الشعر إلى أبى الطيب ، وهو مما لا يشك فيه الدكتور ، ولا يدعى فيه أنه موضوع على لسانه ثم يقول : إنه يأخذه أخذ الناقد الذى (لا يصدّق) كل ما يلقي إليه في غير تفكير . وليس في هذا الشعر ولا في استنباط الدكتور منه ، ما يصحّ أن يكون / موضوعاً (للتصديق أو التكذيب) ، حتى يستطيع هذا الظان أن يذهب بكلام هذا الرجل الدكتور العبقري هذا المذهب الجميل . ١٠٦/٢

وإذا أردت أن تتحقّق من أن هذه العبارة لا معنى لها البتة ، فارجع إلى الفصل كله من ص : ٤٩ - ٩٢ فاقرأه ، فلا تجد الدكتور أتى بيت واحد من شعر المتنبي في صباه يكون فيه ذكر حادثة في هذا العهد . وإذا كان الأمر كذلك ، وصحّ عندك ، وتحقّقت منه ، علمت أن هذا القسم الثانى الذى زعم أنه يعرفه عن (صبي المتنبي) ، إنما هو من اللغو والفضول ، وأن الدكتور لم يعمد إلى هذا التقسيم إلا ابتغاء الحيلة ، وطلباً لإيهام قارئ كلامه بحسن الوصف وجمال الترتيب والتقسيم = وأن الرجل قد تعود الكلام ، فصار عنده شهوة تطلب لذّة ، فلا يغلبها عقله ، وإنما لها عليه الغلبة . وقد قالوا في مثل

ذلك : إن الحجاج بن يوسف ثابته فى صديق له مصيبة الموت ، وكان رسول عبد الملك ابن مروان عنده ، فقال الحجاج : ليت إنساناً يعزىنى بأبيات . فقال رسول عبد الملك : أقول ؟ قال : قل . فقال : « وكلُّ خليل سوف يفارق خليله ، يموت أو يُصَلَّب ، أو يقع من فوق البيت ، أو يقع البيت فوقه ، أو يقع فى بئر ، أو يكون شيئاً لا نعرفه » . فقال الحجاج : قد ، والله ، سلّيتى عن مصيبتى بأعظم منها فى أمير المؤمنين ، إذ وجّه مثلك رسولاً = فانظر إلى شهوة الكلام ما تفعل .

ثم يقول الدكتور : « فأما الرواة فيحدثوننا أن المتنبي دفع إلى مدرسة / من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين ، فبدأ فى هذا المكتب تعليمه ، ولا يزيد الرواة على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ص ٤٩ - ٥٠ ، ويقول فى ذيل هذا الكلام (خزانة الأدب ج ١ ص : ٣٨٢ طبع القاهرة) ، ثم يعقب فى ص : ٥٠ : « ولكن المتأخرين ، والمُحدثين منهم خاصة ، يذهبون فى فهم هذا الخبر مذهباً ، أقل ما يوصف به أنه لا يخلو من مبالغة . فهم يظنون أن هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرستقراطية ممتازة ، وهم بعد ذلك يرسلون لأنفسهم العنان (هكذا هكذا يا دكتور طه) فى تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الأرستقراطية ، ويفسرونه تفسيرات مختلفة .

« أما أنا فلست أدري ، أكانت المدرسة العلوية هذه ممتازة أرستقراطية حقاً ، أم كانت مدرسة كغيرها من المدارس ، ولكنها تعلّم على مذهب الشيعة العلويين . فللفظ « العلويين » فى هذا الخبر عندى ، يوشك أن يكون مرادفاً للفظ الشيعة . وواضح جداً أن المدارس فى مدينة كمدينة الكوفة كانت تختلف باختلاف السكان لهذه المدينة . فللشيعة من هؤلاء السكان مدارسهم ، وللسنيين منهم مدارسهم أيضاً . وجائز أن تسمى مدارس الشيعة مدارس علوية ، كما تسمى أهل السنة مدارس عباسية .

« وأكبر الظن عندى أيضاً أن الأرستقراطيين الممتازين من الشيعة العلوية ومن أهل السنة ، لم يكونوا يرسلون أبناءهم فى طور الصبا إلى المدارس العامة ، وإنما كانوا يتخذون لهم الأساتذة والمؤدبين إنما كان أوساط الناس وعامتهم هم الذين يرسلون أبناءهم إلى هذه المكاتب .

١٠٨/٢ / « فاختلاف المتنبي إلى هذه المدرسة العلوية لا يدلُّ على امتياز ولا على استثناء ، وإنما يدلُّ على الاتجاه الديني الذي وُجِّهَ إليه الصبي » ، انتهى كلام الدكتور ص : ٥٠ - ٥١ .

...

وفي هذا الكلام أعاجيب ! فالدكتور ينقل عن كتاب مطبوع متداول هو خزانة الأدب للبغدادى ، ويحدد الجزء ١ والصفحة ٣٨٢ ويقول : « إن المتنبي دفع إلى مدرسة من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين » . والنص هناك أن المتنبي : « اختلف إلى كُتَّاب فيه (أولاد أشراف الكوفة) ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً » . وفي هذا النص من كتاب البغدادى سقط أو خطأ لا شك فيه ، فما في العلم شيء يمكن أن يسمى « دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً » ، وصواب العبارة « فكان يتعلم دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً » ، كما روينا النص بتمامه وصححناه في هامش ص : ١٦٧ من كتابنا هذا عن المتنبي . وليس العجب في أن لا يدقق الدكتور طه في نصٍّ ما يقرأ ، فهذا شيء ليس في طبيعته ولا مما يتأتَّى له إن أرادَه وعَمَدَ إليه ، واجتهد فيه وبالع في الاجتهاد = ولكن العجب في أن هذا الذى يقوله الدكتور طه ليس نصّاً حتى يشير عنده إلى كتاب البغدادى ، فإن الدكتور يزعم أن المتنبي « دفع إلى مدرسة من مدارس العلويين أو مكتب من مكاتبهم » والبغدادى يروى أنه « اختلف إلى كُتَّاب فيه (أولاد أشراف الكوفة) » ، (فالكُتَّاب) صار في كلام الدكتور طه مدرسة أو مكتباً (وأشراف الكوفة) ، صار في كتاب الدكتور هذا (العلويون) ، فلماذا فعل ذلك ؟ فعل الدكتور هذه الفعلة / المستهجنة ، لأنه أراد أن يتأوَّل كلمة (العلويين) إلى (الشيعة) ، وهو الاسم الذى يجمع (العلويين نسباً) ، ومن يتشيع للعلويين ممن لا ينتهى نسبه إلى عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولذلك قال : « فلفظ العلويين في هذا الخبر عندى يوشك أن يكون مرادفاً للفظ الشيعة » ، وليس في الخبر هذا اللفظ (العلويون) كما نقلناه لك ، بل فيه (أولاد أشراف الكوفة) ، وهى كلمة لا يمكن تأويلها ولا تحويلها عن معناها

إلى معنى (الشيعة) ، كما أراد الدكتور طه . وخير البغدادى نص لا يقبل المكابرة ولا اللجاج ، فلذلك أزاله الدكتور ورواه بالفاظ من عنده تمهيداً للمذهب الذى أراد أن يذهبه . فكيف يرى القارئ تصرف الدكتور فى نقل العلم وهو قد خشى أن ينقل النص ، وتجنب ذكره لما يعلم من فساد رأيه ، وفُسولة مذهبه ، ولما هو عليه من قبح التهجم ، وسوء الاستنباط .

وإذا قيل إن المتنبي اختلف إلى (كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة) فمعنى ذلك بغير شك أنه (كتاب فيه أبناء العلويين نسباً من أهل الكوفة) ، وإلا فما معنى ورود هذا اللفظ فى الخبر ؟ أو لم يكن راوى الخبر ، وهو الأصفهاني المعاصر للمتنبي ، على علم كعلم الدكتور طه بأن للشيعة عامة مكاتب ، سواء منهم العلويون نسباً أو غيرهم من شيعة أهل البيت ، كما كان لأهل السنة مكاتب ؟ أو لم يكن يستطيع الأصفهاني أن يقول إن المتنبي (اختلف إلى كتاب للشيعة) ؟ لو أنه أراد هذا المعنى الذى تطلبه الدكتور طه ، فحرف ، وبذل ، وأفسد ، وتهجم بغير علم ولا بينة ولا تثبت .

...

/ ومسكين هذا الدكتور طه ، أفندرى لم ركب هذا المركب ؟ ولم حرف وعمد إلى ١١٠/٢ التلبيس والتمويه ابتغاء استمالة الدهماء من قراء كتبه ؟ أتندرى لم تورط فى هذا كله ؟ ألا فاعلم أنه أراد أن يخالفنى (أنا) وحدى . فإنى جعلت اختلاف المتنبي إلى (كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة) موضع النظر ، وأخذت أعلل ذلك ، وقلت : « فدخل (أحمد ابن عيدان السقاء ، كما زعم الرواة فى نسبه) ، والذى هو المتنبي ، بين أبناء العلويين (نسباً) فى كتاب لهم ، غريب عجيب ، فيجب هنا أن نفهم من هذا الشاهد أن بين جدة المتنبي وبين العلويين سبباً موصولاً قوياً ، هو الذى شرح صدورهم وأرضاهم أن يدخلوا بين أبنائهم غلاماً (كان أبوه سقاء فى بلدهم !!) » ص : ١٦٨ من كتابنا هذا . ثم قلت : « هذه واحدة من علاقة أى الطيب وجدته بالعلويين » ، ثم انطلقت أجمع الدلائل من الروايات ومن شعر المتنبي على وجود هذه الصلة ، لأنتهى إلى القول بأنه كان

علوى النسب . والدكتور طه خالفنا في أوّل كتابه . فجعل المتنبي (لا يعرف أباه ولا أمه) ، وزعم أن (مولده كان شاذاً !!) ، فخشى أن ينتقض عليه قوله إن هو نقل هذا النص وذهب يتكلم فيه ليزيده إيضاحاً وبياناً ، فما وجد محيصاً من أن يطمسه ليزيده عمى وخفاءً ، فترجمه إلى لغته الضعيفة المستهجنة ، ثم تكلم فيه بعد ذلك على الهوى لا على الثبوت ، وعلى التلبيس لا على التوضيح .

ثم أعجب من ذلك أن يقول : « ولكن (المتأخرين والمحدثين منهم خاصة) يذهبون في فهم هذا الخبر مذهباً أقل ما يوصف به أنه لا يخلو من مبالغة ، فهم يظنون أن هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرستقراطية / ممتازة ، وهم بعد ذلك يرسلون لأنفسهم العنان (!!) في تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الارستقراطية ، ويفسرونه تفسيرات مختلفة » . ١١١/٢

(فالمتأخرون والمحدثون) ، في كلام هذا الرجل ، جميعاً قد تقمّصوا في فرد واحد هو « محمود شاكر » . ويدلّك على اضطراب الرجل حين ذكرنى وعرض لى أنه قال بعد ذلك أنهم يذهبون (مذهباً) ، ولم يقل (مذاهب) ، وإلا لكان ذلك المذهب منهم جميعاً حجة على من هو مثل الدكتور طه . ونحن لم نقل إنها كانت (مدرسة أرستقراطية ممتازة) ، بل قلنا إن العلويين نسباً (كانت لهم مكاتب خاصة يتلقى فيها أولادهم مبادئ العلوم) ص : ١٦٧ = ثم يزعم بعد هذا وذاك وذلك أن هؤلاء (المتأخرين المحدثين) الذين هم (محمود شاكر وحده) ، يرسلون لأنفسهم العنان !! في تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الأرستقراطية ، ويفسرونه « تفسيرات مختلفة » . ويشهد الله أننا لم نفسره إلا (تفسيراً واحداً) لا ثانى له في كلامنا الذى قيدناه في كتابنا ، ولا نعلم أحداً فسّره تفسيراً آخر .

ومن قبل ما فعل الدكتور هذه الفعلة في ص : ٢٠ من كتابه حيث زعم أن شيئاً يسمى (الباحثين المعاصرين) قد تكلموا في نسب المتنبي وحاولوا أن يعرفوا حقيقة الأمر فيه ، ثم طفق يُزرى بهم . وقد مضى أن بينا في الكلمة الخامسة : أن هؤلاء (الباحثين

المعاصرين) هم جميعاً جملةً واحدةً (محمود شاكر وحده) ، ثم نقضنا هذا اللغو والفضول الذى أتى به ، وقلنا إن علة ذلك الفعل أن هذا الرجل عاجزٌ عن النقد ، ثم هو أبلغ عجزاً حين ينقدنى أنا خاصة . [انظر ما سلف ص : ٤٤٩ ، ٤٥٠] أفرأيت الآن أيها القارئ الكريم كيف يضطرب الرجل ، وكيف / يختلط رأيه ، وأين يذهب بفكره حين يعرض لنقدى أو الحديث عن كتابى ، فتراه لا يكتفى بإضمار آسمى وتجاهله وإغفاله ، حتى يزيد ذلك بأن يجعل (الباحث الواحد) و (المعاصر الواحد) : باحثين ومعاشرين = وأن يجعلنى (أنا وحدى) : المتأخرين ، والمحدثين ، جميعاً ؟ أأريت كيف يُدلس في كلامه ؟ إنَّه لا يدع هذا الداء الذى يلجئه إلى مثل الذى يُقال فيه : « شرٌّ من الموت ما يُتمنى معه الموت » !

وللأسبوع المقبل تنمة القول في هذا الفصل العجيب .

...

- ٨ -

١١٣/٢

/ فرغ الدكتور طه من الكلام عن النص الذى حرفه وبذّله وأفسد معناه ، ابتغاء الرد علىّ فيما ذهبت إليه من دخول المتنبي كتاباً بالكوفة فيه « أولاد أشرافها » من العلويين نسباً . فكان من جراء ذلك أن استظهر بالعلم ، واستعان بالعبرية ، ولجأ إلى التحقيق الفذ الذى هو فيه نسيج وحده وإمام أهله ، فخلص إلى نتيجة عجيبة لم تكن من قبل فى هذا النص . وتأويل ذلك أن الدكتور الجليل زعم - فيما يُسَوَّل له أن يزعم - أن البغدادى صاحب خزانة الأدب روى فى الجزء ١ ص : ٣٨٢ : « أن المتنبي دُفع إلى مدرسة من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين ، فبدأ فى هذه المدرسة أو هذا المكتب تعليمه ، ولا يزيد الرواة على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ص : ٤٩ - ٥٠ .

وأظن القارئ يعلم أن هذا الباطل كله الذى نسب الدكتور طه إلى (خزانة الأدب) ليس فيها ، وإنما هو نص محرّف مبدّل ليس بينه وبين نص البغدادى فى الخزانة سبب ولا نسب ، كما بينا فى الكلمة السالفة . ويتمخض الدكتور الجليل عن النتيجة العبرية التى احتفل لها فى ص : ٥١ فيقول :

« ولسنا فى حاجة إلى أن نطيل البحث لنعرف ماذا كان يتلقى المتنبي فى هذه المدرسة التى اختلف إليها فى صباه ، فالراجع بل المحقق أنه تعلم فيها الكتابة والقراءة ، وقرأ فيها القرآن كلّهُ أو بعضه ، وتلقى فيها أصول / الدين وفروعه على مذهب الشيعة العلويين (!!) ، وسمع الشعر وروى منه أطرافاً ، وتعلم فيها شيئاً من علوم اللغة والأدب بوجه عام » .

ولست تشك أيها القارئ أن هذه فائدة جلييلة ، وعلم ضخم قد استخرجه

الدكتور واستنبطه واحتفزه من صخرة جافية نائية هي هذا النص : « أن المتنبي دُفع إلى مدرسة من مدارس العلويين » ، فأنت تعلم كما علمك الدكتور الأمين الوثيق الرواية المثبتة ، أن الرواة « لم يزيدوا على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ، فأنت هو فصله ووضّحه بعد (بحث لم يطل) ، ثم رجح ما فصله ووضّحه ، أو حققه على الأصح ، ولكن ما يقوله الدكتور طه شيء ، والواقع شيء آخر ، فإن نص البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص : ٣٨٢ هو هذا :

« اختلف المتنبي إلى كتاب فيه أولاد أشرف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً » . وقد قلنا إن في هذا النص خطأ ، وصوابه : « فكان يتعلم دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً » . فهل تجد ، أيها القارئ الكريم ، بعد هذا النص في كلام الدكتور طه معنى جديداً لم يكن فيه ؟ وكيف تحب أيها القارئ أن تصف الدكتور طه حين يقول لك : « إن الرواة لم يزيدوا على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ؟ وماذا تقول له حين ترى أن الذى أتاك به من التفصيل والتوضيح ، وما استخرجه من الفوائد الجليلة ، هو شيء مكتوب مسطور قد رواه الرواة في هذا الخبر الذى أسقط الدكتور منه وحرّفه وبّدله ؟

/ صِفُهُ كما تشاء ، وقل ما يبدو لك ، أما أنا فأحبُّ إلى أن أقول إن الدكتور رجل ١١٥/٢ طيب القلب ، سليم الصدر ، ظريف مسكين ، قد خُدِع ، والكريم مخدوع ! وأن شهوة الكلام هي سبب البلاء الذى آتَيْتَ به في هذا المكان وأمثاله ، وهي شيء في أصل طبيعته ، ومغرورٌ سَجِيته ، وهو قال لك في مقدمة كتابه ص : ٧ : « قل ما تشاء في هذا الكلام الذى تقرأه ، قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً ، فأنت محق في هذا كله ، لأننى مرسل نفسى على سجيّتها » = شهوة الكلام هي أغلب سَجِيَّاته عليه ، فما لك بعدها مقال تقولُهُ ، وما هو إلا ما وصفه لك الدكتور .

ثم يقول الدكتور بعقب هذا في ص : ٥٢ : « وقد كان لهذه المدرسة (تأثيرٌ ظاهرٌ)

فى عقل هذا الصبى وقلبه ينبئنا به الديوان » = وقد حقق الدكتور طه العبقرى الأوحد الفذ أن هذا (التأثير الظاهر) قد ظهر فى ثلاث خصال فى هذا الشعر الذى قاله فى صباه ، فهو يقول :

« الخصلة الأولى : أن الصبى مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة ، والخصلة الثانية ، أن هذا الشعر ، شعر صبى متشيع للعلويين ، متأثر بآراء الشيعة ، وآراء الغلاة منهم خاصة ... والخصلة الثالثة : أن هذا الشعر شعر صبى لم يكن بعيداً كل البعد عن أمور القرامطة وأخبارهم وقد يجوز أن نضيف خصلة رابعة : وهى أن هذا الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً للسخرية ثم الهجاء » .

١١٦/٢

/ ولا أدرى ما نصيب القراء ، أو شعور القراء ، حين يقرأون هذا الكلام ؟ أكون نصيبهم الضحك ، أم البكاء ، أم الحزن ، أم غير ذلك ؟ أما أنا فمن طبيعتى حين أقرأ كلام الدكتور طه فى أكثر ما يكتب أن أضحك ما واتانى الضحك وأوسع لى المجلس .

فهذا هو يزعم لك أن هذه (المدرسة العلوية) كان لها (تأثير ظاهر فى عقل هذا الصبى وقلبه ينبئنا به الديوان) ، وأول هذا التأثير الذى كان لهذه المدرسة أن (فن المتنبى فى صباه كان فناً تقليدياً ليست له قيمة خاصة ، ص : ٥٢) ، وأن الصبى (مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة) . فهل هذه المدرسة على الخصوص هى التى أثرت فى المتنبى الصغير (تأثيراً ظاهراً) حتى جعلته مقلداً فى الفن الشعرى ؟ أم أن كل متعلم شاذ مبتدىء مقلد بالضرورة الملحمة إلى التقليد ؟ ثم الخصلة الثالثة ، وهى أن المتنبى لم يكن بعيداً كل البعد عن أمور القرامطة ، هى أيضاً مما يصح أن يكون من التأثير الظاهر الذى كان لهذه المدرسة ؟ فكيف يكون ذلك يا سيدى الدكتور العبقرى ؟ وكيف يصح لك أن تقذف به ، والمدرسة شئ لا صلة بينه وبين أخبار القرامطة وأمورهم ؟ ثم الخصلة الرابعة التى أضافها الدكتور على أثنائه الثلاث ، وهى « أن الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً للسخرية ثم للهجاء » ، فمن أين

يأتى تأثير المدرسة فى (طول لسانه واستعداده للسخرية ثم الهجاء) ؟ وهل فيما نزل به الوحي على الدكتور العبرى أن كل من تعلم فى هذه المدرسة كان طويل اللسان ، مستعداً / للسخرية ، ثم مقلداً فى الفن الشعرى ، ثم على صلة بأخبار القرامطة ١١٧/٢ وأمرهم ؟!

وإن يكن فى كلام الدكتور طه شىء من الصواب فهو فى الخصلة الثانية حيث قال : « إن هذا الشعر شِعْرٌ صَبِيٍّ متشيع للعلوين ، متأثر بآراء الشيعة ، وبآراء الغلاة منهم خاصة » ، ص : ٥٢ . ومعنى الصواب هنا على الاتساع والبَحْثَة ، وتأويل ذلك : أن المتنبي قد تأثر بمذهب الشيعة ، وذلك ضرورة اقتضاها اختلافه إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، كما نص البغدادى ، وأما سائر كلام الدكتور فليس فيه بعد ذلك صواب ، فشعر المتنبي فى صباه ليس فيه الأثر ولا الدليل عليه ، وليس فيه شىء من مذهب الغلاة من الشيعة ، كما سنيين ذلك بعد فى الكلمات المقبلة ، عند تعرض الدكتور فى كتابه للتعلق بهذا الوهم ، فى كثير من أوهامه التى لا تنتهى .

وبعد ، فالدكتور طه يقف فى ص : ٥٣ عند المقطوعات الأولى من شعر المتنبي فى صباه ، ليرى - أراه الله الخير - أنها تصور حقاً كل هذه الخصال التى أحصاها ! وعدّها عدّاً ، وهى أربع . يقف الدكتور عند قول المتنبي الذى زعموه أوّل شعر نظمته ، وهو :

بَابِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَاْفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعَا
فَاْفْتَرَقْنَا حَوْلًا ، فَلَمَّا التَّقَيْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

وقد أراد الدكتور طه أن يبين لقارىء كتابه مقدار العنت الذى / تكلفه المتنبي ١١٨/٢ الصبى وحمل نفسه عليه فى صناعة هذين البيتين ، فشرح البيتين بما لا غناء فى ذكره ولا فائدة فى ص : ٥٤ . ثم قال : « وأكبر الظن أن الفكرة التى حملت الصبى على أن ينظم هذين البيتين هى هذه التى توجد فى الشطر الأخير من البيت الثانى وهى : « كان تسليمه علىّ وداعاً » ، أعجب الفتى بهذا المعنى ، فأراد أن ينظمه ، وأن يصل إليه ، فتكلف لذلك بيتاً ونصف بيت » .

ونحن لا نرى بأساً بهذا الكلام على ضعفه وقلة غنائه ، ولو وقف عنده الدكتور طه لكان مستوراً ، ولكن هذا القول شبيهاً بأن نجعله ممن قد سوَّغ البَصَر بالشعر والفهم له والنقد فيه ، ولكن الدكتور طه لا يُتَّقَى على نفسه ، ولا يحفظ عليها ما يحفظ عليها الستر ، فيتخبط ويرتطم ، فيقول مبنياً عن الأسباب التي حملته على هذا الرأى .. يقول : « وأنت ترى مظهر التكلف فى قوله :

« بأنى من ودَدته فافترقنا »

» فكلمة (ودَدته) هنا نايبة قلقه ، مُكْرَهَةٌ على الاستقرار فى مكانها الذى هى فيه . أراد أن يقول (أحبيته) ، فلم يستقم له الوزن ، فالتمس كلمة تؤدى له هذا المعنى وتلائم هذا الوزن ، فلم يجد إلا (ودَدته) هذه » ، ص : ٥٤ - ٥٥ .

وبهذا الضرب من الكلام كشف الدكتور ما أسبغ عليه الكلام الأول من حجاب ، ودلَّ على الذى هو مطبوع عليه من التخلف فى النقد وسوء الفهم للشعر ، وقلة البصر به وبنقده . وقد تولى الأستاذ الجليل / والكاتب المفكر عباس محمود العقاد ، ١١٩/٢ فى عدد شهر مارس سنة ١٩٣٧ من مجلة الهلال ، تهجينَ هذا الضرب من النقد واستسقاطه ، وأبان عن فساده ، بما أبان عن فساد مذهب الدكتور طه فى نقد الشعر وفهمه ، فقال : « والخلاف بيننا وبين الدكتور فى طريقة النقد هنا جدٌ بعيد . فنحن نرى من جهة أن أبا الطيب لو أراد أن يقول « أحبيته » بدلاً من « ودَدته » لاستقام له الوزن مع بعض التجوز الكثير المقبول فى العروض ، ونرى من جهة ثانية أن أبا الطيب كان مستطيعاً أن يستخدم هنا « حَبِيتُهُ » الثلاثية بدلاً من « أحبيته » الرباعية ، كما استخدمها هو نفسه فى قوله وهو شاعر كبير :

حَبِيتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وقد كان غداراً فكُنْ أَنْتَ واقِياً

فلا ضرورة فى الوزن ولا استكراه . وفضلاً عن هذا لا نظن كثيرين يحسبون مع الدكتور أن « ودَدته » فى موضعها من البيتين لا تعبر عن معناها الصحيح التى لا تعبر

عنه كلمة غيرها ... فالمودة هي ذلك الحب الرقيق الذى فيه حُنى وشوق ، ^(١) وليس فيه عنف ولا اعتلاج ، وليست فى العربية كلمة هي أصلح لهذا المعنى من « ودته » التى اختارها الشاعر ، وليجرب الدكتور طه أن يغيّرها فى كلام منشور ، فسيعلم أن هذه الكلمة فى نظم المتنبى الصبى هي أشبه الكلام بنظم المتنبى الكبير .

« ومن المحقق أن « المودة » ومشتقاتها ليست من الكلمات التى يلجأ إليها شاعرنا اضطراراً ، أو لعجز فى الوزن والصياغة ، فهي مألوفة فى قصائده / العديدة ، وتكاد تكون ١٢٠/٢ لازمة له فى التعبير عن الحب يشتى معانيه ، ونذكر أمثلة على ذلك منها قوله :

ما الخُلْ إلا مَنْ أودُّ بقلبه وأرى بِطَرْفٍ لا يرى بسوائه

وقوله :

وكلُّ ودادٍ لا يدومُ على الأذى دوامٌ ودادى للحُسين ضِعِيفٌ »

ثم سرد الأستاذ العقاد بعد ذلك كثيراً من شعر المتنبى الذى وردت فيه هذه الكلمة ومشتقاتها ، وعقب على ذلك بقوله : « ومثل هذا التكرار لهذه الكلمة جدير بالتسجيل ، لأنه ذو دلالة نفسية ، فوق دلالته الصناعية أو اللغوية ، لأنه يدل على افتقار الشاعر طول حياته إلى الود والأوداء ، حتى قنع بالتزييف والطلاء ، كما قال :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبُ المَنايا أن يَكُنْ أمانياً
تمنيتها ، لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعشى ، أو عدواً مُداجياً

وهي ظاهرة لا نظير لها فى عامة الشعراء » ، انتهى كلام الأستاذ العقاد ، وليس لنا بعده شيء نقوله إلا كان مما يسوء الدكتور طه ولا يُبقي عليه ، إذ لم يُبق هو على نفسه .

...

(١) يقول أبو فهر : انظر قول المجنون ، وهو يؤيد مقالة الأستاذ العقاد :

الحُبُّ والودُّ نيطا بالفؤادِ معاً فأصْبَحَا فى فؤادى ثابتين معاً

/ ثم قال الدكتور بعد الذى نقلناه آنفا : « ثم انظر إلى الشطر الثانى من هذا البيت :

بأبى من ودُّته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعاً

« فتراه فى نفسه حسناً مستقيماً ، ولكنه مع الشطر الأول قلق ، يظهر عليه التكلف الشديد ، لا لشيء فيما أظن ، إلا لأن الشاعر الصبى قد أُعجل ولم يملك ما ينبغى له من الأناة ، ولم يتم معناه الذى ضمنه الشطر الأول ، وإنما وثب منه وثوباً إلى هذا المعنى الثانى ، لأنه عجل يريد أن يصل إلى الشطر الذى ألقى إليه ، والذى حمله على نظم البيتين » ، ويريد الدكتور قول المتنبى « كان تسليمه على وداعا » .

وأنت يا سيدى الدكتور الجليل رجل عبقري ، شاعر الطبيعة ! فنان النفس ! ملهم الحس ! فهلا خبرت قارئ كلامك ، ما هو تمام معنى الشطر الأول ؟ فإنك تزعم أن المتنبى « لم يتم معناه ، وإنما وثب وثوباً إلى المعنى الثانى » - الذى هو « وقضى الله بعد ذاك اجتماعاً » . وهذه القضية التى تريد قارئ كلامك أن يسلم لك بها لا تصح عند أحد ، حتى تقرر ما تسميه (تمام معنى الشطر الأول) ، فبذلك يُعرف أن المتنبى لم يصبر على إتمام المعنى ، فقلق وتحير واستبدت به شهوة الكلام ، كما تستبد ببعض من خلق الله من خلقه ، (فوثب وثوباً) إلى المعنى الثانى ، فكان الشطر الثانى قلقاً مع الشطر الأول لمكان هذه الطفرة ، وموضع هذه الوثبة . أمّا عندنا وعند سائر من رزقه الله الفهم وحسن البصر بالكلام العربى ، فليس فى الشطرين قلق ، وإنما فيهما فُسولة المعنى وضعفه وقتله .

/ وإذا أردنا بيان فساد هذين البيتين قلنا فيهما قولاً على مذهب غير هذا المذهب الضعيف الذى اختاره الدكتور طه وانجذب إليه بطبيعة ضعفه فى فهم الشعر ، ولكن ليس هذا موضع ذلك ، لأننا بسبيل نقد كلام الدكتور وإظهار فساده ، والكشف عن حيله التى يتعامل بها حين يكتب فى مثل ذلك من الأدب .

والدكتور طه هو أبداً الدكتور طه حين ينقد الشعر ، فهو لا يملك إلا أن يقول :
(انظر وتأمل ، ولا تنس هذا ، وأعرف ذاك) وما إلى ذلك مما ليس فيه تفصيل ولا بيان ،
فإذا أراد التفصيل والبيان ، وعمد إلى الدلالة على موضع النقد ، اختلط واضطرب ووقع
أوله في آخره ، وأعلاه في أدناه ، ولم يأت إلا بمثل الذى يقال فيه : « اختلط المرعى
بالهمل » ! [المرعى : من الإبل الذى له راع ، والهمل : الذى لا راعى له] . وإذا شئت
أن تستيقن هذا فاقرأ تمة هذا الكلام فى ص : ٥٥ إذ يقول : « فانظر إلى قوله : « فافترقنا
حولاً » بعد قوله : « وقضى الله بعد ذاك اجتماعاً » ، وانظر بعد ذلك إلى البيتين جميعاً ،
فستظهر لك الصنعة والمحاولة ظهوراً لا يدع سبيلاً إلى الشك فى أن الصبى قد أنفق
جهداً ثقيلاً ووقتاً طويلاً ، حتى استخرج من نفسه هذين البيتين » ، انتهى . وهو كلام كما
ترى : « أينما تُوجَّهه لا يأت بخير » ، وليس فيه إلا التظاهر والتكثير بالكلام الذى
لا ضابط له ولا حد ، (كالصنعة ، والمحاولة وإنفاق الجهد الثقيل ، والوقت الطويل) ،
وإنما هو يا سيدى ثرثرة ولغو وغفاء كما ترى .

...

ثم يقول الدكتور الوقاف على « هذه الأبيات الثلاثة الأخرى التى قالها صبينا فى
حدثاته كما ينبئنا الديوان ، وكما تنبئنا هى أيضاً » ، ص : ٥٦ :

١٢٣/٢ / أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ التَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفَنِ وَالْوَسَنِ
رُوحٌ تَرْدُدٌ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ ، إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبُ لَمْ يَبِينِ
كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَتْنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُحَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي

« فواضح جداً أن بيت المقطوعة هو البيت الأخير ، وأن الفكرة التى يريد الصبى
تصويرها هى الإغراق فى وصف النحول » ، ص : ٥٧ ، وفى ص : ٥٦ - ٥٧ : « وكان
حظ هذا البيت الأخير كحظ ذلك الشطر الأخير من البيتين السابقين ، حفظه الناس
وأحبوه ، وتمثلوا به ، لأنه وحى الطبيعة البرىء ، وأهملوا ما قبله ، لأنه متكلف
مصنوع » ، انتهى .

ولو وقف الدكتور عند هذا القول لوَفَّر على نفسه حسن الظن به ، ولأبقى على رضى القارئ عنه ، ولاجتنب أن ينصب فكره وعقله غرضاً للرأى ممن يحسنون الفهم . ولكن الدكتور ليس يفعل ذلك ، لأنه مسلط على نفسه ، فعاد مرة آخر للنقد ، ولتعليل ما أحسَّ به من التكلف البين في هذا الشعر ، فأخذ يتلمس العِلل ويتحسسها في حروف الشعر ، فلم يأت بشيء بل قال : « انظر كيف تكلف الوصول إلى هذا البيت الأخير :

« أبلَى الهوى ، أسفاً يومَ النوى بدنى »

/ فأسفاً هنا ، كلمة لم تأت إلا لتقيم الوزن ، ونبوها عن موضعها أظهر من أن يُدلَّ عليه . ١٢٤/٢

وأيضاً ، يعود الأستاذ العقاد إلى ضغط الدكتور طه وحزقه بأخطائه في فهم الشعر أو البصر بمعانيه ، وحدود ألفاظه ، فيقول في عدد الهلال المذكور آنفاً - بعد أن نقل كلام هذا الدكتور : « وعندنا أن الطريقة المثلى لتحقيق الكلام الذى تجيء به ضرورة الوزن ، أن نغذف الكلمة ، وننثر البيت ، وننظر بعد ذلك إلى قوة المعنى وقوة الأثر ، فإن بقيت للمعنى قوته ، وبقي له أثره ، فالكلمة المحذوفة حشو لا موجب له غير إقامة العروض ، فهل « أسفاً » في الشطرة التى عابها الدكتور من الكلمات التى يصدق عليها هذا القياس ؟ لا نظن ، بل هى كلمة تتعلق بها كل قوة البيت ، كما تتعلق بها نغمته الموسيقية ، ودلالته في الشعور بسبب البلى يوم النوى ، وهو الأسف والحسرة » ، انتهى كلام العقاد ، وهو كلام جيد يقصّر عن مثله الدكتور طه تقصيراً كبيراً .

ثم يقول الدكتور : « ولكننا مع ذلك نلاحظ شيئاً من الموسيقى قد (وُقِّ) الشاعر إليه بين (الهوى والنوى) وهو يدل على شيء من (الرق في صناعة النظم) ، وعلى أن الصبى قد (استطاع أن يتصرف) شيئاً ما في الألفاظ » .

وإذا أردت أن تعرف فساد هذا الكلام كل المعرفة ، فلا تكن كاللكتور طه يجعل عامية هذا الزمن الذى نعيش فيه ، وما هى فيه من البعد / عن ألفاظ العربية الفصيحة ، ١٢٥/٢
 لمكان النشأة الأولى فى بُيوتنا بين الجاهلات من عجائز الحَدَم وما فوقهن - هى الأصل الذى تقيم عليه كلامك وفهمك ونقدك . بل أعلم أن هذا (الصبى) قد نشأ فى الكوفة ، أى فى بلد عربى ، وهذه النشأة كانت فى القرن الثالث من الهجرة أو أوائل القرن الرابع ، والعربية لا تزال بَعْدُ فى هذه البلاد على حالة من الخير ، لم يصبها إلا الدخيل من الفارسية وغيرها ، وبعض ما فشا من اللحن والخطأ . ولم تكن الكلمات العربية قد أهملت بَعْدُ كما أهملت فى هذا العصر ، فكان مثل قولك : (النوى والهوى) من الألفاظ الدائرة على ألسنة القوم ، يتلقنها الولد الصغير من لسان أمه وأبيه وجاريتته وذادته ، وقد كان الأمهات والحَدَم والجوارى لذلك العهد يحفظن الشعر ويتمثلن به ، وإن لم يُقِمْنَه على الأصل . وكان الشعر العامى وهو أشبه بهنّ وأعلق بنفوسهن - مما يكثر فيه هذا الضرب من الألفاظ ، وهذا الصنف من المقابلة بين اللفظ وزنته أو شبيهه ، وكنّ يتغنن بكثير من ذلك . فالصبى بنشأته يتلقن هذا الكلام ، ويعرفه ويستعمله فى حديثه ، فظهوره فى شعر المتنبى الصبى ليس يدل على شئ من الموسيقى (وفق) إليه الشاعر بين (الهوى والنوى) ، أو على شئ من (الرقى فى صناعة النظم) ، وإنما يدل - إذا أراد الدكتور أن يذهب هذا المذهب من الكلام - على الاستعداد الطبيعى فى هذا الصبى لنظم الشعر ، ومعاناة القريض . وأنت بعد تَرى مقدار النقص فى مثل قول الدكتور أنه يدل أيضاً - (على أن الصبى قد استطاع أن يتصرف شيئاً ما فى الألفاظ) ، فما يكون ذلك إلا فى / مثل زماننا هذا ، إذ ينشأ ناشئنا فى العامية الدانية ، وإنما يحفظ اللغة حين يتعلّم ، ثم ١٢٦/٢
 يكون له أن يتصرّف فيها ، فإن سَوَّغ القدرة استطاع ، وإلا لم يستطع هذا التصرف .

ولعل الدكتور يعرف أن فيمن عاصر المتنبى من الشعراء ، جماعة منهم كانوا لا يحسنون القراءة ولا الكتابة ، وإنما كانوا أصحاب صناعة أو أهل خدمة ، لم يأخذوا

الشعر عن أحد من أهل العلم به ، ومع ذلك قد رَوَى الرواة لهم شعراً حسناً لا بأس به ،
وكانت فيه موسيقا ، وكان فيه رُقْيٌ في النظم ، وكان فيه تصرف في الألفاظ !!
وللسبب المقبل طَرَفٌ من القول في نقد هذا الفصل .

...

- ٩ -

/ يقول الدكتور طه في كتابه ص : ٥٩ : « قيل للمتنبي وهو في المكتب : ١٢٧/٢
ما أحسن هذه الوفرة ! فقال :

لا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَنَشُورَةَ الضَّفَرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ
عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةٍ يُعْلِلُهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبَالِ^(١)

ثم يزعم أنه لم يرو هذين البيتين إلا « لما يصوران من نزاع هذا الصبي الحَدَث إلى الحرب والقتال ورؤية الدم المسفوك ، وما ينمّان به من حفيظة تضطرب في نفس الصبي ، وضعيفة تضطرم في قلبه الغض ، وتطلق لسانه بهذا الكلام الملتهب » . وهذا كلام لا بأس به ، على أنه مختصر من كلامنا عن هذين البيتين في [ص : ١٨٣ - ١٨٥] من كتابنا هذا عن المتنبي ، ولم يكن للدكتور من فضل إلا تبديل الألفاظ . ولا نطيل بذكر كلامنا في هذا المكان طلباً للمقارنة ، ولكنني أدلّ القارئ على أني حين تكلمت عن / هذين البيتين ، ١٢٨/٢ حاولت أن أستخرج منهما الأصول التي بُنيت عليها نفس أوى الطيب ، وحللت معانيهما في ستة أصول ، لعلها هي أظهر ما استوت عليه نفسه حتى بلغ الغاية في أعقاب عمره . وكلام الدكتور طه الذي نصفه بقولنا (لا بأس به) ، هو أبداً من (عند غيره) ، حتى ولو كان هذا الكلام مما يصح أن يقع عليه المبتدئون من طلاب الأدب ، فإذا تجاوزوه الدكتور إلى

(٥) نشرت في جريدة البلاغ ، السبت ٢٨ من المحرم سنة ١٣٥٦ / ١٠ من إبريل سنة ١٩٣٧ .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، وسال حتى بلغ آخر شحمة الأذنين . و « الضفر » ، خصلة الشعر المصفورة كالغديرة ، وقوله : « معتقل صعدة » ، أى حامل رمح إلى الحرب . و « يعلها » ، يسقيها من الدم مرة بعد مرة . و « الوافي السبال » ، الطويل اللحية .

ما يأتي به من (عند نفسه) ، تهالك وتهذل ، وجاء كلامه متخلعاً متحرّفاً لا يدلّ إلا على القدرة العبقريّة في مادة الإطالة والتحويل والثروة .

ودليل ذلك ما يقوله بعقب ما نقلناه لك . « ولك في فهم هذين البيتين وجهان فيما يظهر : فهل كانت الوفرة التي استُحسِنَتْ له وفَّرَتْه هو ؟ وإذن فهو غير راضٍ عن نفسه ، ولا مطمئن إلى حاله ، وإنما هو متحرِّق إلى الشباب الذي يمنحه القوة والحرية ، وإلى الظروف التي تتيح له خوض غمار الحرب ، وعَلَّ صعده من دماء الأعداء = أو هل كانت الوفرة وفرةً تَرَبُّب من أترابه في المكتب ؟ فالصبي إذن يهجو ، ولا يرضى عن هؤلاء الصبية المنعمين الذين يُعَنُّون بوفراتهم ، وتنسيق شعورهم أكثر مما يعنون بحياة الخشونة » .

والوجه الثاني ، مع الأسف ، سخيّف جداً ، وفاسد جداً ، وهو إلزامٌ للماضين من العرب ، بما يألّفه بعض العرب المحدثين . فعادة العرب في الجاهلية والإسلام توفير الشعر ، والعناية به ، في الرجال والنساء والصبيان جميعاً ؟!

ومع ذلك فهذان الوجهان تقسيمٌ باطلٌ لا معنى له ، وثرثرة فارغة / لا خير فيها . هذا على أن المعنى فيهما واحد لا يختلف ، وما يدلّان عليه لا يتناقض ولا يتباعد . فعلام ذكر الوجهين إذن ، ما دام نص الكلام يدلّ على أن المقصود هي وفرة المتنبي نفسها لا غيرها ؟ وعقل العقلاء يدلّ أيضاً على أنهم يعنون تلك لا غيرها ، والعادة المعروفة لأهل ذلك الزمان هي الإبقاء على الوفرة المسترسلة في الصغار والكبار ، وعادة أهل الكوفة والبلاد التي يكثر فيها (العلويّون) على الخصوص هي ما ذكرنا ؟

١٢٩/٢

ثم لو أن الدكتور طه كان قد تتبع خبر المتنبي ، لعرف أن مُعاداً اللاذق قال في حديثه : « قدم أبو الطيب اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمئة وهو لا عِدَار له ، (وله وفرة إلى شحمتي أذنيه) ، فأكرمه وعظّمته لما رأيْتُ من فصاحته وحُسن سَمْتِه » .

وهذا دليل على أن الوفرة المقصودة هي وفرة المتنبي نفسه . وقد أردنا بهذه الكلمة أن ندلّك ، أيها القارئ ، على طبيعة الدكتور طه التي لا تفارقه أبداً ، لتجعلها منك على

ذُكِرَ أَنَّى قرأت كلامه ، ولو شئنا أن نتعقب فعلاات الدكتور فى كل وجه من كتابه ، وعند كل سطر ، وبين كل لفظ لفعلنا ، ولأنشأنا كتباً عدة فى بيان المذهب العقل الذى يتمرغ فيه كلامه !!

ومع أن الفائدة منه محققة لقراء كتب الدكتور ، فإن الوقت لا يمدنا بمؤونته من الساعات ، وعندنا من العمل الذى يشغلنا بالاستفادة من العلم ، ما يقطعنا دون ذلك . فاعلم أننا سنتجاوز لك عن أشياء من هذا الكتاب ، / لا للصواب الذى فيها ، بل للبلاء ١٣٠/٢ الذى نحن فيه مما يؤذى ويُمِضّ ويقلق .

...

وقد شاء الدكتور طه ، ولا ردّ لمشيبته ، أن يجعل البيتين السالفين أول حجر يُلقى به فى البناء الحَرِيع الذى أراد بناءه ، من أن المتنبي كان من القرامطة ، فقال فى ص : ٦٠ : « ومهما يكن من شئ ، ففى هذين البيتين ربح البيئة الدامية التى كان يعيش فيها الصبية من أتراب المتنبي ، بين تلك الغارات التى كانت تنتهى بالقرامطة إلى الكوفة وسوادها من حين إلى حين » .

ولو تدبّر القارئ لعلم أن الدكتور لم يفعل ذلك إلا لغرض فى نفسه قدّم له ، وأراد هنا أن يدلّ عليه ، ثم يشاء بعد أن ينسحب عليه فى مواضع من كتابه .

وهذا عمل غير صالح ، وإلا فلم خصّ (البيئة الدامية) بالقرامطة ؟ والكوفة وغير الكوفة من بلاد العربية كانت ميداناً ومَجَالاً ووَعَى دائرة ، ونزاعاً مستمراً قائماً بين الطوائف كلها لذلك العهد ، ولم يكن القرامطة وحدهم هم (حملة السلاح) .

وقد أشرنا إلى ذلك فى كتابنا هذا ص : ١٩١ ، ١٩٢ وهو الفصل الذى فيه هذا

البيتان فقلنا :

« وكانت الكوفة ، التى نشأ بها أبو الطيب وشبّ وترعرع وتفتّى ، / لذلك ١٣١/٢

العهد ، بلداً من بلاد الإسلام قد رمتها القرامطة بجيوشها مرّات ، وفعلت بأهلها الأفاعيل ، وكانت الدولة العربية في شغل عن الكوفة بانقسامها شيعاً يأكل بعضها بعضاً ، وظهرت شوكة الأعاجم ، وكانوا أصحاب حيلة ودهاء ، فأوقعوا بين المسلمين ، وبين عرب البادية ، حتى صارت الدولة العربية المترامية الأطراف في ثورة دائمة لا تفتر ، ولا تنقطع الحروب في ناحية إلا اتقَدَّتْ نيرانها في ناحية أخرى .

« ولا شك أن إحساس أبى الطيب قد ألمَّ بذلك كله وفصله ونقده ، وعرف الداء الذى كمن في بدن العربية ، واستلَّ قوتها وقتل روحها ، فازداد إلى ثورته ثورة ، وإلى حقه حقدًا » .

فاختصاص القرامطة وحدهم بذلك لا مسوَّغ له كما ترى ، وهذا ما قلناه في ص : ١٩٤ و ص : ١٩٥ ، قلنا : « كان الذكاء والثورة والنظر والتجربة والاختلاط بالناس واختبار أخلاقهم ، وتعجُّبه من فساد أقيستهم ، وبُطلان مذاهبهم ، ثم اعتماده في نفسه على الثقة بها ، واعتداده بمقدرته ، واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم أو السلطان أو القضاء إلا بالسوء والقيح ، ثم طبيعته الشاعرة المرهفة التى تلتقط صور الأشياء ، ثم تنتزع منهما الأخيصة الشعرية = كل ذلك أسرع (بالفتى) إلى ضرب من القول الساخر الذى لم تر العربية مثله في شعر شاعر .

١٣٢/٢ « إلا أن سُخْرِيته التى انفرد بها لم تكن بعدُ في كِبَرِهِ إلا ضرباً من الحكمة / والعبرة لا يفتن لها إلا أفذاذ العقول ، ثم يدُلُّون عليها بالإيجاز العجيب ، فلا يبالغون في تصويرها ، بل يضعون لها (اللفظ) الذى يخرجها مخرج الحكمة ، ويزيدها رَوْعَةً في السُّخَر .

« وقد حفظ لنا المتنبي ضرباً من سُخْرِيته في (صغره) تدلُّ على ما استحکم في شعره بعدُ ، وصار في شاعريته طبيعة متأصلة مستحكمة .

« مرَّ المتنبي برجلين قد قتلا جُرْذاً ، وأبرزاه يُعجِّبان الناس من كِبَرِهِ ، فقال :

لقد أصبح الجُرْدُ المُسْتَغِيرُ أُسِيرَ المنايا صَرِيحَ العَطَبِ
رَمَاهُ الكِنَانِيُّ والعامِرِيُّ وَتَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ العَرَبِ
كِلاَ الرجلين أَتَلَّى قَتْلَهُ .. فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ ؟
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ ؟ فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنْبِ

« قتل الرجلان الكنانى والعامرى هذا الفأر الكبير ، فأخرجاه ليعجبا الناس من كبره ، وهذا سُخْفٌ منهما إذ شغلا أنفسهما بعبث لا معنى لمثله عند المتنبي الذى يريد في نفسه قَتْلَ الملوك ، فمن هنا قال : (الجُرْدُ المُسْتَغِيرُ) الذى أغار عليهما كما تغير الجيوش ! ثم لما فرغ من جعله كذلك « ذكر أن الفأر وقع فى (أسر المنايا) كما يقع العدو فى الأسر حين رماه الكنانى والعامرى بالسهم كما يرمى العدو . وبذلك يسخر من رجلين يجمعان قلوبهما على قتل ، ثم لا يكون المقتول إلا فأراً !! ثم لا يكتفى صاحبا بهذا ، / بل يقول : إنهما أخذوا يصارعانه ، كما يصارع العربى خصمه « مستعيناً عليه بالقوة حتى يَكْبَهُ على وجهه مقتولاً ، وذلك قوله : (وَتَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ العَرَبِ) . ثم يقول بَعْدُ : كِلَا كَمَا تَوَلَّى قَتْلَهُ - وذلك لكبر الفأر وشدته !! - ولكن مَنْ منكما الذى سرق حُرَّ ثيابه وجيّد سلاحه ؟ كما يسرق السارق فى الحرب أسلاب القتلى ويخفيها عن أصحابه من المقاتلة . ثم يعود فيقول : إنكما كنتما تصارعانه بعد أن رميتهما بسهميكما ، وكان أحداً من خلفه ، فمن منكما الذى كان من ورائه ليحتال على صرّعه ؟ وقد عَرَفْتُ حيلته فى صراع هذا الفأر العظيم !! فَإِنَّهُ عَضَّهُ فى ذنبه ، وهذه العضة بَيِّنَةٌ ثُمَّ = وأنت إذا عدت فقرأت الأبيات على ما تكلفنا شرحه ، رأيت بلاغة الرجل فى السخرية ، ودقته فى اختيار الألفاظ ، وإيجاز الصورة التى يريد أن يتفكّك لك بها » ، إلى آخر هذا الفصل الذى أطلنا بنقله .

فجاء الدكتور طه أيضاً وذكر هذه الأبيات فى ص : ٦٠ ثم قال :

« فظاهر أن هذا الشعر ليس شعر صبى يُقَرِّم ، ^(١) وإنما هو شعر شاعر قد

(١) القرزّام (بكسر القاف وسكون الراء) الشاعر الدون . يقال : « هو يقرزم الشعر » ، أى يقول شعراً

راض نفسه على نظم الكلام ، وتعلم كيف يصرف هذا الكلام كما يحب من وجوه القول ، بل تجاوز رياضة النفس على إجادة النظم ، إلى التماس الهجاء المحض والسخرية اللاذعة ، وإلى ترتيب المعنى وتأليفه وحمايته من الاختلاط والاضطراب .

١٣٤/٢ / وهذه العبارة كما ترى ، هى جزء نفخ فيه الدكتور من كلامنا ، ثم طفق بعد ذلك يشرح هذه الأبيات بما لا يخرج عن المعنى الذى قلنا ، وقطع فى ذلك من ص : ٦١ - ٦٢ . وأنا على يقين من أن الدكتور لم يتعب نفسه فى هذا الكلام إلا لِمَا وجد فى كلامنا عن سخرية المتنبي .

وقد كنت أول من وقف عند هذه الأبيات ، وبين أنها سخرية .

والحقيقة أنه بعد هذه الأبيات لم يوفق فى الكتاب كله إلى الكشف عن موضع واحد من سخرية المتنبي ، التى قال عنها فى ص : ٥٣ : « وخصلة رابعة : وهى أن هذا الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً (للسخرية) ثم الهجاء » . فالدكتور على عادته يأخذ أصل الرأى من غيره ، ثم ينسأه نسياناً تاماً ، ولا يستطيع تطبيقه على شئ مما يقع تحت يده ، إلا أن يجد تحت يده أيضاً شيئاً يأخذه يكون بسبيل من هذا !!

...

ثم لا يكاد الدكتور ينتهى من الكلام عن سخرية المتنبي فى ص : ٦٤ ، حتى يقفز (القفزة الأولمبية) المشهورة ، فيقول فى إثر ذلك : « قال الرواة : وقد خرج المتنبي من الكوفة مع أبيه إلى البادية فأقام فيها حيناً ، ثم عاد منها وقد نما جسمه وعقله ، وفصح لسانه ، وأصبح فتى يملأ العين والأذن » . وهذا الذى (ألصقه) الدكتور طه بالرواة ليس يصح على علته ، وهو قد جعل خروج المتنبي إلى (البادية) دون أن يعين أية بادية ، حاجة فى نفسه . / والحقيقة التى رواها الرواة : « أن المتنبي حين خرج من الكوفة صعد إلى بادية السماوة فى مشارف الشام » ، وهذه هى إحدى الروايات = والرواية الثانية « أنه

سافر مع أبيه إلى الشام فلم يزل ينتقل من حاضرة إلى بادية = والرواية الأخرى : « أنه خرج إلى البادية فعاد عربياً قُحاً » ، وظاهر أن المراد بالبادية في هذا النص الأخير بادية الشام ، لأن الروایتين السالفتين تدلّان على ذلك ، ويؤيده قول الواحدى في أول شرح ديوانه : « ولّد أبو الطيب بالكوفة ونشأ بالشام والبادية » .

هذا على أن الدكتور طه قال إن المتنبي خرج مع (أبيه) ، ولا ذكر في الروايات (لأبيه) إلا رواية من قال : « إنه خرج مع أبيه إلى الشام » ، فكيف يُحرّف الدكتور النص ، ويأخذ بعضاً ويدع بعضاً ؟ أو تدرى لماذا فعل الدكتور طه هذه الفعلة المستنكرة ؟ فعلها لأنه يريد أن يوقع نفسه في إشكال ، ^(١) وأن يحلّ هذا الإشكال على رأى مبيّ ، فيقول لك في ص : ٦٤ : « إن من العسير أن نقطع بالسبب أو الأسباب التى حملت الصبى على أن يرتحل إلى البادية فهل ارتحل إليها كما كان يرتحل إليها المتعلمون التماساً للصحة ورياضة اللسان ؟ أم ارتحل إليها التماساً لهذه البيئة (القرمطية) التى كانت متصلة أشد الاتصال بحياة الشعب الكوفي في ذلك الوقت ؟ » ثم يقول في ص : ٦٥ : « ليس من اليسير أن نقطع بشئ من / هذا ، ولكن الذى نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون (تأمل هذا !) هو أن رحلة المتنبي إلى البادية قد نفعته من الناحيتين جميعاً ، فقد ربا جسمه ونما عقله وفصّح لسانه ، وتعلّم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية . وشعر المتنبي في صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، بيّن لنا هذا أوضح تبين وأجلاه » . وظاهر من هذين الكلامين أنه في أولهما قال إنه من (العسير) أن يقطع بأحد السبيين ، ولكنه في آخرهما كان من (اليسير) عليه أن يقطع بنتيجة السبيين جميعاً ! وهذا كلام ضعيف هالك ، فإذا قطع الدكتور بهذه النتائج ، فالأسباب أيضاً في حكم المقطوع بها بغير شك .

(١) تبين لى بعد كتابة هذه المقالة أن الدكتور طه « أخذ هذا الرأى على عادته ، من الأعجمى المستشرق ،

بلاشير ، ولذلك فالدكتور معذور في هذه الأخطاء ، التى وقع فيها !

والدكتور يقطع بأن المتنبي تعلم أصول القرامطة وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معا ، قبل إيراد الحجة أو شبهها على هذا الذى قطع به !! وليس ذلك فحسب ، بل إنه كما قلنا تعمد أن يذكر (البادية) بغير تعريف ليقول بهذا القول . وهذا فعلٌ غير حميد ، إذ كان يجب عليه أن يعين البادية التى رحل إليها المتنبي ، لأنه إذا صحَّ أن الرحلة كانت إلى بادية السماوة (وهذا صحيح ولا شك) ، فمن التهم أن نقول إنه تعلم أصول القرامطة هناك ، فلم تكن بادية الشام موطناً من مواطن الدعوة القرمطية ، بل كانت من أعداء القرامطة ، وكثرت عليها غاراتهم ، واشتدت فيها حروبهم . وأما موطن الدعوة القرمطية ، فكان فى جنوبى الكوفة إلى البحرين ، من أواخر القرن الثالث ، إلى أن خفَّت وذهبت ريجها . فشأن هذه البادية التى رحل إليها وكثرت عليها غارات القرامطة ، شأنُ الكوفة التى رحل منها وكانت عليها غارةُ القرامطة . وإذا كان وجوده فى الكوفة لا ينتج القول بأنه / كان قرمطياً ، كما ذهب الدكتور إليه فيما بعد ، فكذلك رحلته فى بادية الشام لا تأتى بشيء يعضد هذا القول .

...

وكما رأيت قبل أن الدكتور أقحم القرمطية فى الآيات المذكورة فى أول هذا الكلام ، تراه يعود فى ص : ٦٥ فينقل هذه الآيات ويجعلها : « كافية كل الكفاية !! » (تعجب) لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من (البادية القرمطية) وهو قرمطيُّ الرأى ، متحفز ليكون قرمطي السيرة أيضاً . فانظر أيها القارئ كيف يفعل هذا الدكتور : ففى المرة الأولى قال (البادية) بغير تعريف وعلى غير تحقيق ، ثم عاد بعد صفحة واحدة يقول (البادية القرمطية) معرّفة موصوفة ، فهل يستطيع هذا الدكتور أن يحقق ما هذه (البادية القرمطية) ، وأين تقع ؟ وأين كان مكانها من الدنيا ؟ وكيف يجمع بين الروايات ويعدّل بينها ، ويأخذ منها ما يصح ؟

وأنظر الآن إلى هذه (القرمطية) التى يزعمها فى هذه الآيات :

إِلَى أَيْ جِئِ أَنتَ فِي زِيٍّ مُحَرِّمٍ وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمْ ؟
وَالْأَثْمُ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا ، تَمْتُ وَتُقَاسِي الذُّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ
فَثَبَّ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَاجِدٍ ، يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى التَّحْلِ فِي الْفَمِ

/ يقول الدكتور : « فانظر إلى هذا التحرق الذي يظهره الغلام إلى تغيير ١٣٨/٢
حاله ... » ، ثم يقول في ص : ٦٧ : « ليس عندي من شك في أن هذه الأبيات تصوّر
ما عاد به من البادية بعد أن عاش في بيتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد (يعنى
القرمطية) » .

وقد زاد في هذه المرة في صفة البادية التي لا يعرفها : أنها (مقتنعة بالمذهب
الجديد) ؟!

وهذه من عجائب الدكتور الكثيرة ، وهل يرى أحد من الناس في هذه الأبيات
دليلاً على (قرمطته) ؟ ليكن القرامطة من دعاة الخروج على الملوك والسلاطين ، أفكل
خارج على الملوك وعلى الدولة هو قرمطي بالضرورة ؟

لقد كان من الأصول المقررة عند العلويين الخروج على الخلفاء ، أفكان العلويون
أيضاً قرامطة ؟ أو كل من تكلم بمثل هذه الروح الثائرة ، فهي دليل على أنه (قرمطي) ؟
اسمح لي أن أقول لك يا سيدى الدكتور أن هذه الأوهام التي تتخيّلها ليست تصلح
للكلام في تاريخ الشعر ، ولا بيان معانيه ومرامييه وأغراضه .

ثم اسمح لي يا سيدى الدكتور أن أسألك من أين عرفت أن هذه الأبيات قد قالها
المتنبي بعد أن رجع من البادية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ والذي في الديوان المطبوع أنه قال
(في صباه) وفي بعض المخطوطات : (قال وهو في / المكتب) أى بالكوفة ، فكيف لك ١٣٩/٢
بالقطع بأنها مما قاله بعد أن رجع من البادية !!

وأكثر من ذلك أن ترتيبها في الديوان لا يدل على شيء من ذلك - إن كنت قد
اعتمدت على ترتيب الديوان . وإذا كانت (الرصانة اللفظية التي ترفع اللفظ عن

الابتذال ، وتكسبه عذوبة تحس فيها ريح الصحراء) كما تقول في ص : ٦٧ ، هي الدليل على أنه قالها بعد عودته من البادية ، فلماذا جعلت القصيدة ، التي ذُكرت في الديوان قبلها ، وذكرتها أنت بعدها ، من شعره بعد عودته من البادية ، والقصيدة كلها (رطانة) لا رصانة فيها ، وهي مبتذلة اللفظ ، مِلْحَةٌ تتلَوَّق منها مرارة بغیضة مستكرهة ؟ هذا على أنها مما ذكرها الرواة في شعره الذي قاله وهو في (المكتب) بالكوفة ؟ هذا طرف من القول في القرمطية ، وسنعود إليه في الكلمة المقبلة ، بالتوضيع والبيان .

...

ولا بأس من أن نذكر للقارئ فكاهة طريفة من حيل الدكتور طه ، فإننا حين ذكرنا هذه الأبيات في (ص : ١٨٥ ، ١٨٦ من كتابنا هذا) ، قلنا بعد شرح البيتين اللذين ذكرناهما في أول المقالة :

« وهي وإن كانت مما قال في صغره (نعى هذه الأبيات الثلاثة) ، إلا أنها أمثل من الأبيات الأولى في الدلالة على المعاني التي ذكرناها ، والأصول / التي استنبطناها ، فتدبرها على ما قدمنا لك ، تجد الشاعر الكبير في الشاعر الصغير ، إلّا في موضع واحد قلّ في شعره بعد الكبر ، وذلك هو تقديم الثقة بالله على الثقة بسيفه ونفسه » :

وقد سمع الدكتور لنا ، فتدبر البيت الأخير على طريقتنا في شرح البيتين الأولين ، فقال في ص : ٦٧ : « وانظر إلى هذا البيت الأخير :

فَثِبْ وَاثْقاً بِاللّهِ وَثْبَةً مَّاجِدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمِ
فهو لا يريد بهذا (الوثوب) إلا الخروج على السلطان ، وشق عصا الطاعة ، والمخالفة عمّا يأمر به النظام المألوف .

وقد أقر الدكتور كلامنا عن الأبيات الأولى ، وعرف كيف نقف عند الألفاظ لنستخرج منها المعاني ، فوقف عند قوله (ثب وثبة ماجد) فجعله الخروج على السلطان .

ولكن الدكتور لم يستنبط هذا المعنى ، ولا كان مما يتأتى له أن يعرفه ، لولا أننا نبهنا إليه فى آيات أخرى لم يذكرها الدكتور فى كتابه البتة !! مع أنها أدل على هذه (القرمطية) العملية التى يزعمها ، وهى الآيات التى أولها :

/ مُجِبِّي قِيَامِي ، مَا لِدَلِكُمُ النَّصْلُ بَرِيئاً مِنَ الْجَرْحَى سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ ١٤١/٢

فقلنا نحن فى ص : ١٩٨ : « وقوله (مُجِبِّي قِيَامِي) يعنى ثورته وظهوره وخروجه » ، فنقل الدكتور هذا إلى الموضع الذى نصحنافيه القراءة بتدبر الآيات الميمية ، ثم توكل على الله وترك هذه اللامية خشية هذه الفضيحة ، مع أنها أصل له فى الدلالة على مذهبه !! ولأسبوع المقبل .

...

- ١٠ -

١٤٢/٢ / والآن ننشر القول فى مشكلة (القرامطة) التى أراد الدكتور طه أن « يستحدثها » فى المتنبي .

وقد كنا فى الكلمة السالفة قد طوينا القول طياً لأسباب غلبتنا على الإرادة ، حتى هجم علينا بعض كبار أصحابنا باللوم والتعنيف - وقد استحققناهما - فلهم العُتْبَى حتى يَرْضَوْا . فهذه كلمة نستدرك بها ما فات ، ونستأنف القول من مبدئه حتى لا يتفَلَّت من الرأى ما يجب له الحفظ والإمساك .

ومن الظلم البين للدكتور طه أن نقول إنه (استحدث) مشكلة القرامطة ، فليس هو بذلك الذى (يستحدث) شيئاً لم يكن !! ولكنى أنسب استحداثها إليه ، لأنه رجل عبقرى نابغة فذ ، وللعبرى علينا أن ننسب إليه كل ما يقوله ، وإن لم يكن هو صاحبه ولا مبتدعه ولا البادىء به .

وأول من أحدث هذه الخرافة ، فيما نعلم ، أحد الفئة المستشرقة الأستاذ (بلاشير) ، وقيد قوله هذا فى دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة ج ١ ص : ٣٦٤) فقال :

١٤٣/٢ / « ولقد هُذَّب دعاة القرامطة من شأن بنى كَلْب الذين كانوا يعيشون عيشة البدو فى سُهوب تلك الصحراء ، ومن المحتمل (تأمل هذا) أن يكون هذا الشاعر الشاب قد اتَّصل فى ذلك الوقت ببعض هؤلاء (الزنادقة) ، إلا أنه من المرجح (تأمل) أيضاً أن هذا الاتصال لم يترك أثراً واضحاً فى حياته لحدائثه سنه (تأمل هذا واذكروه) ،

ومن المحقق من جهة أخرى أن إقامة أبى الطيب بين هؤلاء البدو ، قد أكسبته معرفة واسعة باللغة العربية كثيراً ما فاخر بها فيما بعد .

واستطرد هذا المستشرق على ضرب من الرأى ليست له سِنادة تحمله ، أو عُكَاوَةً تُقيم أَوَدَه . ولسنا فى سبيل الكلام عنه ، ولكن لو أعدنا على القارئ كلام الدكتور طه بترتيبه فى كتابه ، لما خرج من هذا إلا هذا ، ولكان كل فضل الدكتور هو فيما استبدَّ به من القدرة على الحشو واللُّغو والغلوّ فيهما .

وسيرى القارئ ذلك فى مكانه من كلامنا هذا ، ومن كتابنا فى نقد هذا الكتاب (مع المتنبي) . ومأثرة أخرى للمستشرقين ، فقد زعموا أن المستشرق الأعجمى الأستاذ (مسنيون) ألقى فى مؤتمر المستشرقين الأخير فى رومية بحثاً ادَّعى فيه أن أبى الطيب كان (قرمطياً) ، ذكر ذلك الأستاذ عزام فى كتابه ص : ٣٢٩ ، ثم عقب عليه بقوله : (ورأيت بعض أدبائنا يميل إلى هذا الرأى !!) .

...

١ - / وترتيب حجة الدكتور طه فى أمر القرمطية التى يزعمها على المتنبي هو ١٤٤/٢
ما نحكيه لك ، فحين ذكر بيتى المتنبي حين قيل له وهو بالمكتب : (ما أحسن هذه الوفرة !) ، فقال :

لا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَنَشُورَةَ الضُّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ
عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يُعَلِّهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبَالِ

فقال ، بَعْدَ حَشْوٍ ، فى ص : ٦٠ : « ففى هذين البيتين ريح البيئة الدامية التى كان يعيش فيها الصبية من أتراب المتنبي ، بين تلك الغارات التى كانت تنتهى (بالقرامطة) إلى الكوفة وسوادها من حين إلى حين » .

٢ - ثم زعم الدكتور العبقري فى ص : ٦٤ أن الرواة قالوا : « خرج المتنبي من

الكوفة مع أبيه إلى البادية فأقام فيها حيناً ، ثم عاد منها « فهل ارتحل الفتى إلى البادية التماساً للصحة ورياضة اللسان ؟ أم ارتحل إليها التماساً لهذه (البيئة القرمطية) التي كانت متصلة أشد الاتصال بحياة الشعب الكوفي في ذلك الوقت ، تبعث الرعب في قلوب فريق منهم ، وتبعث الحب في قلوب فريق آخر » .

ثم في ص : ٦٥ : « ليس من اليسير أن نقطع بشيء من هذا ، ولكن الذى نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون ، هو أن رحلة المتنبي إلى البادية قد نفعته من ناحيتين جميعاً ، فقد ربا جسمه ، وغما عقله ، وفصّح لسانه ، (وتعلم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معاً) ، وشعر المتنبي / في صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، يبين لنا هذا أوضح تبين وأجلاء » . وانظر ما نقلناه لك من كلام بلاشير في أول هذه الكلمات ، وفرّق ما بين الكلامين .

٣ - ثم حين ذكر الأبيات التي قالها المتنبي في صباه ، وهى قوله :

إلى أى حين أنت في زىٍّ مُخْرِمٍ ؟ وَحَتَّى متى فى شَيْقَورَةٍ ؟ وإلى كم ؟
وإلا تُمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا ، تُمُتْ وَتُقَاسَ الذُّلُّ غَيْرَ مُكْرَمٍ
فَنَبْ وإِثْقَاً باللهِ وَثَبَةً مَاجِدٍ يَرَى المَوْتَ فى الهَيْجَا جَنَى النُّحْلِ فى الفَمِ

يقول الدكتور طه في ص : ٦٥ : « وهذه الأبيات الثلاثة ... كافية كلّ الكفاية !! لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من (البادية القرمطية !!) وهو قرمطى الرأى ، متحفز ليكون قرمطى السيرة أيضاً » ثم في ص : ٦٧ : « وهو لا يريد بهذا (الوثوب) إلا الخروج على السلطان ، وشق عصا الطاعة ، والمخالفة عما يأمر به النظام المألوف » ، « ليس عندى من شك أن هذه الأبيات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد أن عاش في بيئتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد (يعنى القرمطية) » . ثم يقول : إن هذه الأبيات فيها : « الرضانة اللفظية التى تدفع اللفظ عن الابتذال ، وتكسيه عنوة تُحسّ فيها ربح الصحراء » انتهى ! فكأن هذه الكلمة هى التدليل على أن الأبيات الثلاثة من شعر المتنبي بعد عودته من البادية .

١٤٦/٢

٤ - / ثم فى ص : ٦٨ ذكر من قصيدته التى أولها :

كُفِّى ، أَرَانِى ، وَيْلِكَ ، لَوَمَلِكِ الْوَمَا هَمُّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادِ أَنْجَمَا
أَيَّاتاً هِى :

يا أيها المَلِكُ الْمُصَفَّى جَوْهَرًا من ذاتِ ذى المَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا
نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتِيَّهُ فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا
وَيَهُمُّ فِيكَ ، إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً من كل عُضْوٍ مِنْكَ ، أَنْ يَتَكَلَّمَا
أَنَا مُبْصَرٌ ، وَأَظُنُّ أَنَّى نَائِمٌ ! مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمَا
كَبَرَ الْعِيَانُ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينِ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهُمَا

وقد قدم الدكتور لهذه الخمسة الأبيات فى ص : ٦٧ بقوله : « وإذا كانت هذه الأبيات (يعنى الثلاثة الماضية) تصور تأثر المتنبي بالبيئة العملية القرمطية ، فإن (هذه) تصور تأثر المتنبي بالمذهب النظرى للقرامطة وغلاة الشيعة . وهذه القصيدة التى مدح بها المتنبي - فيما يقول الديوان - رجلاً يعرف بأبى الفضل ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، فيما يقول الديوان أيضاً ، وفيما / يقول الرواة كذلك ، وعندى ١٤٧/٢ أن المتنبي لم يُرد أن يمتحن أباً الفضل وإنما أراد أن يمدحه لا أكثر ولا أقل . ثم فى ص : ٦٩ : « فنحن هنا بإزاء رأي صريح فى الحُلُول وهذا الكلام صريح فى انحراف المتنبي عن الجادة الدينية ، واندفاعه إلى هذا اللون من ألوان الفلسفة التى هى إلى (الإلحاد) أقرب منها إلى أى شئ آخر . ومن هنا نفهم أنه حين أراد أن يثبت هذه القصيدة فى الديوان ، زعم للرواة ، أو زعم الرواة له ، أنه إنما يمتحن بهذه الأبيات أباً الفضل ، وأراد أن يعرف مذهبه = كلام يقصد به إلى الاعتذار وإلى التقية أكثر من أى شئ آخر . وعندى أن المتنبي حين ارتحل إلى البادية إنما اتصل فيها ، لا بالبيئة القرمطية العادية ، بل بداع من دعاة القرامطة الذين كانوا يجولون فى البادية . ومن يدرى ؟ لعل هذا الداعى كان أباً الفضل نفسه هذا الذى يمدحه . ومن يدرى ؟ لعل المتنبي لم يعد إلى الكوفة مصطحباً أباه وجده ، وإنما عاد مصطحباً رجلاً آخر أو قوماً آخرين ، يريدون أن

يستقرُّوا فى الكوفة ، وأن يدعُّوا فيها لمذهب القرامطة . ومهما يكن من شىء ، وسواء واتتنا النصوص أم لم تواتنا ، فإنى أجد فى نفسى شعوراً قوياً جداً بأن المنتبى قد نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت إلى قرمطية خالصة .

...

هذا هو ترتيب حجة الدكتور العبقرى فيما زعمه من أن المنتبى كان من القرامطة = بل داعياً من دعائهم كما ذكر فى ص : ٧٣ من كتابه . ونحن لا نحب أن نقول إن هذا رأى ، وهذا الفرض ، وهذا (الشعور القوى جداً) فى نفس / الدكتور طه ، إنما هو من كلام هؤلاء المستشرقين الأعاجم ، إذ لم نطلع على كثير مما كتبوه ، إلا ما نُقِلَ إلينا من موجز كلام الأستاذ (بلاشير) ، وما رُويَ لنا عن الأعجمى المتغالى فى إفساد التاريخ العربى والإسلامى خاصة الأستاذ (مسنيون) . فنحن ندعه لمن تحقِّقه واطلع عليه ، فإن نُقِلَ إلينا بتمامه قلنا فيه ونقدناه بما علمناه إن شاء الله . أما الآن فأمامنا بلاءٌ هو أضُرُّ على العربية من بلاء الأعاجم ، فلنقصد قصده ، ولنصرف إليه .

فأنت ترى ، كما قلنا ، أن هذا الدكتور العبقرى قد أراد أن يتدرَّج إلى خديعة قارئ كتابه فى القول بقرمطية المنتبى ، فأقحم ذكر القرامطة فى الفقرة الأولى من كلامه إقحاماً ليس فى الشعر ما يحمل عليه أو يقتضيه ، بل ليس فى التاريخ ما يُعَيِّنُه تعييناً يوجب القول به ، ويلزمنا نسبة هذا الأثر إليه دون غيره من المؤثرات .

فلما فرغ من ذلك التقديم ، وخَلَصَ بهذا التطبيق لرأيه ، زعم لك أن الرواة قالوا : إن المنتبى خرج مع أبيه إلى البادية ، مع أن رواية الرواة كلهم تعيَّن أنه خرج إلى (بادية الشام) ، وهى بادية معادية للقرامطة ، كثرت بينها وبينهم الحروب ، فلم تكن ، كما يومهم كلام الدكتور طه فى سياق حديثه ، موطناً من مواطن الدعاة من القرامطة . ولو قد قال الرواة إنه خرج إلى (البادية) على غير تعيين ، لكان ثمة قولٌ لقاتل أن يزعم أن المنتبى انحدر إلى بادية البحرين ، حيث تحتفل الدعوة القرمطية ، وكان قول الدكتور إنه / تعلم

أصول القرامطة فى جانب من الصواب ! فما دام الرواة كلهم إجماع على أنه خرج إلى بادية الشام ، فليس يصحّ أن يقال إن أبا الطيب قد تعلم أصول القرامطة هناك ، إلا أن يكون فى تأويل الشعر ، أو فى نصوص الرواية ، أو فى مادة التاريخ ، ما يسوق الفكر إلى هذا رأى أو يحمل عليه أو يقرّبه أدنى تقريب إلى جهة الترجيح . ولو قد كان فى هذا كله شيء من ذلك ، لكان لزاماً على الدكتور أن يبينه ويأتى به على وجه الحجة لمذهبه ... ولكن الدكتور لم يفعل من ذلك شيئاً ، إلا أن يتهم فيقول فى أدبار هذه الفقرة : إن « شعر المتنبي فى صباه (بعد عودته من البادية إلى الكوفة) يبين هذا أوضح تبين وأجلاء » .

ثم يستجمع الدكتور أداة عبقريته ، ويحتفل بأسباب نبوغه الغريب ، فيستدل على الذى زعمه من الشعر الذى قاله المتنبي فى صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، فيذكر فى الفقرة الثالثة أبيات المتنبي التى أولها :

« إلى أى حين أنت فى زىٍّ مُحَرَّم ؟ »

فيزعم أنها كافية كل الكفاية !! لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من (البادية القرمطية !!) التى يتوهمها توهماً ، « وهو قرمطى الرأى متحفز أن يكون قرمطى السيرة أيضاً » .

وقد قلنا آنفاً إن هذه الأبيات بعينها هى المذكورة فى الديوان بما ترجمته : « وقال فى صباه » ، بغير توقيت لأوان قولها ، ثم إن القصيدة التى / قبلها فى الديوان مما نُصِّحَ ١٥٠٪٢ على أنها مما قاله وهو (فى المكتب) بالكوفة . ثم إن بعض النسخ المخطوطة من الديوان تقول فى رأس هذه الأبيات : « وقال وهو (بالمكتب) » ، فمن أين أتى الدكتور بهذا البيان عن وقت مقآلها بعد عودته من البادية ؟ وما الذى رجّح عنده أن تكون مما قاله بعد أن تعلم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية ؟

ولكن الدكتور يزعم بعد هذا الرجم بالغيب فى توقيت الشعر ، أن هذه الأبيات

الثلاثة كافية كل الكفاية لإثبات قرمطية أبى الطيب ، وذلك لما فيها من ذكر القتال ، ومن التحرق الذى يظهره فيها إلى تَغْيِير حاله ، والخروج عما هو فيه من الدعة والأمن والطمأنينة ، إلى حال أخرى فيها خوف وقلق واضطراب ومخاطرة ، ص : ٦٦ من كتابه . أَفَكُلُّ شعر فيه مثل ذلك يا سيدى الدكتور العبقري هو مما يقال فيه إنه كاف كل الكفاية !! لإثبات قرمطية صاحبه ؟ ألأن المتنبي الصغير يقول ، ويشدد فى قوله ، ويتطلب الموت تحت ظلال السيوف ، ولا يرضى بعيش الذل والمهانة = يوجب ذلك عليك القول بأنه قرمطى ؟ أفليس فى أهل ذلك الزمان من الشعراء من قال مثل ذلك القول وذهب هذا المذهب ، إلا القرامطة وحدهم هم المبتدعة له ، والداعون إليه ؟

...

إنك تنسى ما تقول يا سيدى الدكتور العبقري ، فقد بدأت فى ص : ٥٢ تقول إن المدرسة العلوية التى زعمت ، كان لها تأثير « ظاهر » فى عقل هذا الصبى / وقلبه ينبثنا به الديوان = فقد حفظ الديوان للمتنبي مقطوعات من الشعر قالها الصبى وهو يختلف إلى المكتب . ثم ذكرت أن الخصلة الأولى من خصال هذه المقطوعات هى « أن الصبى مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة ، أو ما كان يسمع من شعر القدماء ، ومن شعر المعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير . وهذا طبيعى ، فالأصل فى الابتداء الفنى التقليد يلتبس الفتى نفسه فى هذا التقليد ، حتى إذا وجدها استغل قواها وعواطفها ، واستثمر كنوزها ودخائلها ، واستخرج منها شخصيته التى تنمو على مر الزمن وطول المراتب » . حقاً يقيناً ، يا سيدى الدكتور ، إنك قلت هذا ، فما الذى جعل عندك هذه الأبيات الثلاثة التى قالها فى صباه وهو فى المكتب مما قاله بعد عودته من البادية ، مخالفاً بذلك رواية النسخ المختلفة من ديوان أبى الطيب ؟ ثم لماذا لا يكون فى هذه الأبيات بعينها مقلداً يتأثر بالذى حفظه فى المدرسة ، أو ما كان يسمعه من شعر القدماء والمعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير ؟ وقد كثرت هذه المعانى فى أشعار القدماء والمعاصرين الذين سبقوا أبى الطيب كثرة بينة ، لسنا فى حاجة إلى الدلالة عليها برواية أشعارٍ فى هذا المعنى ، وهو معنى مبتذل مطروق قل أن يخلو منه شعر شاعر ؟

لماذا لا يكون هذا الشعر ، بعد الذى رأيت وعلمت ، مما يدل دلالة قاطعة تنفى عنك كل شك فى « أن هذه الأبيات (تصور) ما عاد به الغلام من البادية المقتنعة بالمذهب الجديد من دعوة القرامطة ؟ » ما هذا التحكم الباغى ، والتعسف الغليظ الذى تحمل عليه معانى الشعر حملاً ، لتقول برأى ضعيف / قد سبقك إلى التدللى إليه بعض ١٥٢/٢ الأعاجم من المستشرقين ؟

وليتك يا سيدى الدكتور وقفت عند هذا الضرب من التعسف ، وهذا الخلط فى الرأى وسوء التدبير فى الفكر ، بل احتفل لك المنطق ، وأعانك الذوق العبرى ، حتى جعلت تترقى إلى التلبس على القارىء ، ليجعل لرأيك هذا وزناً يُعْتَدُّ به ، فزعمت أن فى هذه الأبيات الثلاثة جزالة بدوية لا تخفى [ص : ٦٥ من كتابه] ، وأنها تصور ما عاد به الغلام من البادية من الرصانة اللفظية التى ترفع اللفظ عن الابتذال ، وتكسيه عذوبة نحس فيها ريح الصحراء [ص : ٦٧ من كتابه] = وذلك ليتوهم القارىء حقاً أن هذا الشعر مما قيل بعد عودته من (البادية القرمطية) التى زعمت !!

وليكن هذا حقاً لا يختلف عليه أحد من الناس ، ولا يمارى فيه ذو بيان أو فن أو ذوق ، ليكن كل ذلك صواباً ... ولكن كيف - بالذى خلّقت فسوّاك فعَدَلَك - تقول فى القصيدة التى ذكرت بعضها فى الفقرة الرابعة التى نقلناها ، إنها مما قاله بعد عودته من البادية القرمطية ، إذا أنت أردت أن تزنها بها الميزان من الذوق الفنى ؟ فهذه الأبيات التى زعمت أنه (مدح) بها أبا الفضل ليست فيها جزالة ، ولا هى مما يكون فيها رصانة لفظية ترفع اللفظ عن الابتذال ، فتكسبه عذوبة تُحس فيها ريح الصحراء !! بل هى كلام ساقط مرذول أشبه بالرّقية منه بالشعر . وليقرأ القارىء هذه الأبيات من أولها :

كُفَى ، أَرَانِي ، وَبِكَ ، لَوْ مَلَكَ الْوَمَا	هَمْ أَقَامَ عَلَى فُوَادٍ أَنْجَمَا
وَحَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى	لَحْمًا فَيُنْجِلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمَا
/ وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ ،	يَا جَنَّتِي ، لظننت فيه جهنمًا
وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبِّ أَبْرَقَتْ	تَرَكْتُ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عُلْقَمَا

يا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الذى لَوْلَاكَ ما
 اُكَلَّ الضَّنَى جَسَدى وَرَضَّ الْأَعْظَمَا
 إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُوْ ، فَإِنِّى
 أُمْسَيْتُ مِنْ كَيْدِى وَمِنْهَا مُعْدِمَا
 غُصْنٌ عَلَى تَقْوَى فَلَاةٍ نَابَتْ ،
 شَمْسُ النَّهَارِ ثِقُلٌ لَيْلًا مُظْلِمَا
 لم تُجْمَعِ الْأَضْدَادُ فى مُتَشَابِهٍ
 إِلَّا لِتَجْعَلْنِى لِغُرْمَى مَعْتَمَا

إلى آخر هذه القصيدة الغثة الساقطة المزدولة اللفظ والمعنى . فهل يجد القارىء فيها إلا رطانة قبيحة ، وألفاظاً مبتذلة ، ومُلُوحة تُكْسِيهِ رِيحُ الْبُحْرِ فى الْأَرْضِ السَّيِّئَةِ ، لا رِيحَ الصَّحْرَاءِ !! وكيف يقول المتنبي هذا القول القبيح ، وقد زعم الدكتور أنه عاد من البادية ، وقد فَصَحَ لسانه ، وجاد بيانه !!

وقد ذكرت هذه القصيدة فى كتابى هذا (ص : ١٨٧) وقلت : « ومن قرأ القصيدة كلها ألقاها كلها ، فما فيها بيت واحد من (الشعر) ، ولفظها وكلامها ومعانيها غثٌ كله ... » ، وقلنا إنه لم يقلها إلا تنذراً وعبثاً بهذا الجاهل الدعى فى الفلسفة المسمى بأبى الفضل ، وأن أبا الطيب إنما أثبتّها فى ديوانه لِيَذْكُرَ بها شخصية كانت تستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك وغاية الاستغراب ، ولذلك بناها على المبالغة فى المدح ، بما ينقل الكلام عن معنى المدح إلى معنى الهجاء والسخرية ، فأعْجَمَ القصيدة وأتى فيها بكل ساقطة من الفلسفة وما إليها ، وأخلَّ بعريتها إخلالاً يَبِينُ ما يقع مثله فى ساقط شعر / أبى الطيب وسَفَسَافَه ورديته « فهذا هو الوجه فى تأويل هذه القصيدة ومعانيها عندنا ، أما الدكتور طه فهو لحاجته إليها فى القول بأن المتنبي كان قرمطياً ، نقلها من هذا المعنى إلى معنى الجد ، ثم الإلحاد والزندقة ، على عادته من الولوع بأخبار الملحدّين والزنادقة وأهل الزينغ والفسوق ، كما بيناه فى بعض كلامنا الأوّل ، [انظر هذا ص : ٤٣٠] .

وليت ذلك فحسب أن يكون كل ما يفعله الدكتور طه ليقول بهذا الرأى المرقوع المتخرِّق الضعيف المسلوخ من كلام مَنْ لا يحيد فهم العربية من الأعاجم المستشرقين = كَلَّا ، بل يعمد إلى النصوص فيلغيها جملة واحدةً بغير عِلَّةٍ بَيِّنَةٍ ، أو شبهة قائمة ، أو دليل مقنع . فالرواة الذين رَوَوْا ديوان أبى الطيب إجماعاً كلهم على التقديم لهذه القصيدة بهذه الكلمات :

« وقال وهو (بالمكتب) بمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه »

فالدكتور يسخر من الديوان والرواة ، كما رأيت فى الفقرة الرابعة ، فالمتنبى لم يرد أن يمتحن أبا الفضل هذا ولا أن يستكشفه عن مذهبه ، وإنما أراد أن يمدحه لا أكثر ولا أقل !! وذلك ليقول بأن أبا الفضل هذا كان من دعاة القرامطة ، وأن مديحه جاء على وفق مذهبه ، وفسر الشعر على ذلك ! وتفسيره = على ما فيه من الخطأ فى فهم الشعر ، وفى توجيهه إلى هذا رأى من نحلة القرامطة = لا يصح أن يثبت أمر قرمطية المتنبي ثبوتاً لا مجال للشك فيه ! وذلك لأنه تأويل وليس بتفسير ، وليس فى الشعر نفسه دليل عليه . هذا على أن الرواة الذين ذكروا (أبا الفضل) هذا قالوا : إن المتنبي « وقع فى صفه / إلى ١٥٥/٢ واحد يُكنى أبا الفضل (بالكوفة) من المتفلسفة فهوَّسه وأضلَّه كما ضلَّ » . فهذا نصر صريح فى أن أبا الفضل هذا كان بالكوفة لا بالبادية ، وأنه كان من المتفلسفة لا من القرامطة . ولو أنه كان من القرامطة لذكروا ذلك ، ولبالغوا فيه ، لِعَظَمَ عداوتهم لأبى الطيب ، فإن المتفلسفة إن يكونوا ضلَّالاً ، فإن الحرج فى وصفهم بالكفر والإلحاد كثير ، وأما القرامطة ، فأهل العلم جميعاً ، حتى الفاطميون (وقد كانوا لهم أتباعاً) ، يرمونهم بالكفر والزندقة والإلحاد فى غير تحرُّج .

فلو كان ما ذهب إليه الدكتور مما يمكن أن يصحَّ ، لكان لتاريخ أبى الطيب شأن آخر غير هذا الشأن ، ولكان للكلام فى عقيدته ودينه منهج غير هذا المنهج الذى جرى عليه الرواة والمؤلفون من أعدائه ، ومن المُجْلِين عليه ، والمتحلِّين ببغضه والكراهة له والخط منه .

فهذا كما ترى (عمَلٌ غيرُ صالح) من الدكتور طه النابغة العبقري = ويان كاف كل الكفاية لما قلنا به مراراً ، من أنه يتجنب فيما يكتب إثبات النصوص كما رويت ، ويأبى إلا أن يطمس معانيها ، ويُحرِّف كَلِمَها عن مواضعه ، وهو يعلم أنه لا حجة له فيه ، ولا دليل عليه . وإذا لم يرض القارىء بذلك ، وظلنا نَتَحَيَّفُ الدكتور ونظلمه ونميل

عليه ، فليقرأ نص مقدمة القصيدة وهو : « وقال وهو بالمكتب » ، ومع كل هذا الوضوح وكل هذا البيان ، وكل هذا التصريح ، يزعم الدكتور أن أبا الطيب قالها بعد عودته من البادية فهل فى التحكم البغيض والتعسف الغليظ ما هو أبغض من هذا وأغلظ ؟ / ١٥٦/٢
 أستغفر الله بل ثمة ما هو أغلظ من ذلك ، إذ يزعم الدكتور أن المتنبي « حين أراد أن يثبت هذه القصيدة فى الديوان زعم للرواة ، أو زعم الرواة له ، أنه إنما امتحن بها أبا الفضل ، وأراد أن يعرف مذهبه . وهو كلام (تأمل ما يأتى) يُقصد به إلى الاعتذار ، وإلى التقيّة أكثر من أى شئ آخر » ، [ص : ٦٩ من كتابه] . فلماذا الاعتذار ، وعلام التقيّة ؟ لا ندرى ، فجواب هذا اللغو كلّه عند صاحبه العبقريّ الذى لا تنفد حيّله ، ولا تنقضى عجائبه !!

وللأسبوع المقبل تنمة القول فى هذا الفضل .

...

- ١١ -

/ رأيت - أراك الله الخير ، وبصرك به ، وسددك إليه - من فعّلات الدكتور طه ١٥٧/٢
وأخطائه وما تورط فيه ، وما تهجم عليه بغير علم ، وما قطع به بغير بينة ، وما حُرّف من
الكلام عن مواضعه ، وما أسقط من نصوص الروايات ، وما تأوّل به على سوء الفهم
وفقدان البصر بالعربية = رأيت ما يحملك ولا شك على العجب ، ويفريك بإسقاط الثقة
بما يقول هذا الدكتور النابغة العبقري ... هذا إذا تورّعت في الصفة الواجبة الثبوت عليه ،
وأخذت نفسك بالوقار ، وتجمّلت بحسن الأدب في (حضرة) أديب هو عند أصحابه
وأشياؤه من كبار الأدباء ، غفرانك اللهم ، بل كبير الأدباء ، فلم تُرِدْ لذلك أن تجرحهم
بالأذى ، أو تؤذّنهم بالعداوة وخيراً إن شاء الله فعلت .

ورأيت في كلمتنا الأخيرة خاصة - عن خرافة (القرمطية) التي صبّها الدكتور
على المتنبي - أشياء ، منها أن الدكتور إنما استلب هذه الفكرة من الأستاذ (بلاشير)
المستشرق ، ولكن (بلاشير) يقول إنه من (المحتمل) أن يكون المتنبي قد اتصل ببعض
القرامطة ، ثم (يرجح) أن هذا الاتصال لم يترك أثراً في حياته وشعره لحدائثة سنه . فلما
استولى عليها الدكتور طه ، واستبدّ بها ، وتملكها تملك المالك لما يملك ، تصرف فيها بحقه
وحق المِلْك ، فجعل (المحتمل) يقيناً لا شك فيه !! وجعل هذا الاتصال الذي لم يترك
أثراً في حياته أو شعره عند (بلاشير) ، اتصالاً كان له أكبر الأثر وأبينه وأوضحه / في ١٥٨/٢
حياة المتنبي !! واستدلّ على ذلك بأبيات وصفها بأنها (كافية كلّ الكفاية لإثبات
قرمطية المتنبي) ، على عاداته في سوء فهم الشعر ، وفي التحكّم والتكلف والتعسف
والغلظ المُفضي إلى البغض . ثم استدلّ في موضع آخر بأبيات لم يحسن فهمها على

الوجه الذى تقتضيه ألفاظها ، ولا أدرك معانيها على الضرب الذى يجعل الحجة فيها كالقلعة المحصنة ، لا يجد النقد فيها عورة ينفذ منها .

ومنها : ما رأيت من تعمده أن لا يروى أحاديث الرواة (بنصها) وتماها ، بل يسقط منها ما يشاء ويبقى ما يشاء ، هذا على أنه يأتي بها بألفاظ من عند نفسه ، ليوافق بها رأى الذى يئنه وعَمَد إليه ، ويفعل ذلك علماً منه بأن فى (نصوص الرواة) ما يفسد عليه مذهبه ويُسقط قوله ، وأن فيها من وجوه القول والتأويل ما هو أرجح من قوله ، وأهدى وأسَد من تأويله .

ومنها : ما فعل فى توقيت القصيدة التى مدح بها المتنبي الرجل المسمى بأبى الفضل . فالرواة مجمعون على أنها قيلت بالكوفة وهو يومئذ فى المكتب ، والدكتور يخالفهم بغير بينة من علم مروى ، ولا استنباط مرضى ، ولا نقد ضعيف أو قوى ، ثم يزعم على ذلك أنها مما قاله المتنبي بعد عودته من البادية (القرمطية) المتهومة ، ثم يُؤَوِّل ألفاظها ويفسرها على هذا الذى ذهب إليه ، فدلّ بذلك على اللجاجة فى الخطأ والحرص عليه ، وقلة البصر بالشعر ، وجهل الأصول المقررة فى تاريخ القرامطة ونشأتهم وأصول معتقدهم .

ومنها : أنه لم يذكر نصّ الرواة فى صفة (أبى الفضل) هذا ، من إنه / كان من (المتفلسفة) ، ومن أنه كان فى الكوفة ، بل زعم بغير برهان ولا دليل ولا نقد أنه كان من (القرامطة) ، بل من دُعَاتهم ، وأن المتنبي لقيه بالبادية ورجع معه إلى الكوفة !!

هذا بعض ما فعله ، ثم تَحَيَّلَ وَتَوَهَّم واتسع فى الخيال والوهم حتى زعم أن المتنبي (اشتغل) فى الكوفة بنشر الدعوة القرمطية [ص : ٧٣ من كتابه] ، بل زاد على ذلك أن زعم أنه لا يستبعد (بل يرجح جداً !) أن يكون فى بغداد مركز قوى للدعوة القرمطية ، ذهب إليه المتنبي ، فأدّى إليه شيئاً ، وتلقّى منه شيئاً ! وترك بغداد قاصداً الجزيرة والشام [ص : ٧٣ من كتابه] ، وأنه حين ذهب إلى الشام ذهب داعيةً من دعاة القرامطة !! [ص : ٧٣ من كتابه أيضاً] .

وليس بنا ولا بك حاجة إلى نقد هذا الكلام ، فأنت قد رأيت أن (القرمطية) التي يقذف بها المتنبي ، إنما هي كما بينا آنفاً قد بُيِّنَتْ على التلفيق والتدليس ، وأقيمت على إفساد النصوص وإسقاطها وتجاهلها ، والتزييد فيها بالوهم الكاذب ، أو بإثبات بعضها على وجه غير صحيح ولا أمين ولا ثقة . فإذا كان أمرها كذلك ، فكل ما يأتي منها وما يخرج وما يتفرع وما يتشعب ، فهو تليق ولغو وعَبَث وباطل لا أصل له ، لأن الأصل الذي خرجت منه هو ذاك الأصل ... !

والآن ... يزعم هذا الدكتور (أن الرواة حدثوه !!) أن المتنبي ارتحل عن الكوفة إلى بغداد في الخامسة عشرة من عمره ، بعد جلاء القرامطة عن الكوفة ، « وارتحل معه أبوه ! » [ص : ٧١ من كتابه] .

/ ونحن نقطع من قِبَلنا ، « وعلى مسئوليتنا » ، بأن ليس أحد من الرواة زعم أو قال ١٦٠/٢ إن المتنبي ارتحل إلى بغداد في الخامسة عشرة من عمره أولاً = ولا أنه ارتحل عن الكوفة ثانياً ، ولا أنه حين ارتحل إلى بغداد ارتحل معه أبوه ثالثاً .

فإذا كان الدكتور طه صادقاً في هذا الذي أتى به ليدلّس على مذهبه في (قرمطية) المتنبي ، فهو الصادق !!

ولابدّ من القول بأن (الرواة الذين حدثوه) إمّا أن يكونوا قد حدثوه عن طريق الوُحْي الحَفِيّ ، أو في حُلُم أو رؤيا رآها بعد ثَقَلَةٍ أخذته من طعام شهى !!

...

ومن هذا الباب ، وعلى هذا الصراط ، وفي مثل هذا الحُلُم ، يزعم الدكتور طه أن المتنبي قال قصيدته التي أولها :

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْيَدَهَا أَبْعُدْ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدَهَا

« يمدح رجلاً (رسمياً !) هو محمد بن عبد الله (هكذا في الأصل) العلوي » ،

وأنه قالها (في بغداد) ، انتهى ، [ص : ٧٤ من كتابه] .

وقبل أن نتجاوز إلى النقد ، يجب علينا أن نصصح اسم الرجل الذي مدحه فهو : « محمد بن عبيد الله » بالتصغير « العلوي الكوفي المعروف بالمشطَب » ، ^(١) وقد ذكر المتنبي اسم أبيه على التصغير فقال :

مُرْتَمِيَاتٍ بَنَاتٍ إِلَى أَبْنِ عُبَيْدٍ سِدِ اللَّهِ غِيَطَاتُهَا وَقَدْ فَدَاهَا

١٦١/٢ / وأول ما في كلام هذا الرجل المعروف الدكتور طه حسين بك أنه زعم أن (محمد ابن عبيد الله العلوي) هذا كان رجلاً (رسمياً !!) ، أي من رجال الحكم وأعوان الدولة وأهل السلطان هذا ، على أن الرواة لم يذكروا له في ديوان أبي الطيب شيئاً يدل على عمل (رسمي أو غير رسمي) ، وقصيدة أبي الطيب نفسها ليس فيها إشارة إلى ذلك . إذن ، فمن أين أتى الدكتور بهذه (الرتبة) التي خلعها على (محمد بن عبيد الله) ؟؟ أو جَد ذلك في شيء من كتب التراجم أو كتب التاريخ ؟ فإن كان وجده فليظهرنا عليه ، وما هو بفاعل . ونحن على يقين من أن الدكتور إنما وصف هذا الرجل بهذه الصفة اجترأ وتزيّداً على غير بصر ولا بينة ، ولا أثارة من علم ، بل للهوى والتدليس على مذهبه ورأيه .

والثاني : أنه زعم أن القصيدة قيلت في (بغداد) !! وليس أحدٌ من الرواة قال هذا ، ولا في القصيدة ما يدل عليه ، بل الدليل على نقيضه كما سترى ، ولا في المكان الذي ذكر فيه (محمد بن عبيد الله العلوي) ، ما يُوجِّه الرأي إلى ذلك كما سترى . ^(٢)

قال العكبري في شرحه ج ١ ص : ١٩٠ عند قول أبي الطيب :

يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةَ أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا

(١) انظر ما سلف من كتابنا هذا ص : ١٥٢ ، والتعليق : ١ ، ففيه بيان كافٍ ، ثم ص ١٦٨ ، والتعليق

(٢) تبين أن الذي قاله الدكتور طه من أن « محمد بن عبيد الله » رجل رسمي ببغداد ليس من اجتهاده ، بل هو مأخوذ كله من تخاليط الأستاذ بلاشير ، وقد بينت ذلك فيما سلف ص : ١٦٨ ، تعليق : ٢ .

« كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شاب دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجرح في وجهه ، فكسته الضربة حسناً ، فتمنى أبو الطيب مثل ضربته ، فهذا ما سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا » ، انتهى .

/ فلو جاءنا الدكتور ببعض ترهاته ، ^(١) فزعم أن قتال هذا العلوي دليل على أنه ١٦٢/٢ كان رجلاً (رسمياً) ، وما نظنه إلا أتى من هذا الفهم السيء ، فالمتنبي نفسه قد قاتل في آخر عمره قوماً من العرب بظاهر الكوفة أيضاً ، فهل كان المتنبي إذ ذاك رجلاً (رسمياً !!) ؟ هذه واحدة . والثانية أن هذه الرواية تدلّ دلالة واضحة بينة لكل ذي عينين ، أن الواقعة كانت بظاهر الكوفة ، فهل يكون المعقول مدح المتنبي ببغداد أم بالكوفة ؟ وهل يتوهم أحد أن يترك المتنبي الكوفة ، ويقطع الأرضين إلى بغداد ، ليمدح بعد غدٍ من كان قريباً منه بالأمس ؟ والرواية تقول إن (محمداً) هذا كان فتى دون العشرين سنة ، فما نظن أن هذا الفتى كان قد بلغ أن يكون رجلاً (رسمياً) ، كما ادعى الدكتور طه !! ثم ما هو العمل (الرسمي) الذي كان عليه محمد بن عبيد الله هذا ببغداد ؟ فإن الرجل العالم لا يحلّ له أن يقول ما لم تأت به رواية صريحة ، إلا بدليل مستبسط ظاهر الحجة قريب البرهان ، وإلا كان ما يقوله اجترأ على التاريخ .

هذا على أنه ليس في الرواة من روى أن المتنبي قد فارق الكوفة ورحل عنها على إثر حرب من حروب القرامطة ، ولا على إثر قتال كهذا القتال الذي كان من (محمد بن عبيد الله العلوي) ، حتى يحلّ لكاتب مؤرخ أن يتّجه بالرأى إلى هذا الوجه خلافاً للرواية ، ومناقضة للاستنباط الصحيح من ألفاظ القصيدة كما سيأتي ، وحتى يتسع في أمره فيكون للرأى موضعٌ وللحجة مجالٌ . والمسألة كلها في رحلة المتنبي إلى بغداد ، هي أن البديعي قد روى في كتابه أن / المتنبي قال : « أذكر وقد وردت في صباى من الكوفة ١٦٣/٢ إلى بغداد » ، وذكر حديثاً لا يمتُّ إلى الحرب بصلة . أفیحل أن يكون ذلك الذي

(١) أستغفر الله ، إنما هي ترهات المستشرق بلاشير ، ادعى ملكيتها الدكتور طه ، كما سلف قريباً .

قاله الدكتور طه تأويلاً لهذه الكلمة ، أو أن يكون استنباطاً صحيحاً يربط تاريخ أى الطيب على هذا الوجه ؟ هذا كثير ، بل قبيح ، بل غليظ جداً يا سيدى الدكتور .

ونتعجل فنضمُّ الشكل إلى شكله . فالدكتور يقول ويعترف في [ص : ٨٦ ، من كتابه] أنه لا يرى في هذه القصيدة = التى يزعم أن المنتبى قد قالها بعد عودته من البادية (القرمطية) ورحلته إلى بغداد = « مذهب القرامطة ، ولا إشارة إلى مذهب الحلول » . وهذا صحيح فليس في القصيدة إشارة إلى ذلك ، بل إنها عندنا دليل على فساد مذهب الدكتور في (قرمطية) المنتبى . فالأشبه والأقرب والأجدر بالاستنباط أن يكون هؤلاء القوم الذين حاربهم (محمد بن عبيد الله العلوى) هم جماعة من القرامطة . فأنت تعلم - كما قال الدكتور طه - أن القرامطة كانوا قد أكثروا الغارة على الكوفة ، والرواة والمؤرخون قد أكثروا من رواية غاراتهم عليها ، فليس ببعيد ولا مستنكر أن يكون هؤلاء من القرامطة ، وأن يكون المنتبى قد مدح (محمداً) لأنه ردَّ القرامطة عن الكوفة ، وطنه ووطني أهله . وعلى ذلك يكون المنتبى من أعداء القرامطة والناقمين على أفاعيلهم . وصلة المنتبى بالحمدانيين تقرب هذا الرأى ، فقد كانوا من أعداء القرامطة ، وقد قاتلهم أبو الهيجاء بن حمدان عم سيف الدولة في سنة ٣١٥ مع يوسف بن أبى الساج . ثم إنهم رروا أنه قد جرى حديث / وَقَعَهُ ابْنُ أَبِي السَّاجِ هَذَا مَعَ أَبِي طَاهِرِ الْقَرْمَطِيِّ صَاحِبِ الْإِحْسَاءِ فِي ١٦٤/٢ مجلس أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ، فذكر المنتبى ما كان فيها من القتل = وكان القرمطى قد قتل من جيش أبى الساج وجيش ابن حمدان مقتلة عظيمة = فهال ذلك بعض الجلساء ، فقال المنتبى :

أَبَاعَتْ كُلُّ مَكْرُمَةٍ طَمُوحٌ وَفَارِسَ كُلُّ سَلْهَبَةٍ سَبُوحٌ
وَطَاعِنَ كُلُّ نَجْلَاءٍ غَمُوسٌ وَعَاصَى كُلُّ غَدَّالٍ نَصِيحٌ
سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ (الْأَعْدَاءِ) مِنْ جَوْفِ الْجُرُوجِ

و (الأعداء) هنا هم القرامطة ، وقد كان بنو طغج من الذين قاتلوا القرامطة وردُّوهم وكرهوا أمرهم أشد الكره . وقد أخطأ الدكتور طه في الفصل السادس من

الكتاب الثانى [ص : ٢٨٠] ، ففهم أن هذه الأبيات « تدلّ على أنه لم يصنّف عن (القرمطية) إلا كارهاً » ، مع أن أمرها على العكس ، فهى دليل على بغض المتنبي للقرامطة .

...

وندع هذا ، ففى حديث الدكتور طه عن هذه القصيدة ، التى مدح بها المتنبي (محمد بن عبيد الله العلوى) ، عجائب من الكلام الذى يدلّك على أنه ليس ذا بصيرة بالشعر ، ولا صاحب قوة فى الفهم ، ولا ربّ طريقة فى الاستنباط . وقد استأنف القول فيها من [ص : ٨٠ من كتابه] ، وجعل يخلط بكلام محموم حتى بلغ [ص : ٨٣] ، إذ يقول عن بيتى المتنبي :

١٦٥/٢ / لَا نَأْفَتِي تَقْبِيلَ الرَّدِيفِ ، وَلَا بالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدَهَا
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعَ مِقْوَدَهَا

« هذه المحاولة التى أراد بها الشاعر أن يظهر شيئاً من الجهد حين وصف نعله ... ليست مبتكرة ، وإنما هى إطناب وتفصيل » ، حيث أثر أبو نؤاس الإجمال والإيجاز فى قوله :

إِلَيْكَ أبا عَبَّاسٍ مِنْ دُونِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا ، اِمْتَطَيْتُنَا الْحَضْرَمِيُّ الْمَلَسْتَا

ويقول الدكتور تعقيباً على هذا فى ص : ٨٤ : « وإذا كانت هذه المحاولة تقليداً صرفاً من الجهة الفنية الخالصة ، فإن لها دلالتها القيمة من الجهة التاريخية ، لأنها على الأقلّ تنبئنا بأن الشاعر الفتى لم يسافر من الكوفة إلى (بغداد) راكباً ، وإنما ذهب إليها راجلاً » .

وهذا الاستنباط الذى يتعلّم به الدكتور طه ليس بشيء ، وإنما هو استنباط (موضعى) لا غناء فيه ، ولعله اختلسه من قول ابن رشيق فى العمدة [١ ص : ٢٠٠ - ٢٠١] ، إذ ذكر بيت أبى نؤاس وبيتى أبى الطيب ثم قال : « ولو شاء قائل أن يقول إن أباً

نواس لم يرْ ما ذهب إليه أبو الطيب ، لكن أراد أنه معه في بلدة واحدة فقصدته في حاجته محتدياً نَعْلَهُ ، لكان ذلك أظهر وجهاً ، ما لم يكن الحضرمي من الجلود مخصوصاً به المسافرين دون الحاضر ، وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد .

١٦٦/٢ / ولو اتبعنا طريقة الدكتور في هذا الاستنباط (الموضعى) من بيتين فحسب ، لكان كلام ابن رشيقي عن توجيه بيت أبي نواس هو هو في توجيه بيتي أبي الطيب ، فليس ثمة ما يمنع أن يكون أبو الطيب قد قال ذلك القول (تقليداً صرفاً) من جهة ، أو أن يكون قاله في الكوفة نفسها ، وتكذب تكذب الشعراء ليستجدى كف ممدوحه ، إذ يزعم له أنه قاسى هَوَلاً وَلَقِيَ عَظِيماً ، تعظيماً لأمر الذى يمدحه = أو على عادة بعض الشعراء في التمدح بالصُّعْلُكَةِ والرَّحْلَةِ ، كما قال ابن رشيقي في هذا الباب نفسه .

أما إذا حملنا قول أبي الطيب على الصدق ، وأنه قد خرج حقاً من الكوفة راجلاً قاصداً (محمد بن عبيد الله العلوى) ، فالاستنباط على غير ما ذهب إليه الدكتور الذى لا بَصَرَ له بالشعر ، ولا قدرة له على الاستنباط . يقول المتنبي :

لَا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ ، وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدَهَا (١)
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا (٢)
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَّاحِ يَسْبِقُهُ تَحْتَى مِنْ حَطْوِهَا ، تَأْيِدُهَا (٣)

(١) « الرديف » ، هو الرجل يركب خلف راكب الناقة .

(٢) « الشراك » ، أحد سيور النعل تكون على وجهها . و « الكور » ، هو رَحْلُ الناقة بأدواته ، مثل السرج للفرس . و « المشفر » ما يقع على ظهر الرجل من مقدم الشراك جعله بمنزلة الزمام للناقة تُزْمُ به . و « الشُّسُوعُ » أحد سيور النعل ، يُدْخَلُ بين الإصبعين ، ويدخل طرفه في الثقب الذى فى صدر النعل المشدود فى زمام النعل . و « مقود الناقة » ، الحبل الذى يشد فى الزمام أو اللجام تقاده به ، و « زمام الناقة يكون فى الأنف » ، و « زمام النعل » الذى يشد به الشسع .

(٣) « التأيد » ، يختلف الشراح فى تصريفه وتوجيهه ، والمراد هنا تأييده أسرع من عصف الرياح .

فى مَثَلِ ظَهْرِ الْمَجْنِّ مُتَّصِلٌ بِمَثَلِ بَطْنِ الْمَجْنِّ قَرَدَدُهَا (١)
مُرْتَمِيَاتٍ بِنَا إِلَى ابْنِ عُبَيْدٍ بِإِذْنِ اللَّهِ غِيَطَانُهَا وَقَدَفَدُهَا

فالمتنبى يذكر أنه قد (ركب) نعله ماشياً فقطع أرضاً وصفها بالبيتين الأخيرين ،
إذ يقول إنها (كظهر المجن) ، منبتره مرتفعة غليظة ، ويعنى بها / التلال ، وهى متصلة ١٦٧/٢
بأرض (كبطن المجن) ، منخفضة كثيرة الحصى والحجارة ، و « القَرَدَدُ » مُرْتَفَعٌ من
الأرض إلى جانب وَهْدَةٍ منخفضة ، وهى وَهْدَةٌ غليظة ، كلفظها .

وقد قال الرواة إن (القَرَادِيدِ) قلما تكون إلا فى بَسْطَةِ من الأرض ، وفيما اتسع
منها ، فترى لها مَتْنًا مُشْرِفًا عليها (غليظاً) ، لا يُنْبِتُ إلا قليلاً ، وبه شبهوا (قَرَدُودَةً)
الظهر ، وهى ما نسميه (سلسلة الفقار) ، لغلظها وارتفاعها وانخفاضها . ثم ذكر من
صفة هذه الأرض فى البيت الأخير ، أنها (غِيَطَانٌ وَقَدَفَدٌ) ، و « الغيطان » هو جمع
« غائط » ، وهو المتسع المطمئن المنخفض من الأرض فى البوادي ، لا فى السواد والأرض
المزروعة .

يقول الشاعر يصف « خَرْقًا » ، وهى الفلاة الواسعة :

وَحَرْقٍ تَحَدَّثُ غِيَطَانُهُ حَدِيثَ الْعَذَارَى بِأَسْرَارِهَا

ثم ذكر (القَدَفَدَ) ، وهى الفلاة التى لا شئ بها ولا نبات ، وأرضها غليظة ذات
حصى وفيها صلابة .

فما الذى يستنبطه القارىء من صفة هذه الأرض التى قطعها المتنبى بعد شرح
هذه الألفاظ ؟ أليس أن الأرض التى قطعها المتنبى ماشياً هى بادية قاسية جافية وعرة
المسالك ، قليلة النبت ؟ فهذه صفة الأرض التى تحيط بالكوفة ، فإن الكوفة يدور عليها

(١) « المجن » ، الثرس الذى يستتر به المحارب ، وهو أثلس مرتفع الوسط ، ويأتى فى الكلام شرح بقية

جَبَلٌ (سَاتِيْدَمَا) ، وظاهرها أرض صلبة فى غربها ، إذ تقع الكوفة على شاطئ الفرات من ناحية الشرق ، وأما غربها وهو / (ظاهرها) ففى قلب بادية الغرب التى تفضى إلى نجد . ١٦٨/٢
فَمِنْ هذا لا يجد من يفهم أو يعقل مَحِيصاً من القول بأن المتنبي قد خرج من الكوفة قاصداً محمد بن عبيد الله العلوى فى البادية حيث (واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة) ، كما قالت الرواية فيما قدمنا آنفاً .

أما الطريق إلى بغداد فهو ما ترى . فالكوفة واقعة على الشاطئ الغربى من الفرات ، وبغداد واقعة على الشاطئ الشرقى من دجلة ، فالمتنبي لو كان قد ذهب إلى بغداد لركب البحر أولاً حتى يصل إلى شاطئ الفرات الشرقى ، ثم يقطع أرضاً سهلة كثيرة النبات هى الواقعة بين النهرين (دجلة والفرات) ، ثم يركب البحر مرة أخرى من شاطئ دجلة الغربى حتى يبلغ الشاطئ الشرقى الذى عليه بغداد . فهل ترى أن ذكر رُكوب البحر مرتين قد ورد فى شعر المتنبي ؟ وهل رأيت الفرق بين أرض سهلة ، فى حِضْن نهرين ، كثيرة النبات ، وبين فلاة قاسية كثيرة الحصى ذات (قَرْدٍ وغيظان وفَدَافِد) لا نبات فيها ، هى التى وصفها المتنبي فى شعره ؟ وهل يصح بعد هذا لقائل أن يقول : إن المتنبي ارتحل إلى بغداد راجلاً ؟! (١)

إن الدكتور طه ، كما نقول ونكرّر ونُبَيِّدُ ونُعَيِّد ، رجل لا بَصَر له بالشعر ، ولا قُدرة له على الاستنباط ، وليس الأدب من عمله ، ولا الكتابة فيه مما يحسن . فإن أخذتك بعد هذا عدوى الشك الذى لا أصل له من الدكتور طه ، فأعلم أن الدكتور قد ترك من هذه القصيدة كثيراً لم يتعرض / له ، لأنّه مما يهدِم رأيه هَدْمًا . خذ إليك ما يقوله المتنبي على إثر الأبيات التى ذكرناها :

(١) الذى أوقع الدكتور طه فى هذا كله ، هو الأعجمى الألبان ، الأستاذ بلاشير ، كما أشرت إليه آنفاً . وهذا عيب الاستسلام إلى هؤلاء الأعاجم ، لا فضل لهم إلا قبح التوريط فى الخطأ .

إلى فتى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَنهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا
له أَيَادٍ إِلَى (سَالِفَةً) ، أَعْدُ مِنْهَا وَلَا أَعْدُهَا

ثم يقول في آخر القصيدة :

وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ ، رَبَّيْتُهَا ، كَانَ مِنْكَ مَوْلَاهَا
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحَتْ بِهَا ، أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى مَوْعِدِهَا
وَمَكْرُمَاتٍ مَسَّتْ عَلَى قَدَمِ الـ بَرٍّ ، إِلَى مَنْزِلِي تَرُدُّهَا
أَقْرَ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ ، فَلَا أَقْدِرُ ، حَتَّى الْمَمَاتِ ، أَجْحَدُهَا
فَعُدَّ بِهَا ، لَا عِدْمَتُهَا أَبَدًا ، خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا

فتأمل قوله : « له أَيَادٍ إِلَى سَالِفَةٍ » ، أى أنه كان يكرمه قبل بعطاياه ، ثم تأمل قوله :

« وكَمْ وكَمْ » إلخ ، فكل ذلك دليل على الذى سبق إلى المتنبي من كرم (محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى) ، وليس يكرن شئ من ذلك إلا أن يكون هذا الرجل من أهل الكوفة الذين عاشرهم المتنبي ، ونال من فواضلهم ، كما بينا ذلك فى كتابنا هذا [ص : ١٥٢ ، ١٥٣] .

...

كفى هذا ، بل لا بُدَّ من إظهارك على ضَرْبٍ من فقدان الدكتور طه البَصَرِ بالشعر إذ يقول : إن فى هذه القصيدة ما يدل على أن المتنبي كان لا يزال فى حاجة إلى ممارسة قول الشعر وتصريف الكلام : « وذلك حين أراد أن / يذكر الضَّرْبَةَ التى تَلَقَّاهَا ١٧٠/٢ ممدوحه فى وقعة من الوقعات !! (تأمل هذا « وعُدَّ إِلَى مَا مَضَى) ، فزعم أن هذه الضربة شَرَّفَتْ ممدوحه ولم تلحق به ضَرَرًا وَلَا أَدَّى » ، [ص : ٨٥ ، من كتابه] .

والدكتور يعنى قول المتنبي :

يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا

أَثَرٌ فِيهَا وَفِي الْحَدِيدِ ، وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنْدُهَا
(فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزْيِينَهَا بِمِثْلِهِ ، وَالْجِرَاحُ تَحْمَدُهَا)

فالمتنبى يقول فى البيت الأخير أن الجراحَ هى التى شُرِّفَتْ وعظمت وتزينت
بحدوثها لممدوحه ، والدكتور يزعم لك أن المتنبى يقول : إن الممدوح هو الذى
شُرِّفَ ... إلى آخر ما أتى به من كلام الأحلام .

وبهذا الضرب من الفهم ، وهذا النوع من البصر بالشعر ، وبهذه الأمانة التى
ثقلت فى السموات والأرض ، نختم نقد الفصل الخامس من كتاب الدكتور طه . وما بقى
فى هذا الفصل مما لم نعرض له ، فالقارئ بعد الذى كتبناه أُمِّلَكَ له وأهدى فيه .
وللسبب المقبل نَقْدُ ما يلى ذلك من كلام مولانا العالم البصير المثبَّت .

...

- ١٢ -

/ أما الفصل السادس من كتاب الدكتور طه ، فهو الذي يسود صفحات كتابه ١٧١/٢ من ص : ٩٢ إلى ص : ٩٨ ، يقول في فاتحته : « وأول مسألة تعرض لنا في هذا الطريق ، مسألة « تاريخية » بالطبع ، أو مسألتان تاريخيتان ، فمتى ارتحل المتنبي عن بغداد قاصداً إلى الشام ؟ وهل من سبيل إلى توقيت القصائد التي قالها في الشام ، قبل أن تنتهي به الحوادث إلى السجن ؟ » [ص : ٩٢ من كتابه] .

...

وأما أول ما يتساءل عنه الدكتور ، وهو : متى ارتحل المتنبي عن بغداد قاصداً إلى الشام ؟ فهو سؤال من الباطل بحيث علمت ، مما قدمناه في الكلمة السالفة ، إذ قلنا إن وُضع رحلة المتنبي إلى بغداد على مذهب الدكتور ، إنما أتاه من قِبَل أنه لم يفهم الشعر الذي استنبط منه حقيقة هذا الرأي ، وقد رحل المتنبي إلى بغداد ولا شك في بعض أيامه ، ^(١) ولكنه لم يرحل إليها مادحاً (محمد بن عبيد الله العلوي الكوفي) = بل كانت رحلته لمدحه من الكوفة إلى ظاهر الكوفة في البادية ، حيث كان محمد يقاتل جماعة من العرب أو من القرامطة ، على ما ذهبنا إليه .

وإذا أنت أنطلقت مع الدكتور في قراءة كلامه عن هذه المسألة ، رأيت / فيها ١٧٢/٢ من الرأي ما تعرف وما تنكر ، من مثل قوله : إنه يخالف الأستاذ (بلاشير) في إقامة

(٥) نشرت في جريدة البلاغ غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٦/١١ من مايو سنة ١٩٣٧ .

(١) انظر ما سلف : ٦٥ ، ٦٦ ، ثم ص : ١٩٢ ، والفهارس (بغداد) .

المتنبى ببغداد ، وأنه - أعنى الدكتور - يرجح أن إقامته بها لم تطل ، وأنه لم يكن آمناً في بغداد ، كما لم يكن آمناً في الكوفة ، وأنه لم يختلف إلى مجالس العلماء ، ولا إلى أندية الأدب ، ولم يتصل بأحد من الأشخاص الظاهرين إلا محمد بن عبد الله (هكذا) العلوى ، ^(١) الذى مدحه بالقصيدة التى فرغ من تحليلها (كما يتوهم) آنفاً ، [ص : ٩٢ ، ٩٣ ، من كتابه] .

ولقد تعلم أن هذا كله باطل ، لأن الأصل الذى بُنى عليه باطل . وقد قدّمنا في كلامنا الدليل على بطلان الأصل ، فلا نصدّع أنفسنا بالعودة إليه والإفاضة فيه ، فإن ذلك تعب في غير طائل ، كما كان رأى الدكتور نفسه تعباً في غير طائل .

ومن أعجب الأباطيل التى يتردى في مهاويها الدكتور طه ، فيأتى بالدعوى الموضوعية المتكذبة مجترئاً متهجماً غير متهيّب من نقد ، ولا متحرّج من إثم ، ما يقول في ص : ٩٣ : « وأكبر الظن أن خوف المتنبى واحتياطه هما اللذان حملاه على أن يخفى (اسمه ونسبه) ، إن كان له نسب ، على القبائل التى كان ينتقل بينها أثناء رحلته » ، انتهى . وحقاً قالت الرواة إن المتنبى كان (يكتُم نسبه) ، فما في ذلك شك ، ولكن من أين أتى الدكتور طه بقوله إن المتنبى كان يخفى (اسمه) ؟ وأى امرئ من الرواة زعم له ذلك أو حدّثه به وأوحى إليه : أن المتنبى في هذه الرحلة بعينها ، كان قد خرج خائفاً يترقب ، [ص : ٩٣ من كتابه] ، حتى يلجأ إلى مثل هذا الفعل ؟ إنه ليس أهونَ على الدكتور / طه من أن يقول القول يدّعيه مُستأنفاً غير مسبوق إليه ، ثم يضمّه إلى هذه الفقرات التى يتقمّمها من هنا ومن ثمّ ، لينشئ في كلامه معنى التاريخ ، وإن كان التاريخ ليتبرّأ منه براعة الذئب من دم أبى يعقوب .. !!

...

(١) انظر ما سلف ص : ٦٥ ، ٦٦ ، ودخوله على إمام اللغة « ابن دريد » ، وانظر اجترأ الدكتور طه على ما لا يعلم بالنفى والإثبات . فهذا يضاف أيضاً إلى وجوه بطلان قول الدكتور طه .

أما المسألة الثانية ، وهى : هل من سبيل إلى توقيت القصائد التى قالها المتنبى فى الشام قبل أن تنتهى به الحوادث إلى السجن ؟ ، فهى المسألة على الحقيقة . وليس بفخر أن نقول إننا كنّا أوّل من تنبّه إلى توقيتها ، وجعلها من مادة التاريخ . وقد قلنا فى ذيل [ص : ١٥٢ من كتابنا هذا] : « أعلم أننا نجتهد فى تاريخ ما لم يؤرّخ من قصائد المتنبى = وقد وجدنا فى ذلك المشقة وما فوقها = لنترجم للرجل على بينة وهدى ، وستجد فائدة ذلك فى كثير مما يمرُّ بك إن شاء الله » .

وكل من قرأ كتابنا عرف الذى أتينا به من ذلك ، لا بل إن الدكتور طه حسين بك نفسه فى أول لقاء لى معه فى يوم من أيام أسبوع المتنبى بالجمعية الجغرافية وقّف إلى يشنى على كتابى بما أستحى أن أردّده فى هذا المكان من كلامى ، ثم اعترف بأن أحدا لم يسبقنى إلى توقيت قصائد المتنبى هذه ، وأنه قد رضى كل الرضا ، أو كما قال ، عن الذى تدرّجت فيه من بيان رحلته حين مخرجه إلى الشام ، وأن هذا الترتيب الذى اهتديت إليه هو الترتيب .. إلى آخر كلامه الذى أذكره ولا أنساه له . (١) وسترى فيما يلى أن الدكتور طه هذا العبرى ، لم يزد فى كلامه الذى أفضى به إلى الناس عن رحلة المتنبى - شيئا ليس فى كلامنا الذى لم تُسبق إليه .

/ ومع ذلك يزعم الدكتور طه فى [ص : ٩٤ من كتابه] : « أن توقيت هذه ١٧٤/٢ القصائد إن لم يكن ممكنا كله ، فليس مستحيلا كله » = وهذه العبارة هى ترجمة عملنا ، بعد أن فرغنا من سرّد رحلة المتنبى = : « هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير مُيسّر بعد لعموضها ونقصها ، وهذه الرحلة تفسير آخر سنعرضه بعد » ، انتهى . [انظر ما سلف من كتابنا هذا ص : ١٩٨] .

ثم زعم الدكتور بعقب ذلك أن له (هو !!) « إلى ذلك التوقيت طريقتين : فأما أولاً فتصل بنفس الشاعر ، وأما ثانيتهما فتصل بطريق الشاعر حين اضطرابه فى بلاد الشام . فأما الطريقة الأولى ، وهى الطريقة النفسية ، إن صحّ هذا التعبير ، فإنّى أستبطلها

(١) انظر ما سلف من كتابنا هذا ص : ١٠٣ ، والتعليق : ١ .

من طبيعة الحياة العقلية والشعورية التى كان يحياها المتنبى قبل أن تُلَمَّ به الكارثة ، فقد رأيناه قرمطىَّ الهوى فى الكوفة لا يتحفظ ولا يحتاط ، ورأيناه شيعياً فى بغداد ومتحرّجاً يصطنع الحذر ، ورأينا أنه فى أكبر الظن إنما سافر بقرمطيَّته إلى الشام ليدعو إليها هناك . وإذن فلا بد أن يمتاز شعر المتنبى فى هذا الطّور من حياته بشيئين : أحدهما آراء قرمطية تظهر فى هذا الشعر ... والثانى تحفظ واحتياط يدفع الشاعر إلى أن يخفى آراءه ما استطاع إذا خاف أو شكَّ .. فإذا استطعنا أن نتبين هاتين الخلتين فى طائفة من قصائد المتنبى ، فأكبر الظن أن هذه القصائد قد قيلت فى هذا الطور « ، انتهى ، والحمد لله كثيراً !

وهذا ضرب من الخُطل فى الرأى لا ينتصب للمدافعة عنه والمناظرة دونه ، أو لا يَقِفُ جهده على العمل به والتصرف فيه ، إلّا مَنْ كان فى مثل بادرة الدكتور / ١٧٥/٢ العبقري وتدفعه واندلاقه ، مجترئاً على الحق ، وإن ألغى باب المنطق أو أغلقه = ومُتهجماً على الحكم ، وإن أبطل عمل العقل . وإلّا فأى امرئ فى هذه الدنيا التى ابتلينا بممارستها والتصرف فيها ، يستريح لنفسه أن يستنبط شيئاً من كلام ، ويستخرج من هذا الاستنباط معنى يقيمه صِفَةً على صاحبه ، ثم يجعل هذا هو السبيل إلى تحديد معانى الكلام نفسه أو توقيته أو تاريخه ١؟

وبيان ذلك أن الاستنباط الذى يكون من القوة بحيث يُثَبِّت صِفَةً أو يقرّر رأياً ، أو يستحدث معنى لم يكن ، ليس إليه سبيل إلّا بعد الفراغ من الترتيب ، والترتيب يقتضى التعاقب ، والتعاقب هو توقيت الكلام فى مواقيته وتحديدده فى حدوده . فالدكتور قد استنبط من شعر المتنبى - على ما فيه من الخطأ - أنه كان قرمطىَّ الهوى فى صباه من سنة كذا إلى سنة كذا ، فكيف يجعل هذا الرأى نفسه هو السبيل إلى التوقيت ؟ وكيف يتم له العمل به فى تفصيل هذا التاريخ ؟ هذا ما لا نعلمه . والدكتور لعلمه بفساد هذا المذهب ، لم يستطع أن يطبِّقه فى شيء مما أتى به البتّة ، بل لقد شهد أنه « أكثر اعتماداً على الطريقة الثانية الجغرافية ، منه على هذه الطريقة الأولى النفسية » ، وما ذلك إلّا لأنه

تكلم في قضية قديمة جادلته عليها ، ولم يعرف يومئذ ما وراءها ، وإنما هو كلام يقال (والسَّلام) !!

أما الطريقة الثانية التى (يصطنعها) الدكتور طه ، وهى الطريقة الجغرافية ، فيقول فى بيانها فى [ص : ٩٥ من كتابه] : « فالظاهر أن المتنبي قد خرج من / بغداد متابعاً ١٧٦/٢ طريق الجزيرة ، حتى انتهى إليها فأقام فيها وفى شمال الشام دَهراً ، ينتقل بين القبائل البادية ، وبين المتحضرين فى المدن ، يمدح الرؤساء وسرّة الناس ، كما يمدح أوساطهم وفقراءهم أيضاً » = ثم يدعى هذه الدعوى الباطلة : « وهو فى أثناء هذا كله يمتحن أولئك وهؤلاء ليتبين استعدادهم للقرمطية ، وتهيؤهم للخروج على السلطان العباسى » إلى آخر كلامه = ثم يقول : إنك إذا قرأت القسم الأول من ديوان المتنبي رأيته ينقسم إلى ثلاثة أقسام جغرافية :

« القسم الأول : قيل فى الجزيرة وشمال الشام = والقسم الثانى قيل فى اللاذقية ، وهو موقوف على التنوخيين = والقسم الثالث فى طرابلس » ، [ص : ٩٦ من كتابه] . ويخيل إلى الدكتور أن المتنبي قد جاء سورية من شمالها ، ثم مضى فأقام فى طرابلس حيناً (قصيراً) = تأمل هذا = ثم انحرف إلى اللاذقية فأطال فيها المقام ، ثم انصرف عنها إلى طبرية ، فأقام قليلاً ، ثم عاد إلى اللاذقية ، ثم تركها إلى البادية غير بعيد من حمص ، فلم يكذ يعلن الدعوة إلى الثورة حتى أُخِذَ وأُلْقِيَ فى السجن » ، [ص : ٩٧ من كتابه] . ومهما يكن من شئ !! فهو يفترض أن المتنبي قد سلك هذه الطريق التى رسمها ، وإذن فسيسلك هذه الطريق نفسها فى درس شعره فى هذا الطور على النحو الآتى : (١) شعره فى سورية الشمالية (٢) شعره فى طرابلس (٣) شعره فى اللاذقية (٤) شعره حين كان يستعد للثورة فى البادية (٥) وأخيراً شعره فى السجن » ، [ص : ٩٨ من كتابه] ، انتهى كلامه حفظه الله .

١٧٧/٢ / هذا ما قاله الدكتور طه . وانظر الآن ما قلناه في [ص : ١٩٨] من كتابنا هذا ، ثم قارن بينهما واحكم بما شئت :

« خرج الفتى من الكوفة واتخذ طريقه = على ما وقع عندنا من الرأى = من الكوفة إلى بغداد ، ثم (خرج لوقته !!) متخذاً طريقه في ديار ربيعة بين النهرين ، إلى نصيبين ، ورأس عين ، وحرّان ، ومنبج ، وطفق ينتقل بين القبائل في جوف البوادي حتى انقضى به المسير إلى الشام في سنة ٣٢١ ، فنزل بدمشق وأعمالها وما يدانيها (أعنى بعلبك وطرابلس وحمص) ، ثم كره الأرض التي نزلها ، ثم صعد سنّة إلى منبج ، وحلب ، واللاذقية ، وأنطاكية ، ومدح بها من مدح ، ثم اعتقل بحمص ، لِمَا قالوا به من أدعائه العلوية ، ثم النبوة ، ثم الاستييب وأشهد عليه بالكذب فيما ادّعى ، ثم تاب وأطلق . هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير ميسر بعد لغموضها ونقصها . وهذه الرحلة عندنا تفسير آخر سنعرضه بعد » .

١٧٨/٢ هذا ما قلناه : ولعلك رأيت ما فيه مما (يشبه) كلام الدكتور طه ، هذا العبقري ، ولعلك فطنت إلى أن الدكتور طه كما قدمنا يزعم أنه يخالف الأستاذ (بلاشير) في إقامة المتنبي ببغداد ، وأنه (أى الدكتور) يرجح أن المتنبي لم يطل الإقامة ببغداد = ونحن نقول ، كما رأيت ، أن المتنبي خرج من بغداد (لوقته) . ونحن لا نحب أن نخرج الدكتور طه فتلجئه إلى مأزق ضئلك يلتزمه لا يتقلقل فيه إلا على أذى يدركه ، أو جائحة تناله ، إذ نطلب إليه أن / يعرض علينا شعر المتنبي ليستخرج منه كل هذا الذى قال به في التقسيم الجغرافى ، وهو نفسه قد تجنّب ذلك في كتابه . ولو قد كان يطيقه ، أو يصبر عليه ، أو يسوّغ القدرة على التصرف فيه ، لما كان أحجم على القول في ذلك استكثاراً وتضخيماً وتفخيماً لكتابه ، وتلبساً بالفهم ، وتظاهراً بأداة العلم ... ولكنه قد وسّعه أن يدّع ذلك ، لأنه لا يسعه أن يقول فيه بمثل الذى قاله في نسب المتنبي أو قرمطيته من الحشو اللفظى الرائق المعجب الذى استكثر به وتجمّل . والمسألة كلها أن الدكتور أخذ الذى كتبناه في ترتيب رحلة المتنبي ، فقدّم له بهذه المقدمة المنطقية ، ليرى قارئ كلامه

أنه قرأ أو تدبّر وفكّر وأجهد تلافيف دماغه ، فاستخرج هذا الترتيب (الجديد) لهذه الرحلة ! وما به شيء من ذلك ، وقد عافاه الله منه وعصمه دونه ، ومثّعه بالعافية من وبليّته وعقاييله .

...

وثمّة في هذا الفصل من القول المعترض في مدارج الكلام ، ما هو خطأ وتحكم وتشدّق بغير علم ، وتليّس بالهوى ولجاجة ، ننصرف عنه ولا نعرض له ، إذ كان في الذى قدّمنا من الرأى فى الكلمات السالفة ما يطلّها ويدلّ على فسادها ، ويظهر عوّارها ، ويكشف عن قلتها وفُسولتها .

...

وأما وقد فرغنا من هذه الأبواب الأولى التى هى مظنة العلم والفهم فى كتاب الدكتور طه ، والتى يُشَبَّه للقارىء أن فيها من الرأى ما هو مستحدث غير قديم ، ومن العلم ما هو محقق غير مضعوف ، ومن الاستنباط ما هو مبتدع / غير مروى ولا متّبع = ١٧٩/٢ فما نجد بُدْأ من الضرب عليها بكلمة تبين عن غرض الدكتور من الإتيان بها ووضعها ، أو تأليفها ، أو جمعها ، أو إملائها ، أى ذلك شئت .

وخلاصة ما أراد أن يقول به الدكتور طه فى جميع هذه الفصول من أول كتابه ، إلى آخر ص : ٩٨ منه : أن نسب المتنبي عنده موضع شك ، ولكن شك الدكتور هذا فى نسبه ليس يعتمد على دليل ولا شبهة . ثم إن هذا الشك قد يدفعه إلى القول بأن المتنبي لم يكن يعرف أباه ، ولم يكن يعرف أمه ، ولم يكن يعرف لنفسه قبيلة ينتمى إليها ، وأن مولده كان شاذاً ليس كمولد غيره من أبناء (الآباء) ، ثم أفضى من ذلك إلى صفة المتنبي فى طفولته ، ثم فى صباه ، ثم اختلج الرأى اختلافاً ، فزعم أن المتنبي كان قروطياً ، لا بل كان من دعاة القرامطة ، وأن رحلته إلى الشام كانت لذلك ، وأنه كان قد خرج

إليها » ليمتحن الرؤساء والسراة وأوساط الناس وفقراءهم ليتبين استعدادهم للقرمطية وتهيؤهم للخروج على السلطان العباسى ، الذى كانوا يخضعون له فى ذلك الوقت خضوعاً فيه غير قليل من التلون والاضطراب » ، ص : ٩٦ .

وقد قدّمنا فى أوّل كلماتنا أن الدكتور طه إنّما شك فى نسب المتنبى تقليداً لنا ، وقصّاً على آثارنا ، لأننا أوّل من فطن إلى الشك فى رواية الرواة « وأوّل من صرّح بذلك ، وأجلب على كلامهم الشبهة وأدخل عليها التضعيف . ثم جمعنا الأسباب ، وأخرجنا منها مسبباتها ، حتى انتهينا إلى القول بأن / المتنبى كان علويّ النسب ، وأتينا بما يحملنا على ذلك من شعر المتنبى نفسه ، وما كان فى نفسه من اجتناب العلويين من أهل زمانه فى مدح أو ذم ، مع أنه قد نشأ فى بلدتهم (الكوفة) ، وتخرّج من كتاب كان فيه (أولاد أشراف الكوفة) ، وقد استقصينا بعض ذلك فيما مضى .

وأما الدكتور طه فحين قلدنا فى الشك ، أخرج الأمر أولاً ، فلم يستطع مناصاً من قذف المتنبى بأنه كان (لا يعرف أباه ولا أمه ، وأن مولده كان شاذاً) . فلما بلغ ذلك لم يجد فى رأيه غناء ، ولا وجد له وزناً ، ولا اهتدى إلى طريق يتعسّفها من هذا الرأى حتى يبلغ القول فى حياة المتنبى والترجمة له مبلغاً يُحمد عليه = فأبلس وانتشر عليه الرأى ، فلم يجد له مخرجاً إلا أن يضع يده على رأى الأستاذ (بلاشير) فى أن المتنبى حين خرج من الكوفة اتصل بالقرامطة ، فاصطنع هذا الرأى ، ثم تملّكه ، ثم تُصرّف فيه تصرف المالك على ما بيناه آنفاً ، وتعسّف وأخطأ ، وعَمِيَ عن وجه الصواب فى فهم الشعر الذى استدلّ به لرأيه واستجلبه لمذهبه . ولماذا ، لماذا ؟ لأنه أراد أن يقلّدنا وأن يجعل قرمطية المتنبى هى سبب رحلته عن الكوفة ، وهى سبب تقلقله فى البلاد واضطرابه ، وهى الغرض الذى كان ينشده فى حياته ، وهى الرأى الذى كان يمتحن عليه الرجال ، وهى التى كانت أخيراً سبباً فى مقتله ... وأن يكون كتابه تقليداً لكتابتنا ، إذ جعلنا مشكلة نسبه العلويّ هى التى كانت سبب مخرجه من الكوفة ، وهى كانت سبب تقلقله فى البلاد واضطرابه ، وهى الغرض الذى كان ينشده فى أول حياته ، وهى التى أدّت به إلى السجن

في الذى زعموه من أمر (نبوته) ، ثم هى التى كانت أخيراً فى ختام أيامه سبباً فى مقتله = ، ولأننا / جعلنا المتنبي قتي عريباً قد أنكر أمر الدولة وما وقعت فيه من سلطان ١٨١/٢ الأعجمية ، وكان بهذه العربية يمتحن الناس ، فيأنس إليهم ، ويستوحشهم ويفر من أرضهم = ولأننا جعلنا المتنبي داعية سياسياً من دعاة العربية فى أقطارها = فلم يجد الدكتور بُدّاً من أن يفعل مثل الذى فعلناه ، فيجعل القرمطية فى كتابه بإزاء العلوية فى كتابنا .

...

ونحن هنا لا نفخر بأننا أول من كتب تاريخ المتنبي على هذا الوضع الذى تراه فى كتابنا ، ولكننا نقرّر ذلك إقراراً للحق ، وبياناً للذى فعله معنا الدكتور طه ، حين أخذ آراءنا فأفسدها ، ووضعها فى غير موضعها ، واستعملها بغير حقه ، وأخرج كتابه على غرار كتابنا غير متعيب ولا متورّع من مَدْمَةٍ أو إثم . وأغراه بذلك ما يعلم من عظيم شهرته وبعيد صيته ، وما يعلم مما نحن فيه من الخفاء والصمت وقلة الاكتراث بالدعاية الملفقة لأنفسنا = وما يعلم من أن الأصل فى كثير من قراء زماننا أن يتعبدوا للأسماء الزنانة المعروفة ، والألقاب العظيمة المشهورة ، وأن خطأهم الكبير هو الصواب الكبير ، لأنهم هم قائلته والناطقون به ونحن لا نبالى بشئ من هذا كله ، ولو جاءنا الدكتور طه فالتمس هذا الكتاب منا لنزلنا له عنه ، ما كان نزولنا عنه مما يردُّ عن العلم هذا الفساد الذى أظهره بكتابه كما بينا ، وما كان هذا النزول سبباً فى ستر عُيوب رجل قد نَصَب نفسه ، أو قد نَصَبه سواه ، صدرأ فى الأدب العربى فى مصر ، وفى معهد من أكبر معاهدها ، هو كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولكن

/ وننتهى من هذه الكلمة حيث انتهى بنا هذا الفصل من كتابه فى ص : ٩٨ ، ١٨٢/٢ فإن فى الذى يستقبل من كتاب الدكتور طولاً قد امتدَّ وسمق وتسامى !! (١) وإن فى

(١) انظر سبب بتر هذه السلسلة من نقد كتاب الدكتور ، موضّحاً فى أول كتابنا هذا ص : ١٠٧ .

حاجة النفس لَمَا يشغلنا عن الدكتور طه وما يَأْتِي به أو يَقَعُ فيه أو يَعْرِضُ دونه :
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعْتَنَى الَّذِي أَخَذَتْ مِنِّي ، يَجْلِمِي الَّذِي أُعْطِيتُ وَتَجَرَّبِي

...

نبوة المتنبى

نبوة المتنبي

محمود محمد شاكر

/ كتب الأخ سعيد الأفغانى كلمة عن (دين المتنبي) فى العددين من الرسالة ١٨٥/٢ (١٦١ و ١٦٢) سنة ١٩٣٦ ، وقد عرض فيها لنبوة أبى الطيب التى يزعمونها وقعت . وكانت منه منلوحة عن القول (أو كما قال) ، (بأن تنبؤه فى الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشك فيه ، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة حتى التى كانت تميل إليه كل الميل ، فإنها لم تنف الأمر ، وإنما التمسست له المعاذير) . ثم علق على هذا فقال :

« قرأت أخيراً عدد المقتطف الذى كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبي خاصة ، فإذا به يذهب إلى نفى تنبؤ أبى الطيب الذى اتفقت عليه كل المصادر تقريباً . وقد أنعمت فى تدبر الأسباب الحادية على الثفى فلم أجد مَقْنَعاً ، به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة !!

« والتاريخ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ، ولا بد فيه حال النفى من التعرض لجميع الأخبار المثبة خبراً خبراً ، وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر !!

« وأمر أدعاء المتنبي العلوية ليس فيه ما يهيج عليه كل هذا ، على رغم ذلك الخيال الجميل الذى لبس أدعائه إياها فى الكتاب المذكور !!

« وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، فقيم خجل أبى الطيب / وحيأوه ١٨٦/٢

كلما سئل عن أمر لقبه المنتبى ؟ ولم كان يعمد إلى اشتقاقه من « النبوة » تارة ، ويعتذر بأنه شيء كان في الحداثة تارة ، ويقول إنه يكره التلقب به ، وأنه (يناديه) به من يريد الغضب منه ؟ وعلى أى شيء تقع كلمة كافور : « من ادعى النبوة بعد محمد ، أما يدعى الملك مع كافور » ، وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق !!

« وقد روى المعرى - وهو الحجة الثبت - أمر التنبؤ ، وما حَفَّ به من حادثٍ ومعجزاتٍ في رسالة الغفران . وأبو العلاء كان أخرى أن يشك أو يكذب الخبر ، لو أن في الأمر مجالاً للشك واحتمالاً للتكذيب ، لأنه أشدُّ حباً للمنتبى ، وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكم نقداً للأخبار ، مع قرب زمان ، وصفاء ذهن ، وقوة حجة ، ومواتاة وسائل التحقق إذ ذاك ! » انتهى .. الرسالة ١٩٣٦ (العدد ١٦١ - ص : ١٢٥٥) .

وأنا قد قرأت هذا الكلام في موعده حين صدرت الرسالة وأردت أن أردّه ، ثم بدا لى أن أدّعه حيث هو ، فإن الذى قرأ ما كتبت يعلم مقدار ما فى هذا الكلام من الجودة وحسن الأداء ، وقوة الحجة وجلاء البيان ، وسعة الاضطلاع وبلاغة الفهم ، ولكن بعض أصحابنا لم يزل لى حتى أخذ منى موثقاً أن أقول كلمتى فيه .

وهذا النقد الذى رمانى به أخى الأستاذ سعيد ليس ممّا يثيرنى ويغيرنى بحمل السلاح والاستعداد للمعركة . ولست أقول هذا استصغاراً لما يقول / أخى ، أو استكباراً لما قلت ، بل هو حكمى عليه مجرداً من كلّ ما يجعل الحكم قاصراً أو باغياً . ١٨٧/٢

وهذا الذى كتبه الأخ سعيد ليس ممّا أعدّه عندى نقداً ، وإنما هو اعتراض ، والاعتراض شبهة ، والشبهة يزيلها البيان . أما النقد فأمر آخر لم يسوغ للأخ أن يظفر بالقدرة عليه فيما كتب .

وقد أتى الأخ سعيد فى كلامه من قبل أنه عدّ الأخبار المروية عن نبوة المنتبى

وغيرها أخباراً صحيحة ابتداءً ، وهذا أول الزلل فى نقد الناقد . ولابد لمن يريد أن ينقد ناقداً أو يكتب فيما يتناول الروايات والأخبار ، أن يتحقق بدءاً بمعرفة الأصول فى علم الرواية ، وأن يستيقن من قدرته على ضبط الفكرة حتى لا تنتشر عليه وتتفرق ، ويقع فيها الاختلاف والتضارب والمناقضة . فلا بُدَّ لى هنا من أن أدلِّ الأَخ على الأصل فى الأخبار حتى يعرف فرق ما بين الذى انتهينا إليه ، والذى وقف عنده غيرنا ، ثم نكشف له عن الشبهة التى جعلته يعترض الذى كتبناه بالذى رفضناه ورددناه وأسقطنا الثقة به والاعتماد عليه .

فالأخبار جميعاً تحتمل الصدق والكذب كما يقولون . ومعنى ذلك أنها على حالة من البراءة الأولى لا توصف بصديق ولا بكاذب . ولا يستحقُّ الخبرُ صفة الصدق إلاَّ بالدليل الذى يدلُّ على صدقيه ، فإذا لم تجد الدليل على صدقه ذهب عنه صفة الصدق وبقي موقوفاً . فإذا اعترضته الشبهات من قبل / روايته أو من قبل درايته ، مالت ١٨٨/٢ به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه ، فلا يؤخذ به ولا يعتمد عليه ، ويكونُ عملُ الناقد بعد ذلك أن ينظر فى هذا الخبر نظرة التدبر ، ليستخرج الحقيقة التى من أجلها تكذَّبَ راويه ، وبذلك يقع على حقائق مدفونة قد سترها الراوى بما كَذَّب . وقد أشرنا إلى ذلك فى كتابنا [انظر ص : ٣٠٦ ، ٣٠٧] ، وإليك ما قلناه :

« أعلم أن أكثر ما يُروى فى ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالسُ الأدباء ، ولا يراؤ بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما يروى فى تراجم رجالنا ، كان مما يُراد به مَضْنَعُ الكلام فى مجالس الأمراء أو فى سامر الأدباء . هذا على أنها ربما حملت فيما تحمل أشياء لولا ورودها فى هذه النصوص لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم أمره إلاَّ بها ، ولا يستمر إلاَّ عليها . فلمثل هذا كان لا بُدَّ لنا من النظر فى النصوص وتمييزها ، وردُّ بعضها والأخذ ببعض ، حتى لا تنقطع بنا السبل فى الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يفوتك هذا إذا قرأت ما نكتب ، أو أردت أن تقرأ أو تكتب » .

وأنا حين أردت أن أكتب عن المنتبى نظرت في هذه الأخبار خبراً خيراً ، فلم أجد دليلاً واحداً يجعلها تستحق عندي صفة الصدق ، فأبقيتها موقوفة . ثم عدت فنظرت ، فتناوشتها الشبهات واعتورتها الطعون ، فلم أجد بداً من وسمها بالكذب . ثم عدت إليها فعارضتها بالعقل وشعر الرجل وحوادث التاريخ ، لأستخرج منها الحقائق التى يسترها الرواة والمتكذّبون ، ف وقعت لى / أشياء هى التى جعلتها أصلاً فيما كتبت . وأنا على يقين من أن الأستاذ سعيداً لم يتنبّه إلى هذا الذى فعلناه ، مع أنه هو الأصل فى الكتابة والتحقيق . أما التسليم فليس يجدى شيئاً ، إلا التكرار والمتابعة ، ثم الزلل والتورط فيما أراد الكذابون أن يحملوا الناس عليه ويوقعوهم فيه .

١٨٩/٢

ويقينى أن الأخ سعيداً لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات فيما يزعم إلا أنه قد رواها فلان وفلان ، ورواها المعرى - وهو الحجة الثبت - « وهو أشد منا حباً للمنتبى » وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة وأحكم نقداً للأخبار ، مع قرب زمان وصفاء ذهن وقوة حجة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك » ، ونحن لا ننكر على المعرى شيئاً من ذلك ، ولكن الذى ننكره أن الذى كتبناه كان عصبيةً لأنى الطيب ، أو حباً له أو فيه . ليكن المعرى صاحب عصبية ، فذلك لا يجعلنا نحن من أهل العصبية حتى نعبث بالحقيقة ، ونلعب بفنّ النقد من أجل أبى الطيب أو غيره من الرجال .

أما أن رواية المعرى - وهو صاحب عصبية لأنى الطيب - مما يصحح هذه الأخبار أو يرجح الصدق فيها ، فهو حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، فإن أبا العلاء لم يشهد كتبه أنه لا يروى إلا الصحيح من الأخبار ، وترك المعرى الشك فيها أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزلة عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب إليه ، ولا نفى صفة الصدق عنه .

/ وأحب أن أقرب إلى الأخ حقيقة هذه الروايات فهو يعلم أن الرواة قد رووا للرسول ﷺ معجزات كثيرة ، وكثير من الذى رَوَّه لم يثبت أهل العلم بالحديث على

١٩٠/٢

طريقتهم ، وقد رواها قومٌ على عهد الصحابة والتابعين ، وهى كذبٌ مخترعٌ بشهادة أئمة هذا العلم ، وقد بقيت هذه الآثارُ مرويةً إلى يوم الناس هذا ، وهى عند المتأخرين شائعة معروفة متداولة مصدقة ، وقد وردت فى كتب كثير من الأئمة العلماء ، أفيكون تداولها وذيوخها وتصديق العامة لها ، وورودها فى بعض كتب العلماء ، هو الدليل الذى لا دليل غيره على صحة هذه الأخبار ؟! وأكثر من ذلك ، أيقون ظهورها على عهد الصحابة والتابعين - على قرب زمن كما يقول الأستاذ - وتصديق بعض العامة لها فى ذلك العصر ، وسكوت بعض العلماء عن الكلام فيها ، مما يدل على صدقها ؟!

ونحن قد أتينا فى الذى كتبناه عن المنتبى بالشبهات التى ترجع الكذب فى هذه الروايات التى يراد بها الوضع من قدر الرجل والتحقيق له ، والظعن فى نسبه أو عقله أو خلقه أو أدبه . لا ، بل بينا أن ألفاظ هذه الروايات وحدها تحمل أكبر شبهة ، كالذى روى عن هذا اللادقى المسمى معاذ بن إسماعيل ، وقد روى الخبر بطوله فى كتب كثيرة ، وأوردناه بتمامه فى كتابنا [انظر ما سلف ص : ٢٠٠ - ٢٠٤] ، واختصره الأخ سعيد فى كلامه فى العدد (١٦١) من الرسالة . ولا أدري لم اختصره ، فإن الذى يقرؤه يجد فيه سمة الوضع والكذب مستعلنة بما لم تستعلن به فى حديث غيره . وقد بينا بعض وجوه نقده فى كتابنا [انظر ما سلف ص : ٢٠٩ - ٢١٢] . فكانت حجة الأستاذ سعيد فى ردِّ قولنا / وإسقاطه أنه (لم يجد فيه مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة) . ١٩١/٢ وكان حقاً على الأستاذ أن يعلمنى وجوه الضعف فى قولى حتى أستبرئ منه ، أما هذه الكلمة المجردة ، فليست بالتى تسقط كلامنا جملة واحدة ، حتى ولو كان هذا الكلام سقطاً محضاً .

أما ما اعترض به علينا ، فنحن نبين له وجّه بطلانه . يقول : « وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، فقيم كان خجل أى الطيب كلما سئل عن أمر لقيه المنتبى ... ؟ » إلى آخر قوله ، فإن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواية ، وقد أتى به القوم ليعضنوا قلوبهم فى خرافة النبوة . وإذا كان أمر نبوته مشهوراً متعلماً ، أو كما يقول اللادقى

إن دعوته (قد عمت كل مدينة بالشام) ، وقد بلغ من شهرتها أنه قبض عليه من أجلها بالشام أيضاً وحبس (دهرًا طويلاً) ، وأن له قرآنًا أنزل عليه .. ويزعم أبو على بن أوى حامد أن أهل الشام كانوا يحكون له سوراً منه كثيرة وأبو الطيب إذ ذاك بحلب ، فكيف يُعقل بعد هذه الشهرة أن يتندر إليه هؤلاء فيسألونه عن حقيقة هذا اللقب ؟ إن السؤال عن (حقيقة اللقب) ، بعد هذه الشهرة التي يزعمونها ليدل دالة قاطعة على وضع هذه الأحاديث المروية والأخبار المتداولة التي تنهز كثير من الأدباء في التسليم بصحتها ، كما فعل الأخ سعيد . ولقد كان هؤلاء الذين يزعمون أنهم سألوا أبا الطيب عن حقيقة اللقب (المنتبى) يسألونه وهو بالشام ، وفي الشام أظهر نبوته ، وفي الشام أشتهر أمره ، وأكبر من ذلك أنهم يزعمون أنهم كتبوا عليه / وثيقة أشهدوا عليه فيها ببطلان ما أدّعه ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائب منه ولا يعاود مثله . فهلاً كان الأولى بهم أن يظهروا هذه الوثيقة ، ولما يعض عليها كثير دهر ، وقد أخذها عليه وإل من الولاة ، فهي ، ولا بُد ، محفوظة في ولايته ؟ وكان أبو الطيب شجاً في حلق الأدباء والشعراء وكثير من أصحاب السلطان وهو في جوار سيف الدولة ، وقد أوقعوا بينه وبين أميره بكل ما ملّكوا من أسباب للوقعة ، أفتظن أنهم كانوا يحجمون عن إظهار هذه الوثيقة ، وإحراجها بها ، والعمل بها على تحقيره ، ثم على المنافرة بينه وبين سيف الدولة !! كانت كل هذه النقائص بالشام ، ومع ذلك لم يكن من أثرها إلا هذه الروايات الضعيفة التي تحمل ألفاظها الشكوك والريب .

وأسخف من هذه الرواية ، رواية من يروى أنه كان يعمد إلى التهميه على الناس بقوله : إن هذا اللقب (المنتبى) مشتق من « التّبّة » ، فليس يُعقل أن أبا الطيب - وهو يعلم أن نبوته كانت مشهورة كما ذكر الرواة - يعمد إلى هذا التوجيه الضعيف الميئ ، وهو يعلم أنه كاذب ، وأن الناس مكذبوه ، لأنهم يعلمون حقيقة أمره .

واعذاره بأنه يكره التلقب به ، وأنه يدعوه به من يريد الغض منه ، فهو بسبيل من ذلك في الضعف والسخف . على أنه مع ذلك لا يدل دالة ما على حدوث النبوة التي يزعمونها ، بل على العكس من ذلك ، إنه ليدل على أن هذا اللقب مفتعل موضوع

للكيد له والغضب منه ، وأنهم كانوا قد وضعوه له لِيَغِيظُوهُ به . ومثل ذلك كثير في كل عصر ومكان . ولعل الأخ سعيداً / لا يعدم رجلاً في بلده قد نَبَزَه الناس بَنَبَزٍ يَغِيظُونَهُ به ، ١٩٣/٢ ولا نشك أن هذا الرجل (يكره التلقب به ، وإنما يدعوه به من يريد الغضب منه) .

وأما كلمة كافور فهي كلمة مفتعلة موضوعة تافهة ، وإلا تكن كذلك ، فليس فيها أيضاً ما يدل على شيء محقق كان قد حدث من أبى الطيب . وكافور كان قد سمع هذه الدُّعْوَى التى يزعمونها عن نبوة أبى الطيب وسلم بها ، ثم تكلم ، وليس تسليم كافور بها سنداً لها يحقق تاريخها ، ويثبت وقوعها بعد الذى ذكرنا لك من ضعف الروايات .

هذا ، وقد أراد الأستاذ سعيد أن يعلمنا سبل التحقيق فى التاريخ فقال : « والتاريخ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه » إلى آخر قوله ، وهو قد فعل أكثر من ذلك وأكبر ، وذلك أنه بعد اعتراضه قال : « وكافور ليس من الذين يخلقون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق » ، ولم يرد فى كلامنا ذكر كافور واختلاقه حتى يعقب الأستاذ هذا التعقيب . هذه واحدة ، والأخرى أن الأستاذ قد حكم على كافور حكماً لم يرد له ذكر فى كتاب ، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخى والبرهان العقلى : أن كافوراً لم يكن يخلق على الناس ، ولا يروج الاختلاق ... ؟ لقد أتينا نحن بالروايات ونقضناها بالدليل - ضعيفاً كان أو قوياً - أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره .

ثم بقى اعتراض الأستاذ الذى يقول فيه : « وأمر ادعاء المنتبى العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا » . وأنا لا أعلم ماذا يريد الأستاذ سعيد / بقوله (كل هذا) ، وإذا أرادنى على أن أجيبه على ذلك ، فليبين لى صورة المبالغة فى قوله (كل هذا) ، فأنا لا أعلم من أمر هذه المسألة أكثر من أن الرجل قبض عليه بالشام وحبس . أما هياج الناس ، فلم يرد له ذكر فى كلامنا ولا فى كلام الرواة . وأما حبسه أو قتاله من أجل العلوية ، فليس يبدع فى التاريخ ، وكان لزاماً على الأستاذ قبل أن يكتب هذه الجملة ويصوغ هذا الاعتراض ، أن يرجع إلى كتب التاريخ ليعلم أن الذين قاتلوا أبى الطيب

وحبسوه ، كانوا قد قاتلوا من قبله قوماً أو حبسوه من أجل ادعاء العلوية ، وكذلك فعلوا مع العلويين الذين خرجوا عليهم في أرضهم وديارهم . فقتاله وحبسه ليسا يثبتان أن هذا الذى كان من أى الطيب ، إنما كان إظهاره النبوة لا ادعاءه العلوية .

وبعد ، فلو حمل الأخ سعيد نفسه على تدبر الذى كتبناه فى المقتطف عن المتنبي ، لما وقع هذا الاعتراض الذى حاك فى صدره . وقد أشرنا مرات فى كتابنا إلى وجوب ذلك ، فقد كنا نترجم للرجل ترجمة صحيحة يقرأها القارئ ليمثل صورة هذا الشاعر العبقري ، وفاءً له وتقديراً ، بعد مرور ألف سنة على وفاته ، فلم يكن سيئنا أن نتعرض لأصول النقد وشرحها وتفصيلها ، ولم نأخذ الروايات جميعها بالنقد مرة واحدة ، فإن ذلك كان يقتضى منا وقتاً كثيراً وكتاباً كبيراً ، ولكن من يطلع على الذى كتبناه منصفاً متديراً عارفاً بطرف من أصول نقد الرواية ، يعلم يقيناً أننا لم نكتب حرفاً واحداً إلا بعد أن استوفينا عندنا نقد الأخبار (خبراً خيراً) كما يريد / الأستاذ سعيد . وليس ١٩٥/٢
عسيراً على المتدبر أن يستخرج من الذى كتبناه الأصول التى نقدنا بها هذه الأخبار . ولعل الأستاذ قد قرأ كثيراً مما فاضت به الصحف والمجلات عن المتنبي ، وقرأ فى خلال ذلك كثيراً من نقد الأخبار التى رُوِيَتْ ، ولعله رأى أيضاً أن هؤلاء قد اتخذوا كتابنا مصدراً استنبطوا منه أصول النقد التى وضعناها ، وقاسوا عليها فأخطأوا وأصابوا ، وليس هو بأقل منهم حتى يفوته ما أصاب غيره .

...

حول « نبوة المتنبى »

سعيد الأفغانى

/ كنت عائداً من جولة فى قرى (البقاع) حين قرأت كلمة الأستاذ الفاضل ١٩٦/٢ محمود محمد شاكر فى العدد (١٦٧) من الرسالة الغراء ، التى كتبها رداً على حاشية بحثنا فى دين المتنبى المنشور فى العددين (١٦١ ، ١٦٢) من المجلة المذكورة .

وكانت قراءتى لردّه ، بعد عشرة أيام من صدوره . فإذا تأخرت فى التعليق عليه ، فهذا عذرى أبسطه للقراء الكرام ، وأنا أعوذ بالله من الغرور والذهاب بالنفس ، ومن الجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم ، والعصبية للرأى والهوى ، فما يزال الناس - والله الحمد - يقيسون فضل المرء بخضوعه للحق وإتقانه لعمله ، لا بدعواه وتبجححه . وقد ولى زمن كان فيه الولوع بالإغراب والإتيان بالجديد - ولو تافهاً - سبيلاً إلى الشهرة وذيوخ الصيت ، وأقبل زمان فيه للتفكير حُرمة وللعقل وزن ، وكفى فيه المؤلفون مَرُونَةُ الشَّاءِ على النفس ، والتحدّث إلى القراء بمزايا آثارهم وما تفردت به من معجزات .

وهؤلاء ذوو البصيرة من القراء يقلّبون ما يطالعون كل مُقلّب ، يقع إليهم الكتاب فيمحصونه ويُقلّونه ويتدبّرون ما فيه ، حتى تنكشف لهم منه / مواطن الحسن والقبح ، ١٩٧/٢ ويلمسون فيه آثار العجلة ، كما يلمسون مواضع التؤدة والروية .

وفى هذا ما كاد يصرفنى عن الرد ، سيراً على قاعدتى فى ألاّ أحفل نقداً ولا رداً إلا إذا كان حقاً . وسببى حينئذ أن آخذ نفسى به وأشكر لصاحبه ، وإلاّ فإنّ الزيد

يذهب جُفاء وما ينفع الناس فيمكث في الأرض . وخروجي اليوم على قاعدتي ، إنما كان لمنزلة الكاتب الفاضل ، لا لِمَا في الردِّ نفسه . وليس في الأمر كُلُّ ما ظنه الأستاذ شاكر : فلا إثارة ولا إغراء ولا سلاح ولا استعداد لمعارك ، إنما هي حاشية على كلام له المحل الثاني من بحثي ، لم أرد بها نقد كتاب ولا التعرُّض لمؤلف ، وشتان بين أسطر علَّقت عرضاً في حاشية ، وبين كلام مطوَّل أنشئ للنقد خاصة .

أنا أدرى - والإنصاف شريعة - أن الكلام على كتاب الأستاذ شاكر لا يكفي فصل كبير ، ففي الكتاب إحسان ، وفيه إصابة واجتهاد ، وفيه أماكن جديرة بالثناء حظيت بجهود حالفها التوفيق مرة وأخطأها مرة .

...

وبعد ، فإنني أشكر الأستاذ على نقله كلامي بحروفه ، لأن عمله هذا سمح للقراء أن ينظروا : هل بلغ الأستاذ في الجواب على أسئلتى ما يريد من إزالة الشبهات الواردة عليه ، أم قصّر دون هذه الغاية ؟ أمّا أنا فقد عدت إلى / كتاب الأستاذ كما طلب إليّ ، ١٩٨/٢ « وأنعمت - ثانية - في تدبر الأسباب الحادية على نفى تنبؤ أي الطيب فلم أجد فيها مقنعاً » ، كما لم أعثر في رده الذي تفضل به على شيء من الحجة . وإليك البيان :

١ - وهن الأستاذ رواية التنوخي لأنه صاحب الوزير المهلبى ، ولأن المهلبى عدو المتنبي ، فلا يبعد أن يكون التنوخيّ تحامل على أبي الطيب إرضاء للمهلبى . (١)
فنحن نسأله : هل يكفي هذا الاحتمال في تبرير ردّ رواية التنوخي ، وهى كما يراها المنصف تحمل في مطاويها دليل الصدق والأمانة في نقل الحديث ، لا دليل الوضع والكذب ؟
سأل التنوخيّ أبا الطيب عن معنى (المتنبي) فأجابه : « إن هذا شيء كان في الحداثة » ، وظاهر أنه يعنى التلقيب لا التنبؤ ، فجوابه غير صريح ، وهو كما قال الراوى جواب مغالط ،

(١) انظر ما سلف ص : ١٤٥ ، ١٤٦ .

وكان فى وسع التنوخى أن يحمل المنتبى - لو أراد وضعاً وتحاملاً - جواباً صريحاً فى ادّعائه النبوة . ولو استقام هذا الأصل الذى بنى عليه الأستاذ رواية التنوخى ، لجاز لكل من أراد نفى خبر أن يورد عليه مثل هذه الاحتمالات الخيالية فيسقطه . وما أحسب أن خبراً - مهما كان صحيحاً - يستعصى إسقاطه على هذا الأصل !

إنما السبيل أن ينقّب الأستاذ عن نص صحيح صريح فى ترجيح الراوى التنوخى ، وأنه عهد منه وضع الأخبار ودسّ الروايات ، أو أن يلجأ إلى حجة - لا إلى احتمال - قوية يرضاها العقل والمنطق السليم .

- ٢ - / استهل الأستاذ كتابه بفرض فرضه ، وخلاصته أن المنتبى علوى ١٩٩/٢ صحيح النسب ، وأنه أخذ بكتان هذا النسب لعداوة بينه وبين العلويين ، زعمها الأستاذ ولم يعرفها التاريخ . ثم ذهل حضرته عن أن هذا كان منه فرضاً ودعوى ، فراح يعدّه بعد صفحات حقيقة واقعة يبنى عليها ، ويشرح بموجها أبيات الديوان ويكذب ، مستنداً إليها ، الروايات ، ويتمم الراوين . وهو بذلك يخرج على أصول سنّها هو لنفسه ، وأخبر عنها فى رده علينا حين قال : « ولابد لمن يريد أن ينقد ناقداً أو يكتب فيما يتناول الروايات والأخبار ، أن يتحقق بدءاً بمعرفة الأصول فى علم الرواية ، وأن يستيقن من قدرته على ضبط الفكرة حتى لا تنتشر عليه وتفرق ، ويقع فيها الاختلاف والتضارب والمناقضة » . ونحن ننقل للقارئ أدلة على هذا الدهول من مواضع متفرقة من كتابه ، ليستبين أن الكاتب لم يتمكن من ضبط فكرته ، فانتشرت عليه وتفرقت . قال فى ص : ٨٥ : « بينا لك فيما مرّ ما بين أى الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأر قديم » ، يقصد بما مرّ احتمالاً الذى لخصناه آنفاً . وقال فى ص : ٩٢ : « وبينّ على مذهبنّا فى نسب المنتبى أن الرجل حبس من أجل دعوى العلوية » ، وقال فى ص : ١٠٢ : « وكأنى بالمنتبى فى طريقه يظهر فى القبائل والمدن أمر نسبه ويذيع بينهم أنه علوى الأصل شريف النسب ، محتالاً لذلك بالدهاء ... ! » . فأنت ترى أن هذا النسب العلوى وعداء العلويين كان فرضاً أول الكتاب ، ثم صار حقيقة مقررة فى وسطه .

/ وماذا في أن يكون المتنبي علوياً حتى يهتم به العلويون هذا الاهتمام ، وحتى يقال هو لإذاعته في القبائل والمدن بالدهاء ، والبلاد تعج عجيجاً بالعلويين والأشراف ؟
والغريب أن يتخذ الأستاذ من نظريته هذه التي افترضها برهاناً يضرب به كل الروايات والأخبار التي تحمل أمر تنبئه ، ويشغل الأمراء والناس والعلويين ودعاتهم بأمر فتى دون العشرين يدعى العلوية فقط ، فيقول في رد رواية اللاذقي ص : ٨٥ : « أما اللاذقي فمجهول ، ولا يتيسر نقد سنده ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التي نسب إليها كانت لوقت أبي الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومحطاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في التاريخ العربي كله » ، هل اهتمامهم بفتى دون العشرين من عمره من الأحداث العظيمة التي أحدثوها في التاريخ العربي كله أيها الأستاذ !؟ ولم لا يقتلونه مرة واحدة ، ويربحون أنفسهم من وضع الأخبار والدسّ عند الحكام ؟ إن في الأمر مطامع لنفس هذا الفتى جعل سلّمه إليها شيئاً آخر مع العلوية هو أكبر منها وأخطر .

وقد رددت أنا قسمًا كبيراً من رواية اللاذقي هذا ، ولكن لشيء غير ما ذهب إليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً . وما أكثر ما يبين الإنسان لنفسه الخطة في البحث ، ثم « تنتشر عليه الفكرة » فيبنى على غير أساس . ولست أجد كلاماً في تصوير عمل الأستاذ وأصوله في بحوثه ، أصدق من قول الجاحظ في إبراهيم النظام وهو هذا : « وكان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه / وجوده قياسه على العارض والمخاطر السابق الذي لا يوثق بمثله ، فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل الذي قاس عليه ، لكان أمره على الخلاص ، ولكنه يظن الظن ، ثم يقيس عليه ، وينسى أن بدء أمره كان ظناً » . (١)
٣ - يورد الأستاذ على حديث أبي علي بن أبي حامد شبهة واحدة ، بعد أن يقرّ بإحكامه ، ويقول عنه ص : ٨٦ : « فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قبل غرابته

عما جرت عليه الأحكام في شأن من يدعون النبوة إلخ » ، وقد أطلال في بيان وجه الغرابة بما لا فائدة بنقله هنا . والذي في كلام أبي على هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام » ، وجلّى أنهم استتابوه من دعوى النبوة ، فرجع بذلك إلى الإسلام . أما الوثيقة فهي ببطلان علويته ، وبهذا نزول شبهة الأستاذ ، فإن من المؤلف أن تكتب الوثائق في إثبات الأنساب ونفها .

٤ - عرض الأستاذ لرواية الهاشمي التي فيها : « كان أبو الطيب لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادّعى أنه علوي ، ثم ادّعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوي ، إلى أن أشهد عليه في الشام بالتوبة وأطلق » . وهذه الرواية تعني أنه ما تحلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقي على دعواه الأولى . / ومنها ومن الرواية التي قبلها ، نفهم أنه لما ٢٠٢/٢ أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين . وليس في الأمر مشكلة ولا تناقض ، ولا داع لأن يرجح الأستاذ [ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨] ، إقحام لفظ النبوة بين العلويتين في حديث الهاشمي ، وليقول : « إن المراد بالنبوة في حديث أبي على بن أبي حامد العلوية » ، فعلوية أبي الطيب التي أراد أن يفسر بها النبوة الواردة في الروايات على اختلاف مصادرها ، لم تسلم له من الأصل ، وبقي المتنبي جعفياً يميناً . وإذا كان لا بد من إيراد احتمال ، فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الرواية في غنى عن هذا الفرض أيضاً ، وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه ، وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابة الوثيقة .

٥ - بقيت رواية الناشئ القائلة : « كنت بالكوفة سنة ٣٢٥ وأنا أملئ شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم وهو بعُد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي » . هذا الخبر هو مظنة أن يكون فيه بعض الحجة ، فلنفرضه صحيحاً ، ولننظر ماذا تحتته : إن فيه نصاً على أن أبا الطيب لم يلقب بعُد بالمتنبي ولم يعرف في الكوفة ، وإذا شئنا الدقة في التعبير قلنا : إنه لم يبلغ أهل الكوفة أمر هذا

اللقب ، فيجوز أن يكون لقب به في الشام ، ويجوز ألا يكون . وليس في خبر الناشئ شيء آخر غير هذا . وبيان ذلك أن أبا الطيب ادعى النبوة للأعراب ، ثم سجن ثم أطلق / ٢٠٣/٢ وانتهى أمره ونسيه الناس ، ثم حصل في الكوفة سنة ٣٢٥ ، وحضر مجلس الناشئ فتي في الثانية والعشرين ، ولما عاد إلى الشعر واتصل بالأمراء وبسيف الدولة وناوش الناس وناوشوه ، وصاول الشعراء وصاولوه ، وتفاقم الشر بينه وبين الناس ، نبشوا تاريخه - وهو هناك معروف - فإذاعوا منه هذه الزلة التي كانت في حدائته ، وتعلقوا بها ، وسار له في الناس هذا اللقب : (المتنبي) .

...

لهذه الأسباب - وهي للقارئ معروضة - لم أجد في كلام الأستاذ شاكر « مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة » . وأظن أني أبنت له - كما أحب هو - وجوه الضعف في قوله ، وسواء على وعلى الحق : أستبرأ الأستاذ من قوله أم لا . ولا بد أن يكون القارئ شعر بحرصي على وزن كلامي حرفاً حرفاً ، وأنى لم أسرف ولم أرسل القول على عواهنه . وقد عجبت كل العجب من الأستاذ - وهو الناقد الأصولي الفنان - حين لم يدر لم اختصرت حديث اللاذق ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فإن الزيادات التي أهملتها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثمة حاجة لأدّل القراء على سبب إهمالها ، لأن تهافتها بين ، وكثير أن تُجَرَّد عليها حملة كالتى نزل بها الأستاذ الميدان ، فخصص لها صفحتين من كتابه القيم . وهو يعلم - حفظه الله - أن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع ، والمعقول ، كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث . وأنا أستحى من شرح هذا في مجلة (الرسالة) ، على رغم أن الأستاذ لم يجد بأساً في أن يعرفنا أن الخبر / ٢٠٤/٢ ما يحتمل الصدق والكذب ، وأن وأن إلخ إلخ ، مما يدرسه الطلاب المبتدئون . وأنا قد عملت بما أعرف من أصول البحث والتحصيل من دون أن أؤمن على قرأى . أما أستاذنا الفاضل فقد ملأ رده من مثل هذه الألفاظ : رواية ، دراية ، أصول نقد ... إلخ ، وكلامي وكلامه أمام القارئ ، وله وحده أن يحكم أين الرواية والدراية والأصول حقيقة لا ادعاء ، وما التهويل بمغني عن أحدنا فتياً .

كنت أتوقع أن يتحفنا الأستاذ بالبراهين التي سَوَّغت له رد الروايات فلم يفعل .
أقول لم يفعل ، لأن أقواله : « رفضناه ورددناه وأسقطنا الثقة به والاعتماد عليه » ، « إن هذا الخجل الذي يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواة » ، « أخبار متداولة تهوّر كثير من الأدباء في التسليم بصحتها » ، « أما كلمة كافور فمفتعلة » « وأسخف من هذه الرواية رواية من يروى » = « إن أقواله هذه ، ولو أتبع كل كلمة منها بجميع مرادفاتنا ومؤكاداتها اللفظية والمعنوية ، هي أليق بمظاهرة هتافية ينادى فيها بسقوط فلان وفلان ، منها ببحث علمي ، العمدة فيه الحجة والبرهان . وأى شيء في أن ينز كاتب روايات التاريخ بالبطلان والكذب ، ثم لا يكون دليله عليها إلا أنها كذب وبطلان !!

هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ما ليس تحمّل ، فأنا لم أدّع للمعرى تنزهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر في كتب العلماء هو الدليل الذي لا دليل غيره » ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة ، بل هو مما ييسر للمحقق / وسائله . كما أنى لم أسلم بكل ٢٠٥/٢ الروايات ولم أعدها صحيحة ابتداء ، فقد رددت منها ما وجدت فيه إلى الرد سبيلاً ، ونقدت حكماً أدرج في مصدر من أمهات المصادر وأجلها ، وهو خزانة الأدب ، حين وجدت للنقد مجالاً ، ولكل من النقد والرد والتسليم مواطن . وكيف تريدنى أن أقنع قرائى بأمر لم أقنع به ، وإلى أشياء أخرى يتحقق من رجع إلى مقالى أنى لم أذهب إليها ؟ ونحن لم نتهم الأستاذ بالعصبية للمتنبي ، ولكنه هو قدّم لنا في رده دليلاً على عصبية لرأيه ، وليس لنا في هذا الأمر يدان . ولما قلت عن كافور : « وكافور ليس من الذين يخلقون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق » ، خُيّل للأستاذ أن ثمة نصراً مؤزراً فقال : « إن الأستاذ قد حكم على كافور حكماً لم يرد له ذكر في كتاب ، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخي والبرهان العقلي : أن كافوراً لم يخلق على الناس ولا يروج الاختلاق ؟ لقد أتينا نحن (بارك الله) بالروايات ونقضناها بالدليل - ضعيفاً أو قوياً - أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره » اهـ .

وعلى رغم أن الدليل على المثبت لا على النافى - كما لا يخفى على الأستاذ الأصولى - وأن على من يدعى على كافور الاختلاق وترويجه أن يقيم البينة ، على رغم هذا نخيل الأستاذ على الذهبى الذى وصف دينه وتواضعه فقال : / « وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتعهد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول : « اللهم لا تسلط على مخلوقاً » ، وكان يرسل كل ليلة عيد وقر بغل دراهم فى صرر بأسماء من أرسلت إليهم من العلماء والزهاد والفقراء » .

ونخيله أيضاً على الذهبى وغيره من المؤرخين الذين أجمعوا على وفور عقله وحسن تديبه وصلاحه . ويرى الأستاذ معنا أن فقه هذه الروايات - وهو الخبر بالرواية والدراية - يجعل كافوراً بمنجاة من النزول إلى هذا الدرك ، وإن فى أمور ملكه وبعد غوره ، ما يشغله على الاختلاق على شاعر تكفى إشارة منه لتذهب برأسه . إن ما يسبغه المؤرخون على كافور من الصفات ، يكفى لنقول ببعده عن جميع السفاسف جملة واحدة . ففى التاريخ بينة وفيه دليل ، ولكن للعجلة فى الحكم آفات .

هذا وفى نفسى مما أورده الأستاذ المحقق شئ ، فهل يسمح لى أن أطالبه بالدليل العلمى على قوله الجازم : « أعلم أن أكثر ما يروى فى ترجمة هذا الرجل (المنتبى) وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالس الأدباء ولا يراد بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما يروى فى تراجم رجالنا كان مما يراد به مضغ الكلام فى مجالس الأمراء أو فى سامر الأدباء ... إلخ » . وهل يتفضل فيبين لنا البرهان القاطع فى قوله جواباً على سؤالى : « إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواة إلخ » ، فمن هم هؤلاء الرواة الذين لفقوا / الأباطيل ؟ إلى متى أعرفهم ، يسهل على من دون شك أن أسأل عن الأسباب الحادية لهم على التلفيق .

وأنا غير مطمئن إلى قول ابن جنى فى سبب تلقيب أبى الطيب بالمنتبى ، فابن جنى مفرط فى حبه لصاحبه والدفاع عنه ، وهو متهم فيه . فهل لأستاذنا أن يعزز قوله بروايات أخرى سبيلها على غير ابن جنى وعلى غير ما حوله ؟ فإن تعذر هذا ، فلا عليه أن

يؤيدها بأدلة لا اعتراض للفكر السليم عليها . ولا بأس أن نقول له ، وقد قرأنا ختام رده الذى أثنى فيه على نفسه وعلى كتابه بما هو له أهل : أنت كما أثبتت على نفسك ، ولكن إذا كان كتابك قد اتخذ - كما زعمت - بعض الكتاب « مصدراً استنبطوا به أصول النقد » ، فلسنا بالذين نسمى الطعن المجرد للروايات أصولاً فى النقد ، وما لهذا أيضاً علاقة بالبحث . وهلاً إذ ذكرت ذلك دللتنا على أسماء هؤلاء الكتاب والمجلات التى نشروا بها ، والمواطن التى قلدوك فيها ، لنهتلك على شيوع مذهبك وكثرة المؤمنين به ؟ ولعلك فاعل عن قريب إن شاء الله .

أما أنا فما كنت أظن قط أن أسطراً تذكر عرضاً فى رد فكرة ، تثير مثل هذا الفاضل فيحمل منها هما يجد وقرة وعنته اثنين وأربعين يوماً ، ثم ينفته فى رده الذى تكرم به على مثل هذا الشكل .

لقد وددت والله لو أن الأستاذ شاكرًا نقب عن الحجة وتحرى الحق لأعترف له به وأرجع إلى قوله . وصحف (الرسالة) أحوج إلى أن تملأ / بالحقائق والبرهان ، منها إلى ٢٠٨/٢ الدعوى والانتقاض . وأتمنى للأستاذ أن يهجر هذا الأسلوب فى الجدل ، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً ، كما لم يغن طنين الأستاذ صروف بالإشادة بمزايا الكتاب فى مقدمته . والمأمول من الله أن يأخذ بيد الأستاذ شاكر فيتم لنا كتابه الضخم عن المتنبي الذى قُدِّرَ بأربعة مجلدات ، وأتمنى أن أراه قريباً ، وأن أرى فيه حقائق الرواية والدراية وأصول النقد ، لا ألفاظها فقط . وليس بمهم بعد ذلك أن تكون هذه الأصول حديثة يخترعها الأستاذ ، أو قديمة على غرار ما تألف عقول هذا الناس ، إنما المهم أن تكون صحيحة سوية .

وسأكون سعيداً حقاً يوم ينقد الأستاذ الأخبار خبراً خبراً ، فيعارض بينها ويقابل ، ويمحصها تمحيصاً يرضيه هو ويستفيد منه القراء الذين لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيل من صاحبه ومراوغة فى الخط منه ، فإن هذا هو الأشكل بالأستاذ الكريم والأليق بفضلته والأولى بسجاياه ، وله - فى الختام - شكرى وخالص تقديرى ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

نبوة المتنبي أيضاً

محمود محمد شاكر

/ أخى سعيد الأفغانى

٢٠٩/٢

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فإنى أشكر لأخى حُسن ظنه لى فى بعض كلامه ، ومساعدته فى الرد على كلمتى التى نشرتها الرسالة (العدد ١٦٧) . هذا على أنه ليس يَجْمَلُ بالأستاذ أن يَحْمِلَ نفسه تكاليف الرد على مثلى ، فإن الذى بيننا من التخالُفِ فى الطبيعة ، والتباين فى الجيلة ليقوم فى هذا الأمر مقام الرد . وأيضاً ، فليس مما يحسُنُ به أن يَسْطَ عذره للقراء عن تأخر الردِّ بجولته فى قرى (البقاع) ، وأن قراءته للذى أتيت به من الكلام كانت بعد عشرة أيام من صدوره . وليعلم الأستاذُ الجليلُ أنى أحب أن يحملنى على طبيعتى ، وأن يتقبلنى على علتى ، وأن يعرفنى رجلاً شيمته العجزُ ودأبه التخلُّفُ ، فلا قَبِلَ له بمثل قدرة الأستاذ وقوته على مدِّ الشوْط ، هذا على ما رَكَّبَ فى أصل خلقتى من الحدة والثورة وضيق الصدر . وليس أدلُّ على ما بيننا من تباين الجيلة - من الذى استيقنه الأستاذ وأثبتته فى من التخلُّفِ والعجز ، والذى رأيته فيه من القدرة والمسارة ، فهو لم يضيق ذرعاً بكل الذى كتبناه ، ولا تخلَّفَ فى ردِّ كلامنا وإسقاطه بالحجة والبيان والبرهان ، فى أوجز لفظ ، وأوزن فكر ، وأدق فهم ... ثم فى أقل وقت . وأنا - على / نقيضه ، فأنا كما وصفنى الأستاذ حين يقول : « أما أنا فما كنت أظنُّ !! » أسطراً تذكر عرضاً فى ردِّ فكرة تثير (مثل هذا) الفاضل ، فيحمل هماً يجد وقْرَهُ وعَتَتَهُ اثنين وأربعين يوماً ، ثم ينفثه فى ردِّه الذى تكرم به على مثل هذا الشكل . ولا أدرى لم

٢١٠/٢

(٥) نشرت فى مجلة الرسالة (العدد : ١٧١) ، الاثنين ٢٦ من رجب سنة ١٣٥٥/١٢ من أكتوبر سنة

لا يظنُّ الأستاذُ ذلك ؟ ألا فليعلم أخى سعيد أن اثنين وأربعين يوماً ليس كثيرٌ دَهْرٍ على عاجزٍ وَجِلٍ هَيَّابٍ متخلّفٍ ، وأن كلمته الصغيرة - التى أثارتنى فحملت هماً أجد وَقَرَهُ وَعَتَتُهُ اثنين وأربعين يوماً - كانت مما يقتضىنى عامين على الأقلّ فى تقليبها وفهمها ودراستها وأوصل ليلها بالنهار ، ثم فى الاستعداد للردّ ، ثم فى جمع شتات الذهن ، ثم فى نفى الذهول عن العقل والفكر ، ثم فى كتابة ما يُسَوَّل لى قليلٌ علمى تحريره والنظر فى صدره وأعقابه .

وبعدُ أيضاً ، فإن أخى سعيداً قد رمانى بقارصاتٍ ، وهو الذى يقول عن كلمتى فى الرسالة : « وصحف الرسالة أحوجُّ إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها إلى الدعوى والانتقاض ، وأتمنى للأستاذ أن يهجر هذا الأسلوب فى الجدل ، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً ، كما لم يغن (طنينٌ) الأستاذ صروف بالإشادة بمزايا الكتاب فى مقدمته » اهـ .

ولست أدرى ! فلعلَّ صُحف الرسالة قد غنيت بأساليب البيان العبرى ، والسخرية النابغة من مثل قوله عن كلمات فؤاد صروف (طنين الأستاذ صروف) ، فالطنين فى هذه العبارة كلمة بيانية مبتدعة ، فيها من الفنّ والموسيقى ما يتضاءل معه إبداع جَلَّةِ الكُتّاب والشعراء والموسيقين . ومثلُ / الذى يقول : « وأنا أعوذُ بالله من الغرور ، والذهاب بالنفس ، ومن الجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم ، والعصية للرأى والهوى ، فما يزال الناس - والله الحمد - يقيسون فضل المرء بخضوعه للحق ، وإتقانه لعمله ، لا بدعواه و (تبجّحه) » ، إلى آخر هذا الكلام البليغ الذى لو أرادَه الجاحظ وجهده فيه واحتفل له ، لما تعلّق بذيله ، ولا جرى فى غباره . وأنا أعوذُ بالأخ أن يعودَ إلى مثل هذا القول ، فإنى أكره أن أجزى أخاً لى بالذى أعلم أنّه يؤذيه ويُرِمُّضُهُ ، فيذهله عن منازل الصبر ، ويستفزّه عن مواطن الحلم .

وليس أحبّ إلى نفسى من أن أهتدى إلى الحق على علم وبصيرة ، وأن أخضع له على الرضى والغضب ، وأن أعمل على إقراره ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً . فلا يتبعن - أخى الأستاذ سعيد - ظنه أنا من أهل الغرور ، والذهاب بالنفس ، والجهل بمقدارها ، والمكابرة

في العلم ، والجدال فيما لا جدوى منه ولا منفعة . وسأنتهى - إن شاء الله - مع الأخ إلى النهاية التي يرضاها غير باغ ولا ظالم . فأول ما أبدأ به بيان ما ورد في كلمته (الرسالة ١٧٠) ، من التهافت في بعض القول ، ثم أعقب على ذلك بذكر نبوة أبي الطيب ، وتقرير القول في نفيها على وجه يبلغ بنا رضاه ، ثم أجيبه عن كل ما سألني من شيء . فإن اعترض في خلال ذلك ، نظرت في الذي يأتي به ، فإن غلبنا على الحق ، أسلمنا وبذلنا له الطاعة ، وإن رضى ، قولنا فهو عند قاعدته التي ذكرها « ألا يحفل نقداً أو رداً إلا إذا كان حقاً ، وسيله أن يأخذ نفسه به ، ويشكر لصاحبه » .

٢١٢/٢ ١ - / قال الأستاذ سعيد حين ذكر خبر التنوخى ورأينا في رده : « سأل التنوخى أبا الطيب عن معنى (المتنبي) فأجابه : « إن هذا شيء كان في الحداثة » ، وظاهر أنه يعنى التلقيب لا التنبؤ ، فجوابه غير صريح ، وهو ، كما قال الراوى ، جواب مغالط » اهـ .

والأصل الذى اعتمد عليه الأستاذ فيما ينقل هو (طبقات الأدباء) لابن الأنبارى ، ونص الخبر ثم : « قال التنوخى ، قال لى أبى : فأما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبي ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أولاً ، فجوابنى بجواب مغالط ، وقال : إن هذا شيء كان في الحداثة ، فاستحييت أن أستقصى عليه وأمسكت » . وهذا نص قد اختصروه ابن الأنبارى على عادته ، وجاء الأستاذ سعيد فأراد أن يبين وجه المغالطة في الجواب ، فزعم أن أبا الطيب يعنى التلقيب لا التنبؤ في جوابه . وكان أولى بالأستاذ قبل أن يؤول الكلام على هذا الوجه ، أن يتدبر القول وينظر فيه على الصورة التى يؤوله بها ، ثم يبين وجه المغالطة بياناً لا يُسقطه العقل .

يقول التنوخى : إنه سأل أبا الطيب عن معنى (المتنبي) ليسمع منه هل تنبأ أو لا - أى هل كان اللقب لحادث عن نبوة كانت منه أم هو نبز بُز به ولقب - فيجيبه أبو الطيب : « إن هذا التلقيب كان في الحداثة » ، فأين المغالطة في هذا الجواب ! وفي المسألة وجهان : إما أن يكون التنوخى قد سأل أبا الطيب مصرحاً بالذى أرادته فقال

له : هل أذعيت فسُمِّيَتِ المنتبى ؟ فيقول أبو الطيب : « هذا شيء كان في الحداثة » ،
 فيكون المراد « النبوة » ولا شك ، / وإما أن يكون قد سأل عن علة تلقيبه بالمنتبى ، ٢١٣/٢
 فيقول : « هذا شيء كان في الحداثة » ، فيكون جواب رجل لا يحب أن يمتد في الحديث
 فهو يقطعه على سائله ، فهو يقول له : إن هذا اللقب وسببه كانا في الحداثة ، ولست
 براضى عن سؤالك . فليس في هذا مغالطة . ثم إن امتناعه عن ذكر علة غير النبوة في
 سبب التسمية ، دليل على أن « النبوة » هى العلة في التلقب ، لأن اللفظ صريح في
 الدلالة على المعنى . وليس يغفل أبو الطيب عن معنى هذا اللقب ، ولا يظن أن الناس
 غافلون عنه ، فيكون امتناعه عن ذكر العلة مما يوقعهم في حيرة من تأويل معناه .

ثم ما الذى يضرُّ أبا الطيب لو كان هذا التلقب في الكبر ولم يكن في الحداثة ؟
 فحرصه على تخصيص ما أراد من المعنى بالحداثة ، ينفى إرادة (التلقب) ألبتة . وأولى
 حين يكون التخصيص بالحداثة أن يراد بذلك « النبوة » ، فإن قوة التدفع ، وسمو
 الطموح ، وإشراف النفس ، وتهاول الأمل ، هى بالحداثة ألزم ، وهى التى تورث نيران
 الشباب فتدفعه إلى المغامرة والتهور والمخاطرة على غير هدى ولا بصيرة ، حتى يركب بها
 صاحبها الحدث الغرُّ كلَّ مركب من حماقة ، ويَرِدُ بها كل مورد من الغرور ، فلا يرعى
 عن أن يدعى ما لا مطمع له فيه ، ولو كان النبوة .

وقول التنوخى بعد جواب أبى الطيب : « فاستحييت أن أستقصى عليه
 فأمسكت » ، دليل على أن الرجل اكتفى بإشارة أبى الطيب إلى حادث « النبوة » ،
 وأمسك عن الذى كان يريده أولاً من التصريح فى إثبات ما كان من أمره فى ادعاء
 « النبوة » .

/ واختصار ابن الأبارى خبر التنوخى ، هو الذى دفع الأستاذ إلى هذا التأويل . ٢١٤/٢
 وأصل خبر التنوخى أنه قال : « حدثنى أبى قال : أما أنا فإنى سألته بالأهواز سنة أربع
 وخمسين وثلاثمئة - عند اجتيازه بها إلى فارس فى حديث طويل جرى بيننا - عن معنى
 « المنتبى » ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ، فأجابنى بجواب مغالط لى ، وهو أن

قال : هذا شيء كان في الحادثة أوجبته الصورة ! فاستحييت أن أستقصى عليه وأمسكت . فالمغالطة في قوله « أوجبته الصورة » ، والصورة ههنا الصفة ، على اصطلاح أهل الكلام ، وصفة الحادثة لا توجب ادعاء « النبوة » ، فهذا هو وجه المغالطة . فلما رأى التنوخي - وهو شاب لم يَعد السابعة والعشرين من عمره ، وأبو الطيب إذ ذاك شيخ قد نيف على الخمسين - ما أصاب هذا الشيخ من الحرج وضيق الصدر حتى لجأ إلى المغالطة في التعليل ، وتسويغ فعلته على السفسطة ، آستحيا أن يستقصى على هذا الشيخ ، فأمسك عن الذى يؤمله ويفيظه ، ويضع من كبريائه ، ويحط من شيخوخته ، ويلجئه إلى ركوب الإحالة في المنطق ، والفساد في التعليل .

٢ - ويقول الأستاذ سعيد : « يورد الأستاذ على حديث أبى على بن أبى حامد شبهة واحدة ، بعد أن يقرّ بإحكامه ، ويقول عنه في ص : ٨٦ : « فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قبل غرابته عما جرت عليه الأحكام في شأن من يدعون النبوة إلخ » . وقد أطل في بيان وجه الغرابة بما لا فائدة بنقله هنا : (سبحان الله يا سعيد !!) ، والذى في كلام أبى على / هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة ، وأشهد عليه فيها ٢١٥/٢ ببطان ما ادّعه ورجوعه إلى الإسلام » ، وجلّئ أنهم استتابوه من دعوى النبوة فرجع بذلك إلى الإسلام ، أما الوثيقة فهى ببطان علويته ، وبهذا تزول شبهة الأستاذ (!!) ، فإن من المؤلف أن تكتب الوثائق في إثبات الأنساب ونفيتها » اهـ .

...

وعجب أمر الأستاذ سعيد في حرصه على تأويل الكلام بما لا وجه له ولا أصل . وهو في نقله هذا النص قد اعتمد على كتاب ابن الأنباري ، وهو مؤلف باختصار الأخبار (واختزلها) ، وهذا تمام خبر أبى على بن أبى حامد :

« أخبرنا التنوخي ، حدثنى أبى ، قال حدثنى أبو على بن أبى حامد ، قال : سمعت خلقاً يجلب يحكون - وأبو الطيب بها إذ ذاك - أنه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها ،

إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبيل الإخشيدية ، فقاتله وأنفره ، وشرّد من كان
اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب . وحبسه في السجن حبساً طويلاً ،
فاعتُلّ وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها
ببطلان ما ادعاه : ورجوعه إلى الإسلام ، وأن تائب منه ، ولا يعاود مثله ، وأطلقه .
فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية في هذا الخبر ، ولا في غيره مما روى عن أبي علي بن أبي
حامد هذا ، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه ، / وهو لم يذكرها فيه ولم تردّ عنه في ٢١٦/٢
خبر غيره ، ثم تُعْمِد إلى الكلام فتزوّل بعضه على النبوة وبعضه على العلوية ، فتجعل
التوبة للأولى والوثيقة للآخرة ؟ ورحم الله أبا عثمان الجاحظ ، فلو أنه أدرك عصرنا هذا
لقال في ذلك أمثل مما قال في إبراهيم النظام ، ^(١) فنص الخبر مبين عن أن أمير حمص
كتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها (١) بأن ما ادّعاه باطل - وهو النبوة - (٢) وأنه
رجع إلى الإسلام (٣) وأنه تائب منه (٤) وأنه لا يعاود مثله . فهذه أربعة في قرَن كانت
في هذه الوثيقة ، فكيف تسوّغ عربية الكلام للأستاذ سعيد تأويله وبيانه ؟ فلو سلمنا
للأستاذ سعيد بالذي ذهب إليه لكان سياق الكلام هكذا : « حتى سئل في أمره
فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ادعائه العلوية ، وأنه رجع إلى
الإسلام ، وأنه تائب (منه) ، وأنه لا يعاود مثله » ، فعلى أيّ الكلام عطفتم جملة قوله
« وأنه رجع إلى الإسلام » ، وإلى أي مذكور يرجع الضمير في قوله « وأنه تائب
(منه) » ؟ وكيف تردّ أوائل هذا الكلام على أواخره ليستقيم على عربيته ؟!

إن أخى الأستاذ سعيداً ليأخذ من الكلام ما يشاء ويدع ما يشاء ، وبذلك (تزول
شبهة الأستاذ) ، أو كما قال .

٣ - ثم يقول : « عرض الأستاذ لرواية الهاشمي التي قال فيها : (كان أبو الطيب
لما خرج إلى كلب وأقام فيها ادعى أنّه علويّ ، ثم ادّعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنّه علويّ ،

(١) وصفنا الأستاذ سعيد بمقالة أبي عثمان في إبراهيم النظام ، فراجعته ص : ٥٤٦ .

إلى أن أشهد عليه في الشأم بالتوبة وأطلق) . وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلّى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى . / ومنها ومن الرواية التى قبلها نفهم أنه لما أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين ، وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض » اهـ .

يقول الأستاذ سعيد إن هذا الخبر الذى رواه يعنى (أنه ما تخلّى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى) ، والخبر يقول إنه « ادّعى العلوية ، ثم ادّعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى » ، والعربية تقول إن هذا النص لا يمكن تأويله على الوجه الذى أراده الأستاذ ، فإن لها ألفاظاً ، وإن لألفاظها معانئ ، وإن لمعانيها حدوداً ، فأخراج المعنى عن حدّه إخراج للفظ عن معناه ، وإخراج اللفظ عن معناه إخراج له عن العربية . يقول الخبر : « ثم عاد يدعى أنه علوى » فيقول الأستاذ مؤوّله ، ومعنى ذلك « ثم بقى على دعوى العلوية » !! ثم يقول الأستاذ : « ومنها ومن الرواية التى قبلها نفهم ، (أو لا نفهم ، فالأمر بعد هذا سواء) ، أنه لما أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين » . ففى الخبر الذى قبل هذا أقحم الأستاذ العلوية ولا ذكر لها فيه ، وجعل الوثيقة المذكورة فيه يراد بها دعوى العلوية . وفى هذا الخبر الذى رواه ولا ذِكر للوثيقة فيه ، أقحم الوثيقة التى يراد بها الإشهاد عليه فيها ببطلان انتسابه للعلوية التى ادّعاها ، وذكرها الخبر مرتين . فهذا أروغ ما وقع لى من القدرة على الجمع بين الروايات (كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث ، وأنا أستحى / أن أشرح هذا فى مجلة (الرسالة) ... مما يدرسه الطلاب المبتدئون) . (١)

وهذا الخبر أيضاً اعتمد الأستاذ فى نقله على (اختزال) أبى البركات (ابن الأنبارى) فى طبقات الأدباء . وسياق الرواية هكذا : « وقد كان المنتهى لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ، ادّعى أنه علوى حسنى ، ثم ادّعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه

علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعوين ، وحبس دهرأ طويلاً وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق . وقد كان هذا النص أمثلاً من (مختزل) ابن الأنبارى للذى يعتمد عليه الأستاذ من التأويل ، وهو أحفل له في استخراج مادة الجدل في التفسير والتوجيه . على أن هذا الخبر هو كما وصفناه في كتابنا هذا ص : ٢٠٧ ، « عجيب لا يُفَرِّغُ من العجب من اختصاره وتداخله » . فمن ذلك أنه صريح بين في الدلالة على أنه قد أُشْهِدَ على أبى الطيب مرتين : (الأولى) إشهداً عليه بأنه قد كذب في (الدعوين) ، و (الآخرة) استتاباً وإشهداً عليه بالتوبة .

ففى المرة الأولى ذكر ابن أم شيبان الهاشمى (دعوين) أشهد أبو الطيب على نفسه بالكذب فيهما ، فإن أراد (بالدعوين) دعوى العلوية ودعوى النبوة جميعاً ، كان كلامه كله خلطاً متداخلاً ، فإنه ليس يكفى فيمن ادعى النبوة أن يشهد على نفسه بالكذب ، بل لابد معه من الاستتابة والرجوع إلى الإسلام والإقرار به ، فإن لم يعط ذلك قُتِلَ ، فإن كان فُعلَ معه ذلك / وتاب وأقر ، فما قوله بعد ذلك : « وحبس دهرأ طويلاً ٢١٩/٢ (سنتين) وأشرف على القتل ، (ثم) استتيب ، وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ، ولم أعيدت استتابته ؟ أيكون هذا كله لغواً باطلاً من القول !!

فإن أراد (بالدعوين) ادعاء العلوية في المرة الأولى والمرة الآخرة ، فالأمر في ذلك على خلاف المعقول . أيقدم الوالى الإشهاد بالكذب في دعوى العلوية ، وهى لا تُخْرِجُ من الإسلام ، ولا يكفر بها مدعيها ، ولا يقتل من أجلها إن أصرَّ عليها = ويدعُ ادعاءه النبوة فلا يقتله أو يستتبهه إلا بعد أن يحبسه دهرأ طويلاً حتى يشرف على القتل ، فيومئذ يستتبهه ويُشْهِد عليه بالتوبة !!

ولفساد هذا الخبر وجوه أخرى ، ولكنه على أى وجهيه أدركته ، لا يسوغ للأستاذ أن يقول فيه « وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك النبوة بقى على ادعائه العلوية » ، إلا أن يلغى معانى الكلمات التى وردت فيه ، أو يحيلها عن وجهها ، فتكون « ثم » ، « وعاد » كلمات مغسولة من المعانى ، ثم يزيد على ذلك أن يزيد في الكلام

معانى ألفاظ لم تكن فيه كقوله : « وحين ترك النبوة بقى على ادعائه العلوية » . ولو أراد الأستاذ أن يتأول هذا الخبر على وجه مُقَارِبٍ ، لما خرج له إلا أن يقول فيه : « إن أبا الطيب تخلى عن دعوى العلوية ، وحين تركها بقى على ادعاء النبوة حتى استتيب فأطلق » ، وهذا محال .

وليعلم الأستاذ أنى تركت له أبواباً من القول توطئ له أن ينفذ إلى / الاعتراض ، ٢٢٠/٢ فليعرض قولى بما شاء ، ولكنى أسأله أن ينظر فى اعتراضه أولاً ، ثم فى الخبر بَعْدُ ، ثم فى كلامى آخرًا ، فلعله يجد فى ذلك ما يمنعه من الاعتراض ويقنعه بالصواب . وأسأله أيضاً أن يتحرى فى فهم الأخبار ما تقتضيه عربية الكلام حتى تستقيم له المعانى ، وتنتج به الآراء إلى الحق والهدى إن شاء الله .

/ نبوة المتنبى أيضاً

محمود محمد شاكر

/ اللهم إنا نعوذ بك من فتنة الرأى والهوى ، كما نعوذ بك من سوء الاقتداء ٢٢١/٢
والتقليد .

٤ - يقول الأستاذ سعيد الأفغانى فى العدد (١٧٠) من (الرسالة) بعقب حديثه عن رأينا فى ردّ رواية اللاذقى - الذى كان قد آمن بنبوة المتنبى أبى الطيب ، وأسلم له ، وبإيعه بيعة الإقرار بصدق نبوته ، وزاد أن أخذ البيعة لأهله كذلك : « وقد رددت أنا قسماً كبيراً من رواية اللاذقى هذا لشيء غير ما ذهب إليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً » . وقد وفى الأستاذ بعِدته فأبان خير الإبانة عن (الشيء) الذى من أجله (ردّ قسماً كبيراً) من رواية (اللاذقى هذا) . وهذا بيانه بعد كلام كثير ، يقول : « وقد عجبْتُ كل العجب من الأستاذ - وهو الناقد الأصولى الفَنان (أستغفر الله يا سعيد) - حين لم يَدِرْ لم يختصرت حديث اللاذقى ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فإن الزيادات التى أهملتها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثَمَّت حاجة لأدّلّ القراء على سبب إهمالها لأنّ تهافتها بيّن . وكثيرٌ أن تُجرّدَ عليها حملة كالتي نزل بها الأستاذ الميدان !! فخصّص لها صفحتين من كتابه القيم ، وهو يعلمُ حفظه الله أن من أدلّة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول ، كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث » اهـ .

/ عوّنك اللهم ! فلست أدري من أين أبدأ فى بيان تهافت هذا القول وتناقضه ! ٢٢٢/٢

هذا رجلٌ سمَّاهُ أبوه مُعَاذًا ، فكان عند الذين قرأوا حديثه « أبا عبد الله مُعَاذ بن إسماعيل اللاذقى » وهو فى الرواة مجهول غير معروف بصدق ولا بكذب ، وقد جاءنا هذا الرجل ينبئنا عن أبى الطيب خبرَ قديمه اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاثمئة ، فأتى بحديث طويل ممتدٍ .

١ - يذكر فيه حلية أبى الطيب وصفته وسمته وحسن أدبه .

٢ - ثم يذكر حديثاً جرى بينه وبين أبى الطيب ، فيقول له اللاذقى : « والله إنك لشابٌ خطير ، تصلح لمنادمة ملكٍ كبير ! » ، فيكون جواب أبى الطيب : « ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبيُّ مرسل » .

٣ - ثم يذكر رسالة أبى الطيب إلى أمته الضالة المضلّة ! وغرض رسالته .

٤ - ثم ما سمع من قرآن أبى الطيب الذى وصفه بقوله : « فأتانى بكلام ما مرّ بمسمعى أحسن منه » .

٥ - ثم يذكر عدد آيات هذا القرآن .

٦ - ثم يخرج إلى ذكر معجزة هذا المنتبى فى حبس المدرار (المطر) لقطع أرزاق العصاة والفجار .

٧ - ثم يقول إنه خرج مع غلام أبى الطيب ليرى المعجزة ، فلما / استيقنها واطمأن بها قلبه ، انفلت إلى أبى الطيب وهو يقول : « أبسط يدك ... أشهد أنك رسولُ الله » ، فبسط يده فباعه بيعة الإقرار بنبوته .

٨ - ثم لم ين هذا اللاذقى حتى أخذ بيعته لأهله .

٩ - ثم يقول بعد : « ثم (صحَّ) أن البيعة عمّت كل مدينة بالشام (يا سبحان الله) .

١٠ - ثم يعقب على ذلك أن معجزة أبى الطيب كانت « بأصغر حيلةٍ تعلمها من بعض العرب وهى (صدحة المطر) » .

- ١١ - ثم يزعمُ أبو عبد الله مُعَاذُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ اللَّادِقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! « أَنَّهُ رَأَى أَهْلَ السَّكُونِ وَحَضْرَمَوْتَ وَالسَّكَاسِكَ مِنَ الْيَمَنِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَلَا يَتَعَاظَمُونَهُ ، حَتَّى إِنْ أَحَدُهُمْ لَيَصْدَحُ عَنْ غَنَمِهِ وَإِبِلِهِ وَعَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، فَلَا يَصِيبُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَطَرِ .
- ١٢ - ثم يقول إنه سأل أبا الطيب هل دخلت السَّكُونُ ؟ فيقول له : نعم !
- أما سمعت قولى :

مِلْتُ الْقَطْرَ ، أَعْطِشْتُهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ الثَّقِيْعَا
أَمْنَسَى السَّكُونُ وَحَضْرَمَوْتًا وَوَالِدَتِي وَكِندَةَ وَالسَّيِّعَا

ثم يقول هذا اللاذقي بعقب ذلك : « فَمَنْ ثَمَّ اسْتَفَادَ (أَبُو الطَّيِّبِ) مَا جَوَّزَهُ عَلَى طَعَامِ أَهْلِ الشَّامِ » .

- ١٣ - / ثم يختم حديثه بما كان يمحرق به أبو الطيب على أهل البادية بإيهاهمهم ٢٢٤/٢
أَنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى لَهُ ، وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ .

- ١٤ - ثم يزعمُ أن أبا الطيب سئل في تلك الأيام عن النبی ﷺ ، فقال :
« أَخْبَرَ بَنِيَّوَيْ حَيْثُ قَالَ : « لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وَأَنَا اسْمِي فِي السَّمَاءِ (لَا) » .

هذا مختصر حديث هذا اللاذقي ، وأنت إذا قرأته بتمامه رأيت أنه أحقق قول يعجز عن الإتيان بمثله أحقق معنوه ، لما فيه من الاضطراب والسخف والتلفيق والكذب ، وقلة مبالاة هذا الرجل بنسبة الكفر إلى نفسه ، حين زعم أنه قال لأبي الطيب : « أبسط يدك ، أشهد أنك رسول الله » ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

...

فهذه أغراض في كلام اللاذقي قد بينا لك عددها (١٤) ، تناول منها الأخ سعيد ثلاثة أغراض هي الثلاثة المتتابعة في تعدادنا ، وقذف بالباقيات وردّها وأهلها ، لأنها مما (يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع) ، كما قال في كلمته الأخيرة ، ومن قبل ما قال في كلمته

التي نشرها في (الرسالة - العدد ١٦١) : « وسأعفى نفسى من أشياء كثيرة ، وردت في (الصبح المنبى) لا يقبلها عقل ولا تؤيدها قرائن » ، ويعنى هذه الرواية عن اللادق . وأنا أسأل الأستاذ سعيد أن ينصف نفسه وينصفنا ، وأن يعفينا من التأويل وطلب الحجة فيما لا تأتى منه الحجة إلا متكلفاً على أبعد وجه وأضل سبيل .

فانظر ، أيها الأستاذ سعيد : إمّا جاءك رجلٌ بحديث قد استيقنت أن نصفه كذب قد مُزج بقول غير معقول ، أفأنت مصدّقه في سائر الحديث الذى جاءك به ؟ فإن قلت : لا أصدقه في سائر حديثه ، فقد بطل ما جاء به هذا / اللادق كله ، لأن أربعة ٢٢٥/٢ أخماس من حديثه مما (يرفضها العقل ويكذبها الواقع) كما قلت أخيراً ، ومما لا يقبلها عقل ، ولا تؤيدها قرائن ، كما قلت أولاً .

وإن شئت أن تتطلب الجدل فقلت : أصدق بعضه ، وأكذب بعضه . فإنك غير قادر على أن تنشئ لهذا رأى حجة يلجأ إليها ، أو دِعاة يعتمد عليها ، فإن هذا اللادق رجلٌ مجهول في الرواية لا يُعلم حاله في صدق أو كذب ، ومن كان كذلك نُظر في قوله ، فإن كان الذى يأتى به من الرواية صدقاً ، كان ذلك مانعاً من اتهامه بالكذب إلا بينة أخرى ، وإن كان كذباً لم تجد بُدّاً من وسمه بالكذب وإسقاط روايته كلها ، وجملة واحدة ، ويصبح ما أتى به كله كأن لم يُرو ولم يعرف ، فلا ينظرُ إليه في رواية أو تاريخ .

فإن قلت : أقبل المعقول وأرد غير المعقول . فلا بُدّ من أن نقول لك إنك قد اعتمدت في بعض قولك على مذهب أهل الحديث في علم الرواية ، فقلت : « إن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول » ، ونعم ، فإن رواية ما يستحيل أن يقع ، وما لا يأتى على وجه يرتضيه العقل ، ساقط عند المحدثين ، وهم يتهمون صاحبه بالكذب والوضع فلا نقبل له رواية أبداً ، ولو كانت صادقة ، ولو كان في قول غيره من الصادقين ما يقع عليها حرفاً حرفاً ، وكلمة كلمة . فهذا مذهب القوم بتمامه ، ومذهب عقلاء الناس في أمر دينهم ودنياهم .

وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ سَعِيدٌ أَنَّ الْقَوْلَ يُرَدُّ وَيُفْضَى وَيُكْذَّبُ صَاحِبُهُ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ
مَعْقُولٍ وَيَسْتَحِيلُ وَقُوعُهُ ، وَلَا يُمْكِنُ فِي الْعَقْلِ أَنْ يَطْرُدَ عَكْسُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ . فَلَيْسَ يُقْبَلُ
الْقَوْلُ وَيُرْتَضَى وَيُصَدَّقُ صَاحِبُهُ لِأَنَّهُ مَعْقُولٌ وَجَائِزٌ وَقُوعُهُ وَحُدُوثُهُ . وَلَسْتُ أَشْكُ فِي
مُوَافَقَتِكَ لِي عَلَى هَذَا ، إِذَنْ فَلَيْسَ مِنْ / الْحِكْمَةِ وَلَا مِنَ الصَّوَابِ وَلَا مِنَ الْعَدْلِ وَلَا مِنْ ٢٢٦/٢
الْعِلْمِ أَنْ تَخْتَصِرَ حَدِيثَ اللَّادِقِيِّ ، فَتَأْخُذَ مِنْهُ الْمَعْقُولُ الْجَائِزُ الْحَدُوثُ ، وَأَنْتَ تَرُدُّ سَائِرَ
حَدِيثِهِ بَلْ أَكْثَرَهُ ، ثُمَّ تَقُولُ عَنْهُ فِي عِدَدِ الرِّسَالَةِ (١٦١) : « وَقَدْ حَفِظْنَا لَنَا (التَّارِيخُ)
مَشْهُدًا مِنْ مَشَاهِدِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ (النُّبُوءَةِ) فِي اللَّادِقِيَّةِ » . فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ
الْوَضَاعِيِّينَ وَالْكَذَّابِينَ مِمَّا يَصُحُّ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِي تَارِيخٍ أَوْ غَيْرِهِ .

ثُمَّ لَوْ نَظَرَ الْأُسْتَاذُ سَعِيدٌ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي عَدَّهُ (مِمَّا حَفِظَ التَّارِيخُ مِنْ
مَشَاهِدِ دَعْوَةِ أَبِي الطَّيِّبِ إِلَى نُبُوَّتِهِ) ، لَوَجَدَ يَقِينًا أَنَّ هَذَا الْمُخْتَصِرَ مِنْ حَدِيثِ اللَّادِقِيِّ هُوَ
أَيْضًا (مِمَّا يَرْفُضُهُ الْعَقْلُ وَيَكْذِبُهُ الْوَاقِعُ) وَ (مِمَّا لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ ، وَلَا تُوَيِّدُهُ قَرَائِنٌ) ، فَإِنْ فِيهِ
مِنْ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ وَالتَّخَالُفِ وَالتَّنَاقُضِ مَا لَوْ تَدَبَّرَهُ الْأُسْتَاذُ - وَهُوَ يَدْرُسُ شَعْرَ أَبِي
الطَّيِّبِ ، وَيَصُورُ مِنْهُ نَفْسَهُ وَطِبَائِعَهَا وَغَرَائِزَهَا - لَعَلِمَ أَنَّهُ مُوَضَّعٌ مُتَكَلِّفٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ
الصِّدْقِ شَيْءٌ . وَلَمْ أُرِدْكَ بِسُوءٍ ، أَيُّهَا الْأَخُّ ، إِذْ قُلْتُ فِي كَلِمَتِي السَّابِقَةِ : إِنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ
الْكَلَامِ مَا تَشَاءُ ، وَتَدَعِي مَا تَشَاءُ ، فَتَزُولُ بِذَلِكَ شِبْهَاتِكَ .

إِنَّ لِلرَّوَايَةِ أَصُولًا لَا يَتَأَتَّى لِأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَنْهَا إِلَّا بِحُجَّةٍ لَا تَسْقُطُ عِنْدَ النُّقْدِ
وَالنَّفْضِ ، وَمِنْ أَصُولِ الرَّوَايَةِ أَلَّا تُقْبَلَ رَوَايَةٌ مِنْ كَذِبٍ فِي أَحَادِيثٍ أَوْ وَضَعِهَا ، وَإِنْ كَانَ
سَائِرُ الَّذِي يَرَوِيهِ مِمَّا تَعْضُدُّهُ فِيهِ رَوَايَةٌ غَيْرُهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ فِي
الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ : أَرْبَعَةُ أَخْمَاسٍ كَذِبٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَالْخُمْسُ الْبَاقِي تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الْآرَاءُ فِي
وَصْفِهِ بِأَنَّهُ صَدَقَ أَوْ كَذَبَ ، أَوْ مَعْقُولٌ أَوْ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، أَوْ تُوَيِّدُهُ قَرِينَةٌ أَوْ لَا تُوَيِّدُهُ قَرِينَةٌ ؟
أَلَا إِنَّ هَذَا أَوَّلَى بِالْإِسْقَاطِ وَالرَّفْضِ وَالتَّبَيُّدِ حَيْثُمَا تُقِفُ ، وَكَذَلِكَ هُوَ حَدِيثُ هَذَا اللَّادِقِيِّ
الْمُجْهُولِ .

٥ - / وقد أراد أستاذنا سعيد أن يوهم قارئ كلامه أننا اتخذنا رأينا - في نسبة أي الطيب إلى الشجرة العلوية المباركة - (برهاناً) على رد رواية هذا اللاذقي المجهول لقولنا في ص : ٢٠٧ : « أما اللاذقي فمجهول ولا يتيسر لنا نقد سنده ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التي نسب إليها ، كانت لوقت أي الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومَحَطّاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في التاريخ العربي كله . فلذلك لم يتورّع عن بَثْرِ بقية كلامنا ، فقد قلنا بعقب هذا وبغير فصل : « فلا بأس من أن تجعل هذا ذكراً مذكوراً وأنت تتبصّر في أصل الرواية على وَهْنِهَا وتضاربها ، وتَهَالُك معانيها التي يفسد بعضها بعضاً كما ستري » . فلو كنا قد اتخذنا هذا (برهاناً) لقلنا مكان (فلا بأس) (فلا بد) ، ليستقيم المعنى الذي أرادته لنا الأستاذ الجليل . ويخيل إلَيَّ أن الأستاذ سعيداً سيحاول أن يقع في هذا الكلام بالتأويل . فأنا أضرب له المثل على الفرق بين هذا وذاك ، ليدع هذا الذي يعتمد إليه من أفانين الكلام . فإنك لو أردت أن تعلم جاهلاً دين الإسلام بعد إيمانه بصدق القرآن ، وأنه وَخِي من العزيز الحكيم ، ثم أخذت تفهمه أنَّ الصلاة عمود الدين ، وأن الله أمر بها عباده ، والبرهان والدليل على ذلك قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » ، فليست تقول له بِعَقْبِ ذلك : « (فلا بأس) من الصلاة » ، وإنما تقول : « فلا بد من الصلاة » .

ولو تدبر الأستاذ قليلاً ، كما سألتناه في كلمتنا الأولى (عدد الرسالة ١٦٧) ، لعلم أن الإشارة في هذا الموضع هي إلى الذي قلناه في كتابنا ص ١٥٠ - ١٥٦ ، / من أنه كان بينه وبين العلويين عداً وحفيظة ، ^(١) بلغ من أمرها أنهم أرسلوا له قوماً من السودان عبيدهم في طريقه بكفر عاقب ليقتلوه - وذلك مُنْصَرَفَةً من طرية سنة ٣٣٦ - حتى إن

(١) قد صرفنا القول في كتابنا ونحن نذكر العلويين ، ونريد بذلك العلويين نسباً ، والعلويين مذهباً (الشيعة) ، إذ لم نجد ضرورة للتفريق بين هؤلاء وهؤلاء . وليس يخفى على القارئ موضع هذا وذاك .

أبا الطيب لم يحجم عن التعريض بهم ، وهو يمدح كبيراً من أولاد على رضى الله عنه بالرملة ، وهو أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى فقال فى مديحه :

أَتَانِي وَعَيْدُ (الْأَذْعِيَاءِ) وَأَنَّهُمْ أَعْدُوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ فَهَلْ فِيَّ وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

وقال فى مدح الأمير آبن طفج ، وقد صحبه أبو القاسم العلوى وأقام معه فى الرملة يحضر مجالسه :

وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً بِهَا (عَلَوِيٌّ) جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمِ

فلهذا ولغيره من آثار العداوة والبغضاء بين أبى الطيب والعلويين (مذهباً أو نسباً) قلنا فى ص : ١٥٠ : « إن عندنا فى أقوال العلويين المعاصرين عن أبى الطيب سبباً للتوقف دون التسليم » .

هذا ، على أن عندنا من الأسباب ما يحملنا على ردِّ رواية العلويين فى أخبار أبى الطيب ، وقد ذكرنا بعضها متفرقاً فى كتابنا ، وبعض آخر لم نذكره لضيق الوقت ، ورغبة فى اختصار القول ، واعتماداً على فطنة القارئ ، / إذ كان فى وضع كلامنا ما يُشِيرُ إلى ٢٢٩/٢ أطرافه .

...

٦ - قلت فى كلمتى التى نشرتها الرسالة (العدد ١٦٧) إن الأخ سعيداً قد لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات التى رُوِيَتْ فى نبوة أبى الطيب ، فيما يزعم ، إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلان ، ورواها المعرى - وهو الحجة والثبت ، وقلنا : إن الحكم = بأن رواية المعرى - أو غيره من العلماء ، هذه الأخبار ، مما يصححها أو يرجح الصدق فيها = حكم خطأ لا يصحُّ لأحد أن يتابع عليه ، ولم أقل ذلك إلا لقول الأستاذ فى عدد الرسالة (١٦١) : « وسأعتمد فى قص الحادث (يعنى النبوة) على أبى العلاء خاصة ، لفضله

وتحريره وقرب زمانه » ، وهذه الكلمة الأخيرة وحدها تدل على أن الأستاذ يُعَدُّ ما يرويه أبو العلاء عن أبى الطيب مما ترجح فيه كفة الصدق على كفة الكذب . ولكن الأستاذ لم يرض قولنا هذا ، فعاد يقول فى كلمته الأخيرة : « هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ما ليس تحمل : فأننا لم أدع للمعرى تنزهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر فى كتب العلماء هو الدليل الذى لا دليل غيره ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة ، بل هو مما ييسر للمحقق وسائله » اهـ . وأنا لا أحب أن أكثر القول على أستاذنا فى نقد كلامه هذا ، بل أقول : إن كان فى يدك دليل على صحة هذه الروايات والأخبار فأظهره ولا تكتمه ، فمن قبل ما قلنا لك فى مقالنا بعدد الرسالة (١٦٧) إن « الخبر لا يستحق صفة الصدق إلا بالدليل الذى يدل على صدقه ، فإذا لم تجد الدليل على صدقه ، ذهبت عنه صفة الصدق وبقي موقوفاً ، فإذا اعترضت الشبهات من قبل روايته أو درايته ، مالت به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه » . ولكن أستاذنا لم يُرِدْ أن يقف عند هذا القول ، / وزعمه من (التهويل) ويقول : « وما التهويل بمُعْنٍ عن أحدنا فتياً » ، وزعم أنى « لم أجد بأساً فى أن أعرفه أن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب ، وأن وأن ... إلخ إلخ مما يدرسه الطلاب المبتدئون » . وظن أن فى هذا القول مذهباً له عن الإتيان بدليله على صدق الروايات التى يزعم أنها من التاريخ وأنها صحيحة . ويخرج من هذا ويدعه ليقول : « إننا نبزنا روايات التاريخ بالبطلان والكذب ، ثم لا يكون دليلنا عليها إلا أنها كذب وبطالان » . وليس الأستاذ ببالغ من كلامنا مبلغاً يسقطه أو يحز فيه ، إلا أن يثبت لنا أولاً صحة هذه الروايات ، ومن أين لأحد أن يسلم بصحتها ، ويقتنع بأنها خالية من الكذب والوضع وسوء القصد فى الإساءة والتشهير والتسميع بأبى الطيب ؟ فإذا فعل ذلك فقد بلغ أول الحق ، وكان له أن يَجَبِّهَنَا بما شاء من القول مصرحاً ومعرضاً . فالدليل الدليل أيها الأستاذ سعيد .

٧ - ومن أعجب أمر الأستاذ سعيد أنه ينشئ من الكلمة الواحدة ثرْدُ في الكلام جملة لها معنى يُوجَّهه هو كيف أراد على ما خيَّلت ، ويضعها حيث شاء من الحديث غير متهب ولا متلفتٍ عن يمين وشمال ، ولو خرج بالكلام الذى أمامه من العربية ... كما مرَّ بك في كلمتنا السابقة . فمن ذلك أنه وقف عند قولنا في الكلمة الأولى (الرسالة عدد ١٦٧) : « وتَرَكُ المعرى الشك (في تلك الأخبار) أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزله عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب إليه ، ولا ينفي صفة الصدق عنه » . وليس يذهب عن أحد من القراء أننا أردنا بهذا الكلام أن ندفع ظنَّ / مَنْ يظن - أى الناس كان - أن توقفنا دون التسلم بما رواه المعرى في خبر نبوة أبى الطيب أو نقدنا له ، أو تكذيبنا أو إسقاطنا لما روى - يكون طعناً فيه ، أو يعدّ مما يوجب نسبة الكذب إلى أبى العلاء . ولكن الأستاذ سعيداً ترك هذا ، وأراد أن يبالغ وينشئ حول كلامه (خطأ من النار) ، فأخذ كلمتنا : « وليس المعرى بمنزله عن الخطأ والغفلة » ، وردّها بقوله : « وأنا لم أدع للمعرى تنزّها عن الخطأ » ، فكيف - أيها الأستاذ سعيد - تزعم أننا قلنا إنك ادعيت للمعرى تنزّها عن الخطأ ، وكيف تخرج هذا الذى ذهبت إليه من كلامنا ؟

ليعلم الأستاذ أنى لا أحفل بمثل هذا ، ولا أنظر إليه ، ولا أقف عنده ، ولكنى أبينه له ولغيره ، ليعلم أن كل أحد يستطيع أن يقول ما يشاء ، فيما يشاء ، على أى وجه يشاء ... ولكن ذلك لا يجوز على أحد ، ولا يغفل عنه من قرأ الأول والآخر ، ونظر وفهم وجمّع وعرف معانى الكلام ، وكيف خرج ، وإلى أين ينتهى . وليعلم أيضاً أن كل أحد يستطيع أن يفهم من الكلام ما يشاء على غير قاعدة من منطق أو عربية ، ولكن فهمه لا يكون حجة يأتى بها الناس ويظهرُ بها عليهم ، ويحاول أن يسقط أقوالهم بها . لا بُدَّ للكلام من منطقٍ عقلي وفقهٍ عربية حتى يُفهم ، وإلا أصبحت المعانى فَوْضَى لا ضابط لها ولا وكيل عليها ولا حفيظ .

وللقارئ أن ينظر إلى فَعَلات الأخ سعيد هذه ، فقد قلنا في كلمتنا الأولى ٢٣٢/١ (الرسالة عدد ١٦٧) عند ردِّ اعتراضه : « إن هذا الخجل الذى يزعمونه / إنما هو من أباطيل (الرواية) ، وقد أتى به القوم ليعضُّدوا قولهم فى خرافة النبوة إلخ » ، فجاء ينقل هذا فى كلامه مرتين هكذا :

« إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل (الرواية) » ، فنحن نقول : « الرواية » ، وهو يقول على لساننا « الرواية » ، وبين اللفظين فرق « كبير » فى عريتهما ، وفى موقعهما من الكلام . ولو أردنا الذى أراده الأخ سعيد لكلامنا لقلنا : « من أكاذيب الرواية » . ولو رجع الأخ إلى كلامنا الذى أعقب هذه الكلمة ، لعلم لِمَ قلنا (أباطيل الرواية) ، ولم نقل (أكاذيب الرواية) . هذا على أنى أقول أيضاً إن الذى زعموه من خجل أبى الطيب حين كان يسأل عن أمر لقب « المتنبي » - هو من أكاذيب الرواية : فإذا أراد الأستاذ أن يعرف من هم هؤلاء الرواة ، فليرجع إلى الكتاب الذى نقل عنه هذا الكلام ، فينظر مَنْ هم ، ومع ذلك فليس تغنى معرفة الرواة شيئاً فى هذا الأمر . وتعب أن أمضى على هذا الوجه فى تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل كلامهم ، فعليه أن يريحنا قليلاً بتدبيره فى كلام هؤلاء الناس ، والنظر فى معانى رواياتهم بالذى توجهه العربية ، مع المقارنة بين هذه المعانى المختلفة المتباينة ، فعند ذلك يعرف كيف كان التناقض فى الرواية ، وكيف هدمت الروايات بعضها بعضاً فى خبر نبوة أبى الطيب .

...

وبعد ... فإن فى كلام الأستاذ من وجوه التهافت ما لا تطيعنى (الرسالة) على الإفاضة فيه ، ولا يواتينى الزمن على إزهاقه من أجله ، ولكنى أنصح / للأخ أن لا يلجأ إلى ضروب القول التى يخرج بها الكلام عن حده إلى مجاهر من المغالطة والاعتراض ، وإرادة الغلبة واتباع الظن ، وفتنة الرأى ، والإصرار على خطرات النفس . وليعلم الأستاذ أنى

لست ممن يغفل عن مواضع التحريف في القول ، أو الإحالة في الحجة ، أو الفساد في التأويل . فإن أراد أن يعود إلى الحديث والكتابة ، فليعد على مذهب مرضي متبع معروف غير منكر . فإن فعل ، فما أنا بالذى يسوءه أو يغضبه ، وما أريد من شيء إلا أن أهدى إلى الحق على يدي مَنْ كان له فضل سبق ، وحسن الحديث ، وكال الغلبة بالحق هذا وقد أعفينا الأستاذ من كثيرٍ قولٍ في الذى جاء في مقاله الأخير - لو أردنا أن نكيل له من جرأته بمثل كَيْلِهِ لفعلنا فأشَوَيْنَا ولكن :

عَبَّأْتُ لَهُ جَلِمَى لِأَكْرِمَ غَيْرُهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

...

حول « نبوة المتنبى أيضاً »

سعيد الأفغانى

٢٣٤/٢

/ قرأت للأخ شاكر مقالیه الأخيرین المطولين جداً فی الرسالة (١٧١) ،
(١٧٢) ، فإذا ما أريد أن قوله قد قلته سابقاً فی الرسالة (١٧٠) ، فليرجع إليه فهو رد
على مقالیه هذين أيضاً .

لما عرف الأستاذ شاكر أنا « لا نخفل رداً ولا نقداً إلا إذا كان حقاً ، وسيلنا
حينئذ أن نأخذ به أنفسنا ونشكر لصاحبه » ، عاذ بذلك ، فراغ رَوْعَةً عدل فيها بالكلام
عن وجهه الذى يجب أن يكون فيه ، فلم تظفر اعتراضاتنا - لسوء حظها - منه بجواب .
وقد كنا طلبنا إليه التعرض لهذه الأخبار التى رماها جملة بالكذب ، فبين وجوه بطلانها ،
والسبب الحادى لروايتها على وضعها ، بيان يزيل اللبس ويرضى الأمانة والعقل ، فأبى
وطفق يتعلق بتوافه الأمور . فهذا كلام شغل أربعة أعمدة من (الرسالة) فى تزييف رواية
اللاذقى ، وقد عرف القراء قيمتها عندنا ، وذاك كلام يعرض لبسطى عذرى فى التأخر
بالرد ، وذلك كلام آخر طويل يدور حول ياء سقطت من كلام له نقلناه إلخ .

٢٣٥/٢

/ استوفى الأخ ستة عشر عموداً زَوَى عنا فيهن حججه المزعومة ونافع بيانه «
وأطلق قلمه فسطر من القول النبيل ما نمر به مرَّ الكرام . ولما أشرف على الختام قال :
« وتعب أن أمضى على هذا الوجه فى تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء
الناس الذين نقل كلامهم » . وقد علم أصلحه الله وعلم القراء أن البحث والحوار كله

يدور حول هذا فقط ، ففيم الهرب منه والاشتغال بغيره ؟ ولست أنا الذى أدعى بطلان الروايات فأحتاج لمعرفة وجوه البطلان ، وإنما نفع ذلك وغناؤه - إن تم - عائدان عليه وحده ، فهو الذى ألف واستهدف ، وهو الذى ادعى وأعوزه البرهان .

وقد كنت ظننت أنى مع أستاذ يعيننى فى إزالة ما حول هذا البحث من شبهة بالعلم الواسع والحجة البالغة ولطف التأثنى وحسن القصد ، فإذا بى أمام امرئ يريدنا جدلاً ومراءً ، أو استطالة قولٍ وحب غلبة ، مع معرفته من نفسه الحدة وضيق الصدر . فما أنا - وقد عرض الأستاذ لنا أدبه عرضاً صحيحاً - بالذى يجاريه فى أسلوبه . وكل ما تفضل به من غمز آحتل من مكانه محل الحجة ، لا يحلونى على مقابلته أو مشاكسته ، ولا على الخروج على قاعدتى التى أطعمته فورطته ، وكانت خليقة منه بغير ما فعل .

ليت الأستاذ شاكرًا كان تراث فلم يحرص على صدور رده عقب كلمتى بلا تأخر ، ولم يخرج عما أخبرنا من طبعه فى الإبطاء والتخلف ، فإن الناس / لا يقدرُونَ ٢٣٦/٢ الكلام بسرعة صلوره ، وإنما يقدرونه بما يحمل من الحق والصواب .

ليته تراث وتدبر وأنعم فى كلامه وكلام غيره ، إذن لما أعجله حب الرد للرد ، فجعله ينقض فكرة هى له على أنها لغيره ، ويستنجد لدفعها بالعربية والمنطق والأصول ، وبيان ذلك باختصار أنه :

كان أشكل عليه فى كلام أنى على بن أنى حامد أمر الوثيقة التى كتبها على المنتبى بعد أن استتابوه من دعوى النبوة ، فذهبنا نحن إلى أنها فى إبطال علويته لا تنبئه ، وأمرُ علويته ورد فى روايات ثانية ، فكان من الأستاذ أن أورد رواية أنى على ثم علق على كلامنا فيها بقوله : (الرسالة ص : ١٦٦٥) .

« فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية فى هذا الخبر ولا فى غيره مما روى عن على بن أنى حامد هذا ، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه ، وهو لم يذكرها فيه ، ولم ترد عنه فى خبر

غيره ، ثم تعتمد إلى الكلام فتؤول بعضه على النبوة وبعضه على العلوية فتجعل النبوة للأولى والثيقة للآخرة ؟ » .

والذي قلناه نحن هو هذا (الرسالة ١٧٠) : « وليس في الأمر مشكلة ولا تناقض ولا داع لأن يرجع الأستاذ (ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨) من كتابه إقحام لفظ النبوة بين العلويتين في حديث الهاشمي ، وليقول : (إن المراد بالنبوة (تأمل) في حديث أبي علي بن أبي حماد : العلوية) ، فمن المقحم ومن المؤول أيها البحاث / المحقق الذي لا ينسى اليوم ما قاله أمس ؟ ! ثم قلنا : « فعلوية أبي الطيب التي أراد أن يفسر بها النبوة الواردة في الروايات على اختلاف مصادرها لم تسلم له من الأصل ، وبقي المتنبي جعفياً يمينياً . وإذا كان لابد (تدبر) من إيراد احتمال ، فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الروايات في غنى عن هذا الفرض أيضاً (تأمل وتدبر) وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه ، وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابه الوثيقة » .

فنظرية الإقحام أنت قلت بها أيها الأستاذ الجليل لا نحن ، وكلمتنا بدئت بقولنا : (إذا كان لابد من احتمال) ، أما كلمتك فبدئت : (إن المراد بالنبوة في حديث أبي علي العلوية) (ص : ٢٠٨) من كتابك القيم ، ^(١) وأياً كان صاحب اكتشاف الإقحام ومؤول النبوة بالعلوية ، فهو ونظريته خليقان بما تفضل به الأستاذ من استنكار واستبشاح .

لقد رمانى الأستاذ بدائه : عدم التدبر والتحريف ، وأراد أن يتناول فكرة لي كيفما اتفق له لينقدها ، فوقعت يده على فكرته هو منقولة في كلامي ! وقاتل الله العجلة ،

(١) نص كلامي في هذه الصفحة مختلف جداً ، لأنني قلت : « وترى أن نصّ أبي علي بن أبي حماد يرجع دعوى العلوية لا دعوى النبوة » ، والكلام قبله من أول ص ٢٠٨ ، يوضح مقصدي كل التوضيح ، لأن استنباط مدعى النبوة ، لا تحتاج إلى وثيقة تكتب ، لأن الذي يكتب في وثيقة هو في الأمر يُخشى فيه معاودة الدعوى ، كالعلوية مثلاً .

فقدماً ذكرُوا أن تاجراً أضمر أخذ عدل من أعدل شريكه ، فوضع رداءه عليه ليعرفه في الظلمة ، ثم ذهب وجاء رفيقه ليصلح أعداله ، فوجد رداء رفيقه على عدله ، وظن أنه نسيه ، فرفعه ووضعه على عدل شريكه . ولما كان الليل أتى الشريك بحمّال واطأه ، ففتح الحانوت / واحتمل العدل الذى عليه الرداء وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يترواحان ٢٣٨/٢ على حمّله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعباً ، فلما أصبح افتقده فإذا هو بعض أعداله !! فعلى القارئ المتبع أن يرجع حيثما وجد نقلاً لكلامى إلى الأصل المنقول عنه ، فلست أفرغ دائماً لبيان ما حرّف ، ولا أحتمل إلا تبعة ما قلته بحروفه ، غير مروى بكلام من غيرى . ومن أول كلامى بجمل من عنده ثم شرع فى ردّها ، فإنما رُدّه على تأويله فحسب .

كان رغب إلينا الأخ شاكر ألا نتبع ظننا فى أنه من أهل الغرور والذهاب بالنفس والجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم والجدال فيما لا جدوى منه ولا منفعة . وقبل كلمته هذه كان ادعى لنفسه تدبراً وإمعاناً وأصولاً ودراية ، ثم فى الأخير جُلماً عند المقاتل البادية ، حين لمزنا بالحاجة إلى هذه الصفات ، وكلام كلينا معروض لمن أراد تثبتاً ، وسبحان الذى قال : « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » .

فهل أجد حرجاً فى أن أقول ثانية : « صحف الرسالة أحوج إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها إلى الدعوى والانتقاص » .

وإن القراء « لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيل من صاحبه ومراوغة فى الخط منه » ، وحرام أن أقتل الوقت فى تتبع المزالق التى زلّ فيها صاحبنا فى مقالیه هذين ، فما هى بنافتنا فيما ظهر ، / لتباين أسلوبينا فى البحث و (اختلاف ٢٣٩/٢ فى الجبله) ، على ما قال الأخ شاكر .

وما أنا بعائد إليه ، لأن الحقيقة لم تغد شيئاً بخوض هذا البحث معه ، ولن أجارى

أخى فى طريقه التى سلكها فما هى لى بطريق ، ولا أُرَبِّ لى بتعسف المناهات . ولولا أن
يظن العجول من القراء أن نظرية الإقحام وتأويل النبوة بالعلوية التى رمانى بها الأستاذ على
عجلة وخطأ ، هى نظيرتى وفكرتى ، لما خططت حرفاً من كلمتى هذه .
وبعد ، فليس عندى لأخى الأستاذ على أقواله فى غير السلام .

...

كلمة الرافي

المقتطف والمتنبي

/ المقتطف شيخ مجلاتنا ، كلهن أولاده وأحفاده ، وهو كالجد الأكبر : زَمَن ٢٤٣/٢
يجتمع ، وتاريخ يترام ، وانفراداً لا يُلْحَق ، وعلم يزيد على العلم ، بأنه في الذات التي تفرض
إجلالها فرضاً ، وتجب لها الحرمة وجوباً ، ويتضاعف منها الاستحقاق ، فيضاعف لها
الحق .

وهل الجدُّ إلا أبوة فيها أبوة أخرى ؟ وهل هو إلا عَرْشٌ حَيٌّ درجاته الجليل تحت
الجليل ؟ وهل هو إلا امتدادٌ مسافاتهِ العصر فوق العصر ؟

والمقتطف يكبر ولا يهرم ، ويتقدم في الزمن تقدم المخترعات بالانوار إلى
النواميس ، مقيدةً بالمبدأ إلى الغاية ، وهو كالعقل المنفرد بعبقريته ، واجبه الأول أن يكون
دائماً الأول . فقد أنشئ هذا المقتطف وما في المجلات العربية ما يغني عنه ، ثم طَوَّى في
الدهر سبعة وثمانين مجلداً أقامها سبعة وثمانين دليلاً على أن ليس ما يغني عنه . ثم أَسَفَتْ
الدنيا حوله بأخلاقها وطباعها ، وتحولت مجلات كثيرة إلى مثل الراقصات والمغنيات
والممثلات ، وبقي هو على الوفاء لمبدئه العلمي والسمو فيه والسمو به ، كأنما أُخِذَ عليه
في العلم والأدب ميثاق كميثاق النبيين في الدين والفضيلة ، فبين يديه الواجب
لا الغرض ، وهمه الإبداع بقوى العقل لا الاحتيال بها ، وهُدْيُهُ الحقيقة الثابتة في الدنيا
لا الأحلام المتقلبة بهذه الدنيا ، وطريقه في كل ذلك طريق الفيلسوف ، / من هدوء نفسه ٢٤٤/٢
لا من أحوال الدهر ، فهو ماضٍ على اليقين ، نافذٌ إلى الثقة ، متنقلٌ في منزلة منزلة من
يقينه إلى ثقته ، ومن ثقته إلى يقينه .

وقد بدأ المقتطف مجنده الثامن والثمانين بعدد ضخيم أفردته للمتنبي ، ولئن كانت الأندية والمجلات قد احتفلت بهذا الشاعر العظيم ، فما أحسب إلا أن روح الشاعر العظيم قد احتفلت بهذا العدد من المقتطف .

ولست أغلو إذا قلت : إن هذه الروح المتكبرة قد أظهرت كبرياءها مرة أخرى ، فاعتزلت المشهورين من الكتاب والأدباء ، ولزمت صديقنا المتواضع الأستاذ محمود محمد شاكر مدة كتابته هذا البحث النفيس الذي أخرجه المقتطف في زهاء ستين ومئة صفحة ، تدلُّه في تفكيره ، وتوحى إليه في استنباطه ، وتنبيه في شعوره ، وتُبصِّره أشياء كانت خافيةً وكان الصدوق فيها ، ليردُّ بها على أشياء كانت معروفةً وكان فيها الكذب . ثم تعينه بكل ذلك على أن يكتب الحياة التي جاءت من تلك النفس ذاتها ، لا الأشياء التي جاءت من نفوس أعدائها وحسادها .

ولقد كان أول ما خطر لي بعد أن مضيت في قراءة هذا العدد = أن المؤلف جاء بما يصحُّ القول فيه : إنه كتب تاريخ المتنبي ولم ينقله . ثم لم أكد أمعن في القراءة حتى خُيِّلَ إليَّ أنه قد وضع لشعر المتنبي ، بعد تفسير الشراح المتقدمين والمتأخرين ، تفسيراً جديداً عن المتنبي نفسه . وما الكلمة الجديدة في تاريخ هذا الشاعر الغامض ، إلا الكلمة التي نشرها المقتطف اليوم .

٢٤٥/٢

/ إن هذا المتنبي لا يفرُّغ ولا ينتهي ، فإن الإعجاب بشعره لا ينتهي ولا يفرُّغ . وقد كان نفساً عظيمة خلقها الله كما أراد ، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت ، فكأنما جعلها بذلك زماناً يمتدُّ في الزمن . وكان الرجل مطوياً على سِرِّ ألقى الغموض فيه من أول تاريخه ، وهو سِرُّ نفسه ، وسِرُّ شعره ، وسِرُّ قوته . وبهذا السِرُّ كان المتنبي كالملك المغصوب ، الذي يرى التاج والسيف ينتظران رأسه جميعاً ، فهو يتقى السيف بالحدَر والتلفُّف والغموض ، ويطلب التاج بالكتمان والحيلة والأمل .

ومن هذا السِرُّ بدأ كاتب المقتطف ، فجاء بحته يتحدث في نَسَقٍ عجيب ،

متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادة ونمو وشباب ، وعرض بين ذلك شعر أبى الطيب عرضاً حتى تُخِيلَ إلى أن هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره على حوادث نفسه وأحوالها . وبذلك انكشف السر الذى كان مادة التهويل فى ذلك الشعر الفخم ، إذ كانت فى وافية الرجل دولة أضخم دولة عجز عن خلقها وإيجادها ، فخلقها شعراً أضخم شعر ، وجاءت مبالغاته كأنها أكاذيب آماله البعيدة ، متحققة فى صورة من صور الإمكان اللغوى .

ومن أعجب ما كشفه من أسرار المتنبى : سرُّ حُبِّه ، فقال إنه كان يحب حوْلة أخت سيف الدولة ، وكتب فى ذلك خمس عشرة صفحة كبيرة ، وكأنها لم ترضه ، فقال إنه كان يؤمل أن يكتب هذا الفصل فى خمسين وجهاً من المقتطف . وهذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس أحد فى الدنيا المكتوبة (أى التاريخ) يعلم هذا السرُّ أو يظنه . والأدلة التى جاء بها المؤلف تقف / الباحث المدقق بين الإثبات والنفى . ومتى ٢٤٦/٢ لم يستطع المرء نفياً ولا إثباتاً فى خبر جديد يكشفه الباحث ، ولم يهتد إليه غيره ، فهذا حسْبُك إعجاباً يذكر ، وهذا حسْبُه فوزاً يُعدُّ .

ولعمرى لو كنت أنا فى مكان المتنبى من سيف الدولة ، لقلت إن المؤلف قد صدق فهناك موضع لابد أن يُبحث فى القلب الشاعري الذى وضعت فيه الدنيا حكمتها ، وطوت فيه القوة سرها ، وبث فيها الجمال وحيه = وأصغر هذه الثلاث ، أكبر من الملوك والممالك ، ولكن الحبيبة أكبر منها كلها ...

مصطفى صادق الرافعى

أربع تراجم للمتنبى

- ١ - ترجمة على بن عيسى الرّبعيّ (٣٢٨ - ٤٢٠ هـ)
- ٢ - من كتاب « بغية الطلب » لابن العديم (٥٥٨ - ٦٦٠ هـ)
- ٣ - « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ)
- ٤ - « المُقَفَّى » للمقرئزى (٧٧٦ - ٨٤٥ هـ)

١ - ترجمة المتبى للربعى

ترجمة المتنبي للرُّبَيعِيّ

« ترجمة الرُّبَيعِيّ لأبي الطيب » ، هي أقدم ترجمة له وقعت في أيدينا ، وهي أهمُّهنَّ جميعاً ، لأنَّ الرُّبَيعِيّ كان آخر من لقي أبا الطيب بشيراز ، في شعبان سنة ٣٥٤ قبل مقتله في رمضان سنة ٣٥٤ ، وعنها نقل ابن العديم وابن عساكر والمقريزي ، مع التصرف في النقل . وقد وقفت عليها في آخر شرح الواحدي لديوان أبي الطيب ، نقلها كاتبها بخطه ، وألحقها بآخر الشرح . وهذه النسخة مخطوطة نفيسة محفوظة بمكتبة فيض الله بالآستانة تحت رقم : ١٦٤٩ ، وقد ذكرت خبرها في مقدمة هذه الطبعة من كتابي « المتنبي » .

...

ترجمة الرُّبَيعِيّ

هو أبو الحسن ، علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الرُّبَيعِيّ الزُّهَيْرِيُّ ، (١) النحويّ ، ولد ببغداد سنة ٣٢٨ هـ ، فأخذ النحو والأدب عن أبي سعيد السِّيرافيّ ، [الحسن بن عبد الله بن المرزبان / ٢٨٨ - ٣٦٨ هـ] ، ثم هاجر إلى شيراز ، لما نزلها أبو علي الفارسيّ ، [الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الفارسيّ / ... - ٣٧٧ هـ] ، ولازمه عشرين سنة يأخذ عنه النحو ، ولقى أبا علي الفارسيّ أيضاً حين عاد الفارسيّ إلى بغداد واستوطنها في سنة ٣٧٥ ، [تاريخ بغداد ٧ : ٢٧٥] ، إلى أن مات أبو

(١) انظر التعقيب في آخر الترجمة ، وقوله « الرُّبَيعِيّ الزُّهَيْرِيُّ » هو على عادة القدماء في النسبة إلى القبيلة ، ثم إلى البطن من القبيلة .

على الفارسي . وقد رجع الربيعي من شيراز إلى بغداد ، فأقام بها إلى أن مات في ليلة السبت لعشر بقين من المحرم سنة ٤٢٠ هـ ، وعمره يومئذ اثنتان وتسعون سنة ، ودفن بمقبرة باب الدير في بغداد ، ولم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس ، [المنتظم لابن الجوزي ٨ : ٤٦ / البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٧] .

وقد حدثنا الربيعي نفسه أنه سمع من أبي الطيب شعره ببغداد وشيراز ، في الخبرين ، رقم : ١٤ ، ورقم : ١٧ ، وأنه سمع من المتنبي بعض شعره أكثر من عشرين مرة ، في الخبر رقم : ١٦ ، وأنه رأى مع المتنبي ديوانه بخط آبن أبي الجوع الوراق المصري ، على ورق منصوري ، وكتبه هو عن هذا المخطوط من إملاء المتنبي حرفاً حرفاً ، ونقل عنه بغير الإملاء .

...

تعقيب

• « الرُّبَيْعِي » ، قال ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » ، [٣ : ٣٣٦ ، طبعة إحسان عباس] :

« الرُّبَيْعِي » ، بفتح الراء ، والباء الموحدة ، بعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى « ربيعة » ، ولا أعلم أهو ربيعة بن نزار ، أم غيره .

• « الزُّهَيْرِيُّ » ، وزاد ياقوت في نسبته فقال « الربيعي الزهيري » ، في « معجم الأدباء » [٥ : ٢٨٣ ، طبعة جب] ، وكتبها السيوطي في « بغية الوعاة » ، [٢ : ١٨١ ، طبعة أبي الفضل إبراهيم] : « الزُّهْرِي » ، ^(١) وكتبها في « الفلاكة والمفلوكون »

(١) « الزُّهْرِي » ، نسبة إلى بني « زُهْرَة بن كلاب بن مرة » فقط ، وهم من قريش ، ومحال أن يكون الربيعي من قريش .

[ص : ١١٣ ، مطبعة الشعب سنة ١٣٣٢ هـ] : « الزيدى » ، ^(١) وكلتا النسبتين تصحيف ، والصواب ما عند ياقوت ، فيما أرجح ، وذلك لأنى رأيتُ القفطى فى كتابه « إنباه الرواة » [١ : ٣٧٤] فى ترجمة أبى على الفارسى قال : « وذكر الرِّبِّيِّ فى صدر شرحه « الإيضاح » نسب أبى على فقال : أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الفارسى ، وأمه من ربيعة الفرس ، سُدُوسية ، من سُدُوس (بن) شيبان » .

و « ربيعة الفرس » هو « ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » .

فولد « ربيعة بن نزار » : « أسد بن ربيعة » و « ضُبَيْعة بن ربيعة » .

وولد « أسد بن ربيعة » : « جَدَيْلة ، وَعَنْزَة ، وَعَمِيرَة » .

وولد « جَدَيْلة بن أسد بن ربيعة » : « دُعْمَى » ، وفيه البيت والعدد ، و « جُدَى »

دخل بنوه فى بنى شيبان ، و « جُدَّان » دخل بنوه فى بنى زُهَيْر بن جُشَم ، من بنى الثمر بن قاسط « [جمهرة ابن حزم : ٢٩٥] .

و « سُدُوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة » ، ينتهى نسبهم إلى « دُعْمَى

ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » [ابن حزم : ٣٠٧ - ٣١١] .

ثم « الثمر بن قاسط بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار »

[ابن حزم : ٣٠٠] ، الذين دخل « جُدَّان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » فى

« بَنَى زُهَيْر بن جُشَم » ، هم من بنى « الثمر بن قاسط » ، فيكون « الزُّهَيْرَى » فى نسبة

« الرِّبِّيِّ » إليهم ، ويكون قول ياقوت فى نسب « على بن عيسى » : « الرِّبِّيُّ الزُّهَيْرَى » ،

دلالة على أنه من « بنى جُدَّان بن جديلة بن أسد بن ربيعة » ، وأن بنى « جُدَّان بن

(١) « الزيدى » ، نسبة إلى المذهب الزيدى الشيعى ، والرَّبِّيُّ ليس من الشيعة فى شئ ، وكتاب

« الفلاحة » نشرة سيئة كثيرة التصحيف والتحريف لا يعتدُّ بها .

جديلة « دخل نسبهم في نسب أبناء أخيه « دُعْمَى بن جديلة » ، الذي ينتهي إليه نسب أم أبي علي الفارسي ، التي هي من بني « سُدُوس بن شيبان بن ذهل » ، الذين ينتهي نسبهم إلى « دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة » .

فكأن هذه العلاقة بين « علي بن عيسى الرضائي » ، وأبي علي الفارسي هي التي دعت أن يذكر لنا « أم أبي علي الفارسي » ، وأنها من « ربيعة الفرس ، سُدُوسية من بني سُدُوس بن شيبان » ، وهي أيضاً التي دعت إلى أن يفارق وطنه بغداد إلى شيراز ليقيم بها مع أبي علي الفارسي عشرين سنة .

هذا اجتهداً مني في نسبة « الرضائي » التي توقّف في أمرها ابن خلكان ، فلعلّي أصبْتُ الصواب ، فإن أكن أصبت فبحمد الله وتوفيقه ، وإن ألك أخطأت فأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

...

(١)

ترجمة المتنبي للربيعي

من مخطوطة « شرح ديوان المتنبي للواحدى »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال علي بن عيسى النحوى رحمة الله عليه .

١ - قال لي أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن : ^(١) « كان يُثقل علي أن أدعى المتنبي دهرًا ، إلى أن أنست به ، ^(٢) وقبح الله أهل الكوفة ، يضيّقون في الأسماء على أنفسهم ، فلا يُفرّق بين بعضهم وبعض إلا باللقاب . ^(٣) »

« وقال لي : مولدى الكوفة ، ورَضَعْتُ يَلْبَانٍ علوية من بنات عبيد الله بن يحيى . ^(٤) »

(١) هذا نصٌ عظيم الخطر ، لأنه من كلام المتنبي نفسه ، وهو نص قاطع في الصلة الحميمة بين أبى الطيب والعلويين ، كما ذهب إليه في أمر نسبه ، وفي أمر ما زعموه من نبوته . والعجب لابن العديم وابن عساكر ، كيف لم يذكرا الخبر بنصه عن المتنبي ، أو الأصح ، كيف لم يذكره ياقوت الحموى الذى رأى ديوان المتنبي بخط أبى الحسن على بن عيسى الربيعي ، ونقل عنه أنه أرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله ، دون أن ينسب ذلك إلى المتنبي نفسه (ترجمة ابن العديم رقم : ٨) .

(٢) في المخطوطة : « أنسب به » ، وهو تصحيف « صوابه ما أثبت ، وفي ترجمة ابن العديم : « ثم ألقته » .

(٣) ما سلف رواه ابن العديم في ترجمته رقم : ٨ .

(٤) خبر رضاع المتنبي ، رواه ابن العديم في ترجمته في آخر رقم : ٨ ، واقتصر على قوله : « آل عبيد الله » ، وقد بين المتنبي نفسه أنهم « آل عبيد الله بن يحيى » ، وأنا أخشى أن يكون قوله « يحيى » تصحيفاً . والنساخ كثيراً ما يصحفون ، فيكتبون « يحيى » مكان « على » . فإذا صحت هذا ، فهم « آل عبيد الله بن على » ، الذين منهم « المشطب » : « محمد بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب » ، الذى مدحه المتنبي ، وذكرت أمره فيما سلف : ١٥١ ، تعليق : ٣ وما بعد ذلك ، وقد رجحت أن المتنبي أخوه من الرضاع . انظر ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ .

« ونشأت بالبادية ، وكنت أحب البطالة والجولان وصُحبة ذوى الغارات والحروب والتّيه عن الدّنيّات من الأخلاق ، وقلْتُ الشعر صبيّاً » . (١)

٢ - وزعم ابنُ عمّ له في الكوفة : أنّه أحمد بن الحسين بن الحسن بن مُرّة بن عبد الجبار ، من جُفغفَى . وقال : « لا أعرف باقى نَسَبنا ، هو مُنْقَطع » . (٢)

٣ - وقال : أبو أحمد عبد العزيز بن الفضل ، أخبرني الشيخُ أبو الحسين على ابن أحمد بن أبى سَعْدَةَ بمدينة السّلام قال : لمّا دخل المتنبي مدينة السّلام خارجاً إلى فارسَ ، أراد أن يَضْمَنَ الطريقَ من مدينة السّلام إلى باب واسِطٍ من معزّ الدولة ، وكان الواسطةُ الشّريفُ أبو عبد الله بنُ الدّاعي ، وكنتُ أنا كاتِبُهُ ورسولُ المتنبي إليه في هذه الوَسَاطة ، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك ، وذكر : إنّ هذا الرجلُ شاعرٌ ، إن طالَبْتُهُ بما يَلْزَمُهُ من مالى هَجانى . (٣)

(١) هذا الجزء من الخبر ، يتضمنه خبر ابن العديم رقم : ٨ .

(٢) هذا خبر ظاهرُ الخطر ، لأنّه يدلنا لأوّل مرّة ، على أن أبا الطّيب ، كان له « ابن عمّ » ، عرفه الرعي في الكوفة ، ومعنى الخبر شبيه بخبر رواه الرعي أيضاً ، وذكر فيه أنّ لأبى الطّيب أخاً مكفوفاً كان يسأل الناس بحجر بغداد ، وسأله أيضاً عن نسبه ، [ابن العديم رقم : ٨] .

(٣) هذا الخبر رقم : ٣ ، من أهم الأخبار ، لأن له علاقة وثيقة بحال المتنبي مع العلويين ، ولذلك أعلق عليه ببعض التّطويل :

● « معزّ الدولة » البويهى ، أحد ملوك الدّيلم ، وعم عضد الدولة الذى مدحه المتنبي في آخر عمره ، كان صاحب العراق . وكان علوى الهوى ، وغالّى في ذلك ، حتى إذا كانت سنة ٣٥٢ ، قبل وفاته بأربع سنوات ، وجاء عاشر المحرم ، فأمر بتغليق أسواق بغداد ، وأن يلبس النساءُ المسوخَ من الشعر ، وأن يخرجن في الأسواق حاسراتٍ عن وجوههن ، ناشراتٍ شعورهنّ ، يَلْطَمُنَ وجوههن ، يَتَحَنَّنَ على الحسين بن على بن أبى طالب (ابن الأثير ٨ : ١٩٧ / البداية والنهاية ١١ : ٢٤٣) .

● « أبو عبد الله بن الدّاعي » ، هو العلوى الريدى : محمد بن الحسن (وهو الدّاعي الصغير) بن القاسم بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البَطْحاَنى ، بن القاسم بن الحسن بن زيد بن على بن أبى طالب (جهمرة ابن حزم : ٤٠) ، كان معزّ الدولة يعظمه تعظيماً شديداً ، وأجبره على أن يتولّى نقابة الطالبين سنة ٣٤٩ ، وغاب =

قال أبو الحسين : فدخل إلى المتنبي ، وأنا أسكن « دَرْبَ الزُّعْفَرَانِي » ، وكنت رَمِداً قَلِيقاً من الوجع ، فأنشدني :

أَيَا أُنْسِ الْقُلُوبِ ، وَقَدْ تَعَالَتْ أُمَانِيهَا ، وَضَوْءُ النَّاطِرَيْنِ
لَيْنَ جَرَحَتْ شَكَاتُكَ كُلَّ قَلْبٍ بِأَنْفَقَ فِي الْفُؤَادِ مِنَ الرُّدْنِيِّ

= معز الدولة في سفره إلى نصيبين ، واستخلف ابنه عز الدولة بختيار ببغداد ، فخطب في حضرته بشيء عن العلوية فلم يرض ذلك ، وامتنع ، وخرج مغضباً ، ودبر أمره وخرج محتفياً ، ومعه ولده الأكبر ، وخلف أولاده وعياله ونعمته وكل ما تحويه داره ببغداد ، ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفاً ومصحفاً ، وسار إلى بلاد الديلم ، وليس الصوف وأظهر التسك والعبادة ، وحارب بعد ذلك وشمكر فهزمه ، وعزم على المسير إلى طبرستان ، وكتب إلى العراق كتاباً يدعوهم إلى الجهاد (ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٣ ، وسنة ٣٥٥ / تكملة تاريخ الطبري للهمداني : ١٨٩ ، وتجارب الأمم لمسكويه ٢ : ٢٠٧) .

● « درب الزعفراني » ، قال ياقوت : « هو بكرخ ببغداد » كان يسكنه التجار وأرباب الأموال ، وربما يسكنه بعض الفقهاء ، وهو منسوب إلى « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني » ، كان ثقة من أجل العلماء ، وروى عنه البخاري في صحيحه ، وهو الذي قرأ على الشافعي كتبه القديمة ، وكان يومئذ شاباً ، وتوفي سنة ٢٦٠ ، وقد وصف الخطيب البغدادي هذا الدرب في ترجمة الزعفراني (٧ : ٤٠٧) فقال : « درب الزعفراني السلوك فيه من باب الشعر إلى الكرخ ، إليه ينسب » ، وأكثر المحدثين ببغداد منسوبون إلى هذا الدرب .

هذا ، وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه (٧ : ٣٠٣ ، ٣٠٤) ترجمة : « أبي محمد الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن حامد ، الأديب ، كان تاجراً ثملاً وإليه ينسب » خان ابن حامد الذي يدرب الزعفراني ببغداد ، قال الخطيب البغدادي :

« حدثني الصوري قال : ذكر لي الحسن بن حامد أن المتنبي لما قديم ببغداد نزل عليه ، وكان القيم بأموره ، وأن المتنبي قال له : لو كنت مادحاً تاجراً لمدحتك » .

قال البغدادي : « مات بمصر في يوم الأحد ، مستهل شوال سنة سبع وأربعمئة » ، ولكن العجب لابن الجوزي في المنتظم ، فإنه نقل ما قاله عنه الخطيب البغدادي ، ولكنه وضعه في وفيات سنة ٣٨٥ (المنتظم ٧ : ١٨١) .

فهذا خبر دخول أبي الطيب ببغداد ونزوله في دار الحسن بن حامد يدرب الزعفراني ، وسيأتي في رقم ١٣ أن المتنبي في دخلته الثانية إلى بغداد نزل في دار أبي الحسن العروضي ، في « ربضي حميد » . فهذا موضع تحقيق لدخلته الأولى ودخلته الثانية ، متى كانت الأولى ومتى كانت الثانية .

وَأَوْهَنَ مَا وَهَنْتَ لَهُ الْمَعَالِي ، وَأَقْدَى مَا بَعَيْنِكَ كُلَّ عَيْنٍ
لَحَظْتُكَ فِي الثَّوَابِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُطِيفَ بِهِ كِتَابُ الْكَاتِبِينَ
إِسَاءَاتِ الزَّمَانِ أَجَلٌ نَعْمَى إِذَا سَلِمْتَ حَيَاةَ أَبِي الْحُسَيْنِ
فَكُمْ مِنْ مِخْنَةٍ طَرَقَتْ فَكَانَتْ لِمُخْتَقِبِ الذُّنُوبِ قَضَاءَ دَيْنٍ

وما نعلم أنه قال يبعث شِعراً غير هذا . (١)

٤ - ومما ذُكِرَ أَنَّ المتنبي رحمه الله قاله وهو بواسط في خروجه إلى فارس ، ولم يقع في النسخ ، ولم يروه الناس ، وذكرَ رَأَوِيَّتُهُ المعروف بأبي الحسين محمد بن محمد بن سلمان الكوفي ، ويُعرف أيضاً بأبي السُّودَانِي ، (٢) بيان هذه القصيدة ودفعها إليه أبو جعفر محمد بن الحسين بن حمزة العلوي ، وذكر أنه وجدها في بعض نُسخ شعره ، وذكر أبو الحسن أنها منحولة (٣) : -

أَفِيقَا ، حُمَارُ الْهَمِّ نَعَصْنِي الْحَمْرَا وَسُكْرِي مِنَ الْأَيَّامِ جَنَّبَنِي السُّكْرَا
تَسْرُ خَلِيلِي الْمُدَامَةُ ، وَالَّذِي بِقَلْبِي يَأْتِي أَنَّ أَسْرَكَمَا سُرَا
لَيْسَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ أَحْسَنَ مَلْبَسٍ ، فَعَرَّقَنِي نَابَا وَفَرَّقَنِي ظُفْرَا (٤)

(١) هذا الخبر ، والشعر الذي فيه ، انفردت به ترجمة الرعي هذه ، ولم يذكره الراجكوتى في «زيادات ديوان شعر المتنبي» .

(٢) هذا خبر طريف آخر فيه ذكر رواية للمتنبي . أما «السُّودَانِي» فهكنا ضبط في المخطوطة ، ولا أعرف هذا الضبط . والنسب التي تشبهه هي «السُّودَانِي» بالضم وبالدال المهملة ، و «السُّودَانِي» بالضم وبالدال المعجمة ، و «السُّورَانِي» بالضم وراء وباء ، و «السُّورَانِي» بالضم وراء وتون .

(٣) القصيدة الآتية ، ذكرها البديعي في «الصباح المتنبي» : ١٠٤ - ١٠٧ (طبعة دار المعارف) ، والراجكوتى في «زيادات ديوان شعر المتنبي» عن البديعي ، وعن نسخ مخطوطة لديوان المتنبي ، وانظر تعليقاته على الأبيات .

(٤) في الصباح ، وفي الراجكوتى «أحسن ملبس» ، وهي أجود مما في المخطوطة . وفي الصباح المتنبي : «فَعَرَّقَنِي ... ومَرَّقَنِي» ، وفي الراجكوتى : «فَعَرَّقَنِي ومَرَّقَنِي» ، والذي هنا أجود . يقال : «عَرَّقَ الْعَظْمَ وَتَمَرَّقَهُ» أخذ اللحم عنه بأسنانه نهشاً . و «فَرَّى الْجِلْدَ يَفْرِيه فَرْيَا» ، شَقَّه وَمَرَّقَهُ بظفر أو بحديدة .

- وَفِي كُلِّ لَحْظٍ لِي وَمَسْمَعُ نِعْمَةٍ ،
 سَدِّكَتْ بِصَرْفِ الدَّهْرِ طِفْلاً وَيَافِعاً ،
 أَرَيْدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا يُرِيدُهُ
 وَأَسْأَلُهَا مَا أَسْتَحِقُّ قَضَاءَهُ ،
 وَلِي كَيْدٌ مِنْ رَأْيِ هِمَّتِهَا النَّوَى ،
 تَرُوقُ بَنَى الدُّنْيَا عَجَائِبُهَا ، وَلِي
 أَخُو هِمِّ رَحَالَةٍ لَا تَزَالُ لِي
 وَمَنْ كَانَ عَزَمِي بَيْنَ جَنَبَيْهِ حُتَّةٌ ،
 صَحِبْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ مُعْتَبِطاً بِهِمْ ،
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ لِلْحُرِّ مَالِكاً
 وَمِصْرَ لَعَمْرِي أَهْلُ كُلِّ عَجِيبَةٍ
 يُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْعَجَائِبُ أَوَّلاً
 فَيَا عَجَبَ الدُّنْيَا ، وَيَا غَيْرَةَ الْوَرَى ،
 لَوْيِيَّةٌ لَمْ تَذِرْ أَنْ بُنِيَهَا -
- ثَلَا حِظْنِي شَزْراً ، وَتُسْمَعُنِي هُجْراً (١)
 فَأَقْنِيئُهُ حَزْماً وَلَمْ يُفْنِنِي صَبْراً (٢)
 سِوَايَ ، وَلَا يَجْرِي بِخَاطِرِهِ فِكْراً
 وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَطْبِي حَاجَةً قَسْراً (٣)
 فَتَرَكْنِي مِنْ عَزَمِهَا الْمَرْكَبَ الْوَعْراً (٤)
 فَوَادَّ بِيضِ الْهِنْدِ لَا يَبْضِيهَا يُغْرَى
 نَوَى تَقْطَعُ الْبَيْدَاءُ أَوْ أَقْطَعُ الْعُمَرَا
 وَصَيَّرَ طُولَ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهِ شَيْراً
 وَفَارَقْتُهُمْ مَلَانَ مِنْ حَنْقِ صَدْرَا
 أُيْتُتْ إِبَاءَ الْحُرِّ مُسْتَرْفِداً حُرّاً (٥)
 وَلَا مِثْلَ ذَا الْمَخْصِي أُعْجُوبَةً نُكْرَا
 كَمَا يُيْتَدَا فِي الْعَدِّ بِالْأَصْبَعِ الصُّغْرَى
 وَيَا أَيُّهَا الْمَخْصِي مَنْ أَمْلَكَ الْبُظْرَا (٦)
 لَوْيِي دُونَ اللَّهِ يُعْبَدُ فِي مِصْرَا (٧)

(١) في المخطوطة: «ومسمع نعمة»، وهو تصحيف صوابه في الصباح، والزيادات، وفي سائر البيت بعد ذلك خلاف.

(٢) في الصباح، والزيادات: «فأقنيئُهُ عَزْماً»، وهي جيدة. و«سَدِّكَ بالشئ»، لزمه ولصق به.

(٣) في الصباح، والزيادات، خلاف في رواية العجز: «وما أنا مِمَّنْ رام حاجته بَسْراً»، والراجحون «قَسْراً». و«أطبي الحاجة»، دَعَاها وطلبها.

(٤) في الصباح: «ولي همة»، كأنها سبق قلم.

(٥) في الصباح والزيادات: «مستزقاً»، وهذه أجود.

(٦) في الصباح والزيادات: «فيا هرم الدنيا».

(٧) في الزيادات: «لويية ... الثويي»، وهما أجود مما في المخطوطة، فإن «لوية»، هي التي بين

الإسكندرية وبرقة، وكافور ليس منها بلا ريب، بل هو من «النوبة»، جنوب من مصر، من السودان.

وَيَسْتَحْدُمُ الْبَيْضَ الْكَوَاعِبَ كَالْدُمَى وَرُومَ الْعِبْدَى وَالْعَطَارِفَةَ الْغُرَا^(١)
 قَضَاءً مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَرَادَهُ ، أَلَا رُبَّمَا كَانَتْ إِرَادَتُهُ شُرَا
 وَلِلَّهِ آيَاتٌ وَلَيْسَتْ كَهَذِهِ ، أَظُنُّكَ يَا كَافُورُ آيَتُهُ الْكُبْرَى
 لَعَمْرُكَ مَا دَهَرٌ بِهِ أَنْتَ طَيِّبٌ ، أَيَحْسِبُنِي ذَا الدَّهْرِ أَحْسِبُهُ دَهْرًا
 وَأُكْفِرُ يَا كَافُورُ حِينَ تُلَوِّحُ لِي ، فَفَارَقْتُ مُذْ فَارَقْتُكَ الشَّرْكَ وَالْكَفْرَا
 غَرَّتْ بِسَيْرِ نَحْوِ مِصْرٍ فَلَا لَعَا بِهِ ، وَلَعَا بِالسَّيْرِ عَنْهَا وَلَا عَثْرَا^(٢)
 وَفَارَقْتُ خَيْرَ الْخَلْقِ قَاصِدَ شَرِّهِمْ ، وَأَكْرَمَهُمْ طَرَا لِأَنْذَلِهِمْ طَرَا
 فَعَاقَبَنِي الْمَخْصِيُّ بِالْعَذْرِ جَازِيَا ، لِأَنَّ رَجِيلِي كَانَ عَنْ حَلَبٍ غَدْرَا
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا فَائِلَ الرَّأْيِ لَمْ أَعْنِ بِحَزْمٍ وَلَا آسْتَصْنَحْتُ فِي وَجْهَتِي حِجْرَا^(٣)
 وَقَدَّرَنِي الْخَنْزِيرُ أُنَى هَجَوْتُهُ وَلَوْ عَلِمُوا قَدْ كَانَ يُهْجَى بِمَا يُطْرَا^(٤)
 جَسَرْتُ عَلَى بَيْدَاءٍ مِصْرَ فُقْتُهَا وَلَمْ يُفِتِ الْبَيْدَاءُ إِلَّا مَنِ اسْتَجْرَا^(٥)
 سَاجِلِيهَا شُعْتَ النَّوَاصِي مُشِيحَةً تَحُولُ غَدَاةَ النَّفْعِ عَنْ لَوْنِهَا غُبْرَا^(٦)
 وَأُطْلِعُ بَيْضًا كَالشُّمُوسِ مُطْلَةً ، إِذَا طَلَعَتْ بَيْضًا وَإِنْ غَرَّتْ حُمْرَا
 فَإِنْ بَلَغْتَ نَفْسِي الْمَتَى فَبِعِزِّمَهَا وَإِلَّا فَقَدْ أَبْلَغْتُ فِي حِرْصِهَا الْعُنْرَا

(١) « العبدى » ، من الجموع الكثيرة للفظ « العبد » .

(٢) في الصبح والزيادات : « فلا لعاً بها » ، وهو خطأ .

(٣) « الحِجْر » ، العقل وحسن الرأى .

(٤) في الصبح : « وقد أرى الخنزير » .

(٥) في الصبح والزيادات : « على دهياء ... ولم يفت الدهياء » ، ولا شك أن صوابها « دهناء مصر ...

والدهناء » ، و « الدهناء » الفلاة ، وبه سميت « دهناء بنى تميم » .

(٦) البيت في الصبح :

سَاجِلِيهَا أَشْبَاهَ مَا حَمَلْتُهُ مِنْ أَسْتَيْهَا جُرْدًا مُقْسَطَلَةً غُبْرَا

٥ - ووُجِدَ في بعض النسخ أنه كَتَبَ من رَامَهُرْمَزَ إلى كاتب كانت له عليه مِنَّةٌ ، هذه الأبيات ، = الشيرازي : هذا الرجل هو أبو الفضل عبد الرحمن بن الحسين الغنْدَجَانِي ، وكان عامل رَامَهُرْمَزَ من قَبْلِ مُعِزِّ الدولة ، وكان خَدَمَ أبا الطيب وقتَ آجَتِيَاةِ بِرَامَهُرْمَزَ خارجاً إلى آبن العميد ، وادَّعى أنه كتب إليه هذه القطعة = وحدَّثني جماعة أنَّ هذه الأبيات هو قالها عن المتنبي إلى نفسه وتَحَلَّها إِيَّاهُ :

لَئِنْ حُمَّ بَعْدَ الْقُرْبِ نَأَى وَلَمْ أَحْزُ مِنْ الْوَصْلِ مَا يَشْفِي الْفَوَادَ مِنَ الْوَجْدِ
وَلَمْ تَكْتَجِلْ عَيْنَايَ مِنْكَ بِنَظَرَةٍ يَعُودُ بِهَا نَحْسُ الْفِرَاقِ إِلَى السَّعْدِ
فَلِي لَحَظَاتٌ فِي الْفَوَادِ بِمُقَلَّةٍ مِنَ الذِّكْرِ تُذْنِكُنْكُمْ كَأَنَّكُمْ عِنْدِي
إِذَا هَاجَ مَا فِي الْقَلْبِ لِلْقَلْبِ وَخَشَّةٌ فَرِغْتُ إِلَى أَنْسِ التَّذْكَرِ مِنْ بَعْدِ^(١)

٦ - وقيل : إنه لما رأى « فاتكاً » من بعيد وعَلمَ أنه يريد قتاله قال :

أَفْرِغِ الدَّرْعَ يَا سِرَاجَ عَلَيَّ وَأَنْظُرِ الْيَوْمَ مَا تَرَى مِنْ قِتَالِ
فَلَيْنَ رُحْتُ فِي الْمَكْرُ صَرِيحاً فَانْعَ لِلْعَالَمِينَ كُلِّ الرِّجَالِ^(٢)

...

ذِكْرُ مَقْتَلِ أَيْ الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

٧ - قال أبو أحمد رحمه الله : ^(٣) وجدتُ في آخر نسخة محمد بن هاشم الخالدي التي بخطه لشعر المتنبي رحمه الله . ^(٤)

« كُنَّا كَتَبْنَا كِتَاباً إِلَى أَبِي نَصْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْجُبَلِيِّ نَسْأَلُهُ شَرْحَ ذَلِكَ =

(١) هذا خبر لم أره في شيء من الكتب . هكذا ضبطت في المخطوطة ، والأجود : « مِنْ بَعْدِ » .

(٢) في ديوان المتنبي (عزام) ص : ٥٨٨ ، هذا الشعر ، وأن المتنبي كان معه عبدٌ يقال له « سراج » ، فقال

له : يَا سِرَاجَ ، أَخْرِجْ إِلَى الدَّرْعِ . فليسها وتيمناً للقتال ، ثم قال ...

(٣) « أبو أحمد » هو « عبد العزيز بن الفضل » ، الذي مضى في إسناد الخبر : ٣ .

(٤) هو بنصه أيضاً منقولاً من خط الخالدي ، في ترجمة المتنبي لابن العديم رقم : ٨١ .

وهذا الرجل من وجوه الثناء بهذه الناحية ، ^(١) وله أدبٌ وحُرمةٌ = فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه :

« وأما ما سألتما عنه من خبر مقتل أي الطيب رحمه الله ، فأنا أنسقه لكما وأشرحه شرحاً بيّناً . أعلمنا أن مسيره كان من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، قُتِلَ بِنِزْع ، ^(٢) ضَيْعَةً تَقْرُبُ من دير العاقول ، في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة . والذي تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجلٌ من بني أسد يقال له « فاتك بن أبي الجهل بن فراس بن بداد » . وكان من قوله لما قتله وهو مُنْعَفِرٌ : « قُبْحاً لهذه اللحية يا سَبَّاب ! » ، وذلك أن فاتكاً هذا قرابة لوالدة « ضَبَّة بن يزيد العيني » الذي هجاه المتنبي بقوله : ^(٣)

(١) « الثناء » ، جمع « تاني » ، وهم المقيمون بالبلدة في أرض العجم ، وأصلهم منها .
(٢) في المخطوطة « بنيزع » ، بالنون ، وهو كذلك في ديوان المتنبي (عزام) هامش ص : ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، غير أن ياقوتاً الحموي اقتصر على ذكرها في حرف الباء ، نقلاً من خط أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي صاحب هذا الخير .

(٣) هكنا هنا وفي خبر ابن العديم وغيرهما ، والذي في ابن الأثير ٨ : ٢٣٣ (سنة ٣٦٤) ، و ٨ : ٢٥٧ (سنة ٣٦٩) : « ضبة بن محمد الأسدي » . قال في الموضع الأول :

« وذلك أن مختار كتب إلى ضبة بن محمد الأسدي ، وهو من أهل عين التمر ، وهو الذي هجاه المتنبي ، فأمره بالإغارة على أطراف بغداد وقطع الميرة عنهم ، وكتب بمثل ذلك إلى بني شيان » .
وقال في الموضع الثاني ، (سنة ٣٦٩) :

« وفيها أرسل عضد الدولة سرية إلى عين التمر ، وبها ضبة بن محمد الأسدي ، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق ، فلم يشعر إلا والعساكر معه ، فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً ، وأخذ ماله وأهله ، ومليكت عين التمر ، وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين رضي الله عنه ، فعوقب بهذا » .

وهما خبران مهمان في شأن مقتل المتنبي وتفسيره . ثم انظر « ديوان المتنبي » (طبعة عزام) ص : ٥٨٧ ، وفيها سماه أيضاً « ضبة بن محمد العيني » ، فهذا موضع للبحث والتحقيق . هذا وقد جاء في ديوان المتنبي (عزام) « هامش ص : ٥٨٨ » ، عن علي بن حمزة البصري أن المتنبي كتب هذه القصيدة في « ضبة » بواسط ، يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً وَأُمَّهُ الطَّرْطُوبَةَ

ويقال إن « فاتكاً » خال « ضبّة » ، وأن الحميّة داخلته لما سمع ذكراً بالقبيح في الشعر ، وما للمتنبي شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً ، فكان على سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وذهاب ماله .

• وأما شرح الخبر ، فإن « فاتكاً » كان صديقاً لي ، وكان كما سُمّي فاتكاً لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال ، فلما سمع الشعر الذي هُجِيَ به « ضبّة » أحفظه ذلك واشتدّ عليه ، ورجّع على « ضبّة » باللوم ، وقال له : قد كان يجب أن لا تجعل لشاعر عليك سيلاً ! وأضمر غير ما أظهر ، واتصل به خبير انصراف المتنبي من بلد فارس إلى العراق ، وأن اجتيازه بجبل ودير العاقول ، فلم يكن ينزل عن فرسه وجماعة من بني عمّه ، رأيهم في المتنبي مثل رأيه ، في طلبه واستعلام خبره من كل صادرٍ وواردٍ ، وكان « فاتك » يتحرّى خوفاً أن يفوته . وكان كثيراً ما يجيئني وينزل عندي ، فقلت له يوماً وقد جاءني وهو يسأل قوماً مُجتازين عنه : قد أكثرت المسألة عن هذا الرجل ، فأى شيء عزمك أن تفعله متى لقيته ؟ قال : ما عزمي إلا للجميل ، وأن أعدّ له على ما أفحش فيه من الهجاء . فقلت له : هذا الأليق بأخلاقك والأشبه بأفعالك . فتضاحك ثم قال : والله يا أبا نصر ، لئن أكتحلت عيني به أو جمعتني وإياه بقعة لأسفكن دمه ولأمحقن حياته ، إلا أن يُحال بيني وبينه . فقلت له : كُفّ ، عافاك الله ، عن هذا القول ، وأرجع إلى الله ، وأزل هذا الرأي من قلبك ، فإن الرجل شهير الاسم بعيد الصوت ، وقتلك إياه في شعرٍ قاله لا يحسن ، وقد هجت الشعراء الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، فما علمنا أن شاعراً قُتل بهجاءٍ [وقد قال الشاعر] :

هَجَوْتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تُهْجِي وَتُمْدَحُ

« ولم يبلغ جرمه ما يوجب قتله ! فقال : يفعل الله ما يشاء ! وانصرف ، فلم يمض لهذا القول إلا ثلاثة [أيام حتى وافى] المتنبي ومعه بقال موقرة كل شيء من الذهب

والفضة والثياب والطيب والجوهر والآلة ، لأنه إذا [كان مسافراً لم يُخْلَفْ] في منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يساوي درهماً واحداً فما فوقه ، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره ، [لأنه كان قد انتخبها] وأحكمها قراءةً وتصحيحاً . قال : فتلقَّيْتُهُ وأنزلتُهُ دارى وساءلته عن أخباره ؟ وعمَّن لقي ؟ وكيف وجد مَنْ قَصَدَهُ ؟ [فعرفني] من ذلك ما سُررت به ، وأقبل يصف لي آبن العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمه ، وسماحة المليك ألى شجاع فنأخسرو ، ورغبته في الأدب وميله إلى أهله . فلما أُمسينا قلت له : على أى شيء أنت مُجمِّع ؟ قال : على أن أُنْخِذَ الليل جملاً ، فإن السير يخفُّ فيه على . قلت : هذا هو الصواب = رَجَاءُ أَنْ يُخْفِيَهُ الليل ، ولا يصبحُ إلا وقد قطع بلدًا بعيداً = والوجه أن يكون معك من رَجَالِهِ هذه المدينة الذي يَخْبُرُونَ الطريقَ ويعرفون المواضع المَخُوفَةَ فيه ، جَمَاعَةٌ يمشون بين يديك إلى بَغْدَاد . فقطَّب وقال : ولم قلتَ هذا القول ؟ قلت : تستأنس بهم . قال : أمَّا والجُرَّارُ في عنقي فما لى حاجة إلى مؤنسٍ غيره . قلت : الأمر كما تقول ، والرأى فيما أشرتُ به عليك . فقال : تلويحك هذا يُنبئ عن تعريض ، وتعريضك يُخبر عن تصريح ، فعرفني الأمر وبين لي الحُطْب . قلت : إن هذا الجاهل « فاتكأ الأسدى » كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو مُحْفَظٌ عليك لأنك هجوت ابن أخته ، وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراس والتيقُّظ ، ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بنى عمِّه قَوْلُهُمْ مِثْلُ قَوْلِهِ = قال : وعلامه كان عاقلاً ليبياً فارساً يسمع كلامنا = فقال : الصواب ما رآه أبو نصر ، خُذْ معك عشرين راجلاً يسيرون بين يديك إلى بغداد . فاغتاز غيظاً شديداً وشمَّ الغلامَ شتماً قبيحاً ، وقال : والله لا تُحَدِّثْ عني أنى سِرْتُ في خُفَّارَةٍ غير سيفي . فقلت له : يا هذا ، فأنَّا أَوْجُهُ قوماً من قَبَلِي في حاجة يسيرون بمسيرك ويكونون في خُفَّارتك . قال : والله لا فعلتُ شيئاً من هذا . وقال لى : يا أبا نصر ، أبخروء الطير تُخَشِّنِي ، ومن عبيد العصا تخاف على ! والله لو أن مِخْصَرَتِي ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أَسَدٍ مُعْطِشُونَ لَحَمْسٍ ، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ، ما جَسَرَ لهم خُفٌّ ولا ظِلْفٌ أَنْ يَرِدَهُ ! حاشَ لله من فكر أشغله بِهِمْ لحظة العَيْن . فقلت له : قل إن شاء الله . فقال : كلمة مَقُولَةٌ لا تُدْفَعُ مقضياً ولا تستجلب آتياً ! ثم ركب فكان آخر العهد به .

« قال : ولما صحَّ عندى خبر قتله ، وَجَّهْتُ مَنْ دَفَنَهُ وَأَبْنَهُ وَغَلَامَهُ ، وَذَهَبْتُ دَمَاؤُهُمْ هَدْرًا » .

...

« أَمَّا قَوْلُهُ : « أَبْخَرُوهُ الطَّيْرَ تُخَشِّئُنِي ، وَمَنْ عَبِيدَ الْعَصَا تَخَافُ عَلَيَّ » ، فَإِنَّ بَنِي أَسَدٍ يُلَقَّبُونَ « خُرُوءَ الطَّيْرِ » ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ : (١)
فَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ خُرُوءُ الطَّيْرِ عَنْ أَرْبَابِهَا
وَيُلَقَّبُونَ أَيْضًا « عَبِيدَ الْعَصَا » ، قَالَ الشَّاعِرُ ، وَنَظَّنُهُ أَمْرُو الْقَيْسِ أَيْضًا :
* قَوْلًا لِلدُّودَانَ عَبِيدَ الْعَصَا * (٢)

...

٨ - قَالَ أَبُو أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ : (٣) حَدَّثَنِي الشَّرِيفُ عَلِيُّ بْنُ عُمرَ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ كَانَ لَهُ أَبٌ سَقَاءٌ بِالْكُوفَةِ يَعْرِفُ بَعْدَانَ السَّقَاءِ ، (٤) وَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ بَابِينَ عَبْدَانَ

(١) هَذَا لَيْسَ لَأَمْرِئِ الْقَيْسِ ، بَلْ لَدَخْتَنُوسَ بِنْتَ لَقِيطِ بْنِ زُرَّارَةَ ، تَرَفَّى أَبَاهَا ، وَقُتِلَ يَوْمَ شَيْعَبِ جَبَلَةٍ . وَخَبِرَ ذَلِكَ فِي الْأَغَانِي (١١ : ١٣١ - ١٦٣ ، الدَّارِ) ، وَهَذَا الْبَيْتُ فِي الْأَغَانِي (١١ : ١٤٦) فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ ، وَهُوَ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرِ بَيْتًا فِي « بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ » لَطِيفُورِصَ : ١٨٥ ، وَأَوَّلُ الْآيَاتِ عِنْدَ أَبِي الْفَرَجِ فِي الْأَغَانِي :

بَكَرَ النَّعْمَى بِخَيْرٍ خِنْدِفَ ، كَهْلَهَا وَشَبَابَهَا

وَهُوَ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ : « مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ » ، ابْنُ الْعَدِيمِ رَقْمَ : ٨١ ، فِي آخِرِهَا .

(٢) هَذَا لَأَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَتَمَامُهُ :

* مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ *

(٣) هُوَ الَّذِي يَرَوِي عَنْهُ الرَّبِيعِيُّ « كَمَا سَلَفَ رَقْمَ : ٣ ، وَرَقْمَ : ٧ .

(٤) هَكَذَا هِيَ هُنَا « عَبْدَانُ » بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَانْظُرْ مَا كَتَبْتَهُ أَنْفَأُ ص : ١٣٧ تَعْلِيقُ : ١ .

السقاء ، وأنه خرج من الكوفة سنة عشرين وثلاثمئة ، ثم دخل بغداد ، ورحل إلى فارس سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، ثم إنه أراد الرجوع فُقِلَ في الطريق .

...

٩ - وما قاله في صباه وشذَّ عنه بعضه ، قوله : (١)

سَيَفُ الصُّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقْلِدِهِ	يَفْرِى طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ
مَا اهْتَرَّ مِنْهُ عَلَى عُضْوٍ لِيَتَرَهُ	إِلَّا اتَّقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجْلِيدِهِ
ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَبَّتِهِ	مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ
شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرْسٍ	تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ
إِنْ يَفْبُجُ الْحُسْنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ	فَالْعَبْدُ يَفْبُجُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ
قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طِبْتُ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا	لَا يَصْنُرُ الْحُرُّ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مُذْ عَرَفْتُ فَتَى	لَمْ يُولِدِ الْجُودُ إِلَّا مُنْذُ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغَّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرِ	هَا تُهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرِدِهِ

...

١٠ - وقال أيضا في صباه يهجو الذهبي : (٢)

لَمَّا اتَّسَبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَى لِعَمْرِ أَبِي	ثُمَّ اخْتَبَرْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ
سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً	مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَتِلْكَ بِهِ	يَأْيُهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ

...

(١) انظر هذه الأبيات في ديوان المتنبي (طبعة عزام) ص : ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

(٢) انظر هذه الأبيات في ديوان المتنبي (طبعة عزام) ص : ٥٣٤ .

١١ - ووجدت هذين البيتين في نسخة منسوبة إلى أبي الطيب : (١)

أَتَانِي عَنْكَ قَوْلٌ فَازْدَهَانِي وَمِثْلُكَ يُتَقَى أَبَدًا وَيُرْجَى
وَلَوْلَا ظَنُّنَا لَحِقَّتْ فَوَادِي وَجَدْتُ إِلَيْكَ طَرَقًا مِنْكَ نَهَجًا

...

١٢ - ووجدت في نسخة من شعره ، قال علي بن مَرٍّ : رأيتُ أبا الطَّيِّبِ

ينشد بعض أهل سوقِ البَزِّ فكتبت إليه : (٢)

يَا حَاضِرًا عِنْدِي إِذَا لَمْ يَحْضُرِ عَيْنُ الضَّمِيرِ يَرَاكَ أَحْسَنَ مَنَظَرِ
أَكْثَرْتُ مِنْ نَثْرِ اللَّالِي آفِئًا فَتَرَكْتُ سَوْقَ الْبَزِّ سَوْقَ الْجَوْهَرِ
إِنِّي لَا أَسْمَعُ مِنْ قَرِيبِكَ مُعْجَزًا نَحْتُ الصُّخُورِ لَهُ وَغَرْفُ الْأُبْحَرِ
عَجَبًا لَأَذَانٍ لَيْسَ حُلِيِّهُ فَصَعَيْنَ لِلطَّائِي أَوْ لِلْبُحْتَرِ

فلم يجبني ، فكتبت إليه :

يَا وَاحِدَ الْإِنشَاءِ وَالْإِنشَادِ وَمَهْذَبِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
لَكَ سَيْفُ شِعْرِ لَا يُبَارَى ، وَاسْمُهُ فَارِيَ الدُّرُوعِ وَآكِلَ الْأَعْمَادِ
وَصَلَّتْ هَدِيَّتُنَا فَمَا كَفَأَتْنَا أَيَّا يَسُدُّ عَلَيْكَ بَابَ سَدَادِ
لَا تُفْسِدِ الْأَدَبَ الْمُشْهَى بِالْجَفَا ، يَا ذَا الْبَرَاعَةِ ، أَيُّمَا إِفْسَادِ
لَوْ كُنْتُ بَحْرًا لَمْ يُشَبَّ بِمُلُوحَةٍ ، أَوْ كُنْتُ بَدْرًا لَمْ يُشَنَّ بِسَوَادِ

...

١٣ - ووجدت في نسخة أخرى من شعره ، حَدَّثَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) ليسا في زيادات شعر المتنبي للراجكوتي .

(٢) لم أقف على هذا الخبر والشعر الذي فيه في شيء من الكتب .

الحسن ، قال : حضرت مجلس المتنبي في دُخْلته الثانية إلى بغداد ، في دار أبي الحسن العروصي في رَبيَضِ حَمِيد ، وعنده جماعة من الأدباء ، ودخل عليه هرون بن المُنْجَم فطاوَلَهُ الحديث ، وكان ينشده مما قاله في وصف الحروب والخيال ، فقال له هرون : أقول ما قال الشاعر :

أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ سَيْفٍ وَرُمْحٍ ، طَوِيلُ الْعُمُرِ يَبْتَهِمَا قَصِيرُ

فَأَعْجَبَ الْخَلْقُ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَأَطْرَقَ الْمَتَنَبِيُّ سَاعَةً فَأَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ :

فَإِنْ أَغْمَدْتُ ذَا وَكَسَرْتُ هَذَا فَإِنَّ كَثِيرَ مَا أَبْقَى يَسِيرُ

فَأَعْجَبَ مِنْ حَضَرِ بَخَاظِرِهِ وَسُرْعَةِ اقْتِضَائِهِ هَذَا الْبَيْتَ وَإِجَازَتِهِ مَا تَقَدَّمَ . (١)

...

١٤ - ووجدتُ في ديوان بخطِّ علي بن عيسى النحوي ، في أوَّل ديوانه :

وكان رجلٌ من أهل مصر يعرف بأبي عبد الله الخُرَشِيِّ ، ادَّعَى إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وكان ورَّاقاً لَقِيَ أبا الطَّيِّبَ بمصر : فكتب على ديوانه « السَّلَامُ » ، فقال لي أبو الطَّيِّبَ بفارسٍ لما رأى هذا النسب : أما رضيَ هذا الرجل أن عمل لنفسه نَسَباً حتى نسبني إلى من لستُ منه ! (٢)

١٥ - قال : ورأيتُه مرَّةً يكرهُ أن ينتسب ، قال : لأنني كنتُ أَطْرُقُ على قومٍ بعد قومٍ من البادية ، فلا أُخْتَارُ أن يعرفَ أحدٌ نسبِي ، لئلا أكون ممن يُعَادِيهِ . ورأيتُه مرَّةً أخرى يتشكك ويقول : أكثر الناس لا يعرف جميع آبائهم ، وأكثر العرب = زَعَمَ = على

(١) لم أقف على هذا الخبر في شيء من الكتب .

(٢) هذا الخبر رواه ابن العديم رقم : ١٠ مختصراً ، وفيه فائدة ليست هنا ، وهي قول الرعي : « رأيتُ عنده

(أي عند المتنبي) جزءاً من شعره بخطِّ أبي الجوزع المصري ، وعليه بخط آخر : المتنبي السَّلَامِيُّ البغدادِي .

ذلك ، إنما يكون في الحَيِّ واحد يَنْسَبُهُمْ . وقال لى مرة أخرى : الإنسان بأفعاله لا يَنْسَبُهُ ، وقد يوجد في كل الناس الفاضل والناقص ، وأَيْشٍ ينفع النسب ؟ ^(١)
 ١٦ - قال : ^(٢) وكان على ظهر كتابه خارجاً من الديوان بخطّ آبن أبى الجُوع الأبيات ، وهى ^(٣) :

* لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَغِيرُ * ^(٤)

ووجدتُ أيضاً خارجاً من ديوانه : « وقال فى صباه يهجو الذهبى : » لَمَّا نُسِبَتْ ، الأبيات . ^(٥)

هذا ما كان خارجاً من ديوانه ، وقُرئ عليه وسمعه أكثر من عشرين مرة . ^(٦)
 ١٧ - ثم وجدتُ ببغداد شيئاً منسوباً إليه لم أسمعته منه ولا أُرَوِّيه ، لأنه قال لى بعد السماع الكثير : لا تُرَوِّ عَنِّي إِلَّا مَا صَحَّ مِنَ الدِّوَانِ مِمَّا كُتِبَ لِي أَوْ رَأَيْتُهُ مَتْنِي ، ^(٧) وكان معه ببغداد جزآن فى أربع ورَقٍ مَنْصُورِيٍّ بِخَطِّ آبن أبى الجُوع ، وصار معه إلى فارس الأوَّلَ منهما وضاع الآخر ، وقد كنت كتبتُه من هذا الجزء فى دار المتنبي حرفاً حرفاً من إملائه علىَّ من هذا الجزء ، ومن نقلى أنا بغير الإملاء . وكان يُقْرَأُ عليه هذا الديوانُ فاستمعه بقراءة الناس ببغداد وشيراز ، وكنت إذ ذاك لا أرى القراءة عليه بنفسى ، لأنه رُبَّمَا كان

(١) هذه أخبار عن المتنبي مهمة جداً فى شأن كتمان نسبه ، وكيف كان المتنبي يتكلم فى شأن النسب ، ودلالة ذلك .

(٢) « قال » هو الربيعي نفسه الذى يقول ، وقوله : « على ظهر كتابه » ، هكذا هو ، ولعله « على ظهر كتابه » ، بالهاء المضافة .

(٣) « ابن أبى الجوع » ، سيأتى تمام اسمه ونسبه فى ترجمة ابن العديم رقم : ٦ ، والمقرئى رقم : ٢٣ .

(٤) هو فى شعره فى شرح الواحدى وغيره ، وتماه :

* أَسِيرَ الْمَنَائِيَا صَرِيْعَ الْعَطْبِ *

(٥) هى السالفة فى رقم : ١٠ .

(٦) قائل هذا هو الربيعي .

(٧) فى المخطوطة : « مما كتب له » ، ولعل صواب ما بعده « أو رويته عنى » .

أخذ مني ما يتعلق بنحو أرويه له عن أبي على الفارسي رحمة الله عليه ، فكنت أكره مع ذلك القراءة عليه . (١)

١٨ - وسألني بعض أصدقائي أن أقرأ له عليه الفارسيات ليحملها إلى خراسان ، (٢) فقرأتهن تكرمة لمن قيلت فيهما حسب . ولا أعلم أحداً يصدق [في رواية] هذا الديوان ممن اتصّلت مخالطته ومجالسته به كصديق فيه . (٣)

١٩ - ثم إنه = يعني المتنبي = سار عن حضرة الأمير عضد الدولة ، ومعه خيل مختارة ومطايا منتخبة ، موقرة بالعبيد والسلاح والعين والورق ، وفاخر الكسبي ، وطرائف التحف ، وغرائب الألفاف ، يُعزّد السير بنفسه وعبيده لا غير ، وأعين أعدائه ترُمُّهُ ، وأخباره إلى كل بلد يحلّه تسبقه ، حتى إذا كان حيال « الصافية » من الجانب الغربي من سواد بغداد ، أسفل منها بنحو عشرة فراسخ ، عرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي في عدة من أصحابه ذوى عُدّة ونجدة فاغتاله هناك ، فقتله وأبنته مُحَسِّداً وغلماً له يقال له « مُفْلِح » وأخذ جميع ما كان معه مما ذكرناه ، بعد أن أبلى فيهم ، وذلك في يوم الاثنين لست ليالٍ بقين من شهر رمضان . (٤)

...

(١) هذا خبر مهم جداً ، في قراءة المتنبي شعره ببغداد شيراز .

(٢) قوله « الفارسيات » يعني ما قاله المتنبي في آبن العميد وعضد الدولة .

(٣) هذا الخبر رقم : ١٨ ، رواه ابن العديم في ترجمته رقم : ١١ مع اختلاف في اللفظ واضح . ويمكن

النقط بياض في المخطوطة قدر كلمتين محوَتين .

(٤) الخبر رقم : ١٩ ، لم أجده بهذا اللفظ . وانظر ديوان المتنبي (عزام) ص : ٥٨٧ ، وفيه ذكر غلامه

٢ - ترجمة المسبى لابن العديم

(٢)

/ ترجمة المتنبي من « بغية الطلب »

لابن العديم

١ - / أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، أبو الطيب الجعفي ٢٦
الكوفي الشاعر المعروف بالمتنبي .

٢ - وقيل : هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، وكان والده الحسين
يعرف بـعبدان السقاء .

٣ - وكان أبو الطيب شاعراً مشهوراً مذكوراً محظوظاً من الملوك والكبراء الذين
عاصروهم ، والجيد من شعره لا يجارى فيه ولا يلحق ، والردى منه في نهاية الرداء
والسقوط ، وكان يتعظم في نفسه ويرفع ، وقيل : إنه ادعى « النبوة » في حديثه فلقب
المتنبي لذلك ، وكان عارفاً باللغة قيماً بها .

٤ - قدم الشام في صباه وجال في أقطارها ، وصعد بعد ذلك إلى الديار
المصرية ، وكان بها في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة .^(١) ثم قدم حلب وافداً على الأمير
سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان مادحاً له ،^(٢) فأكرمه ونفق عليه ،
وصار خصيصاً به ، ملازماً له حَضَراً وسَفَراً ، / إلى أن خرج من حلب غضبان بسبب ٢٥٠/٢

(١) دخوله مصر وكونه بها في سنة ٣٣٥ هـ ، خير جديد لم أجد من ذكره ، انظر الآتي رقم : ٦٦ :

وترجمة المقرئ رقم : ١٧ وهو يوجب إعادة النظر في ترتيب رحلة المتنبي منذ صباه ، إلى أن لقي سيف الدولة سنة

٣٣٧ هـ ، وقرأ تنمة الخير وقوله : « الدفعة الثانية » .

(٢) في الأصل : « ومادحاً له » ، كأنه أراد أن يكتب « ومدحه » .

كلام وقع بينه وبين أنى عبد الله بن خالويه فى مجلس سيف الدولة ، فضر به أبى خالويه بمفتاح . وكان دخوله إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، وخروجه منها إلى مصر الدفعة الثانية فى سنة ست وأربعين وثلاثمئة ، ^(١) وكان نزوله بحلب فى محلتنا المعروفة بأآدرنى كسرى [هكذا فى الأصل] . قال لى والدى : وكانت داره داراً هى الآن خانكاه سعد الدين كمشتكين ملاصقة لدارى .

٥ - وكان ابن خالويه مؤدّب ولدى الأمير سيف الدولة : أنى المكارم ، وأنى المعالى . فظفرت بجزء بخط ابن خالويه ذكر فيه ما يحفظه الأميران المذكوران ، فذكر أنواعاً من الفقه والأدب وأشعار العرب ، وقال فى جملتها : « ويحفظان من شعر الشاعر المعروف بالمتنبى كذا وكذا قصيدة » ، وعينها ، ولم يذكر أنهما يحفظان لغيره من العصرين شيئاً . وهذا يدل على عظم قدره وجلالة أمره فى ذلك الزمان .

٦ - روى عن أنى الطيب : القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملى ، وأبو الفتح عثمان بن جنى النحوى ، وأبو محمد الحسن بن على بن الصقر الكاتب ، وأبو الحسن على بن أيوب بن الحسين بن الساريان الكاتب ، ^(٢) والأستاذ أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه ، وأبو عبد الله / بن باكويه الشيرازى ، ^(٣) وأبو الحسن على بن عيسى الرعبي ، وأبو القاسم بن حسن الحمصي ، وعبد الصمد بن زهير بن

(١) انظر ص : ٥٨٣ ، والتعليق السالف رقم : ١ .

(٢) « الساريان » يقال لمن يحفظ الجمال فى مرعاها . قال الخطيب فى تاريخه (٣٥١ : ١١) « على بن أيوب ابن الحسين بن أيوب بن أستاذ ، أبو الحسن ، القمى الكاتب المعروف بابن الساريان سكن بغداد وذكر لنا أنه سمع من المتنبي ديوان شعره ، سوى القصائد الشيرازيات . فقرأت عليه جميع الديوان ، وكان رافضياً ، وكان يذكر أن مولده بشيراز فى سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، ومات ببغداد فى سنة ثلاثين وأربعمئة » . عجيبة !! إذا كان ما قاله هذا الرافضى صحيحاً ، فمتى سمع من المتنبي ديوانه ، وهو قتل سنة ٣٥٤ ؟

(٣) ترجمته فى الأنساب للسمعاني ٢ : ٥٥ ، والإكمال لابن ماكولا ١ : ١٦٦ ، والمشتبه للذهبي : ٤٤ ، وتبصير المتنبي لابن حجر : ٥٧ ، وتاج العروس (باك) ، ولباب الأنساب للسيوطى ١ : ٩١ ، وهو فى أكثرها : « أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن باكويه » ، وانفراد ابن حجر فى لسان الميزان (٥ : ٢٣٠) فقال : « محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن باكويه » ، توفى بعد عشرين وأربعمئة .

هارون بن أبي جَرادة ، ومحمد بن عبد الله بن سَعْدِ النَحْوِيّ الحليّان ، وعبد الله بن عبيد الله الصُّفْرِيّ الشاعر الحليّ ، وعبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الجُوع الورّاق المِصْرِيّ ، ^(١) وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن المَعْرِيّ ، وأبو بكر الطائِيّ ، وأبو القاسم النَّيْلَبُخْتِيّ ، وأبو محمد الحسن بن عمر بن إبراهيم ، وأبو العباس ابن الحَوْت ، ^(٢) وجماعة سواهم . [انظر ترجمة المقرئى رقم : ٣٢] .

٧ - أنبأنا تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن ، قال ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم على بن الحسن عمّى قال ، قال لنا هبة الله بن عبد الله بن أحمد الواسطيّ ، قال لنا أبو بكر الخطيب : « عِيدَان » بكسر العين ، والياء المعجمة باثنتين من تحتها ، هو والد أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ، كان يُعْرَفُ بعيْدان السَّقَاء .

...

٨ - أخبرني صديقنا أبو الثّر ياقوت بن عبد الله الرومى ، مولى الحَمَوِيّ ، أخبرني

٢٧ / البغدادِيّ قال : رأيت / ديوان أبي الطيب المتنبي بخط أبي الحسن على بن عيسى
٢٥٢/٢ الرِّعْيِيّ ، قال فى أوّله : « الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن مُرّة بن عبد الجبار الجُعْفِيّ ، وكان يكتم نسبه ، وسألته عن سبب طيّه ذلك فقال : إني أنزل دائماً بعشائر وقبائل من العرب ، ولا أحبُّ أن يعرفونى ، خيفة أن يكون لهم فى قومى بَرّة . وهذا الذى صح عندى من نسبه . قال : واجتزت أنا وأبو الحسن محمد بن عبيد الله السّلامى الشاعر على الجسر ببغداد ، وعليه من جملة السُّؤال رجل مكفوف . فقال لى السّلامى : هذا المكفوف أخو المتنبي ، ^(٣) فدنوت منه فسألته عن ذلك فصّدقه ،

(١) انظر ترجمة الربيعى رقم : ١٦ ، ١٧ ، وفيه صفة الديوان وصفة ورقه .

(٢) هكذا ضبط فى الأصل .

(٣) هذه أيضاً فائدة لم نجدها من قبل عند أحد . هكذا قلت فى الطبعة السالفة ، ثم وجدت فى تكملة تاريخ الطبرى للهمدانى (١ : ١٩٥) خيراً يذكره عن أبى الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوى ، وذكر المتنبي فقال فى آخر الخبر : « وكان أخوه ضريباً يتصدّق ببغداد ، وادّعى أنّه حُسَيْنِيّ ، ثم ادعى بـكَلْب أنه نَبِيّ ، فأشرف على القتل فاستتابوه . » [انظر ما سيأتى ص ٦١١ ، تعليق : ٣] ، ثم انظر شبيهاً بهذا الخبر ، عن أبى عمّ للمتنبي فى شأن نسبه ، فى ترجمة الربيعى رقم : ٢ .

وانتسب هذا النسب وقال : « من ها هنا أنقطع نسبنا » . وكان مولده بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمئة ، وأرضعته امرأة عَلَوِيَّة من آل عُبيد الله . ^(١) [الربيعي رقم : ١ ، ٢ / وابن عساكر رقم : ٣ / المقرئ رقم : ٥٠] .

٩ - « قال الربيعي : وقال لي المتنبي : « كنت أحب البطالة وصُحبة البادية ، ^(٢) / ٢٥٣/٢ وكان يذم أهل الكوفة ، لأنهم يضيقون على أنفسهم في كل شيء ، حتى في الأسماء فيتداعون بالألقاب ^(٢) = ولما لُقبتُ ثقل ذلك عليّ زماناً ، ثم ألفتُهُ » . ^(٣) »

١٠ - « وقال الربيعي : رأيت عنده بشيراز جزءاً من شعره بخط ابن أبي الجُوع الورّاق المصري ، ^(٤) وعليه بخط آخر : « المتنبي السلمي البغدادي » فقال : ما كفاه أن عزاني إلى غير بلدي ، حتى نسبني إلى غير أبي ! ^(٥) »

١١ - « قال : وما أظن أن أحداً صدق في رواية هذا الديوان صدق ؛ فإنني كنتُ أكاثره ونحن / بشيراز ، وربما أخذ عني من كلام أبي على النحوي ، وسمعت شعره

(١) هذا خبر الربيعي صاحب المتنبي ، الذي جاء فأيد قولي في « علوية » أبي الطيب ، وكنت استخرجت هذا القول استخراجاً من دراسة ديوانه ، بلا دليل قاطع في الرواية إلا ما رواه البغدادي في الخزانة عن الأصفهاني (انظر ما سلف : ١٦٧) من أن المتنبي ، « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة » . فالمتنبي إلا يكن علويًا كل العلوي ، فإنه أخوهم من الرضاع . و « آل عبيد الله » هم بنو : « عبيد الله بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومنهم العلوي الذي مدحه المتنبي صغيراً ، وهو الأشتر ، أو المشطب » أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن الحسين ، انظر ما سلف ص : ١٥١ تعليق : ١٥٣/٣ تعليق : ١٦٤/١ ، تعليق : ١٦٧/١ ، تعليق : ١٦٨/١ ، هذا ، وانظر الخبر مختصراً في ترجمة المقرئ الآتية رقم : ٢ ، وأنظر أصله في ترجمة الربيعي رقم : ١ .

(٢) ما بين الخططين (=) من كلام الربيعي معترضاً في كلام أبي الطيب .

(٣) وهذا أيضاً خبر جديد مهم جداً ، في سبب تلقيبه « المتنبي » ، وهو في ترجمة الربيعي رقم : ١ ، وكل أخبار الربيعي مهمة .

(٤) انظر ما سلف . رقم : ٦ ، ص : ٥٨٥ .

(٥) ترجمة الربيعي رقم : ١٤ ، ثم رقم : ١٧ فيه ذكر ديوان المتنبي بخط ابن أبي الجُوع .

يُقرأ عليه دَفْعَاتٍ ، ولم أقرأ عليه إلا العضديات والعميديات ، فإني قرأتها تكرمة لمن قيلت فيه ، ونقلتها بخطي من مُدرَج بخطه كان معه . (١) هذا آخر كلام الرَّبْعِيِّ .

...

أخبار

الخطيب البغدادي

٢٥٤/٢

١٢ - أخبرنا أبو اليُمْنِ زيد بن الحسن بن زَيْد الكندي ، فيما أذن لنا فيه ، قال ، أخبرنا أبو منصور بن زُرَيْق قال : قال لنا أبو بكر الخطيب : (٢) / أحمد بن الحسين بن عبد الصَّمَد أبو الطيب الجُعفي - المعروف بالمتنبي ، بلغني أنه ولد بالكوفة في سنة ثلاث وثلاثمئة ، ونشأ بالشام ، وأكثر المُقام بالبادية ، وطلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس ، وتعاطى قول الشعر من حدائته ، حتى بلغ فيه الغاية التي فاق [بها] أهل عصره ، وعلا شعراء وقته . واتصل بالأمر أي الحسن بن حَمْدان المعروف بسيف الدولة ، وانقطع إليه وأكثر القول في مديحه . ثم مضى إلى مصر فمدح بها كافور الخادم ، وأقام هناك مدة ، ثم خرج من مصر وورد العراق ، ودخل بغداد وجالس بها أهل الأدب ، وقرئ عليه ديوانه .

١٣ - فحدثني أحمد بن أبي جعفر القَطِيعي ، عن أبي أحمد عُبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفَرَضِي قال : لما ورد المتنبي بغداد سكن في رِبَض حُمَيْد ، فمضيت إلى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئاً من شعره ، فلم أصادفه ، فجلست أنتظره ، وأبطأ عليّ ، فانصرف من غير أن ألقاه ، ولم أعد إليه / بعد ذلك . وقد كان القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي يسمع منه ديوانه ورواه عنه . ٢٨

١٤ - قال الخطيب : أخبرنا علي بن المُحَسِّن التنوخي ، عن أبيه قال ، حدثني أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي الزيدي قال : (٣) كان المتنبي وهو صبي ينزل

(١) انظر ترجمة الربيعي رقم : ١٨ .

(٢) هذه الأخبار من رقم : ١٢ - إلى آخر رقم : ١٧ ، في كتاب تاريخ بغداد ، ٤ : ١٠٢ - ١٠٤ ،

ثم انظر تمامها هنا منذ رقم : ٢٣ .

(٣) خير أبي الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلوي ، مذكور أيضاً في تكملة تاريخ الطبري للهمداني الجزء الأول : ١٤٩ [بيروت ١٩٦١] ، وفيه بعد قوله : « فجاءنا بعد سنين بلوياً قحاً » ما يلي بنصه : « وكان لا يعترف بنسبه ، ويقول : متى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين قبيلة ، وكان أخوه =

في جوارى بالكوفة ، وكان يُعرَف أبوه بعِيدَان السَّقاء ، يستقى لنا ولأهل المحلة ، ونشأ هو محباً للعلم والأدب ، فطلبه ، وصحب الأعراب في البادية ، فجاءنا بعد سنين بدويًا قحًا ، وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرني / وراق كان يجلس إليه يوماً قال لي : ٢٥٥/٢ ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عِيدَان قَطُّ ! فقلت له : كيف ؟ فقال : كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي ، سمّاه الوراق ، وأنسيه أبو الحسن ، يكون نحو ثلاثين ورقة لبيعه ، قال : فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له الرجل : يا هذا أريد بيعه ، وقد قطعني عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر . ^(١) قال : فقال له ابن عِيدَان : فإن كنت قد حفظته في هذه المدة فما لي عليك ؟ قال : أهْبُ لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه علىّ إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كُفِّه وقام ، فعَلِقَ به صاحبه وطالبه بالثمن ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ، قد وهبته لي ! قال : فمنعناه منه وقتلنا له : أنت شَرَطْتَ على نفسك هذا للغلام ! فتركه عليه . ^(٢)

١٥ - وقال أبو الحسن : كان عِيدَان والد المتنبي يذكر أنه من جُفَعِي ، وكانت جَدَّة المتنبي هَمْدَانِيَّةً صحيحة النسب لا أشك فيها ، وكان جارِئنا ، وكانت من صُلَحَاء الكوفيات . [المقرئ رقم : ٤] .

١٦ - قال التنوخي ، قال أبي : فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين إلى الأهواز منصرفاً من فارس ، فذاكرته بأبي الحسن ، فقال : تَرِنِي وصديقي وجاري بالكوفة ! وأطراه ووصفه . وسألت المتنبي عن نسبه ، فما اعترف لي به ، وقال : أنا رجل أُخْبِطُ

= ضريباً يتصلّق ببغداد ، وأدعى أنه حُسَيْنِي ، ثم ادعى بكلب أنه نَبِيّ ، فأشرف على القتل . ثم استأبوه .
ومن أول قوله : « كان أخوه ضريباً يتصلّق » إلى آخر الكلام ، ليس من كلام أبي الحسن الزيدى العلوى بلا شك ، وهو زيادة من أخبار أخرى زادها الهمداني . وانظر ما سلف : ٦٠٩ ، تعليق : ٣ .

(١) في التاريخ : « فإن كنت تريد حفظه من هذه المدة [فبعيد ! فقال : إن كنت حفظته] فمالى عليك » .

(٢) انظر ترجمة المقرئ الآتية رقم : ٣ .

القبائل وأطوى البوادي وَحْدَى ، ومتى انتسبت / لم آمن أن يأخذنى بعض العرب
بطائلة بينها وبين القبيلة التى أنتسب إليها ، وما دُمْتُ غير منتسبٍ إلى أحدٍ ، فأنا
أُسَلِّم على جميعهم ويخافون لسانى . (١)

١٧ - قال : واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضى أبى الحسن
ابن أمّ شيبان الهاشمى الكوفى ، وجرى ذكر المتنبي فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة
شيخاً يسمى « عِيدَان » يَسْقَى على بعير له ، وكان « جُعْفِيّاً » صحيح النسب . (٢)
قال : وقد كان المتنبي لما خرج إلى كَلْب وأقام فيهم ، ادعى أنه عَلَوِيّ حَسَنِيّ ، (٣) ثم
ادّعى بعد ذلك التُّبُوَّةَ ، ثم عاد يدّعى أنه علوى ، إلى أن أُشْهِد عليه بالشام بالكذب
في الدعويين ، وحُجِس دهرًا طويلاً وأشرف على القتل ، ثم اسْتُتِيبَ ، وأُشْهِد عليه بالتوبة
وأُطْلِق . (٤)

...

أخبار ابن
أبى الجوع الوراق

٢٩

١٨ - قرأت بخط عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى الجوع
الوراق المصرى : سألت أبا الطيّب المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن / عن مولده
ومنشئه ، فقال : ولدت بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمئة في كِنْدَةَ ، ونشأت بها ، ودخلتُ
مدينة السلام ، ودرتُ الشام كلّ سَهْلَةٍ وَجَبَلَةٍ .

...

(١) الخبران : ١٥ ، ١٦ سيايان في ترجمة المقرئى رقم : ٤ .

(٢) إلى هنا من الخبر في ترجمة المقرئى الآتية برقم : ٥ .

(٣) انظر رقم : ١٤ ، والتعليق عليه ، وفيه عن أبى الحسن محمد بن يحيى الزيدى ، أنه ادعى أنه
« حُسَيْنِيّ » ، وهذا هو الصواب المحض .

(٤) سياى هذا الجزء من الخبر مختصراً في ترجمة المقرئى برقم : ٨ .

١٩ - أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادي في كتابه قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن علي بن علي بن نصر بن سعيد البصري قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل قال ، أخبرنا علي بن أيوب بن الحسين بن الساريان قال : ^(١) ولد أبو الطيب أحمد / بن الحسين بن الحسن المتنبي بالكوفة في محلة كندة ، سنة ثلاث وثلاثمئة ، وقال الشعر وهو صبي في المكتب .

٢٥٧/٢

٢٠ - وقرأت في بعض النسخ من شعره أن مولده قيل على التقريب لا على التحقيق . ^(٢)

٢١ - وقرأت في تاريخ أبي عبد الله محمد بن علي العظيمي الحلبي ، ^(٣) وأخبرنا به المؤيد بن محمد الطوسي إجازة عنه : قيل إنه ولد - يعني المتنبي - سنة إحدى وثلاثمئة ، والأول أصح والله أعلم .

٢٢ - أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الحموي ، قال : ذكر أبو الرّيحان محمد بن أحمد البيروني ، ونقلته من خطه : أن المتنبي لما ذكر في القصيدة التي أولها :
« كُفِّي أَرَأَيْي وَيْلِكَ لَوْمَكَ أَلْوَمَا »

.... النور الذي تظاهر لاهوتيّه في ممدوحه ، وقال :

« أَنَا مُبْصِرٌ وَأَظُنُّ أَنِّي حَالِمٌ »

ودار على الألسن ، قالوا : قد تجلّى لأبي الطيب رؤّه ! وبهذا وقع في السجن =
و « الوثاق » الذي ذكره في شعره :

(١) انظر ما سلف رقم : ٦ ، ص : ٥٨٤ .

(٢) الذي يقول : « قرأت » هو ابن العديم نفسه .

(٣) في المخطوطة « العظمي » ، غير منقوطة الطاء ، وهو « محمد بن علي بن محمد بن أحمد ، أبو عبد الله التنوخي الحلبي ، المعروف بالعظمي » ، وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي ، والتعليق عليه ، وذكره ابن العديم في تاريخ القدماء ، لأبي العلاء ، ص : ٥١٢ وحدث عنه .

« أَيَا حَدَّدَ اللَّهُ وَرَدَّ الْخُلُودِ »

/ ولم يذكر سبب لقبه - على صدقه ، وإنما وَجَّه له وَجْهاً ما ، كما حكى عنه
 أبو الفتح عثمان بن جنى أن سببه هو قوله :
 أَنَا فِي أُمَّةٍ تَذَارِكُهَا اللَّهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثُمُودٍ

وإنما هو أن الخيوط في رأسه كانت تُدِيرُهُ وتزعجه ، فتَحَيَّنَ غِيَّةَ سيف الدولة
 في بعض غزواته ، وقصد أعراب الشام ، واستغوى مقدار ألف رجل منهم ، واتصل
 خبیره بسيف الدولة ، فَكَّرَ راجعاً وعاجله ، ففترق عنه أصحابه ، وجرى به أسيراً ،
 فقال له : أنت النبي ؟ قال : بل أنا المتنبي ، حتى تطعموني وتسقوني ، فإذا فعلتم
 ذلك فأنا أحمد بن الحسين ! فَأَعْجِبَ بثبات جأشه وجرأته في جوابه ، وحقق دمه ،
 وألقاه في السجن بجمص ، إلى أن قرَّرَ عنده فضله ، فأطلقه واستخصَّه . ولما أكثروا
 ذكره بالنتبي تلقب به كيلاً يصير ذمّاً إذا احتشم أُخْفِيَ عنه ، وشتماً لا يُشَافَهُ به ،
 واستمر الأمر على ما تولى التلقب به . (١)

• قلت (٢) : قول أبي الريحان إنه تحين غيبة سيف الدولة في بعض غزواته ،
 إلى آخر ما ذكره ، ليس بصحيح ، فإن أهل الشام وغيرهم من الرواة لم ينقلوا أن
 المتنبي ظهر منه شيء من ذلك في أيام سيف الدولة ومملكته بحلب والشام ، ولا أنه
 حبسه منذ اتصل به ، وإنما كان ذلك في أيام لُؤْلُؤِ الإخشيدى أمير حمص .

٢٥٩/٢

٢٣ - / (٣) أخبرنا أبو اليُمْنِ زيد بن الحسن البغداديّ كتابةً قال ، أخبرنا
 أبو منصور بن زُرَيْقٍ قال ، أخبرنا أبو بكر الخطيب قال ، وأخبرنا علي بن الحسن

تابع أخبار
 الخطيب البغدادي

(١) في الأصل « التلقب به .

(٢) القائل هو ابن العديم ، في نقد هذا الخبر الغريب !!

(٣) هذه الأخبار من رقم : ٢٣ إلى آخر رقم : ٢٦ ، من تمام أخبار الخطيب في تاريخ بغداد ، والتي

ذكرها من رقم : ١٢ ، إلى رقم : ١٧ .

٣٠. التنوخي قال ، حدثنا أبي / قال ، حدثني أبو علي بن أبي حامد قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون ، وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك ، أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية ، فقاتله وأسره وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه في السجن دهرًا طويلاً ، فاعتلّ وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائب منه ، ولا يعاود مثله ، وأطلقه .

قال : وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه ، وكانوا يحكون له سُوراً كثيرة ، نسخت منها سورة ضاعت وبقي أولها في حفظي وهو : « والنجم السيار ، والفلك الدّوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، أمض على سنّيك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع بك زبغ من ألحد في دينه ، وضلّ عن سبيله » . قال : وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا . (١)

قال : وكان المتنبي إذا شوّغب في مجلس سيف الدولة ، ونحن إذ ذاك بحلب يُذكر له هذا القرآن وأمثاله مما كان يحكى عنه ، فينكره ويبحده .

/ قال : وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا أن الآخَر جاهلٌ ، لما رضى أن يدعى بالمتنبي ، لأن « متنبي » معناه كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال له : أنا لست أرضى أن أدعى بهذا ، وإنما يدعوني به من يريد الغضّ مني ، ولست أقدر على الامتناع . (٢)

٢٤ - قال الخطيب ، قال لنا التنوخي ، قال لي أبي : فأما أنا فإني سألته بالأهواز في سنة أربع وخمسين وثلاثمئة عند اجتيازه بها إلى فارس ، وفي حديث طويل جرى

(١) هذا من الخبر ذكره المقرئ في ترجمته الآتية برقم : ١٠ ، مختصراً .

(٢) هذا الجزء من الخبر ، في ترجمة المقرئ الآتية برقم : ١١ .

بيننا عن معنى « المتنبّي » ، لأنّي أردت أن أسمع منه هل تنبّي أم لا ؟ فأجابني بجواب مُعَالِطٍ لي ، وهو أن قال : هذا شيء كان في الحداثة أوجبته الصورة : فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أُسْتَفْصِيَ عَلَيْهِ ، وَأَمْسَكْتُ . (١)

٢٥ - وقال لي أبو علي بن أبي حامد ، قال لي أبي ونحن بحلب ، وقد سمع قوماً يحكون عن أبي الطيّب المتنبي هذه السورة التي قدّمنا ذكرها : لولا جهله ، أين قوله : « امضِ على سَنِّكَ » إلى آخر الكلام من قول الله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) ، [سورة الحجر : ٩٣ ، ٩٤] إلى آخر القصة ، وهل تتقارب الفصاحة فيهما أو يشتهبه الكلامان . (٢)

...

٢٦ - قرأت في نسخة وقعت إليّ من شعر أبي الطيّب المتنبي ذكر فيها عند قوله :

٢٦١/٢	خَفِيَّ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي	/ أبا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ ، إِنِّي
	نُحَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهْجِجِ الْجِسَامِ	ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَأَنَا
	وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْجِمَامِ	أُمِثْلِي تَأْخُذُ التَّكْبَاتِ مِنْهُ
	لَخَضْبُ شَعْرٍ مَفْرِقِهِ حُسَامِي	وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصًا
	وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي	وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي ،
٣١	فَوَيْلٌ لِلتَّيْقُظِ وَالْمَنَامِ	/ إِذَا أَمْتَلَأَتْ عَيُونُ الْخَيْلِ مَتَى ،

وقال ، قال أبو عبد الله مُعَاذُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ اللَّادِقِيُّ : قَدِمَ الْمُتَنَبِّي اللَّادِقِيَّةَ فِي سَنَةِ

(١) سيأتي هذا الخبر في ترجمة المقرئ في الآتية في رقم : ٨ بغير هذه الألفاظ والتعليق عليه هناك ، ثم انظر تكملة تاريخ الطبري للهمداني « الأول : ١٤٩ [بيروت : ١٩٦١] .

(٢) هذا الخبر في ترجمة المقرئ في الآتية برقم : ١٢ .

نَيْفٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثُمِئَةً ، وَهُوَ كَمَا عَذَّرَ ، ^(١) وَلَهُ وَفْرَةٌ إِلَى شَحْمَتِي أُذُنِيهِ ، وَضَوَى إِلَى فَاكْرُمَتِهِ وَعَظُمَتِهِ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَحُسْنِ سَمِيَّتِهِ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ الْأَنْسُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَخَلَوْتُ مَعَهُ فِي الْمَنْزِلِ اغْتِنَامًا لِمُشَاهَدَتِهِ وَاقْتِبَاسًا مِنْ أَدَبِهِ ، وَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ ، قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشَابٌّ حَظِيرٌ ، تَصْلُحُ لِمُنَادِمَةِ مُلِكٍ كَبِيرٍ . فَقَالَ لِي : وَيَحَكَ ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ أَنَا نَبِيُّ مُرْسَلٍ ! فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَهْزِلُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ أَنِّي لَمْ أَحْصِلْ عَلَيْهِ كَلِمَةً هَزَلٍ مِنْذُ عَرَفْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَقُولُ ؟ فَقَالَ : أَنَا نَبِيُّ مُرْسَلٍ . قُلْتُ لَهُ : مُرْسَلٌ إِلَى مَنْ ؟ قَالَ : إِلَى هَذِهِ الْأُمَةِ الضَّالَّةِ الْمَضَلَّةِ . قُلْتُ : تَفْعَلُ مَاذَا ؟ / قَالَ : أَمْلَأُهَا عَذْلًا كَمَا مُلِئْتُ جَوْرًا . قُلْتُ : بِمَاذَا ؟ قَالَ : بِإِذْرَارِ الْأَرْزَاقِ وَالثَّوَابِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ لِمَنْ أَطَاعَ وَأَتَى ، وَضَرْبِ الْأَغْنَاقِ وَقَطْعِ الْأَرْزَاقِ لِمَنْ عَصَى وَأَبَى . فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ أَخَافُ مِنْهُ عَلَيْكَ أَنْ يَظْهَرَ ! وَعَدَلْتُهُ عَلَى قَوْلِهِ ذَلِكَ ، قَالَ بِيَدَيْهَا :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ ، إِنِّي خَفِيْتُ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي

الْأَيَّاتِ ، فَقُلْتُ لَهُ ^(٢) : قَدْ ذَكَرْتَ أَنَّكَ نَبِيُّ مُرْسَلٌ إِلَى هَذِهِ الْأُمَةِ ؟ أَفِيُوحَى إِلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : فَاتْلُ عَلَيَّ شَيْعًا مِنَ الْوَحْيِ إِلَيْكَ ! فَاتَانِي بِكَلَامٍ مَا مَرُّ بِسَمْعِي أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : وَكَمْ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مِئَةٌ عِبرَةٍ وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ عِبرَةٍ . قُلْتُ : وَكَمْ الْعِبرَةُ ؟ فَاتَنَى بِمِقْدَارِ أَكْبَرِ الْآيِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ . قُلْتُ : فَاسْمَعْ فِي هَذِهِ الْعِبرِ أَنَّ لَكَ طَاعَةَ فِي السَّمَاءِ ، فَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أَحْبِسُ الْمَذَرَّارَ ، لِقَطْعِ أَرْزَاقِ الْعُصَاةِ وَالْفُجَّارِ . قُلْتُ : أَتَحْبِسُ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرَهَا ؟ قَالَ : إِي ، وَالَّذِي فَطَرَهَا ، أَفَمَا هِيَ مُعْجِزَةٌ ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ . قَالَ : فَإِنْ حَبَسْتُ عَنْ مَكَانٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا تَشْكُ فِيهِ ، هَلْ تُؤْمِنُ بِي وَتُصَدِّقُنِي عَلَى مَا أَتَيْتُ بِهِ مِنْ رَبِّي ؟ قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ . قَالَ : سَأَفْعَلُ ،

(١) هكذا وردت هنا ، وفي المقرئ رقم : ١٣ ، ولعل صوابها : « ولما يعثر » ، أي لم ينبت شعر عذاره ، وهو شعر خده ولحيته . وانظر الخير فيما سلف ص : ٢٠٠ ، وفيه : « وهو لا عذار له » .

(٢) في الأصل : « لم ذكرت » ، وعلى « لم » علامة (ص) ليدل على الخطأ .

ولا تسألني عن شيء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تُظهِر شيئاً من هذا الأمر حتى يَظْهَرَ ، وانتظر ما وُعِدْتُهُ من غير أن تسأله . فقال لي بعد أيام : أتحب أن تنظر إلى المعجزة التي جرى ذكرها ؟ قلت : / بلى والله . فقال لي : إذا أرسلت إليك أحد العبيد فاركب معه ولا تأخر ، ولا يخرج معك أحد . قلت : نعم . فلما كان بعد أيام تغيّمت السماء في يوم من أيام الشتاء ، وإذا عبده قد أقبل فقال : يقول لك مولاي ، أركب للوعد . فبادرت بالركوب معه ، وقلت : أين ركب مولاك ؟ فقال : إلى الصحراء ، ولم يخرج معه أحد غيري = واشتد وقع المطر ، فقال : بادِر بنا حتى نستكنّ معه من هذا المطر ، فإنه ينتظرنا بأعلى تل لا يصيبه فيه المطر . قلت : وكيف عمِل ؟ قال : أقبل ينظر إلى السماء / أول ما بدا السحاب الأسود وهو يتكلم بما لا أفهم ، ثم أخذ السوط فأدار به في موضع ستتنظر إليه من التل وهو يهمهم ، والمطر ممّا يليه ، ولا قطرة منه عليه ! فبادرت معه حتى نظرت إليه ، وإذا هو على تل على نصف فرسخ من البلد ، فأتيته وإذا هو عليه قائم ، ما عليه من ذلك المطر قطرة واحدة ، وقد خضت في الماء إلى ركبتي الفرس ، والمطر في أشد ما يكون . ونظرت إلى نحو مئتي ذراع في مثلها من ذلك التل يابس ما فيه ندى ولا قطرة مطر . فسلمت عليه ، فردّ عليّ وقال لي : ما ترى ؟ فقلت : أبسط يدك ، فإني أشهد أنك رسول الله ! فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ، ثم قال لي : ما قال هذا الخبيث لما دعا بك ؟ - يعني عبده - فشرحت له ما قال لي في الطريق لما استخبرته ، فقتل العبد ، وقال :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقَى ، أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقَى
وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ
مُحْتَقِرٌ فِي هِمَّتِي ، كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِ

/ وأخذت بيعته لأهلي ، ثم صحّ بعد ذلك أن البيعة عمّت كل مدينة بالشام ، ٢٦٤/٢ وذلك بأصغر حيلة تعلّمها من بعض العرب ، وهي « صدحة المطر » يصرفه بها عن أي مكان أحب بعد أن يحوي عليه بعضاً ، وينفث بالصدحة التي لهم ، وقد رأيت كثيراً

منهم بالسُّكُون ، وَحَضَرَمُوت ، والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاضمون ، حتى إن أَحَدَهُمْ يَصْدَحُ عَنْ غَنَمِهِ وَإِبِلِهِ وَيَقْرَهُ ، وعن الْقَرْيَةِ من الْقَرْى فلا يُصِيبُهَا من المطر قطرة ، ويكون المطر مما يلي (الصَّدْحَةُ) = وَهُوَ ضَرْبٌ من السُّحَر ، ورأيت لهم من السُّحَر ما هو أعظم من هذا . وسألت المتنبي بعد ذلك : هل دخلت السُّكُون ؟ قال : نعم ، ووالدى منها ، أما سمعت قولى :

أُمْنِسَى السُّكُونُ وَحَضَرَمُونَا وَوَالِدَتِي وَكِندَةَ وَالسَّيِّعَا

فقلت : مِنْ ثَمَّ استفاد ماجُوزَةً على طَعَامِ أَهْلِ الشَّامِ ! ^(١) وَجَرَتْ لَهُ أَشْيَاءُ بعد ذلك من الحروب والحبس ، والانتقال من موضع إلى موضع ، حتى حصل عند سيف الدولة وَعَلَا شَأْنُهُ .

• قلت : و « الصَّدْحَةُ » التى أشار إلى أنها تمنع المطر معروفة إلى زماننا هذا . وأخبرنى غير واحد ممن أثق به من أهل اليمن أنهم يصرفون المطر عن الإبل والغنم ، وعن زَرْعِ عُدُوِّهِ ، وإن رِعاءَ الإبل والغنم ببلادهم يستعملون ذلك ، وهو نوع من السحر .

...

٢٧ - وذكر أبو الحسن على بن محمد بن على بن فُورَجَةَ فى كتاب / « التجنّى » على ابن جتنى » قال : أخبرنى أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى ، عَمَّنْ أخبره من الكتابِ قال : كنتُ بالديوان فى بعض بلاد الشام ، فأُسْرِعَتِ المُدْيَةُ فى إصبع بعض الكتاب وهو يُبْرِى قَلَمَهُ ، وأبو الطيب حاضرٌ ، فقام إليه وَثَقَلَ عليه وأَمْسَكَهَا سَاعَةً بيده ، ثم أرسلها وقد أُنْدَمَلَتْ بدمها ، فجعل يُعَجِّبُ من ذلك ، ويُرى مَنْ حَضَرَ أَنَّ ذلك من مُعْجَزَاتِهِ . ^(٢)

(١) هذا الخبر رقم : ٢٦ ، إلى هنا فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ١٣ .

(٢) هذا الخبر فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ١٤ ، وقد رواه المعرى فى رسالة الغفران : ٣٥٥ ، بغير هذا

قال : وما كان يُمَخْرِقُ به على أبيات البادية ، أنه كان مَشَاءً قَوِيًّا على السير سِرًّا لا غَايَةَ بَعْدَهُ ، وكان عارفاً / بِالْقَلَوَاتِ ومواقع المياه ومحالِّ العَرَبِ بها ، فكان يسيِّرُ من جِلَّةٍ ٣٣ إلى جِلَّةٍ بالبادية في ليلة ، وبينهما مسيرةُ ثلاثٍ ، فيأْتِي ماءً ويغسِلُ يديه ووجْهَهُ ورجلَهُ ، ثم يَأْتِي أَهْلَ تلكِ الجِلَّةِ فيخبرها عن الحِلَّةِ التي فارقها ، ويُريهم أن الأرض طُوِيَتْ له . فلَمَّا عَلَتْ سِنُّهُ رَغِبَ عن ذلك وزَهَدَ فيه ، وأَقْبَلَ على الشَّعْرِ وقد وُسيِمَ بتلك السَّمَةِ .

...

٢٨ - أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن علي بن علي بن نصر بن سعيد قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى قال ، أخبرنا علي بن أيوب بن الحسين قال : أنشدنا أبو الطيب المتنبي لنفسه ، وكان قوم في صباه وشَوْوا به إلى السلطان / وتكذَّبوا عليه ، وقالوا له : قد أنقاد له خَلْقٌ من ٢٦٦/٢ العَرَبِ ، وقد عزم على أخذ بَلَدِكَ ! حتى أَوْحَشُوهُ منه ، فاعتقله وضيق عليه ، فكتب إليه يمدحُه :

أَيَا تَحَدَّدَ اللَّهُ وَرَدَّ الْخُدُودِ وَقَدْ قُلُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ
فَهُنَّ أَسْلَنَ دَمًا مُقْلَتِي ، وَعَذَبَنَ قَلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ

قال فيها في ذكر الممدوح :

رَمَى حَلْبًا بَنَوَاصِي الْخُيُولِ وَسُمِرَ يُرْقَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ
وَبِيضَ مُسَافِرَةٍ مَا يُقَمِّنَ ، لَا فِي الرُّقَابِ وَلَا فِي الْعُمُودِ
يَقْدَنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ
فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخَرَشْنِيَّ ، كَشَاءٍ أَحْسَنَ بَزَارِ الْأُسُودِ
يُرَوْنَ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَّاحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفَقَ الْبُنُودِ
فَمَنْ كَالْأَمِيرِ آبَنَ بِنْتَ الْأَمِيرِ ، أَمْ مَنْ كَأَبَائِهِ وَالْجُدُودِ
سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ ، وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهُودِ

أَمَّا لَكَ رَقِي ، وَمَنْ شَأْنُهُ هَبَاتُ اللَّجِينِ وَعِثْقُ الْعَبِيدِ
دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ، وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ
دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَأْنِي الْبَلَى ، وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْحَدِيدِ
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النَّعَالِ ، فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقِيُودِ
/ وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَخْفِلِ ، فَهَا أَنَا فِي مَخْفِلٍ مِنْ قُرُودِ
تُعْجَلُ فِي وَجُوبِ الْحُدُودِ ، وَحَدَى قَبْلَ وَجُوبِ السُّجُودِ
وَقِيلَ عَدَوْتُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، بَيْنَ وَلَا دِي وَبَيْنَ الْقُعُودِ !
فَمَا لَكَ تَقَبَّلُ زُورَ الْكَلَامِ ؟ وَقَدَّرَ الشَّهَادَةَ قَدْرُ الشُّهُودِ
فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَلَا تَعْبَانَنَّ بِمَحَلِ الْيَهُودِ
وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى « أَرَدْتُ » وَدَعْوَى « فَعَلْتُ » بِشَاوِ بَعِيدِ
وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جُدْتُ لِي بِنَفْسِي ، وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثُمُودِ

٢٦٧/٢

...

٢٩ - وذكر أبو منصور الثعالبي في اليتيمة عن ابن جني أنه قال : سمعت أبا الطيب يقول : إِنَّمَا لُقِّبْتُ بِالْمُتَنَبِّى لِقَوْلِي :

٣٤ / أَنَا فِي أُمَةٍ ، تَدَارَكَهَا اللَّهُ ، غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثُمُودِ
مَا مُقَامِي بِدَارِ نَحْلَةٍ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

٣٠ - أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال ، أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السَّمْعَانِي قال ، أنشدنا عمر بن محمد السَّرْحَسِيُّ قال ، أنشدنا الحسن بن علي الحافظ قال ، أنشدنا الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه قال ، أنشدنا المتنبي :

/ وَمِنْ تَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

٢٦٨/٢

٣١ - قال ، قيل للمتنبي : على مَنْ تَنَبَّأت ؟ قال : على الشعراء . فقليل : لكل نبي معجزة ، فما معجزتك ؟ قال : هذا البيت . [المقرئى رقم : ١٥] .

...

٣٢ - وقرأت فى رسالة على بن منصور الحلبي المعروف بِدَوْنَخْلَة ، ^(١) وهى التى كتبها إلى أبى العلاء بن سليمان ، وأجابه عنها برسالة الغفران ، وذمَّ فيها أبى الطيب المتنبي ، وقال : وذكر أبى أبى الأزهر والقَطْرُ بُلَى فى التاريخ الذى اجتماعا على تصنيفه : أن الوزير على بن عيسى أحضره إلى مجلسه فقال له : أنت أحمد المتنبي ؟ فقال : أنا أحمد التبي ، ولى علامة فى بطنى ، خاتم النبوة . وأراهم شبيهاً بالسُّلعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فَصْفَعَ وَقَيْدَ ، وأمر بحبسه فى المطبق . ^(٢)

• ثم طالعت التاريخ المشار إليه فقرأت فيه فى حوادث سنة اثنتين وثلاثمئة قال : وفيها جلس الوزير على بن عيسى للنظر فى المظالم ، وأحضر مجلسه المتنبي ، وكان محبوساً ليخلى سبيله ، فناظره بحضرة القضاة والفقهاء فقال : أنا أحمد النبي ، ولى علامة فى بطنى خاتم النبوة ، وكشف عن بطنه وأراهم شبيهاً بالسُّلعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فصفع مئة صفعه ، وضربه وقيده وأمر بحبسه فى المطبق .

• فبان لى أن أبى الحسن على بن منصور الحلبي ، رأى / فى تاريخ ابن أبى الأزهر والقَطْرُ بُلَى ذَكَرَ أحمد المتنبي فظنَّه أبى الطيب أحمد بن الحسين ، فوقع فى الغلط الفاحش لجهله بالتاريخ ، فإن هذه الواقعة مذكورة فى هذا التاريخ فى سنة اثنتين وثلاثمئة ، ولم يكن المتنبي وُلِدَ بَعْدُ ، فإن مولده على الصحيح فى سنة ثلاثٍ وثلاثمئة ، وقيل إن مولده

(١) نشرت هذه الرسالة الدكتور بنت الشاطىء فى أول الطبعة الثانية من رسالة الغفران ، وهذا الجزء الآتى هو فى ص : ٢٥ ، ٢٦ ، ولكن بغير هذا اللفظ الذى هنا .

(٢) سيأتى هذا الخبر فى ترجمة المقرئى رقم : ٩ .

سنة إحدى وثلاثمائة ، فيكون له من العمر سنة واحدة = وأبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطريلي ، ومحمد بن أبي الأزهر ماتا جميعاً قبل أن يترعرع المتنبي ويعرف .
[المقرئ رقم : ٩] .

وهذا المتنبي الذي أحضره علي بن عيسى هو رجل من أهل أصبهان تنبأ في أيام المقتدر يقال له : أحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني ، ووجدت ذكره هكذا منسوباً في كتاب عبيد الله بن أحمد بن طاهر الذي ذيل به كتاب أبيه في تاريخ بغداد .

...

٣٣ - أخبرني ياقوت بن عبد الله الحموي قال : وقع لي كتاب مصنف في أخبار أبي الطيب صغير الحجم تصنيف الأستاذ / أبي القاسم عبيد الله بن عبد الرحيم الأصبهاني ، (١) وذكر فيه ادعائه النبوة وقال فيه : وقد هجاه الشعراء بذلك ، فقال الضبُّ الضريُّ الشاميُّ فيه :

أُظْلِمْتُ ، يَا أَيُّهَا الشَّقِيُّ ، دَمَكْ لَا رَحِمَ اللَّهُ رُوحَ مَنْ رَحِمَكْ
أَقْسَمْتُ لَوْ أَقْسَمَ الْأَمِيرُ عَلَيَّ قَتَلَكِ قَتْلَ الْعِشَارِ مَا ظَلَمَكْ

٢٧٠/٢

ويروى « قَبْلَ الْعِشَاء » ، فأجابه المتنبي فقال :

إِيهَا أَتَاكَ الْجَمَامُ فَأَخْتَرَمَكَ غَيْرُ سَفِيهِ عَلَيْكَ مَنْ شَتَمَكَ
هَمُّكَ فِي أَمْرٍ ثَقُلْتُ فِي عَيْنِ دَوَاةٍ مِنْ صُلْبِهِ قَلَمَكَ
وَهَمَّتِي فِي أَنْتِصَاءٍ ذِي شَطَبٍ أَقْدُ يَوْمًا بِحَدِّهِ أَدَمَكَ
فَأَخْسَأُ كُلِّيًّا وَأَقْعُدُ عَلَى ذَنْبٍ ، وَأَطِلُ بِمَا بَيْنَ أَلَيْتِكَ فَمَكَ

(١) هكذا جاء اسمه هنا وفي ترجمته عند ابن عساكر الآتية برقم : ٣ ، أما في خزانة الأدب فقال : « أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » ، وكذلك أيضاً في كتابه الذي نشر في تونس سنة ١٩٥٥ باسم « الواضع في مشكلات شعر المتنبي » . ورواية ابن العديم من كتاب الأصفهاني أتم وأوضح من الموجود في كتابه المطبوع باسم « الواضع » في هذا الخبر ، والذي بعده . وهذا دال على أن المطبوع مختصر اختصاراً مخلاً في بعض الأحيان ، وهو في المطبوع ص : ٧ ، مع اختلاف .

قال : وهجاه شاعر آخر فقال ، وقيل هو الضُّبُّ أيضاً :

قد صَحَّ شِعْرُكَ وَالنُّبُوَّةُ لَمْ تَصِحَّ والقولُ بالصَّدقِ المَبِينِ يَتَضَخَّ
الزَّمْ مَقَالَ الشَّعْرِ تَحْظُ بِرُبِّيَّةٍ وعن التَّنْبِيِّ لَا أَبَالِكَ فَاتَزَخَّ
تُرْبِخَ دَمَا قَدْ كُنْتَ تُوجِبُ سَفْكَهُ ، إن المَمْتَعَ بالحياة لَمَنْ رِبَخَ

فأجابه بأبيات وهى :

نَارُ الدَّرَايَةِ مِنْ لِسَانِي تُفْتَدَخُ يَغْدُو عَلَى مِنَ التَّهْمَى مَا لَمْ تُرِخْ
بَخَّرَ لَوْ اغْتَرِفْتُ لُطَامَةً مُوجِهِ بالأَرْضِ والسَّبْعِ الطَّبَاقِ لَمَا تُرِخْ
أَمْرِي إِلَى ، فَإِنْ سَمَحْتُ بِمَهْجَةٍ كَرُمْتُ عَلَى ، فَإِنْ مِثْلِي مِنْ سَمَخِ

...

٣٤ - / أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رَوَاحَةَ ٢٧١/٢

الحموى ، وأبو يعقوب يوسف بن محمود السَّوَى الصُّوفى ، قالا ، أخبرنا أبو طاهر أحمد
ابن محمد بن أحمد السُّلْفَى إجازةً ، إن لم يكن سماعاً ، قال ، سمعت أبا عبد الله الحسين
ابن على بن همام الحُسَيْنَى الطالْقَانِى ببغداد يقول : هجا أبو عبد الله بن الحجاج أبا
الطيب المتنبي لما دخل بغدادَ بِمَقْطَعَاتٍ ، منها :

يَا دِيمَةَ الصَّفْعِ هُبِّى ، عَلَى قَفَا المتنْبِى
وَيَا قَفَاهُ تَقَلَّمْ ، تَعَالَ وَاجْلِسْ بِجَنبِى
وَيَا يَدَى فَاصْفَعِيهِ بِالتَّغْلِ حَتَّى تَدْبِى
إِنْ كَانَ هَذَا نَبِىً ، فَالْقِرْدُ لَا شَكَّ رَبِّى (١)

(١) « نَبِى » ، هكذا فى الأصل .

فلما بلغ أبا الطيب قال :

عارضَنِي كَلْبُ بَنِي دَارِمَ ، فَصُنْتُ مِنْهُ الْوَجَةَ وَالْعِرْضَا
وَلَمْ أَكَلِّمَهُ احْتِقَارًا بِهِ ، مَنْ ذَا يَعْصُ الْكَلْبَ إِنْ عَصَا
كَذَا رَوَاهُ السَّلْفِيُّ « هُبِّي » ، وَالْحَفُوظُ « صَبِي » .

...

٣٥ - وقال لي ياقوت الحموي : وذكر الأستاذ أبو القاسم عبّيد الله بن عبد الرحيم الأصبهاني في أخبار أبي الطيب ، ^(١) قال : وقد تعلّق قوم / ممن يتعصّب على المتنبي ، فانتزع من شعره أبياتاً زعم أنها تدلّ على فساد اعتقاد ، وقد جعل لها من يتعصّب له وجهاً ، منها :

هَوْنٌ عَلَى بَصْرِ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ ، فَإِنَّمَا يَقْطَاطُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ

٣٦ / قالوا : هذا البيت من اعتقاد السُوفسطائية ، وقوله في أخرى :

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلُ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ
فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالِيْنَ مَعْنَى سَوَى مَعْنَى آتِبَاهُكَ وَالْمَنَامِ

قالوا : فهذا ينبيء عن اعتقاد الحشيشية ، وقوله في أخرى :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَالْعُخْلَفُ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ : تَسْلُمُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً ، وَقِيلَ : تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ

قالوا : فهذا مذهب من يقول بالنفس الناطقة ، وقوله في عُضْدُ الدَّوْلَةِ :

نَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا ، فَمَا بَالُنَا نَعَاؤُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شَرِّهِ
تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهِ ، وَهَذِهِ الْأَجْسَادُ مِنْ تُرْبِهِ

(١) انظر التعليق السلف ص : ٦٠٠ : تعليق : ١ وهو في المطبوع ص : ٧ ، ٨ مع اختلاف ، والاختصار

في المطبوع واضح جدا .

فهذا مذهب الهوائية وأصحاب الفضاء ، وقوله في ابن العميد :

يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَخْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ
فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَذِيهُ فَهَذَا، وَإِلَّا فَالْهَدَى ذَا فَمَا الْمَهْدِيُّ !

٢٧٣/٢

/ قالوا فهذا مذهب أهل النجوم .

...

٣٦ - وقال لي ياقوت الحموي : نقلت من خط أبي الرِّيحَانِ مُحَمَّد بن أَحْمَد البَيْرُونِيّ في رسالة له سماها « التعلُّل بإجابة الوهم ، في معاني نظوم أولى الفضل » ، قال في أثناء كلام ذكره : ثم إن لي من أخلاقهم - يعنى الشعراء - أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ وَمَسَلَةٌ أَكِيدَةٌ ، بإمام الشعراء الذى طَرَّقَ لهم وَلَمَن بعده إلى طريقتة المخترعة في الشعر ، وخلفهم من معاني كلامه في بروق تخطف أبصارهم وبصائرهم « كُلُّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَتْوا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا » ، أُمِّي الطَّيِّبُ الْمُتَنَبِّى ، حتى إن أفاضل أهل زماننا كأحمد بن فارس يَحْسُدُهُ على مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَقُولُ : إِنَّهُ مَبْخُوثٌ ، وَإِلَّا (قَالَ لِي يَاقُوتُ : كَذَا رَأَيْتَهُ مَبْضَاً بِخَطِّهِ) وَيَقُولُ : سَأَلْتُ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ :

وَقَاوُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمَةٌ

فأجابني بأن المتنبي خرج من الدنيا بعد ستين سنة عاشها ، ولم يكن وقف على

معناه !

وكان أبو الطيب ، على ضيق عَطَنِهِ ، رفيع الهمة في صناعته ، فاقتصر لها في رحلته بمدح عُضْدِ الدَّوْلَةِ ووزيره آبن النعميد ، ورأوده الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيلُ بن عَبَّاد على التَّزَاوُرِ رَغْبَةً في مديحه ، فأبى الانحطاط إلى الكَتَبَةِ ، وهذا ما حمله على الخوض في مَسَاوِي شِعْرِهِ ، وليس يترفع عن حَلِّهِ وَنَثْوِهِ في أثناء / كتابته ، ومشاركة الخاتمي في إِدَامَةِ حَلِّ نَظْمِهِ في ٢٧٤/٢ رسائله ، بعد مقالته التى عملها فيه مُحَرِّضاً عَلَيْهِ وَمُتَنَادِراً بِهِ كَنُودَارِ الْمُخْتَنِّينِ = كما حمل

٣٧ مثله أبا محمد المهلبي مُستَوَزَّرَ بِمُخْتَارِ بْنِ مَعَزٍ الدَّوْلَةَ عَلَى إِغْرَاءِ سَفَهَاءِ بَغْدَادَ عَلَيْهِ ،
ومعاملته بالسُخْفِ الَّذِي أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ ، وَلَمْ يَزِدْ / فِي الْجَوَابِ عَلَى الْحَسَنِ ،
تَرْفَعًا وَتَنْزُهًُا وَاكْتِفَاءً مِنْ مَهَاجَاتِهِمْ ، عَلَى مَا فِي خِلَالِ شِعْرِهِ مِنْ مِثْلِهِ قَوْلُهُ :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَحُلُّوْ مِنْ الِهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

وذكر أبياتاً مثله ، وقال : ثُمَّ مَا يُذَرِّبُنِي هَلْ كَانَ فِي سَبَبِ الْفِتْكَ بِهِ مِنَ الْأَعْرَابِ
تُبْدُ مِنْ ذَلِكَ الْإِغْرَاءِ ، (١) فَالْقَائِلُ بِالشَّرِّ غَيْرُ مِبَالٍ أَيْضًا بِفَعْلِهِ ، وَخَاصَّةً عِنْدَ اسْتِنَاعِ
مَا كَانَ حَظِّي بِهِ لَدَى الْمَقْصُودِينَ مِنَ الْقَبُولِ وَالْإِقْبَالِ ، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى
شِيرَازَ : أَنَا لَا أَنْشُدُ مِثْلًا ! فَأَمَرُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ بِكَرْسِيِّ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ وَرَّاهُ ، أَنْشَدَهُ
قَائِمًا ، فَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ فَأَنَّى وَقَالَ : هَيْبَتُكَ تَمْنَعُ عَنْ ذَلِكَ ! فَوَقَعَ قَوْلُهُ وَفَعَلَهُ مِنْهُ أَحْسَنُ
الْمَوَاقِعِ . (٢) وَكَانَ الْمَهْلَبِيُّ مَعَ بِمُخْتَارِهِ يَنْكَرَانِ أَنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ فَعَلَ ذَلِكَ ، (٣) حَقًّا
وَجَهْلًا بِالْقَدَرِ .

قال : وَمَا يَغِيظُنِي حَقًّا ، قَوْمٌ مُتَسِيمُونَ بِالْفَضْلِ يَكَابِرُونَ عَقُولَهُمْ فِي أَمْرِهِ ،
٢٧٥/٢ / وَيَرْتَكِبُونَ فِي إِطْفَاءِ نَوْرِهِ ، (٤) كَشَمْسِ الْمَعَالَى قَابُوسٍ ، فَقَدْ كَانَ يَقُولُ : لَيْسَ لِلْمُتَنَبِّئِي
فِي دِيْوَانِهِ مَا يَسْتَوِي اسْتِمَاعًا إِلَّا أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَبْتَدِئُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ بِالْإِشَارَةِ
إِلَيْهَا ، وَكَانَ سَوْءُ خَلْقِهِ يَمْنَعُنِي مِنْ سَوَالِهِ عَنْهَا = وَكَأَنِّي الْفَتْحَ الْبُسْتِي فِي قَوْلِهِ :

سُئِلْتُ عَنِ الْمُتَنَبِّئِي فَقُلْتُ مَقَالَ أَمْرِيءَ [مُنْصِيفٍ] لَيْسَ يَغْلُو (٥)
لَهُ فِي مَوَاضِعِ فَصْلِ الْخِطَابِ ، وَسَائِرُ مَا قَالَهُ فَهُوَ فَسَلُ

(١) هذا هو نفس ما ذهبت إليه في مقتل أبي الطيب استظهاراً من الشعر والأخبار ، لا من نص منقول .
انظر ما سلف ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) سيأتي خبر عضد الدولة ، عند المقرئ في ترجمته برقم : ١٩ .

(٣) في الأصل : « يناكر أن عضد الدولة » .

(٤) كذا في الأصل ، ولعله « ويرتكبون الإثم في إطفاء نوره » كما يدل عليه آخر الخبر .

(٥) ما بين القوسين : زيادة مني ، ليقوم وزن البيت ، والشعر ليس في ديوان البستي المطبوع قديماً ، ولا في

قال : ولو كان قلبه فقال : إن مواضع منه فسئل ، وسائر ما قاله فصل خطاب ،
لكان أبعد عن الإثم ، وأقرب إلى الصدق والصواب .

...

٣٧ - وذكر ابن الصبائي في كتاب الوزراء : أن ابن العميد كان يجلس المتنبي في دسسته ، ويقعد بين يديه فيقرأ عليه الجمهرة لابن دريد ، لأن المتنبي كان يحفظها عن ظهر قلب .

٣٨ - وقرأت في بعض مطالعاتي أن المتنبي لما اجتاز بالرملة ومدح طاهر بن الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي ، أجلسه طاهر في الدست ، وجلس بين يديه حتى فرغ من مدحته .

٣٩ - / وقرأت في كتاب « نزهة عيون المشتاقين » لأبي الغنائم الرندي ، قال : ٢٧٦/٢
حدثني جماعة أن المتنبي لما مدح طاهر بن الحسن بن طاهر أجازته ألف دينار .

• قلت : والقصيدة التي مدحه بها هي القصيدة البائية التي أولها :

أَعْيِدُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاغِبِ ، وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ

...

٤٠ - وقال ابن فورجة في كتاب « التجنى على ابن جنى » : حدثني الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه بأصبهان ، وكان تربية ابن العميد ونديمه ، قال : حضرت مجلس ابن العميد بأرجان وقد دخل عليه أبو الطيب ، وكان يستعرض سيوفاً ، فلما بصر بأبي الطيب نهض من مجلسه وأجلسه في دسسته ، ثم قال لأبي الطيب : اختر سيفاً من هذه السيوف . فاختار منها واحداً ثقیلاً الحلي ، واختار ابن العميد آخر غيره ، فقال كل منهما : سيفي الذي اخترته أجود ! ثم اصطلحا على أن يجرباها ، فقال ابن العميد : فماذا / نجربهما ؟ فقال أبو الطيب : في الدنانير ، فيؤتي بها فينضد بعضها ٣٨

على بعض ، ثم تُضْرَبُ به ، فإن قَدْهَا فهو قاطع . فاستدعى ابن العميد بعشرين ديناراً ،
فَنُضِدت ، ثم ضربها أبو الطيب فَقَدْهَا وتفرقت في المجلس ، فقام من مجلسه المفحَّم
يلتقط الدنانير المتبددة في كُمِّه ، فقال ابن / العميد : ليلزم الشيخ مجلسه ، فإنَّ أحدَ
الخدَّام يلتقطها ويأتيه بها . فقال : بل صاحبُ الحاجة أولى بها !

قال ابن فُورَجَة : وكان رجلاً ذا هيئة ، مُرُّ النفس ، شجاعاً ، حَفَظَته للآداب ،
عفيفاً ، وكان يشين ذلك كُلِّه يُبْخِله .

٤١ - قرأت على ظهر نسخة قديمة من شعر المتنبي ما صورته : وحكى أبو
بكر الخوارزمي أن المتنبي كان قاعداً تحت قول الشاعر :

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللُّومِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى الْبُخْلِ الرَّجَالَ وَيُبْخُلُ

وإنما أعرب عن طريقته وعادته بقوله :

وُقُوفٌ شَحِيحٌ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَائِمَةٌ

قال : فحضرت عنده يوماً وقد أُحْضِرَ مَالٌ ، فَصَبَّ بين يديه من صلات سيف
الدولة على حصيرٍ قد افترشه ، فَوَزَنَ وأعيد في الكيس ، وتخلَّلت قطعة كأصغر ما تكون
خلال الحصير ، فأكبَّ عليه بمجامعه يعالج لاستنقاذاها منه ، ويشغل عن جلسائه ،
حتى توصَّلَ إلى إظهارِ بعضها ، وأنشد قول قيس بن الخطيم :

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ بَيْنَ غَمَامَةٍ ، بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ (١)

/ ثم استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها ، وقال : إنها تُخَضَّرُ المائدة . (٢)

٢٧٨/٢

...

(١) في هامش الأصل : « المعروف : تحت غمامة » .

(٢) انظر هذا الخبر في ترجمة ابن عساكر الآتية رقم : ٢٤ .

٤٢ - أنبأنا أحمد بن زاهر بن عبد الوهّاب البغدادي في كتابه ، عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال ، أخبرنا أبو غالب بن بشران إجازة قال ، أخبرنا محمد بن نصر الكاتب = قلت : ونقلته من خطه ببغداد = قال ، حدثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر البغّاء ، قال : كان أبو الطيب المتنبي يأنسُ لي ويشكو عندي سيف الدولة ، ويأمنني على غيبته له ، وكانت الحال بيني وبينه صافية عامرة دون باقي الشعراء ، وكان سيف الدولة يفتاظ من عظمته وتعاطيه ، ^(١) ويجفو عليه إذا كلمه ، والمتنبي يجيبه في أكثر الأوقات ويتغاضى في بعضها .

قال : وأذكر ليلة ، وقد استدعى سيف الدولة بذرة فشققها بسكين الدواة ، فمدّ أبو عبد الله بن خالويه النحويّ جانب طيلسانه ، وكان صوفاً أزرق ، فحشا فيه سيف الدولة صالحاً ، ومددت ذيل دراعتي ، وكانت ديباجاً ، فحشيتُ لي فيها ، ^(٢) وأبو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا أو يطلب شيئاً منها ، فما فعل ، فغاضه ذلك ، فنثرها كلها ، فلما رأى أنها قد فاتته ، زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيف الدولة ، فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته وطُروطه في حلقة ، واستحى ، ومضت به ليلة عظيمة ، / وانصرف ، فخاطب أبو عبد الله بن خالويه ٢٧٩/٢ / سيف الدولة في ذلك ، فقال : من يتعاطم تلك العظمة ، يتّضع إلى مثل هذه المنزلة ، ٣٩ لولا حماقته !

...

٤٣ - وما يحكي من بخله وشُحّه ما قرأته في تاريخ أبي غالب همام بن الفضل ابن المهذّب المعريّ - سيّره إلى بعض الشّراف بحلب - قال : وكان سيف الدولة قد أقطعه - يعني المتنبي - ضيعة تعرف ببصّف ، من ضياع معرة النعمان القبلية ، فكان

(١) هكذا في الأصل ، ولعلها « تعاليه » أو « تعاطمه » .

(٢) هكذا هنا ، ولعله « فحشا لي » كالأول .

يتردّد إليها ، وكان يوصف بالبخل ، فَمِمَّا ذَكَرَ عَنْهُ مَا حَدَّثُوهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَصْفٍ أَنْ كَلَبًا مِنْ كِلَابِ الضَّيْعَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِصَهْيَانٍ ، كَانَ يَطْرُقُ تَيْنَ بَصْفٍ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ ، فَقَالَ لِلنَّاطُورِ : إِذَا جَاءَ الْكَلْبُ فَعَرَّفْنِي بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ عَرَّفَهُ ، فَقَالَ : شَدُّوا عَلَى الْحَصَانِ . وَخَرَجَ إِلَيْهِ فَطَرَدَهُ أَمِيالًا ، ثُمَّ عَادَ لَا يَغْقُلُ مِنَ التَّعَبِ ، وَقَدْ عَرِقَ فَرَسُهُ ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ بَصْفٍ : يَا أَسْتَاذَ ، كَيْفَ جَرَى أَمْرُ الْكَلْبِ ؟ فَقَالَ : كَأَنَّهُ كَانَ فَارَسًا مَرَّةً ! إِنْ جِئْتَهُ بِالطَّعْنَةِ عَنِ الْيَمِينِ عَادَ إِلَى الشَّمَالِ ، وَإِنْ جِئْتَهُ مِنَ الشَّمَالِ عَادَ إِلَى الْيَمِينِ .

٤٤ - قَالَ أَبُو [غَالِب] هَمَامُ الْمَعَرِّيُّ : وَحَدَّثُوا عَنْهُ أَنَّ أَبَا الْبَهَاءِ بْنَ عَدِيٍّ ، شَيْخَ رَفِيقِيَّةٍ ، كَانَ صَدِيقًا لَهُ ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ بِبَصْفٍ ، فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : يَا أَبَا الْبَهَاءِ ، أَوْجِزْ فِي أَكْلِكَ ، فَإِنَّ الشَّمْعَةَ تَنْوِي . (١)

وسمعه يحاسب وكيلاً له وهو يقول : وَالْحَبَّتَانِ مَا فَعَلْتَا ؟ - يَعْنِي فِضَّةً .

...

٤٥ - / أَخْبَرَنِي يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمَوِيِّ قَالَ : قَرَأْتُ فِي أَخْبَارِ الْمُتَنَبِّيِّ تَصْنِيفَ أَبِي الْقَاسِمِ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الطَّرَائْفِيُّ بِبَغْدَادٍ أَنَّهُ قَالَ : (٢) رَأَيْتَ الْمُتَنَبِّيَّ وَقَدْ مَدَحَ رَجُلًا بِقَوْلِهِ :

انصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطَا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتًا
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحَلٌ وَذَا الْوَدَاعِ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا
فَأَعْطَى دُونَ الْخَمْسَةِ دِرَاهِمٍ وَقَبِلَهَا . (٣)

(١) توى (من باب سمع) يتوى : أى هلك وذهب ضياعاً ، والزيادة بين القوسين استظهار من الخبر

السالف .

(٢) انظر هذا الخبر وما بعده في كتاب « الواضح » للأصفهاني ، ص : ٩٠ ، ٩١ .

(٣) هذا الخبر سيأتي مبثوراً في ترجمة المقرئى برقم : ١٩ .

٤٦ - قال : وأخبرني الطرائفي ، قال ، حدثني المتنبي قال : أول يوم وصلت بالشعر إلى ما أردته ، أتى كنت بدمشق ، فمدحت أحد بني طُغْج بقصيدتي التي أولها :
 أيا لَأَيُّمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
 فأثابني المدوح بمئة دينار ، ثم أبيضت أيامي بعدها .

٤٧ - قال أبو القاسم بن عبد الرحيم ^(١) : واتصل بعد هذا بأبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حَمْدَانَ ، وَتَفَقَّ عليه نفاقاً تاماً ، فأجرى ذكره / عند ٢٨١/٢ سيف الدولة أبي الحسن علي بن حَمْدَانَ ، فأمر بإحضاره عنده ، فاشتط المتنبي عليه ، واشترط أن ينشده جالساً ، وأن لا يُكَلِّفَ تقبيل الأرض بين يديه ، فأجابه إلى ذلك ، وأنشده ، فصادف من سيف الدولة رجلاً قد غَدِيَ بالعلم وحُشِيَ بالفهم ، فأعجبه شعره ، واستخلصه لنفسه ، وأجزل عطاءه ، وأكرم مثواه ، ووصله بصلات كثيرة ، وسلمه إلى الرُّوَّاض فعلموه الفروسية ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات إلى بلد الروم ، منها « غزوة الفناء » / التي لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وأخذت عليه الروم ٤٠ الطرق ، فجزد السيف وحمل على العسكر وخرق الصفوف ونجا بنفسه .

...

٤٨ - قرأت بخط محمد بن علي بن نصر الكاتب من كتابه الموسوم بالمفاوضة ، وأخبرنا به أبو حفص عُمر بن محمد بن معمر بن طرزد وغيره ، إجازة عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، قال ، أنبأنا أبو غالب بن بشران قال ، أخبرنا ابن نصر قال ، حدثني أبو القاسم الرُّقِّي المتَّجِم عن سيف الدولة : أنه انهزم في بعض السنين ، وقد حُلَّتِ الصناديق عن بغاله في بعض دروب الروم ، وأنها ملأت الدروب ، وكان على فرس له يعرف بالثُّرَيَّا ، وأنه حَرَّكَ عليها نحو الفرسخ حتى نزل ، ولم يعثر ولم

(١) هذا الخبر غير موجود في كتاب « الواضح » للأصفهاني ، فالمطبوع مختصر .

يتلعم ، وأخبرني أنه بقى في هذه السفرة في تسعة أنفس أحدهم المتنبي ، وأنه كان يحدث أبا عبد الله بن خَالَوَيْهِ النَحْوِيَّ حديث الهزيمة ، وأن المتنبي كان يجرى بفرسه ، فَأَعْتَلَقَتْ بعمامته طاقةً من الشجر المعروف بأُمِّ غَيْلان ، فكلما جرى الفرس انتشرت / العمامة ، ٢٨٢/٢ وتخيّل المتنبي أنه قد ظُفِرَ به ، فكان يصيح : الأمان يا عِلْج ! قال : فهتفتُ به وقلت : أيُّما عِلْج !؟ هذه شجرة قد عَلِقَتْ بعمامتك ! فودَّ أن الأرض ساخت به وما سمعته يقول ذلك . فقال ابن خَالَوَيْهِ : أيها الأمير ، أفليس قام معك حتى بقى في تسعة أنفس ! تكفيه هذه الفضيلة !

٤٩ - وقرأت في مجموع بخط بعض الفضلاء : أنه لما فعل ذلك ، لحقه سيف الدولة وضحك منه وقال له : يا أبا الطيب ، أين قولك :
الحَيْلُ واللَّيْلُ والبَيْدَاءُ تُعْرِفُنِي والطَّعْنُ والضَّرْبُ والقِرْطَاسُ والقَلَمُ
ولم يزل يضحك منه بقية يومه في مُنْهَزِمِهِ .

...

٥٠ - أنبأنا أبو الحسن علي بن أبي عبد الله بن المقيّر ، عن أبي علي الحسن بن جعفر بن المتوكل البغدادي ، ونقلته من خطه ، قال ، حدثني الشيخ الإمام الفَصِيحِيُّ وقت قراءتي عليه ديوان أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبي ، وهو ابن عِيدَانَ السَّقَاءِ ، قال : قدم بعض الأشراف من الكوفة فدخل إلى مجلس فيه المتنبي ، فنهض الناس كلهم له سوى المتنبي ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال بالكوفة وما تجدد هناك ، فقال له المتنبي : يا شريف ، كيف خَلَقْتَ الأسعار بالكوفة ؟ فقال : كل راوية برطلين خبز . (١) / فأخجله . وقصد الشريف أن يعرّض بأن أباه كان سَقَاءً . (٢) ٢٨٣/٢

...

(١) « الراوية » : قرية السَقَاءِ .

(٢) الخبر في ترجمة المقرئ برقم : ٢٤ ، ثم انظر ما سيأتي رقم : ٦٨ ، ٨١ .

٥١ - ذكر ابن فُورَجَة في «التجني على ابن جنّي» وقال: وأما محله - يعني المتنبي - في العلم فقال الحسن بن علي بن الحلاب: سمعته يقول: من أراد أن يُقَرَّبَ عليّ بيتاً لا أعرفه فليفعل. قال: وهذه دعوى عظيمة، ولا ريب أنه صادق فيها.

٥١ م - وأخبرت عن أبي العلاء بن سليمان المعري أنه كان يسمّي المتنبي: «الشاعر»، ويسمّي غيره من الشعراء باسمه، / وكان يقول: ليس في شعره لفظة يمكن ٤١ أن يقوم عنها ما هو في معناها. (١)

٥٢ - وقرأت في بعض كلام أبي العلاء: قد عَلِمَ أن أحمد بن الحسين كان شديد التفقّد لما ينطق به من الكلام، يغيّر الكلمة بعد أن تُروى عنه، ويفرّ من الضرورة وإن جلب إليها الوزن.

٥٣ - سمعت شيخنا ضياء الدين الحسن بن عمرو الموصلي المعروف بآبن دُهن الحصا، يقول: كان أبو العلاء المعري يعظم المتنبي ويقول: إياي عنى بقوله: أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

٥٤ - أنبأنا أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السبّاك قال، أخبرنا / أبو بكر ٢٨٤/٢ محمد بن عبد الباقي الأنصاري إجازة، عن أبي علي التنوخي قال، حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الصقر الكاتب = رجلٌ من أهل مَعْلَنَائِيَا، (٢) وممن نشأ بالموصل، وكان أبوه عاملاً لسيف الدولة على أنطاكية، وهو من أهل الأدب = قال: جرى ذكر أبي الطيب المتنبي بين يدي أبي العباس الثّامي المصيصي، فقال لي الثّامي: كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي! قال، وقال لي في هذا المجلس: كنت أشتى أن أكون قد

(١) في الأصل: «أن يفرم عنها».

(٢) هكذا ضبطت في أصل ابن العديم، وضبطها ياقوت بفتح الميم وسكون العين وفتح اللام.

سبقته إلى معنيين قائلها ، ما سبق إليهما ، ولا أعلم أن أحداً (اخترعهما) قبله . (١)
فقلت : ما هما ؟ قال : أما أحدهما فقوله :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نَيْلٍ
والآخر قوله :

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونُ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبَصِّرُنَ بِالْأَذَانِ (٢)

٥٥ - أخبرني ياقوت بن عبد الله الحموي قال ، (٣) حكى لي بعض الفضلاء في المذاكرة ، قال : لما ورد المتنبي إلى شيراز مادحاً لعُضُدِ الدُّوَلَةِ ، كان يجتاز على مجلس أُنَى عَلِيٍّ ، وقد اجتمع إليه أعيان أهل العلم ، وكان زِيَّ المتنبي زياً عجيباً ، يلبس طُرُطُوراً طويلاً وقبَاءً ، ويعمل له عَذَبَةٌ طويلة تشبُّهاً بالأعراب ، فكان أبو علي يستقله ويكره زِيَّه ، ويجد في نفسه نفوراً منه ، وكان إذا / اجتاز عليهم يقول أبو علي لتلاميذه : إذا سلم عليكم فأوجزوا في الردِّ ، لئلاَّ يستأنس فيجلس إلينا . وكان أبو الفتح عُثْمَانُ بن جَتَّى يُعْجَبُ بشعره ويحب سماعه ، ولا يقدرُ على مراجعة شيخه فيه ، فقال أبو علي يوماً : هاتوا بيتاً تعربونه . فابتدر أبو الفتح فأنشد للمتنبي :

حُلِبَتْ دُونَ الْمَزَارِ ، فَالْيَوْمَ لَوْ زُرُ بَ لَحَالِ التُّحُولِ دُونَ الْعِنَاقِ

فقال أبو علي : أعد أعد ! فأعاده ، فقال : ويحك ، لمن هذا الشعر ، فإنه غريب المعنى ؟ قال : هو للذي يقول :

أَمْضَى إِرَادَتُهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌّ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَنَمَّ لَهُ هُنَا

(١) في الأصل : « أخبر عنهما قبله » .

(٢) الخبر مختصراً في ترجمة المقرئ برقم : ٢٥ .

(٣) انظر ترجمة ابن عساكر التالية رقم : ٢١ .

قال : فازداد أبو عليّ عجباً وقال : ما أعجب هذه المعاني وأغربها ! مَنْ / قائلها ؟ ٤٢

قال : الذي يقول :

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى مُضِرٌّ ، كَوَضَعَ السَّيْفُ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

قال : فاستخفّ أبا عليّ الطربُ ، وقال : ويحك ! من قائل هذا ؟ قال : الذي يقول . قال : = ونسي البيت الذي أنشده = قال : فقال أبو عليّ : أحسن والله ، وأطلت أنت ، من يكون هذا ؟ قال : هو صاحب الطرطور الذي يمرُّ بك فتستقله ولا تحبّ محاضرتَه . قال : ويحك ! أهذاك يقول هذا ؟! فقال : نعم . قال أبو عليّ : والله ما ظننت أن ذلك يأتي بخير أبداً ، إذا كان / في الغد ومرّ بنا فاسألوه أن يجلس إلينا لنسمع منه ، ٢٨٦/٢ فلما كان في الغد ومرّ بهم ، كلموه وسألوه النزول عندهم ، ففعل ، واستنشدَه أبو عليّ ، فملاً صدره وأحبه ، وعجب منه ومن فصاحته وسعة علمه ، فكلمَ عَصَدَ الدَّوْلَة فيه حتى أحسن إليه وضاعف جائزته .

• قلت : وهذه الحكاية لا يقبلها القلب ولا تكاد تثبت ، فإن أبا عليّ الفارسيّ كان يعرف المتنبي قبل أن يصيرَ بشيراز حين كانا بحلب ، وقد حكى أبو الفتح عثمان بن جنيّ ، عن أبي عليّ الفارسيّ في كتاب « القَسر » ، ما يشهد بخلاف ما تضمنته الحكاية = قال أبو عليّ : خرجت بحلب أريد دار سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس مثلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، فكدتُ أطرحُ نفسي من الدابة فرقاً ، فلماً قُرب مني ثنى السنان وحسّر لثامه ، فإذا المتنبي ، وأنشدني :

تَثَرْتُ رُؤُوساً بِالْأَحْيَدِ مِنْهُمْ كَمَا تُثَرَّتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت : ويحك قتلتنى يا رجل ! قال ابن جنيّ : فحكيت هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا عليّ بالثناء والتقريض بما يقال في مثله .

٥٦ - وجرى للمتنبي مع ابن خالويه مثل هذه الواقعة التي حكها أبو علي ،
 ٢٨٧/٢ فإنني نقلت من خط أبي الحسن علي بن مُرشد بن علي بن مقلد بن / نصر بن منقذ
 الكنانى المالكي ، من كتابه الموسوم « بالبداية والنهاية » في التاريخ قال فيه : حدثني أبي
 قال ، حدثني = وبَيَّضَ ، ولم يذكر من حدث أباه = قال ، حدثني ابن خالويه ، وكان
 نديماً ومجالساً لسيف الدولة ، قال : خرجت في بعض الأيام إلى ظاهر حلب ، فقعدت
 أطلع في كتاب وأنظر إلى قُويِّق ، فما رفعت رأسي إلا مِن وَقَع فرس ، فنظرت فإذا بفارس
 مسدّد نحوي رحمه ، فقلت : والله ما أعرف بيني وبين أحد من الناس ما يوجب هذا !
 ورأيت الفارس مثلثاً ، فلما دنا حطَّ لِثَامُهُ ، فإذا بأحمد بن الحسين المتنبي ، فسلم عليّ
 ، فرددت السلام وجاريت الحديث ، فقال : كيف رأيت قصيدتي التي أنشدتها أول أمسِ
 الأمير سيف الدولة ؟ فقلت : والله إنها لمليحةٌ ، وإن أولها لا يحتاج إلى تمام في قولك :
 عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ

وفيه كذا وكذا . فقال : ما رأيت إلا مليحاً ؟ والذي فيه ما سبقني إليه مَنْ
 ٤٣ أحسنَ فيه من ذكر « الدراهم » ، فإنها / لا تأتي في شعرٍ إلا بَرَدَتْه وضعفته ،
 إلا ما جاءني :

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَثْرَةَ كَمَا تُثَرَّتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

....

٥٧ - أخبرني أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن عليّ إذناً ، عن أبي الفتح
 محمد بن عبد الباقي البطي ، عن أبي نصر الحُمَيْدِي قال ، أخبرنا غُرْسُ النُّعْمَةِ محمد بن
 ٢٨٨/٢ هلال بن المُحَسِّن بن أبي إسحق الصَّالِي قال ، وحدثني ، / رضي الله عنه = يعني أباه
 هلال بن المحسن = قال ، حدثني أبو إسحق جدِّي ، تجاوز الله عنه ، قال : لما ورد أبو

الطيب أحمد بن الحسين المتنبي إلى بغداد متوجّهاً إلى حضرة الملك عُضُد الدَّولة بفارس ، أعدّه أبو محمد عشرة آلاف درهم وثياباً كثيرة ، مقطوعة وصباحاً ، وفرساً بمَرْكَبٍ ، ليعطيه ذلك عند مَدِيحِهِ له ، فَأَخَّرَ المتنبي من ذاك ما كان متوقعاً منه ، وحضر مجلس أبي محمد للسلام عليه الذي لم يخلط به غيره ، فغاض أبا محمد فَعَلُهُ ، وخاطبَتُ المتنبي على استعماله ما استعمل ، وتأخيره من خدمة الوزير ما أَخَّرَ ، فقال : لم تَجِرِ عادتي بمدح مَنْ لم يتقدّم له إلَيَّ جميلٌ . فقلت : إن الوزير شديد الشَّعْفِ بموردك ، معتقّد فيك الزيادة بك على أَمَلِك ، والامتناع من خدمته إلا بعد الاستسلاف لصلته غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ منك ، بل مُسْتَقْبَحٌ لك ! فقال : ليس إلى مخالفة عادتي سبيل ! واتَّصل ذلك بأبي محمد من غير جهتي ، فأكد غيظه وأظهر الإقلال به والاطّراح له ، وفرّق ما كان أعدّه على الشعراء ، وزادهم مُدَّةَ مُقام أبي الطيب من الإحسان والعطاء . وتوجّه أبو الطيب إلى شيراز ، ثم عاد منها ، فكانت وفاته في الطريق بين دير العاقول ومدينة السلام ، على ما شَرِحَ في أخباره . وقد كان أبو محمّد اعتقد أن يَقْطَعَهُ بالفعال الجميل والحباء الجزيل عن قصد شيراز ، فلما جرى أمره على ما جرى تَغَيَّرَتِ نِيَّتُهُ ، واستحالت تلك العزيمة منه .

• قلت : وهذا الوزير أبو محمد ، هو المُهَلَّبِيُّ .

٥٨ - قال ، وحدثني قال ، حدثني أبو عليّ والِدِي قال ، حدثني / أبو ٢٨٩/٢

إسحاق جَدِّي قال : راسلت أبا الطيب المتنبي في أن يمدحني بقصيدتين ، وأعطيته خمسة آلاف درهم ، ووسّطت بيني وبينه صديقاً له ولي ، فأعاد الجواب بأنني ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا من أوجب عليّ حقاً سواك ، وإن أنا مدحتك تنكّر لك الوزير أبو محمّد المهلبيّ ، لأنني لم أمدحه ، وجرى بيننا في ذلك

ما قد عرفته ، فإن كنت لا تُراعى هذه الحال ولا تبالِها فعلتُ ، ولم أُرِدْ منك عِوَضاً من مالٍ . قال : فنبهني والله إلى ما كان ذهب عني ، وعلمت أنه نصحتني ، فلم أعاوده . (١)

...

.....

(١) في هامش المخطوطة عند آخر هذا الخبر ما نصه : « بلغ ، بدر الدين عبد الواحد » ، أي بلغت من مراجعة النسخة عند هذا الموضع . وفي المخطوطة بعد هذا خرم مقداره ورقة واحدة ، هي الورقة : ٤٤ ، أشرنا إليه بهذه النقطة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقى

٥٩ / - وذكر على بن عيسى الرِّبْعِيُّ في كتاب « التنبيه » الذى ردَّ فيه على ابن جنى في كتاب « الفَسْر » ، قال : كنت يوماً عند المتنبي بشيراز ، فقليل له : أبو على الفارسيّ بالبَاب ، وكانت بينهما مودة ، فقال : بادروا إليه فأنزلوه ! فدخل عليه أبو على وأنا جالس عنده فقال : يا أبا الحسن ، خذ هذا الجزء = وأعطاني جزءاً من كتاب « التذكرة » ، وقال : اكتب عن الشيخ البيتين اللذين ذاكرتُك بهما ، وهما :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طَوْلِ مَا التَّشْمُوا مُرْدُ
يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا ، خِفَافٌ إِذَا دُعُوا ، كَثِيرٌ إِذَا شُدُّوا ، قَلِيلٌ إِذَا عُذُّوا

فهما مثبتان في التذكرة بخطي . قال : وهذا من فعل الشيخ أبى على الفارسيّ عظيم . (١)

قال الرِّبْعِيُّ : وكان قصيدُ أبى على الفارسيّ نفعه ، لا التأدُّب والتكثُّر ، وأياً قصد فهو كثير .

٦٠ - قرأتُ بخط يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الحَصْنَكْفِيِّ في تعليق

/ له : حكى أن السَّرِيَّ الرَّفَاءَ حين قصد سيفَ الدولة بن حمدان ، رحمه الله ، أنشده ٢٩١/٢
بديهاً بيتين ، هما :

(١) انظر هذا الخبر في ترجمة ابن عساكر الآتية رقم : ٢١ .

إِنِّي رَأَيْتُكَ جَالِساً فِي مَجْلِسِ قَعْدِ الْمُلُوكِ بِهِ لَدَيْكَ وَقَامُوا
فَكَأَنَّكَ الدَّهْرُ الْمُحِيطُ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ

ثم أنشده بعد ذلك ما كان قال فيه من الشعر ، وبعد يومين أو ثلاثة أنشده أبو
الطيب المتنبي :

أَيْدِرِي الدَّمْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا

إلى أن انتهى إلى قوله :

وَحَصْرُ تَثْبُتِ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقَا

قال : فقال السري : هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ! ثم إنه حُمَّ في الحال
وتحامل إلى منزله ، فمات بعد ثلاثة أيام .

• قلت : هكذا وجدته بخط الحَصْنَكْفِي ، والمتنبي فارق سيف الدولة في سنة
ست وأربعين وثلاثمئة ، والسري توفي بعد سنة ستين وثلاثمئة ببغداد - على ما نقله
الخطيب في تاريخه - وقيل سنة اثنتين وستين وثلاثمئة ، فعلى هذا لا يكون لهذه الحكاية
صحة . وقد نقل أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب السقطي في تاريخه المسمى « بَلَوَامِعِ
الْأُمُور » : أن السري توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمئة ، فعلى هذا تكون هذه الحكاية محتمة
الصحة ، بشرط / أن يكون موت السري بالشام ، ولم ينقل ذلك ، كيف ؟ وهو أن هذه ٢٩٢/٢
القصيدة من أول شعر أبي الطيب المتنبي في سيف الدولة ، والله أعلم .

٦١ - أخبرنا ياقوت بن عبد الله الحموي قال : وحَدَّثَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيُّ أَنَّ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ قَالَ بِأَصْبَهَانَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى الْإِنْشَاءِ :
بَلَّغْنِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ ، يَعْنِي الْمُنْتَبِيَّ ، قَدْ نَزَلَ بِأَرْجَانٍ مُتَوَجِّهاً إِلَى آيِنِ الْعَمِيدِ ، وَلَكِنْ إِنْ
جَاءَنِي خَرَجْتَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعٍ / مَا أَمْلِكُهُ ! وَكَانَ جَمِيعٌ مَا يَمْلِكُهُ لَا يَبْلُغُ ثَلَاثِمِئَةَ دِينَارٍ ، فَكُنَّا ٤٦
نَعُجِبُ مِنْ بُعْدِ هِمَّتِهِ وَسَمُوْهُ نَفْسَهُ . وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُنْتَبِيَّ ، فَلَمْ يَعْرِجْ عَلَيْهِ وَلَا التَفَتْ إِلَيْهِ ،
فَحَقَّقَهَا الصَّاحِبُ حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى إظهار عيوبه فِي كِتَابِ أَلْفِهِ لَمْ يَصْنَعْ فِيهِ شَيْئاً ، لِأَنَّهُ
أَخَذَ عَلَيْهِ مَوَاضِعَ تَحْمَلُ فِيهَا عَلَيْهِ .

٦٢ - أخبرني بعض أهل الأدب قال : وجدت في كتاب بعض الفضلاء ،
عن أبي القاسم عبد الصمد بن بابك قال ، قال أبو الفتح بن جني : كنت أقرأ ديوان
أبي الطيب عليه ، فقرأت قوله في كافور :

أُغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ ، والشُّوقُ أَغْلَبُ وأُعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، والوصلُ أَعْجَبُ
حتى بلغت إلى قوله :

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً وَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ
/ وَيَبِي مَا يَنْوُدُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنْ قَلْبِي يَا أَهْنَةَ الْقَوْمِ قُلْبُ

٢٩٣/٢

فقلت له : يعز علي ، كيف يكون هذا الشعر في مملوح غير سيف الدولة ؟
فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع ، ألسنتُ القائل فيه :

أَنَا الْجُودُ ، أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ، وَلَا تُعْطِ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

فهو الذي أعطاني لكافور ، بسوء تدبيره وقلة تمييزه . (١)

٦٣ - وأحضر إليَّ عمادُ الدين أبو القاسم علي بن القاسم بن علي بن الحسن
الدمشقي ، وقد قدم علينا حلب في رحلته إلى خراسان ، جزءاً فيه أخبارُ سيف الدولة بن
حمدان ، تأليف أبي الحسن علي بن الحسين الديلمي الزرّاد فنقلت منه : « وكان لسيف
الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته ، وكان يحضره أبو إبراهيم ، وابن
ماثل القاضي ، وأبو طالب البغدادي وغيرهم ، فوقع بين المتنبي وبين أبي عبد الله الحسين
ابن خالوته كلامٌ ، فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه ففتحه ،
وخرج دمه يسيل على ثيابه ، وغضب فمضى إلى مصر ، فامتدح كافوراً الإخشيدى » .

٦٤ - أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي ، عن أبي الحسن علي

(١) الخبر في ترجمة ابن عساكر رقم : ١٤ ، وفي ترجمة المقرئ الآتية برقم : ٢٦ .

٢٩٤/٢ ابن أحمد بن منصور الغسّائي ، وأبى الحسن على بن المسلم السُّلمى قالا ، / أخبرنا أبو نصر بن طلاب قال ، أُملى علينا أبو عبد الله المحسن بن علي بن كوجك ، وأخبرنا أن أباه حدثه قال : كنت بحضرة سيف الدولة ، وأبو الطيب اللُّغويّ ، والمتنبيّ ، وأبو عبد الله بن خالويه ، وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيّب اللُّغويّ ، والمتنبيّ ساكت ، فقال له الأمير سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيّب ! فتكلم فيها بما قوّى حجة أبي الطيب اللُّغويّ ، وأضعف قول ابن خالويه ، فَحَرِدَ منه ، وأخرج من كُمه مفتاح حديد لبيته ، ليلكم به المتنبيّ ، فقال له المتنبيّ : اسكت ويحك ! فإنك عَجَمِيّ ، وأصلك حُوزِيّ ، وصنعتك الحياكة ، فما لك وللعربية !

٦٥ - ودَفَعَ إلى بعض الشُّراف من أهل حلب كتاباً فيه تاريخُ جمعه أبو غالب همّام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذب المعريّ ، قال في حوادث سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة : وفيها وصل أبو الطيب المتنبي الشاعر إلى سيف الدولة ، ومدحه بالقصيدة الميمية :

وَفَاوَكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمَةٌ

بعد انصرافه من حصن بَرْزَوَيْهِ . وقال في حوادث سنة ست وأربعين وثلاثمئة : فيها سار المتنبيّ من الشام إلى مصر .

٦٦ - ووقع إلى أجزاء من تاريخ مختار الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المُسَبِّحِي ، فقرأت فيه قصيدة لأبي الطيب يرثي بها أبا بكر آبن طُغَيْج / الإخشيد ، ٢٩٥/٢ ويعزّي ابنه أونوجورَ بمصر ، في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة . (١) والقصيدة ليست في ٤٧ / ديوان شعره ، فقد كان أبو الطيب صعد إلى مصر مرة أخرى قبل هذه المرة التي ذكرناها ، (٢) وأوّل القصيدة :

(١) هذا خبر مهم لما فيه من تحديد التاريخ . وانظر ما سلف رقم : ٤ ، والمقريزي رقم : ١٧ .

(٢) انظر ما سلف رقم : ٤ ، ص : ٥٨٣ .

هُوَ الزَّمَانُ مُشِيتٌ بِالَّذِي جَمَعَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى مِنْ صَرْفِهِ بَدْعَا
 إِنْ شِئْتَ مِتْ أَسْفَا، أَوْ فَاتَّقِ مُصْطَبِرَا، قَدْ حَلَّ مَا كُنْتَ تَخْشَاهُ وَقَدْ وَقَعَا
 لَوْ كَانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مَنَعْتُهُ لَمْ يَصْنَعْ الدَّهْرُ بِالْإِخْشِيدِ مَا صَنَعَا
 وهى طويلة .

٦٧ - وقرأت فى كتاب أبى القاسم يحيى بن على الحضرمى الذى ذُكِّلَ به تاريخ أبى سعيد بن يونس، ^(١) وذكر فيه من دخل مصر من الغرباء فقال: أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفى الشاعر، أبو الطيب، يعرف بالمتنبى، رحل من مصر سرّاً من السلطان ليلة النحر سنة خمسين وثلاثمئة، ووجه الأستاذ كافر خلفه رواحلاً إلى جهات شتى فلم يُلْحَقْ .

٦٨ - أنشدنا على بن أحمد الماذرائى قال: كتب إلى أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فى حاجة كانت له إلى بالرملة :

٢٩٦/٢

/ إِنِّى سَأَلْتُكَ بِالَّذِى زَانَ الْإِمَامَةَ بِالْوَصِى
 وَأَبَانَ فى يَوْمِ الْعَدِى سِرَّ لِكُلِّ جَبَّارٍ غَوِى
 فَضَّلَ الْإِمَامَ عَلَيْهِمُو بَوْلَايَةَ الرَّبِّ الْعَلِى
 إِلَّا قَصَدْتَ لِحَاجَتِى وَأَعْنَتْ عَبْدَكَ يَا عَلِى

قال : وكان يتشيع، وقيل : كان ملحداً، والله أعلم . ^(٢)

• قلت : وسنذكر فى ترجمة طاهر بن الحسن بن طاهر حكاية عن الخالدين، تدل على أن المتنبي كان مخالفاً للشيعة . ^(٣)

(١) هو المؤرخ الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدقى المصرى، صاحب تاريخ مصر،

وتوفى سنة ٣٤٧ هـ .

(٢) هذه حكاية غريبة، وشعرها أغرب منها !!

(٣) وانظر ما سأتى رقم : ٨١، وما سلف رقم : ٥٠ .

٦٩ - أنبأنا أبو اليُمْن الكندي ، عن الشيخ أبي منصور مَوْهُوب بن أحمد بن الجواليقي قال ، قال عليُّ بنُ حمزة البصريُّ صاحبُ أبي الطيب المتنبى ، أو غيره ممن صحب المتنبى - شك فيه أبو منصور - قال : بلوت من أبي الطيب ثلاثَ خِلالٍ محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لَاطَ ، وبلوتُ منه ثلاثَ خِلالٍ ذميمة كلُّ الذم ، وتلك أنه ما صام ولا صلَّى ولا قرأ القرآن ، عفا الله عنا وعنه آمين .

٧٠ - وذكر ابنُ فورجةَ في كتاب « التجنّي على ابن جنى » ، عن أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سُلَيْمان المعري ، عن رجل من أهل الشام كان / يتوكل لأبي الطيب ٢٩٧/٢ في داره ، يعرف بأبي سعد = قال : وبقي إلى عهدنا = قال : دعاني أبو الطيب يوماً ونحن بحلب ، أظنّه قال : ولم أكن عرفت منه الميل إلى اللهو مع النساء ولا الغلمان ، فقال لي : رأيت الغلام ذا الأصداغ الجالس إلى حانوت كذا من السوق ؟ وكان غلاماً وسيماً فَحاشاً فيما هو بسبيله = فقلت : نعم ، وأعرفه . فقال : آمض فأتني به ، واتخذ دعوة وأنفق وأكثّر . فقلت : ولم قدر ما أنفقه ؟ فلم يزدني على قوله : « أنفق وأكثر » ، وكنت أستطلع رأيَه في جميع ما أنفق ، فمضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الأطعمة ، وصحفاتٍ من الحلوى ، واستدعيت الغلام فأجاب ، وأنا متعجب من جميع ما أسمع منه ، إذ لم تُجِر له عادة بمثله ، فعاد من / دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام ، وفُرِغ من اتخاذ الطعام ، فقال : قدّم ما يؤكل ، وواكِل ضيفك ! فقدّمتُ الطعام فأكلنا وأنا ثالثهما ، ثم أجنّ الليل ، فقدّمتُ شمعة ومِرْفَع دفاتره ، وكانت تلك عادته كل ليلة ، فقال : أحضِرْ لضيفك شرباً واقعد إلى جانبه فنادمه . ففعلت ما أمرني به ، كل ذلك وعينه إلى الدفتر يدرُس ولا يلتفت إلينا إلا في الحين بعد الحين ، فما شربنا إلا قليلاً حتى قال : افرش لضيفك وافرش لنفسك وبثّ ثالثنا . ولم أكن قبل ذلك أبأيته في بيته ، ففعلت ، وهو يدرس حتى مضى من الليل أكلوه ، ثم أوى إلى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : ما يصنع الضيف ؟ فقال : آخبه وأصرفه . فقلت له : ولم أعطيه ؟ فأطرق ساعة ثم قال : أنطه ثلاثمئة درهم . فتعجبت من ذلك ، ثم جسّرت نفسي فدنوت إليه وقلت :

إنه / ممن يُجيب بالشيء اليسير ! وأنت ، فلم تزل منه حظاً ! فقطّب ثم قال : أتظننى من هؤلاء الفسقة ؟ أنطه ثلاثمئة درهم ولنصرف راشداً . قال : ففعلت ما أمرنى به وصرفته . قال : وهذا من بديع أخباره ، ولولا قوة إسناده لما صدّقت به .

٧١ - أنبأنا أبو الحسن بن المقرئ ، عن أبي الفتح بن البطي ، عن أبي نصر الحميدى قال ، أخبرنى غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن أبى إسحاق الصائى قال ، حدثنى رضى الله عنه = يعنى والده هلال بن المحسن = قال ، حدث الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوى قال ، حدثنى أبو القاسم عبد العزيز ابن يوسف حكار قال : لما وصل أبو الطيب المتنبي إلى حضرة عضد الدولة فى أول مجلس شاهده فيه ، قال لى عضد الدولة : أخرج واستوقفه واسأله : كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم فى نفسه منّا ؟ قال : فأمثلت ما أمرنى به ، ولحقته وجلست معه وحادثته وطاولته ، وأطلت معه فى المعنى الذى ذكرته ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه منى أن قال : ما تحدّمت عيناى قلبى كاليوم ! فجاء بالجواب موزوناً ، واستوفى القول فى اختصار من اللفظ . (١)

٧٢ - قرأت فى مجموع صالح بن إبراهيم بن رشدين بخطه : قال لى أبو نصر ابن غياث التصرائى الكاتب : اعتلّ أبو الطيب المتنبي بمصر العلة التى وصّف الحمى فى أياته من القصيدة الميمية ، فكنت أواصل عيادته / وقضاء حقه فيها ، فلما توجه إلى الصلاح وأبل ، أغيب زيارته ثقة بصلاحه ، ولشغل قطعنى عنه ، فكتب إلى : « وصلتنى ، وصلك الله ، معتلاً ، وقطعتنى ميلاً ، فإن رأيت أن لا تحبب العلة إلى ، ولا تكثّر الصحة على ، فعلت إن شاء الله » . (٢)

(١) الخبر فى ترجمة ابن عساكر الآتية برقم : ٢٠ ، وفى ترجمة المقرئ الآتية برقم : ١٨ .

(٢) هذا الخبر فى ترجمة المقرئ الآتية برقم : ٢٧ .

٧٣ - ونقلت من هذا المجموع بخطه : ذكر لى أبو العباس بن الحوت الوراق - رحمه الله ^(١) : أن أبا الطيب المتنبي أنشده لنفسه هذين البيتين :

تَضَاكَ مَنَا دَهْرُنَا لَعِبًا بِنَا وَعَلَّمَنَا التَّمْوِيَةَ لَوْ نَتَعَلَّمُ
شَرِيفَ زُغَاوِيٍّ ، وَزَانٍ مُدَكَّرٍ ، وَأَعْمَشُ كَحَالٍ ، وَأَعْمَى مُنَجَّمُ ^(٢)

٧٤ - أنشدنا أبو حفص عمر بن على بن قشام الحلبي قراءة عليه بها ، قال ، أنشدنا الحافظ أبو بكر محمد بن على بن ياسر الجياني الحافظ قال ، أنشدنى أبو القاسم زاهر بن طاهر قال ، أخبرنا أبو الحسين البحيري ، قال أنشدنا محمد بن الحسين بن موسى السلمي قال ، أنشدنى محمد بن الحسين البغدادي قال ، أنشدنى المتنبي :

هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَّى وَعَعِيدًا
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا

٧٥ - / أخبرنى الشيخ الصالح أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان ٣٠٠/٢ الأسدئى قال ، أخبرنا محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الخطيب قال ، أخبرنا أبو بكر محمد بن منصور بن محمد السمعاني قال ، سمعتُ الشيخ أبا الحسن على ابن أحمد المديني قال ، سمعتُ أبا عبد الرحمن السلمي قال ، سمعت السيد أبا الحسين محمد بن أئى / إسماعيل العلوي يقول : دخل المتنبي على الأستاذ الرئيس أئى الفضل محمد ابن الحسين وبين يديه مجامر من آس ونرجس ، قد أخفى فيها مواضع النار ، لا تُرى النار وتُشم رائحة النَّدِّ ، فقال : يا أبا الطيب ، قل فيه شيئاً ! فأنشأ يقول :

(١) انظر ما سلف رقم : ٦ ، ص : ٥٨٥ ، تعليق : ١ .

(٢) هذا الخبر فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ٢٩ . « زغوى (بفتح الزاى وضمها) منسوب إلى « زغاة » ، وهى قبيلة من السودان ، فلذلك تعجب المتنبي . وانظر ما سأتى فى المقرئى : ٢٩ .

أَحَبُّ الَّذِي حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ الْمَعْطُسُ
وَنَشَرٌ مِنَ النَّدِّ ، لَكِنَّهُ مَجَامِرُهُ الْآسُ وَالْتَرَجَسُ
وَلَسْتُ أَرَى وَهَجاً هَاجَهُ ، فَهَلْ هَاجَهُ عِرْكَ الْأَقْعَسُ
وإنَّ الْفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَقْدَامَهَا الْأَرْؤُسُ (١)

٧٦ - أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادي في كتابه قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن علي بن علي بن نصر بن سعيد البصري قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل قال ، أخبرنا علي بن أيوب بن الحسين بن السَّاربان قال : وخرج ، يعني المتنبي ، من شيراز / لثمان خلون من شعبان قاصداً إلى ٣٠١/٢ بغداد ثم الكوفة ، حتى إذا بلغ دَيْرَ العاقول وخرج منه قَدْرَ ميلين ، خرج عليه فرسانٌ ورجالة من بني أسد وشيبان ، فقاتلهم مع غلامين من غلمانهِ ساعةً وقتلوه ، وقُتِلَ معه أحد الغلامين وهرب الآخر ، وأخذوا جميع ما كان معه ، وتبعهم ابنه المحسّد طلباً لَكُتْبِ أبيه ، فقتلوه أيضاً . وذلك كله يوم الاثنين لثاني بقين من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

٧٧ - أنبأنا زيد بن الحسن الكندي قال ، أخبرنا أبو منصور بن زُرَيْق قال ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : خرج المتنبي إلى فارس من بغداد فمدح عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، وأقام عنده مدةً مديدة ، ثم رجع يريد بغداد ، فقتل في الطريق بالقرب من النعمانية ، في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة . (٢)

٧٨ - وقرأت في تاريخ أبي محمد عبد الله بن أحمد الفَرْغَانِي : لما هرب المتنبي

(١) في الأصل : « الذي حوله » ، والفقام : الجماعات .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ١٠٥ .

الشاعر من مصرَ وصار إلى الكوفة فأقام بها ، وصار إلى ابن العميد فمدحه ، فقيل إنه صار إليه منه ثلاثون ألف دينار ، وقال له : تمضى إلى عضد الدولة ! فمضى من عنده إليه فمدحه ووصله بثلاثين ألف دينار ، وفارقه على أن يمضى إلى الكوفة ، يحملُ عِيَاله ويحیی معهم إليه ، وسار حتى وصل إلى النعمانية ، بإزاء قرية تقربُها يقول لها « بُثُورَى » ، (١) فوجد أثر خيل هناك ، فَتَسَمَّ خبرها ، فإذا خيل قد كمنّت له فصادفته لأنه قصدّها ، فطعنَ طَعْنَةً نُكِّسَ عن / فرسه ، فلما سقط إلى الأرض نزلوا فاحتزّوا رأسه ذبحاً ، وأخلّوا ما كان معه من المال وغيره ، وكان مذهبه أن يحمل ماله معه أين توجه ، وقُتِلَ ابنه معه ، وغلّامٌ من جملة خمسة غِلْمَةٍ كانوا معه ، وأن الغلام المقتول قاتل حتى قتل ، وكان قَتْلُ المتنبي يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

• قال الفرغاني : وحُدِّثت أنه لما نزل المنزل الذى رحل منه فقتل ، جاءه قوم خفراء فطلبوا منه / درهماً ليسيروا معه ، فمنعه الشَّحُّ والكِبَرُ ، فأندروا به ، فكان من أمره ما كان .

وقيل بأنهم لما طلبوا منه الخِفَارَةَ اعتذر في ذلك ، إذ قال لهم : لا أُكْذِبُ نفسى في قولى :

يُذِمُّ لِمُهَجَّتِي سَيِّئِي وَرُجْمِي

ففارقوه على سَخِطٍ وأندروا به ، وكان من أمره ما كان .

٧٩ - وقرأت في جُذَاذَةِ طِرْسٍ مطروح في النسخة التى وقعت إلى سَمَاعٍ جَدِّ

(١) انظر ما سيأتى في المقرئى رقم : ٢١ ، والتعليق عليه ، وما سيأتى هنا رقم : ٨١ .

جَدُّ أُنَى ، القاضي أُنَى الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن أُنَى جَرَادَةَ من شعر المتنبي ، (١)
 على محمد بن عبد الله بن سَعْد النحوى الحلبي ، وفيها مكتوب بغير خط النسخة :
 « المتنبي أبو الطيّب ، أحمد بن الحسين ، عاد من / شيراز من عند فَنَاحُسرو وابن
 العميد وزيره بأموال جزيلة ، فلما صار بالصّافية من أرض واسط ، وقع به جماعة من
 بنى أسد وغيرهم ، فقتلوه وخمس غلمان (كذا) كانوا معه وولده ، وسلبوا المال ،
 وذلك في شوال من سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، وكان المتوَلَّى لقتله رجل منهم يقال له
 فاتكُ بن أُنَى جهل ، وهو آبن خالَةِ ضَبَّة الذى هجاه المتنبي . وكان على شاطيء
 دجلة . (٢)

٨٠ - وسمعت والدى رحمه الله يقول لى : بلغنى أن المتنبي لما خرج عليه قُطَاع
 الطريق ومع آبنه وغلمانه ، أراد أن ينهزم ، فقال له ابنه : يا أبه : وأين قولك ؟ :

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْيَدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالطُّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فقال له : قتلتنى يا آبن اللُخَاء ، ثم ثبت وقاتل حتى قُتِل .

٨١ - سَيَّرَ إِلَى الشَّريف الأجل العالم تاجُ الشرف ، شَرَفُ الدين أبو عبد الله
 محمد بن عبد الرحمن بن على الحُسَيْنى ، جزءًا بخطه فى مقتل أُنَى الطيب كتب فيه
 ما نقلته ، وصورته : « نقلت من خط أُنَى بَكْرِ محمد بن هاشم الخالدي أحد الخالديين
 فى آخر النسخة التى بخطه من شعر أُنَى الطيب المتنبي ما هذه صورته :

(١) ابن العديم ، كاتب هذه الترجمة هو : « عمر بن أُنَى الحسن أحمد بن أُنَى غانم هبة الله بن محمد بن هبة الله

ابن القاضي أُنَى الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن أُنَى جرادة » .

(٢) هذا الخبر مذكور فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ٢٠ .

« ذكر مقتله »

٣٠٤/٢ / « كنا كتبنا إلى أئى نصر محمد بن المبارك الجبلى نساله شرح ذلك ، وهذا الرجل من وجوه الثناء بهذه الناحية ، ^(١) وله أدب وحرمة ، فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه : ^(٢) »

« وأما ما سألتما عنه من خبر مقتل أئى الطيب المتنبي رحمه الله ، فأنا أنسقه لكما وأشرحه شرحاً بيّناً :

أعلما أن مسيره كان من واسط فى يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة وقُتل ببَزْع ، ^(٣) ضيعة بقرب من دير العاقول ، فى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة . والذى تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجل من بنى أسد يقال له : « فاتك بن أئى الجهل بن فراس بن بداد » ، وكان من قوله لما قتله وهو مُنْعَفِر : قبحاً لهد اللّحية يا سبّاب ! وذلك أن فاتكاً هذا قرابة لوالدة ضبّة بن يزيد العينيّ الذى هجاه المتنبي بقوله :

ما أنصف القوم ضبّة وأمه الطرطُبة

٣٠٥/٢ ويقال : إن فاتكاً خال ضبّة ، وأن الحميّة داخلته لما سمع ذكرها بالقيح / فى الشعر ، وما للمتنبي شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً ، فكان على سخافته ٥١ وركاكته / سبب قتله وقتل ابنه ، وذهاب ماله .

(١) « الثناء » جمع « تانى » وهم المقيمون بالبلدة فى أرض العجم « وأصلهم منها .

(٢) سيأتى خبر مقتل المتنبي عن الخالدين مختصراً فى ترجمة المقرئى برقم : ٢١ .

(٣) انظر « بنورى » و « بنوزى » فيما سلف رقم : ٧٨ ، وما سيأتى فى المقرئى رقم : ٢١ ، وقد نقل هذا

ياقوت فى معجمه « يزع » .

• وأما شرح الخبر ، فإن فاتكاً كان صديقاً لى ، وكان كما سُمِّيَ « فاتكاً » ، لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال ، فلما سمع الشعر الذى هُجى به ضَبَّة أحفظه ذلك واشتد عليه ، ورجع على ضَبَّة باللوم وقال له : قد كان يجب أن لا تجعل لشاعرٍ عليك سبيلاً ! وأضمرَ غير ما أظهر ، واتَّصل به انصرافُ المتنبي من بلاد فارس إلى العراق ، وأنَّ اجتباره بِجَبَلٍ ودير العاقول . فلم يكن ينزل عن فرسه ، وجماعة معه من بنى عمه رأيهم فى المتنبي مثل رأيهِ ، فى طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد . وكان فاتك يتحرَّق خوفاً أن يفوته ، وكان كثيراً ما يجيئنى وينزل عندى ، فقلت له يوماً وقد جاءنى ، وهو يسأل قوماً مجتازين عنه : قد أكثرت المسألة عن هذا الرجل ، فأى شئ عَزَمْتُ أن تفعله به متى لقيته ؟ قال : ما عزمى إلا الجميل ، وأن أعذله على ما أفحش فيه من الهجاء . فقلت : هذا الأليق بأخلاقك والأشبه بأفعالك . فتضاحك ثم قال : يا أبا نصر ، والله لئن اكتحللت عيني به ، أو جمعتنى وإيَّاه بقعة ، لأسفكن دمه ، ولأُمَحِّقَنَّ حياته ، إلا أن يُحال بينى وبينه . فقلت له : كُفْ ، عافاك الله ، عن هذا القول ، وارجع إلى الله ، وأزِلْ هذا الرأى عن قلبك ، فإن الرجل شهير الاسم بعيدُ الصوت ، وقتلك إيَّاه فى شعر قاله لا يَحْسُن ، وقد هَجَّت الشعراء الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام ، فما علمنا أن شاعراً قُتِلَ بهجاء ، وقد قال الشاعر :

/ هَجَوْتُ زُهَيْراً ثُمَّ إِنِّ مَدَحْتُهُ وما زالتِ الأشرافُ تُهَجِّى وتُمدِّحُ

٣٠٦/٢

ولم يبلغ جرُّهُ ما يوجب قتله ! فقال : يفعل الله ما يشاء ! وانصرف ، فلم يمض لهذا القول إلا ثلاثة أيام حتى وافى المتنبي ومعه بغال مُوقَرٌ بكلِّ شئ من الذهب والفضة والثياب والطيب والجوهر والآلة ، لأنه كان إذا سافر لم يخلف فى منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يساوى درهماً واحداً فما فوقه ، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره ، لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً . قال : فتلقَّيته وأنزلته دارى وساءلته عن أخباره ؟ وعمن لقي ؟ وكيف وجَد من قَصَدَهُ ؟ فعرَّفنى من ذاك ما سُرِّرت به ، وأقبل يصف لى ابن العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمه ، وسماحة الملك فَنَاحُسُرو ورغبته فى الأدب وميله

إلى أهله . فلما أمسينا قلت له : على أى شئ أنت مُجمِع ؟ قال : على أن أتخذَ الليلَ
جَمَلاً ، فإن السير فيه يَخْفُفُ عليّ . قلت : هذا هو الصواب ! = رَجَاءُ أن يُخَفِّيه الليل ،
ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً بعيداً = والوجهُ أن يكون معك من رَجَالِه هذه المدينة الذين
يَخْبُرُونَ الطريق ويعرفون المواضع المخوفة فيه ، جماعةٌ يمشون بين يديك إلى بغداد . فقطَّب
وقال : ولم قلت هذا القول ؟ قلت : تستأنس بهم ! قال : أمّا والجُرَّازُ في عُقْقى ، فما لى
حاجة إلى مُؤنِسٍ غيره . قلت : الأمرُ كما تقول ، والرأى فى الذى أشرتُ به عليك .
فقال : تلويحك هذا يُنبئُ عن تعريض ، وتعريضُك يخبر عن تصريح ، فعرفنى الأمرُ وبين
لى الخَطْب . قلت : إن هذا الجاهل فاتكَا الأمدى ، كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو
مُحَفِّظٌ عليك لأنك هجوتَ أبَنَ أخته ، وقد تكلَّم بأشياء / توجب الاحتراس واليقظ ،
ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بنى عمِّه ، قولهم مثلُ قوله . قال غلامه ، وكان عاقلاً
ليبياً فارساً يسمع كلامنا = فقال : الصواب ما رآه أبو نصر ، خُذْ معك / عشرين رجلاً
يسرون بين يديك إلى بغداد . فاغتاز غيظاً شديداً وشتَمَ الغلام شتماً قبيحاً ، وقال :
والله لا تُحدِّث عَنِّي أنى سرت فى تخفارة أحد غير سيفي . قلت : يا هذا ، فأنا أوجَّه قوماً
من قبلى فى حاجة يسرون بمسيرك ويكونون فى خفارتك . قال : والله لا فعلت شيئاً من
هذا . ثم قال لى : يا أبا نصر ، أبخروُ الطير تُخَشِّينى ، ومن عبيد العصا تخاف عليّ ،
ووالله لو أنَّ مِخْصِرَتى هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد مُعْطِشُونَ لخمس ، وقد
نظروا إلى الماء كبطون الحيات ، ما جَسَرَ لهم خَفٌّ ولا ظِلْفٌ أن يَرِدَهُ ! حاش لله من فكر
أشغله بهم لحظة العين ! فقلت له : قل إن شاء الله . فقال : كلمةٌ مَقُولَةٌ لا تدفع
مَقْضِيّاً ، ولا تستجلب أُنْيَا ! ثم ركب فكان آخرَ العهد به .

قال : ولما صبح عندى خبر قتله ، وجَّهت مَنْ دَفَنه وابنه وغلامه ، وذهبت دماؤهم
هدراً . (١)

(١) خبر مقتل المتنبي هذا عن الخالدى زواه الربعى فى ترجمته رقم : ٧ .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً .

وكتب محمد بن هاشم الخالدي بالموصل في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة ، وهو يستغفر الله ويستقبله من كل ذنب وخطيئة عن عمد أو خطأ .

...

/ أما قوله : « أَبْخُرُّوَ الطَّيْرَ تَخْشِينِي ، وَمَنْ عَبِيدَ الْعَصَا تَخَافُ عَلَيَّ » ، فَإِنَّ بَنِي ٣٠٨/٢
أَسَدَ يَلْقَبُونَ « خُرُوءَ الطَّيْرِ » ، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

* قَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ خُرُوءَ الطَّيْرِ عَنْ أَرْبَابِهَا * (١)

وَيَلْقَبُونَ أَيْضاً « عَبِيدَ الْعَصَا » ، قَالَ الشَّاعِرُ - وَنَظْمُهُ أَمْرَأَ الْقَيْسِ أَيْضاً - :

* قَوْلًا لِلْوُدَّانِ عَبِيدَ الْعَصَا * (٢)

آخِرُ مَا كَانَ يَخْطُ أُمِّي بَكْرُ الْخَالِدِيِّ .

* مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ *

...

كَذَا فِي الْأَصْلِ قَدْ أَمَّ هَذَا الْبَيْتَ ، وَأُظُنُّ أَنَّهُ يَخْطُ أَخِيهِ أُمِّي عَثْمَانَ ، وَلَا أَحَقُّقَهُ .

٨٢ - أَخْبَرَنَا تَاجُ الْأَمْنَاءِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ كِتَابَةً قَالَ ، أَخْبَرَنَا عَمِّي

أَبُو الْقَاسِمِ ، عَنْ أُمِّي غَالِبِ شُجَاعِ بْنِ فَارِسِ بْنِ الْحُسَيْنِ الذُّهْلِيِّ قَالَ ، أَنْشَدَنِي الْحَكِيمُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيِّ النِّيسَابُورِيَّ ، لِأُمِّي الْقَاسِمِ الْمَظْفَرِ الرُّوزَنْيِّ الْكَاتِبِ ، (٣) يَرِثُ الْمَتَنِي :

(١) الشعر لدختوس بنت لقيط بن زُرَّارَةَ ، وَقَدْ مَضَى التَّعْلِيقُ عَلَيْهِ فِي تَرْجُمَةِ الرَّبْعِيِّ ، فِي آخِرِ الْخَبَرِ رَقْمُ :

(٢) مَضَى فِي آخِرِ الْخَبَرِ رَقْمُ : ٧ فِي تَرْجُمَةِ الرَّبْعِيِّ .

(٣) فِي الْهَامِشِ : (قُلْتُ : هُوَ الْمَظْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ) .

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان
 ما رأى الناس ثانی المتنبی أي ثان يرى ليكر الزمان
 / كان من نفسه الكبيرة في جيش ، وفي كبرياء ذى سلطان
 كان في لفظه نبيا ، ولكن ظهرت معجزاته في المعاني (١)

٨٣ - أنشدني نجيب الدين داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود الطيبي
 التاجر ، إملاء من لفظه بحلب قال ، أنشدني شمس الدين بن الوالى بالموصل ، لأخت
 المتنبي ترى أخاها المتنبي لما قُتل : (٢)

يا حازم الرأي إلا في تهجمه على المكاره غاب البذر في الطفل
 لنعم ما عاملك المرفقات به ونعم ما كنت توليها من العمل
 الأرض أم أصبناها بواحدنا فاسترجعته وردته إلى الحبل

...

(١) هو في ترجمة المقرئ الآتية برقم : ٣٣ .

(٢) خبر أخته هذا ، لم أجده إلا هنا ، وسيأتى في ترجمة المقرئ أيضاً رقم : ٣٤ .

٢ - ترجمة المتنبى لابن عساكر

(٣)

ترجمة المتنبي لابن عساكر
عن مخطوطة لكتاب « الإبانة » للعميدى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ « هذه نبذة من أخبار أبى الطيب المتنبي رحمه الله تعالى مما أورده ابن عساكر فى ٣١٣/٢

ترجمته » .

...

قال الشيخ الإمام الحافظ الثقة [ثِقَّة] الدين أبو القاسم على بن الحسن بن الحسين الدمشقى ، ابن عساكر ، فى حرف الألف .

١ - أحمد : هو ابن الحسين بن الحسن بن عبد الصّمد ، أبو الطيّب الجعفى الشاعر المشهور بالمتنبي ، قدم دمشق ومدح بها . روى عنه القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملى الفقيه .

٢ - وقال أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد [١٠٢ : ٤] : أحمد بن الحسين بن عبد الصّمد الشاعر المعروف بالمتنبي .

٣ - وقال الحسن المتطّيب : وظفرت بمختار صغير فى أخبار المتنبي قد اختاره ياقوت بن عبد الله العربى ، من مختار ألفه [ياقوت] بن عبد الله الرومى الأصل ، البغدادى المنشأ ، الحموى المولّد ، رحمه الله تعالى ، فنقلت منه ما يأتى ذكره : وهو أنه ذكر فى نسب المتنبي فقال : « وقال قوم : هو أحمد بن الحسين بن عبد الصّمد الجعفى . وقال أبو الحسن على بن عيسى الرّبعى النحوى : الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفى ، / وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة ، وأرضعته امرأة علوية من آل عبّيد [الله] . (١) »

(١) ما بين القوسين زيادة من ابن العديم ، انظر ترجمته الماضية رقم : ٨ .

٤ - وكان محظوظاً في حال حياته ، مازال معظماً عند الملوك ، وفي حال وفاته .
قد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحا كثيرة ، وهما [كذا] ضربان ، منهم من تكلم
على ديوانه أجمع ، ومنهم من تكلم على بعضه .

٥ - فمن تكلم على شعره أجمع ، فهو أول من شرحه : « ابن جنى » ، له
كتاب في شرح ديوانه وقد سماه « الفسر » = وكتاب « اللامع العزى » و « معجز
أحمد » أيضاً ، لأبى العلاء المعرى = وكتاب لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى =
وكتاب « الموضح » لأبى زكريا يحيى بن على التبريزى = وكتاب عبد القاهر الجرجانى =
وكتاب أبى منصور محمد بن عبد الجبار السمعانى = وكتاب أبى القاسم إبرهيم بن محمد
الإفليل = وكتاب أبى الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم = وكتاب الكمال عبد الرحمن
ابن محمد الأتبارى = وكتاب فى سركات المتنبي للحسن بن محمد بن وكيع وسماه
« المنصف » = وكتاب لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى = وكتاب لأبى اليُمن
زيد بن الحسن الكندى = وكتاب لعبد الواحد بن محمد بن على بن زكريا = وكتاب محمد
ابن على بن إبرهيم الهراسى الكافى = وكتاب أبى الحسن محمد بن عبد الله الدلقى ، عشر
مجلدات = وكتاب كمال الدين القاسم بن القاسم الواسطى = فهذه سبعة عشر شرحاً
مستوفاة لسائر ديوان المتنبي .

• وأما من تكلم عن أبيات منه مشكلة ، أو صنّف فيه مأخذاً ، فمنه :

٣١٥/٢ / كتاب « الوساطة » للقاضى [على] بن عبد العزيز الجرجانى = وكتاب أبى بكر محمد
ابن العباس الخوارزمى = وكتاب عبد الرحمن بن دُوست التيسابورى = وكتاب أبى
الفضل أحمد بن محمد العروضى = وكتاب « التجنى » ، على ابن جنى « لابن فورجة » =
وكتاب « الفتح على أبى الفتح » لابن فورجة أيضاً = وكتاب معانى أبياته لابن جنى =
وكتاب « التنبيه » لأبى الحسن على بن عيسى الرّبعى ، وقد ردّ فيه على ابن جنى = وكتاب
سعد بن محمد الوحيد ، وقد ردّ فيه على ابن جنى أيضاً = وكتاب لأبى القاسم عُبيد الله
ابن عبد الرحيم الأصفهاني = وكتاب الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر = وكتاب لأبى

عبد الله محمد بن جعفر القَزَّاز الفَيْرَوانِيّ = وكتاب أنى القاسم على بن جعفر بن القطاع
 = وكتاب الصاحب أنى القاسم إسماعيل بن عباد = وكتاب لأنى الحسن على بن
 عبد الرحمن الصَّقْلِيّ = وكتاب « قصائد المتنبي » للأعلم الشنتمري = وكتاب « نزهة
 الأديب ، فى سركات المتنبي من حبيب » ، لِحَسَنُونِ المِصرى = وكتاب « الانتصار
 المُنبِى ، عن شعر المتنبي » ، لأنى الحسن بن محمد المِغرى = وكتاب « التنبيه المنبى عن
 رذائل المتنبي » ، لأحمد المِغرى أيضاً = كتاب « بقية الانتصار ، المكثّر من الاختصار » ،
 للمِغرى أيضاً = وكتاب « الرسالة الحاتمية » ، لأنى الحسن محمد بن المظفر الحاتمي =
 وكتاب « جبهة الأدب » للحاتمي أيضاً = وكتاب « المآخذ الكِنْدِيّة ، من المعانى الطائِيّة »
 = وكتاب « الاستدراك على ابن الدهان » ، للوزير ضياء الدين بن الأثير الجزرى =
 وكتاب « الإبانة » للصاحب العَمِيدِيّ ، [الموجودة فيه هذه النسخة] .

٦ - / قال أبو عبد الله ياقوت الرُّومى الحموى : ولم نسمع بديوان شعر فى ٣١٦/٢
 الجاهلية ولا فى الإسلام شرح هكذا بهذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان ،
 ولا بتداول شعرٍ فى أمثال أو طُرْف أو غرائب على ألسنة الأدباء فى نظم أو نثرٍ أكثر من
 شعرِ المتنبي .

٧ - قال : وكان أبو العلاء المعرى إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس كذا ،
 قال البحتري كذا ، قال أبو تمام كذا . فإذا ذكر المتنبي قال : قال الشاعر كذا . ففيل له
 يوماً : لقد أسرفت فى وصفك المتنبي ، أليس هو القائل :

بَلَيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفَ شَجِيحِ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَائِمُهُ

كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يوماً . ففيل له : ومن أين
 علمت ذلك ؟ فقال : سليمان بن داود عليه السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يوماً .
 ففيل له : ومن أين تعلم أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى : (هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
 مِنْ بَعْدِي) ، وما عليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه ؟

٨ - قال أبو عبد الله ياقوت الرومي : قيل : كان المتنبي يوماً جالساً بواسطة وعنده ابنه المحسّد قائماً ، وجماعة يقرؤون عليه ، فدخل عليه بعض الناس فقال : أريد أن تُجيز لنا هذا البيت ، وهو :

٣١٧/٢

/ زَارَتْنَا فِي الظَّلَامِ يَطْلُبُ سِتْرًا فافتضحنا بِنُورِهِ فِي الظَّلَامِ
فرفع رأسه وقال : يا محسّد ، قد جاءك بالشّمال فأتته باليمين . فقال محسّد ارتجالاً ، وهو :

فالتجأنا إلى حنّادسٍ شعري سترتنا عن أعين اللّوأم

معنى قول المتنبي لولده : « جاءك بالشّمال فأتته باليمين » ، أى إن اليسرى لا يتم بها عمل ، وباليمين تتم الأعمال ، ومُراده أن المعنى يحتمل الزيادة فأوردّها ، وقد ألطف المتنبي في الإشارة ، وأحسن ولّده في الأخذ . قال وأنشده المتنبي مما ليس في ديوانه قوله :

وحبيب أخفوه مني نهاراً فتخفى وزارني في اكْتِسَامِ
زارني في الظلام يطلب سترًا فافتضحنا بِنُورِهِ فِي الظَّلَامِ

٩ - قال ياقوت الرومي : وقرأت في رسالة أبي الحسين علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح ، ويعرف بِدَوْحَلَة ، قال : كان أبو محمد بن وكيع التّيسّي مسماراً في بلده ، وكان متادباً ظريفاً ويقول الشعر ، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي وخاف عليه كثيراً ، وسألني يوماً أن أخرج معه إلى تُونَة لنشرب ، ^(١) فخرجت معه ، واستصحب مغنياً يعرف بابن ديار ، فلما غنى طرب ، فأمره ألا يغنيه إلا بشعره ، فغنى :

٣١٨/٢

لو كان كلّ غليل يزادُ مثلك حُسناً
/ لكان كلّ صَحِيح يودُّ لو كان مُضْتَبّي
يا أكمل الناس حُسناً صِلْ أكمل الناس حُزناً
غَيِّت عني ، ومالي وَجّة به عنك أغنى

(١) « تونة » ، جزيرة قرب تيسس ودمياط .

فقلت له : هل تنقل عليك المؤاخذة ؟ قال : [لا] . قلت : أبيتك مسروقة ،
الأول من قوله :

فلو كان المَرِيضُ يَزِيدُ حُسْنًا كما تَزْدَادُ أَنْتَ على السَّقَامِ
لَمَا عَيَّدَ المَرِيضُ إِذْنَ وَعُدَّتْ شِكَايَتُهُ من النِّعَمِ الجِسَامِ

والثاني من قول رؤبة :

مَسْلَمٌ ما أُنْسَاكَ ما حَيِّثُ لو أَشْرَبُ السُّلُوَانُ ما سَلِيثُ
ما بِي غِنَى عَنْكَ ، وإنْ غَنِيْتُ

فقال : والله ما سمعت بهذا ! فقلت : إذا كان الأمر على هذا ، فأعذر المتنبي على
مثله ، ولا تبادر إلى الخط عليه ولا المؤاخذة له .

١٠ - قال المصنف : وقرأت في بعض الكتب أنه لما خرج المتنبي بأرض
سَلَمِيَّة من عمل جَمُص في بني عدى الكلبيين ، قبض عليه ابن علي الهاشمي في ضيعة له
يقال لها « كَوْتُكَيْن » ، وأمر النجار فجعل في رجله قُرْمَةً وفي عنقه ، من خشب
الصفصاف ، فقال المتنبي :

زعم المَقِيمُ بكَوْتُكَيْنِ بَأْثَهُ مِنْ آلِ هاشِمٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ
فأَجَبْتَهُ : مُذْ صِرْتُ مِنْ أَتْنائِهِمْ صَارَتْ قُبُودُهُمْ من الصَّفْصَافِ

/ ولما أن صار معتقلاً في الحبس ، كتب إلى الوالي رحمه الله تعالى :

يَبْدَى أَيُّهَا الأميرُ الأَرِيبُ لا لِشَيْءٍ إلا لَأَنَّى غَرِيبُ
أو لِأَمٍّ لها إِذَا ذَكَرْتُشِي دَمُ قَلْبٍ بدمع عَيْنٍ سَكُوبُ
إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتُكَ أَخْطَا تْ ، فَإِنِّي على يَدَيْكَ أَتُوبُ
عائِبٌ عَائِبِي لَدَيْكَ ، ومنه خُلِقْتُ في ذَوِي العُيُوبِ العُيُوبُ

وقد تقدّم شعره الذي قاله في السجن للضَبِّ الضَرِيرِ (؟؟)

١١ - قال أبو عبد الله ياقوت الرومي : ولم يزل المتنبي بعد أن خرج من الاعتقال في حمول بالشام وضَعِفَ حاله ، يمدح الناس بعشرة دراهم فما دونها . واتفق أنه اتصل بأبي العشائر ، فأكرمهم وعرف منزلته ، وكان أبو العشائر يومئذ والى أنطاكية من جهة سيف الدولة بن حمدان . ولما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية قدّم المتنبي إليه وأثنى عليه عنده ، وعرفه منزلته من الشعر والأدب . وكان سيف الدولة كثير الميل إلى الشعراء والشعر ، فاشتراط عليه المتنبي - وذلك في أوّل اتصالٍ له به - أنه إذا أنشدته مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد ، وأنه لا يُكَلَّفُ تقبيل الأرض بين يديه ، فنسبوه إلى الجنون ، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط وتطلّع إلى ما يَرِدُ منه ، فلما أنشدته حَسُنَ موقعه عنده وقربه وأجازه الجوائز السنيّة ، وأقرّه على هذه الشروط مُدَّةَ بقائه عنده ، ومالت نفسه إليه وأحبّه ، فسَلَّمَه إلى الرُّوَّاض فعلموه شيئاً من الفروسية والطَّراد والمثاقفة . وحضر مع سيف الدولة غزواته إلى بلاد الروم ، / فكان مما شهدته « غزوة الفناء » ، و « غزوة المصيبة » . أما « غزوة المصيبة » ، فدخل سيف الدولة بلاد الروم في أربعين ألفاً فلم ينجُ معه إلا نفر يسير = وأما « غزوة الفناء » ، فهلك كل من معه ، وأخذت الروم عليه الطريق في الجبل ، وكان سيف الدولة مقداماً مجرّباً ، فجرّد السيف وحمل على العسكر ، فخرق الصفوف ونجا بنفسه في ستة أنفار ، المتنبي أحدهم ، فكانت منزلة المتنبي عند سيف الدولة مَكِينَةً ، بحيث أنه كان لا يصبر عنه سفيراً ولا حضراً .

١٢ - وحدث أبو الحسن علي بن الحسين الزَّراد الديلمي في كتاب ألفه في أخبار سيف الدولة بن حمدان : إنَّما كان سبب انصراف أبي الطيب عن سيف الدولة إلى مصر ، أنه كان لسيف الدولة مجلس يحضره أهل العلم عامة كل ليلة ، فيتكلمون بحضرته ويبحثون ويتناظرون ، فتَمَارَى في بعض الليالي المتنبي وأبنُ خالويه النحوي في شيء جرى بينهما بحضرة سيف الدولة ، فقام ابن خالويه وضرب وجه المتنبي بمفتاح كان في يده ، فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبي من ذلك ، إذ لم ينتصر له سيف الدولة قولاً ولا فعلاً ، فخرج من فوره إلى دمشق ، وقصد كافور بمصر .

١٣ - قال أبو منصور ، وحدثني جماعة من أهل الأدب : أن المتنبي عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره ، فقال : قد تجوّزت في قولي ، وأَغْفَيْتُ طبعي ، واغتنمتُ الراحة منذ فارقت بني حمدان ، وفيهم من يقول :

وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا لَأَقْتَهُ مَنَا قَبَائِلُ يَغْرُبُ وَيَنِي نِزَارِ
/ لَقَيْنَاهُمْ بِأَرْمَاحِ طَوَالٍ تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَارِ قِصَارِ

٣٢١/٢

يعنى أبا زهير بن مهلهل بن نصر بن حمدان ، وفيهم من يقول :
أَخَا الْفَوَارِسِ لَوْ رَأَيْتَ مَوَاقِفِي وَالْحَيْلُ مِنْ تَحْتِ الْفَوَارِسِ تَنْحَطُ
لَقَرَأْتُ مِنْهَا مَا تَخُطُّ يَدُ الْوَعَى وَالْبَيْضُ تَشْكُلُ وَالْأَسِنَّةُ تَنْقُطُ
يعنى أبا العشائر .

١٤ - وقال أبو الفتح بن جنى : كنت قرأت ديوان المتنبي عليه ، فلما وصلت إلى قوله :

أَغْلَبُ فِيكَ الشَّقُوقَ ، والشَّقُوقُ أَغْلَبُ وَأُعْجِبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، والوَصْلُ أَعْجَبُ
فلما انتهيت إلى قوله منها :

لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَنَاحًا لِرَاكِبٍ ! فَكُلْ بَعِيدَ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذِّبُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ
وَبِى مَا يَذُودُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ قُلْبُ
وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ ، إِذَا شَفْتُ مَذْحَهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ، تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا وَرَاءَهُ وَيَمِّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَغَرَّبُ

فقلت له : يعزُّ عليَّ كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ! فقال :
حَذَرْنَاهُ وَأَنْذَرْنَاهُ فَمَا نَفَعَ فِيهِ الْحَذَرُ ، أَلَسْتُ فِيهِ الْقَائِلُ :

/ أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

٣٢٢/٢

فهو الذى أعطانى لكافور بسوء تديروه وقلة تميزه .

١٥ - قال أبو عبد الله الرومى : وقرأت فى كتاب « المفاوضات » : حدثنى الحلبي المؤدب قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبنى العباس الثامى الشاعر المشهور ميلاً شديداً ، إلى أن جاءه المتنبي فمال عنه إليه ، فغاظ ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم ، خلأ به وعاتبه ، وقال : كم تُفضِّل علىَّ ابنَ عيدان السَّقاء !! فأمسك سيف الدولة ولم يجبه ، فلجَّ وألحَّ عليه وطالبه بالجواب ، فقال له : لأنك لا تحسن أن تقول :

يُؤودُ من كُلِّ فَتَحٍ غَيْرَ مُفْتَحِرٍ وقد أَعَدَّ إليه غَيْرَ مُحْتَفِلٍ

قال : فهض من بين يديه مغضباً ، واعتقد أن لا يمدحه أبداً .

١٦ - قال : وذكر الشيخ ابن الدَّهَّان سعيد بن المبارك فى كتابه الذى سماه « المآخذ الكندية ، فى المعانى الطائفة » : أنه قال أبو فراس لسيف الدولة : إن هذا المتشذِّق كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرِّق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره !! فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه . وكان المتنبي غائباً ، وبلغته القصَّة ، فدخل على سيف الدولة وأنشده :

/ أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا فَذَاكَ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا

٣٢٣/٢

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته ، فخرج من عنده متغيِّراً . وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا فى الواقعة فى حق المتنبي ، وانقطع المتنبي يعمل فى القصيدة الميمية التى أوَّها :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيمٌ

فأنشدها ، وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه ، فهم جماعة بقتله بحضرة سيف الدولة ، مما وجدوا من شدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه ، فلما وصل فى إنشاده إلى قوله :

يا أَعْدَلُ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي ، فَيَكُ الْخِصَامُ ، وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ
أُعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمَ

علم أبو فراس أنه يعنيه ، فقال : ومن أنت يا دَعِي كندة ، حتى تأخذ أعراض
أهل الأمير في مجلسه !! فاستمرَّ المتنبي في إنشاده ولم يردَّ عليه ، إلى أن قال :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَى وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

فزاد ذلك غيظاً في أبي فراس ، فلما وصل إلى قوله :

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تُعْرِفُنِي وَالطَّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرَاسُ وَالْقَلَمُ

/ قال أبو فراس : وما أبقيت للأمير ، إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة ٣٢٤/٢

والرياسة والسماحة ؟ أتمدح نفسك وتأخذ جوائز الأمير ؟ فقال المتنبي :

وَمَا انْتِفَاعُ أَيُّهِ الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ ، إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ

فغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة ، وكثرة دَعَاوِيهِ فيها ،

وضربه بالدواة التي بين يديه ، فقال المتنبي في الحال :

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ، فَمَا لِيُجْرَجَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ

فأعجب سيف الدولة هذا البيت ، ورضى عنه في الحال ، وأدناه إليه ، وقبل

رأسه ، وأجازه بألف دينار ، ثم أرففه بألف دينار أخرى ، فقال المتنبي :

جَاءَتْ دَنَانِيرُكَ مَخْتَوِمَةً عَاجِلَةً أَلْفًا عَلَى أَلْفٍ

أَشْبَهَهَا فِعْلُكَ فِي قَيْلَقٍ قَلْبَتُهُ صَفًّا عَلَى صَفٍّ

١٦ - وحدث عبد الصمد بن بابك قال : حضر المتنبي مجلس أبي أحمد بن

نصر البازيَر ، وزير سيف الدولة ، وهناك أبو عبد الله بن خالويه النحوي ، فتمارياً في

أشجع السُّلَمَى وأبي نواس البصري ، فقال ابن خالويه : أشجعُ أشعرُ إذ قال في هارون

الرشيد :

وَعَلَىٰ عَدُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ، ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْتُهُ ، وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سِيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

/ فقال المتنبي : لأنى نواس ما هو أحسن من هذا في [بنى] بَرَمَك حيث يقول :

٣٢٥/٢

لَمْ يَظْلِمِ الدَّهْرُ إِذْ تَوَالَتْ فِيهِمْ مُصِيبَاتُهُ دِرَاكَا
كَانُوا يُجِيرُونَ مَنْ يُعَادِي مِنْهُ ، فَعَاذَاهُمْ لِذَاكَ

١٧ - قال أبو عبد الله : وقرأت في سيرة بعض أهل الأدب أن أبا الطيب سأل كافوراً أن يؤليه صيداء من بلاد الساحل ، أو غيرها من نواحي الصعيد ، فقال له كافور : أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم القوت والمعين ، سمّت نفسك إلى النبوة ، فضلاً عن الملك والإمارة ، فإن أصبت ولايةً وصار لك أتباع ، فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بين المتنبي وكافور ، حتى إن كافوراً وضع عليه العيون والأرصاد خوفاً منه ، وأحسّ المتنبي بالشئ ، فكم أموره عنه ، ولم يزل في تستر من أموره ، وطال تحفظه على كافور ، واشتغل عنه ، فهرب المتنبي من مصر ، ولما أحس كافور بهربه ، بذل في طلبه الأموال وسرّح الطيور والخيول فلم يظفر به . ولما خلاص المتنبي إلى العراق هجأ كافوراً بقصائد كثيرة ، منها ما هو مثبت (؟؟) في ديوانه ، ومنها ما هو في الرواية التي هي مثبتة في ديوانه (؟؟) ، فمن ذلك قوله في قصيدة له :

أَبَا التَّنِّ ، كَمْ قَيْدَتْنِي بِمَوَاعِدٍ مَخَافَةَ نَظْمٍ لِلْفَوَادِ مُرَوِّعٍ
وَقَدَّرْتَ مِنْ فَرْطِ الْجَهَالَةِ أَنْتَنِي أَقِيمُ عَلَى كِذْبِ رَصِيفِ مُصَنِّعٍ
/ أَقِيمِ عَلَى عَيْدِ خَصِيٍّ مُنَافِقٍ لَبِيمُ رَدِيءِ الْفِعْلِ لِلْجُودِ مُدَّعِي
وَأَتْرَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ الرُّضَى كَرِيمَ الْحَيَا أَرْوَعاً وَأَبْنَ أَرْوَعٍ
فَتَنَى بِحُرِّهِ عَذْبٌ ، وَمَقْصِدُهُ غَنَى وَمَرْتَعٌ مَرَعَى جُودِهِ خَيْرَ مَرْتَعٍ
تَظَلُّ إِذَا مَا جِئْتَهُ الدَّهْرَ آمناً بِخَيْرِ مَكَانٍ بَلْ بِأَشْرِفِ مَوْضِعٍ

٣٢٦/٢

١٨ - قال أبو عبد الله : وتنازع ثُدَمَاءُ أَيْ الْفَضْلُ بْنُ الْعَمِيدِ فِي بَيْتِ الْمَتْنَبِيِّ :

وَبَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تُرْدُ فَضِيلَةً ، الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنْهَوْرًا

فقال أبو الفضل : أثبتوه حتى أتأمله ، فأثبت البيت ووضع بين يديه ، فأطرق ملياً يفكر فيه ، ثم قال : هذا يعطلنا عن المهم ، وما كان الرجل يدرى ما يقول ! قال أبو عبد الله : وكان ابن العميد كثير الانتقاد لشعر المتنبي ، لما أنشده القصيدة الأولى قال له : يا أبا الطيب أتقول :

بَادِ هَوَاكَ ، صَبَّرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَكَ ، إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

ثم تقول بعده :

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبًا لَمَّا رَأَهُ ، وَفِي الْحَشَا مَا لَا يَرَى

فسرعان ما نقضت ما ابتدأت به ! فقال : تلك حال وهذه حال ، وقد تختلف المقاصد .

٣٢٧/٢

/ وقال المتنبي من قصيدة مدح بها ابن العميد المذكور :

مَا كَفَانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ فِي عُلَاهُ حَتَّى ثَنَاهُ انْتِقَادُهُ

١٩ - وحدث محمد بن الحسن الخوارزمي قال : مررت بمحمد بن موسى الملقب بسبيويه الموسوس ، وهو على مسجد عفان وهو يقول : مدح الناس المتنبي حيث قال :

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

ولو قال : « ما من مُدَارَاتِهِ بُدُّ » ، لكان أحسن وأجود .

قال : واجتاز المتنبي بمسجد ابن عمر ، وبسبيويه الموسوس ، فوقف عليه وقال : أيها الشيخ ، كنت أحب أن أراك ! فقال له : رعاك الله وحياك . فقال له : بلغني أنك أنكرت عليّ قولي :

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

فما كان الصواب عندك ، فقال له : إن الصَّدَاقَةَ مشتقة من الصدق في المودَّة ، ولا يسمى الصديق صديقاً وهو كاذب في مودَّته ، فالصدَاقَةُ إذن ضد العداوة ، ولا موقع لها في هذا الموضع ، ولو قلت : (ما من مُداراته بُدٌّ) ، أو (مُداجاته) أو (مُحَاباته) ، لأصِبتُ ! وهذا رجل مُنَّا ، وكنتي عن نفسه ، قد قال :

أَتَانِي فِي قَمِيصِي اللَّأْذِ يَسْتَعِي عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ

/ فقال المتنبي : مع هذا غيره ؟ قال : نعم .

٣٢٨/٢

فَقُلْتُ لَهُ : مَتَى اسْتَعْمَلْتَ هَذَا ؟ لَقَدْ أَقْبَلْتُ فِي زِيٍّ عَجِيبٍ !
فَقَالَ : الشَّمْسُ أَهْدَتْ لِي قَمِيصاً مَلِيحَ اللَّوْنِ مِنْ نَسِيجِ الْمَغِيبِ
فتبسم المتنبي وانصرف ، وسيبويه يصيح : أَتَبَكَّمُ الرَّجُلُ وَجَلَالُ اللَّهِ !!

٢٠ - وحدث أبو القاسم عبد العزيز المعروف بالحكار = وكان كاتب الإنشاء بحضرة عضد الدولة عظيم المنزلة منه ، ثم وَرَرَ لابنه صمصام الدولة = قال : لما دخل المتنبي مجلس عضد الدولة وانصرف عنه ، أتبعه بعض جلسائه وقال له : سئل كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقبهم في نفسه منا ؟ قال : فامتثلت أمره ، وجاريت المتنبي في هذا الميدان ، وأطلت معه عنان القول ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه مني أنه قال : « مَا خَدَمْتُ عَيْنَيَّ قَلْبِي كَالْيَوْمِ » ، فجاء الجواب موزوناً ، وهو من مشطور السريع ، ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه . وكان ذلك من أكد الأسباب التي حَطَّيَ بها عنده ، [ابن العديم رقم : ٧١ / المقرئ رقم : ١٨] .

٢١ - قال أبو عبد الله : وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْمَتَنَبِيَّ لَمَّا وَرَدَ عَلَى عِضْدِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازِ اتَّفَقَ أَنْ أَبَا عَلَى الْفَارَسِيِّ بِهَا ، وَكَانَ مُرَّ الْمَتَنَبِيَّ عَلَى دَارِ أُنَى عَلَى دَارِ عِضْدِ الدَّوْلَةِ ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِ يَسْتَقْلِقُهُ أَبُو عَلَى وَيَذْمُهُ عَلَى قَبِيحِ زِيٍّ ، وَمَا يَأْخُذُ بِهِ نَفْسُهُ مِنَ الْكِبَرِيَاءِ وَالْحَمَقِ . وَكَانَ لَابْنُ جَنَى هَوَى فِي أُنَى الطَّيِّبِ ، كَثِيرُ الْإِعْجَابِ بِشَعْرِهِ لَا يَبَالِي بِأَحْذِ

يذمه أو يحط منه ، وكان يسوءه إطناب / أبى على فى ذمه ، فقال أبو على يوماً : اذكروا بيتاً
من الشعر نبحت فيه ، فبدأ ابن جنى وأنشد للمتنبي :

حُلَّتْ دُونَ الْمَزَارِ ، فَالْيَوْمَ لَوَزُرُ تَ لَحَالِ التُّحُولِ دُونَ الْعِنَاقِ

فاستحسنه أبو على واستعاده ، وقال : لمن هذا البيت فإنه غريب المعنى ؟ فقال
ابن جنى : للذى يقول :

أَزُورُكُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْتَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي

فقال : هذا والله حسن بديع جداً ، فلمن هما ؟ قال : للذى يقول :
أَمْضَى إِرَادَتُهُ ، فَسَوْفَ لَهُ قَدْ ، وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَتَمَّ لَهُ هُنَا

فكثرت إعجاب أبى على واستغرب معناه وقال : لمن هذا ؟ فقال ابن جنى : للذى
يقول :

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى مُضَرٌّ ، كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

فقال : حسن والله ، وقد أطلت يا أبا الفتح ، فأخبرنا من القائل ؟ قال : هو
الذى لا يزال الشيخ أيده الله يستقله ويستقبح زيّه وفعله ، وما علينا من القشور إذا
استقام اللب ؟ قال أبو على : ومن تعنى ؟ أمتنبي ؟ قلت : نعم . قال : والله لقد حببته
إلّى وعرفتني قدره ! وقام ودخل على عضد الدولة فأطال فى الثناء عليه ، ولما اجتاز به
استنزله واستنشدته وكتب عنه أبياتاً من شعره . (١)

٢١ - / وحكى الشيخ أبو الحسن على بن عيسى الرّبعى فى كتاب « التنبيه » ٣٣٠/٢

الذى ردّ فيه على ابن جنى فى كتاب « الفسر » قال : كنت يوماً عند المتنبي بشيراز ،
ف قيل له : أبو على الفارسى بالبواب ، وكانت بينهما مودة ، فقال بادروا إليه فأنزلوه ، فدخل

(١) انظر ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ٥٥ ، وانتقاده هذه الرواية ورفضها .

إليه أبو علي وأنا جالس عنده فقال : يا أبا الحسن خذ هذا الجزء = وأعطاني جزءاً من كتاب « التذكرة » وقال : اكتب عن الشيخ البيهقي اللذين ذكركت بهما وهما :
سَأَطْلُبُ حَقِّي بَالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا أَلْتَمُوا مُرْدُ
نِقَالٍ إِذَا لَاقَوْا ، خِفَافٌ إِذَا دُعُوا ، كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا ، قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا

فهما مثبتان في التذكرة بخطي ، وهذا من فعل الشيخ أبي علي عظيم . (١)

٢٢ - قال الرّبيعي : وحكي عن بعض من كان يأنس إليه الصاحب بن العميد (كذا) قال : دخلت يوماً إليه فوجدته واجماً ، وكانت قد ماتت أخته عن قريب ، فظننته حزناً لأجلها ، فأخذت أعزّيه وأسلّيه ، فقال : ويحك ، ما وجُومى لأجل ما ظننت ! قلت : فلا يُحزّن الله الوزير ، فما الخبر ؟ قال : إنه ليغيظني أمرُ هذا المتنبي ، واجتهادى في أن أُحْمِلَ ذكره ، وقد ورد على نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها كتاب إلا وقد صُدّر بقول المتنبي :

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ
/ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقْتُ بِالذَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي

٣٣١/٢

فكيف السبيل إلى ما اعتمدنا عليه في إخماد ذكره ؟ فقلت : القدر لا يُغالب ، والرجل ذو حظٍّ من إشاعة الذكر وشياع الاسم ، فالأولى ألا يُشتغل بما هذا سبيله .

٢٣ - قال أبو عبد الله : وجدت ديوان أبي الطيب بخط أبي بكر محمد بن هاشم أحد الخالدين ، وقد كتبه بيده في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة بالموصل ، قال فيه ، عند فراغه من مدائح سيف الدولة ، ما حكيتُه على وجهه حرفاً حرفاً :

« هذا آخر ما عمله المتنبي في مولانا الأمير أطلال الله تعالى بقاءه وكبت أعداءه ، وكنا شاهدناه في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة بمياً فارقين ، ومولانا أدام الله عزّه ، فعمل عدة أشعار وهو مقيمٌ بها ، أنشدنا منها :

* إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالتَّسْيِيبُ الْمُقَدَّمُ *

ومنها :

* أَيْقَدُحُ فِي الْحَيْمَةِ الْعُدْلُ * (١)

وغير ذلك ، وأنشدنا أيضاً مما عمله في مولانا أيده الله تعالى في غير ميّافارقين قصائد كثيرة في مجالس متفرقة ، وكل ذلك بحضرة مولانا أدام الله عزه . فعمماً أنشدنا قوله :

* وَفَاوَكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ *

٣٣٢/٢

/ ومنه :

* رُوَيْدُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ *

ومنه :

.....

ومنه : مرثية في والده مولانا أطال الله بقاءه ورضى عنها ونصّر وجهها ، التي أولها :

* نَعِدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي *

ومنه :

* غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ *

ومنه :

* عَوَازِلُ ذَاتِ الْحَالِ فِي حَوَاسِدُ *

ومنه :

* لِعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقِيَ *

ومنه :

* لَيْلَى بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ *

(١) في الأصل : « أَيْفَعُ » والصواب ما في الديوان .

ومنه :

* دُرُوعٌ لِمَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ *

ومنه :

* تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ *

/ ومنه :

٣٣٣/٢

* طَوَالَ قِنَا تَطَاعِنُهَا قِصَارُ *

« وغير ذلك مما كان ينشده سيّدنا أيده الله ونحن حضور . وأما غير هذا من شعره ، فإنه أنشدناه في مواضع كنا نجتمع فيها للمذاكرة عندنا وعنده . وكان ، رضى الله عنه وقتل قاتله ، محباً لنا ، مائلاً إلينا ، يكثر وصفنا وتقريظنا في مجلس مولانا سيف الدولة ، أدام الله تعالى تأييده ، وفي غيره . ولما افترقنا كان يكاثبنا بأخباره وحاجاته من مصر والكوفة وبغداد . وكان رحمه الله تعالى مُفْتَنّاً في علم اللغة والمعرفة بالشعر ، وما يشكل من معانيه وَيَدَقُّ من معرفته ، كثير الرواية ، جيد النقد .

« ولقد حكى بعض من كان يحسده أنه كان يضع من الشعراء المحدثين ، وَيُعْضُ منهم . وربما قال : أنشدوني لأبى تمامكم شيئاً حتى أعرف منزلته في الشعر . فتذاكرنا ليلة في مجلس مولانا أدام الله عزه بميافارقين وهو معنا ، فأنشد أحدنا لمولانا أيده الله شعراً له فيه ، قد أَلَمَ فيه بمعنى لأبى تمام ، فاستحسنه مولانا أدام الله تعالى تأييده ، واستجاده واستعادَه . فقال المتنبي ، وكان ذلك في أوّل ليلة التقينا به : نعم هذا يشبه قول أبى تمام ، وأتى بالبيت المأخوذ منه المعنى ، فقلنا : قد سُررنا يا أبا الطيب لأبى تمام إذ عرفت شعره ! فقال : يا إخوتي ، أو يجوز للأديب أن لا يعرف أبا تمام ويروى شعره ، وهو أستاذ كُلِّ مَنْ قال الشعر بعده ؟! فقلنا : إن إنساناً ذَكَرَ أنك تقول كيت وكيت ، فأنكر ذلك وحَلَفَ مجتهداً أن هذا شيء ما نطق به قط ، وما زال بعد ذلك / إذا التقينا ينشدنا بدائع أبى تمام ٣٣٤/٢ ويتعجب منها ، وكان يروى شعره بأسره أو أكثره . »

• وهذا الخبر نقلته من خط الخالدي حرفاً حرفاً؟ وهو ردٌ على أبي الحسن المغربي والحاتمي وغيرهما ، فإنهم آدعوا أن المتنبي كان [ينتقص أبا تمام] ، ويرى نفسه فوقه بكثير .

٢٤ - قال أبو علي محمد بن أحمد بن فُورجة : كان المتنبي رجلاً داهية ، مُرَّ النَّفس شجاعاً عاليَّ الهمة ، حُفْظَةً للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه ويُسْقِطُه إلا بخله وشرهه على المال ، فحدثني المؤيد أبو البركات بن أبي الفرج المعروف بابن زيد التكريتي الشاعر قال :

بلغني أنه قيل للمتنبي : قد شاع عنك من البخل ما قد صار سَمَراً للرفاق ، وأنت تمدح في شعرك الكرم وأهله ، وتذمُّ البخل وأهله ! ومعلوم أن البخل قبيحٌ ، ومنك أقبحٌ ، لأنك تتعاطى كِبَر النفس وعلوَّ الهمة وطلبُ الملك ، والبُخل ينافي سائر ذلك ! فقال : إنَّ لبُخْلِي سبباً ، وذلك أننى أذكر وقد وردتُ في صباى من الكوفة إلى بغداد ، فأخذت خمسة دراهم في جانب مندلي ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دُكَّانٍ يبيع الفاكهة ، ^(١) فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة ، فاستحسنتها ونويتُ أن أشتريها بالخمسة دراهم التي معي ، فتقدَّمت إليه وقلت : بكم تبيع الخمسة بطاطيخ ؟ فقال بغير اكتراث : اذهب ، فليس هذا من أكلك ! فتماسكت معه وقلت : أيها الرجل : دع ما يغيظ واقصد الثمن ! فقال : ثمنها عشرة دراهم . فلشدة ما جَبَّهَنِي به ما استطعت أن / أخاطبه في المحاططة ، فوقفت حائراً ، وإذا بشيخ من التَّجَّار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دُكَّانه ودعا له وقال له : يا مولاي ، هنا بطيخ باكُور ، بدُستورك أحمله إلى منزل مولانا ! فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال بخمسة دراهم . قال الشيخ التاجر : بدرهمين . فقال : بدرهمين . فباعه الخمسة بطاطيخ بدرهمين وحملها إلى داره ، ودعا له ، وعاد إلى دُكَّانه مسروراً بما فعل ،

٣٣٥/٢

(١) في المخطوطة « وكان يبيع » .

فقلت له : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! آسَمْتُ عَلَى فِي هَذَا الْبَطِيخِ وَفَعَلْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَكُنْتَ قَدْ أُعْطِيتَكَ فِي ثَمَنِهِ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ، فَبِعْتَهُ بِدَرَاهِمَيْنِ مَحْمُولاً ! فَقَالَ : أَسَكْتَ هَذَا يَمْلِكُ مِئَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ! فَقُلْتُ : وَإِذَا كَانَ مَعَهُ أَضْعَافُ ذَلِكَ ، هَلْ يَدْفَعُ لَكَ إِلَّا الدَّرَاهِمَيْنِ ؟؟ فَلَمْ يَزِدْنِي عَلَى أَنْ قَالَ : دَعِ ذَا عَنكَ ، فَإِنَّهُ يَمْلِكُ مِئَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ! فَعَلِمْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ النَّاسَ لَا يَكْرُمُونَ أَحَدًا إِلَّا كِرَامَهُمْ مِنْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَمْلِكُ مِئَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَنَا فَلَا أَزَالُ عَلَى مَا تَرَاهُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : إِنْ أَبَا الطَّيِّبِ قَدْ مَلَكَ مِئَةَ أَلْفِ دِينَارٍ .

• وقد وقع في شعر المتنبي الوصية بالحزم في ضبط الأموال لا البخل بها . وذلك في قوله في مدائح كافور ، وهو :

وَلَا يَنْتَحِيلُ فِي الْمَجْدِ مَا لَكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبْرُهُ تَذْيِيرُ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ، وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

• / قال بعضهم : قد أمر المتنبي كافوراً بالبخل حيث حرّمه ، وسلك في ذلك منسلك كثير ، فإن كثيراً يحكى عنه أنه دَخَلَ على هشام بن عبد الملك ، وكان هشام بخيلاً ، فمدحه ، فلم يُثَبِّهْ وَجْهَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، فَقَالَ يَخَاطَبُهُ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ تُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ صَنِيعَةُ تَقْوَى ، أَوْ خَلِيلًا تُؤَامِقُهُ
مَنْعَتْ ، وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ ، وَلَمْ يَقْتُلْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ

فقيل لكثير : ما حملك على أن تُعَلِّمَ أمير المؤمنين البخل ؟ فقال : إنه منعى من رِفْدِهِ ، وآلَمْنِي بَرْدُهُ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُحِبَّ إِلَيْهِ الْمَالَ فَيَمْنَعُ غَيْرِي كَمَا مَنَعَنِي ، فَتَفَقُّ عَلَى ذِمَّتِهِ .

• وقال أبو عبد الله : لكنني وجدت القصيدة التي منها هذان البيتان في أبي بكر ابن عبد العزيز بن مروان .

٢٤ - وقال أبو بكر الخوارزمي : كانت أدوات المتنبي كلها جيدة ، نظمه ونثره ، وعربيته ولغته ، وكان شجاعاً حسنَ العقل حسنَ المداراة للملوك ، عارفاً بطريق

انتزاع الأموال منهم ، ولم يكن فيه ما يُعاب به سوى بُخْلِهِ ، ولقد حضرتُ عنده يوماً بحلب ، وقد أُحْضِرَ مالاً من صلاتِ سيف الدولة / بن حمدان ، فصُبَّ بين يديه ، ٣٣٧/٢ فوزَّته وأعادته إلى الأكياس ، وإذا بقطعة من تلك الدراهم قد تخلَّلت خلال الحصار وأنسابت فيه ، فأكبَّ المتنبي عليها بسائره ، وجعل يُنْقَب عنها بإصبعه ، ويعالج استنقاذها من الحصار إلى أن ظهرت بعض الظهور ، فسُرَّ بذلك ، ورفع إلينا رأسه وهو يتمثل بيت ابن الخطيم :

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ

فلم يزل يبحث عنها حتى استخرجها من الحصار وأودعها الكيس ، فعذله بعض جلسائه على هذا الفعل فقال : أما كان يكفيك ما في هذه الأكياس ، حتى أذْمِيتَ إصبعك لأجل هذه القطعة ؟ فقال : مَهْ ، فإنها تخضّر المائدة . (١)

٢٥ - قال أبو عبد الله : وجدت أبا الفتح عثمان بن جنى قال ، حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال : قال أبو الفضل جعفر بن أبي الفضل بن جعفر بن حنْزَابة ، وكان وزير كافور : أَعْلِمْتُ أَنِي أَحْضَرْتُ كَتَبِي كُلَّهَا ، وَجَمَاعَةً مِنَ الْأَدْبَاءِ يَطْلُبُونَ لِي مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ مَعْنَى قَوْلِكَ :

أُزْوِرُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْتَنِي وَبِإِضْ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي

فلم يظفروا به ؟ وكان ابنُ حنْزَابة أكثر من رأيتُ كتباً . قال ابن جنى ثم إني عثرت بالموضع الذي أخذ منه معنى بيته ، أخذه من قول ابن المعتز :

فَالصُّبْحُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادٌ

(١) انظر ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ٤١ .

• / قال أبو عبد الله : وكان آبنُ حنزابة هذا وابنُ العميد وأبو محمد المهلبى ،
 ثلاثُهُمْ ، يحطُّون على المتنبي وينتقصون منه ، وينقدون عليه معانى شعره ويؤاخذونه بها ،
 وثلاثَتُهُمْ كانوا وزراءً فضلاء .

...

والحمد لله وحده ، والصلاة على أكمل خلقه محمدٍ وعِترته الطاهرين وصحبه
 أجمعين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين .

...

٣ - ترجمة المتبى للمقرئى

(٤)

ترجمة المتنبي للمقرئ

من كتابه « المقفى »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الكوفى ، ٣٤١/٢

الشاعر المعروف بالمتنبي . وقيل : بل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار . وكان أبوه الحسين يعرف بعيدان السقاء ، و « عيدان » بكسر العين المهملة ، وسكون الياء آخر الحروف ، قاله الخطيب البغدادي .

٢ - وقال ياقوت الحموى : رأيت ديوان أبى الطيب المتنبي بخط أبى الحسن على بن عيسى الرُبَيعى ، قال فى أوله : الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفى ، وكان يكتم نسبه ، وقد سأله عن سبب طيّه ذلك ، فقال : إننى أنزل دائماً بعشائر وبقبائل [من] العرب ، ولا أحب أن يعرفونى ، خيفة أن يكون لهم فى قومي ترة . وهذا الذى صحّ لى من نسبه . (١)

٣ - وقال القاضى أبو على المحسن بن على التتوخى ، حدثنى أبو الحسين [أبو الحسن] محمد بن يحيى الزيدى العلوى ، قال : كان المتنبي وهو صبي ينزل فى جوارى بالكوفة ، وكان أبوه يعرف بعيدان السقاء ، يستقى لنا ولأهل المحلة ، ونشأ وهو محب للعلم والأدب وطلبه ، وصحب الأعراب فى البادية ، فجاءنا بعد سنين بدويّاً . وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرنى ورّاق كان / يجلس إليه يوماً قال لى : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قط ! فقلت له : كيف ؟ فقال : كان عندى اليوم وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعى يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له

(١) انظر ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ٨ .

الرجل : يا هذا أريد بيّعه ، وقد قطعنتى عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر ! فقال له ابن عِيدَان : فإن كنت قد حفظته في هذه المدة ، فما لى عليك ؟ قال : أَهْبُ لك هذا الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، وقلت : هيا ! فأقبل يتلوه علىّ إلى آخره ، ثم استلبه فجعله فى كفه ، فعَلِقَ به صاحبه يطالبه بالثمن ، فقال : ما إلى ذلك من سبيل ، وقد وهبته لى ! قال : فمنعناه منه وقلنا له : أليس شرطت على نفسك هذا للغلام ؟ فتركه . (١)

٤ - وقال لى أبو الحسين [أبو الحسن] : كان عِيدَان والد المتنبي يذكر أنه من جُفَعَى ، وكانت جدة المتنبي هَمْدَانِيَّة صحيحة النسب لا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، [وكانت] من صلحاء النساء الكُوفِيَّات .

• قال التنوخى : فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين إلى الأهواز مُنصرفاً من فارس ، فذاكرته بأبى الحسين [بأبى الحسن] فقال : تَرى وصديقى وجارى بالكوفة . وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف به ، وقال : أنا رجل أُخِيط القبائل ، وأطأ البلاد والبوادر ، وخفت أننى متى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطلبة = [بطائلة] = بينها وبين القبيلة التى أنتسب إليها ، وما دمت غير منتسب إلى أحد ، فأنا أسلم من جميعهم ، ويخافون لسانى . فذكرت له / ما أخبرنى به أبو الحسين من انتسابه إلى جُفَعَى ، وأن جدّه ٣٤٣/٢ هَمْدَانِيَّة ، فما أنكر ذلك ولا اعترف به . (٢)

وقال : ومحلُّ أبى الحسين [أبى الحسن] فوق أن يحكى إلا صدقاً . (٣)

(١) انظر ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ١٤ .

(٢) هذا الخبر مضى فى ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ١٥ ، ١٦ .

(٣) هذه الجملة التى انفرد بها هذا الخبر هنا ، والتى أراد بها التنوخى تصحيح خبره عن أبى الحسن محمد بن

يحيى العلوى ، تزيدنى شكاً فى رواية التنوخى وفى صدقه ، راجع ما سلف ص : ١٤٣ - ١٥٣ .

٥ - قال : واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أنى الحسين [أنى الحسن] [ابن أم] شيبان الهاشمي الكوفي ، وجرى ذكر المتنبي فقال : أعرف أباه بالكوفة شيخاً ينضح على بعير له ، يُسمّى عيدان ، وكان جُفِعِيًّا صحيح النسب . (١)
• ثم رأيت رجلاً كوفيًّا ضريباً ببغداد ، ويذكر أنه أخو المتنبي من أبيه وأمه ، وسألته عن نسبه ، فقال : كان أبونا يقول إنه من جُفِعِيٍّ . (٢) انتهى .

٦ - وكان مولد أنى الطيب في كِنْدَة من الكوفة سنة ثلاث ، وقيل إحدى وثلاثمئة ، والأول أصح .

٧ - وقد اختلف في تسميته بالمتنبي ، فقيل إنه ادعى النبوة في حديثه ، وقيل غير ذلك .

٨ - قال القاضي التنوخي : وقد كان المتنبي لما خرج إلى كلب وأقام فيها ، / ادعى أنه علويٌّ حَسَنِيٌّ ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علويٌّ ، إلى أن ٣٤٤/٢
أشهد عليه بالشام والكوفة [أنه نبي !!] ، (٣) وأشرف على القتل ، ثم استُتيب . (٤)
• وقال (٥) : وكان يتردد في نفسى أن أسأل أبا الطيب المتنبي عن تنبيهه والسبب

فيه ، وهل ذلك اسم وقع عليه على سبيل اللقب ، أو أنه كما كان يبلغنا ؟ فكنت أستحيى منه لكثرة من يحضر مجلسه ببغداد ، وأكره أن أفتح عليه باباً يكره مثله . فلما جاء إلى الأهواز ، ماضياً إلى فارس ، خلوتُ به ، وطاولته الأحاديث وجررتها إلى أن قلت له : أريد أن أسألك عن شيء في نفسى منذ سنين ، وكنت أستحيى خطابك فيه من كثرة من كان

(١) هذا الخبر مضى في ترجمة ابن العديم برقم : ١٧ .

(٢) هذا الجزء من الخبر غريب جداً في نسبته إلى التنوخي ، فإنه لم يذكر في مكان آخر منسوباً إليه ، انظر

ابن العديم رقم : ٨ ، والتعليق عليه .

(٣) هكذا في الأصل ، وانظر ما سلف ص : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وانظر ص : ٥٨٥ ، تعليق : ٢ ، وأنه

« حَسَنِيٌّ » ، لا « حَسَنِي » .

(٤) ابن العديم رقم : ١٧ .

(٥) القائل هو التنوخي .

يحضرك ببغداد ، وقد خلونا الآن ، ولا بد أن أسألك عنه . وكان بين يديّ جزء من شعره عليه مكتوب « شعر أبي الطيب المتنبي » ، فقال : تريد تسألني عن سبب هذا ؟ وجعل يده فوق الكتابة التي هي « المتنبي » ، فقلت : نعم . فقال : هذا شيء كان في الحداثة أو جبهته صورة . ^(١) فما رأيت رَهْصَمَةَ الْطَفِّ منها ، ^(٢) لأنه يحتمل المعنيين في أنه كان تنبأً واعتمد الكذب ، أو أن عنده أنه كان صادقاً ، إلا أنه اعترف بالمتنبي على كل حال .

• / قال : ورأيت ذلك قد صُعب عليه . فاستقبحت أن أستقصي وألزمه الإفصاح بالقصة ، فأمسكت عنه . ٣٤٥/٢

٩ - وحكى القطرُيُّلِيُّ وابن أبي الأَزهَر ، في تاريخ اجتماعا على تصنيفه ، أن المتنبي أُخرج ببغداد من الحبس إلى مجلس الوزير أبي الحسن على بن عيسى فقال له : أنت أحمد المتنبي ؟ فقال أنا أحمد النبي ، وكشف عن بطنه فأراه سَلْعَةً فيه ، وقال : هذا طابع نبوّي وعلامة رسالتي ! فأمر بقلع شُمْشُكِهِ وصَفَّعه به خمسين ، وأعادته إلى محبسه . ذكر ذلك على بن منصور القارح في رسالته إلى أبي العلاء المعري . ^(٣)

١٠ - وقال أبو علي بن أبي حامد : سمعت بحلب يحكون ، وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك ، أنه تنبأ في بادية السَّماوة ونواحيها ، إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل

(١) هذا الخبر إلى هنا ، مذكور في ترجمة ابن العديم برقم : ٢٤ ، مع اختلاف كبير في اللفظ ، ثم انظر ما سلف من الكلام في هذا الخبر ص : ٥٥٢ - ٥٥٤ وما بعدها .

(٢) في الأصل « دهشة » وكذلك في تكملة تاريخ الطبري للهمداني الجزء الأول : ١٩٥ [بيروت ١٩٦١] ، على تحريف فيه وتصحيف . ولا معنى للدهشة ، و « رهسم » في كلامه أو في الخبر رهسمة ، إذا أقي منه بطرف ولم يفصح بجميعة . وهذا الخبر هنا أتم مما رواه الخطيب في تاريخ بغداد ، في ترجمة أبي الطيب .

(٣) مضى هذا الخبر في ترجمة ابن العديم برقم : ٣٢ ، وقد ردّ الخبر وأظهر ما فيه من الخطأ الفاحش ، ثم انظر رسالة ابن القارح (الطبعة الثانية من رسالة الغفران ، للدكتورة بنت الشاطئ) ص : ٢٥ ، ٢٦ . و « الجمشك » : ضرب من النعال ، يقال بالجيم والشين .

الإخشيديّة ، وقتلته وأسرّه وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما ، وحبسه في السجن دهرًا طويلًا ، ثم استتابه مما نقل عنه وأخرجه .

• قال : ومن قرآنه قوله من سورة : « والنَّجْمِ السَّيَّارِ ، وَالْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، إِنْ الْكَافِرَ لَفِيْ أخطار ، آمُضِ عَلَى سَنِيكَ ، وَأَقْفُ أثرَ مَنْ / كَانَ قَبْلَكَ من المرسلين ، فَإِنَّ اللَّهَ قَامِعٌ بِكَ زَيْعَ مَنْ أَلْحَدَ فِي دِينِهِ وَضَلَّ سَبِيلَهُ » ، وهى طويلة . (١)

١١ - وقال له أبن خالويه النحوى ، فى مجلس سيف الدولة : لولا أنك جاهل لما رضيت أن تُدعى بالمتنبى ، لأن « متنبى » معناه كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال له : أنا لست أرضى أن أدعى بهذا ، وإنما يدعونى به من يريد الغضب منى ، ولست أقدر على الامتناع . (٢)

١٢ - وقال أبو على بن أبى حامد : قال لى أبى ، وقد سمع قوماً يحكون عن أبى الطيب المتنبي هذه السورة التى قدمنا ذكرها : لولا جهله ، أين قوله : « آمض على سَنِيكَ » إلى آخر الكلام ، من قول الله تعالى : (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) إلى آخر القصة ، فهل تتقارب الفصاحة فيهما ؟ أو يشتبه الكلامان ؟ (٣)

١٣ - وقال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى : قدم المتنبي اللاذقية فى سنة نيف وعشرين وثلاثمئة ، وهو كما عُدّ ، (٤) وله وقرةٌ إلى شَحْمَتِي أذنيه « وضوى إلى فأكرمه لما رأيت من فصاحته وحسن سَمَتِهِ ، وقلت له يوماً : والله إنك لشاب خطير ،

(١) هذا الخبر ، ذكره ابن العديم فى ترجمته برقم : ٢٣ مطولاً .

(٢) هذا الخبر أيضاً جزء من الخبر رقم : ٢٣ ، فى ترجمة ابن العديم السالفة .

(٣) هذا الخبر فى ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٢٥ .

(٤) هكذا هنا وفى ابن العديم رقم : ٢٦ .

تصلح لمنادمة ملك كبير ! فقال لي : ويحك ! أتدري ما تقول ؟! أنا نبي مرسل . قلت له : مرسل إلى من ؟ قال : إلى هذه الأمة الضالة المضلّة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : ٣٤٧/٢ أملؤها عدلاً كما ملئت جوراً . قلت : / بماذا ؟ قال : بإضرار الأرزاق ، والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الأعناق وقطع الأرزاق لمن عصى وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم ، أخاف منه عليك أن يظهر ! وعدّله على قوله ذلك ، فقال بديها :

أبا عبد الإله مُعَاذُ إِنِّي	خَفِيْتُ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِي ، وَأَنَا	نُحَاطِرٌ فِيهِ بِالْمُهْجِ الْجِسَامِ
أُمِثْلِي تَأْخُذُ التَّكْبَاتُ مِنْهُ	فَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْجِمَامِ
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصاً	لَخَضَبْتُ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي
وَمَا بَلَغْتُ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي	وَلَا سَارَتْ فِي يَدِهَا زِمَامِي
إِذَا أَمْتَلَأْتُ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي ،	فَوَيْلٌ لِلتِّيْقِظِ وَالْمَنَامِ

فقلت له : ألم تكن ذكرت أنك نبي مرسل إلى هذه الأمة ؟ أفيوحي إليك ؟ قال : نعم . قلت : فأتل عليّ شيئاً من الوحي إليك . فأتاني بكلام ما مرّ على سمعي أحسن منه . فقلت : ولم أوحى إليك من هذا ؟ فقال : مئة وأربع عشرة عيّرة . قلت : ولم العيّرة ؟ فأتني بمقدار أكبر من الآي من كتاب الله . قلت : ففني كم مدّة أوحى إليك ؟ قال : جملة واحدة . قلت : فأسمّع في هذه العيّر أن لك طاعة في السماء ، فما هي ؟ قال : أحبس المدرّار ، لقطع أرزاق العصاة والفجّار . قلت : أنتحبس من السماء قطرها ؟ قال : إى ، والذي قطرها ، أفما هي معجزة ؟ قلت : بلى . قال : فإن حبسته عن مكانٍ تنظر إليه ولا تشكّ فيه ، هل تؤمن بي وتصدّقني على ما أُثبِتُ به من ربّي ؟ / قلت : إى والله . ٢٤٨/٢ قال : سأفعل ، ولا تسألني عن شيء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تظهر شيئاً من هذا الأمر حتى يظهر ، وانتظر ما وعدّته من غير أن تسأله . فقال لي بعد أيام : أنتخب أن تنظر إلى المعجزة التي جرى ذكرها ؟ قلت : بلى والله . قال لي : إذا أرسلت إليك أحد العبيد فأركب معه ولا يخرج معك أحد . قلت : نعم . فلما كان بعد أيام تغيّمت السماء

في يوم من أيام الشتاء ، وإذا عبده قد أقبل فقال : يقول لك مولاى ، أركب للوعد . فبادرت بالركوب معه ، وقلت : أين ركب مولاك ؟ فقال : إلى الصحراء ، ولم يخرج معه أحدٌ غيرى . واشتد وقع المطر ، فقال : بادِرْ بنا حتى نستكنَّ معه من هذا المطر ، فإنه ينتظرنا بأعلى تلٍّ لا يصيبه فيه المطر . قلت : وكيف عمل ؟ قال : أقبل ينظر إلى السماء أوَّلَ ما بدا السحاب الأسود ، وهو يتكلَّم بما لا أفهم ، ثم أخذ السَّوط فأدار به في موضع ستنظر إليه من التلِّ ، وهو يُهمِّهم والمطر مما يليه ، ولا قطرة منه عليه . فبادرت معه حتى نظرتُ إليه ، وإذا هو على تلٍّ على نصف فرسخ من البلد ، فأتيته ، وإذا هو عليه قائم ما عليه من ذلك المطر قطرة واحدة ، وقد خُضَّت في الماء إلى رُكبتى الفرس ، والمطر في أشدِّ ما يكون ! فنظرت إلى نحو مئتى ذراعٍ في مثلها في ذلك التلِّ يابسٌ مافيه ندى ولا قطرة مطر ، فسَلَّمْتُ عليه ، فردَّ علىَّ وقال لى : ما ترى ؟ فقلت : أبسط يدك ، فإني أشهد أنك رسول الله ! فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ، ثم قال لى : ما قال لك هذا الخبيث لما دعاك ؟ - يعنى عبده ، فشرحت له ما قال لى في الطريق لما استخبرته ، فقتل العبد وقال :

٣٤٩/٢

/ أَيْ مَحَلُّ ارْتَقَى أَيْ عَظِيمِ اتَّقَى
وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللّٰهُ هُوَ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ
مُخْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِ

وأخذت بيعته لأهلى ، ثم صحَّ بعد ذلك أن البيعة عمَّت كل مدينة بالشام ، وذلك بأصغر حيلة تعلَّمها من بعض العرب ، وهى « صَدْحَةُ المطر » يَصْرِفُهَا عَنْ أَيْ مَكَانٍ أَحَبَّ بَعْدَ أَنْ يَخْوِيَّ عَلَيْهِ بَعْضاً وَيَنْفُثُ بِالصَّدْحَةِ الَّتِي لَهُمْ . وقد رأيت كثيراً منهم بالسُّكُونِ وحُضْرَمُوتِ السَّكَّاسِكِ مِنَ الْيَمَنِ ، يفعلون هذا ولا يتعاضمونَه ، حتى إن أحدهم يصدق عن غنمه وإبله وبقره ، وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ، ويكون المطر مما يلى « الصَّدْحَةُ » ، وهو ضرب من السحر . ورأيت لهم من السحر ما هو أعظم من هذا ، وسألت المتنبي بعد ذلك : هل دخلت السُّكُونُ ؟ قال نعم ، ووالدى منها ، أما سمعت قولى :

أُمْنِسِي السُّكُونَ وَحَضْرَمُوتًا وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّيِّعَا

فقلت : من ثَمَّ استفاد ما جَوَّزه على طعام أهل الشام . (١)

١٤ - وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري : أخبرني بعض الكتاب ، قال : كنت بالذيوان في بعض بلاد الشام ، فأسرعت المذبة في إصبع بعض الكتاب وهو يبري قلمه ، وأبو الطيب حاضر ، فقام إليه وتفل عليه ، وأمسكها ساعة بيده ثم أرسلها وقد اندملت بدمها ، فجعل يُعَجِّبُ من ذلك ، ويُرِي / من حضر أن ذلك من معجزاته . (٢)

١٥ - وقال أبو الفتح عثمان بن جني النحوي : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لُقِّبَ بالمتنبي لقولي :

أَنَا فِي أُمَّةٍ ، تَذَارِكُهَا اللَّهُ ، غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثُمُودٍ
مَا مُقَامِي بِدَارٍ نَحْلَةً إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

١٦ - وقيل له : على من تنبأت ؟ قال : على الشعراء . ف قيل : لكل نبي معجزة ، فما معجزتك ؟ قال قولي :

وَمِنْ تَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

١٧ - ودخل أبو الطيب في صباه إلى الشام وجال في أقطارها ، وصعد بعد ذلك إلى مصر ، وكان بها في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة ، (٣) وقدم واقداً على سيف الدولة ابن حمدان بحلب في سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، فأكرمه ونفق عليه ، إلى أن خرج من حلب غضبان بسبب كلام وقع بينه وبين أبي عبد الله ابن خالويه في مجلس سيف الدولة ،

(١) هذا الخبر كله في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٢٦ .

(٢) الخبر ذكره ابن العديم في ترجمته السالفة برقم : ٢٧ ، انظر رسالة الغفران ص : ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٣) هذا تاريخ جديد مهم في ترتيب رحلة المتنبي يحتاج إلى تفصيل ، وانظر ابن العديم رقم : ٦٦ .

فضربه ابن خالويه بمفتاح في سنة ست وأربعين وثلاثمئة ، وصار إلى مصر مرة ثانية ، ومدح بها الأستاذ أبا المسك كافور الإخشيدي ، ولم يمدح بمصر غيره سوى فاتك الإخشيدي المعروف بالجنون ، عندما بعث إليه من الفيوم = وكان مقيماً بها / لأن له مالا بها كثيراً = ٣٥١/٢ كسوة وجمالاً ، ^(١) جاء مبلغ ذلك ستمئة دينار ، وذلك أنه بلغه تقصير كافور به ، فمدحه بقصيدة أولها ^(٢) وكان المتنبي يقف بين يدي كافور وهو متكئ على سيفه في عشية كل عيد ، والشعراء تنشده مدائحها في كافور . فكلما فرغ شاعر من إنشاده رفع كافور رأسه إلى المتنبي وقال : إيش تقول يا أبا الطيب في هذا الشاعر ؟ فيقول له ما يمكنه . وما زال مع كافور كذلك إلى أن هرب ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمئة . وسبب هربه تقصير كافور في حقه ، فإنه طلب منه أن يوليه عملاً من أعمال مصر ، فلم يجبه إلى ذلك فسخط . وعندما عزم على الهرب من مصر أرسل إلى أبي بكر الفرغاني ، أحد جلساء كافور ، يقول له : إني أجد وجعاً ، وللاستاذ عندى رقعة فيها مهم ، فتدفعها إليه عشية العيد عند العتمة إذا خلا ، فقد هنيئته بالعيد ، وذكرت عذري في التأخر . فأخذ الفرغاني الرقعة ، وهرب المتنبي من ساعته ، وأصبح الناس بشغل العيد ، وجلس كافور عشية العيد للشعراء ، فسأل عن المتنبي وقال : سلوا عنه ! فتوائى من قيل له ، وتوائى الفرغاني أيضاً تلك الليلة في إيصال الرقعة إلى كافور ، فلم يوصلها إليه إلا من الغد ، فجاء بها كافوراً مع العتمة ، وقال له ، والشمع بين يديه : دَفَع لي عبدك أبو الطيب المتنبي رقعة وهو ضعيف من شيء يجده ، وعرفني أن فيها مهماً ! فأفهمه كافور أنه قد هجاه في الرقعة ، ^(٣) فأخذها بيده وقال : أرسلوا إلى أبي الطيب سلوا عنه . فمضى

(١) كان في المخطوطة : « لأن له بها مالا كثيراً وكسوة وجمالاً » ، والكلام غير مستقيم ، ولا يستقيم إلا بحذف الواو ، وسياقه : « عندما بعث إليه من الفيوم : كسوة وجمالاً » .

(٢) الكلام في المخطوطة متصل « وهو سهو . والقصيدة التي يعينها هي قوله :

* لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ *

(٣) في المخطوطة : « فاتهمه كافور » ، والصواب ما أثبت .

٣٥٢/٢ عدة من / الرسل في طلبه ، فانكشف الأمر أنه هرب . فوضع كافور الرقعة في الشمعة وأحرقها بيده وعلم أنه هجاه ، وأخذ يسب من حسن له التقصير في أمره ، وتأسف عليه ، وقلق بذهابه .

١٨ - وقدم المتنبي على عضد الدولة بشيراز ، فلما وصل إلى حضرته في أول مجلس شاهده فيه ، قال لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف : أخرج ، واستوقفه واسأله كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم في نفسه منا ؟ قال : فامتثلت ما أمرت به ولحقته ، وجلست معه وحادثته وطاولته ، وأطلت معه في المعنى الذى ذكرته ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه منى أن قال : « ما خدمت عيناى قلبى كالْيَوْم » ، فجاء الجواب موزوناً ، واستوفى القول في اختصار من اللفظ . (١)

١٩ - ويقال إنه لما دخل على عضد الدولة بشيراز قال : أنا لا أنشد مائلاً . فأمر له عضد الدولة بكرسى ، فلما دخل وراه ، أنشده قائماً ، فأمره بالجلوس فأبى ، وقال : هيبتك تمنع من ذلك ! فوقع قوله وفعله منه أحسن موقع . (٢)

...

• ومن شعره :

آنصُرْ بِجُودِكَ أَلْفَاظاً تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحِلٌ وَذَا الْوَدَاعُ ، فَكُنْ أَهْلاً لِمَا شِيتَا

/ فَأَعْطَاهُ دُونَ الْخَمْسَةِ دِرَاهِمٍ وَقَبِلَهَا . (٣)

٣٥٣/٢

(١) في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٧١ ، ثم ترجمة ابن عساكر برقم : ٢٠ .

(٢) مضى هذا الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة ، في خلال الخبر رقم : ٣٦ .

(٣) هذا موضع سقط لا شك فيه ، فلذلك فصلته ولم أجعل له رقماً ، ولحقته بالخبر رقم : ١٩ ، وانظر

الخبر تاماً في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٤٥ .

٢٠ - وخرج من شيراز لثمان خلون من شعبان قاصداً بغداد ، ثم سار منها إلى الكوفة ، حتى إذا بلغ دير العاقول وخرج منه قدر ميلين ، خرج عليه فرسان ورجالة من بنى أسيد وشيبان ، فقاتلهم مع غلامين من غلمانة ساعة ، وقتلوه وقتلوا معه أحد الغلامين وهرب الآخر ، وأخذوا جميع ما كان معه ، وقتلوا ابنه المحسد ، وذلك يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة بالقرب من النعمانية = وقيل : لخمسين بقين من رمضان المذكور = وقيل : في شوال بالصافية من أرض واسط ، والذي قتله فاتك بن أبن جهل ، ابن خالة « ضبة » الذي هجاه المتنبي ، وكان على شاطئ دجلة . (١)

٢١ - وذكر الخالديان ، عن أبن نصر محمد بن المبارك الجبلي قال : خرج المتنبي من واسط يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، وقُتِلَ يَبْنُوْرَى = بفتح أوله ، وضَمَّ ثانيه ، وبعده زائٍ معجمة ، مقصورٌ على وزن « فَعُولِي » (٢) = بشطّ الفرات ، ضبعةً بقرب دير العاقول ، في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من رمضان ، وكان معه يوم قُتِلَ سبعون ألف دينار . وأُخْرِجَ من الماء مقتولاً ، ودفن بالصائفة ، / والذي قتله فاتك بن أبن جهل بن فراس بن بداد ، وهو قرابة لوالدة ضبة بن ٣٥٤/٢ يزيد العيني الذي هجاه المتنبي بقوله :

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمَ ضُبَّةٌ وَأُمُّهُ الطَّرْطُبَةُ

ويقال : إِنَّ فَاتَكَ خَالَ ضُبَّةٍ . (٣)

(١) هذا الخبر مذكور في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٧٩ .

(٢) أما ياقوت فذكرها « بالراء » ولم يقل « راء مهملة » ، فأخشى أن يكون تصحيحاً في معجم البلدان . وفي معجم ياقوت فوائد ، فراجعها هناك . وانظر ما سلف في ابن العديم رقم : ٧٨ ، ثم رقم : ٨١ « يزع » .

(٣) انظر رواية الخالدين لمقتل المتنبي مطولة في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٨١ .

٢٢ - وديوان شعر المتنبي مشهورٌ ، والجيد من شعره لا يجارى فيه ولا يلحق ،
والردى منه في غاية الرداءة والسقوط ، هذا هو الإنصاف في حقه . والناس فيه مذهبان ،
وقد تعصبت له وعليه طوائف ما بين غالٍ ومقصر .

٢٣ - وقد روى عنه القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي ،
وأبو الفتح عثمان بن جنى ، وأبو محمد الحسن بن علي بن الصقر الكاتب ، وأبو الحسن علي
ابن أيوب بن الحسين بن الساريان الكاتب ، والأستاذ أبو علي أحمد بن مسكويه ، وأبو
عبد الله بن باكوئه الشيرازي ، وأبو الحسن علي بن عيسى الربيعي ، وأبو القاسم بن حسن
الحمصي ، وعبد الصمد بن زهير بن هرون بن أبي جرادة ، ومحمد بن عبد الله بن سعد
النحوي الحلبي ، وعبد الله بن عبيد الله الصفري الشاعر الحلبي ، وعبيد الله بن محمد بن
أحمد بن محمد بن أبي الجوع الوراق المصري ، وأبو إسحق إبراهيم بن عبد الله المغربي ، وأبو
بكر الطائي ، وأبو القاسم النبلختي ، وأبو محمد الحسين بن عمر / بن إبراهيم ، وأبو
العباس بن الحوت ، وجماعة سواهم . (١)

٢٤ - ويقال إن بعض الأشراف قدم من الكوفة فدخل إلى مجلس فيه المتنبي ،
فنهض الناس كلهم له سوى المتنبي ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال
في الكوفة وما تجدد هناك ، فقال المتنبي : يا شريف ، كيف تحلفت الأسعار بالكوفة ؟
فقال له : رواية برطلين خبز ! فأحججه . وذلك أنه قصد أن أباه عيذان كان سقاً . (٢)

٢٥ - وقال أبو العباس النامي المصيصي : كان قد بقي من الشعر زاوية
دخلها المتنبي ، وله معنيان ما سبق إليهما ، قوله :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نَبَالٍ

(١) انظر ترجمة ابن العديم فيما سلف رقم : ٦ .

(٢) هذا الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٥٠ .

والآخر :

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعَيُونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبَصِّرُنَ بِالْآذَانِ (١)

٢٦ - وقال أبو الفتح بن جني : كنت أقرأ ديوان أبي الطيب عليه ، فقرأت

قوله في كافر :

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ ، وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

/ حتى بلغت إلى قوله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ
وَيْ مَا يَذُودُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنْ قَلْبِي ، يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ ، قُلْبُ

فقلت : يعز علي ، كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ؟ فقال :

حذرناه ، وأنذرناه ما نفع ، ألسنتُ القائل :

أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلٌ

فهو الذي أعطاني لكافورٍ بسوءٍ تديره وقلة تميزه . (٢)

٢٧ - وذكر صالح بن إبراهيم بن رشد بن قال ، قال لي أبو نصر بن غياث

النصراني الكاتب : اعتل أبو الطيب بمصر العلة التي وصف الحمى في أبياته من

القصيد الميمية ، فكننت أواصل عيادته وقضاء حقوقها ، فلما توجه إلى الصلاح وأبلى ،

أغيب زيارته ، ثقةً بصلاحه ، ولشغل قطعني عنه ، فكتب إلي :

« وَصَلْتَنِي ، وَصَلَّكَ اللَّهُ ، مُغْتَلًّا ، وَقَطَعْتَنِي مُبْلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تَحْبِبَ الْعَلَّةَ

إِلَيَّ ، وَلَا تَكْذَرِ الصَّحَّةَ عَلَيَّ ، فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . (٣)

(١) هذا الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٥٤ .

(٢) الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٦٢ .

(٣) هذا الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٧٢ .

٢٨ - / وقال علي بن حمزة البصري : بلوث من المتنبي ثلاث إحصال ذميمة
كُلُّ الذم ، وهى أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن = وبلوث منه ثلاث إحصال محمود :
ما كذب ولا زنى ولا لأط .

٢٩ - وقال أبو العباس بن الحوت الوراق : أنشدني أبو الطيب المتنبي
لنفسه :

تُضَاحِكُ مِنَّا دَهْرُنَا لَعِبَاءُ بِنَا وَعَلِمْنَا التَّوْبَةَ لَوْ نَتَعَلَّمُ
شَرِيفُ زُغَاوِيٍّ ، وَزَانٍ مَذْكُرٌ ، وَأَعْمَشُ كَحَالٍ ، وَأَعْمَى مِنْجَمٌ ^(١)

٣٠ - وما أحسن قوله :

هَنِيئًا لَكَ الْيَعْدُ الَّذِي أَنْتَ عَيْدُهُ ، وَعَيْدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَّى وَعَيْدًا
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى كَمَا أَنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدٌ كَانَ أَوْحَدًا ^(٢)

٣١ - وقال ، وقد نُعِيَ في مجلس سيف الدولة ، وهو يومئذٍ عند كافور بمصر :

يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
/ كَمْ قَدْ قُتِلْتُ ، وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمْ ، ثُمَّ أَنْتَفَضْتُ فَوَالَ الْقَبْرِ وَالْكَفَنِ
قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي ، قَبْلَ قَوْلِهِمْ ، جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَسْتَهِي السُّفُنُ

٣٢ - وقال ، وقد مرض بمصر ، وهى أحسن ما وُصِفَتْ به الحمى :

وَلَمَّا صَارَ وَدَّ النَّاسُ حِجًّا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بَابْتِسَامٍ
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنْسَامِ
وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

(١) الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٧٣ ، وشرح المعنى هناك .

(٢) انظر ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ٧٤ .

أَقَمْتُ بِأَرْضِي مِصْرَ ، فَلَا وَرَأَى
وَمَلَّنِي الْفِرَاشُ ، وَكَانَ جَنْبِي
قَلِيلٌ عَائِدِي ، سَقَمَ فُؤَادِي ،
غَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ،
وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءَ
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا ،
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعنها ،
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي ،
كَأَنَّ الصَّبْحَ يَطْرُدُهَا ، فَتَجْرِي
/ أَرَأَيْتَ وَقْتُهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا ، وَالصَّدْقُ شَرٌّ
أَبْنَتْ الدَّهْرَ ، عِنْدَ كُلِّ بِنْتٍ ،
جَرَحَتْ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ
يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ : أَكَلْتَ شَيْئًا !
وَمَا فِي طَبِّهِ أُنْسَى جَوَادٌ
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي ،
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى ، وَلَكِنْ

تَحُبُّ بِي الرِّكَابُ وَلَا أَمَامِي
يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ
كَثِيرٌ حَاسِدِي ، صَغَبَ مَرَامِي
شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ
فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ
مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامٍ
مُرَاقِبَةُ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامِ
فَكَيْفَ خَلَصْتَ أَنْتَ مِنَ الرَّحَامِ ؟
مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلِلسَّهَامِ
وَذَاوُوكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ
وَإِنْ أُحْمِمَ فَمَا حُمَّ اعْتِرَامِي
سَلِمْتُ مِنَ الْجِمَامِ إِلَى الْجِمَامِ

٣٥٩/٢

...

٣٣ - وراثه أبو القاسم المظفر بن علي الزوزني الكاتب بقوله :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْدٍ
كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا ، وَلَكِنْ
إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسَانِ
شَيْءٌ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانٍ
ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

٣٤ - وقالت أختُ المتنبي لما قُتِلَ : (١)

يا حازمَ الرَّأى إِلَّا في تَهْجِيهِ على المكارِهِ ، غابَ البَذْرُ في الطَّفَلِ
لِنِعَمَ ما عامَلتكَ المُرْهَفَاتُ بِهِ ! ونِعَمَ ما كُنْتَ تُؤْلِيها من العَمَلِ !
/ الأرضُ أُمُّ أَصْبَنَها بواجِدِها فاسترجَعْتُهُ ، وردَّتهُ إلى الحَبَلِ

٣٦٠/٢

...

٣٥ - ومن عجيب نقد الشعر : أن المتنبي لما أنشد سيف الدولة بن حمدان

قصيدته التي أولها :

• على قَدْرِ أَهْلِ العَزَمِ تَأْتِي العِزَّاتُ •

[فلما بلغ المتنبي إلى قوله :

وقَفْتُ ، وما في المَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ] ، (٢)
تَمُرُّ بِكَ الأَبْطالُ كَلَمَسي هَرِيمَةً ، كَأَنَّكَ في جَفَنِ الرَّدَى ، وهو نائمٌ
وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَتَغْرُكُ بِاسِمُ

[قال سيف الدولة : قد انتقدتهما عليك] ، (٣) كما انتقد على امرئ القيس

قوله :

كَأَنِّي لَمْ أُرَكِّبْ جَواداً لِلدَّيَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كاعِباً ذاتَ حَلْخالٍ
وَلَمْ أُسَيِّبِ الرُّقَى الرُّويَّ وَلَمْ أَقُلْ لَخَيْلي : كُرِّى كَرَّةً ، بعد إجحافٍ

فكما كان ينبغي لامرئ القيس أن يركب القسم الأخير من بيته الأول ، على

القسم الأول من بيته الثاني ، فيقول :

(١) شعرها في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٨٣ .

(٢) الكلام متصل في المخطوطة ، وما بين القوسين هو حق الكلام .

(٣) الكلام متصل فيها ، وحق الكلام ما أثبت .

٣٦١/٢ / كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا ، وَلَمْ أَقْلِ لَخِيلِي كُرَى كَرَّةً ، بَعْدَ إِجْفَالِ
وَلَمْ أُسَبِّأْ الرِّقَّ الرِّوِيَّ لِلذِّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خُلُخَالِ

فيقرن لذة الشرب بلذة النكاح ، وركوبه الجواد بأمره خيله بالكر = فكذلك كان
ينبغي أن تركب هذين البيتين فتقول :

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَعْرُكٌ بِاسِمٍ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى هَزِيمَةً كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

حتى يأتلف المذح بتيقن الموت ، مع توضُّح الوجه وتبسُّم الثَّغر ، ويأتلف (١)

(١) الكلام غير تام في المخطوطة . والقصة معروفة ، انظر نسخة ديوان المتنبي ص : ٢٧٧ طبعة الدكتور

عبد الوهاب عزام . الصبح المنبي (دار المعارف) ص : ٨٤ ، ٨٥ .

الفهارس

هذا الكتاب أربعة أقسام :

الأول : « قصة هذا الكتاب ، وفساد حياتنا الأدبية » . ورمزت لهذا القسم في الفهارس بالعدد المغربي (1)

الثاني : « كتاب المتنبي » ، ورمزت لهذا القسم في الفهارس بالعدد المغربي (2)

الثالث : « قضية المتنبي » ، ورمزت لهذا القسم في الفهارس بالعدد المغربي (3)

الرابع : « أربع تراجم للمتنبي ، لم تُنشر » ، ورمزت لهذا القسم في الفهارس بالعدد المغربي (4)

فوضعت هذا الرمز قبل أرقام الصفحات التي تليه ، تيسيراً وتوضيحاً لما تطلبه في الفهارس ، في أي الأقسام الأربعة يقع ما تطلبه .

فهرس شعر أبي الطيب

- ١ (متقارب) ولكنه ضحك كالبيكا ٣٧٢، ٣٦٩، ٣٦٦. ٢، ٧٣، ٧٠، ٦٤. ١
٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣. ٣
٤٤٤، ٤٢٢
° ° °
- ٢ (وافر) جعلت فداءه وهم فداي ٢٣٨. ٢
٣ (وافر) فطنت وكنت أغنى الأغنياء ٤٤٤. ٣
٤ (خفيف) أسد القلب آدمى الرواء ٣٦٤، ٣٥٧، ١٧٧. ٢
° ° °
- ٥ (متقارب) أسير المنايا صريع العطب ٦٠٣. ٤، ٤٩١. ٣، ١٩٥. ٢
٦ (متقارب) فستمأ لأمر أمير العرب ٣٧٧، ٣٣٠. ٢
- ٧ (طويل) فكل بعيد لهم فيها معذب ٦٩٣، ٦٦٥، ٦٤٣. ٤، ٣٦٤، ٣٥٤. ٢
٨ (طويل) فباعدنا عنه ونحن الأقارب ٢٢٨، ١٤٩. ٢
٩ (طويل) سكوتى بيان عندها وخطاب ٣٦٣. ٢
١٠ (خفيف) لا لشيء إلا لأنى غريب ٦٦٣. ٤، ٢٣٠، ٢٢٥، ١٦٣. ٢
- ١١ (طويل) فداء الورى أمضى السيوف مضارباً ٦٦٦. ٤
١٢ (بسيط) لو ذاقها لبيكى ما عاش وانتحياً ٢٥٥، ١٨١. ٢
١٣ (وافر) فهل من زورة تشفى القلوباً ٢٨٧. ٢
١٤ (رجز) فرب رأى أخطأ الصواباً ٢١٩. ٢
- ١٥ (طويل) وردوا رقادى فهو لحظ الحبايب ٣. ٢٩٣، ١٦٩، ١٥٦، ١٥٤. ٢، ٥٢. ١
٦٢٩. ٤، ٥٦٥
١٦ (طويل) مئنا به من جيئة وذهوب ٣٩٢. ٢
١٧ (بسيط) كناية بهما عن أشرف النسب ٦٢٦. ٤، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٤٣، ٣٣٨. ٢
٦٧٢
- ١٨ (بسيط) ثم اختبرت فلم ترجع إلى أذب ٦٠٣، ٦٠٠. ٤
١٩ (بسيط) متى بجلى الذى أعطت ونجربى ٦٧٧، ٦٧١. ٤، ٥٣٠. ٣، ٣٤٩. ٢، ١٠٧. ١
- ° ° °

- ٢٠ (بسيط) فى الشرق والغرب من عاداك مكبوتاً ٦٩٠ ، ٦٣٢ . ٤
 . . .
- ٢١ (وافر) ومثلك يتقى أبداً ويرجى ٦٠١ . ٤
 . . .
- ٢٢ (كامل) يغلو على من النهى ما لم تُرخ ٦٢٥ . ٤
 ٢٣ (وافر) وفارس كل سلهبة سبوح ٥١٤ . ٣
 . . .
- ٢٤ (طويل) عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ ٦٧٣ . ٤
 ٢٥ (طويل) كأنهم من طول ما التسموا مُرْدُ ٤٦١ . ٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ١٧٦ . ٢ ، ٦٣ . ١
 ٦٨٨ ، ٦٧٢ ، ٦٤١ ، ٦٢٢ . ٤
- ٢٦ (بسيط) بما مضى أم لأمر فيك تجديدُ ٣٧٠ . ٢
- ٢٧ (طويل) فانت الذى صيرتهم لى حسدا ٦٧١ ، ٦٤٨ ، ٦٣٧ . ٤ ، ٣٦٢ ، ٣٥٨ . ٢
 ٦٩٤
- ٢٨ (بسيط) لا نحمدن على أن يتألم الأسدَا ١٧٦ . ٢
 ٢٩ (متقارب) أم الخلق فى شخصى حى أعيدَا ٢٥٩ . ٢
- ٣٠ (طويل) قربت به عند الوداع من التُعيد ٦٢٧ . ٤ ، ٣٨٠ . ٢
 ٣١ (طويل) من الوصل ما يشفى الفؤاد من الوجيد ٥٩٥ . ٤
 ٣٢ (وافر) وقود الخيل مشرفة الهوادى ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦ . ٢
 ٣٣ (خفيف) وبنفسى فخرت لا بجدوى ٢٣٣ ، ١٨٩ ، ١٦٧ ، ١٦٠ . ٢ ، ٧١ ، ٦٦ . ١
 ٦٨٨ ، ٦٢٢ ، ٦١٥ . ٤ ، ٤٥١ ، ٤٣٢ . ٣
- ٣٤ (متقارب) وأوهن رجلئ ثقل الحديد ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢١٥ . ٢ ، ٨٨ . ١
 ٦٢٢ ، ٦٢١ ، ٦١٥ . ٤ ، ٣٨٩ ، ٢٣١
 . . .
- ٣٥ (طويل) وحيداً ، وما قولى كذا ومعنى الصبر ٤٤٣ . ٣ ، ٣١٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٤ . ٢
- ٣٦ (وافر) طَوَالُ فَنَّا نُطَاعِنُهَا قِصَارُ ٦٧٤ . ٤
 ٣٧ (وافر) طويلُ العُمرَ بينهما قَصِيرُ ٦٠٢ . ٤
 ٣٨ (كامل) إلا السعاية بينهم مغفورُ ١٤٩ . ٢

- ٣٩ (كامل) دون اللقاء ولا يشطّ مزائر ٣٢١. ٢
- ٤٠ (طويل) وسُكْرِى مِنَ الْأَيَّامِ جَبْنَى السُّكْرَا ٥٩٢ - ٥٩٤. ٤
- ٤١ (كامل) وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى ٦٦٩. ٤ ٣٧٩. ٢
- ٤٢ (مقارب) ... لَا يَخْتَصِمَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارًا ٣٠١. ٢
- ٤٣ (مقارب) وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا ٣٥٤، ٣٤٧، ٣٤٦. ٢
- ٤٤ (بسيط) فَأَتَنِي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارِ ٢٧٥. ٢
- ٤٥ (وافر) وَكُلُّ عَذَائِرٍ قَلِقَ الضُّفُورِ ٢٧٦. ٢
- ***
- ٤٦ (مقارب) وَأَطِيبُ مَا شَمَّهَ الْمَغْطِيسُ ٦٤٩. ٤
- ٤٧ (كامل) هَانَتْ عَلَى صِفَاتِ جَالِينُوسَا ١٨٩. ٢
- ***
- ٤٨ (وافر) وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَى كَلَامِ وَاشِ ٣٢٦، ٣٠٥، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٥. ٢
- ***
- ٤٩ (سريع) فَصُنْتُ عَنْهُ الْوَجْهَ وَالْعِرْضَا ٦٢٦. ٤
- ***
- ٥٠ (طويل) أَقْلُ جُزْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ ١٨٩. ٢
- ٥١ (بسيط) غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ ٦٧٣. ٤
- ٥٢ (بسيط) فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى مِنْ صَرْفِهِ بَدْعًا ٦٤٥. ٤
- ٥٣ (وافر) وَوَالِدِي وَكَنْدَةُ وَالسَّبِيْعَا ٦٨٨، ٦٢٠. ٤، ٥٦١. ٣، ٢٠٤، ١٤١. ٢
- ٥٤ (خفيف) وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعَا ٤٨٢، ٤٨٠، ٤٧٩. ٣
- ٥٥ (طويل) مَخَافَةَ نَظْمِ الْقَوَادِمُورِ ٦٦٨. ٤
- ***
- ٥٦ (طويل) وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدِيهِ خَفِيفُ ٤٨١. ٤، ٣٦٠، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٠٩. ٢
- ٥٧ (كامل) مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِنِ عِيدِ مَنْافِ ٦٦٣. ٤، ٢٠٤، ١٥٧. ٢
- ٥٨ (سريع) عَاجِلَةً أَلْفًا عَلَى أَلْفِ ٦٦٧. ٤
- ٥٩ (منسرح) وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلَيْفِ ٢٢٥. ٢
- ***

- ٦٠ (طویل) وعلرى بعلر اللاذقفة لالحق ٢٣٩. ٢
- ٦١ (كامل) أبداً غراب البين فيها ينق ٢٣٧. ٢
- ٦٢ (وافر) ألبدرى الدمع أى دم أراقا ٦٤٢. ٤
- ٦٣ (طویل) وللحب ما لم يبق منى وما بقى ٦٧٣. ٤، ٣٤٦، ٣٣٣. ٢
- ٦٤ (طویل) تذكرت ما بين العذب وبارق ٦٧٤. ٤
- ٦٥ (رجز) أى عظيم ألقى ٦٨٧، ٦١٩. ٤، ٢١١، ٢٠٣. ٢
- ٦٦ (خفیف) زرت لحال التحول دون العناق ٦٣٦. ٤
- ٠٠٠
- ٦٧ (وافر) أذاة أو نجاة أو هلاكا ٣٩٠، ٣٨٢. ٢
- ٠٠٠
- ٦٨ (سرفع) منشورة الضفرين يوم القتال ٤٩٩، ٤٨٧. ٣، ١٨٣. ٢
- ٦٩ (طویل) ضعيف بقاوينى ، قصير يطاول ٦٩٣، ٦٧٤، ٦٦٥، ٦٤٣. ٤، ٣٥٩. ٢
- ٧٠ (طویل) وآخر قطن من يديه الجنادل ٢٤٨، ٢٢٠، ٢١٩. ٢
- ٧١ (طویل) فكم هارب مما الى يؤول ٦٧٣. ٤، ٣٦٠، ٣٥٩، ٢٦٧. ٢
- ٧٢ (بسيط) فليسعد النطق إن لم يسعد الحال ٣٦٧، ٣٦٦. ٢
- ٧٣ (وافر) تان وعده مما تنيل ٦٧٣. ٤، ٣١٩. ٢
- ٧٤ (كامل) أبداً إذا كانت لمن أوائل ٢٨٢، ٢٨١. ٢
- ٧٥ (منسرح) تعجز عنه العرامس الذلل ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦٠، ٢٥٩. ٢
- ٧٦ (خفیف) فمتى الوعد أن يكون القفول ٣٢٩ - ٣٢٧. ٢
- ٧٧ (مقارب) أيقدح فى الخيمة العذل ٦٧٣. ٤
- ٧٨ (بسيط) إذا رأى غير شىء ظنه رجلاً ١٨٩. ٢
- ٧٩ (وافر) فساعة هجرها يجد الوصلا ٢٦٩. ٢، ٩٤. ١
- ٨٠ (كامل) فى الناس ما بعث الإله رسولا ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٣٤. ٢
- ٨١ (خفیف) يتفارسن جهرة واغتيالاً ٣٩٩. ٣
- ٨٢ (خفیف) تكن الأفضل الأعز الأجلأ ٣٤٣، ٣٣٧، ٣٣٦. ٢
- ٨٣ (طویل) برياً من الجرعى سليماً من القتل ٤٩٧. ٣، ١٩٨. ٢
- ٨٤ (طویل) تفوت من الدنيا ولا مؤهب جزل ٣٢٢. ٢

- ٨٥ (بسيط) دعا قلبه قبل الركب والإبل ٣٤٥ . ٢
- ٨٦ (بسيط) وقد أغد إليه غير مُحْتَفِل ٦٦٦ . ٤
- ٨٧ (وافر) نصيبك في منامك من خيال ٦٩٢ ، ٦٧٣ ، ٦٣٦ . ٤ ، ٣٦١ ، ٣٢٠ . ٢
- ٨٨ (خفيف) وانظر اليوم ما ترى من قتالي ٥٩٥ . ٤
- ٨٩ (متقارب) وتغفر للمذنب الجاهل ٣٥٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ . ٢
- ***
- ٩٠ (طويل) فتسكن نفسى أم مهان فمسلم ٢٥٧ ، ٢٥٦ . ٢
- ٩١ (طويل) إذا كان مدح فالنسيب المقدم ٦٧٣ . ٤
- ٩٢ (طويل) وعلمنا التوبة لو نتعلم ٦٩٤ ، ٦٤٨ . ٤
- ٩٣ (طويل) على قدر أهل العزم تأتي العزائم ٦٩٧ ، ٦٩٦ . ٤
- ٩٤ (طويل) كما ثيرت فوق العروس الدراهم ٦٣٨ ، ٦٣٧ . ٤
- ٩٥ (بسيط) بأننى خير من تسعى به قدم ٤٤٣ . ٣ ، ٣٩٢ ، ٣٤٤ ، ١٦٠ ، ١٥٩ . ٢ ، ٤
- ٦٦٧ ، ٦٦٦ ، ٦٥١ ، ٦٣٥ ، ٦٣٤
- ٩٦ (بسيط) كيما تزول شكوك الناس والتهم ٣٨٩ . ٢
- ٩٧ (وافر) وعمر مثل ما تهب اللأم ٢٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٠ . ٢
- ٩٨ (كامل) عرضاً نظرت وعلت أنى أسلم ٢٩٤ . ٢
- ٩٩ (منسرح) تفلح غرّب ملوكها عجم ٢٦٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ . ٢
- ١٠٠ (خفيف) ... غذاء تضى به الأجسام ٢٧٤ ، ٢٥٢ ، ٢٤٥ . ٢
- ١٠١ (خفيف) ... له فيك وخائنه قربك الأيام ٣١٩ . ٢
- ١٠٢ (طويل) بها أنف أن تسكن اللحم والعظماء ١٧٦ - ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٦٧ - ١٦٠ . ٢ ، ٤٣٤ . ٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٣ ، ٢٨١ ، ٢٤٣ - ٢٤١ ، ٤٣٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
- ١٠٣ (كامل) هم أقام على فؤاد أنجما ٦١٤ . ٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠١ . ٣ ، ١٨٧ . ٢
- ١٠٤ (طويل) وحتى متى في شقوة وإلى كم ٥٠٣ ، ٥٠٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ . ٣ ، ١٨٥ . ٢
- ١٠٥ (طويل) وأم ومن يمت خير ميمم ٣٥١ . ٢ ، ٤٥ ، ٤٤ . ١
- ١٠٦ (طويل) كأنهم ما جف من زاد قادم ٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ١٦٩ ، ١٥٦ . ٢ ، ٥٢ . ١ ، ٦٣٣ . ٤ ، ٥٦٥
- ١٠٧ (بسيط) فإنما يقطّات العين كالعلم ٢٣٧ . ٢
- ١٠٨ (بسيط) ولا القناعة والإقلال من شيمى ٢٤٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ . ٢

- ١٠٩ (بسط) وبنجلى خبرى عن صمّة الصّمم ٢٤٨، ٢٢١، ٢٢٠، ١٩٩. ٢، ٧٢. ١
- ١١٠ (بسط) ففما النفوس تراه غايّة الألم ٦٥٠، ٦٢٦. ٤، ٢٦١، ٢٣٤، ١٨٤. ٢
٦٩٥، ٦٩٤
- ١١١ (وافر) خفى عنك فى الهنجا مَقامى ٦٨٦، ٦١٨، ٦١٧. ٤، ٢١٠، ٢٠١. ٢
- ١١٢ (وافر) بسر أو قناه أو حسام ٦٩٤، ٦٢٦. ٤، ٤٣٢. ٣٦٩، ٣٦٨. ٢، ٤٧. ١
- ١١٣ (كامل) جلبت حَمامى قبل يوم حَمامى ٣٩١، ٢١٨ - ٢١٦. ٢، ٦٦، ٣٨. ١
- ١١٤ (خفيف) فافتضحنا بنوره فى الظلام ٦٦٢. ٤
- ...
- ١١٥ (بسط) ولا نديم ولا كأس ولا سكن ٦٩٤. ٤، ٣٥٣، ٣٥٢. ٢، ٧٢. ١
- ١١٦ (بسط) فلا أعاتبه صفحاً وإقوانا ٣٨٣، ١٨٦. ٢
- ١١٧ (كامل) ثم اعترف لها فصارث ديدنا ٦٧١، ٦٣٦. ٤، ٢٧١. ٢
- ١١٨ (بسط) ولا أمرٌ بخلقٍ غير مضطرب ٦٢٨. ٤، ٢٨٤، ٢٨٠ - ٢٧٨، ٢٧٣. ٢
- ١١٩ (بسط) وفرّق الهجر بين الجفن والوسن ٤٨٤، ٤٨٣. ٣
- ١٢٠ (بسط) ثم استوى فيه إسرارى وإعلاقى ١٨٩. ٢
- ١٢١ (وافر) بضوّئهما ولا يتحاسدان ١٤٣. ٢
- ١٢٢ (وافر) بمنزله الربيع من الزمان ٣٨٣، ٣٨١. ٢
- ١٢٣ (وافر) أمانبها ، وضوء الناظرين ٥٩٢، ٥٩١. ٤
- ١٢٤ (كامل) فكأنما يتصيرن بالأذان ٦٩٣، ٦٣٦. ٤
- ...
- ١٢٥ (كامل) زان الإمامة بالوصى ٦٤٥. ٤
- ١٢٦ (طويل) لفارقت شيبى موجع القلب باكياً ٣، ٣٦٢، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٠٩. ٢، ٧١. ١
- ٤٨١، ٤٨٠
- ...
- ١٢٧ (كامل) وأرى بطرف لا يرى بسوائه ٤٨١. ٣
- ١٢٨ (بحث) ما أنصف القوم ضبة ٦٩١، ٦٥٢. ٤، ٣٩١. ٢
- ١٢٩ (سريع) نعا ف ما لا بد من شربه ٦٢٦. ٤، ٣٨٧، ٣٨٥، ٣٥٥. ٢
- ...
- ١٣٠ (كامل) ... فى كلّ مليحة ضرائها ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٤٠، ١٦٥. ٢

- ١٣١ (خفيف) في غُلاَه حتى ثَنَاه اعتقَاذه ٦٦٩.4
- ١٣٢ (طويل) وأشكرو إليها يمشا وهي جنده ٦٧٥.4، ٣٥٨، ٣٥٠.2
- ١٣٣ (منسرح) أبعد ما بان عنك خردُها ٥١٢، ٥١١.3، ١٥٢.2، ٥٨، ٥٧.1
- ٥٢٠، ٥١٩، ٥١٦، ٥١٥
- ١٣٤ (بسيط) يغرى طُلَى وإمقيه في تَجَرْدِهِ ٦٠٠.4
- ***
- ١٣٥ (منسرح) والنجلُ بعضُ من نَجَلَه ٤٠٤.3، ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٣٣، ١٣٧.2، ٤٦.1
- ٤٤٣، ٤٣١، ٤٣٠، ٤١٤، ٤٠٩، ٤٠٨
- ***
- ١٣٦ (منسرح) غير سَفِيهِ عَلَيْكَ مَنْ شَتَمَكَ ٦٢٤.4
- ١٣٧ (طويل) وفاؤُكا كالربيع أشجَاهُ طاسمُهُ ٣١٧، ٣١٦، ٣١٣، ٣١١، ٣٠٦.2
- ٦٧٣، ٦٦١، ٦٤٤، ٦٣٠، ٦٢٧.4، ٣١٩
- ***
- ١٣٨ (مديد) يَا لَقَحْطَانِي وَيَعْرِيَنِي ٦٥.1
- ***

أبيات لغير المتنبي

- ١ (طويل) ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا سعد بن ناشب المازني ٤٦.1
- ٢ (طويل) بدأ حاجبٌ منها وضئت بحاجب قيس بن الخطيم ٦٧٧، ٦٣٠.4
- ٣ (وافر) علوٌ لي يُلْقَبُ بالحبيب سيويه الموسوس ٦٧٠.4
- ٤ (مجتث) على قفا المُتَنَبِّي ابن الحجاج الشاعر ٦٢٥.4
- ***
- ٥ (كامل) والقول بالصدق المبين يتضح الضب الضرير ٦٢٥.4
- ٦ (طويل) وما زالت الأشراف تُهَجِّي وتُمدح ٦٥٣، ٥٩٧.4
- ***
- ٧ (بسيط) فالصبحُ ثَمَامَةٌ والليلُ قَوَادُ ابن المعتز ٦٧٧.4
- ٨ (طويل) وجرذتُ تجريدَ اليماني من الغميد ذو الرمة ٤٠١.3
- ٩ (كامل) ومهذبُ الآباء والأجداد علي بن مر ٦٠١.4
- ***
- ١٠ (طويل) أجرو حبلًا ليس فيه يعير الأخير السعدى اللص ٤٦٤.3

- ١١ (وافر) فلا رَجَعْتَ ولا رَجَعَ الحِمَارُ ٤٤٦ . ٣
- ١٢ (وافر) قبائل يَغْرِبُ وبنى نزار أبو زهير الحمدانى ٦٦٥ . ٤
- ١٣ (كامل) مُتَطَلِّبٌ فى الماءِ جُذُوءَ نارٍ ١١٦ . ١
- ١٤ (كامل) عَيْنُ الضمير يراك أحسنَ منظرٍ على بن مَر ٦٠١ . ٤
- ١٥ (كامل) والخيلُ مِنْ تحتِ الفوارسِ تَنَحُّطُ أبو العشائر الحمدانى ٦٦٥ . ٤
- ١٦ (بسيط) فأصْبَحَا فى قُوَادِي ثابتين مَعَا المجنون ٤٨١ . ٣
- ١٧ (وافر) له باع يقصّر عن ذِرَاع (المحسن التلوخي) ٣٧١ . ٢
- ١٨ (بسيط) فِيهِمْ مُصِيبَاتُهُ ذِرَاكَا أبو نواس ٦٦٨ . ٤
- ١٩ (طويل) يَلُومُ على البُخْلِ الرجالَ وَيَبْخُلُ الشاعر ٦٣٠ . ٤
- ٢٠ (متقارب) مَقَالَ امرئٍ منصفٍ ليس يَغْلُو أبو الفتح البُسْتِي ٦٢٨ . ٤
- ٢١ (متقارب) وأرعد يميناً وأبرق شمالاً ١٤٧ . ٢
- ٢٢ (طويل) ولم أَتَبَطَّنْ كاعباً ذاتَ خَلْخالٍ امرؤ القيس ٦٩٧ ، ٦٩٦ . ٤
- ٢٣ (بسيط) على المكارو غَابَ البَدرُ فى الطُفْلِ أختُ المتنبي ٦٩٦ ، ٦٥٦ . ٤
- ٢٤ (سريع) ما غَرَّكُمْ بالأسدِ الباسِلِ امرؤ القيس ٦٥٥ ، ٥٩٩ . ٤
- ٢٥ (بسيط) ضلُّوا عن الرشد من جهل به وعَمُوا ابن لنكك ١٥٨ . ٢
- ٢٦ (كامل) رَصَدَانِ ضوءُ الصُّبحِ والإِظلامِ أشجع السُّلَمَى ٦٦٨ . ٤
- ٢٧ (كامل) قَعَدَ الملوِكُ به لَدِيكَ وقَامُوا السرى الرفاء ٦٤٢ . ٤
- ٢٨ (طويل) وبينَ غيمٍ غيرِ حَزِّ الغَلَّاصِمِ الشُّمْرُذَل ٤٠٠ . ٣
- ٢٩ (وافر) كما تَرْدَادُ أنتِ على السقام ٦٦٣ . ٤
- ٣٠ (طويل) عَلَيهَا امْتَطَيْتَا الحَضْرَمَى المُلْسَنَا أبو نواس ٥١٥ . ٣
- ٣١ (مجتث) يزدادُ مِثْلُكَ حُسْنًا أبو محمد بن وكيع ٦٦٢ . ٤
- ٣٢ (خفيف) إِذْ دَهَانَا فى مِثْلِ ذاكِ اللسانِ المظفر بن على الرُّوزَنى (أبو القاسم) ٦٩٥ ، ٦٥٦ . ٤

- ٣٣ (خفيف) متيبيكم ابن سقاء كوفان .. ابن لنكك ١٥٩. 2
- ***
- ٣٤ (خفيف) ... من الناس بكرة وعشياً ١٥٨. 2
- ٣٥ (كامل) .. الطير عن أربابها دخنوس بنت لقيط بن زرارة ٦٥٥ ، ٥٩٩ : 4
- ٣٦ (طويل) لتستتره فيما أتى أنت سائره مبدول العذري ٤٦٩. 3
- ٣٧ (متقارب) حديث العذاري بأسرارها ٥١٧. 3
- ٣٨ (طويل) صنيعة تقوى ، أو خليلاً ثوامقة كثير ٦٧٦. 4
- ٣٩ (طويل) وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتلة ٥٦٩. 3
- ٤٠ (طويل) وذو باطل إن شئت أركاك باطله العجبر السلولى ١١٥. 1
- ***
- ٤١ (طويل) لا رجم الله روح من رجمك الضب الضير الشامى ٦٢٤. 4
- ***
- ٤٢ (رجز) مسلم ما أنساك ما حيث رؤية ٦٦٣. 4
- ٤٣ (رجز) إني وكل شاعر من البشر ٤٠٨. 3
- ٤٤ (رجز) نفس عصام سودت عصاماً ٤٤٢. 3
- ٤٥ (رجز) يا حبذا مقامنا بالكوفة ١٤٠. 2
- ***
- ٤٦ (طويل) نحن بزوراء المدينة ناقتى الفرزدق ٤٠٠. 3
- وتمامه :
- حين عجلول تبتغي البو رايم
- ***

فهرس الحديث والأمثال

- « الحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبِذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ » ٤٥١ . ٣
 « الْمُنْتَشِعُ بِمَا لَا يَمْلِكُ كِلَابِسُ ثَوْبَيْنِ زَوْجٍ » ٧٤ . ١
 « يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ تَخْلِيفٍ عُدُوْلَهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْعَالِينَ ، وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ » ٤٥٠ . ٣

° ° °

أمثال

- « أَنْتِ كَأَنَّهُ الْجَبَلُ ، مَهْمَا يُقَلُّ ثَقُلَ » ٤١٧ . ٣
 « أَتَقِي الصَّبِيَّانَ لَا تُصْبِكَ بِأَعْقَانِهَا » ٤٤٩ . ٣
 « جَاءَ بِقَرْنِي جِمَارٌ » ٤١٩ . ٣
 « جَاوَزَ الْجِزَامَ الطَّبِيبُ » ٤٢٠ . ١
 « اخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْهَمَلِ » ٤٨٣ . ٣
 « خَلَاكَ الْجَوْ قَبِضِي وَأَصْفِرِي » ٢٩ . ١
 « خَمَرُ أَيْ الرُّوْقَاءِ لَيْسَتْ تُسَكَّرُ » ١٠٤ . ١
 « خَيْرُ السَّرَقَةِ مَا لَا يَحِبُّ فِيهِ الْقَطْعُ » ٤٠٠ . ٣
 « سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ » ٤٢٢ . ٣
 « شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطُّوقِ » ١١٤ . ١
 « شَرُّ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا يُتَمَنَّى مَعَهُ الْمَوْتُ » ٤٧٥ . ٣
 « الْعُرَى الْفَادِحُ » خَيْرٌ مِنَ الزَّرَى الْفَاضِحِ » ٤٣٣ . ٣
 « عَيْ الصَّمِي ، خَيْرٌ مِنْ عَيْ النُّطْقِ » ٤٤٧ . ٣ ، ٤٥٣
 « الْعَمْرَاتُ ثُمَّ يَنْجَلِينَ » ٧٥ . ١
 « لَا مَجُوسِيًّا عَرَفْتُ ، وَلَا يَهُودِيًّا وَصَفْتُ » ٤٠٠ . ١
 « مَا كُلُّ بِيضَاءٍ شَحْمَةٌ ، وَلَا كُلُّ سَوْدَاءٍ ثَمَرَةٌ » ١٠٦ . ١
 « الْمَخِيلَةُ تَقْتُلُ نَفْسَ الْخَائِلِ » ٤٢٤ . ٣
 « مَنْ يَمْدَحُ الْعُرُوسَ إِلَّا أَهْلُهَا » ٤٠٢ . ٣

° ° °

أمثال عامية

- « جَلُمُ الْقَطَطِ كُلُّهُ فَرَانٌ » ١١٦ . ١
 « رَجَعَتْ رِيْمَةٌ ، لِعَادَتِهَا الْقَدِيمَةُ » ١٠١ . ١
 « مِنْ دَقْنِهِ وَأَفْتَلُ لَهُ » ٩٨ . ١

سيرة أوى الطيب المتنبى

- أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي، (ابن عيذان السقاء)
- أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي
- أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي
- نسبة: ٦٠٩، ٦٠٧، ٥٩٠، ٥٨٩. 4، ١٣٧. 2، ٥٦. 1
- والد المتنبي (عيذان السقاء، الحسين): ١٦٨، ١٦٢ - ١٥٨، ١٤٨ - ١٤٥، ١٣٨، ١٣٧. 2، ٥٣. 1
- - ١٧٢، ١٧٣. 3، ٤٠٣. 3، ٤١٠، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٩، ٤٦٩، ٥٩٩. 4 (عبدان بالياء الموحدة)، ٦١١ - ٦١٣، ٦٢٤، ٦٦٦، ٦٨١، ٦٨٣
- أم المتنبي (همدانية): ٤١٦، ٤١٣، ٤٠٣. 3، ١٧٢ - ١٧٠، ١٦٤، ١٦٣. 2
- مرضعة المتنبي، من آل عبيد الله بن يحيى (علي) العلوية: ٥٥١ - ٥٧، ١٥٣. 2، ١٦٤، ١٦٨، ١٨٢. 4
- ٦٥٩، ٦١٠، ٥٨٩
- جد المتنبي: ٤١٩، ٤١٨. 3
- جدّة المتنبي: ١٣٩. 2، ١٦٣ - ١٧٧، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦ - ١٩٨، ١٩٧، ٢١٨، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٨ - ٢٤٢، ٢٧٧ - ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٧١ - ٣٧٥، ٣٧٥. 3، ٤٣٤، ٤٣٥
- ٤٤٠، ٤٤٦ - ٤٤٩، ٤٥٧ - ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٣، ٦١٢. 4
- زَوْجُ المتنبي وعياله: ٣٢٢ - ٣١٨، ٢٣٩. 2، ٧٠، ٥١. 1
- أخوه المكفوف لأبيه وأمه، ببغداد: ٦٨٣، ٦١٠، ٦٠٩. 4، ٥٦١
- أخت المتنبي (ترثيه): ٦٩٦، ٦٥٦. 4
- ابن عمّ للمتنبي بالكوفة: ٥٩٠. 4
- المحسّد، ابن المتنبي: ٧٠. 1، ٢٤٠. 2، ٣١٨، ٦٠٤. 4، ٦٤٩، ٦٦١، ٦٩١
- سِرَاج، غلام المتنبي: ٥٩٥. 4
- مُفْلِح، غلام المتنبي: ٦٠٤. 4
- راوية شعر المتنبي (أبو الحسين محمد بن محمد بن سلمان): ٥٩٢. 4
- وكيل المتنبي بحلب (أبو سعد): ٦٤٦. 4
- صاحب المتنبي (علي بن حمزة البصري): ٥٩٦. 4
- صاحب المتنبي (أبو الحسن العروضي): ٥٩١. 4

- صاحب المتنبي (الحسن بن حامد التاجر) : ٥٩١ . ٤
- صاحب المتنبي (الحسن بن علي بن الحلاب) : ٦٣٥ . ٤
- دار المتنبي بحلب : ٦٠٨ . ٤ ، وانظر أيضاً « زبدة الحلب » لابن العديم ٣ : ١٧
- ضيعة المتنبي بمعة النعمان (بصف) : ٦٣١ . ٤

- عمود صورة المتنبي ، كما رأيتها : ٤٩١ - ٧٥ ، ٧٧ ، ثم الكتاب كله .

- هذا موجز سيرة المتنبي . ثم إذا ما تصفّحت « فهرس الأعلام » ، وجدت كثيراً مما يمكن أن يضم إليه ، من ذكر من روى عن المتنبي ، أو من رآه أو سمعه أو صحبه ، أو كتب شعره أو ديوانه ، أو طارحه الحديث . وبعض ذلك مبيّن أمام بعض الأعلام المذكورة في الفهرس الذي يلي هذا .

فهرس الأعلام

- إبراهيم النظام المعتزلى : ٣ . ٤٠٠ ، ٥٤٤ ، ٥٥٥
 أبو إبراهيم (جليس سيف الدولة) : ٤ . ٦٤٣
 إبراهيم بن حبيب السفطى (أبو إسحق) : ٤ . ٦٤٢
 إبراهيم بن عبد الله بن (المغرى) (أبو إسحق) : ٤
 ٦٩٢ ، ٦٠٩
 إبراهيم عبد القادر المازنى : ١ . ١٠٦
 إبراهيم بن محمد (الإفلى) : ٤ . ٦٦٠
 ابن الأثير (ضياء الدين) (صاحب التاريخ) : ٤
 ٥٩١ ، ٥٩٦ ، ٦٦١
 إحسان عباس : ٤ . ٥٨٦
 أبو أحمد (عبد العزيز بن الفضل) : ٤ . ٥٩٠
 ٥٩٥ ، ٥٩٩
 أحمد بن إبراهيم الضبى (أبو العباس) : ٤ . ٦٤٢
 أحمد بن بويه الديلمى (معز الدولة) : ٢ . ١٥٩
 أحمد تيمور باشا : ١ . ١١ ، ١٢
 أحمد بن أبى جعفر القطيعى : ٤ . ٦١١
 أحمد حسن الزيات (صاحب الرسالة) : ١ . ٨١
 أحمد بن الحسين المالكى (أبو الفرج) (مدحه
 المتنبي) : ٢ . ٢٥٦
 أحمد راتب النفاخ : ١ . ٥٤ ، ٦ . ٣
 أحمد بن زاهر (أزهر) بن عبد الوهاب البغدادي :
 ٦٣٥ ، ٦٣١ . ٤
 أحمد بن سليمان (أبو العلاء المعرى)
 أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى (أبو الفرج)
 (مدحه المتنبي) : ٢ . ٢٨١
 أحمد بن عبد الرحيم الأصفهاني المتنبي : ٤ . ٦٢٤
 أحمد بن على بن ثابت (الخطيب البغدادي)
 أحمد بن عمران (أبو أيوب) (مدحه المتنبي) : ٢ .
- ٢٨٣ ، ٢٤٠
 أحمد بن فارس : ٤ . ٦٢٧
 أحمد لطفى السيد : ١ . ١٥
 أحمد محرم (الشاعر) : ١ . ٧٩
 أحمد بن محمد ، أبو الحسن (المغرى)
 أحمد بن محمد (أبو الفضل العروضى) : ٤ . ٦٦٠
 أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو طاهر (السلفى)
 أحمد بن محمد بن الحسن (تاج الأمانة) : ٤ . ٦٠٩
 ٦٥٥
 أحمد بن محمد ، مسكويه (الأستاذ أبو على) : ٤
 ٦٢٢
 أبو أحمد بن نصر (البازيار)
 أحمد بن يحيى بن زهير بن أبى جرادة (القاضى أبو
 الحسن) (جد جد والد ابن العديم) : ٤ . ٦٥١
 الأخشيذ السعدى الشاعر اللص : ٣ . ٤٦٤
 الإخشيد (محمد بن طغج) (أبو بكر) : ٢ . ٢٢٣
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٣٠٣ ، ٣٣٦ ، ٤ . ٦٤٤
 الإخشيدية : ٢ . ٢٠٠ ، ٢٢٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧
 ٣٠٣ ، ٣٢٨ ، ٤ . ٦١٦ ، ٦٨٥
 الأخطل : ٣ . ٤٠١
 الأدعياء (من العلويين) : ٢ . ١٥٤ - ١٥٦
 ١٦٩ ، ٢٥٣ ، ٢٩٣
 ابن أبى الأزهر (المؤرخ) : ٤ . ٦٢٣ ، ٦٢٤
 أبو إسحق الصائى : ٤ . ٦٣٨ ، ٦٣٩
 إسحق بن كيغلغ (ابن كيغلغ)
 بنو أسد (عمرو بن حابس) : ١ . ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٣
 ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٤
 ٥٩٦ ، ٥٩٩ ، ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٩١

- أسد بن ربيعة بن نزار : ٥٨٧ . 4
إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (الخدوي) : ٢٠ . 1
الأشتر (المشطب) : ٦١٠ . 4 ، ١٥١ . 2
أشجع السلمى : ٦٦٧ . 4
الأشراف (العلويون) : ١٥٢ . 2 - ١٥٤ ،
١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٥٤٤ . 4
الأصفهاني (أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن)
(صاحب إيضاح المشكل) : ٥٤ ، ٥٣ . 1
١٤٢ . 2 - ١٤٤ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ،
١٨٨ ، ٤٧٣ . 3
الأصمعي : ٦٨١
الأعاجم (العجم) : ١٩٧ . 2
الأعلم الشنتمري (يوسف بن سليمان ، أبو
الحجاج) : ٦٦١ ، ٦٦٠ . 4
الأعشى : ٤٠٥ . 3 ، ٣٩ . 1
أبو الأغر بن سعيد بن حمدان : ٢١٦ ، ٢١٥ . 2
الإفليلي (إبراهيم بن محمد ، أبو القاسم) : ٦٦٠ . 4
أمين المعلوف (معجم الحيوان) : ٤٤ ، ٤٣ . 1
٤٥
ابن الأنباري (عبد الرحمن بن محمد ، أبو البركات
الكمال) : ٥٥٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٣ ، ٥٥٢ . 4
٦٦٠
أنستاس الكرملي القس : ٤٣ . 4
الأنطاكي (أحمد بن عبد الله بن الحسين)
(الحسن بن عبد الله بن الحسن)
(علي بن أحمد الأنطاكي)
الأوراجي (هرون بن عبد العزيز) : ٢٥٧ . 2
٣٦١ ، ٢٥٩
أونوجور (بن الإخشيد) : ٦٤٤ . 4
أبو أيوب (أحمد بن عمران) (مدحه المتنبي) : ٢٤٠ . 2
٢٤٠
أبو أيوب (المورياني) : ١٧٨ . 2 ، ١٧٩
٥٥٥
ابن بابك (عبد الصمد بن بابك ، أبو القاسم) : ٤٠٤ . 4
٦٤٣
البازيار (أبو أحمد بن نصر) (وزير سيف الدولة) :
٦٦٧ . 4
ابن باكوويه الشيرازي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)
(روى عن المتنبي) : ٦٠٨ . 4 ، ٦٩٢
البغاء (أبو الفرج) (عبد الواحد بن نصر) : ٢٠٢ . 2
١٥٨ ، ٦٣١ . 4
بجكم التركي : ٧٢ . 1
البحتري : ٦٦١ . 4
بختيار (عز الدولة) بن معز الدولة : ٦٢٨ . 4
بدر الحرشني : ٨٨ . 1
بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي (أبو الحسين)
(مدحه المتنبي) : ٦٧ . 1 ، ٧١ ، ٨٤ - ٨٧ ،
٩١ - ٩٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٣٤ . 2 ، ٢٥٩ -
٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ،
٣٠٧ ، ٣٢٦
البديعي (صاحب الصبح المنبي) : ١٠٧٤ . 3
٥١٣ ، ٥٦٢ ، ٥٩٢ . 4 - ٥٩٤
أبو البركات (محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل)
أبو البركات بن أبي الفرج (ابن زيد التكريتي) : ٤٠٤ . 4
٦٧٥
بنو برمك : ٦٦٨ . 4
ابن برهان (أبو القاسم بن برهان) (عبد الواحد بن
علي) : ١٣٧ . 2
بشار بن برد : ٤٢٨ . 3
بشر بن عبد الوهاب القرشي : ١٤١ . 2
ابن بشران (أبو غالب) : ٦٣١ . 4
البغدادى (صاحب الخزانة) : ٥٣ . 1 ، ٤٧١ -

التنوخيون : ١٤٩. ٢ ، ١٢٠ ، ٨٩ ، ٨٧. ١

٥٢٥. ٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٠ - ٢٢٨ ، ١٥٠

توفيق الحكيم : ١١٨. ١

٥٥٥

الثريا (فرس لسيف الدولة) : ٦٣٣. ٤

التهالبي (أبو منصور) (يتيمة الدهر) : ٤١٨. ٣ ،

٦٢٢. ٤

بنو ثعلبة : ٢١٥. ٢

ثمود : ٦٨٨. ٤ ، ٢٣٣. ٢

٥٥٥

الجاحظ : ٥٥٥ ، ٥٥١ ، ٥٤٤. ٣

جالينوس : ١٩٠ ، ١٨٩. ٢

جُدان بن جديلة بن أسد : ٥٨٧. ٤

جُدَى بن جديلة بن أسد : ٥٨٧. ٤

جديلة بن أسد بن ربيعة : ٥٨٧. ٤

ابن أُنَى جرادة (عبد الصمد بن زهير بن هرون)

(روى عن المتنبي) : ٦٠٨. ٤

ابن أُنَى جَرادة (أحمد بن يحيى بن زهير)

الجرجاني (علي بن عبد العزيز ، القاضي) : ٦٦٠. ٤

جرجي زيدان : ٢٥ ، ٢٤١

جرير : ٤٠٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠١. ٣

أبو جعفر المنصور : ١٧٧ - ١٧٩

أبو جعفر (محمد بن الحسن) : ٦٠١. ٤

أبو جعفر (محمد بن الحسين بن حمزة)

أبو جعفر الشَّقَق (الشريف العباسي) : ٤٤٥. ٣ ،

٤٤٦

جعفر بن أُنَى الفضل بن جعفر (ابن حنزية)

جعفي (بن سعد العشرة) : ١٤٨. ٢ ، ٢١٢. ٣ ،

٥٤٥ ، ٤٦٩ ، ٤٢٧ - ٤٢٠ ، ٤١٤ ، ٤٠٣

٥٧٢ ، ٦٨٢ ، ٦١٣ ، ٦١٢ ، ٥٩٠. ٤

٦٨٣

٦١٠. ٤ ، ٤٧٧

ابن بقلبة : ١٤٠. ٢

أبو بكر (بدر بن عمار)

(محمد بن رائق)

أبو بكر الخوارزمي : ٦٣٠. ٤

أبو بكر الطائِي (روى عن المتنبي) : ٦٠٩. ٤ ،

٦٩٢

أبو بكر الفرغاني (صاحب المتنبي) : ٦٨٩. ٤

أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان : ٦٧٦. ٤

بلاشير (المستشرق) : ١٠٨ ، ٩١ ، ٨٢. ١ ،

٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٣. ٣ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١٠٩

٥١٢ ، ٥٠٩ ، ٥٠٥ ، ٥٠٢ ، ٥٠٠

٥٢٨ ، ٥٢٦ ، ٥٢١ ، ٥١٨ ، ٥١٣

أبو البهاء بن عدى (شيخ رَفْنِيَّة) : ٦٣٢. ٤

بهاء الدولة بن عضد الدولة : ١٤٤ ، ١٤٣. ٢

بنو بويه : ٢٢٤ ، ١٥٩ ، ١٤٤ ، ١٤٣. ٢

٣٩١ ، ٣٨٨ ، ٣٨٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٦ ، ٣٠٢

البيروني (أبو الريحان) (محمد بن أحمد) : ٦١٤. ٤ ،

٦٢٦

ابن البيطار (العشاب) : ١١٣. ١

٥٥٥

تاج الأمان (أحمد بن محمد بن الحسن)

التبريزي (يحيى بن علي ، أبو زكريا) : ٦٦٠. ٤

الترك : ٢٩٦ ، ٢٤٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ١٩٧. ٢ ،

٣٠٣

بنو تغلب : ٢٢٣ ، ٢١٥. ٢

تغلب بن داود بن حمدان (أبو وائل)

أبو تمام : ٦٧٥ ، ٦٧٤. ٤

تيم (بنو ضبة) و (بنو رياح) : ٦٦. ١

تنوخ (ملوك تنوخ) : ٢٢٨ ، ١٥٠. ٢

التنوخى (المحسن بن علي)

- ابن جنى (أبو الفتح) : ١، ١٨٥، ١٤٤. 2، ٧٣. 1،
 ٥٤٨. 3، ٦٠٨. 4، ٦٢٠. ٤، ٦٢٢،
 ٦٦٠، ٦٤٣، ٦٤١، ٦٣٧ - ٦٣٥، ٦٢٩
 ٦٦٥، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٧، ٦٨٨، ٦٩٢،
 ٦٩٣
 الجهشيارى (صاحب الوزراء والكتاب) : 2 .
 ١٧٧
 الجوالقى (أبو منصور، موهوب بن أحمد) : 4 .
 ٦٤٦
 ابن أئى الجوع الوراق المصرى (عبد الله بن محمد
 ابن أحمد) : 4، ٥٨٦، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٩،
 ٦٩٢، ٦١٠
 جويدى الكبير (المستشرق) : 1، ١٨ .
 جويدى الصغير (المستشرق) : 1، ١٧ - ١٩
 ٥٥٥
 الحاتمى (محمد بن مظفر، أبو الحسن) : 2، ١٤٥،
 ٣٧٦، ٦٦١، ٦٧٥
 ابن أئى حامد (أبو على بن أئى حامد)
 ابن الحجاج الشاعر (أبو عبد الله) : 4، ٦٢٥
 الحجاج بن يوسف الثقفى : 3، ٤٧١
 ابن حجر العسقلانى : 4، ٦٠٨
 ابن حزم (جمهرة النسب) : 4، ٥٨٧
 ابن حسام زاده (عبد الرحمن)
 أبو الحسن العلوى (محمد بن يحيى العلوى الزيدى) :
 1، ٥٦، 2، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧ - ١٥١،
 ١٦٤، ١٧٠، ١٨٢، ٢٠٦، ٢١٢، ٣٧٦،
 3، ٤٢١، ٦٠٩ - ٦١٣، ٦٨١، ٦٨٢
 أبو الحسن الطرائقى (رأى المتننى) : ٦٣٢، ٦٣٣
 أبو الحسن العروضى (صاحب المتننى) : 4، ٥٩١
 الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (أبو على الفارسى)
 الحسن بن جعفر بن المتوكل البغدادى (أبو على) :
٦٣٤. 4
 الحسن بن حامد التاجر (صاحب المتننى) : 4 .
 ٥٩١
 أبو الحسن بن أم شيبان القاضى (على بن محمد بن صالح)
 (محمد بن صالح بن على)
 ١٣٨. 2
 الحسن بن عبد الله بن حمدان (ناصر الدولة) : 2 .
 ٢١٥، ٢١٦، ٢٢١
 الحسن بن عبد الله بن المرزبان (أبو سعيد السيرافى)
 الحسن بن عبيد الله بن طغج (ابن طغج) (أبو محمد) :
 3، ٥١٤، 4، ٦٣٣
 الحسن بن على الحافظ : 4، ٦٢٢
 الحسن بن على بن الحلاب (سمع المتننى) : 4، ٦٣٥
 الحسن بن على بن الصقر الكاتب (أبو محمد) (روى
 عن المتننى) : 4، ٦٠٨، ٦٩٢
 الحسن بن على بن أئى طالب : 4، ٦٠٢
 الحسن بن عمر بن إبراهيم (أبو محمد) (روى عن
 المتننى) : 4، ٦٠٩
 الحسن بن عمرو الموصلى (ابن دهن الحصى) : 4 .
 ٦٣٥
 الحسن بن لنكك (ابن لنكك) : 2، ١٥٨، ١٥٩
 الحسن بن محمد بن وكيع (ابن وكيع) (أبو محمد)
 حستون المصرى : 4، ٦٦١
 أبو الحسين (محمد بن محمد بن سلمان) (رواية
 المتننى)
 أبو الحسين (كاتب أئى جعفر الشق) : 4، ٤٤٥،
 ٤٤٦
 أبو الحسين (الناشئ) (الشاعر)
 أبو الحسين (بدر بن عمار)
 (على بن إبراهيم التنوخى)
 (على بن أحمد المرى)

الخالديان (أبو عثمان سعيد بن هاشم، وأخوه محمد):

١. ٥٨، 2. ١٥٨، ٣٦٢، 4. ٦٤٥، ٦٥١،

٦٥٢، ٦٧٢، ٦٩١

ابن خالويه: 2. ٣٥٧، ٣٥٨، 4. ٦٠٨، ٦١٦،

٦٣١، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٦٤،

٦٦٧، ٦٨٥، ٦٨٨، ٦٨٩

الخرشني (ملك الروم): 1. ٨٨، ٨٩، 2. ٢٢٦،

٢٢٧

خروء الطير (بنو أسد): 4. ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٥٤،

٦٥٥

الخصيصي (محمد بن عبد الله بن محمد)

الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت، أبو

بكر): 2. ١٣٧، ١٣٨، 4. ٥٩١، ٦٠٩،

٦١١، ٦١٥، ٦١٦، ٦٤٢، ٦٤٩، ٦٥٦،

٦٨١

ابن خلكان (وفيات الأعيان): 4. ٥٨٦، ٥٨٨،

خليل مطران: 1. ١١٨

الخوارزمي (محمد بن العباس)

الخوارزمي (أبو بكر): 4. ٦٧٦،

خولة (أخت سيف الدولة الكبرى): 1. ٤٤،

٤٤٥، ٤٩، ٦٨، ٧٠-٣٣٦، ٣٥٥،

٣٥٧ - ٣٦٠، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٥

الدارقطني الحافظ المحدث: 2. ٣٦٦

داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود الطيبي

التاجر: 4. ٦٥٦

الداني (محمد بن عبد الله، أبو الحسن): 4. ٦٦٠،

دختنوس بنت لقيط بن زُرارة: 4. ٥٩٩، ٦٥٥،

أبو الدرّ (ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي)

الدروز: 2. ٢٢٨

ابن دريد (محمد بن الحسن بن دريد، أبو بكر):

١. ٦٥، 3. ٥٢٢، 4. ٦٢٩

أبو الحسين (علي بن أحمد بن أبي سَعْدَة)

أبو الحسين البجلي: 4. ٦٤٨

الحسين بن إسحق التنوخي: 2. ٢٣٨

الحسين بن عبد الرحمن النقي (أبو علي الحكيم): 4.

٦٥٥

الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان

العدوي (أبو العشائر)

الحسين بن علي بن أبي طالب: 4. ٥٩٠، ٥٩٦،

الحسين بن علي بن همام الحسيني للطالقاني (أبو

عبد الله): 4. ٦٢٥

الحسين بن محمد بن الصقر الكاتب (أبو عبد الله):

4. ٦٣٥

الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر: 4. ٦٦٠

الحصكفي (يحيى بن سلامة)

الحكّار (عبد العزيز، أبو القاسم): 4. ٦٧٠

الحكيم النيسابوري (أبو علي، الحسين بن

عبد الرحمن)

بنو حمدان (الحمدايون): 2. ١٥٩، ٢١٥ -

٢١٩، ٢٢٣-٢٢٥، ٢٢٩، ٢٩٥-٢٩٨،

٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦-٣٠٨، ٣٨٨، ٣٨٩،

3. ٥١٤، 4. ٦٥٥

ابن حنّابة (جعفر بن أبي الفضل): 2. ٣٦٦، 4.

٦٧٧، ٦٧٨

ابن الحَوْت (أبو العباس بن الحوت): 4. ٦٠٩،

٦٤٨، ٦٩٢، ٦٩٤

...

الخارجي: 2. ٣٢٠

خالد بن صفوان الخطيب (أبو صفوان): 3.

٤٦٥، ٤٦٦

الخالدي (محمد بن هاشم الخالدي، أبو عثمان): 4.

٥٩٥، ٥٩٦، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٧٢-٦٧٥

- الربيع (مولى أبى جعفر المنصور) : ١٧٨ . 2
 ربيعة الفرس (ربيعه بن نزار بن معد) : ٥٨٧ . 4 ،
 ٥٨٨
 ربيعة بن نزار بن معد (ربيعه الفرس) : ١٩٨ . 2 ،
 ٥٨٨ ، ٥٨٧ . 4 ، ٢١٦
 ابن رشيق : ٤١٥ . 3 ، ٥١٥ ، ٥١٦
 الرضى (الشرىف ، محمد بن الحسين الموسوى) :
 ١٦٧ . 2 ، ٤٤٧
 رفاعه الطهطاوى : ٢١ . 1
 الروم (الرومى) (ملك الروم) : ٨٨ . 1 ، ٩٢ . 2 ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٧ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ،
 ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٤ .
 ٦٣٣ ، ٦٦٤
 بنو رىاح (من نعيم) : ١ . 1 ، ٦٦ . 2 ، ٢١٦ . 2 ، ٣٩٠
 الرياضى : ٤٠٠ . 3
 أبو الرىحان (البىرونى)
 ٥٥٥
 زاهر بن طاهر (أبو القاسم) : ٤٤٨ . 4
 الزبىدى (صاحب التاج) : ٢٠٢ . 2
 الزرّاد (على بن الحسين الديلمى ، أبو الحسن) : ٤ .
 ٦٦٤
 الزعفرانى (الحسن بن محمد ، صاحب الشافعى) : ٤ .
 ٥٩١
 زُغَاوَة (قبيلة من السودان) : ٤٤٨ . 4
 بنو زهير بن جُشم ، من التّمر بن قاسط : ٤٨٧ . 4
 زهير بن أبى سلمى : ١ . 1
 أبو زهير بن مهلهل بن نصر بن حمدان : ٤٠٤ . 4
 « الزُّهَيْرِى » ، (النسبة) : ٤٨٦ - ٦٨٨
 زيد بن الحسن بن زيد الكندى (أبو اليُمن) : ٤ .
 ٦١١ ، ٦١٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٩ ، ٦٦٠
 ابن زيد التكريتى الشاعر (أبو البركات بن أبى
 دُعْمَى بن جديلة بن أسد : ٤٨٧ . 4 ، ٥٨٨
 دعوى كِنْدَة : ٤٠٤ . 4
 أبو دلف بن كنداج (سجان المتنبى) : ٢٢٤ . 2 ،
 ٢٢٥
 دلىر بن لشكروز (أبو الفوارس) : ٢٧٥ . 2
 الدمستق (قرقاش) : ٢٢٦ . 2 ، ٢٢٧ ، ٢٦٧
 دنلوب : ١ . 1
 ابن الدهان (سعيد بن المبارك) : ٤٠٤ . 4
 ابن دُفَر الحِصَا (الحسن بن عمرو الموصلى)
 دَوْخَلَة (على بن منصور الحلى ابن القارح) : ٤٠٤ .
 ٦٢٣ ، ٦٦١
 الديلم : ١٩٧ . 2 ، ٢٢١ ، ٢٤٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ،
 ٥٩١ . 4
 دىكارث : ١٤٠ . 1 ، ٤١٧ . 3
 ٥٥٥
 الذهبى (هجاه المتنبى) : ٤٠٠ . 4 ، ٦٠٣
 الذهبى (المؤرخ) : ١٣٧ . 2 ، ٥٤٨ . 3 ، ٦٠٨ . 4
 ذو الرمة : ١ . 1 ، ٣٩ ، ٤٠٠ . 3 ، ٤٠١
 ٥٥٥
 ابن رائق (محمد بن رائق ، أبو بكر) : ٩١ . 1 - ٩٧ ،
 ٢٥٩ . 2
 الراجكوتى (عبد العزيز الميمنى) : ١ . 1 ، ٣٨ ، ٥٣ ،
 ٦٥ ، ٨٠ ، ٤٠٤ - ٥٩٢
 الراضى (الخليفة) : ١ . 1
 الرافعى (مصطفى صادق الرافعى)
 الرُّبْعَى (على بن عيسى الرُّبْعَى الزُّهَيْرِى) (روى عن
 المتنبى) : ١ . 1 ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ،
 ١٨٢ ، ٥٨٥ - ٥٨٩ (ترجمة الربعى) ،
 ٥٨٩ - ٦٠٤ (ترجمته للمتنبى) ، ٦٠٨ -
 ٦١٠ ، ٦٤١ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ،
 ٦٨١ ، ٦٩٢

منصور : ٦٢٢ ، ٦٠٨ . ٤ :
 السمعاني (محمد بن منصور بن محمد)
 السمعاني (محمد بن عبد الجبار ، أبو منصور) : ٤ .
 ٦٦٠
 أبو سهل (سعيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي)
 أبو السؤداني (أبو الحسين محمد بن محمد بن سلمان)
 السيراقي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله) : ٤ . ٥٨٥
 مبيويه (الإمام) : ١ . ٦٠
 مبيويه الموسوس (محمد بن موسى) : ٤ . ٦٦٩ ،
 ٦٧٠
 سيد بن علي المرصفي : ١ . ٨ ، ٩
 سيف الدولة (أبو الحسن ، علي بن أبي الهيجاء
 عبد الله بن حمدان العدوي التغلبي) : ١ . ٣٨ ،
 ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٦ - ٧١ ، ٨٧ ، ٩٠ ،
 ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٤٤ . ٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٩٥ ، ٢١٥ - ٢١٩ ،
 ٢٢٢ - ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ - ٣٣١ ،
 ٣٣٣ - ٣٥٥ ، ٣٥٧ - ٣٦٤ ، ٣٧٦ ،
 ٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ - ٣٩١ ، ٤٤٣ . ٣ ،
 ٥١٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٦٠٧ . ٤ ، ٦٠٨ ،
 ٦١١ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ - ٦٣٨ ،
 ٦٤١ - ٦٤٦ ، ٦٦٤ - ٦٦٧ ، ٦٧٢ -
 ٦٧٧ ، ٦٨٥ ، ٦٨٨ ، ٦٩٣ - ٦٩٧
 أم سيف الدولة : ٢ . ٣٢٠
 أخت سيف الدولة (الصغرى) : ٢ . ٣٣١ ، ٣٣٨
 (الكبرى) (خولة) : ٢ . ٣٣٧ ،
 ٣٤٥
 السيوطي (بغية الوعاة) : ٤ . ٥٨٦ ، ٦٠٨
 ٥٥٥
 الشافعي : ٤ . ٥٩١

الفرج : ٤ . ٦٧٥
 الزيدية : ٢ . ١٤١
 ٥٥٥
 ابن أبي الساج (يوسف) : ٣ . ٥١٤
 الساربان (علي بن أيوب)
 السبيعي (قبيلة) : ٢ . ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٠٤
 سدوس بن شيان بن ذهل : ٤ . ٥٨٧ ، ٥٨٨
 السري الرفاء : ٢ . ١٥٨ ، ٤ . ٦٤١ ، ٦٤٢
 أبو سعد (وكيل المتني) : ٤ . ٦٤٦
 سعد بن محمد (الوحيد)
 سعد بن ناشب المازني : ١ . ٤٦
 سعد بن أبي وقاص : ٢ . ١٤٠
 سعيد الأفغاني : ٣ . ٣٩٥ ، ٥٣٣ - ٥٧٤
 أبو سعيد المجيمري : ٢ . ٢١٩
 أبو سعيد السيراقي (أبو سعيد) الحسن بن عبد الله بن
 المرزبان
 سعيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي (أبو سهل)
 (مدحه المتني) : ٢ . ١٨٢
 أبو سعيد بن يونس (ابن يونس) (عبد الرحمن بن
 أحمد بن يونس) ، المؤرخ المصري : ٤ . ٦٤٥
 السكاسك : ٢ . ٢٠٣
 السكون (قبيلة) : ٢ . ١٤١ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١١
 ابن سلام (صاحب الطبقات) : ١ . ٨٣
 السلامي الشاعر (محمد بن عبيد الله ، أبو الحسن) :
 ٤ . ٥٦ ، ٦٠٩
 السلفي (أبو طاهر ، أحمد بن محمد بن أحمد) : ٤ .
 ٦٢٥
 سليمان (عليه السلام) : ٢ . ٣٨٣ ، ٤ . ٦٦١
 سليمان بن أبي سليمان (أبو أيوب المورياني) : ٢ .
 ١٧٨ ، ١٧٩
 السمعاني (أبو سعد ، عبد الكريم بن محمد بن

٦٧٠

الصُّورَى : ٤ . ٥٩١

الصولى (كتاب الأوراق) : ١ . ٧٢

٥٥٥

الضَّبَّ الضرير الشامى الشاعر : ٤ . ٦٢٤ ، ٦٢٥ ،

٦٦٣

بنو ضبة (من نعيم) : ١ . ٦٦ ، ٢١٦ - ٢١٨ ،

٣٩١ ، ٣٩٠

ضبة بن محمد الأسدى (ضبة بن يزيد) : ٤ . ٥٩٦ ،

ضبة بن يزيد العينى (ضبة بن محمد) : ٤ . ٥٩٦ ،

٥٩٧ ، ٦٥١ - ٦٥٥ ، ٦٩١

ضُبَيْعَة بن ربيعة بن نزار : ٤ . ٥٨٧

الضحاك الفقيمى : ٣ . ٤٠٠

٥٥٥

أبو طالب البغدادى (جليس سيف الدولة) : ٤ .

٦٤٣

الطالبون : ٤ . ٥٩٠

أبو طاهر السلفى (أحمد بن محمد بن أحمد)

أبو طاهر القرمطى (صاحب الأحساء) : ٣ . ٥١٤

طاهر بن الحسن بن طاهر العلوى (أبو القاسم)

(مدحه المتننى) : ١ . ٥٢ ، ٥٨ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣ .

٥٦٥ ، ٦٢٩ ، ٦٤٥

الطباخ « صاحب تاريخ حلب » : ١ . ٨٩

الطرائفى (أبو الحسن)

ابن طفج (محمد بن طفج الإخشيد أبو بكر) :

(مدحه المتننى) : ٢ . ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،

٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤

ابن طفج (الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن

طفج) (مدحه المتننى) : ١ . ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٣ ،

١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٢٥٤ ،

أبو شجاع فاتك (المنجون) : ٢ . ٣٦٦

شجاع بن فارس بن الحسين للذهلى (أبو غالب) :

٤ . ٦٥٥

شفيق جبرى (كتاب المتننى) : ٣ . ٤١٣

الشَّمْرَدَل (الشاعر) : ٣ . ٤٠٠ ، ٤٠١

شمس الدين الوالى بالموصل : ٤ . ٦٥٦

شمس المعالى قابوس : ٤ . ٦٢٨

شوسر (الشاعر الإنجليزى) : ١ . ١٢

بنو شيبان بن ذهل : ٤ . ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩٦ ،

٦٤٩ ، ٦٩١

ابن أم شيبان (أبو الحسن)

(محمد بن صالح بن على) : ٢ . ١٣٨ ،

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،

٢١٢ ، ٣٧٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٥٤٥ ،

٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٧٢ ، ٦١٣ ، ٦٨٣

شيرزىل بن عضد الدولة : ٢ . ١٤٣

الشيعية (العلويون) : ١ . ٥٨ ، ٦٣ ، ١١٩ ، ٢ .

١٤١ ، ٤٧١ - ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٥٠١ ،

٥٠٢ ، ٦٤٥

٥٥٥

ابن الصائى (كتاب الوزراء) : ٤ . ٦٢٩

الصاحب إسماعيل بن عباد : ٤ . ٦٢٧ ، ٦٢٨ ،

٦٤٢ ، ٦٦١ ، ٦٧٢

الصاغانى : ٢ . ١٣٧

صالح عليه السلام : ٢ . ٢٣٣ ، ٦٢٢ ، ٦٨٨ ،

صالح بن إبراهيم بن رشدين : ٤ . ٦٤٧ ، ٦٤٨ ،

٦٩٣

أبو صفوان (خالد بن صفوان)

الصقلى (على بن عبد الرحمن ، أبو الحسن) : ٤ .

٦٦١

صمصام الدولة بن عضد الدولة : ٢ . ١٤٣ ، ٤ .

- عبد الله بن سيف الدولة (أبو الهيجاء)
عبد الله بن عبد الرحمن (الأصفهاني) (وانظر :
عبيد الله بن عبد الرحيم) : ١٤٢ . ٢
عبد الله بن عبيد الله الصُّفْرَى الشاعر الحلبي (روى
عن المتنبي) : ٦٩٢ ، ٦٠٩ . ٤
عبد الحميد العبادي : ١٠٠ . ١
أبو عبد الرحمن السلمى : ٦٤٨ . ٤
عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى
المصرى ، الحافظ (ابن يونس) : ٦٤٥ . ٤
عبد الرحمن بن حسام زاده الرومى التركى (صاحب
رسالة فى قلب كافوريات المتنبي) : ٧٣ . ١ ،
٧٤
عبد الرحمن بن الحسين العُتْدُجَانِي (أبو الفضل) :
٥٩٥ . ٤
عبد الرحمن بن دوست النيسابورى : ٦٦٠ . ٤
عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدى (أبو
محمد) : ٦٤٨ . ٤
عبد الرحمن بن أبى ليلى (القاضى) : ٤٥٥ . ٣
عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى (مدحه المتنبي) :
٢٥٧ . ٢
عبد الرحمن بن محمد الأنبارى (الكمال) (ابن
الأنبارى)
عبد الرزاق (رئيس مطبعة المقتطف) : ٤٧ . ١
عبد الصمد بن بابك (ابن بابك) : ٦٦٧ . ٤
عبد الصمد بن زهير بن هرون بن أبى جرادة : ٤ .
٦٩٢
عبد الصمد بن محمد القاضى (أبو القاسم) : ٤ .
٦٤٣
عبد العزيز الميمنى (الراجكوتى)
عبد العزيز بن الفضل (أبو أحمد)
عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادى (أبو
- ٢٩٠ - ٢٩٤ ، ٣٦١ ، ٣٠١٤ . ٣
بنو طغج الإخشيدون : ٢٩٦ . ٢ ، ٣٠١٤ . ٣ ، ٦٦٣ . ٤
طه حسين : ١ . ٨ - ١٩ ، ٢٩ - ٣٥ ، ٥٤ ،
٨٣ ، ٩٩ - ١٢٣ ، ٣٩٥ . ٣ ، ٥٣٠
أبو الطيب اللغوى : ٢ . ٣٥٧ ، ٦٤٤ . ٤
أبو الطيب (محمد بن حمزة بن عبيد الله العلوى
العباسى) (هجاء المتنبي) : ٢٢٤ ، ١٥٥ . ٢
طيفور (بلاغات النساء) : ٥٩٩ . ٤
٥٥٥
عاد : ١٣ . ١
عازر : ٢٣٤ . ٢
أبو العباس التامى المصيصى (التامى)
أبو العباس بن الحوت (ابن الحوت)
عباس محمود العقاد (العقاد) : ١ . ٧٧ ، ٧٨ ، ٣ .
٤٨٠ - ٤٨٤
العباسيون : ٢ . ٢١٩ ، ٢٢١ - ٢٢٤ ، ٢٢٨ ،
٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ،
٣٩١
أبو عبد الله (محمد بن عبد الله بن محمد الخصيبى)
(معاذ بن إسماعيل اللاذقى)
أبو عبد الله الخُرَشَى الوراق (لقى المتنبي) : ٤ .
٦٠٢
عبد الله بن أحمد (الفرغانى ، أبو محمد)
عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى : ١ . ٨٣
أبو عبد الله بن ياكويه (ابن ياكويه)
عبد الله بن الحسين (المكبرى ، أبو البقاء)
عبد الله بن الحسين ، أبو محمد الكاتب (القطربلى)
عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة الحموى
(أبو القاسم) : ٤ . ٦٢٥
أبو عبد الله بن الداعى العلوى الزيدى (محمد بن
الحسن الداعى الصغير) : ٤ . ٥٩٠ ، ٥٩١

عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفرضي: ٦١١. 4.
عُبَيْد (راويَةُ الفرزدق): ٤٠١. 3.
عُبَيْد العصا (بنو أسد): ٦٥٤، ٥٩٩، ٥٩٨. 4.
٦٥٥
عثمان بن جنى النحوى (أبو الفتح) (ابن جنى)
عجل اليهود: ٢٢٧، ٢٢٩ - ٢٢٩
العجم (الأعاجم) (الموالي): ٢٢١، ١٩٧. 2 -
٢٢٣، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦
٣٠١ - ٣٠٤، ٣١٠، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩
٣٣٤، ٣٧٦، ٣٨٢، ٣٩١، ٥٩٦. 4
العُجَيْر السلولى (الشاعر): ١١٥. 1
عدنان: ٥٢. 3
ابن العديم (عمر بن أحمد بن هبة الله): ٥. 1
٤٤، ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٦٣، ٨٩، ١٣٧. 2
١٣٨، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٢، ٥٨٥. 4
٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩٩، ٦٠٢ - ٦٠٤
٦٠٧ - ٦٥٦ (ترجمته للمتنبي)
ابن العديم (جَدُّ جَدُّ أبيه): ٦٥٠، ٦٥١
بنو عدى (عدى بن أسامة بن مالك بن تغلب): 2.
٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩
عز الدولة بختيار بن معز الدولة: ٥٩١. 4، ٥٩٦
ابن عساكر (على بن الحسن بن الحسين الدمشقي،
أبو القاسم): ٥٨٩، ٥٨٥. 4، ٥٥، ٥. 1
٦٢٤، ٦٥٩ - ٦٧٨ (ترجمته للمتنبي)
أبو العشائر (الحسين بن على بن الحسن بن حمدان)
(مدحه المتنبي): ١٠٤. 2، ٨٧، ٤٩. 1
٢٣٥، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٩٤، ٢٩٥ - ٣٠٠
٣٠٤ - ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٤٤ -
٣٤٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٤٠٤. 3، ٤٢٩
٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٧، ٦٦٣. 4 - ٦٦٥
عضد الدولة البوبى الديلمى: ١. 1، ٧٢، 2.

محمد: ٦٤٩، ٦٢١، ٦١٤. 4.
عبد العزيز بن يوسف بن الحَكَّار (أبو القاسم): 4.
٦٩٠، ٦٤٧
عبد القادر حمزة (صاحب البلاغ): ١. 1، ١٠٦،
١٠٧
عبد القاهر الجرجاني: ٦٦٠. 4
عبد الكريم بن محمد بن منصور (السمعاني، أبو
سعد): ٦٢٢. 4
عبد اللطيف بن يوسف بن على (أبو محمد): 4.
٦٣٨
عبد المطلب بن الفضل بن المطلب الهاشمي (أبو
هاشم): ٦٢٢. 4
عبد الملك بن مروان: ١٤١. 2، ٤٧١. 3
عبد الواحد بن على (أبو القاسم بن برهان النحوى):
١٣٧. 2
عبد الواحد بن محمد بن على بن زكريا: ٦٦٠. 4
عبد الواحد بن نصر الكاتب، أبو الفرج (البيضاء)
عبد الوهاب عزام: ٥٧. 1، ٦٠، ٧٩ - ٩٨،
١٠٨، ١١٤، ٤١٣. 3، ٤٢٤، ٤٤٢
٤٥٦، ٤٦٥، ٤٩٩، ٥٩٦. 4
عبيد الله بن أحمد بن طاهر (صاحب ذيل تاريخ
بغداد): ٦٢٤. 4
عبيد الله بن عبد الرحيم الأصفهاني (أبو القاسم)
(انظر عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني)
(صاحب الواضع في مشكلات شعر المتنبي):
١٤٢. 2، ٦٢٤، ٦٢٦، ٦٣٢، ٦٣٣
٦٦٠
آل عبيد الله بن يحيى (... بن على) (رضاع المتنبي):
٥٥. 1 - ٥٧، ١٥٣. 2، ١٦٤، ١٦٨
١٨٢، ٥٨٩. 4، ٦١٠، ٦٥٩
عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد (ابن أفي الجوع)

- ٦٩٢
على بن جعفر ، أبو القاسم (القطاع)
أبو على بن أبي حامد : ٢٠٠ . ٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ،
٢١٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ،
٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٦١٦ . ٤ ، ٦١٧ ، ٦٨٤ ،
٦٨٥
على بن الحسن (أبو القاسم) (عم ابن العديم) : ٤ .
٦٠٩
على بن الحسن بن الحسين الدمشقي (ابن عساكر)
على بن الحسين الدُّيْلَمي الزُّرَّاد (أبو الحسن) : ٤ .
٦٤٣
على بن حمزة البصري (راوية المتنبي) : ١٦٤ . ٢ ،
٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٦ ، ٦٩٣ ،
على بن سيار بن مكرم (على بن محمد بن سيار)
على بن أبي طالب (الوصي) : ١٤٠ . ٢ ، ١٥٥ ،
١٦٠ ، ٢٥٣ ، ٤١٦ . ٣ ، ٤٢٣ ، ٤٥٢ ،
٤٦١ ، ٤٧٢ ، ٥٦٥ ، ٦٤٥ . ٤ (الوصي)
على بن أبي عبد الله بن المقيّر : ٦٣٤ . ٤
على عبد الرازق : ١ . ٧٩
على بن عبد الرحمن ، أبو الحسن (الصقلي)
على بن عبد العزيز (الجرجاني) : ٤٠٠ . ٦٦٠
على بن علي بن نصر بن سعيد (أبو الحسن الرئيس) :
٦١٤ . ٤ ، ٦٢١ ، ٦٤٩ ،
على بن عيسى ، أبو الحسن (الوزير) : ٦٢٣ . ٤ ،
٦٢٤ ، ٦٨٤
على بن عيسى الربيعي الزُّهَيْرِي (الربيعي)
على بن عُمر (الشريف) : ٤٠٩ . ٥٩٩
على بن القاسم الكاتب : ١٥٤ . ٢
على بن القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي (عماد
الدين ، أبو القاسم) : ٤٠٣ . ٦٤٣
على بن كوجك (جليس سيف الدولة) : ٤٠٤ . ٦٤٤
- ١٤٣ ، ٣٥٥ (عمته) ٣٨١ - ٣٩١ ، ٤٠٤ ،
٥٩٠ ، ٥٩٦ ، ٦٠٤ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٣٦ ،
٦٣٩ ، ٦٤٧ ، ٦٥١ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٩٠ ،
القَظِيمِي (محمد بن علي الحلبي) : ٤٠٤ . ٦١٤
العقاد (عباس محمود العقاد)
العكبري (شرح ديوان المتنبي) : ١٥١ . ٢ ، ٣٠٣ ،
٥١٢ ، ٦٦٠ . ٤
أبو العلاء المعري (أحمد بن سليمان) : ٢٠٥ . ٢ ،
٢١٢ ، ٣٠٣ ، ٤١٨ ، ٤٢٨ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦ ،
٥٤٧ ، ٥٦٥ - ٥٦٧ ، ٦٢٠ . ٤ ، ٦٢٣ ،
٦٣٥ ، ٦٤٦ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٨٤ ، ٦٨٨ ،
أبو علي التنوخي (الحسن بن علي)
أبو علي (هرون بن عبد العزيز الأوراجي)
أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد) : ٤٠٤ . ٥٨٥ ،
٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٦٠٤ ، ٦١٠ ، ٦٣٦ -
٦٣٨ ، ٦٤١ ، ٦٧٠ - ٦٧٢
ابن علي الهاشمي : ١٥٧ . ٢ ، ١٦٩ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ ،
٦٦٣ . ٤
على بن إبراهيم التنوخي (أبو الحسين) (مدحه
المتنبي) : ٢١١ . ٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
٢٥٢ - ٢٥٤
على بن أحمد الأنطاكي (مدحه المتنبي) : ٢٨٤ . ٢
على بن أحمد الماذرائي : ٤٠٤ . ٦٤٥
على بن أحمد المدني (أبو الحسن) : ٤٠٤ . ٦٤٨
على بن أحمد المري (أبو الحسين) (مدحه المتنبي) :
٢٧١ - ٢٧٤ . ٢
على بن أحمد بن أبي سعدة (أبو الحسين) : ٤٠٤ . ٥٩٠
على بن أحمد بن منصور الغساني (أبو الحسن) : ٤٠٤ .
٦٤٣ ، ٦٤٤
على بن أيوب بن الحسين بن الساريان الكاتب
(روى عن المتنبي) : ٤٠٨ . ٦٢١ ، ٦٤٩ ،

- على بن الحسن بن علي التنوخي: ١٣٧. 2 - ١٤٠ ،
 ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٦١١. 4 ،
 ٦١٥ ، ٦١٦
 على بن محمد (أبو الحسن الفصيحى) : ٥٨. 1
 على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي (مدحه
 المتنبي) : ٢٨٦. 2 ، ٦٣. 1
 على بن محمد بن صالح ، أبو الحسن (ابن أم شيبان) :
 ١٣٨. 2
 على بن محمد بن علي بن فورجة (ابن فورجة)
 على بن مَرّ (مدح المتنبي) : ٦٠١. 4
 على بن مرشد بن علي بن مقلد الكنانى المالكي
 (كتاب البداية والنهاية) : ٦٣٨. 4
 على بن المُسَلَّم السُّلَمي (أبو الحسن) : ٦٤٤. 4
 على بن منصور الحاجب (مدحه المتنبي) : ٢٥٦. 2
 على بن منصور الحلبي (أبو الحسين) (ذُوخلة)
 (ابن القارح)
 العلويون (العلوية) (الأشراف) (الشيعة) : 1 .
 ٤٩ - ٦٩ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ١١٩ ، ١٤١. 2 ،
 ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ،
 ١٨٢ - ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ - ٢٠٦ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ - ٢٣٢ ،
 ٢٣٥ - ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٧ - ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٧٢ - ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،
 ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤١٦. 3 ، ٤٢٣ ،
 ٤٢٧ ، ٤٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩ - ٤٦٢ ،
 ٤٧١ - ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ ، ٥٠٤ ، ٥٢٨ ،
 ٥٣٩ - ٥٤٥ ، ٥٥٥ - ٥٥٨ ، ٥٦٤ ،
 ٥٦٥ ، ٥٧١ - ٥٧٤ ، ٥٨٩. 4 - ٥٩١ ،
 ٦٨٣ ، ٦٥٩ ، ٦١٠
 أبو عمر الصباغ : ٣٨٢. 2
 عمر بن أحمد بن هبة الله ... (نسيه) (ابن العديم) :
 ٦٥١. 4
 عمر بن الخطاب : ١٤٠. 2
 عمر بن أبي ربيعة : ٣٩. 1
 عمر بن سليمان الشرائى (مدحه المتنبي) : ٢٥٦. 2
 عمر بن علي بن قشّام الحلبي : ٦٤٨. 4
 عمر بن محمد السُّرْحَسِيّ : ٦٢٢. 4
 عمر بن محمد بن معمر بن طرز (أبو حفص) : 4 .
 ٦٣٣
 عمرو بن حابس (من بنى أسد) : ٦٦. 1 ، 2 .
 ٣٩١ ، ٢١٦
 ابن العميد (أبو الفضل) (محمد بن الحسين)
 (مدحه) : ٣٧٨. 2 ، ٣٨٠. 4 ،
 ٥٩٥ ، ٦٠٤ ، ٦٢٧ - ٦٣٠ ، ٦٤٢ ، ٦٤٨ ،
 ٦٥٠ - ٦٥٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٢ ، ٦٧٨ ،
 العميدى (الصاحب ، أبو سعد محمد بن أحمد)
 (صاحب الإبانة) : ٦٥٩. 4 ، ٦٦١ ،
 عَمِيْرَة بن أسد بن ربيعة : ٥٨٧. 4
 عَمْرَة بن أسد بن ربيعة : ٥٨٧. 4
 عيسى بن مريم (المسيح عليه السلام) : ٢٣٤. 2 ،
 ٦٨٨ ، ٦٢٢. 4
 ٥٥٥
 غالب بن همام بن الفضل المعري : ٦٤٤. 4
 أبو غالب (شجاع بن فارس بن الحسين الذهلي)
 غالب بن صعصعة (أبو الفرزدق) : ٤٠٧. 3
 أبو غالب بن بشران : ٦٣١. 4 ، ٦٣٣ ،
 غرس النعمة (محمد بن هلال بن الحسن بن أبي
 إسحق الصائى)
 أبو الغنائم الرندى (صاحب نزهة عيون المشتاقين) :
 ٦٢٩. 4
 ٥٥٥

- فاتك الإخشيدى (المجنون) (أبو شجاع) : 2 .
٦٨٩ . 4 ، ٣٦٦
- فاتك بن أبى الجهل الأسدى : 4 . ٥٩٦ ، ٥٩٥ ،
٦٩١ ، ٦٥٥ - ٦٥١ ، ٦٢٨ ، ٦٠٤ ، ٥٩٨
- فاطمة بنت رسول الله ﷺ (الفاطميون) : 2 .
٤٥٢ . 3 ، ١٦٠
- الفاطيون : 2 . ٢١٩ ، ٢٢٢ - ٢٢٩ ، ٢٣٨ ،
٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ،
٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ،
٥٠٧ . 3
- أبو الفتح البستى : 4 . ٦٢٨
- أبو الفتح (ابن جنى)
- أبو فراس (الفرزدق)
- أبو فراس الحمدانى : 2 . ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
٣٦١ ، ٤٠٧ . 3 ، ٤٠٧ ، ٦٦٦ . 4
- أبو الفرج (أحمد بن الحسين المالكى)
- أبو الفرج الأصفهاني (الأغاني) : 4 . ٥٩٩
- أبو الفرج السامري (كاتب سيف اللولة) : 3 .
٤٤٣ ، ٤٤٤
- الفرزدق (أبو فراس) : 3 . ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ،
الفرغانى (عبد الله بن أحمد ، أبو محمد) : 4 . ٦٤٩ ،
٦٥٠
- الفرغانى (أبو بكر) : 4 . ٦٨٩
- الفصيحى (على بن محمد ، أبو الحسن) : 4 . ٦٢٤
- أبو الفضل (مدحه المتنبى) : 1 . ٦٤ ، ٦٥ ، 2 .
١٨٧ ، ١٨٨ ، ٥٠١ - ٥١٠
- أبو الفضل (أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى)
- أبو الفضل (عبد الرحمن بن الحسين الغندجاني)
- أبو الفضل (ابن العميد)
- أبو الفضل إبراهيم : 4 . ٥٨٦
- أبو الفضل العروضى (أحمد بن محمد)
فناخسرو (عضد اللولة) : 4 . ٦٥١ ، ٦٥٣
- أبو الفوارس (دلير بن لشكروز)
- ابن فورجة (على بن محمد بن على ، أبو الحسن) :
١٦٥ . 2 ، ٦٢٠ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣٥ ،
٦٤٦ ، ٦٦٠
- ابن فورجة (محمد بن أحمد بن فورجة ، أبو على) : 4 .
٦٧٥
- فؤاد صروف (المقتطف) : 1 . ٧ ، ٣٥ ، ٤١ -
٤٧ ، ٧٩ ، ٥٤٩ . 3 ، ٥٥١
- الفيروزبادى (صاحب القاموس) : 2 . ١٣٧

- قابوس (شمس المعالى)
- ابن القارح (دوخلة) (على بن منصور) : 4 .
٦٦١ ، ٦٨٤
- أبو القاسم (طاهر بن الحسن بن طاهر)
- أبو القاسم (عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني)
(صاحب إيضاح المشكل)
- أبو القاسم الرقى المنجم : 4 . ٦٣٣
- قاسم الرجب (الكنى) : 1 . ٧٩ ، ٩٨
- أبو القاسم التليخى (روى عن المتنبى) : 4 .
٦٠٩ ، ٦٩٢
- أبو القاسم بن برهان النحوى (عبد الواحد بن على)
(ابن برهان)
- أبو القاسم بن حسن الحمصى (روى عن المتنبى) : 4 .
٦٠٨ ، ٦٩٢
- القاسم بن القاسم الواسطى ، أبو الحسن : 4 . ٦٦٠
- القاهر (الخليفة) : 1 . ٩١
- قحطان : 3 . ٤٥١ ، ٤٥٢
- القرامطة (القرمطية) : 1 . ٨٢ ، ١٠٩ ، ١١٩ ،
١٥٥ . 2 ، ١٩١ ، ٢٢٤ ، ٣٨٨ ، ٤٧٨ . 3

٥٣٠ - ٤٨٩ ، ٤٧٩

قرقاش (الدمستق)

قريش : ٤٥٢ . ٣

القزاز القيرواني (محمد بن جعفر ، أبو عبد الله) :

٦٦٠ ، ٦٦١ . ٤

القطاع (علي بن جعفر) : ٦٦١ . ٤

القطربلي (عبد الله بن الحسين الكاتب ، أبو محمد)

(المؤرخ) : ٦٨٤ ، ٦٢٤ ، ٦٢٣ . ٤

القفطى (إنباه الرواة) : ٥٨٧ . ٤

قيس بن الخطيم : ٦٣٠ . ٤

قيصر الروم : ٤٥ . ١

...

كافور (الإخشيدى) (الأستاذ) (أبو المسك) :

٤٤٠ . ١ ، ١٧٧ ، ١٥٨ . ٢ ، ٧٣ - ٧١ ، ٥٠ ، ٤٤٠ . ١

١٩٥ ، ٣٦٨ - ٣٦١ ، ٣٥١ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٧٠

٣٧٠ ، ٥٣٩ ، ٥٣٤ . ٣ ، ٣٨٩ ، ٣٨٣ ، ٣٧٠

٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٦٤٥ . ٤ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٦٨

٦٦٨ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣

٦٩٤

ابن كثير (البداية والنهاية) : ٥٩٠ . ٤

كثير : ٦٧٦ . ٤

ابن كرويس الأعور (هجاء) : ٢٦٨ . ٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣

٢٧٣ ، ٢٧٥ - ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠

بنو كلاب : ٢٠٠ . ٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٥ . ٣ ، ٥٥٥ . ٤

٦٨٥ ، ٦١٦

بنو كلب (الكلين) : ٢٠٠ . ٢ ، ٢٢٣ ، ٤٩٨ . ٣

٥٤٥ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ . ٤ ، ٦٠٩ ، ٦١٣

٦١٦ ، ٦٦٣ ، ٦٨٣ ، ٦٨٥

ابن كنداج (أبو دلف)

كندة (قبيلة) : ١٤١ ، ١٥٩

ابن كيغلغ الأعور (إسحق بن كيغلغ) (هجاء) :

٢٩٤ . ٢

...

اللاذق (معاذ بن إسماعيل اللاذق)

لقيط بن زُرارة : ٥٩٩ . ٤

لؤلؤ (أمير حصص) : ٢٠٠ . ٢ ، ٢٠٨ ، ٥٥٥ . ٣

٥٥٦ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٨٤

ابن لنكك (الحسن ...)

ابن ألى ليلى (عبد الرحمن) : ٤٥٥ . ٣

...

ابن مائل القاضي (جليس سيف الدولة) : ٦٤٣ . ٤

المازنى : (إبراهيم عبد القادر) : ٤٢٨ . ٣

ابن مأكولا (صاحب الإكمال) : ١٣٧ . ٢ ، ١٥١ ، ٦٠٨ . ٤

مالك بن دينار : ١٤٠ . ٢

مَبْلُول العزرى الشاعر : ٤٦٩ . ٣

المتقى (الخليفة) : ٩٢ . ١ ، ٩٤

النجون (فاتك الإخشيدى) : ٦٨٩ . ٤

مجنون ليل : ٤٨١ . ٣

المجوس : ٤٠٠ . ٣

محب الدين الخطيب : ١٢ . ١

محسن الأمين الحسينى العامل : ١٤١ . ٢

المحسن بن على التنوخى (أبو على) (التنوخى) :

١٣٧ . ٢ - ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥٠ - ١٥٨ ، ١٥٩

١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٩٩

٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٧٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ . ٣

٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٥٤ - ٥٥٥ . ٤

٦١١ ، ٦١٦ ، ٦٣٥ ، ٦٨١ - ٦٨٤

المحسن بن على بن كوجك (أبو عبد الله) : ٦٤٤ . ٤

محمد عليه السلام : ١٢ . ١ ، ٣٤ - ٣٦ ، ٦٧ ، ١٧٦ . ٢

٢٠٩ ، ٢٠٤

أبو محمد (الحسن بن عبيد الله بن طغج)

٢٢٩، ٢٢٧، ٢٢٥، ٢٢٣، ١٥٥. 2، ٩٢

٢٣٧، ٢٣١

محمد بن العباس (الخوارزمي) : 4. ٦٦٠

محمد بن عبد الله، أبو الحسن (الداني)

محمد بن عبد الله بن سعد الحلبي النحوي (روى

عن المتنبي) : 4. ٦٠٩، ٦٥١، ٦٩٢

محمد بن عبد الله بن محمد الحنصلي (أبو عبد الله)

(مدحه المتنبي) : 2. ٢٧٧، ٢٧٨

محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل (أبو البركات) :

4. ٦١٤، ٦٢١، ٦٤٩

محمد بن عبد الباقي الأنصاري (أبو بكر) : 4.

٦٣١، ٦٣٣، ٦٣٥

محمد بن عبد الباقي البجلي (أبو الفتح) : 4. ٦٣٨

محمد بن عبد الجبار، أبو منصور (السمعاني) :

4. ٦٦٠

محمد بن عبد الرحمن بن علي الحسيني (تاج

الشرف) : 4. ٦٥١

محمد بن عبد الملك القرظي (الهمداني)، (صاحب

تكملة تاريخ الطبري)

محمد بن عبيد الله السلامي الشاعر (السلامي)

(أبو الحسن)

محمد بن عبيد الله بن أحمد (المسيحي)

محمد بن عبيد الله العلوي النقيب (الأشتر)

(المشطب) (المصهورج) (مدحه المتنبي) :

1. ٥٢٠، ٥٧٠، ٦٥٠، ١٥١. 2، ١٥٢، ١٦٨

١٩٧، ٥١١. 3-٥٢٢، ٥٨٩. 4، ٦١٠

محمد علي (الخديو) : 1. ٢٠

محمد بن علي بن إبراهيم (المهراس الكافي) : 4. ٦٦٠

محمد بن علي بن أحمد العظمي التنوخي الحلبي (أبو

عبد الله) : 4. ٦١٤

محمد بن علي بن نصر الكاتب (ابن نصر) (كتاب

أبو محمد (المهلب) الوزير

محمد بن أحمد البيروني (أبو الريحان) : 4. ٦١٤

٦١٥

محمد بن أحمد، أبو سعد (العميدى)

محمد بن أحمد بن فورجة، أبو علي (ابن فورجة)

محمد بن أحمد بن القاسم الجاهلي (أبو الحسين)

(روى عن المتنبي) : 4. ٦٠٨، ٦١١

٦٥٩، ٦٩٢

محمد بن إسحاق التنوخي : 2. ١٤٩، ٢٣٤، ٢٣٨

محمد بن إسماعيل العلوي (أبو الحسين) : 4. ٦٤٨

محمد بن جعفر بن محمد بن هرون بن فروة (ابن

النجار المؤرخ)

محمد بن الحسن (الداعي الصغير) بن القاسم بن علي

(أبو عبد الله بن الداعي)

محمد بن الحسن الخوارزمي : 4. ٦٦٩

محمد بن الحسن (أبو جعفر)

محمد بن الحسن بن دريد (ابن دريد)

محمد بن الحسن (أبو الفضل، الأستاذ الرئيس)

(ابن العميد)

محمد بن الحسين البغدادي (صاحب المتنبي) : 4.

٦٤٨

محمد بن الحسين الموسوي (الشريف الرضي) : 4.

٦٤٧

محمد بن الحسين بن موسى السلمى : 4. ٦٤٨

محمد بن الحسين بن حمزة العلوي (أبو جعفر) : 4.

٥٩٢

محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس العلوي العباسي

(أبو الطيب)

محمد بن رائق (أبو بكر) (ابن رائق)

محمد سامي الدهان : 1. ٦٩

محمد بن طفيح (الإخشيد) (ابن طفيح) : 1. ٨٨،

- الفاوضة (: ٦٣٣ . ٤)
 محمد بن علي بن ياسر الجبائي (أبو بكر ، الحافظ) :
 ٦٤٨ . ٤
- محمد بن عمير العطاردي : ١٤١ . ٢
 محمد بن القاسم الصوفي : ١٥٤ . ٢
 محمد كمال حلمي بك (كتاب المتنبي) : ٤١٣ . ٣
 محمد بن المبارك الجبلي (أبو نصر) : ٥٩٥ . ٤ ، ٦٩١ ، ٦٥٢
- محمد بن محمد بن سلمان الكوفي (أبو الحسين)
 (أبو السؤداتي) (راوية المتنبي) ٥٩٢ . ٤
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب (أبو
 عبد الرحمن) : ٦٤٨ . ٤
 محمد محيي الدين عبد الحميد : ٣٦ . ١
 محمد مرسى الخولي : ٦٢٨ . ٤
 محمد بن مظفر ، أبو الحسن (الحاقمي)
 محمد بن منصور بن محمد السمعاني (أبو بكر) :
 ٦٤٨ . ٤
- محمد بن موسى (سيبويه الموسوس)
 محمد بن نصر الكاتب : ٦٣١ . ٤
 محمد هاشم عطية : ٧٩ . ١
 محمد بن هاشم (الخالدي) (أحد الخالدين)
 محمد بن هلال بن الحسن بن أبي إسحق الصابي
 (غرس النعمة) : ٦٤٧ ، ٦٣٩ ، ٦٣٨ . ٤
 أبو محمد بن وكيع السمسار التميمي (ابن وكيع)
 محمد بن يحيى العلوي (أبو الحسن العلوي)
 محمد يوسف نجم : ٧٤ . ١
 محمود محمد الخضيرى : ١٦ ، ١٤ . ١
 مَحْيَى المؤودات (غالب بن صعصعة) : ٤٠٧ . ٣
 مختار الملك (المسيحي)
 امرؤ القيس : ١ ، ٩ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٩٩ . ٤ ، ٦٥٥ ، ٦٩٦
- مرجليوث (المستشرق) : ١٢ . ١ - ١٩ ، ١٠٧ ، ١١٨
 مساور بن محمد الرومي (مدحه المتنبي) : ٨٤ . ١ ، ٩٤ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥
 المُسَبَّحِي (مختار الملك ، محمد بن عبيد الله بن أحمد) :
 ٦٤٤ . ٤
 المستشرقون الأعاجم : ١٢ . ١ - ٢٥ ، ٨٢ ، ٩١ -
 ٩٣ ، ١٠٧ ، ١١٨
 مسكويه (أحمد بن محمد بن مسكويه) (روى عن
 المتنبي) : ٦٩٢ ، ٦٢٩ ، ٦٢٢ ، ٦٠٨ . ٤
 مسنيون (المستشرق) : ٥٠٢ ، ٤٩٩ . ٣
 المسيح عليه السلام (عيسى بن مريم)
 المشطب (المصهرج) (الأشر) (محمد بن عبيد الله
 العلوي) (مدحه المتنبي)
 المصهرج (المشطب)
 مصطفى صادق الرافعي : ١ - ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٦ -
 ٧٨ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ٣٩٥ . ٣ ، ٥٧٥ - ٥٧٩
 مصطفى عبد الرازق : ١ - ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٨
 المطلي : ١٥٤ . ٢
 مظفر الزوزني (أبو القاسم) الشاعر : ٦٥٥ . ٤ ، ٦٩٥
 معاذ بن إسماعيل اللاذقي (أبو عبد الله) (صاحب
 المتنبي) : ١٩٩ ، ١٩٦ . ٢ - ٢٠٧ ، ٢٠٤ -
 ٢١٢ ، ٤٨٨ . ٣ ، ٥٢٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٥٩ -
 ٥٦٤ ، ٥٧٠ ، ٦١٧ . ٤ ، ٦٢٠ ، ٦٨٥ - ٦٨٨
 أبو المعالي بن سيف اللولة : ٦٠٨ . ٤
 معاوية رضى الله عنه : ١٤١ . ٢
 ابن المعتز : ٦٧٧ . ٤
 معد بن عدنان : ٩٣ . ١

- ناصر الدولة (الحسن بن عبد الله بن حمدان)
 ناصيف اليازجي (شارح ديوان المتنبي): ٣٧.١،
 ٨٧، ٤٤
 الثامي (أبو العباس المصيصي الشاعر): ١٥٨.٢،
 ٦٩٢، ٦٦٦، ٦٣٥.٤
 نايف بن عبد العزيز آل سعود (الأمير): ٦.١
 ابن النجار (المؤرخ) (محمد بن جعفر بن محمد بن
 هرون): ١٤٣، ١٤٢.٢،
 النصاري: ٤٠٠.٣
 النصرانية: ٦٧.١
 أبو نصر (محمد بن المبارك الجبلي)
 أبو نصر الحميدي: ٦٣٨.٤
 أبو نصر بن طلاب: ٦٤٤.٤
 أبو نصر بن غياث النصراني الكاتب: ٦٤٧.٤،
 ٦٩٣
 تليو (المستشرق): ١٧.١ - ١٩
 النير بن قاسط بن أقصى بن دُعَيْي: ٥٨٧.٤
 أبو نواس: ٥١٦، ٥١٥.٣، ٦٦٧، ٦٦١.٤،
 ٦٦٨
 النواصب: ١٥٦.٢
 هرون الرشيد: ٦٦٧.٤
 هرون بن عبد العزيز (الأوراجي) (أبو علي)
 (مدحه المتنبي): ٣٦١، ٢٥٩، ٢٥٧.٢
 هرون بن المنجم: ٦٠٢.٤
 هاشم بن عبد مناف (هاشمي) (الهاشميون): ٢.٢
 ١٥٧، ١٦٩، ٢٠٤.٤، ٦٦٣
 الهاشمي (ابن أم شيبان)
 الهاشميون: ٥٣.١
 هبة الله بن عبد الله بن أحمد الوسطي: ٦٠٩.٤
 الحراس الكافي (محمد بن علي بن إبراهيم)
 معز الدولة (أحمد بن بويه الديلمي): ١٥٩.٢،
 ٣٧٦، ٣٧٧، ٥٩٠.٤، ٥٩١، ٥٩٥
 المعز لدين الله الفاطمي: ٣٦٦.٢
 المغربي (إبراهيم بن عبد الله المغربي أبو إسحق):
 ٦٩٢.٤
 المغربي (أحمد بن محمد، أبو الحسن): ٦٦١.٤،
 ٦٧٥
 المغيث بن علي بن بشر العجلي (مدحه المتنبي):
 ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٠.٢
 المقندر (الخليفة): ٦٢٤.٤
 المقرئ: ٦٠٣، ٥٨٥.٤، ٤٩، ٥.١، ٦٨١-
 ٦٩٧ (ترجمته للمتنبي)
 ابن المقر (أبو الحسن ...): ٦٤٧.٤
 أبو المكارم بن سيف الدولة: ٦٠٨.٤
 ابن مكرم (علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي)
 ابن ملك اليهودي: ٣٦١.٢
 أبو منصور (الجواليقي)
 أبو منصور بن زريق: ٦١١.٤، ٦١٥، ٦٤٩،
 ٦٦٥
 منصور فهمي: ١٠٠.١
 المهلب (أبو محمد الوزير): ١٤٥، ١٥٨،
 ١٥٩، ١٦١، ٣٢٩، ٣٦٢، ٣٧٦، ٣٧٧،
 ٥٤٢.٣، ٦٢٦، ٦٣٩، ٦٧٨
 المورياني (أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان)
 موهوب بن أحمد (الجواليقي) (أبو منصور)
 مؤنس: ٢١٦.٢
 المؤيد بن محمد الطوسي: ٦١٤.٤

 النابغة الذبياني: ٣٩.١
 الناشء (أبو الحسين): ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤١،
 ٥٤٦، ٥٤٥.٣

- هشام بن عبد الملك ٦٧٦. 4
 هلال بن الحسن بن أبي إسحق الصائى : 4. ٦٣٨ ،
 ٦٤٧ ، ٦٣٩
 همام بن الفضل بن المذهب المعري (أبو غالب)
 (صاحب التاريخ) : 4. ٦٣١ ، ٦٣٢
 همدان (همدانية) : 3. ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٣ ،
 ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٦١٢. 4
 الهمداني (محمد بن عبد الملك) (صاحب تكملة
 تاريخ الطبري) : 1. ٥٦ ، ٩٣
 أبو الهيجاء (ابن حمدان ، عم سيف الدولة) : 2 .
 ٣٢٢ ، ٥١٤. 3
 . . .
 أبو وائل (تغلب بن داود بن حمدان) : 2. ٣٢٠
 الواحدى (شارح ديوان المتنبي) : 1. ٣٧ ، ٨٧ ،
 ١٠٩ ، ١٤٢. 2 ، ٥٨٥. 4 ، ٥٨٩
 الوحيد (سعد بن محمد) : 4. ٦٦٠
 الوصى (علي بن أبي طالب) : 4. ٦٤٥
 ابن وكيع (الحسن بن محمد بن وكيع ، أبو محمد
 التميمي) : 4. ٦٦٠ ، ٦٦٢
 . . .
 يأنس (غلام مؤنس) : 2. ٢١٦
 اليازجي (ناصيف اليازجي)
 ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (أبو الثر) :
 1. ٥٦ ، 2. ١٥٣ ، 4. ٥٨٧ - ٥٩١ ، ٥٩٦ ،
 ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٣٢ ، ٦٣٦ ، ٦٤٢ ، ٦٥٩ ،
 ٦٦١ - ٦٧٢ ، ٦٧٦ - ٦٧٨ ، ٦٨١
 يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الحصكفي : 4 .
 ٦٤١ ، ٦٤٢
 يحيى بن علي أبو زكريا (التبريزي) : 4. ٦٦٠
 يحيى بن علي الحضرمي (أبو القاسم) : 4. ٦٤٥
 أبو اليمن (زيد بن الحسن بن زيد الكندي)
 اليهود (عجل اليهود) : 2. ٢١٥ - ٢٢٧ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٣ ، ٣٨٩ ، 3. ٤٠٠ ، 4. ٦٢٢ ، ٦٨٨
 يوسف بن أبي الساج : 3. ٥١٤
 يوسف بن سليمان (الأعلم) أبو الحجاج : 4 .
 ٦٦٠
 يوسف بن محمود السأوي الصوفي (أبو يعقوب) :
 4. ٦٢٤
 ابن يونس (عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، أبو
 سعيد) : 4. ٦٤٥

فهرس المواضع

- آدرنى كسرى (مجلد): ٦٠٨. 4
الآستانة: ٥٨٥. 4
الأردن: ١٥٥. 2، ٩١. 1
أرجان: ٦٤٢، ٦٢٩. 4، ٣٧٩، ٣٧٨. 2
أصبيان: ٦٤٢، ٦٢٩، ٦٢٤. 4
الألب (جبل فى أوربة): ١٠٩. 1
أنطاكية: ٢٢٢، ١٥٠ - ١٤٧. 2، ٩١. 1
٢٩٤، ٢٨٦، ٢٨١، ٢٧٧، ٢٥٦، ٢٥٥
٢٩٥ - ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٠
٣١٤ - ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٦. 3، ٥٢٦. 4، ٦٣٥
٦٦٤
الأهواز: ١٧٨، ١٧٧، ١٤٦، ١٣٩. 2، 3
٦٨٣، ٦٨٢، ٦١٦. 4، ٥٥٣، ٥٥٢
أوربة: ٢١. 1
...
باب الشعير (بغداد): ٥٩١. 4
بحيرة طبرية (طبرية)
البحرين: ٥٠٢، ٤٩٤. 3
البصرة: ١٧٨، ١٥٩، ١٥٨، ١٤١. 2
بَصْف (قرية للمنتبى بمجرة النعمان): ٦٣١. 4، ٦٣٢
بطن هنريط (هنريط)
بعلبك: ٥٢٦. 3، ٢٩٤، ٢٢٢، ١٩٨. 2
بغداد (مدينة السلام): ٧٢، ٦٦، ٦٥، ٥٦. 1
١٧٣، ١٧٢، ١٦٤، ١٤٥، ١٤١. 2، ٨٧
٣٧٣، ٣٠٣، ٢٨١، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٢
٣٧٥ - ٣٧٨، ٤١٦. 3، ٤٥٧، ٤٥٩
٥١٠ - ٥١٨، ٥٢١ - ٥٢٦، ٥٨٥. 4 -
- ٥٩٢، ٥٩٦ - ٦٠٤، ٦٠٨ - ٦١٣
٦٢٥، ٦٢٨، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٩
٦٤٩، ٦٥٤، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٨٣
٦٨٤، ٦٩١
البقاع (الشام): ٥٥٠، ٥٤١. 3
بَنُورَى: (بنوزى) ٦٥٢، ٦٥٠. 4
بَنُورَى (بالزراى) (بنورى): ٦٩١. 4
بين النهرين: ٥٢٦. 3
بيرع (بئرغ): ٦٥٢، ٥٩٦. 4
بَرْيَان: ٣٧٢. 2
الْبَيْه (تبه بنى إسرائيل): ٣٧٢، ٣٦٧. 2
جُبَيْل: ٦٥٣، ٥٩٧. 3
جرش (جَمَى ...): ٢٧٥، ٢٧١. 2
الجزيرة (الشام): ٣٣٩ - ٣٤١، ٥١٠. 3
٥٢٥
الْحَدَّالَى: ٣٦٤. 2
الحديثة: ٢١٦. 2
حَرَّان: ٥٢٦. 3، ٢٢٢، ١٩٨. 2
حصن بَرْزَوِيه: ٦٤٤. 4، ٣١٠. 2
حضر موت (محلة بالكوفة): ١٤٢، ١٤١. 2
٢١٠، ٢١١. 3، ٥٦١. 4، ٦٢٠
حلب: ١٩٨، ١٤٧. 2، ٩٠ - ٨٧، ٨٤. 1
٣٢٠، ٣١٨، ٣٠٨، ٢٥٥، ٢٢٦، ٢٠٠
٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٦١، ٣٦٢. 3
٥٢٦، ٥٥٤. 4، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٥
٦١٦، ٦٣١، ٦٣٧، ٦٤٣، ٦٥٦، ٦٧٧
٦٨٤، ٦٨٨
حماة: ٢٢٢. 2

- حمص: ١٩٨. ٢، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٤٢، ٢٢٥،
٢٥٦، ٣، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٥٥، ٦١٥. ٤،
٦٦٣، ٦٨٤
-
- خان آبن حامد (بغداد): ٥٩١. ٤
خانكاه سعد الدين كُمشْتَكِين (بحلب): ٦٠٨. ٤
خراسان: ٢، ٣٠٢، ٦٤٣. ٤
خرشنة (جبل ملوك الروم): ١، ٨٨ - ٩٢، ٢.
٢٢٧
-
- (دار العلم) للشريف الرضى: ١٦٧. ٢
درب الزعفراني ببغداد: ٤، ٥٩١
دمشق: ١، ٥٤، ٥٥، ٧٠، ٩١، ٩٣، ٢.
١٤٧، ١٩٨، ٢٢٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٤،
٣٦١، ٣، ٥٢٦، ٤، ٦٣٣، ٦٥٩، ٦٦٤
ديار ربيعة: ٣، ٥٢٦
دير العاقول: ٤، ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٣٩، ٦٤٩،
٦٥٢، ٦٥٣، ٦٩١
-
- رأس عين: ٢، ١٩٨، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٢، ٣.
٥٢٦
رامهُزْمُز: ٤، ٥٩٥
رَبَضُ حُمَيْد (ببغداد): ٤، ٥٩١، ٦٠٢، ٦١١
رَفْنِيَّة: ٤، ٦٣٢
الرملة: ١، ٥٢، ٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٩، ١٧٢،
٢٩٠ - ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٢٨،
٣٦١، ٣٦٢، ٤، ٦٢٩، ٦٤٥
- رومية: ٣، ٤٩٩
الرّى: ٢، ٣٧٨
-
- السبع (محلة بالكوفة): ٢، ١٤١، ٢٠٤، ٦٢٠. ٤
- السكاسك: ٣، ٥٦١، ٤، ٦٢٠
السكون (محلة بالكوفة): ٢، ١٤١، ٢٠٤،
٢١٠، ٢١١، ٣، ٥٦٠، ٤، ٦٢٠، ٦٨٧،
٦٨٨
- سَلَفِيَّة: ٢، ٢٠٤، ٤، ٦٦٣
سُمَيْطَاط: ٢، ٢٢٧
السماءة (بادية السماءة): ٣، ٤٩٢، ٤٩٤،
٥٥٤، ٤، ٦٨٤
سواد العراق: ٢، ١٤٠
سورستان: ٢، ١٤٠
سوق حَكَمَة: ٢، ١٤٠
سورية: ٣، ٥٢٥
سوق البزّ (ببغداد): ٤، ٦٠١
-
- الشام: ١، ٢٤، ٤٩، ٥٠، ٦٢، ٦٧، ٨٢،
٨٧، ٨٩، ٩٤، ٢، ١٤١، ١٥٨، ١٦٠،
١٦٥، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٨،
٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٢ -
٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٦١،
٢٨١، ٣٠٠ - ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٨، ٣٣٠،
٣، ٤١٨، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٩٢ -
٤٩٤، ٥١٠، ٥٢١ - ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٣٩،
٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٦٠، ٥٦١،
٤، ٦٠٧، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢٠،
٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٦، ٦٦٤، ٦٨٣، ٦٨٧،
٦٨٨
- الشَّعْب (بفارس): ٢، ٣٨١، ٣٨٣
يوم شعب جبلة: ٤، ٥٩٩
شمران: ١، ٥، ٢، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٠، ٤،
٥٨٥ - ٥٨٨، ٦٠٣، ٦٠٨، ٦١٠، ٦٢٨،
٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٩، ٦٥١،

- الفرديس: ٢٥٦. 2
 الفرات: 4، ٥١٨. 3، ٢٢٤، ٢٢٢. 2، ٩٢. 1
 ٦٩١
 فرنسا: ١٠٩. 1
 القسطنطينية (مصر): ٩٢. 1، ١٤٧. 2، ٣٤٧
 الفيوم: ٦٨٩. 4
 ...
 القاهرة: ٧٧. 1
 القسطنطينية: ٥٥. 1
 قنشرين: ٢٥٦. 2
 قُوق: ٦٣٨. 4
 ...
 كاظمة (تُغف كاظمة): ٤٠١، ٤٠٠. 3
 كراچی (بالهند): ٨٠. 1
 كرخ بغداد: ٥٩١. 4
 كفر عاقب: ١٥٠. 2، ٦٣، ٥٨، ٥٢. 1
 ٣٧٣، ٢٩٣-٢٩٠، ٢٥٤، ١٧٢، ١٦٩
 ٥٦٥، ٥٦٤. 3
 كندة (حلة بالكوفة): ١٤١، ١٣٧. 2، ٥٣. 1
 ٦٨٣، ٦١٤-٦١٠. 4، ٢٠٤، ١٤٥، ١٤٢
 كوتكين: ٦٦٣. 4، ٢٢٤، ٢٠٤، ١٥٧. 2
 الكوفة: ٦٥-٦٢، ٥٩-٥٦، ٥٣-٤٩. 1
 ١٧٣-١٥٦، ١٥٣-١٣٧. 2، ٨٧، ٨٢
 ٢١١، ١٩٨-١٩٦، ١٩٢، ١٩١، ١٨٧
 ٢٨٤-٢٧٧، ٢٥٦-٢٢٩، ٢١٥
 ٣، ٣٨٢-٣٧٢، ٣٣٧، ٣٢٧، ٣٠٦
 ٤٣٨، ٤٣٦، ٤٣١، ٤٢٩، ٤٢١، ٤٠٤
 ٤٧٩-٤٧١، ٤٦٣-٤٥٧، ٤٤٦
 -٥١٠، ٥٠٧، ٥٠٣-٤٨٨، ٤٨٥
 -٦١٠، ٦٠٠، ٥٨٩. 4، ٥٤٦، ٥٤٥، ٥٢٨
 ٦٧٤، ٦٥٩، ٦٥٠، ٦٤٩، ٦٣٤، ٦١٤
- ٦٩١، ٦٩٠، ٦٧١، ٦٧٠
 ...
 الصافية (غربى بغداد): ٦٩١، ٦٥١، ٦٠٤. 4
 الصعيد (مصر): ٦٦٨. 4، ٣٦٣. 2
 صهبان (قرية بالشام): ٦٣٢. 4
 صيداء: ٦٦٨. 4، ٣٦٣. 2
 ...
 ضُمير (جبل): ٣٤٤. 2
 ...
 طَبْرِية (بحيرة طبرية): ٢. 2، ٩٧-٩١، ٦٧. 1
 ١٥٣-١٥٦، ١٦٩، ٢٥٣-٢٥٩،
 ٥٢٥. 3، ٢٩٢-٢٨٧، ٢٧٣، ٢٦٨، ٢٦٥
 ٥٦٤. 4
 طبرستان: ٥٩١. 4
 طرابلس (الشام): ٥٢٥. 3، ١٩٨. 2
 طور سيناء: ٣٧٢. 2
 ...
 العراق: ١٤٠. 2، ٩٢، ٩٠، ٧٩، ٦٤. 1
 ١٥٨-٢٦١، ٢٢٤، ٢٢٢، ٢١٦، ١٧٠
 ٣٣٩، ٣٣٠-٣٢٨، ٣٠٣-٣٠١
 3، ٣٧٧، ٣٧٦، ٣٧٤، ٣٧٢، ٣٦٢، ٣٤١
 ٥٩٠. 4، ٤٦٦، ٤٥٩، ٤٥٧، ٤٢٩
 ٦٦٨، ٦٥٣، ٦٣٩، ٦١١
 العواصم: ٣٧٤. 2
 عين القمر: ٥٩٦. 4
 ...
 غُرب: ٣٦٤. 2
 ...
 فارس: ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٧٨، ٣٠٢، ١٣٩. 2
 ٦١٦، ٦٠٠، ٥٩٢، ٥٩٠. 4، ٥٥٣. 3
 ٦٨٣، ٦٨٢، ٦٥٣، ٦٤٩، ٦٣٩

- مقبرة باب الدير ببغداد: ٥٨٦. ٤
مَلْطِيَّة: ٢٢٦. ٢
مَنْبِج: ٥٢٦. ٣، ٢٢٢، ١٩٨. ٢
الموصل: ٣٢١، ٣٠٤، ٢١٦، ٢١٥. ٢، ٩٢. ١
٦٧٢، ٦٥٦، ٦٥٥، ٦٣٥. ٤
مَيَّافارقين: ٦٧٣، ٦٧٢. ٤
...
نجد: ١٩٧. ٢
نحلة: ٦٢٢. ٤
نَصِيبين: ٥٩١. ٤، ٥٢٦. ٣، ٢١٥، ١٩٨. ٢
النعمانية: ٦٩١، ٦٥٠، ٦٤٩. ٤
النوبة: ٥٩٣. ٤
نيزغ (بيزغ): ٥٩٦. ٤
النيل: ٤٤٦. ٣
...
الهند (كراجي): ٨٠. ١
هنريط (بطن هنريط): ١٤٨. ٢
...
واسط: ٥٩٦، ٥٩٢، ٥٩٠. ٤، ٢٤٠. ٢
٦٩١، ٦٦١، ٦٥٢، ٦٥١
...
البن: ٢١١، ٢١٠، ٢٠٣، ١٤٢-١٤٠. ٢
٦٢٠. ٤، ٥٦١. ٣
...
الأزهر: ٢٤. ١
دار العلوم: ٢٤. ١
دار الكتب المصرية: ٥٥. ١
الجمعية الجغرافية: ١١١، ١٠٦، ١٠٣، ٩٩. ١
٥٢٣، ٤٢٧. ٣
لجنة التأليف والترجمة والنشر: ١٠١. ١
مجمع اللغة العربية بدمشق: ٥٤. ١
٦٩٢، ٦٨٣، ٦٨١
...
اللاذقية: ١٥٧، ١٥٢، ١٤٩. ٢، ٨٧. ١
٢٢٨، ٢٢٢، ٢٠٩، ٢٠٥، ٢٠٠، ١٦٩
٥٢٥، ٤٨٨. ٣، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٣٨
٦٨٥، ٦١٧. ٤، ٥٦٣، ٥٦٠، ٥٤٤، ٥٢٦
لبنان: ٣٠٧، ٢٥٧، ٢٥٦. ٢
لوية: ٥٩٣. ٤
...
مدينة السلام (بغداد)
مسجد ابن عمر: ٦٦٩. ٤
مسجد عفان: ٦٦٩. ٤
مشهد الحسين بن علي: ٥٩٦. ٤
مصر (الفسطاط): ٤٩، ٢٤، ٢٠، ١٨. ١
٢٢٢. ٢، ٩٢، ٨٠، ٧١، ٦٩، ٦٤، ٥٠
٣٦٢، ٣٦١، ٣٥٤، ٣٥٢، ٣٢٧، ٢٢٣
٤٤٥، ٤٣٢. ٣، ٣٨٩، ٣٧٤، ٣٧١-٣٦٥
٦٠٨، ٦٠٧، ٦٠٢، ٥٩٣، ٥٩١. ٤
٦٧٤، ٦٦٨، ٦٦٤، ٦٥٠-٦٤٣، ٦١١
٦٩٤، ٦٩٣، ٦٨٩، ٦٨٨
مصر الجديدة: ٧٧، ٤٤. ١
المطبق (سجن): ٦٢٣. ٤
مَلْطَايَا: ٦٣٥. ٤
معرة النعمان: ٦٣١. ٤
المغرب: ٣٦٦، ٣٠٢، ٢٢٢، ١٦٤. ٢

أماكن أخرى

- المدرسة الخديوية الثانوية: ٨. ١
...
أسبوع المتنبي: ١٠٣، ٩٩. ١
...
«غزوة المصيبة» (سيف الدولة): ٦٦٤. ٤
«غزوة الفناء» (سيف الدولة): ٦٦٤. ٤
...
الأزهر: ٢٤. ١
دار العلوم: ٢٤. ١
دار الكتب المصرية: ٥٥. ١
الجمعية الجغرافية: ١١١، ١٠٦، ١٠٣، ٩٩. ١
٥٢٣، ٤٢٧. ٣
لجنة التأليف والترجمة والنشر: ١٠١. ١
مجمع اللغة العربية بدمشق: ٥٤. ١

فهرس الكتب

كتب عن المتنبي

« زيادات شعر المتنبي » ، للراجكوتى : ١ . ٣٨ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٤ . ٥٩٢ - ٥٩٤

« ديوان المتنبي » رواية ابن جنى (عزام) : ٤ . ٥٩٦ ، ٦٠٠

« شرح ديوان المتنبي » ، للواحدى : ١ . ٣٧ ، ٨٧ ، ١٠٩ ، ٤ . ٥٨٥ ، ٥٨٩ ، ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » (للعكرى) : ٣ . ٥١٢

« شرح ديوان المتنبي » لناصيف اليازجى : ١ . ٣٧ ، ٤٤ ، ٨٧

« الفسر » لابن جنى : ٤ . ٦٣٧ ، ٦٤١ ، ٦٦٠

« اللامع العزيزى » للمعرى : ٤ . ٦٦٠

« معجز أحمد » : ٤ . ٦٦٠

« الموضح » ، للتبريزى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لعبد القاهر الجرجاني : ٤ . ٦٦٠

« شرح السمعاني لديوان أبى الطيب » : ٤ . ٦٦٠

« شرح الإفلى لديوان أبى الطيب » : ٤ . ٦٦٠

« شرح الأعلم لديوان المتنبي » : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لابن الأنبارى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » ، لابن اليُمن الكندى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لعبد الواحد بن محمد بن على بن زكريا : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لهراس الكافى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان أبى الطيب » للقاسم بن القاسم الواسطى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان أبى الطيب » للدانى : ٤ . ٦٦٠

• • •

« التنبيه » لعلى بن عيسى الربيعى : ٤ . ٦٤١ ، ٦٦٠ ، ٦٧١

« الواضح فى مشكلات شعر المتنبي » عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، وهو أيضاً .

« إيضاح المشكل فى شعر المتنبي » عبيد الله بن عبد الرحيم الأصفهاني : ٢ . ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٤ . ٦٢٤ ، ٦٦٠

« الرسالة الحاقية » للحاقى : ٢ . ١٤٥ ، ٤ . ٦٦١

« جبهة الأدب » أو « الرسالة الموضحة » للحاقى : ٢ . ١٤٥ ، ٣ . ٣٧٦ ، ٤ . ٦٦١

« كتاب المفاوضة » لمحمد بن على بن نصر الكاتب : ٤ . ٦٣٣

- « كتاب الصاحب بن عباد » : ٦٦١ . ٤
- « نزهة الأديب ، في سرقات المتنبي من حبيب » لحسنون المصرى : ٦٦١ . ٤
- « بقية الانتصار ، المكثف من الاختصار » للمغرى : ٦٦١ . ٤
- « التنبيه المُنْبِي ، عن رذائل المتنبي » للمغرى : ٦٦١ . ٤
- « الانتصار المُنْبِي ، عن شعر المتنبي » للمغرى : ٦٦١ . ٤
- « قصائد المتنبي » للأعلم الشنتمرى : ٦٦١ . ٤
- « كتاب أبى الحسن الصقلى » : ٦٦١ . ٤
- « كتاب القطّاع » : ٦٦١ . ٤
- « كتاب القراز القيروانى » : ٦٦١ . ٤
- « كتاب للحسين بن محمد بن طاهر » : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب أبى الفضل العروضى » : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب الخوارزمى » (محمد بن العباس) : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب عبد الرحمن بن دوست النيسابورى » : ٦٦٠ . ٤
- « المنصف » أو « سرقات المتنبي » لابن وكيع : ٦٦٢ ، ٦٦٠ . ٤
- « التَّجْنِى على ابن جنى » لابن فورجة : ٦٦٠ . ٤ ، ٦٢٩ ، ٦٣٥ ، ٦٤٦ ، ٦٦٠
- « الفتح ، على أبى الفتح » لابن فورجة : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب الوحيد فى الرد على ابن جنى » للوحيد : ٦٦٠ . ٤
- « المآخذ الكندية ، من المعانى الطائفة » ، لابن الدهان : ٦٦٦ ، ٦٦١ . ٤
- « الاستدراك على ابن الدهان » لابن الأثير : ٦٦١
- « الإبانة عن سرقات المتنبي » ، للعميدى : ١ . ٥٥ ، ٦٥٩ . ٤ ، ٦٦١
- « الصُّبْح المُنْبِي » للبيدى : ١ . ٧٤ ، ٣ . ٥١٣ ، ٢ . ٥٦٢ ، ٤ . ٥٩٢ - ٥٩٤
- « الوساطة » للقاضى الجرجانى : ٦٦٠ . ٤
- « مختار فى أخبار المتنبي » لياقوت بن عبد الله العربى : ٦٥٩ . ٤
- « مختار من أشعار المتنبي » لياقوت الرومى : ٦٥٩ . ٤
- « رسالة فى قلب كافوريات المتنبي » (لابن حسام زاده) : ١ . ٧٣ ، ٧٤

- « أبو الطيب المتنبي » لمحمد كمال حلمى بك : ٣ . ٤١٣
- « المتنبي » لشفيق جبرى : ٣ . ٤١٣
- « ذكرى أبى الطيب » لعبد الوهاب عزام : ١ . ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٩ - ٩٨ ، ١٠٨ ، ٣ . ٤١٣ ، ٤١٦ - ٤١٩ ،

٤٢٣ - ٤٢٥

- « مع المتنبي » لطله حسين : ١ . ١٠١ - ١٢٢ ، ٣ . ٣٩٩ - ٥٣٠

سائر الكتب

- « مجموع في علم البلاغة » ، لابن جنى : ٦٥ . ١
 « بلاغات النساء » لطيفور : ٥٩٩ . ٤
 « التعلل بإجابة الوهم ، في معاني منظوم أولى الفضل » ، للبيروني : ٦٢٧ . ٤
 « الجمهرة » لابن دريد : ٦٢٩ . ٤
 « تاج العروس » ، للزبيدي : ١٣٧ . ٢ ، ٦٠٨ . ٤
 « الإيضاح » ، لأبي على الفارسي : ٥٨٧ . ٤
 « التذكرة » لأبي على الفارسي : ٦٤١ . ٤
 « شرح الأشموني على ألفية ابن مالك » : ٣٦ . ١
 « الأوراق » للصولي : ٧٢ . ١
 « كتاب الوزراء » لابن الصابي : ٦٢٩ . ٤
 « الوزراء والكتاب » للحجشيارى : ١٧٧ . ٢
 « أخبار سيف الدولة » للزّراد : ٦٦٤ . ٤
 « تكملة تاريخ الطبرى » للهمداني : ٥٦ . ١ ، ٩٣ ، ٥٩١ . ٤ ، ٦١١ ، ٦٨٤
 « تاريخ ابن يونس » ، لأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدقي : ٦٤٥ . ٤
 « ذيل تاريخ ابن يونس » ، يحيى بن على الحضرمي : ٦٤٥ . ٤
 « تاريخ المسبّحي » للمسبّحي : ٦٤٤ . ٤
 « تاريخ همام بن الفضل المعري » : ٦٤٤ . ٤
 « تاريخ القطريلي وابن أبي الأزهر » : ٦٢٣ . ٤ ، ٦٨٤
 « تاريخ الفرغاني » للفرغاني : ٦٤٩ . ٤
 « تاريخ ابن الأثير » : ١٤٤ . ٢ ، ٥٩١ . ٤
 « المقفى » للمقرئزي : ٦٨١ . ٤
 « مجموع لصالح بن إبراهيم بن رشد بن : ٦٤٧ . ٤ ، ٦٤٨
 « تاريخ حلب » للطباخ : ٨٩ . ١
 « تاريخ أبي غالب همام بن الفضل المعري » : ٦٣١ . ٤ ، ٦٣٢
 « البداية والنهاية » لعلي بن مرشد بن مقلّد بن نصر الكنانى المالكي : ٦٣٨ . ٤
 « البداية والنهاية » لابن كثير : ٥٩٠ . ٤
 « نزهة عيون المشتاقين » لأبي الغنائم الرّندى : ٦٢٩ . ٤
 « تاريخ ابن أبي الأزهر » والقطريلي : ٦٢٣ . ٤ ، ٦٨٤
 « تاريخ بغداد » للخطيب : ٥٩١ . ٤ ، ٦٠٨ ، ٦١١ ، ٦٤٢ ، ٦٥٩ ، ٦٨٤

- « ذيل تاريخ بغداد » لعبيد الله بن أحمد بن طاهر : ٦٢٤ . ٤
 « تاريخ العظمى » : ٦١٤ . ٤
 « تاريخ دمشق » ، لابن عساكر : ٥٥ . ١
 « زبدة الحلب » ، من تاريخ حلب » لابن العديم : ٨٩ ، ٤٤ . ١
 « لوامع الأمور » لابراهيم بن حبيب السقطي : ٦٤٢ . ٤
 « تاريخ القدماء لأبي العلاء » : ٦١٤ . ٤
 « رسالة الغفران » لأبي العلاء : ٦٢٠ . ٤ ، ٦٨٤
 « رسالة ابن القارح » : ٦٨٤ . ٤
 « المعلقات العشر الجاهلية » : ٩ . ١ ، ١٠
 « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني : ٥٩٩ . ٤
 « الحيوان » للجاحظ : ٥٤٤ . ٣
 « العملة » لابن رشيق : ٥١٥ . ٣
 « الحماسة » لأبي تمام الطائي : ٩ . ١
 « الكامل » للمبرد : ٩ . ١
 « رغبة الآمل » لسيد بن علي المرصفي : ٩ . ١
 « خزنة الأدب » للبغدادى : ٥٣ . ١ ، ٤٧١ . ٣ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٧ ، ٦١٠ . ٤ ، ٦٢٤
 « يتيمة الدهر (للتعالي) » : ٤١٨ . ٣ ، ٦٢٢ . ٤
 « الأنساب » للسمعاني : ٦٠٨ . ٤
 « جمهرة النسب » لابن حزم : ٥٨٧ . ٤ ، ٥٩٠
 « الإكمال » لابن ماكولا : ٦٠٨ . ٤
 « المشتبه » للذهبي : ٦٠٨ . ٤
 « تبصير المنتبه » ، لابن حجر : ٦٠٨ . ٤
 « لسان الميزان » لابن حجر : ٦٠٨ . ٤
 « طبقات الأدباء » لابن الأنبارى : ٥٥٢ . ٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦
 « إنباه الرواة » للقفطى : ٥٨٧ . ٤
 « الفلاكة والمفلوكون » : ٥٨٦ . ٤
 « وفيات الأعيان » لابن خلكان : ٥٨٦ . ٤
 « لباب الأنساب » للسيوطى : ٦٠٨ . ٤
 « بغية الوعاة » للسيوطى : ٥٨٦ . ٤
 « ذكرى حبيب » للبديعى : ٧٤ . ١

- « في الشعر الجاهلي » طه حسين : ١٣، ١٨، ٢٩-٣٤، ١٠١، ١٠٧، ٤٢٣. ٣، ٤٢٥،
 « في الأدب الجاهلي » طه حسين : ١٨، ١٠٧،
 « حديث الأربعاء » لطه حسين : ٣١، ٤٢٨. ٣،
 « قصص تمثيلية » ، ترجمة طه حسين : ٤٢٨. ٣،
 « قبض الريح » للمازني : ٤٢٨. ٣،
 « وثائق من كواليس الأدباء » لتوفيق الحكيم : ١١٨. ١،
 « مداخل إعجاز القرآن » محمود محمد شاكر : ١٧. ١،
 « قضية الشعر الجاهلي ، في كتاب ابن سلام » محمود محمد شاكر : ١٧. ١،
 « أباطيل وأسمار » محمود محمد شاكر : ١٦، ٢٠، ٢٤،
 « تاريخ التمدن الإسلامي » لجرجي زيدان : ٢٤. ١،
 « الشاهنامة » ترجمة عبد الوهاب عزام : ٨٠. ١،
 « معجم الحيوان » لأمين المعلوف : ٤٣. ١،
 « المعجم الطبي » للدكتور محمد شرف : ٤٣. ١،
 « مقال عن المنهج » لديكارت : ١٤. ١،
 « دائرة المعارف الإسلامية » : ٨٢، ٩١، ٤٩٨. ٤،

صحف ومجلات

- « صحيفة الجهاد » : ٣٠، ٣٤،
 « مجلة الرسالة » : ٨١، ٧٥١، ٣٩٥. ٣، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٤١، ٥٤٦، ٥٤٩-٥٥٢، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٢-
 ٥٧١
 « صحيفة البلاغ » : ١٠٦، ٧، ٥. ١، ٣٩٩. ٣، ٤١١، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٤٥، ٤٥٥، ٤٦٥، ٤٧٦، ٤٨٧،
 ٤٩٨
 « مجلة الهلال » : ٤٨٠، ٤٨٤،
 « المقتطف » : ١٠٦، ٨١، ٧٨، ٧٦، ٧٥، ٤٧، ٤٤، ٤٣، ٣٥، ٧، ٥. ١، ٣٩٩. ٣، ٤١٣، ٤١٦،
 ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٣، ٥٣٣، ٥٤٠، ٥٧٧
 « مجلة الزهراء » : ١٤. ١،
 « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » : ١٢. ١،

مكاتب

- « مكتبة فيض الله بالآستانة » : ٥٨٥ . 4
- « لجنة التأليف والترجمة والنشر » : ٣٩٩ . 3
- « المكتبة السلفية » : ٣٨ ، ١٤ ، ١٢ . 1
- « المطبعة المصرية » : ٣٦ . 1
- « مكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية » : ٥٥ . 1

• • •

الفرق وأشباهاها

- الزنادقة (الزندقة) : ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٤٩٨ . 3
- الموائية ، أصحاب الفضاء (فرقة) : ٦٢٧ . 4
- مذهب النفس الناطقة (فرقة) : ٦٢٦ . 4
- السفسطائية (فرقة) : ٦٢٦ . 4
- الحنشيكية (فرقة) : ٦٢٦ . 4
- الحلول : ٥١٤ ، ٥٠١ . 3
- الإلحاد : ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠١ . 3
- الفرعونية : ٢١ . 1
- الفينيكية : ٢١ . 1
- الحروب الصليبية : ٦٧ . 1

• • •

فهرس

رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا

- ٥ - فاتحة الرسالة / ٦ - مدخل الرسالة ، وبدء الرحلة / ٧ - الرحلة إلى المنهج / ٨ - الاهداء إلى المنهج ، وعيد القاهر الجرجاني وسيبويه / ١٠ - تفسير جديد لأزمة الفعل عند سيبويه / ١٤ - سبب تأليف سيبويه كتابه / ١٥ - منهجى فى تنويع الكلام / ١٦ - منهجى فى التذوق ، وكتابتى «المتنبى» كيف استقبل / ١٧ - كتابى «المتنبى» كيف استقبل / ١٨ - لم أفارق منهجى قط فى مقالاتى وكسى / ١٩ - لم أفارق منهجى فى «القوس العذراء» (وهى شعر) / ٢٠ - تذوق شعر الشماخ / ٢١ - كلام فى «المنهج» و«ما قبل المنهج» ، ما هو؟ / ٢٢ - «ما قبل المنهج» ، المادة ، والتطبيق / ٢٣ - كيف نشأ الخلاف بينى وبين المناهج الأدبية السائدة / ٢٤ - أصول «المنهج» من عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم / ٢٥ - أصول «ما قبل المنهج» ، وبيان ذلك / ٢٧ - أصول «ما قبل المنهج» ، اللغة وأسرارها / ٢٨ - أصول «ما قبل المنهج» ، الثقافة وأسرارها ، «البراءة» من «الأهواء» / ٢٩ - العواصم التى تحمى «ما قبل المنهج» / ٣٠ - العواصم التى تأتى من قبل «الثقافة» / ٣١ - رأس كل ثقافة هو الدين ، الأصل الأخلاقى / ٣٢ - الأصل الأخلاقى ، الفريد بالكمال فى ثقافتنا / ٣٤ - تاريخ نشأة الخلاف بينى وبين المناهج / ٣٥ - التفسير الصحيح لقضية «الحروب الصليبية» / ٣٦ - إخفاق «الحروب الصليبية» ، ثم فتح القسطنطينية / ٣٧ - تاريخ «المسيحية الشمالية» فى المازق (أوربة) وتفسيره / ٣٨ - إخفاق «الحروب الصليبية» وعودتها إلى ديارها (أوربة) / ٣٩ - بحث «المسيحية الشمالية» عن مخرج ، ظهور «بيكن» وطبقته / ٤٠ - ظهور «توما الإكويى» وطبقته ، واستمدادهم من المسلمين / ٤١ - فاجعة فتح القسطنطينية وأثرها فى أوربة / ٤٢ - فتح القسطنطينية لم يكن شرأ على أوربة / ٤٣ - الإصلاح الدينى فى أوربة ، «لوثر» و«كلفن» ، واستمدادهم من المسلمين / ٤٤ - مراحل الصراع بين المسيحية الشمالية ودار الإسلام / ٤٥ - المرحلة الرابعة هى التى أدت إلى «عصر النهضة» / ٤٦ - إعداد أوربة نفسها لحرب صليبية رابعة / ٤٧ - مدد «عصر النهضة» كله مأخوذ من دار الإسلام / ٤٨ - بدء ظهور طبقة «المستشرقين» وأهدافهم ووسائلهم / ٤٩ - وصف حقيقة طبقة «المستشرقين» وعملهم للتبشير والاستعمار / ٥٠ - أهداف المسيحية الشمالية وحقيقتها / ٥١ - أهداف المسيحية الشمالية ووسائلها / ٥٢ - انفك حصار المسيحية الشمالية باكتشاف أمريكا ، وكيف كان ذلك / ٥٣ - إبادة الهنود الحمر هو خلق الحضارة الأوربية ، «الاستشراق» / ٥٤ - عمل «الاستشراق» و«المستشرقين» ونهب ثرائنا / ٥٥ - حقيقة «الاستشراق» ، وظهور دهاقنه الكبار / ٥٦ - «المستشرق» حامل هموم المسيحية الشمالية ومثل أهدافها / ٥٧ - لأى هدف كتب «المستشرقون» ما كتبوا؟ وصفة «المستشرق» / ٥٨ - ما كتبه «المستشرقون» مؤجّه إلى المثقف الأوربى لا غير / ٥٩ - الصورة التى صوروا بها العالم الإسلامى للمثقف الأوربى / ٦٠ - عمل «الاستشراق» مؤجّه للمثقف الأوربى لحمايته / ٦١ - «الاستشراق» يطلب إقناع المثقف الأوربى لحمايته / ٦٢ - كتب «المستشرقين» لا توصف بأنها علمية / ٦٣ - أسباب نفى صفة «العلمية» عن كتب «المستشرقين» / ٦٥ - «المستشرق» عارى من شروط «المنهج» و«ما قبل المنهج» / ٦٦ - نشأة «المستشرق» تمنعه من الدخول تحت شروط «المنهج» الثلاثة / ٦٧ - شروط «المنهج» : «اللغة» و«الثقافة» و«البراءة من الأهواء» / ٧٠ - تمة القول فى حلو «المستشرق» من شروط

« المنهج » / ٧١ - سرُّ « الثقافة » المثلَّث ، ولم / ؟ / ٧٢ - طُورَان في الطريق إلى « الثقافة » : الدين واللغة / ٧٤ - « الدين واللغة » غير قابلين للفصل / ٧٥ - « ثقافة عالية » كلمة باطلة ، ولم / ؟ / ٧٦ - لغة « المستشرق » و « ثقافته » تخرجه من شروط « المنهج » / ٧٧ - دوافع « المستشرق » في الكتابة حقُّ له / ٧٨ - ختام قضية « الاستشراق » / ٧٩ - قصة ملوِّها المضحكات والمبكيات / ٨٠ - كيف كان الأمر في القرن الحادى شعر الهجرى / ٨١ - « النهضة » ورجالها في القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين / ٨٣ - الجبرتيُّ الكبير والإفرنج (المستشرقون) / ٨٤ - الفرق بيننا وبين أوربة في ذلك الوقت / ٨٥ - « الاستشراق » وتحوُّله من نهضتنا يومئذٍ / ٨٦ - « الاستشراق » ونذيرُه للمسيحية الشمالية / ٨٧ - « الاستشراق » وعمله للاستعمار / ٨٨ - صراع بريطانيا وفرنسا في دار الإسلام في الهند / ٨٩ - وقَّع نذير « الاستشراق » في فرنسا ، نابليون / ٩٠ - « نابليون » السفاح مدمرُ القاهرة / ٩١ - قصة مُفحمة / ٩٣ - حقيقة « الحملة الفرنسية » في مصر / ٩٥ - « ميتو » الخبيث ، وحلاء الفرنسيين عن مصر / ٩٦ - تدمير القاهرة على يد نابليون وحملته / ٩٧ - الحملة الفرنسية ومستشرقوها وسرقة نقائس الكتب / ٩٩ - سرقة الكتب لوأد اليقظة ، وسفح دماء رجالها / ١٠٠ - سفح الدماء لوأد اليقظة / ١٠١ - جهاز « الاستشراق » وعمله في دار الإسلام / ١٠٢ - « الاستشراق » وفكرة نابليون في خديعة « الديوان » / ١٠٤ - « الاستشراق » كامنٌ في أحشاء جُزَّار القاهرة نابليون / ١٠٥ - سياسة جُزَّار القاهرة في « إنشاء الديوان » / ١٠٦ - إخفاق نابليون ومستشرقوه في ترويض الجماهير المصرية / ١٠٧ - خيبة أمل الجُزَّار في « تدجين » المشايخ / ١٠٨ - رسالة نابليون إلى خليفته كليبر وخطرُها / ١٠٩ - نص الرسالة وكيف غيَّب بها الراجعي ، فضيحة !! / ١١٢ - « المستشرقون » وأهدافهم ووسائلهم ، وزحفهم البطيء / ١١٣ - « لينتزر » الفيلسوف الألماني يخرِّض فرنسا على غزو مصر / ١١٤ - تقارير الساسة الفرنسيين الداعية لغزو مصر / ١١٦ - تواريخ التقارير مطابقة لتاريخ « اليقظة » في مصر / ١١٩ - إرهاب نابليون ومقاصده في رسالته إلى « كليبر » / ١٢٠ - مقاصد « نابليون » وإرهابه وجذور قضيتنا مع الغرب / ١٢١ - عمل « الاستشراق » ، والزحف الشامل على دار الإسلام / ١٢٢ - جاليات المسيحية الشمالية في قلب دار الإسلام / ١٢٣ - تعبئة « الاستشراق » اليهود والأرمن والأروام والمالطيين / ١٢٤ - « المستشرقون » وإقامتهم الطويلة في دار الإسلام في كل زِي / ١٢٥ - عمل « الاستشراق » في إقامته الطويلة بدار الإسلام في مصر / ١٢٦ - بدء سقوط هيبة المشايخ عند المماليك المصرية / ١٢٧ - الثورة على المماليك ، والمشايخ الذين كانوا على رأسها / ١٢٩ - ثورة المشايخ على المماليك جُزءٌ من « اليقظة » / ١٣٠ - المشايخ الثَّوار ، كيف استجابوا للدعوة نابليون لإنشاء « الديوان » / ١٣١ - ما كان « الاستشراق » يوحيه إلى المشايخ عند دُتُّوا الحملة الفرنسية / ١٣٢ - ما كان « المستشرقون » يفعلونه مع المماليك ، ومع الكنيسة القبطية / ١٣٣ - حقد « الاستشراق » على الكنيسة القبطية لَمَّا لم تستجب لإغرائهم / ١٣٤ - سر استجابة المشايخ لنابليون وديوانه / ١٣٥ - إسنادُ المشايخ ولاية مصر لمحمد علي / ١٣٦ - صفة أخلاق محمد علي ، ومراقبة « الاستشراق » له / ١٣٧ - غدر محمد علي بالذي ولَّاه مصر ، السيد عمر مكرم / ١٣٨ - إحاطة « القناصل » بمحمد علي ، وتحريضه على غزو جزيرة العرب / ١٣٩ - قصة فكرة البعثات إلى أوربة / ١٤٠ - « جومار » وتطوُّره مشروع نابليون إلى بعثات طلبة / ١٤٢ - رفاة الطهطاوى وخبره ، وما فعل به « المستشرقون » / ١٤٥ - حقيقة « مدرسة الألسن » التي أنشأها رفاة الطهطاوى ، وخطرُها / ١٤٦ - خاتمة الرسالة ، وتمة القول في خطر « مدرسة الألسن » / ١٤٧ - الاحتلال الإنجليزي لمصر ، وجعل التعليم كله في قبضة البشر « دنلوب » / ١٤٨ - « تفرغ » طلبة المدارس من ماضيهم ، ونُبَّتْ الانتهاء إلى « الفرعونية » البائدة / ١٤٩ - ختام الرسالة : والحمد لله وحده .

- ١٥١ - مقدمة هذه الطبعة
- ١٥٣ - وفيها ظهور نصر ثالث جيد ، هو من كلام المتنبي نفسه . ويثبت إثباتاً قاطعاً أنه أَرْضَعَتْ امرأة علوية من بنات « آل عبيد الله بن يحيى (أو : ابن علي) » . وهو الفِصْلُ في شأن علوية المتنبي ، يؤيد ما افترضته استنباطاً عن طريق منهجي في « التدوَّق » ، أن المتنبي علوي النسب . وأخبار أخرى بعضها يتعلق بقضية كتابي هذا
- ١٨٧ - الكلمة التي أُلْقِيَتْ بعد تسلّم جائزة الملك فيصل العالمية صورة البراءة التي حاز بها هذا الكتاب جائزة الملك فيصل العالمية

...

رسالة الكتاب (١)

- ٥ - خطبة كتاب المتنبي
- ٧ - قصّة هذا الكتاب ، وَلَمَحَةٌ من فساد حياتنا الأدبيّة

(٨) بدء قصتي مع الشعر الجاهلي « وكيف انتهت بي إلى اتخاذ منهجي في « التدوَّق » ، تدوَّق الكلام عامة ، والشعر خاصة (١٢) قضية الشعر الجاهلي في الجامعة ، ومعارضتي لمنهج الدكتور طه حسين بمنهجي في « التدوَّق » (١٨) خداع المستشرقين : تَلِينُو وَجُودِي في مسألة « السطو » على آراء الآخرين (١٩) تنبهي يومئذ (سنة ١٩٢٦) إلى أسباب « فساد حياتنا الأدبية » وكيف تمّ إفسادها عن طريق العمل السياسي للاستعمار . « التفرغ الثقافي » . كيف تمّ تفرغنا من ثقافتنا ، لإحلال ثقافة أخرى في نفوس المعلمين . وكيف تمّ بعد ذلك اعتياد حياتنا الأدبية على « السطو » وعلى « العثرة » وهما أبشع داء أفسد حياتنا الأدبية ولم يزل مستمرين إلى يومنا هذا (٢٢) من « التفرغ الثقافي » ، نشأت قضية فاسدة ، هي قضية « القديم » و « الجديد » و « التجديد » و « ثقافة العصر » وما شاكل هذه الألفاظ الفارغة . شرح هذه القضية ، وذكر صفة العاملين على إحداثها في حياتنا الأدبية . (٢٥) المعنى الصحيح لما يسمّى « التجديد » ، وكيف كان ينبغي أن يكون . (٢٨) شهادتي على جيلي الذي أنا منه (٢٩) شهادة الدكتور طه على هذا الجيل نفسه في سنة ١٩٣٥ ، بعد عشر سنوات فيها شهد عواقب ما أحدثته منهجه الانفعالي في تلامذته من الجامعيين وغيرهم .

(٣٤) « المتنبي » ، كيف أُلِفَتْ هذا الكتاب ؟ (٣٦) « التدوَّق » ، معناه عندي ، وقراءة شعر المتنبي على وفق هذا المنهج المتشعب (٣٧) ديوان المتنبي أول ديوان مرثب على تأريخ القصائد ، وإحساس العرب بالتاريخ . وقراءتي شعره مرثباً على التأريخ ، وقراءتي إيّاه « متدوّقاً »

(٣٩) محاولتي قراءة شعر الجاهلية وما بعدها ، لكى أؤرخها « بالتلوق » (٤٠) قراءة شعره وأخباره ، « متلوقاً » ، وفائدة ذلك . (٤١) كيف تُم تأليف هذا الكتاب (٤٣) خبر أمين المعلوم واستدلالة على حُب المتنبي « خولة » أخت سيف الدولة ، وهو نفس ما انتهيتُ إليه في هذه القضية (٤٦) كيف بدأتُ كتابة « المتنبي » بعد طول ترددٍ وخوفٍ ، وقد استقرَّ مذهبى في « تلوق » الشعر والأخبار .

(٤٩) « غمود صورة المتنبي » في كتابى هذا ، منذ مولده إلى يوم مقتله . (ا) في الكوفة من سنة ٣٠٣ - ٣٢٠ غلامٌ علوى النسب (ب) خرجوه بالشام لإعلان علويته ، وإبطال خبر ما زعموه من ادعاء « النبوة » من سنة ٣٢١ - ٣٢٣ (ج) من سنة ٣٢٣ - ٣٣٦ ، رحلته في الشام ، يتخللها دخوله الكوفة سنة ٣٢٥ (د) من سنة ٣٣٦ - ٣٤٦ ، لقاءه أبا العشائر ثم مصاحبة سيف الدولة (هـ) حبه « خولة » أخت سيف الدولة ، ثم مفارقة الشام إلى مصر من سنة ٣٤٦ وإقامته بها إلى سنة ٣٥٠ (و) ثم رحيله عنها إلى العراق ، ثم مقتله سنة ٣٥٤ (ز) شخصيته أنى الطيب العامة في الكتاب عن طريق « التلوق » (ح) حُب أنى الطيب لجذته وزوجه وعياله ، وحُب « خولة » ، واستخرجت هذا كله عن طريق « تلوق الشعر والأخبار » = ثم شرح هذه الفقرات الثانية .

(٥٤) ادعاء « علوية المتنبي » ، كان فرضاً محضاً في سنة ١٩٣٦ ، ثم في سنة ١٩٥٨ وقفت على أول نصٍّ يؤيد ما ذهبتُ إليه (٥٥) في سنة ١٩٦٢ ظهر نصٌّ ثانٍ يؤيد ما ذهبتُ إليه في علوية المتنبي ، ويؤيد أيضاً ما استنبطته بالتلوق أنه كان لا يحبُّ الشيعة (٦١) علوية أنى الطيب ، ومسألة كتان النسب ، وشرحُ هذه القضية (٦٥) دخوله على ابن دريد في نحو سنة ٣٢٠ ، خبر جديد أيضاً (٦٦) مع سيف الدولة في السياسة (٦٨) شرح عواطف أنى الطيب (٧٠) شرح قضية أنى الطيب في مصر عند كافور ، وأثر فراقه سيف الدولة في نفسه . ونظرة فيما يتضمنه شعره في مدح كافور من السخرية والازدراء .

(٧٥) « الغمراءُ ثم يتجلين » ، بعد ظهور كتابى « المتنبي » ذكر خبر الرافعى ، وخبر

العقاد

(٧٩) « كتابان في علم السطو » . و « السطو » هو السنة التى سنّها أدباؤنا الكبار في الحياة الأدبية . كتابان ألفا بعد ظهور كتابى ، وهما من الأدلة على فساد حياتنا الأدبية بسنة « السطو » الباقية إلى يومنا هذا ، بل لعلها اليوم أشد بشاعة . الكتاب الأول : « ذكرى أنى الطيب بعد ألف عام » للدكتور عبد الوهاب عزام ، وبعضُ دلائل السطو والفساد = (٩٩) الكتاب الثانى : « مع المتنبي » للدكتور طه حسين ، وفي الكتاب ما فيه ! (١٢٢) خاتمة فساد حياتنا الأدبية بالسنن الفاسدة التى سنّها شيوخنا وأدباؤنا الكبار

« المتنبي » (٢)

١٢٧ - تقديم المقتطف لكتاني « المتنبي »

١٢٩ - مقدمة الأستاذ فؤاد صرّوف

...

١٣٥ - خطبة الكتاب في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥

١٣٦ - نقشة قديمة (شعر)

...

١٣٧ - (١) المتنبي ونسبه ، ونشأته من سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣٢١

(١٣٧) الاختلاف في نسبه (١٣٨) أخبار نسبه ، وكتابه هو هذا النسب (١٤٠) مولده في الكوفة دار العلويين ، ونقد بعض أخبار الكوفة (١٤٢) صاحب « إيضاح المشكل » ونقد خبره عن المتنبي ، (١٤٣) المتنبي وبنو بويه (١٤٥) أخبار القاضي التنوخي ، ونقد هذه الأخبار وتبريج روايتها ، وعلاقة المتنبي بالتنوحيين (١٥١) : بيان عن شأن العلويين في حياة المتنبي (١٥٣) الإشارة في التعليق إلى الأخبار الجديدة عن نشأته ، وأنه أرضعته امرأة علوية (١٥٥) الإشارة في التعليق إلى علوي عباسي يرجع أن له شأنًا في الإرصاء لقتل المتنبي بكفر عاقب ، وهو جديد (١٥٨) نقد الأخبار عن والد المتنبي « عيدان السقاء » .

١٦٣ - (٢) الحديث عن جدّة المتنبي وأمه

١٦٧ - (٣) الأدلة الداعية إلى افتراض علوية المتنبي

(١٦٧) كان أول أدلتي خير « اختلاف المتنبي إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة » ، وتعلم فيه دروس « العلوية » ، وحقق العربية في هذا الكتاب ، وما جاء بعد ذلك بسنين مما يؤيد حُجَّتِي في علويته . (١٦٨) في التعليق ، إشارة إلى تدليس المستشرقين (١٦٩) الدلائل على علويته ، كما استنبطها باتخاذ مذهبي في « التذوق » ، ما جاء في خبر نبوته أنه ادّعى أنه علوي ، إرصاء العلويين لقتله بكفر عاقب ، دلائل مُستخرّجة من خبر وفاة جدته ومن رثائه إياها (١٧٢) أثر العلوية في حياته ، وفي مسألة كتمان نسبه (١٧٧) قصة أضفتها إلى الكتاب ، عن وليد لأبي جعفر المنصور « تشبه ما افترضته في قضية المتنبي وأصله العلوي » .

١٨١ - (٤) أم المتنبي وجدّته ، وعلاقتها بالعلويين

(١٨١) دلالة أوائل شعره على ما في نفسه ، وعلاقة جدته بكتبان نسبه (١٨٣) ستة أصول نفسية ظهرت في شعر صباه (١) « الالتفات » ، وهو الخروج من معنى محدود إلى معنى متراعى الأطراف (انظر ص : ٢٨٣) (ب) دلائل الرجولة والفتوة ويُعَدُّ المهمة التي استغرقت كل شعره (ج) الثورة الدائمة التي لم تُخْبُ (د) طَالِبُ ثَأْرِ من عدوٍّ لا يكاد يفصحُ عنه (هـ) الإشارة الخفية أبدأ إلى صفة هذا العدو (و) هذه الثورة من أثر تربية جدته ، ودلائل كُلِّ ذلك من شعره في صباه (١٨٧) خير أئى الفضل الذى يزعمون أنه أضله ، وتغنيدُ ذلك بنص المتنبي نفسه في تقديمه لشعره في أئى الفضل هذا (١٨٨) تأثر المتنبي بألفاظ الفلاسفة ، ودلالة ذلك (١٩١) في الكوفة من مولده سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣١٧ ، وصفة حياته وحياة أهل الكوفة في هذه المدة (١٩٢) خروجه إلى بغداد سنة ٣١٩ ، وقصة له في بغداد رواها هو ، ويؤيدها الخبر الجديد الذى وقفت عليه من دخوله على إمام العربية آبن دريد ، كما سلف في ص : ٦٥ (١٩٤) « السخرية » طبيعة المتنبي في شعره ، وهى منفذ آلامه (١٩٦) تأمل المتنبي في حياة أُمته ، وما كان يمجده من ذلك ، حتى عَفَّ عن الطموح إلى توجيه شعره إلى مدح الأمراء والخلفاء ، ثم فراق الكوفة إلى بادية الشام سنة ٣٢٠ ، حتى نزل دمشق سنة ٣٢١ ، ثم تجول به بعد ذلك في بلاد الشام ، حتى كان ما كان من خبر اعتقاله وحبسه بمحمص .

...

(٥) نبوة المتنبي ، وبطلانها وتأريخ ذلك في سنة ٣٢١ ، ٣٢٢

- ١٩٩

(١٩٩) سَرَدُ الروايات التى رُوِيَتْ عن « نبوة » المتنبي (٢٠٦) مقدمة لقد هذه الروايات (٢٠٧) نقد خبر آبن أم شيبان العلوى الهاشمي ، يقول فيه إنه « ادَّعى أنه علوى حسنًى ، ثم ادَّعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى » (٢٠٨) نقد خبر آبن على بن أئى حامد وقوله : إن لَوْلُوا أَمِيرَ حمص « استتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادَّعاه (أى النبوة) ورجوعه إلى الإسلام » (٢٠٩) نقد قصة أئى عبد الله بن إسماعيل اللاذقي في شأن « نبوة » المتنبي (٢١٢) معجرات أئى الطيب التى ذكرها المعري في « رسالة الغفران » وتفسير ذلك ، و « قرآن » أئى الطيب (٢١٣) ختام رأينا في شأن نبوة المتنبي ونسأله حبسه

...

(٦) حبس المتنبي كان من أجل إظهاره نسبته « العلوية » لا غير

- ٢١٥

(٢١٥) لقاء المتنبي سيف الدولة سنة ٣٢١ برأس العين ، ومدحُه بقصيدة لم يسمعهامنه ، ودلالة هذه القصيدة ، إذ هى القصيدة الفريدة التى مدس بها أميراً من الأمراء بشعر صباه (٢١٨)

حبسه لإظهار علويته ، لا لدعوى « النبوة » ، وعلاقة العلويين والفاطميين بهذا الحبس ، ودلائل ذلك من شعره (٢٢٤) بقاؤه في السجن إلى سنة ٣٢٣ ، ودلالة شعره على استخفافه بالسجن ، وأنه لم يحبس لادعاء النبوة ، بل لإظهار نسبه العلوي (٢٢٦) تفسير القصيدة التي كانت سبباً في إطلاقه ، ومدحه ابن طنج (٢٣٢) سبب تلقيب أبي الطيب : « المتنبي » (٢٣٥) الدليل على أنه منذ خرج من السجن إلى سنة ٣٢٥ لم يكن معروفاً بهذا اللقب (٢٣٥) نبذة عن ظهور دليل جديد يؤيد ما ذهب إليه في سبب تلقيبه « المتنبي »

...

(٧) حياة المتنبي في الكوفة من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٦

- ٢٣٧

(٢٣٧) خروجه من السجن بمحض ، وبقاؤه قليلاً عند التنوخين في اللاذقية ، ثم عودته إلى الكوفة عند جدته (٢٣٩) استنباط زواجه وهو بالكوفة ، ودليل ذلك من شعره (٢٤٠) مقارنة نهج شعره قبل سنة ٣٢٦ ، واختلافه عن شعره الذي قاله بعد ذلك (٢٤١) استنباط المعاني التي دعت إلى فراق الكوفة سنة ٣٢٦ ، من رثائه جدته بعد ذلك سنة ٣٣٥ ، وارتباط ذلك بنسبه العلوي . ثم خروجه إلى الشام مرة أخرى .

...

(٨) رحلته في الشام من سنة ٣٢٦ إلى سنة ٣٢٧

- ٢٤٥

(٢٤٥) رحلته في الشام « ومعاني شعره وخصائصها في هذه المدة (٢٤٦) ظهور مذهبه الجديد في الشعر في مدح علي بن إبراهيم التنوخي سنة ٣٢٦ ، ومقارنته بشعر صباه (٢٤٩) آراؤه السياسية ، وأنفته من حكم الموالى والديلم والبيد والعجم (٢٥٠) خصائص شعره في هذه المدة ، وأن لها أصولاً تاريخية في حياته ، وعلاقة ذلك باضطهاد العلويين في الكوفة وفي الشام (٢٥٢) ما سمّيته « توقيع المتنبي » في شعره (٢٥٣) خروجه من اللاذقية إلى طبرية وما لقي من أديباء العلويين ، وأثر هذه الرحلة في شعره (٢٥٥) تنمة القول في ذكر بعض من لقيهم أو مدحهم خلال هذه الرحلة ، ودلالات أخرى من شعره

...

(٩) المتنبي مع بدر بن عَمَّار الأسدي بطبرية ، وإقامته معه من سنة

- ٢٥٩

٣٢٨ - ٣٣٣

(٢٥٩) تغير شعره ومعانيه بعد لقاء بدر بن عمار ، ودلالة هذا الشعر على اتجاهه السياسي والنفسى (٢٦٢) اتجاهه العربى وازدراؤه للأعاجم وسلطانهم (٢٦٤) حدة إحساسه بالجمال ، وصفة الأسد الذى قتله بدر ، وهى إحدى القصيدتين اللتين تدلّان على تغير منهجه فى الشعر (٢٦٧) ظهور السخرية فى شعره ، وهى أصل من الأصول الستة المذكورة فى ص : ١٨٣ (٢٦٨) مكاييد الأعور ابن كروّس التى أدّت إلى مفارقتها بدر بن عمار وخروجه من طبرية (٢٧٠) إكثاره من المعارض والإنذار والوعيد فى شعره ، وعلاقته بتلقيه « المتنبي »

...

٢٧٢ - (١٠) رحلته فى الشام من سنة ٣٣٣ - ٣٣٦

(٢٧٣) ابن كروّس من شيعة العلويين وأثر ذلك فى شعره (٢٧٤) خصائص شعره فى هذه المدة ، ورحلته فى الشام (٢٧٨) دلالة شعره فى مدح الخصيبى على منهجه وآماله فى المطالبة بحقه ، وهو علويته (٢٨٠) كتاب جدته إليه تدعوه إلى الكوفة ، فمنعه العلويون من دخولها ، فماتت جدته سنة ٣٣٥ ، فبقى قليلاً فى بغداد ، ثم عاد إلى رحلته فى الشام (٢٨١) دلالات شعره بعد عودته ، ومعنى « الالتفات » فى شعره (انظر ص : ١٨٣) (٢٨٣) بعض خصائص شعره فى هذه المدة ، فى أنطاكية ، وهو مهم (٢٨٩) رجوعه إلى طبرية مراغماً للعلويين وصاحبهم ابن كروّس (٢٩٠) إرصاد العلويين له عبيدهم بكفر عاقب ليقتلوه ، وهو فى طريقه قاصداً أبا محمد بن طغج (٢٩١) أثر هذه المكيدة فى شعره حين مدح ابن طغج وصاحبه أبا طاهر العلوى (٢٩٣) ما فى مدحه أبا طاهر العلوى من ليز للعلويين (٢٩٤) هجاؤه ابن كيخلج وهو فى طريقه إلى لقاء أنى العشائر الحمداني

...

٢٩٥ - (١١) المتنبي وأبو العشائر الحمداني ، سنة ٣٣٦

(٢٩٥) مع أنى العشائر فى أنطاكية ، واستيلاء سيف الدولة على الشام . صُغِبته للحمدانيين لمذهبه العربى لا للتكسب (٢٩٧) خصائص شعره فى هذه السنة ، وما يتعلق بعداوة العلويين والفاطميين (٢٩٨) مكاييدهم يومئذ ، ودلالة قصيدة اللامية على كلّ ذلك

...

٣٠١ - (١٢) المتنبي وسيف الدولة ، من سنة ٣٣٧ إلى سنة ٣٤٦

(٣٠١) المتنبي مع سيف الدولة وسياسته العربية ، وهو المذهب الذى حُبب إليه سيف الدولة (٣٠٣) أهداف سيف الدولة السياسية (٣٠٤) تفسير خصائص شعره فى صحة سيف الدولة ومشابهتها لخصائصه فى صحة بدر بن عمار ، واختلاف شعره هذا عن سائر شعره (٣٠٥) لقاء سيف الدولة يومئذ بأنطاكية ، ليس أول لقاء . تفنيد بعض الروايات عن هذا اللقاء (٣٠٨) السياق التاريخي لهذا اللقاء (٣١٠) تفسير أول قصيدة مدح بها سيف الدولة ، ودلائلها الفنية والسياسية (٣١٢) تفسير ظاهرة « الانتقال » فى شعر أئى الطيب وخطرها ، وهو فمبل مهم (٣١٥) عودة إلى تفسير القصيدة الأولى (٣١٧) تفسير شعر أئى الطيب فى أنطاكية ، ودلالته بمنهج « التذوق » على مرض زوجته ثم وفاتها ، وهو تطبيق مهم (٣٢٢) خصائص شعره عند سيف الدولة ، ودلائلها على أن صلته بسيف الدولة للحب ولأهداف السياسة « لا للتكسب والمال ، والأدلة على ذلك (٣٢٧) دلالة قصيدته التى قالها بعد فراق سيف الدولة سنة ٣٥٢ (٣٢٩) دلالة قصيدته التى قالها بعد فراقه سنة ٣٥٣

...

(١٣) حب المتنبي « خولة » أخت سيف الدولة

- ٣٣٣

(٣٣٣) العواطف الكامنة فى نفس أئى الطيب ، مستنبطة بمنهجى ، فى « التذوق » من شعره (٣٣٦) الأدلة على حبه « خولة » ، مستنبطة بتطبيق منهج « التذوق » فى شعره . الدليل الأول فى رثائه أخت سيف الدولة الصغرى سنة ٣٤٤ (٣٣٧) الدليل الثانى فى رثاء أخته الكبرى خولة سنة ٣٥٢ (٣٤٠) « الانتقال » فى شعر أئى الطيب ، هو الذى يسر هذا الاستنباط (وانظر ص : ٣١١ ، ٣١٢) وتطبيقه على هذا الرثاء (٣٤٣) دلائل أخرى من شعره عند سيف الدولة على هذا الحب على مذهبنا فى « التذوق » (٣٤٧) دلائل أخرى على هذا الحب فى مدة إقامته عند كافور (٣٤٨) البيت الذى عابوه فى أول قصيدة أنشدها كافور سنة ٣٤٦ ، دليل صحيح على ما كان فى نفس أئى الطيب من مفارقة ديار حبيبته « خولة » (٣٤٩) دليل آخر من قصيدته أيضاً فى سنة ٣٤٦ (٣٥٠) دليل آخر من قصيدته فى السنة نفسها (٣٥١) قصيدته فى سنة ٣٤٧ ، فاتحتها دليل آخر واضح الدلالة على حب « خولة » (٣٥٢) دليل آخر من قصيدته سنة ٣٤٨ (٣٥٤) عودة إلى علاقة هذا بقصيدة فى رثائها سنة ٣٥٢ ، وفى رثاء عمه عضد الدولة سنة ٣٥٤

...

(١٤) فراق سيف الدولة ، وذهابه إلى كافور بالفسطاط ، من سنة

- ٣٥٧

٣٤٦ إلى سنة ٣٥٠

(٣٥٧) أسباب فراقه سيف الدولة وتفنيد الروايات التي ذكّرت أسباباً لا يُعْتَدُّ بها ،
لتنافضها وضعفها (٣٥٨) الوشائيات التي كان يُكاد بها عند سيف الدولة منذ سنة ٣٤٢
وما كان من عداوة أبي فراس وأبي العشائر له ، لحبه « خولة » (٣٦١) خروج أبي الطيب إلى
كافور ، و « ابن مَلَك » اليهودي الذي أراد أن يُغري كافوراً بأبي الطيب ، ونزوله بالرملة حيث
مدح ابن طنج وأبا طاهر العلوي ، وحرص كافور على أن يقصده أبو الطيب (٣٦٢) ودلالة أول
قصيدة مدح بها كافوراً على ازدرائه له وسخريته به ، وعلى ما في قلبه من الشجن لفراق سيف
الدولة وأخته « خولة » (٣٦٣) بطلان قصده كافوراً لطلب عطائه وماله . دلالة سائر قصائده
في مدح كافور من هجاء خفي لكافور (٣٦٦) فهم كافور لتعريض أبي الطيب به وبسواده ،
وتضييقه من أجل ذلك على المتنبي ، حتى فرّ منه المتنبي وفارقه ، وعداوته لابن حنّابة ، وإعجاب
المتنبي بأبي شجاع فاتك « المجنون » (٣٦٧) خروجه من الفسطاط خفيةً ، ونجاة من أسر كافور

...

٣٦٩ - (١٥) رحلة المتنبي إلى الكوفة وبغداد ، من سنة ٣٥١ إلى سنة ٣٥٤

(٣٦٩) دلالات قصيدة « الحمى » التي أصابته بالفسطاط سنة ٣٤٨ (٣٧٠) هجازه
كافوراً ، وعذره في التعريض بأهل مصر (٣٧٢) رحلته في الفلوات حتى دخل الكوفة ظافراً
مراعماً للعلويين الذين منعه من دخولها في سنة ٣٣٥ ، ودلالة قصيدته التي ذكر فيها هذه الرحلة ،
وربط ذلك برثاء جدته سنة ٣٣٥ (٣٧٥) ذكر الخارجي (أو القرمطي) الذي ثار بالكوفة سنة
٣٥١ ، ومدح دُلَيْر بن لَشْكِرَوَز (٣٧٥) إقامة قليلة بالكوفة ، ثم الرحلة إلى بغداد ، وما كان من
أمر الوزير المهلب الذي أغرى به الشعراء ، وادعاهم أن أباه كان سقّاء بالكوفة (٣٧٧)
خروجه إلى بغداد سنة ٣٥٢ ، ثم عودته إلى الكوفة ، حيث بلغته وفاة « خولة » سنة ٣٥٢ ، ثم
رسالة من سيف الدولة إليه في سنة ٣٥٣ (انظر ص : ٣٣٠) ، ودلالة هذا الشعر
(٣٧٨) دعوة ابن العميد أبا الطيب في سنة ٣٥٤ ، وإجابته هذه الدعوة ، ونزوله
بأرجان في صفر ، وبعض دلالات شعره في آبن العميد

...

٣٨١ - (١٦) المتنبي عند عضد الدولة الديلمي بشيراز سنة ٣٥٤

(٣٨١) رأى المتنبي في ملوك زمانه ، وبلغه عضد الدولة (٣٨٢) استقبله عضد الدولة
بأبي عمر الصباغ ، واستنشدته فأنشدته مقصّورته التي ذكر فيها دخوله الكوفة مراعماً للعلويين ،
فأدرك عضد الدولة أنّه يتهدده ، وبنو بويه الديلم علويون فاطميون (٣٨٣) أول قصيدة مدح بها

عضد الدولة تتضمّن تعريضاً بما في قلبه من بُغض الأعاجم (٣٨٤) المتنبي وعضد الدولة الديلمي علوّان يتخادعان (٣٨٥) دلالة شعره في رثاء عمه عضد الدولة عن ضمير قلبه وقديم حُبّه « خونة » ، وإشارة إلى شعوره بأنه مقتول لا محالة

...

(١٧) مقتل أبي الطيب في ٢٧ من شهر رمضان سنة ٣٥٤

- ٣٨٧

(٣٨٧) قضية العداوة بين أبي الطيب وبنى بويه الديلميين العلويين ، وشأن سيف الدولة في ذلك (٣٨٩) علاقة العلويين والفاطميين بمقتله (٣٩٠) صلة مقتله بقوم من بنى أسد وبنى رياح الذين أوقع بهم سيف الدولة سنة ٣٢١ برأس العين ، حيث لقيه المتنبي قديماً ومدحه (٣٩٠) آخر قصيدة قالها المتنبي تدلّ على أنه كان يائساً متوقّفاً للهلاك ، وقد كان ما توقّع

...

قضية المتنبي (٣)

تقديم هذه القضية

- ٣٩٥

قضية المتنبي الأولى : « بينى وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت من ذى الحجة سنة ١٣٥٥ / ١٣ من فبراير سنة ١٩٣٧)

- ٣٩٧

(١) بينى وبين طه ، تنفيذ كلام الدكتور طه ، في أنّ المتنبي كان لا يعرف أباه (٤٠٢) وصف الدكتور طه لما كتبه هو عن المتنبي ، وشكّه كما زعم في نسب المتنبي ، واعتماده في ذلك على معارضتي في شأن علوية المتنبي (٤٠٣) أسباب شكّه التي رآها ، وبيان ضعفها ونهايتها ، كقوله : « إن المتنبي لم يمدح أباه » ولم يفخر به ، ولم يرثه (٤٠٨) خطأ الدكتور طه في فهم شعره للمتنبي

(٢) « بينى وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ٩ من ذى الحجة

- ٤١١

سنة ١٣٥٥ / ٢٠ من فبراير سنة ١٩٣٧)

(٤١٢) أغراض هذا النقد . (٤١٤) الشك في النسب لأبْدَله من علة صحيحة . وتمة القول في أسباب شكّه كما ذكرها (٤١٥) حقيقة السبب الذى من أجله شكّ الدكتور في نسب المتنبي ، ومن أين أخذ بعض أسبابه (٤١٩) الاختلاف في سياق الأنساب ، لا يكون علة للشك في أنساب الناس (٤٢٠) بيان لما كان في كتابي هذا من الكلام في نسب المتنبي ، لم كان ؟ وكيف

كان ؟

٤٢٣ - (٣) « بينى وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ١٦ من ذى الحجة سنة

(٢٧/١٣٥٥ من فبراير سنة ١٩٣٧)

(٤٢٣) إبطال الحجج التى أدت به إلى القول بأن المتنبي « لقيط » ، وأن كُتْل شك

أو ارتياب لا بد له من حُجّة داعية من ديوان الرجل نفسه (٤٣١) ردّ ادعائه أن المتنبي كان يشعر بالضعفة من أجل ذلك ، وهو قول بلا دليل

٤٣٤ - (٤) « بينى وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، الثلاثاء ٢٦ من ذى الحجة سنة

(٩/١٣٥٥ من مارس سنة ١٩٣٧)

(٤٣٤) إبطال قول الدكتور طه بأن المتنبي كان « لا يعرف أمّه » أيضاً ، وهو اتهام له

معنى لا يستحسن ذكره ، وما فيه من التناقض (٤٣٨) منهج يؤدى إلى فساد الحياة الأدبية

٤٤٥ - (٥) « بينى وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ٣٠ من ذى الحجة سنة

(١٣/١٣٥٥ من مارس سنة ١٩٣٧)

(٤٤٥) تنمة القول في إبطال الحجج في أن المتنبي « لا يعرف أمّه » ، وسائر حججه في

شذوذ حياة المتنبي ، بلا أساس مقبول (٤٥٠) طبيعة الخلاف بين منهجين في دراسة الأدب ،

وهو تنمة للقول في نسب المتنبي

٤٥٥ - (٦) « بينى وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ٧ من المحرم ١٣٥٦/٢٠

(مارس سنة ١٩٣٧)

(٤٥٥) نقد ما وقف عنده الدكتور طه من شعر المتنبي ، وفيه الفرق بين منهجى في

« التذوق » ، ومنهجه « الانفعال » العقيم ، وأيهما أصحّ في استخلاص الحقائق من الشعر ؟

٤٦٥ - (٧) « بينى وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ١٤ من المحرم سنة

(٢٧/١٣٥٦ من مارس سنة ١٩٣٧)

(٤٦٧) نشأة المتنبي في الكوفة ، وتعرضه لصلّة العلويين بحياة المتنبي ، وهو أيضاً دالٌّ على

الفرق بين المنهجين ، وإبطال ما تخلل ذلك من الآراء التى لا أصل لها (٤٧٣) تحريفه ألفاظ

الأخبار المروية ، وما يؤدى إليه هذا الفعل من الأخطاء (٤٧٣) طرف آخر من إرادته معارضتى

بلا دليل صحيح

٤٧٦ - (٨) « بينى وبين طه » / (نشرت في البلاغ ، السبت ٢١ من المحرم سنة ١٣٥٦/٣ من

(إبريل سنة ١٩٣٧)

(٤٧٧) تنمة تفنيد ما قاله في نشأة المتنبي ، وادعاؤه « قرمطية » المتنبي ، بلا دليل صحيح ، وما في ذلك من التناقض . (٤٧٩) تفنيد ما قاله في شعر المتنبي في صباه ، وهو فصل دال على المنهج الانفعالي غير الناضج في فهم الشعر
(٩) « بيني وبين طه » / (نشرت في البلاغ ، السبت ٢٨ من المحرم سنة ١٣٥٦ / ١٠)
من إبريل سنة ١٩٣٧)

- ٤٨٧

(٤٨٧) تفنيد حججه في أن المتنبي « قرمطي » ، وفساد منهجه المفضي إلى هذا الاستنتاج من شعره ، وفيه الفرق بين منهجي في « التلوق » ومنهجه العقيم (٤٩٥) آيات أخرى ظنّها تدل على قرمطيته ، وأخطاؤه التي ارتكبتها في سبيل هذا المنهج الانفعالي العقيم
(١٠) « بيني وبين طه » / (نشرت في البلاغ ، السبت ٦ من صفر الحير سنة ١٣٥٦ / ١٧ من إبريل سنة ١٩٣٧)

- ٤٩٨

(٤٩٨) تمام القول في « قرمطية المتنبي » . أول من أحدث خرافة « قرمطية » المتنبي ، هو المستشرق الأعجمي بلاشير ، واحتجّها منه الدكتور طه على عاداته ، وما في أقواله من الرّجيم والقلو (٤٩٩) ترتيب حججه في ذلك ، ثم تفنيدها (٥٠١) مزاعمه في القصيدة التي تنهك بها المتنبي برجل يقال له أبو الفضل (٥٠٣) إغفاله مقدمات القصائد التي كتبها المتنبي نفسه (٥٠٤) تورّطه في استنباط معان لا قيمة لها من شعر أبي الطيب في صباه ، وفي الدلالة على فرق ما بين منهجي ومنهجه .

- ٥٠٩

(١١) « بيني وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، الثلاثاء ٢٣ صفر الحير سنة ١٣٥٦ / ٤ من مايو سنة ١٣٥٦)

(٥٠٩) تنمة الكلام في فساد القول « بقرمطية » المتنبي (٥١١) مثال من أخطاء الدكتور باعتماد على تخليط المستشرق بلاشير (٥١٣) فساد قوله في الاستدلال بشعر لأبي الطيب في مدح صاحبه العلوي في صباه ، وإقحامه ذلك في قضية « القرمطية » (٥١٥) منهجه الانفعالي العقيم حين طبّقه على قصيدة المتنبي ، أوقعته في أخطاء متتابعة (٥١٦) تطبيق منهجي في « التلوق » يصحح أخطائه في هذا الشعر

- ٥١٢

(١٢) « بيني وبين طه » / (نشرت في صحيفة البلاغ ، الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٦ / ١١ من مايو سنة ١٩٣٧)

(٥٢١) تفنيد ما قاله في توقيت قصائد المتنبي بالشام ، ولم وقع في هذه الأخطاء ، والمقارنة بين ما قاله هو وما قلته أنا ، وفيه ختام هذه القضية « بيني وبين طه »

نبوة المتنبي

- ٥٣٣ - « نبوة المتنبي » / « محمود محمد شاكر » / « الرسالة » (١٦٧) الاثنين ٢٨ من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ / ١٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٦)
- ٥٤١ - حول « نبوة المتنبي » / « سعيد الأفغاني » / « الرسالة » (١٧٠) الاثنين ١٩ من رجب سنة ١٣٥٥ / ٥ من أكتوبر سنة ١٩٣٦)
- ٥٥٠ - « نبوة المتنبي » أيضاً / « محمود محمد شاكر » / « الرسالة » (١٧١) الاثنين ٢٦ من رجب سنة ١٣٥٥ / ١٢ من أكتوبر سنة ١٩٣٦)
- ٥٥٩ - « نبوة المتنبي » أيضاً / « محمود محمد شاكر » / « الرسالة » (١٧٢) الاثنين ٣ من شعبان سنة ١٣٥٥ / ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٦)
- ٥٧٠ - حول « نبوة المتنبي » أيضاً / « سعيد الأفغاني » / « الرسالة » (١٧٤) الاثنين ١٧ من شعبان سنة ١٣٥٥ / ٢ من نوفمبر سنة ١٩٣٦)

...

كلمة الرافي

- ٥٧٧ - « المقتطف والمتنبي » / « مصطفى صادق الرافعي » / « الرسالة » (١٣٢) الاثنين ١٨ من شوال سنة ١٣٥٤ / ١٣ من يناير سنة ١٩٣٦)

...

أربع تراجم للمتنبي لم تُنشر (٤)

- ٥٨٥ - (١) « ترجمة المتنبي للرُبَعي » (٣٢٨ - ٤٢٠ هـ) / ملحفة بأعر شرح الواحدى لديوان المتنبي (مخطوط)
- ٦٠٧ - (٢) « ترجمة المتنبي لابن العديم » (٥٥٨ - ٦٦٠ هـ) / من كتابه « بغية الطلب » (مخطوط)
- ٦٥٩ - (٣) « ترجمة المتنبي لابن عساكر » (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) / في آخر نسخة من « الإبانة للعميدى » (مخطوط)
- ٦٨١ - (٤) « ترجمة المتنبي للمقريزى » (٧٧٦ - ٨٤٥ هـ) / من كتابه « الحُفَى » (مخطوط)

...

فهرس شعر أبنى الطيب	- ٧٠١
فهرس أبيات لغير المتنبي	- ٧٠٧
فهرس الحديث والأمثال	- ٧١٠
فهرس سيرة أبنى الطيب	- ٧١١
فهرس الأعلام	- ٧١٣
فهرس المواضع	- ٧٣١
فهرس كُتُب عن المتنبي	- ٧٣٥
فهرس سائر الكتب	- ٧٣٧
فهرس الصحف والمجلات	- ٧٣٩
فهرس المكاتب / والفرق وأشباهاها	- ٧٤٠
فهرس رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا	- ٧٤١
فهرس كتاب المتنبي	- ٧٤٣

...